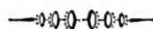


Irshād al-ʿalibāʾ

إرشاد الألباء إلى محاسن أروبا

تأليف

محمد أمين فكري بك
قاضي محكمة استئناف مصر الاهلية



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع في مطبعة المنطلف بصر سنة ١٨٩٢



10-1-57 Abu Lughod - gift

لسدة صاحب المقام الاسمى والجناب الفخيم الاسنى
افندينا خديو مصر عباس الثانى المعظم
أيدُهُ الله

مولاي

اعلى الله قدرك وخلد بين العظماء ذكرك واعز مصر باحكامك
واقر عينها بطول ايامك انى كنت من اعضاء الوفد المصري المنتدب من
قبل الحكومة الخديوية للحضور في مؤتمر المستشرقين الثامن الذي اقرر
انعقاده باستكم وكرستيانا عاصمتي السويد والنرويج في سنة ١٨٨٩
وبمناسبة السفر الى هذا المؤتمر والعودة منه وفي اثنائه مرت
بعواصم اوربا الشهيرة وكان مروري بباريس اوان المعرض الذي اقيم بها في
تلك السنة

فكبت بعض ما رايت بالبلاد التي شاهدها قاصداً بذلك وقوف
ابناء وطني على ما يستوقف النظر من محاسنها وعلى ما صرفه اهلها من
الهمة والاعتناء بشؤونها حتى وصلت من الثروة والرفاهية الى ما وصلت

اليه فان معرفة احوال الامم وما هم عليه من الحضارة والتقدم والعمران
والتمدن ادعى الى اقتفاء آثارهم طلباً للإصلاح ورغبة في النجاح
وما هو يا مولاي كتاب رحلتي مفتتحاً باسمك محلي بجلى وصفك
فانمحه نظرة يعلو بها قدره ويعظم بها فخره وأنه من لدنك قبولاً يكسوه هو
ومؤلفه محل البهاء والمجد ويجعل التأليف لخدمة الوطن والمعارف وسيلة الى
كسب رضائك وطريقاً يتسابق فيه اولو المهمم والغيرة تحت ظل لوائك

عبدكم
امين فكري

تحريراً بمجروسة مصر في ١٦ مارث سنة ١٨٩٢

تحرير هذه الرحلة

كان العزم ان يكتب سيدي الوالد هذه الرحلة بعد العودة من سفره كما عقد النية على ذلك في اثنائه والمع اليه في كتاب حرره من لوسرن الى عزيزه صاحب السعادة علي مبارك باشا وكنت اخذت اثناء السفر معه لاعاته على هذا الغرض في تحرير بعض مذكرات مختصرة فيما رأيناه يستحق الذكر اثناء هذه الأمور لئلا تكون شبيهة بفهرست كتاب توب بواسطته الابواب وتوسع مطابقة للطلاب ويسهل عليه فيما بعد بواسطتها مراجعة الكتب التي يرومها في المواضيع المراد ذكرها والتنقير عنها في مظانها

وبجاء العودة الى هنا اخذ سيدي العزيز مع جمع المواد في ترتيب كتبه في المكتبة التي هي فيها الآن ليسهل عليه مراجعتها ثم اراد ان يكمل نظام ارضنا بتل حوين وان يتم امر ادارتها لزيادة التفرغ لهذا العمل ولغيره من الاعمال التاليفية فتوجه اليها وبقي بها مدة اعتراه في اثنائها اول نوبة من نوبات المرض الا انها لم يطل امرها بل انصرفت عنه في يوم واحد او اقل منه بدون استعمال معالجة تذكر وحضر لمصر بعد هذه المرة واستشار طبيبه فنصحته بعدم اتعاب الفكر وترك الاكثار من المطالعة فامثل امره ووقف سير الاشتغال بالرحلة وبغيرها لهذا السبب

واخذت صحته تحسن وتقوى مستمرا على تمثيل المطالعة اخذا في اسباب العود الى تمام العافية الى ان طرأ طاري لبعض اخصائه استوجب زيادة اشتغال

فكره واستلزم شدة تأثيره فعاوده المرض بشدة أكثر من الأول ولكن الله سلم في هذه النوبة أيضاً باستعمال الوسائط القويّة والاستمرار على العلاجات اللازمة وكان ذلك في شهر رجب سنة ١٣٠٧

فبقي مستريح الجسم من ذلك الشهر الى اواسط شهر القعدة وقد اشارت عليه الاطباء بتبديل الهواء لتتم راحته وتكمل صحته فتوجه الى تل حوين واخذ يتسلى فيها بملاحظة اشغالها الزراعية وكانت لتوارد مكاتباته اليّ كل تلك المدة منبئة عن حسن صحته مشعرة بمزيد سلامته حتى قرب العيد الاكبر واراد الحضور لمصر وكتب لي بذلك طالباً مني ان انتظره بمحطتها مؤكداً عليّ بذلك كل التأكيد في آخر مكاتبة منه اليّ بتاريخ ٣ الحجة سنة ١٣٠٧ كأن الله اطلعه على ان ذلك ضروري كما ستراه

فلما كان يوم الخميس ٧ ذي الحجة سنة ١٣٠٧ (٢٤ يوليو سنة ١٨٩٠) ذهبت لانتظره بالمحطة في ميعاد الوابور المعتاد (الساعة ٥ و ٢٠ دقيقة بعد الظهر) واذا به لم يعرفني بل كان يسأل عني مني اللهم الاّ انه بعد كثرة الالحاح عليه في تعريفني نفسي عرفني آخر مرة قال فيها ” الحمد لله الذي جمع شملنا “ فلما وصلنا البيت اخذنا في المعالجة وفي الوسائط التي بها يكون صرف المرض واستعملنا كلما وصلت اليه اليد واستحضرنا من لزم من الاطباء الاّ ان المرض كان اقوى والاجل كان ادنى فاحتضر وناداه مولاه فلباه وفارق دنياه بعد ساعة عربية ونصف من يوم الاحد (يوم الاضحية) عاشر ذي الحجة سنة ١٣٠٧ (٢٧ يوليو سنة ١٨٩٠)

كان الذي خفت ان يكونا انّا الى الله راجعونا

وقامت نوادب الادب وانثلم حد القلم وفقدت عين الفضل قرتها وجبهة
الدهر غرتها ورثته الافاضل بالفاضل والفواضل وبكنه الاكارم بالماكارم واني
وان فقدت بفقدته ابا مجيداً وسنداً وحيداً اسليت نفسي بانه ما مات من لم يميت
ذكره وخلد من بقي على جبهة الايام نظمه ونثره

ورأيت ان استعين على الصبر بجمع بعض اقواله مما يخلد ذكره ويقدره
قدره ولم يثن عزمي عن هذا انه لم يجمعها هو نفسه بل اخذت في الجد والسعي
فعثرت على بعض مكاتبات له استنسخها لاجلي مذ كنت صغيراً من بعض
اصحابه الذين كانتهم بها وبعض مكاتبات كان اسعدني الحظ بان اطلعني عليها قبل
ارسالها للمرسلة اليه فاخذت صورها

وصرت اجمع تلك المكاتبات واضفت اليها ما وجدته من بعض المسودات
وكاتبت اصحابه الذين كان يكتبهم فاعطاني بعضهم ما وصلت اليه يده من
مكاتباته له ووعد الباقيون بالبحث وسأضيف ان شاء الله الى ذلك عند طبعه ما
يتيسر لي من منظومه ومنشوره

وكثيراً ما كنت في تحرير هذه الرحلة بين اقدام واحجام وتفكر وتحير وتأمل
وتدبر وكلما هممت بتحريرها وترصيفها وتحبيرها يشتد بي الضجر والتأسف على
عدم تمكن سيدي الوالد العزيز من تأليفها فانها كانت تكون غرة في جبهة الدهر
وحسنة من حسنات العصر لطول باعه وكثرة اطلاعه

ولكن قوئ عزمي على الشروع في العمل وهداني الى السير فيه وشد ساعدي
في استقرائه مع مشقاته واتعابه ما كنت اعلمه في سيدي العزيز من شديد الرغبة
الى القيام به وعظيم الميل الى اتمامه معتبراً ان قيامي بهذا العمل تنفيذ رغبته وتأيد أمنيته

فاستخرت الله في تعليق بعض ما رأيناه وحصلنا عليه من العجائب وشاهدناه
واعدت النظر على معلقاتي التي سبق لك ذكرها وبسطتها حسب ما يلزم مستعينا
بكتب الدلائل التي استدللنا بها في سياحتنا وبما استحضرت من التأليف
الخصوصية وبما جلبته من الرسومات والاوراق والمطبوعات وصحف الاخبار
المنتشرة في الاقطار وبما بقي منطبعا في الخاطر من احاسن المناظر وغرائب المفاخر
التي لا يكاد يمحوها الزمان

وتركت في الوصف الاختصار المخل والتطويل الممل لاني لو اردت
الاستيعاب وقصدت الاستيفاء بالاسهاب وتوسعت في وصف كلها مررت به
او مررتي للزمني ان اوفي كل شيء حقه واقدره قدره واصف كل ما اشتملت
عليه هاتيك البلاد من العجائب والغرائب ودون ذلك خرط القتاد

فبادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك احوال
فيكفيك الآن ان تطلع على ما كتبت فتجعله وسيلة وتخذ ذريعة لان
تعمل جهدك وتعاني وكذك وكذك وتصرف عنان عزيمك الى السياحة فتجعل
لها نصيبا من زمنك وحظا من مالك وانت ان سلكت هذا المسلك ونحوت هذا
النحو افدت نفسك وبني جنسك واكتسبت معرفة اشياء تخفى على امثالك
وعرفت عادات معاصريك مؤتلفة ومختلفة وطبائعهم متشابهة ومتباينة وربما ان
رأيت طرق تقدمهم اخذت لنفسك ولبلدك ولابناء وطنك ما رأيت اخذه
ونقلت من ذلك ما قدرت عليه وافدت غيرك ولو بكتابة ما استحسنت مما رأيت
واني لا أمل انك توفي هذا المرام حقه ان اخذت في العمل مع التفرغ له
واخترت الوقت الذي يناسبه واطلت البحث فيه مدة يستلزمها اتمامه وكتبت

ما رأيت أن تكتبه في شأن ما تستحسنه من البلاد وما فيها وانت جيتئذٍ منشرح
الخطر قرير العين خال من الشواغل والمتاعب فاذا رأيت ثمرة ارشادي من اعجاب
الناس بما كتبت واقبالهم على ما صنعت فاني اظنك لا تنسى كاتب هذه العجالة اذ
هو الذي حثك على هذا العزم واستنهضك لهذا الحزم فتطلب من الله ان يصلح
شأنه ويذهب اشجانهُ

❖ الاصل ❖

في تعيين الوفد المصري للتوجه الى بلاد السويد والنرويج وحضور المؤتمر الدولي
العلمي الذي تقرر انعقاده بها في سنة ١٨٨٩

في سنة ١٨٨٩ حضر جناب الكونت كارلوده لاندبرج الى محروسة مصر
بصفة قنصل عام من طرف سمو الملك اسكار الثاني ملك السويد والنرويج المعظم
لدى سمو الخديوي الاكرم افندينا (المغفور له) محمد توفيق الاول خديومصر الانغم
وبعد ابلاغه المأمورية واستقراره في وظيفته بلغ الحكومة الخديوية بصفة
رسمية عن حكومته ما قد تقرر من ان المؤتمر الدولي العلمي للمستشرقين في هذه
المرّة وهي المرة الثامنة سيكون انعقاده في استكم وكريستيانيا عاصمتي بلاد السويد
والنرويج المذكورة تحت حماية ماليكها المشار اليه وان حكومته تريد ارسال وفد
من علماء مصر وفضلائها للحضور في المؤتمر المذكور

فجاء ذلك على وفق مراد الجناب العالي الخديوي عبة في العلم وتأييداً
لأمره وقياماً بنصره وشد أزره وتنوياً بقدره فحصلت الموافقة على هذا الأرب
ولم تتأخر الاجابة عن الطلب

وفي اثناء ذلك زار سيدي الوالد جناب القنصل الموما اليه حسب الامر ثم زاره هو ايضاً وثقايا الزيارة مراراً كرّر جناب القنصل فيها القول على سيدي الوالد بدعوه لقبول رياسة هذا الوفد والتوجه به لحضور المؤتمر ولم يكن ذلك ممّا مرّ لسيدي بخاطر ولا تعلّقت له به رغبة فكان يتنصل من ذلك ويعتذر لا سيما بما كان يخشاه من برد تلك البلاد مع تقدم السن وضعف البدن وكان حضرة الكونت يُسهّل له الوعر ويحسن له السفر ويهوّن الامر عليه ويزينه لديه ويفهمه ان القبول لهذه المأمورية ممّا يسر الحضرة الخديوية وما زال به وانا اساعده على ذلك واحسن رأيه رغبة مني في اطلاع سيدي الوالد على تلك البلاد وما فيها من المحاسن والمنافع ونقدم العلوم والصنائع لتحقيق الخبر بمراى العين حتى اجاب وتوكل على الله واطهر القبول وعول على المسير

وحينئذ اظهر الجناب الخديوي الانغم لسيدي الوالد استحسانه ولم يكن من قبل اشار اليه بشيء من ذلك فاخبره مشافهة انه لم يخاطبه بشيء من هذا الامر خشية المبادرة الى الموافقة ولو يكون كارهاً لذلك في نفسه فيتضرّر وهو لا يودّ انه يتضرر قال الجناب العالي مخاطباً له "فجعلت الكلام اليك من غيري وقلت في نفسي ان قبل حصل المراد وقلنا ذلك ما كنّا نبغي وان امتنع لم نحمله على ما يكره" هكذا اخبره بعد ذلك بمحضوري في اول مرّة مثلنا فيها بين يديه بعد قبول سيدي رياسة ذلك الوفد فلله ما اللطف هذه الشئائل واشرف هذه الفضائل واكرم هذه الاخلاق

وبعد ذلك جرى الكلام في تعيين باقي الوفد والمذاكرة في لجنة المالية بخصوص المصاريف اللازمة للسفر والمداولة في مجلس النظار وكتب من رياسة

الجلس المشار اليه في ٢٧ شعبان سنة ١٣٠٦ الموافق ٢٨ ابريل سنة ١٨٨٩ بنمرة ٣٢ الى نظارة المعارف ما نسخته

”بالجلسة المنعقدة يوم الخميس ٢٤ شعبان سنة ١٣٠٦ (٢٥ ابريل سنة ١٨٨٩) تحت رئاسة الحضرة الخديوية صار تلاوة المذكرة المقدمة من اللجنة المالية بتاريخ ١٨ ابريل المذكور نمرة ٣٢ التي رأت فيها قبول احتساب المصاريف اللازمة للوفد العلمي المنتخب للحضور في الجمعية العلمية الشرقية المزمع انعقادها في استكمهم عاصمة دولة السويد والنرويج في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٩ المركب من سعادة عبد الله باشا فكري وحضرات امين بك فكري والشيخ حمزة فتح الله ومحمود افندي عمر البالغ قدرها ٠٠٠٠٠٠٠ جنياً تقريباً من المصاريف الغير المنظورة وبالمداولة في ذلك تقرر الموافقة على ما رآته اللجنة المالية بالصفة البادية الذكر وان يُعْلَى على المبلغ المذكور ٠٠٠٠ جنياً تعطى خاصة لسعادة عبد الله باشا فكري رئيس الوفد المذكور وبناءً عليه قد كتب في تاريخه لنظارة المالية بما لزم واقتضى تحريره لسعادتكم لاجراء مقتضى ما تقرر“

وقد ارسالت نظارة المعارف هذه الافادة لسيدي الوالد بمكاتبة اخبرته فيها باستعدادها لصرف المبلغ اليه متى شاء
واخذنا في استعدادات السفر والتفكير في طريقه الذي تتبعه بعد ان استلمنا
المبالغ التي تعينت

❖ استعدادات السفر ❖

ان الوقت المعين لانعقاد المؤتمر قد صادف فصل الصيف الآن ان صيف أوروبا ليس كصيف بلادنا في امر الحر بل هو بارد لا سيما في العاصمةين اللتين هما مقرّاً للمأمورية اذ هما واقعتان على نحو درجة ستين من العرض الشمالي ومصر واقعة على نحو درجة ثلاثين منه فمهما كان الصيف في تلك الجهات فانه لا اقل من انه يشابه الشتاء عندنا فناسب الاستعداد على ملابس توافق هذا الغرض فأخذنا معنا ما نستعمله هنا في الشتاء لاستعماله هناك متى مسّت الحاجة اليه واخذنا ملابس التشرّيف مع ما يتبعها من السيوف المتممة للهيئة لما علمناه من ترتيب المؤتمر فأن فيه لزوم التزيي بها في كثير من احتفالاته الرسمية الا ان وضع السيوف مع الملابس الزمنا ان نجعل لها صندوقاً طويلاً لعدم التقيد بحمل السيوف في تنقلاتنا على كثرتها ولحقّة امر الحمل علينا اذ صارت بهذه الوساطة تتقل مع المتاع حيث ما انتقل بدون ان نتكبّد ادنى مشقّة بخصوصها ولم نأخذ فرشاً ولا غطاءً ولا أدوات وضوء ولا مأكل لعلنا ان الفنادق بها من ذلك ما يلزم وزيادة خلافاً لما رآه البعض فانه اخذ منها ومن غيرها مما لا لزوم له من غطاءً وطسوت وعلب كعك وغيره حملته مصاريف كثيرة خصوصاً الكعك فانه صرف عليه في كمارك البلاد التي مررنا عليها اضعاف ثمنه في كل كرك حتى اضطرّ اخيراً لارجاع تلك الاشياء من باريس بمصاريف كما سيرد عليك ايضاحه عند ذكر مقامنا بباريس

اما كيفية المأكل والمشرب والمبيت فلم نجد حاجة لزيادة الفكر فيها فان الفنادق متكفلة بذلك

اما المبيت فالامر فيه ظاهر فانك ترى في الفنادق الكبيرة المستحدثة
عندنا (اللوكاندات) من النظافة وحسن الاتقان وشدة الاعتناء ما يفنيك عن
ان اطيل شرح نظافة الفنادق هنالك وانقائها ومزيد الاعتناء بأمرها
واما الاكل فالامر فيه اسهل مما يرى بادىء بدء وذلك لان المشكوك
فيه منه اللحوم سواء كانت من طير او حيوان غيره وهذه يجوز لنا اكلها فان
الذين قصدنا بلادهم هم من اهل الكتاب فيجوز لنا اكل ذبائحهم وليس للشك
تأثير في طهارة ما يؤكل في تلك الفنادق غاية ما يقال انهم يستعملون لحم الخنزير
فيها ولكن ذلك مدفوع بان قوائم الاكل مبيّن فيها الاصناف كلها فنستدل
بواسطتها على الاطعمة المعمولة من هذا النوع وعلى التي دخل شيء منه في تركيبها
فنبتعد عنه

واماً اواني الاكل والشرب فلا وجه لاعتقاد عدم طهارتها لانهم لا شك
يفسلون بالماء الطهور القراح ولان الاصل في امثال ذلك الطهارة ولا نجس
بالشك ولا ينبغي التعمق في ذلك ولا البحث فيه اذ ليس فيه فائدة دينية وليس
هذا بورع بل هو وسوسة ربما كبرت بالانسان فأدّت به الى ما لا يحمد وقد اجاز
لنا الشرع الشريف أن نأكل من ما كملهم ونستعمل ملابسهم ونصلي في ثيابهم
بدون تطهير لها فقد اكل النبي صلى الله عليه وسلم من الحبن المجلوب من بلاد
الروم ولا شك انه كان في آتية من اوانيم ولم يثبت غسله قبل اكله وتوضاً امير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جرّة نصرانية واعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثياباً أهديت اليه صلى الله عليه
وسلم من بعض ملوك المسيحيين فلبسها علي وصلى فيها وما ثبت انه غسلها قبل

ذلك ومعلوم ان المقوقس عزيز مصر اهدى النبي صلى الله عليه وسلم ثياباً وأواني زجاج وعسلاً وثبت أكله منه صلى الله عليه وسلم واستعماله للثياب ولو امرنا بغير ذلك لضاق المتسع وقد قال صلى الله عليه وسلم (بعثت بالخيفة السمحاء) اي الشريعة السهلة والتعمق في ذلك حرج في الدين منافٍ للسهولة

واما الطهارة للصلاة فانها اسهل شيء لان كل غرفة من غرف الفندق بها طستٌ وابريق من الصيني فلنا ان نصب الماء في الطست ونفترق منه لاي عضو مع تلقي الماء المتساقط من العضو فيه مقلدين مذهب الامام مالك فالتقليد جائز ودين الله يسر واستعمال الانسان ذلك بنفسه بدون استعانة باحد فضلاً عن كونه الشرع سهل جداً والاستعانة في الصب خلاف الاولى

واما استقبال القبلة فقد اخذنا معنا بوصلة وجدولاً نتعرف بواسطتهما القبلة اينما كنا

واما حلول اوقات الصلاة فنعلمه بواسطة الساعة وجدول اوقات الليل والنهار

هذا ما رأيناه ولم نلتفت الى ما رآه بعض السادة اصحابنا و اشار به على بعض الرفقاء من استصحاب فرأش وطبأخ فان ذلك ربما جرّ الى فسطاط وأواني للاكل والشرب فكيف تكون الحال مع طول المسافة وكثرة التنقلات والاقامة في البلاد الكثيرة التي عزمنا على الاقامة فيها اياماً معلومة والتي يضطرنا حال السفر للاقامة فيها ساعات ولم اذكر هذا الرأي الأعلى سبيل الفكاهة اذ يكفي لتزييفه مجرد ذكره

ولم نلتفت لمن اشار بالاعتصار في الاكل من الفنادق على البيض والحب

والمخللات فان هذه فضلاً عما فيها من اضعاف الصحة وازهاق النفس وعدم التعود عليها وقلة كفاية تغذيتها في تحمل مشقات السفر الطويل مع شدة برد البلاد واحتياجها الى الاغذية القوية من اللحوم لا يمكن الجزم بطهارتها دون غيرها
لو فتحنا باب الشك

اما من اشار علينا بتبئية اطعمتنا بانفسنا فهذا يجهل اننا لا يمكننا القيام بهذا العمل لعدم معرفتنا به ويجهل حال الفنادق التي عزمنا على النزول بها ويجهل انها يجب ان تكون من الدرجة الاولى رعاية لراحتنا ولصفتنا الرسمية ويجهل انها على طراز غير طراز الخانات والوكائل المعروفة في القديم بمصر ويجهل انه يجهل الحقيقة في هذا المعنى فهذا لا نذكر رأيه بأكثر مما قلناه

هذا وقد اجمعنا على ان النزول يكون في الفنادق وعلى انتقاء احسنها واعلاها لكن من ذا الذي يدلنا عليها في كل البلاد التي نزل فيها ومن ذا الذي يضمن لنا اننا لا يطلب منا فيها الا الواجب دفعه فقط مع الزبي الشرقي الذي يطمع في المتزبي به فان كان بالسؤال عنها من كل بلدة فهذا امر يطول شرحه وربما تعذر احياناً وتسرع غالباً فاخذنا في امعان النظر واجهاد الفكر فلم نجد أوفق لغرضنا من السفر بواسطة شركة كوك واولاده فان طريقتها هي التي توافقتنا وقد اتبعناها كما ستري

وذلك ان هذه الشركة لها اتفاق مع كثير من الشركات التي باطراف الدنيا برية او بحرية فماعلى المسافر الا ان ينتخب الطريق التي تناسبه ويبيتها ويعين الدرجة التي يرغب النزول فيها ويدفع المبالغ اللازمة الى بيت كوك في البلدة التي يريد السفر منها فيأخذ منه كراسة اوراقها بقدر عدد البلاد

التي يرغب السفر اليها او المرور عليها تكون كل ورقة منها تذكرة توصله من بلدة الى أخرى من البلاد التي يقصدها في البر وفي البحر بدون استصحاب دراهم لانتقالاته برّاً وبحراً فيستغني عن مشاق اخذ التذاكر من كل بلدة الى غيرها وهذه التذاكر تعطى اليه من طرف بيت كوك بغير زيادة على اثمانها التي تصرف بها من محلاتها لو أخذها من هذه المحال بغير واسطة كوك

وريج كوك يعود اليه من نفس الشركات البرية او البحرية فيما تركه له عند المحاسبة مما نقدّه المسافرين اياه في مقابلة ما يجلبه لها من المسافرين فكما ان الشركات تنتفع منه بذلك فهو ايضاً ينتفع منها ولا ضرر على المسافر مالياً بل ربما انتفع هذا المسافر في سفره بواسطة كوك احياناً فانه قد توجد اتفاقات خصوصية بين كوك وبعض الشركات من مقتضاها تنزيل شيء عن المعتاد في كل مائة للمسافرين بواسطة فهم يدفعون اليه في هذه الحالة اقل مما كانوا يدفعونه لو اخذوا تذاكرهم بدون واسطته

ولهذا البيت اتفاق مع كثير من الفنادق المعدودة من الدرجة الاولى بجميع المدن التي يسافر اليها في انحاء الدنيا واقسام المعمورة شرقياً وغربياً وتعرف بالاطلاع على قائمة مطبوعة تعطى منه الى المسافر بحيث يجد فيها تحت اسم كل بلد فنادق متعددة فينزل في اي واحد اراد منها ولا يدفع فيها نقداً بل يعطى اليه بيت كوك من مبدل سفره كراسة — غير كراسة التذاكر السابق ذكرها — تشمل على اوراق متعددة كل واحدة منها تعطى له الحق في النوم واكل الصبح والظهر والعشاء فهي مقسمة الى اربعة اقسام مفصولة عن بعضها بمثل الفواصل التي تفصل طوابع البوستة فاذا نام اعطى ورقة النوم واذا افطر اعطى ورقة الافطار واذا اكل

وقت الظهر اعطي ورقة الظهر واذا اكل في وقت الغروب اعطي ورقة المشاء وكل ورقة مُبَيَّن فيها انواع المآكل التي له الحق في طلبها في كل مرة من هذه المرات ثم يحاسب صاحب الفندق بهذه الاوراق بيت كوك

فاذا اتى المسافر اى بلد فما عليه الا ان يخبر قائد العربى عن اسم الفندق الذي يقصده وكثيراً ما يجد رجالاً من تلك الفنادق في انتظار الوابورات واحياناً في المدن الكثيرة الزحام يجد مخصوصين من بيت كوك نفسه يعرفهم باسم المحل المكتوب على برنيطة كل منهم فيعطيه تذكرة امتعته وهم يوصلونها اليه وهو يركب في عربة الفندق او في اى عربة شاء فيصل بغاية الراحة اليه وهؤلاء الرجال يجدهم ايضاً في وقت الارتحال فيساعدونه في توصيل امتعته الى المحطة وفي التأشير على التذاكر التي بيده

واذا اتى الفندق أعلن ان معه اوراق كوك فيعطى غرفة تناسبه ويدفع اجرة الفندق في كل المدة التي يقيمها به اوراقاً من الاوراق التي ذكرناها فيما مر

فاذا اكل الانسان جميع اكل النهار (ثلاث مرات على ما مر) ونام بهاته الفنادق التي هي من الدرجة الاولى كما سبق لا يعطى أكثر من ورقة يوم باربعة اقسامها وهي قد دفع قيمتها لبيت كوك في مبداء سفره نصف ليرة انجليزية عن قارة اوربا و ١٣ فرنكاً ونصفاً وربعاً الى ١٥ فرنكاً عن بلاد انكلترا و ١٥ فرنكاً وستين سنتيماً عن مدن اميركا والصين واليابان و ٩ فرنكات وخمسين سنتيماً عن مدن الهند ونحو نصف ليرة عن باقى بلاد العالم في الغالب

مع انه قد يدفع المسافر أكثر من هاته المبالغ في مييت ليلة واحدة بفندق اقل درجة لولم تكن معه هذه الاوراق خصوصاً للمتري بملابسنا الشرقية

فاذا رأى المسافر ان الفندق الذي نزل به بعيد عن المركز الذي يقصده
امكنه في اليوم التالي انتخاب فندق غيره من الفنادق المرتبطة بشركة كوك في
البلدة نفسها يوافق غرضه أكثر من الأول والحصول على هذا اهون شيء بسؤال
احد المسافرين معه او غيرهم

فاذا صادف في اثناء الاقامة فندقاً من هذه الفنادق غير الذي هو فيه واراد
الطعام امكنه ان يدخله ويتعاطى الطعام به ويدفع في هذا الفندق ورقة ذلك
الطعام من الاوراق التي معه ولا يعطيها في الفندق الذي هو نازل به عن هذه
الاكلة فإن كل أكلة أكلها خارجه لا تحسب عليه فيه

وسنذكر لك اننا تغدينا بورقة من تلك الاوراق في فندق على جبل بقرب
لوسرّن من اعمال سويسره يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ١٨٠٠ متر مع اننا كنا
نازلين بأحد فنادق لوسرّن

واذا اتفق ان المسافر لم يستعمل بعض تلك الاوراق فله ان يعيدها لبيت
كوك وهو ينقده قيمتها التي دفعها له فيها بنقص عشر ما دفعه اليه فقط ويمكنه
التفادي من هذا النقص بأن يأخذ من هاته الاوراق بقدر ما يلزمه فاذا احتاج
لشيء منها بعد ذلك اخذ ما يحتاج اليه من نوعها من اي بيت من بيوت كوك
الموجودة بكل بلدة من البلدان المشهورة المعلومة له في الجدول المبين فيه اسماء
الفنادق السابق ذكره

واذا احتاج الى استهفامات او مكاتبات او اشخاص يدلونه على جهات
يريد زيارتها فيبت كوك في كل بلد مستعد لان يعطيه كل ذلك بمجرد طلبه
بدون نقد وليس عليه الا اجر الدلاء فقط وبيت كوك مع ذلك يبينها له

ويجد في هذه البيوت كثيراً من كتب الدلائل والخرائط وتذاكر الوابورات لجميع الجهات وكثيراً ما يوجد في الفنادق التي بالبلاد الكبيرة مثل باريس وغيرها مكاتب مخصوصة اقامها كوك لهذا الغرض فيكون المسافر ودليله في محل واحد وما كانه الا ارسله من قبل بالخصوص لخدمته ولتأتي أوامره فاذا اراد ان يستعلم عن قيام وابور او عن اي جهة او ان يكتب تلغرافاً لناحية او حجز مكان برسمه في فندق او في وابور بحر تكفل البيت بذلك وليس على المسافر غير دفع اجرة التلغراف ليس الا

فاذا ينبغي للمسافر ان يوسط هذا البيت في امر سفره نظراً لراحته وعدم تشويش ذهنه بامور السفن وخلو باله من التفكير في متاعبه فاخذنا منه ما رأينا لزومه لنا من تذاكر الفنادق وما يلزمنا من تذاكر السفر في البر والبحر للطريق الذي انتخبناه

وقد فاتنا ان نسلم فرع بيت كوك بمصر ما معنا من النقود التي لا نريد حملها ونرغب الاخذ منها تدريجاً في اثناء السفر حسب اللزوم فاتنا سلمناها الى بنك الكريدي ليونيه واخذنا بها تحويلاً محرراً منه لسائر عملائه في الجهات التي قصدناها بان يدفعوا لنا المبلغ المبين به كله او بعضه تحت رغبتنا اما لو كنا اخذنا هاتيه المكاتبه من بيت كوك بمصر لعملائه في الجهات لكنا ارحنا انفسنا من مؤنة الذهاب الى عملاء البنك المذكور كلما احتجنا الى نقود واكتفينا ببيت كوك فقط في كل بلد نزلنا بها واخذنا منه ما نحتاج اليه من النقود مع ما يلزم من الاستفهامات وعلى كل حال فقد اصبنا في ابداع مبالغنا بالبنك اذ ارحنا انفسنا من ثقل حملها والحافظه عليها طول السفر واشتغال البال بها وتعرضها لخطر

الضياع والبرقة

فاذا عرفت بيت كوك وكيفية اعماله وانتشاره في انحاء العالم ومساعداته للمسافرين وادركت ما في ذلك من الترغيب في السفر وتعميم استعماله وما في هذا التعميم من النفع العظيم لما يترتب عليه من اختلاط الشعوب المختلفة الجنس والمذهب واتلافهم بواسطة التعارف بعد اختلافهم وتصورت ما يلزم لمثل هذا العمل المهم من الاشخاص وما يستلزمه من المصرف وما يستوجب من حسن الادارة وكمال الانتظام وازفت الى هذا ان الترتيب والاحكام بلغا به الى حد انه عين دلاء مخصوصين لمن يريد ان يدور حول الارض مرة في كل سنة في اشهر معلومة فيمرون باميركا وولايتها المتحدة ثم باليابان والصين ومدنها العامرة والهند وبلادها الفاخرة ومصر وآثارها الظاهرة والشام وامكنتها الزاهرة ثم اثينا والقسطنطينية وايطاليا حتى يعودوا بهم الى حيث خرجوا اولاً ويتعهد هؤلاء الدلاء من طرفه للمسافرين بمصاريف السفر في البر والبحر ومصاريف الفنادق والركائب ورسوم المنتزهات ومواقع التفرج حتى ما يعطى للخدم من الاحسانات بحيث ان السائح من هؤلاء متى دفع المبلغ المحدود وهو ١١ ٣ ٦٢ فرنكاً ونصفاً وحضر في الوقت المعهود استلم دفتر اسفاره وسار بهداية دليله مع باقي الرفقاء متفرجاً على الآثار بواسطة هذا الدليل عالماً حقائقها بترجمته وافقاً على اسرار البلاد التي يجول بها بدلالته مطالعاً على اخلاقها وطبائع اهلها وعاداتها مستعيناً في ذلك بمعلوماته مستغنياً بمعرفة هذا الدليل عن السن هاته الامم المختلفة في درجات المدنية والحضارة المتباينة في العوائد والاخلاق حتى اذا اقام المدة المعينة في كل بلد وفرغ من الوقوف على آثارها ومعرفة نظامها انتقل الى غيرها في البر او البحر لا تلويه عن قصده الجبال

والبحار ولا تنبيه عن عزمه الفياثي والفقار فيصل الى حيث ابتدأ من غير ان يلوي عنان السير عن الامام في الوقت المعين بالضبط والتمام وعلمت ان هذا البيت المنتشرة فروعه وهذا الاصل الممتدة افنائه وغصونه في انحاء المعمورة قام بتأسيسه رجل واحد وهو توماس كوك اجتهد فوصل وجد فوجد رغبت من غير شك في معرفة هذا الرجل وبعض من تاريخه فان كان هذا فاليك البيان ولد توماس كوك المذكور مؤسس هذا البيت في سنة ١٨٠٨ من ابوين فقيرين ویتيم من ابيه وهو ابن اربع سنوات فخرج من المكتب بعد تعلم القراءة والكتابة وخدم في اول امره عند احد البستانيين باجرة صولدين في اليوم ثم تعلم صناعة خراطة الخشب من خاله له وعمل فيها بضع سنين ولما بلغ الرابعة والعشرين من العمر نهض بعض ابناء مذهبه ينادون ضد شرب المسكرات فانضم اليهم وانتخب كاتباً لمجمعهم وكان اعضاء هذا المجمع يذهبون من مكان الى آخر لعقد اجتماعاتهم فخطر له ان يسهل لهم الانتقال بسكة الحديد وكانت سكة الحديد في بدء نشأتها فاجاب مديرها طلبه وهو لا يعرفه

وفي ٥ يوليو سنة ١٨٤١ اخذ ٥٧٠ راكباً وذهب بهم الى بلد بينها وبين البلد الذي قام منها اثنا عشر ميلاً باجرة قدرها خمسة قروش عن كل نفس ذهاباً وإياباً وكانت الاجرة قبل ذلك كثيرة جداً فتلقاه اهل المدينة التي قصدتها هو وركابه بالآلات الطرب ومزید الاحتفال

ولما ذاق ثمره الظفر تنبته عواطفه كلها نحو هذا العمل فاستمر فيه حتى ذاع صيته وصارت كل جماعة تألفت وارادت الذهاب من مكان الى آخر للتزئده نقصده ويتولى تسفيرها وينجح في ذلك نجاحاً عظيماً

فساعدهُ هذا النجاح على استمرار العمل واتباع هذه الخطة فاتفق مع مديري السكك الحديدية على تخفيض الاجر بالنسبة لركابه حتى كان يأخذ الرجل مسافة مائة ميل بخمسة قروش والصبي بنصف هذا القدر ولم يقتصر على مجرد تنزيهم بل زاد عليه ان يطلعهم على الامكنة الشهيرة والقصور المشيدة والآثار القديمة

وصار يمد دائرة اعماله من بلد الى بلد ومن مدينة الى اخرى حتى تددت بلاد انجلترا وامت سكتلندا وايرلاندا وتخطت الى باريس ومنها الى باقي اوروبا فمدن اسيا وافريقية واميركا والاوقيانوسية

وقد احتفل ابنه واولاد ابنه في لوندريه في شهر يوليو الماضي سنة ١٨٩١ بعيد الخمسين (اي خمسين سنة مرت عليه منذ شرع في عمله وقد تقدم ان ذلك كان في يوليو سنة ١٨٤١) فحضر هذا الاحتفال امراء المملكة وعظماة الحكومة واعيان الجند واكابر الكتاب تشييداً لمجد هذا الرجل الذي كان السبب في تعارف الامم والواسطة في تحاييم ومعرفتهم قدر بعض

وقد وصل بجده وكده الى هذا النجاح العظيم وبعد ان كان بيته في اول امره يدير اعماله ثلاثة اشخاص فقط صار الآن يتبعه ٢٧٠٠ مستخدم من جميع الاجناس والمثل منتشرين على سطح الكرة الارضية من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب وبعد ان كان بيته واحداً في البلد الذي ابتداء اعماله فيه ليس له خلافة في غيره صار الآن بيت اعماله العمومي بلندريه وله فيها غيره ١٢ فرعاً وفي بلاد الانجليز ١٦ فرعاً وفي باريس ٣ فروع وفي باقي انحاء العالم اكثر من ١٠٠ فرع وبعد ان كانت علائقته في اول الامر مع بعض شركات قليلة وفنادق

يسيرة صار الآن له حساب جارٍ مع ٥٠٠ شركة سكك حديدية ووابورات بحرية و ٨٠٠ فندق من الفنادق الشهيرة وبعد ان كانت اعماله قاصرة على نقل الركاب من مكان الى آخر شملت توصيل نقودهم اليهم في اي محل يريدون والقيام بامور اكلمهم وشربهم وركوبهم ثم بعد ان كان واسطة بين ركابه والشركات الحديدية او البحرية صار هو ايضا زيادة على ذلك مالكا لبعض الخطوط الحديدية كالخط الصاعد بالتفرج الى جبل (بركان) فيزوف ولبعض الخطوط النهرية كخط النيل من مصر القاهرة الى الشلال الاقصى للسائحين ومن اسويط الى الشلال للبوستة وسائر المسافرين فله فيه عدة وابورات فضلا عن الذهبيات العديدة وبعد ان كانت اعماله قاصرة على الاحاد شملت العساكر واللوازم الحربية فقد تعهد للجيش الانجليزي بنقل عساكره ومهماتهما وما يلزمهما من الآلات والأدوات في أجل محدود ايام حملة اغاثة غوردون باشا سنة ١٨٨٤ فنقل ١١٠٠٠ عسكري انجليزي و ٧٠٠٠ عسكري مصري و ١٣٠٠٠٠ طنونولاطه من لوازم الحرب و ٦٥٠٠٠ طنونولاطه فحم حجري من الاوقيانوس الاطلاتيني ومصر الى الشلالات فالسودان حيث كانت الثورة منتشرة سائدة فأوصلهم كما تعهد في الأجل المعهود للمكان الموعود وبعد ان كانت اسفاره قاصرة على السياحة واستطلاع احوال البلاد عمت زيارة المحلات المقدسة تأدية للواجبات الدينية فكانه وقد سهل جميع الطرق لمريدي السفر بواسطته في الدنيا حيث ساعدهم على الوصول الى جميع جهاتها بقاية ما يتصور من السهولة والراحة وما يمكن من المهادنة في الاجرة اراد ان يساعدهم في تسهيل طريق الآخرة لهم على حسب اعتقاد كل فيما يذهب اليه بعين التسهيلات التي عودهم عليها فهو ينقل الالوف المؤلفة من مسلمي الهند (٤٠٠٠٠ في السنة)

الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج ويعيدهم الى حيث اتى بهم كما ينقل طوائف المسيحيين من انحاء العالم الى الاماكن المقدسة لاداء واجباتهم الدينية وبعد ان كان المسافرون الذين ينقلون بواسطته في اول الامر يحسبون في السنة بالثلاث صاروا الآن يحسبون بالملايين ينتقلون آكلين بائتين آمنين في اماكن تحت اسمه بكل جهات المعمورة وبعد ان كان ايراده السنوي في اول عمله شيئاً لا يذكر صار ايراد يومه الآن اضعاف ايراد سنة في اول نشأته

فهذا الرجل الذي كان في اول امره خادم بستاني كما قلناه وترقى الى خراط قد بلغ الى هذه الدرجة العليا من الثروة والسيادة بكده وجده وقد استمر سنين طويلة يشتغل مع اولاده في اعماله هذه ١٨ ساعة في كل ٢٤ ساعة

وهذا الذي حضر الاحتفال بعيدة الخمسيني الامراء والكبراء والشعراء والوزراء واعتذرله بالتلغراف من منعه منهم اعذار ضرورية عن الحضور مثل المستر غلادستون والجنرال ولسلي وهذا الذي ارسلت الحكومات الاجنبية مندوبين من قبلها لحضور احتفاله منهم مندوب مولانا الخديوي الفخيم تهنة له وتشجيعاً لاعماله التي قام بها في نفع النوع البشري طالما قاسى شدائد المعيشة وعانى صعائب الاهوال في طريقه فاحتمل مزح المازحين وسخط الساخطين وذم الشعراء والقائلين فيه وفي مسافريه المتعدين حتى اشاع بعض معاكسيه عنه انه اجبر من طرف الحكومة الانجليزية لتخليص بلادها من اشرار المفسدين وكبار المجرمين وتشيتهم عنها في اربع جهات المسكونة ولم يلوعنان عزمه شيء من هذا بل استمر في طريقه غير مبال بشقشة الحاسدين مستعيناً بما ينفقه من الاموال الطائلة في سبيل اشهار عمله واذاعته واستجلاب الناس اليه بواسطة

جرائد خصوصية تصدر باسمه في لوندرة وباريس ونيويورك وبومباي وملبورن فضلاً عن غيرها من الاعلانات والمطبوعات ككتب الدلائل عن سائر الجهات حتى بلغ ما خصصه بهذا الشأن في السنة الواحدة نصف مليون من الفرنكات فتعودت الناس معه على الاسفار ورغبت بواسطته في السياحة وارتاحت لطريقته في استطلاع احوال الأمم وآثارها قريبة وبعيدة وكان في مقدمتهم ابناء جنسه ومواطنيه بعد ان كان الكل في غاية التخوف من الاسفار حتى كان يوصي بعضهم في اول الامر على اهلهم وعياله وماله قبل ان يركب الوابور ولو بعض ساعات فصارت الأسفار بهمة هذا الرجل وتسهيلات من الاشياء المعتادة يرغب فيها الفقراء والاغنياء ومن الامور السهلة مها بعدت البلاد المقصودة واتسعت بواسطته السكك الحديدية وامتدت وانشئت الخطوط البحرية وتعددت وعرف الناس اخلاق معاصريهم وعاداتهم وتجولوا في بلادهم واخطلطوا بهم فارتبطوا بروابط الالفة واتحدوا بمجاذب التعارف واتفقت قلوبهم بواسطة التوادد حتى صار الناس اخواناً او كادوا وعلم كل منهم ما كان يفتره له المفترون وينم له به النامون رغبة في استمرار تفرقهم وطلباً لعدم اتحادهم وتآلفهم وصار اسم هذا الرجل المهمل في اول عمره من الاسماء المشهورة في كل اقطار المسكونة من شرقها الى غربها وجنوبها وشمالها وعرف حيث لا تعرف اسماء كثير من الملوك وكبار الساسة وانتفع الناس منه بزيادة اطلاعهم على اقاصي الجهات واكتسبت البلاد منه ما يصرفه السائحون فيها من المبالغ الوافرة واكتسب هو ايضاً حسن الذكر وشهرة الاسم والمال الكثير وانقلب شجرة معانديه وقدر معاصريه ثناءً وحمداً حتى كان من الاحتفال بعيدهِ ما نحن بصددهِ الآن

وتوماس كوك عمره ٨٣ سنة الآن واعماله يديرها ابنه جون كوك واولاد
ابنه هذا مشتركين جميعاً في اجتناء الثمرات بدل ما لاقوه في السابق من الاتعاب
والصعوبات

وحيث انتهى بنا الكلام عن بيت كوك واستعداداته وقد اتمنا معدات
السفر كما مرّ فهلمّ بنا نتحدث عن طريقه في الفصل التالي

وانما نذكر لك هنا بمناسبة معدات السفر ما كان اشار به البعض من
استصحاب خادم معنا مع انه لا حاجة لنا به فانا لو اخذنا هذا الخادم من خدامنا
الموجودين للزمنا مساعدته والترجمة له في كل اعماله فيكون في ذلك من عكس
المقصود وقلب الموضوع ما لا يخفى وان اخذناه ممن يعرف اللغات فهذا لا لزوم له
فأن فينا من يعرف الفرنساوية ويتكلم بها وهي تمكن العارف بها من السياحة في
كل انحاء الدنيا فاهماً مطلوبه مفهماً مقصوده كما جربنا ذلك في هذه الرحلة
هذا فضلاً عن ما نتحمله من مصاريف هذا الخادم مع عدم الحاجة الى خدمته فان
الفنادق ومحلات السفر ملأى بالخدم وبمن يساعد في نقل الأمتعة ويسهل
امرها وقد سبق القول بالتخفيف منها والاقتصار فيها على الضروري اللازم واذا
دعت الضرورة الى شيء منها امكن تداركه في المكان الذي ينزل فيه باحسن
واوفر واسهل من تداركه قبل السفر

❖ طريق السفر ❖

قد صادف وقت المؤتمر زمن المعرض العمومي بباريس وهذا مما يتعلق به الآمال وتصرف فيه الاموال ويهرع اليه من جميع الاقطار وتساءل عنه السفار والحضار وتعني الناس على اختلاف أصنافها واغراضها بزيارته فرأينا ان لابد ان نزوره واخذنا نداول في وقت هذه الزيارة هل تكون بعد اتمام الأمورية والعودة من السويد او قبلها واستحسننا الثاني فانخط الراي عليه لانه كلما تأخر الوقت قرب الشتاء واشتد البرد فاذا نحن عجلنا بزيارة المعرض لم يكن علينا بعد المؤتمر الا العودة الى مصر بخلاف ما لو اخرناها فاننا نصادف فيها وقت حلول البرد ولا نتمكن من الاطلاع على المعرض كما نحب

وحيث نقرر ذلك بقي علينا انتخاب الطريق الذي نسلكه من الاسكندرية الى باريس ومنها الى استكمهم هل نتخذ الطريق الأقرب او نتخذ الطريق الذي نمر فيه على مدن شهيرة وعواصم كبيرة اكثر من غيره فتكون السياحة اوفى وافضل واكمل واوسع واشمل فيتميز على الاول بهذه الصفة فرأينا ان نتخذ الطريق الثاني دون الاول فاننا لو قصدنا باريس من الطريق القريب لكان السير بطريق مرسيليا بجرأ ومنها الى باريس برأ ولم نتمتع بروية بلاد كثيرة بخلاف الطريق الذي اخترناه فاننا عزمنا فيه على زيارة ثغر تريسته والانعطاف منها على وينيسيا بلد البنادقة ومنها على ميلانو من اعمال ايطاليا ثم نمر بممرسان جوتار ونجتاز منه الى السويسرة للتمتع بمناظرها الزاهية الزاهرة ومواقعها الناضرة الباهرة وبجيرانها العجيبة وأوديتها الغريبة وروية احسن مدنها وهي لوسرن ثم نذهب من السويسرة الى فرانس بطريق بآل ثم باريس

واخذنا نفكر بعد ذلك هل نسير من باريس الى استكم باقرب الطرق او نمرّج على انجلترا ومنها نقصد هولنده فنزور مدينة ليدن الشهيرة بمؤتمر العلوم المشرقية السادس ونرى مكتبها المشهورة بالمكتب المشرقية ونخص بالزيارة مطبعتها المختصة بالمطبوعات العربية ثم نقصد الدانيمارك بعد المرور على لاهي وزيارة أمستردام فنبيت ليلة بكونوليا من المانيا ونزور كوبنهاج عاصمة الدانيمارك فبعد تبادل الآراء واختلاف الاهواء والتأمل الكثير والتعسير والتيسير واعتباران هذه الفرصة لا يتمكن منها الانسان في كل زمان انخط الراي على هذه الطريق الاخيرة وانعقدت النية على التوجه بعد ذلك من كوبنهاج الى مالمو ثغر السويد من جهة الجنوب ومنها الى استكم عاصمة البلاد السويدية ومقر المأمورية وعزمنا على تغيير الطريق في العودة للتمكن من مشاهدة عاصمة المانيا ثم التمتع بعاصمة النمسا فنصل بعدها ثغر تريسته حيث ابتدأنا ومنه الى الاسكندرية

ولو اردت اياها القاري العزيز معرفة هذه المسافة متأملاً في خريطة من خرائط اوربا موجهاً نظرك نحو مصر في افرقية جائزاً بالبحر الابيض المتوسط ماراً بكريد فيرندي في تريسته سائراً منها على الطريق الذي سبق ابصاحه حتى تصل استكم صاعداً فوقها الى أبسالاً معرجاً نحو اليسار الى كرسنيانيا ثم منها جنوباً الى جوتنبورج فلهسنبورج فلهسنجور فكوبنهاج ثم منها الى ستين ومنها الى برلين فويانه في تريسته فاسكندرية لتصور المسافة التي قطعناها ولم تستكثر تسعة وستين يوماً قضينا نحو عشرين منها في باريس وخمسة عشر في السويد والنرويج من يوم بارحنا مصر حتى عدنا الى الاسكندرية بل ربما استغربت وتعجبت من قطع تلك المسافات في قليل من الاوقات

❖ في السفر الى الاسكندرية (١) ❖

في يوم الجمعة ٢١ من ذي القعدة سنة ١٣٠٦ من الهجرة النبوية الموافق ١٩ من يوليو الافرنجي سنة ١٨٨٩ من الميلاد توجهت الى موقف سكة^(٢) الحديد خارج القاهرة عند محل باب الحديد^(٣) لاجل المسير الى الاسكندرية بقصد السفر الى اوربا لحضور المؤتمر ومعي من الوفد ولدي امين بك فكري وكان هناك في انتظارنا رفيقنا محمود افندي عمر واما رفيقنا الآخر حضرة الشيخ حمزة فتح الله فكان قد سبقتنا الى الاسكندرية قبل ايام قلائل ليوطن بها أهله عند انسابه الى حين العودة من السفر وحضر لوداعنا جماعة من اصدق اصدقائنا واجلاء اخلائنا جزاهم الله فضلاً ولا شئت لهم شملًا وجماعة كرام افاضل من

- (١) هذا الفصل والذي بعده الى محل مخصوص منه ما اللذان علقها سيدي الوالد العزيز في هذه الرحلة لا غير وقد كتبها في صحف من الورق بصفة مسودة فنقلتها كماها
- (٢) في لسان العرب السكة الطريق المستوي ويوسميت سكك البريد قال الشماخ حنت على سكة الساري فجأوبها حمامة من حمام ذات اطواق اي على طريق الساري وقال العجاج نضربهم اذ اخذوا السكائنكا والسكة الزقاق وقيل انما سميت الازقة سككا لاصطناف الدور فيها كطرائق النخل والسكة السطر المصطف من الشجر والنخل وفي الحديث المأثور خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة المأبورة المصلحة الملتصقة من النخل والمأبورة الكثير التاج والسل وقال ابو حنيفة كان الأصمعي يذهب في السكة المأبورة الى الزرع ويجعل السكة هنا سكة الحراث كأنه كنى بالسكة عن الارض المحروثة ومعنى هذا الكلام خير المال تاج او زرع واصافة سكة الى الحديد من اضافة المكان للمكين كقولك دار الكتب وبيت المال
- (٣) كان بقرب الموقف المذكور عند زاوية اولاد عنان باب من ابواب مدينة القاهرة يعرف بباب الحديد وبوابة الحديد خرب واندر وازيل فلم يبق له عين ولا اثر

المعارف والمحاكم ومن المشرعين وغيرهم جزا الله الجميع احسن جزائه وزادهم من عطائه

ثم سار بنا وابور الاكسبريس في اوائل الساعة الخامسة بعد الظهر واخذنا بأهداب المذاكرة في امر ما نحن بصدد من المأمورية وغير ذلك من شجون الحديث في مختلف من الشؤون حتى وصلنا الى الاسكندرية في نحو اربع ساعات مضت ولم نشعر كانها لمح بالبصر فنذكرت ما كنا نعانيه من الشدة ونقاسيه من طول المدة اثناء السفر الى اسكندرية وبالعكس وكذا الى طنطا وغيرها على الركائب في البر او المراكب في النهر قبل حدوث الواورات وسكك الحديد اذ في مثل هذه المسافة التي قطعناها في ساعات قلائل كنا نسير مراحل نجهد فيها الرواحل ونضطر في قطعها الى أيام وليال وآجال طوال وأهوال وأوجال وربما حصل عائق في المسير ادى الى التأخير وا قبل الليل فاظننا الخوف والويل وكم مرة أدت الضرورة الى وقوف السفينة في جهة غير مأمونة وغير متيسر فيها وجود المعونة وتدارك المؤنة فنقاسي من البلاء وجهد الشقاء وحر الصيف او برد الشتاء وصعوبة الحال وجهل المال والخوف على النفس والمال ما يضيّق عنه نطاق المقال ويكاد يشيب من هول الاطفال

فلما نشأت سكك الحديد هانت الاسفار وزالت الاخطار وتدانت الاوطان والاطوار وصارت الدنيا كأنها دار

واول نشأة سكة الحديد بمصر والسفر فيها بالآلات البخارية كان في زمن

عباس باشا المرحوم سنة ١٢٦٩ من الهجرة

وكان الانجليز قبل ذلك نكلموا في هذا الامر مع نزيل دار الرحمة

والرضوان الحاج محمد علي باشا جد العائلة الحديوية الحالية تغمده الله بفراجه فطلبوا منه في سنة ١٨٣٧ للميلاد وهي سنة ١٢٥٣ هجرية بعد اتمام سكة حديد ليفربول^(١) من بلادهم ان يعمل خط سكة حديد في مصر يمتد من القاهرة الى السويس لتسهيل نقل البضائع بين الهند وبلادهم فأجابهم الى ذلك واتفق مع بعض بيوت التجارة بانجلترا على جلب ما يلزم لذلك من القصب والآلات والادوات وحضر بعضها بالفعل ولكن طرأت في اثناء ذلك موانع حالت دون اتمام هذا الامر كان منها تعرض دولة فرانس للمعارضة في ذلك وبقيت القضبان التي جلبت لهذا الغرض الى ان استعملت في سكة حديد انشئت عند ناحية طره بين النيل والجبل لنقل الحجارة والدبش الى ناحية القناطر الخيرية بغير آلات بخارية ثم تخلى عن حكومة مصر بعد ذلك صاحبها الحاج محمد علي باشا المشار اليه سنة ١٢٦٤ وخلفه في تلك السنة نجله الاكبر ابراهيم باشا المشهور بسر عسكر وتوفي بتلك السنة وتولاها بعده الحاج عباس باشا ابن اخيه تولى الله الجميع باحسانه وذلك سنة ١٢٦٥ وتوفي بتلك السنة جده محمد علي اعلى الله في دار المقامة محله ولم يكن قضي في سكة الحديد امر ولا خرجت من القوة الى الفعل ولبث رجال الانجليز تنتهز الفرص وتكرر السعي في طلب انشاء سكة حديد الى ان اجيب طلبها في مدة عباس باشا المرحوم قبيل وفاته واستصدرت

(١) ليفربول مدينة شهيرة من بلاد الانجليز في الشمال والغرب من لوندرة على نحو ٢٨٠ كيلو متر منها وهي في الجانب الايمن من نهر مرسي بقرب مصبه في بحر ارلنده اهلها نحو اربعمائة الف نفس وبها دار آثار عتيقة خاصة بمصر ولها تجارة متسعة وبها صنائع كثيرة وفيها معامل للسكر والصابون والخباز ومصانع زجاج شهيرة

الامر من الباب العالي بالترخيص في هذا العمل وشرع فيه بالفعل في تاريخ (١٢٦٩) كما تقدم وكان اصل طلبها قاصراً على مد السكة المذكورة من القاهرة الى السويس فتكون على ذلك قاصرة على المرور في الصحراء الشرقية فلم يوافق ذلك رأي عباس باشا المرحوم بل رغب في ان تمتد في وسط البلاد اولاً من الاسكندرية الى القاهرة ثم من القاهرة الى السويس ليكون نفع البلاد بها اكبر والفائدة فيها اكثر فحصل التراضي على ذلك وعقدت شروط مع استغناسون المهندس المشهور على تعيين مهندسين انجليز من طرفه لعمل الجسر وتركيب القضبان في نظير خمسين الف جنيه تدفع من الحكومة المصرية فحضروا وانضم اليهم جملة من المهندسين المصريين وجرى العمل الى ان توفي عباس باشا المرحوم سنة ١٢٧٠ وكان الذي تم منها ٧٠ ميلاً واهتم من تداولوا الحكومة بعده بأمر السكك الحديدية لما رأوا من عظيم فائدها ومنفعتها فتمت وازدادت وتفرعت وامتدت في البلاد المصرية قبلها وبحريها حتى وصلت الى ماهي عليه الآن وتزيد ان شاء الله بعد الآن حتى تنتشر في كل مكان

❖ مدة الإقامة بالاسكندرية (١) ❖

فلما وصلنا الى الاسكندرية وجدنا بها في انتظارنا على موقف سكة الحديد رفيقنا الشيخ حمزة فتح الله ومعه من لباب الاحباب الكرام وعظماء العلماء الاعلام صديقنا المولى المهام الشيخ علي الليثي ادام الله علاءه والفقير النبيه السري الشيخ

(١) هذا الفصل الى المحل الذي سيبين منه علقة سيدي الوالد العزيز كما علق الفصل الذي قبله في صفح من الورق فكنته كما هو

عبد الرحمن الرافعي مفتي الثغر الاسكندري حرس الله رفعتهُ وسواها من تفضلوا
علينا بنقل الاقدام الى ذلك المَقَام^(٢) وتَلَقَّوْنَا بالاكرام وطلبوا ان تنزل بهم مدة
المَقَام^(٣) وكان اتفاقنا مع رفاقنا من السابق ان ننزل ايام مَقَامِنَا بالاسكندرية في
احد الفنادق^(٤)

(٢) - (٣) المَقَام يفتح الميم من قام والمَقَام بضمها من اقام
(٤) الفنادق جمع فندق (قال الشهاب الخنجا في شفاء الغليل) بضم الفاء
وسكون النون وضم الدال وبعدها قاف معناه بلغة الشام الخان قاله ياقوت في معجم
البلدان و بعضهم يغلط فيه فيقول فتتق بالناء انتهى . وقال صاحبنا الشيخ نصر الموريني نعمتُ
الله برحمته لعله من الإبدال المجاز لقرب الخارج انتهى . ويرد على الشهاب في تغليط من
يقول التفتق بالناء صنيع الجدي في القاموس فانه ذكره بالناء والدال قال التفتق كفتنذ
خان السبيل ثم قال الفندق كفتنذ حمل شجرة وهو البندق وتقدم الخان السبيل انتهى . وفي
الاقبانيوس ترجمة القاموس للسيد عاصم قال الشارح يعني السيد المرتضي الزبيدي أنه الخان
الذي يبني على الطريق يترلة الغرباء وابتناء السبيل بلا اجرة وفي لسان العرب قال
انفراه سمعتُ أعرابياً من قضاة يقول فتتق للفندق وهو الخان وهذا كما نراه يعارض
تغليط الشهاب لمن يقول بالناء وفيه أيضاً عن التهذيب الفندق بلغة اهل الشام خان من
هذه الخانات الذي يترلها الناس ما يكون في الطرق والمداين انتهت عبارة اللسان ونقلها
السيد مرتضي في تاج العروس وعنه نقل السيد عاصم إلا ان قوله (بلا اجرة) يحتاج الى
نظر فانه ليس في عبارة الشارح الذي ينقل عنه ولا في عبارة اللسان الذي هو مأخذ الشارح
ولا في عبارة الصاغاني في التكملة والذيل والصلة المتقدم عليها وهو من مأخذ صاحب
القاموس ولعله استنبطها (في نقله كلام الشارح) من قول الجدي في تفسير الفندق (الخان
السبيل) فان الشارح مزجها بعبارة فرما يكون المترجم فهم ان المراد من الخان السبيل
الخان الذي جعل في سبيل الله اي للثواب يعني مجاناً والذي يفهم من عبارات المؤلفين
قديماً وحديثاً في استعمال لنظ الفندق عدم اختصاصها بما كان من غير اجرة انظر خطط
المريزي في ذكر الخانات والفنادق قال فيها اثناء الكلام على خان مسرور (وكان يعني

والفندق عبارة عن دار ذات حجرات وغرف منتظمة فيها ما يحتاج اليه نازلها من الفرش والأدوات ينزلها المسافر في مقابلة مقدار معين من المال يدفعه لاجل السكنى مع الطعام او بدونه في اليوم او الشهر وتختلف هذه المحلات في التنظيم والزخرفة وحسن الآلات والادوات اختلافاً كثيراً يترتب عليه اختلاف الاجرة قلة وكثرة وبالجملة يجد الانسان في هذه المحلات راحته في المقام والطعام والنام على نحو الكيفيات والاوزاع المعروفة في اوربا ولم يكن ذلك

مسروراً صاحب الخان قد اوصى ان نعمل دارة مدرسة وبوقف الفندق الصغير عليها) انتهى . وانت خبير بان لا معنى لوقف الفندق على المدرسة الا استغلاله وصرف غلته في مصالح المدرسة فلا يكون مجاناً وقد اورد المفريزي في الخانات التي ذكرها خاناً عرف بخان السبيل وهو خان معين كان خارج باب الفتوح بحروسة مصر القاهرة نقل عن ابن عبد الظاهر انه بناء الامير بهاء الدين قراقوش لاهناء السبيل والمسافرين بغير اجرة وتكرر في الخطط وغيرها ذكر الخان ومفاد كلامهم انه مثل الفندق في انه من المواضع التي ينزلها المسافرون وفي فقه اللغة للثعالبي الخان مكان مبيت المسافرين والحنوت مكان الشراء والبيع وفي القاموس الخان الحانوت او صاحبة وخان التجار معروف ونحوه في اللسان وفيه انه معرب من الفارسية وقد اورد السيد عاصم في نبيان نافع ترجمة برهان قاطع لجملة معاني منها ما هنا وهو محل نزول المسافر قال ويقال له بالتركية ايضاً خان وما يستعمل في معنى الخانات والفنادق حديثاً وقدماً الوكائل انظر الكلام على وكالة قوصون في خطط المفريزي قال وقد ذكرها في الخانات والفنادق (هذه الوكالة في معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع الزيت والشهريج والصابون والدبس والنسق) الى آخر ما قال ولم يزل الاستعمال على ذلك الى يومنا هذا . ولم اعثر بالوكالة بهذا المعنى في لسان العرب ولا في شيء من كتب اللغة والظاهر انه مولد طارئ . وقد اعيد الآن في مدن بلادنا لاقامة المسافرين وابناء السبيل ما نعورف في التخاطب بيننا باسم (اوتيل) او (لوكن) وكلاهما لنظ اعجمي اخذناه عن اهل اوربا معنى ومبنى وقد يعبر عنه الادباء في زماننا بالخان والفندق كما كان عاماً هو من قبيل من جهة انه معد للمسافرين وان لم يكن مثله . انتهى منه

معروفاً ولا مألوفاً لدينا من قبل وكان من يحتاج الى لُبِّ يوم او ايام في بلد غير
مستوطن له اذا لم يجد به من احبائه ومعارفه من يؤويه نزل في بعض المواضع
المعدة للمسافرين والاغراب مما يعبر عنه بالوكائل والحانات والفنادق فلا يجد فيها
من الفرش والأثاث والأدوات ما يحتاج اليه الا ان يستجده بقدر ضرورة الحاجة
وكثيراً ما تكون هذه المواضع لاسيا في غير القاهرة وما يقرب من مضاهاتها غير
جيدة البناء ولا حسنة النظام ولا مناسبة للسكنى ولا موافقة للصحة ولا متوفرة فيها
وسائل الاستراحة ويراها قذرة وخمة كثيرة القمل والبرغوث والبق وغيرها من
الحشرات المؤذية والضارة فتمنع النوم والراحة والقرار فما يمر بجفنه غمض ولا
تستقر به ارض وزد على ما ذكر ان هذه المواضع قد يزدحم في داخلها وخارجها
ركائب من ينزلها من المسافرين وغيرهم ودوابهم فتشوش الخاطر بأصواتها وحركاتها
وتمازج الهواء باقذارها وهلمَّ جرّاً ومن رأى عرف ان الواصف مهما اطلال قصر وما
ترك أكثر وهاك حكاية انسان من القاهرة سافر الى بعض بلاد الريف فاضطره
الليل الى النزول في بلدة كبيرة على طريقه فلجأ الى موضع من هذا القيل بات به
ليلة اسوق حديثها اليك وان لم يخل عن طول لتعرف بعض حال هذه المبال ان لم
تكن عرفت وتذكر ان كنت نسيت على شريطة الا تسألني عنه من هو اذ ليس
ذاك مما يهيك

وذلك انه نزل حجرة بوكالة في البلد اختارها له بوابها وجاءه بعد ان انس
منه الكرم وعرف من هيئته انه من ذوي النعم يستحق حصير طالما اكل الزمان منه
وشرب وسراج زيت ليس له على دفع الظلام سلطة ولا بينها مانعة جمع وابريق
ماء ما زال يعني وان لم يطرب وعرفه انه يدخر امثال هذه لامثاله من خيار

الناس ممن يدهمه في وقت مثل وقته لا لكل احد فانه ممن يعرف مقادير الرجال الى امثال هذا المقال وتركه يستوفي ما كتب له ومضى لسبيله فلم يكدر يستقر في الغرفة الا وقد اقبلت عليه حشراتا واخذت تدب اليه من جميع جهاتها وتناوشته من كل نواحيه وانتشرت في بدنه ففعل افاعيلها وتفتك فتكاتها وهو يتقلب على مثل حرّ الجمر ويتجرّع من الصبر ما هو اشد مرارة من الصبر ونظر الى ما حوله من ارض الغرفة فاذا هي تموج بما فيها من الحشرات ولم يكن اعتاد امثال هذه الاحوال فكاد يجنّ جزعاً وهلعاً ورأى في الغرفة طاقة كبيرة عليها شباك من الخشب المخروط ذو فتحات مربعة كالذي نراه في بعض الدور العتيقة من القاهرة فأدّاه فرط الضجر من أذى هذه الحشرات ان صعد على الشباك فوضع قدميه في مربعين من فتحاته قريبين من اسفله واستمسك بيديه في آخرين من نحو اعلاه بعد ان نزع ما عليه من الثياب واخرج له كسوة غيرها من الصندوق لبسها ووقف متشبثاً بالشباك كالمصلوب فوجد في نفسه راحة من ألم البق وغيره سوى الناموس فلف ما بدا من بدنه بما انقى به أذاه فوجد في نفسه لذة عظيمة من الراحة صار بها النوم يخالسه ببعض غفوات خفيفة الا أنه لما تمادى به الوقوف وطال عليه الليل كلّ ساعده وتألّت راحتاه وقدماه فلما اعياه التجلد صار ينزل عن الشباك الى الارض فيستقر عليها مستريحاً الى ان يجهد البق واخوانه فيعود الى التعلق بالشباك حتى تكمل قواه وبعد ان كرر ذلك مراراً حتى سئم بدا له ان ينزل الى اسفل الدار لعله يرى فرجاً ومخرجاً فخرج واستصحب المصباح واغلاق الباب واخذ المفتاح ومشى يريد سلم الدار لينزل وبعد مسافة طفيفة سراهه باصابة الهواء فمضى يخط الظلماء وتخطه الجدران حتى اصاب السلم بعد التيا والتي فنزل

درجات وخاتنه قدمه فسقط الى اسفل ولم تكن درجات السلم ولا الارض
 محجرة ولا مبلطة فلم يصبه عظيم اثر ولا كبير ضرر وأصاب زيت السراج بدنه
 وثيابه فلم يبال بذلك وخرج الى صحن الدار فوجده مزدحماً بالدواب ليس فيه
 موضع خال فنادى البواب حتى ايقظه بعد جهد وطلب منه ان يفتح له باب الوكالة
 ليخرج واخبره بما جرى له فقال واين تريد ان تذهب قال امشي في الازقة حتى
 اصبح فقال هذا ما لا يحسن لان الحفير اذا رآك ولم تخبره يجعل معين تريده لم
 يشك في انك تريد سرقة او موبقة فتقع في مشكل ثم سكت عنه ونام ولم يستطع
 صاحبنا ان يصعد ثانية الى حيث كان على ما فيه لان مصباحه لم يبق به دهن
 ولا صلاحية للاستصباح ولم يجد موضعاً يجلس فيه فعن له بعد ان اجهد الووقوف
 مع الدواب ان يركب احداها ريثما يستريح فعلا ظهر واحدة واستقر عليها برهة
 حتى ارادت ان ترقد فتجعل النزول وزلقت رجله فوقع فيما هناك من الاقدار
 وقام يلعن الاسفار ومفارقة الديار واذا بصوت الحفير ماراً على الباب فتوصل اليه
 ان يستصحبه معه في مسيره ووعد ان يواسيه واعطى لبواب الوكالة ايضاً ما
 ارضي خاطره فقام وفتح له فخرج ومشى مع الحفير شوطاً او شوطين واثقله النوم
 والتعب ورأى مصطبة عند دار فقال له دعني اجلس هنا برهة لاستريح وامض
 انت لشانك حتى اذا عدت قمت انا معك او قعدت انت معي قال شانك وتركه
 فجلس الى الحائط يهني نفسه بالخلاص مما كان فيه ويراعه النوم الى ان مر به
 كلب من كلاب الناحية رأى عليه هيئة الغريب فوقف ينبهه ويستنجح الكلاب
 معه حتى اتاه جماعة منها فوقفت تساعد الاول وتنبح الرجل وتحاول الهجوم عليه
 مرة وثناخر تارة والحاصل انه لم يذق غمضاً ولم يلامس جنبه ارضاً حتى طلع النهار

فكانت ليلةً نكداء سوداءً بغضت اليه السفر مها دعت اليه حاجة وتعلقت به
منفعة وهكذا حال من ينزل هذه المواضع وإنما يختلف امرهم بالتعود والتجمل ولهذا
كان اواسط الناس والمستورون منهم فضلاً عن الاغنياء والنبلاء يستنكفون
النزول في هذه المواضع ويرفعون انفسهم عنها فاذا كانوا في بلد غير بلد هم نزّلوا
عند من يتأتى لهم النزول عنده من اهلها ولا يُرجحون على النزول في الفنادق الا
لضرورة قاهرة فاهرة واستمرّ ذلك باقياً في نفوس الناس مستشعرين الكراهة لتلك
المحلات والتضرّر منها حتى بعد ان تجددت الفنادق على الاوضاع الجديدة
(اللوكندات) واستكملت فيها اسباب النعيم والراحة والرفاهية ثم لما اشتهر امرها في
كل جهة وعُرف نزول عظماء الناس واكابرهم وامرائهم بل ملوكهم بها اعتادها
الناس وصاروا يرجحون النزول بها على النزول ببيوت المعارف والاصدقاء بل
بعض الاقارب فان النازل بهذه الفنادق يجد بها من راحته واطلاق خاطره ما لا
يجده في غيرها اذ لا يتحاشى من طلب اي شيء تريده نفسه مما قد يتحاشى من
طلبه عند صديقه خيفة انه ربما ينقل عليه اولا يوجد عنده لدي الطلب فينجل
من ذلك وربما يكون عند صديقه فيطرق صاحب الدار ضيوف آخرون قد
لا يتسع لاستراحة جميعهم محله واثاثه فيضيق بهم ذرعاً ثم نازل الفندق يجد من
حرته في النوم والسفر كغيرها ما لا يجده اذا كان ضيفاً عند احد فانك اذا
كنت ضيفاً ربما اردت ان تسهر وصاحب البيت يريد ان ينام الا انه يضطر الى
السهر معك لمؤانستك وتضطر ان تنام انت لثلاً تشق عليه وهكذا في الصباح
ربما كان يريد ان يذهب الى دكانه او ديوانه مبكراً وانت تحب ان تتأخر حيث
لا يكون عندك داع للتبكير فيضطر الى ان يتأخر لينظر في امر طعامك وسائر

ما يلزم لك في الصباح فيتعطل او تبكر انت لئلا تعطلة وفي كلا الحالين يكون احداً على غير ما يجب وليس الشأن في الفندق كذلك فان صاحبه سواء عليه اُنت في اول الليل او آخره وقمت في اول النهار او آخره فهو بمن معه على كمال الاستعداد كل وقت لاكرام مسافره ليس له شغل غير ذلك ولهذا الوجوه وما شاكلها ترى كثيراً من الناس اذا كانوا في غير بلادهم يرجعون النزول في هذه الفنادق (اللوكدات) على غيرها متى وجدت ولم يبق من الناس الأعداد قليل لم يزالوا على الحالة الاولى ذهاباً مع ما بقي في انفسهم مما سمعوه او عاينوه مما كان من حال الفنادق في السابق واكثر الناس تحاشياً من هذه الفنادق الجديدة زمرة العلماء لا يظنهم فيها ما كان في القديمة من التعب والمشقة ولكن لظنهم انه لا يتأتى فيها اقامة شعائر الدين من صلاة ونحوها او مخافتهم ان يظن بهم انهم من يتهاون بالامور الدينية بناءً على توهم عدم التمكن منها في هذه الاماكن والحال ان من يريد المحافظة على عبادته وامور ديانته لا يمتنع عليه ذلك في شيء من هذه الامكنة خلافاً لما يزعمه كثير من لا يلتزم ان يقول عن تحقيق ودراية وانما يرمى بالقول على عواهنه لا يبالي اصاب ام اخطأ المرمى^(١) فاناً لم نجد قط في شيء من الفنادق مما نزلناه في بلاد المشرق مصرها وشامها وعربها واعاجمها ولا في بلاد اوروبا فرنسيسها وانكليزها واطليانها والمناها وغيرهم ما تعذر فيه علينا اقامة صلواتنا وعباداتنا وقد كنا في هذه الرحلة جماعة جلنا في كثير من ممالك اوربا غير تاركين لصلواتنا ولا ناذين لأمر ديننا والحمد لله على توفيقه والهداية لطريقه نعم رب طامع في

(١) قوله لا يبالي اصاب الخ بيان لما قبله قال في القاموس رمى الكلام على عواهنه اي لم يبالي اصاب ام اخطأ اه منه

ان يثبّطكَ عن امر دينك ويلفتك عنه لتصير مثله او في الاقل تلمس العذر
 له ممن ينتسب الى دينك وهو في الحقيقة نابذ له بعيد منه اضر عليه من الاجنبي
 عنه يقول لك انك اذا نزلت في فندق من الفنادق ذات الاثاث النفيس
 والفرش الفاخرة والادوات الثمينة و اردت ان تتوضأ في غرفتك وهي مفروشة
 بالبساط الفاخر تناثر رشاش الماء من اثر وضوئك على وجه البساط فاصابه
 البلل فاذا جاء الخادم او الخادمة لتعبد الغرفة بالنظافة او لغير ذلك ورأى هذه
 الحال تسخط وربما شكى الى صاحب المله فسمعت منه ما تكره او رأيت ما لا تحب
 وهذا كلام من ليس له بصيرة وحسن تصرف في الامور ولا يقع الأتلاف الا
 من مثله امان كان على بصيرة تهديه الى الصواب وحسن تصرف يدخل به الامر
 من بابيه فبهيات منه ذلك فانه اذا نزل في محل من مثل ما ذكر واراد ان يتوضأ
 ويصلي وجد عنده في الغرفة طستاً من الفخار الصيني وابريقاً من هذا النوع وآخر
 من التوتيا وانهاء الماء الشرب صغيراً ووجد مناشف متعددة فينزل الطست الى
 الارض بعد ان يضع تحته احدى هذه المناشف ويقعد على طرفها ويتوضأ الا انه
 اذا اراد ان يتوضأ من الابريق الصيني او الآخر ربما وجدته ثقيلاً على يده او
 غير مساعد على تدبير الماء من غير اسراف ولهذا يحسن به ويسهل عليه عمله ان
 يتوضأ من اناء الشرب او زجاجة من زجاجات الشراب يتخذها لهذا الغرض بعد
 ان يطهرها بالغسل فيملاها ويتوضأ منها فان كان حازماً محكم الامر متجافياً عن
 تبذير الماء المنهى عنه في الشرع لم يقع بلل خارج الطست وان اسرف في الماء
 بالفرض والتقدير وبذر وتهاون في الاحتراس مها تهاون وقصرهما قصر فاما يقع
 الرشاش والبلل على المنشفة فيرفعها بعد ان يتوضأ وينشرها على ما اعد لذلك فلا

يظهر في البساط ادنى أثر ولا يعرف موضع وضوئه بل لو عرفه او عاينه جميع اصحاب الشأن في الفندق وهو يتوضأ على تلك الحالة لما عارضه ولا اعترضه احد ويمكنه ان يصحب معه في صندوق ثيابه منشنة ذات وبر او منشفتين او اكثر فيتخذها لهذا الغرض ويضع منها تحت الطست ما يشاء على اننا لم نر ادنى حاجة لذلك بل وجدنا المناشف المعتادة التي كنا نراها في الفنادق كافية وافية بهذا الغرض وانما اردنا لقطع عرق الشبهة من اصله ان نذكر ما لا يتأتى معه ظن انتشار البلب ولا توهمه ولم يبق للمعارض مع هذا من سبب يتمسك به وعله يعتل بها والامر ظاهر والتجربة شاهدة بل قد نزلنا مرات بفندق في الاسكندرية لبعض المسيحيين فوجدناهم قد اعدوا لمن ينزل بهم من المسلمين سجاجيد للصلاة وطسوتاً وأباريق من النحاس ومناشف للوضوء مثل المستعمل لدى المسلمين وكنا صائمين في رمضان وكان توجهنا لانتظار العيد للتعديد على الجنب الخديوي السعيد فعرفونا ان السحور عندهم مرتب وانهم مستعدون لابقاظنا في الوقت الذي نريده وان ما يلزم للافطار نجده حاضرًا قبيل المغرب ثم وجدناهم انعموا ذلك القول بالفعل ورأينا في بعض الفنادق الشرقية مما يتولى امرها اورييون كثيرًا من لوازم المسلمين وبودي لو عجم ذلك بلحلات العمومية في بلادنا الشرقية ولو كان بعض الفنادق يتولى ادارته اهل البلاد لكانوا أدري من غيرهم بماداتها واحوالها ووسائل الراحة بها ولكننا لا نجد اهل بلادنا يرغبون كل ذلك وقد رأينا في سورية كلما رأيناه من هذا القبيل في ادارة البلديين وتصرفهم وغالب الحرف والصنائع كذلك

وقد طال بنا الكلام في هذا المقام وجئنا اليه النظر في المقارنة بين الفنادق

الموجودة على الطريقة الأوروبية والتي على الطريقة التي كانت مستعملة والفرق
ظاهر بل النسبة منقطعة

الى هنا انتهى ايها القارئ! صاحب ما علقه سيدي العزيز في هذا الموضوع
ولا شك في انه لو اتم هذه التعليقات بذكر المقارنة بين الفنادق الموجودة عندنا
على الطراز الاوربي والفنادق العظيمة المعدودة من الطبقة الاولى التي نزلنا بها في
البلاد التي سافرنا اليها لجاء بأحسن وارق وأرق وانفي لكن حال دين ذلك
ريب المنون لأن الفنادق عندنا وان تحسنت الآن تحسناً يئناً نظراً لكثرة وجود
السياحين وزيادة تواردهم في كل سنة زيادة عما قبلها فإنها لا يتسنى لها ان تعادل
الفنادق التي باوروبا لأنها ينفق عليها من المال ما يتعسر ايجاده لهذا الغرض عندنا
فهذا فندق استكمل اندي نزلنا به وسيأتي عليك وصفه في محله صرف صاحبه في
سبيل انشائه واستعداده خمسة ملايين من الفرنكات مع ان عدد سكان العاصمة
المبني بها لا يوازي عدد سكان عاصمة بلادنا

ولذلك ترى أن مثل هذه الأبنية باوروبا غاية في الاتساع والاستعداد فقد
يسع بعضها نحو الالف مسافر فاكثروا ولا يرى فيها مع ذلك ازدحام يُعْطَلِك عن
قضاء مصالحك او يؤخر من فيها عن القيام بالواجب لك فتري الخدم في غاية
الاستعداد مسرعين لتلبية طلبك بمجرد لمس الجرس الذي تجده اوله في غرفتك واذا
اردت ان تنزل من غرفتك او ترقى اليها لا تلتزم ان تعذب نفسك وتضع وقتك
في الصعود الى الطبقة الرابعة والخامسة حيث مقامك بل تجد مرفقاً يصعد بك
بقوة البخار او بضغط الماء الى حيث تريد وذلك المرفق كغرفة من خشب
مفروشة الجوانب بأحسن الفرش تسع نحو عشرة اشخاص وترتفع بك بنير اهتزاز

وانت لا تشعر حتى تصل الى الطبقة التي فيها غرفتك فيوقفها الخادم الذي معك فيها ويفتح لك بابها فتجد نفسك في الطبقة التي تريد ان تصل اليها بدون تعب فاذا انت قضيت مصلحتك من غرفتك وأردت النزول ذهبت الى حيث وقف بك المرقي ونهت خادمه الى الصعود بمجرد لمس الجرس فتجده ينهض اليك مسرعاً مع المرقي فتدخله وتنزل او يصعد بك الى حيث تريد

وتجد في هذه الفنادق سائر معدات الراحة ففيها مكان معد لاجتماع المسافرين وحديثهم مفروش باحسن الفرش منور بأجلى الانوار وازهاها واضواها وابهاها تجد فيه من الجرائد كلما تريده من اي البلاد رغبت فان احتجت الى مخبرة بالانتراف او بطريق البوستة وجدت بنفس الفندق مكتباً للتلغراف ومكتباً للبوستة وان اردت الحلقى او الاستحمام وجدت الحلاق والحمام بالفندق وان اردت شراء اي شيء تريد امكنك ذلك بواسطة بواب الفندق فانه يدلك على كل ما تريد او يحضره لك بواسطة الخدم بل يوجد في بعض هذه الفنادق مكتب للسكة الحديدية يمكنك ان تستحصل منه على تذكرة السفر وتأخذ قسيمة الأمتعة التي معك بحيث لا يبقى عليك بعد ذلك الا ان تذهب الى المحطة في الميعاد المحدد للسفر وتركب الوابور فتسير الى حيث تريد

هذا ولنعلم الى اتمام تفاصيل مقامنا بالاسكندرية كان من نيتنا النزول في الفندق كما مر الا ان الشيخ المفتي حفظه الله صم على ان يكون نزولنا عنده ووافقه من حضر من الأجرة فوافقتاه وتابلنا بما اقتضاه كرم شيمه من الترحيب وحسن الاستقبال والاحتفاء والاحتفال وبعد تناول العشاء عنده سرنا الى سراي رأس التين مع بقية الوفد للحصول على المثلول لدى الجنب العالي الخديوي اذ كان

من المهم لدينا والواجب علينا ان نحظى بالثول بين يد به قبل السفر فحظينا بذلك واستقبلنا بما اقتضاه كرم طبعه الفخيم من الرعاية والتكريم واحسن على سيدي الوالد العزيز بالنشان المجيدي العلي شان فاوله اياه مع براءة السطانية بيده الكريمة اتماماً للمنة ومضاعفة للنعمة وخص سيدي الوالد بعد انصرافنا بكلمة خصوصية لبث فيها برهة يشنف السمع من لفظه النظيم ويلقى الاوامر السنية من جنابه الفخيم

ثم لحقنا وانصرفنا على ان يعود السيد الوالد في اليوم الثاني لاستلام المحرر السامي الصادر من لدن الجنب الكريم الى سمو ملك السويد والترويج وقد انشدنا السيد الوالد اثناء انصرافنا من عند الجنب الحديوي متوجهين الى مستقرنا بالبلد ما خطر بباله في معنى الشكر على ما تعطف به عليه الجنب العالي من الاحسان وهو

مولاي قد أوليتني منة ولم يكن لي امرها في حساب
شكرت مولاي على فضلها شكر نبات الروض فعل السحاب
منطقه اعجم في شكره ومنطق الحال فصيح الخطاب
متعك الله بما تبغني وسر بالأنجال ذاك الجنب

وما لبثنا ان وصلنا الى مكان مبيتنا واستأذننا من لقيناه هنالك في انتظارنا واخذنا في اسباب النوم لتوفر دواعيه ونمنا حتى الصباح

فلما كان صباح اليوم الثاني (يوم السبت) توجه سيدي الوالد الى المعية السنية لاستلام المحرر الحديوي فتسلم اليه في مظروف برسم سمو الملك اسكار الثاني المعظم مختم عليه بالشمع الاحمر وتسلمت اليه حسب العادة صورة حرفية

منه القصد منها ان يعرف الرسول نص المكاتبة المرسلة معه وان يطالع المرسل اليه عليه لواقضى الحال قبل توصيلها اليه بالطريقة الرسمية ليستعد للمجابهة عليها وهذه ترجمتها بعد الديباجة

”بمناسبة المؤتمر الدولي الثامن الذي سينعقد في هذه السنة من المشتغلين بالعلوم الشرقية تحت عالي حماية سموكم ابدى لسموكم ان عنايتكم بالعلوم والآداب الخاصة بالشرق واعنائكم بها قد قدرها علماؤنا حق قدرها

”واني رغبة في وقوف بعضهم بالذات على أهمية اعمال المشتغلين بالعلوم الشرقية من علماء اوربا واطلاعهم على النتائج المهمة التي انتجتها المساعي الحميدة التي الزم هؤلاء الافاضل انفسهم بها في هذا الشأن قد عينت سعادة عبد الله باشا فكري في العالم الشهير بسعة معارفه وارفعت معه وفداً من العلماء المصريين للاشتراك في هذا المؤتمر الذي سينعقد تحت رعاية سموكم وقد كلفته بأن يفصح لسموكم عن حاسياتي بالنسبة لعظمتكم وعن افكاري بالنسبة للنتائج الحسنة التي اراها تنتج من هذا الفعل العظيم الذي سيتم تحت ظل عنايتكم بالنسبة لبلاد المشرق وبالنسبة لبلاد المغرب من جهة احقاق الحقائق التاريخية وانتشار المعلومات النافعة للجنس البشري

الامضا

محمد توفيق

واني ارجو سموكم الخ

تحريراً بسراي عابدين في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٩

وقضينا اليوم بعد ذلك في اداء زيارة بعض الاخوان وقضاء بعض ما يلزم الانسان والاستعراف بواسطة بيت كوك بالاسكندرية على الغرفة التي ستخصص بنا في وابور البحر بحيث لا نكون مع اجانب لأن وجود الانسان مع من لا يعرفه

في محلات سفر البحر قد يكون من موجبات الضيق فحصل الاطمئنان على ان سيكون كل اثنين منا في غرفة خاصة بهما وحصل الاتفاق بيننا على ان اكون وسيدي الوالد في غرفة وعلى ان يكون الرفيقان الآخران في غرفة اخرى هذا وقد ظهر لنا من تفقد احوال الاسكندرية انها اخذت في العود الى حالتها الاولى قبل الحوادث الأخيرة فانه شرع في بناء كثير من الجهات التي تخربت فيها الا انها لم تستكمل فان ساحة المنشية وان تم بجوانبها بعض عمارات بغاية البهجة والزخرفة والانتان كعمارة مؤنفراتو وعمارة المحاكم المختلطة والعمارتين المجاورتين لهذه من اليمين واليسار لكنها مع ذلك لا تزال بعض الجهات فيها على حالتها من الدمار والحراب مما يستلزم الحث على الاهتمام في اصلاحه وعوده الى ما كان

اما جهات الرملة فهي في غاية الارتقاء والبهجة وطيب الهواء وهي من احسن أماكن الاسكندرية لا يشاركها في الرونق والبهاء والجمال والازدهاء الا جهة محرم بك فان الرملة وان تميزت بحسن منظر البحر فهذه تتميز عن تلك بانتظام شوارعها واتساع طرقاتها ونساويان في قلة الرطوبة فيها عن غيرها من باقي الجهات سوي سراي رأس التين لارتفاعها ونقاء هوائها

وارسلنا ما معنا من المتاع الى الوابور الا القليل منه وبتنا على عزم القيام في اول النهار للذهاب اليه حيث نقرر ان يكون قيامه من المينا والساعة ٨ قبل الظهر من صباح اليوم التالي فما وصلناه مع الفجر الا وقد لحقنا اليه كثير من الاصحاب والاحباب اتوا لوداعنا حفظهم الله

✽ من اسكندرية الى برنديزي ✽

سار بنا الوابور في ميعاده المعتاد كل مرة اعني في غاية الساعه الثامنة قبل
الظهر من يوم الاحد ٢١ يوليوسنة ١٨٨٩ واخذنا نبتعد تدريجاً عن الارض
المصريّة وكنا نرى في انفسنا التأثير من مفارقة الديار وان كانت لنا شدة رغبة
فيما نقصده من البلاد

وحين كنا في الميناء اذا الهواء خفيف والموج غير عنيف وسير الوابور هين
والبحر لين فلما خرجنا من الميناء ومغرت السفينة في الماء كبر انتفاح الموج واشتد
نفخ الهواء وان لم يكن مفرطاً وتوالي اضطراب الباخرة وان كان متوسطاً لكن لوقوع
ذلك فجأة بدت الركاب بادی بدء من غير تراخ برهة ريثما يتعودون على البحر
ويتدرجون في الامر بل كانت حالة الانتقال بسرعة اقتضاب وارتجال من سكينه
الارض وسكون البر الى حركة السفينة وارتجاج البحر اشتد ذلك على الركاب
ووقعوا فيما لم يكن في الحساب

وسمع مرة بعض المجان صائحاً يصيح بالنداء قد قامت القيامة فقال
ما هذه القيامة على الریق وما هذا التخريف والتلفيق وما هذه الحال اين
العلامات والأهوال واين المهدي والدجال فهكذا كانت هذه الحالة جاءت على
الریق من اول وهلة فبالهم امرها واشتد عليهم أثرها واخذت السفينة تتكفأ في
سيرها فتميل الى الأمام مرة وإلى الخلف كرة وترتج طوراً وتمايل يمنة ويسرة
ويختلف عليهم في غصون ذلك حركات ارتجاف وارتفاع وانخفاض واعتساف
فكانت ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فضجت النفوس ودارت الرؤوس كأنما دارت

عليها الكؤوس وصرت ترى النائم أكثر من القاعد والقائم وانقضى اليوم ومعظم الليل على ذلك وهدأت الحركة وهنا من الليل ثم عاد الحال الى ما كان عليه من الويل

واستمر الهول في اليوم التالي (يوم الاثنين) بل زاد على ما كان عليه بعد ان مررنا على جزيرة كريد في الساعة ٦ بعد الظهر منه فاستكن أكثر الركاب في مخادعهم لما اعتراهم من الدوار فما كنت تجد على سطح السفينة الا اشخاصاً قلائل وما كان يحضر في هذه المدة وقت الاكل على المائدة في المحل المعد له الا ثمانية اشخاص من نحو ٣٢ مسافراً على انهم لا يحضرون جميعاً في كل مرة

اما حال كاتب هذه الاحرف في البحر فانه لم يكن من اشد المسافرين في التأثير ولا من اقلهم فيه وذلك لان من المسافرين من يعتريه المرض بمجرد نزوله البحر ووجوده فيه واستنشاق زوائحه هادئاً كان او مضطرباً ساكناً او متحركاً ويلزمه المرض الى مرسى السفينة وهو لاء هم العدد الاكبر ومنهم من لا يعتريه المرض الا اذا هاج البحر وارتجت السفينة واهتزت وكنت من هؤلاء ومنهم من لا يعتريه المرض اصلاً مهما اشتد حال البحر وقويت وطأته ولم يكن من هذا النوع الاخير معنا الا واحد منهم استمر طول السفر مستديماً على الاكل في اوقاته اخذاً في مطالعة كتبه وجرائده التي معه متمشياً على سطح السفينة كلما امكته ذلك متحدثاً مع باقي المسافرين مسلياً خاطرهم اخذاً في اطمئنانهم كلما مكنهم حال الجو من الاجتماع به وكنت مع باقي رفاقي المشاككين لي نداوم على الاكل والنسح كلما كان البحر يمكن تحمل حركته غير متوسع في اضطراباته على اننا لم نستو في الحال بل كان البعض منا مع هذا اشد تأثراً من الباقي وسواء في هذا

التأثر القوي والضعيف والصحيح والعليل لان ذلك التأثير تابع لدرجة تأثر الاعصاب فكلما كانت اشد تأثراً كان تأثير باقي الجسم أكثر ولا علاج لهذا المرض الا زوال سببه كما اجمع على ذلك الاطباء

ثم في صبح يوم الثلاثاء صار البحر ساكناً والريح ليناً فظهر من الركاب من كان استكن في خبايا الزوايا وغص بالناس سطح الواور كأنهم في يوم النشور فتراهم فرحين مستبشرين يهني بعضهم بعضاً ودارت بينهم كوؤوس الحديث في القديم والحديث وسرى التعارف واخذ الكل في التآلف وما احوج كل انسان الى ذلك في البحر وما اميل النفس فيه الى هذا الامر ليتسلى به على ما هو فيه من ضجر النفس وشدة اليأس وجاء وقت الغداء فحضر من كان استتر ولم يبق احد الا ظهر وبرزت النساء من خدورهن متبرجات واقبلن متبخترات لابسات من الحلال ألباسها ومن انواع الحللى أزهارها وجلسن على الموائد كالغصون الموائد وتناطى كل من الرجال والنساء الطعام مجتمعين بأسنى احتشام واحترام وكان الفرح كاملاً والسرور شاملاً الا لمتعهد الطعام فانه يفرح بجمال الشدة اذ يتوفر له ما كان ياكفه المسافرون فكان يجب لهذا الغرض ان تبقى هذه الشدة مع انه قد تفرق له ما كل اليومين السابقين اذ ان حسابه على كل مسافر باليوم اكل او لم ياكل فهو مع المسافرين على طرفي نقيض يحب الشدة وهم يحبون عدمها

واستمر البحر على ذلك الصفاء والناس على هذا الهناء ملازمين سطح الواور مشمولين بالسرور يتمتعون باطلاق النظر وتسريح الطرف في لجج هذه الجمار حتى اقبل الليل وهم على ذلك الحال لا يكون القيام الا لتناول الطعام مع كثرة كراته وتعدد مراته فان طيب الهواء فوق سطح الماء بشي الى الطعام ولهذا

كانت مرات الأكل أربعةً أولاً مرة الإفطار في بكرة النهار وهذه يعطى فيها الحليب والشاي والزبد والثانية قبل الظهر بساعتين وهذه تعطى فيها المأكّل المستوفاة والثالثة بعد الظهر باربع او خمس ساعات وهي كالتي قبلها في الاستيفاء ان لم تكن أوفى منها والرابعة قبل النوم ويعطى فيها ما يعطى في الصباح وترى مع ذلك الانسان يتطلب الأكل في خلال هذه الاوقات فيجد عند خدمة الوابور ما يطلب مقابل ما ينقد من المال وثمنه محدود بقوائم مطبوعة معلقة في الصالة وغيرها من المللات حتى لا يكون محل لاستبداد متعهد الأكل واىكون المسافر على بينة من ثمن ما يطلبه

ثم مررنا بجزيرة زلظ يوم الثلاثاء وبجزيرة كورفو ليلة الاربعاء وفي صباح اليوم التالي (يوم الاربعاء ٢٤ يوليو سنة ١٨٨٩) وصلنا برنديزي قبل الظهر بست ساعات فكانت مسافة السير من اسكندرية الى فرضة برنديزي وهي اول فرضة من اوروبا يصلها المسافر من اسكندرية ثلاثة ايام بليا لها الأساعتين فتخلص من ذلك ان المسافة بين اوروبا وبين الديار المصرية بجزراً لا تزيد عن ثلاثة ايام فمن برنديزي يمكنك ان تصل بالسكك الحديدية الى اي جهة اردت من اوروبا وتخلص من شذائد البحر واهواله

❖ من برنديزي الى ترينسته ❖

واذ وصلنا برنديزي فالحمد لله الذي نجانا من البحر واحواله وصلنا من شروره واهواله واخذنا نسرح النظر في نواحيها ونتمتع بمشيداتها ومبانيها مطمئين بسكون قارتها منعمي البال بهدوها وسكينتها وقد كاد ما رأيناه في البحر من التعب

ان يثني عزمنا عن السير بجرأ الى تريسته ومنها الى فينيسيا كما كنا عقدنا النية عليه لولا أن بعض من كان معنا من الركاب الذين سبق لهم السفر بهذه الجهات اخذ يسهل علينا الأمر ويحسن لنا ركوب البحر مبرهنًا على ذلك بان ما بقي من الطريق ليس فيه تعب لانه غير متسع كالطريق الاول وهو محصور بين بلاد النمسا وبلاد ايطاليا

فانتبهنا الفرصة بوقوف الوابور بمينا برنديزي وصرنا نجول في نواحيها وتعرف اقصاها وادانيها وهي مدينة آخذة في الازدياد من يوم اتخذتها السفن الآتية من الشرق الاقصى مرسى لها لأنها اقرب طريق بين اوروبا الغربية وجهات المشرق فانتهت اليها الطرق الحديدية الممتدة على الساحل الشرقي من ايطاليا الشمالية واتحدت بذلك مع جميع سكك القارة وصار الوصول من الاسكندرية الى باريس ممكنًا في خمسة ايام منها يومان في البر وثلاثة في البحر كما تقدم وعدد سكانها ١٤٠٠٠ نسمة

وليس بها امور تستحق الذكر أكثر من مينائها فان رصيفه سهل الوصول لكل السفن مهما كان حجمها فتجد اكبر السفن ترسو عليه بدون واسطة هذا ظاهرها واما داخلها فهي بلدة قديمة ضيقة الشوارع الأقليلًا منها ويظهر انه حديث الإيجاد من زمن صيرورتها ممرًا بين الشرق وباقي اورو با واهلها يظهر على رعاهم الفقر الشديد اذ كنا نراهم يترامون متشاجرين على فضلات السجائر التي كنا نرميها في الطريق وكنا نراهم حفاة تتحصر تجارة كثير منهم في بيع بعض الجبن الناتج من تلك البلاد على اشكال غريبة يشبه بعضها شكل القلل حتى ظنناه كذلك اول ما نظرناه

وبالمدينة كنيسته خربة بدء بنائها القرن الحادي عشر للميلاد قد تساقط
بعض جدرانها بالزلازل وبالقرب منها عمود رخام قديم ارتفاعه نحو ٥٠ قدماً وربما
كان في الأصل جزءاً من هيكل وهو على مرتفع يرى من المينا
وتوجهنا نحو البوستان لرغبة بعض من معنا من المسافرين في السؤال على
مكاتيب له فوجدناها بمحل متسع جداً ولا غرابة في ذلك لأنها جعلت لاستلام
بوستان الشرق وتوزيعها على أوروبا وإيصال بوستان أوروبا إليه
ونظرنا المحطة الحديدية وهي في أواخر البلد بمحل مرتفع قليلاً فاستودعنا من
سافر فيها من رفقاتنا

ثم عدنا إلى الواور مستوحشين لمن ودّعناهم فسار بنا بعد مكثه أربع ساعات
ببرنديزي وكان الوقت معتدلاً والهواء ممثلاً والجو صافياً والانشراح صافياً كأننا
نسير في عربة البر أو تجري بنا الفلك في نهر فتارة كنا ننزه ابصارنا وننعمش ارواحنا
بما نراه من أرض بلاد المجر وظلالها وأوديتها وجبالها وتارة نتسلى بلعب الشطرنج
وطوراً نتجاذب مع المسافرين أطراف الحديث والحديث ذو شجون وكنا نتلذذ
بمحاسن البحر وتذاكر لطف السفر فيه والتمتع بهوائه وكأن تلك الحادثات التي
مرت علينا به لم تكن وطوراً نأخذ في المقارنة بين المراكب الشراعية التي كانت
تسافر في البحر وبين البخارية الآن فيقول كل منا ما يخطر بباله من أوجه
التفضيل وما يثر عليه من التفصيل وكل منا صار يحمّد مسعى الشركات التي
تألفت لإنشاء هذه المدن الجارية وتسفيرها في مواعيدها المعلومة لا تنتظر تكامل
الركاب ولا تتأخر دقيقة عن ميعادها المحدود لها وفيها جميع ما يلزم من آلات
الراحة ومعدات الانتظام فضلاً عما اشتملت عليه من التحسينات فانك تجد فيها

كل ما يستلزمه سفرك من المأكول والمشرب المستحضر في اونات تجهيزه لك ففيها الضأن والبقر وانواع الدجاج والطيور حية يؤخذ منها كلما لزم وفيها الأبقار يؤخذ منها الثمن كل يوم وفيها الخبز يعمل كل يوم بل لكل أكلة من النهار وفيها المشروبات بأسرها وفواكه الفصل بجميع انواعها وبها من الآلات والادوات ما يتمكن به مهندسوها من تعويض ما يتلف فيها من الآلات او ما يمكن من استعماله لغاية الوصول الى اقرب ميناء

واخذنا نذكر انه بواسطة هذه السفن يتسنى للفقير مع فقره ان يسافر فيها راحلاً عن بلاد لم تكفه الحاجة طالباً لبلاد يؤمل فيها الخير والسعادة باجر لا تذكر بالنسبة للمسافات التي يقطعها في الدرجة الثالثة واخذ بعضنا يقول ان ركاب الدرجة الثالثة يتيسر لهم ما كملهم في هذه السفن بكل سهولة اما بأخذهم ما يلزم لقوتهم معهم من محل سفرهم واما بأخذهم المأكول التي تزمهم من مطبخ ركاب الدرجة الاولى والثانية بنفقات معتدلة مينة بقوائم مطبوعة كما سبق ذكره هذا فضلاً عن تقسيم سطح الواور الى ثلاثة اقسام احدها لركاب السطح (الدرجة الثالثة) وهؤلاء ليس لهم مجاوزة ما أعد لهم وثانيها لرياضة ركاب الدرجة الثانية وهؤلاء ليس لهم ان يذهبوا الى المخصص بأرباب الدرجة الاولى انما لهم الحق في التخطي الى الدرجة الثالثة وثالثها لرياضة ركاب الدرجة الاولى ولم لهم الحق في التخطي لما خصص بالثانية والثالثة اي لجميع سطح الواور

واخذ واحد منا يتضرر من ضيق محلات النوم لان كل سرير فوقه آخر بمسافة لا تزيد عن ثلاثة ارباع متر بل نقل فاجابه مجيب بان السبب في ذلك ضرورة عدم امكان الاتساع في امكان سفن البحر على ان الحل على ضيقه مستوف

جميع المطلوبات ففيه مقعد للجلوس وفيه النور وفيه محل لنسل الوجه واليدين الى غير ذلك من اللوازم

واستدمننا على هذا الحال حتى آن وقت النوم وانصرف كلٌ لمحلّه فاجتمعنا في صباح اليوم التالي (الخميس) ورجعنا الى ما كنا عليه من المنادمة والمحادثة بين تلك المناظر الباهية والنضرة الزاهية حتى وصلنا تريسته في الساعة ٢ بعد ظهر يوم الخميس ٢٥ يوليوسنة ١٨٨٩ اي بعد مسيرنا من برنديزي بمسافة ست عشرة ساعة وكنت استدلت من كتاب الدليل الذي معي على ان الوابور الذي يقوم من تريسته الى فينيسيا ييارحها قبل نصف الليل بساعة فيصل البندقية في الصباح فعزمننا على السير فيه لما رأيناه من انه يكفيننا التفرّج على البلد من ساعة وصولنا الى الميعاد المذكور سيما انه ليس علينا بتلك البادة الا التفسح في شوارعها والتفرّج عليها وزيارة قصر ميرامار وزيارة ترسانة وابورات اللويد الشيرة التي حضرنا بوابور من وابوراتها وقد رأينا تأخير هذه الزيارة الأخيرة الى ما بعد العودة الى هنا ثانية من السياحة

فأول شيء عملناه ان اخذنا تذاكر من تريسته الى البندقية كنا محمولين من بيت كوك بأخذها هنا ثم اجتهدنا في نقل ما معنا من الأمتعة الى الوابور الذي سيسافر بنا الى تلك الجهة لعدم الاشتغال به مدة مقامنا بهذه البلد من جهة ولعدم تفتيشه بمعرفة الكرك من جهة ثانية فانه لا يدخل البلد حتى يكون خاضعاً لتفتيشها الكركية

وان اول محل رسا عليه الوابور بتريسته ونزلنا به هو الميدان الكبير (بياتساجرأنده) وعلى يمينه عمارة شركة اللويد وهي من اكبر عمارات تلك المدينة

بها محل ادارة هذه الشركة ومساكن مديريها. صرف في بنائها ثلاثة ملايين فلورينو^(١) على ما سمناه وفي جهة ثانية من الميدان محل البلدية اي محل ادارة المدينة وفي وسط ذلك الميدان فسقة معروفة بفسقة ماريه بيريزه وتمثال للإمبراطور كارلوس السادس

وفي الجهة البحرية من هذا الميدان رجة أخرى تعرف بميدان البورصة ويوجد بها دار مجلس التجارة التي كانت قبل محلاً للبورصة اما البورصة الحالية فلها محل آخر في الميدان المذكور يعرف ب (ترجستيوم) وهو عبارة عن بناء عال كبير تحتاط به دكاكين وفي وسطه ممشيان مغطيان بالزجاج هما محل اجتماع التجار كل يوم للبيع والشراء في اعمال التجارة

و يمر بهذين الميدانين شارع كورسو الشهير وهو الفاصل بين البلد الجديد والبلد القديم اما القديم فضيق الطرقات على مرتفع عال لا تسلك فيه العربات بخلاف الجديد فهو في غاية التنظيم والانقاف متسع الشوارع تطلها الميادين الكبار

وترieste هذه اعظم مواني اوستريا هنكاري ا تبلغ سكانها مع سكان ضوحيا ١٦٥٠٠٠ نسمة فهي للنمسا اشبه بمدينة هامبورغ لالمانيا وبها قناصل لجميع الدول الاوربية وحركة تجارتها في غاية الأهمية اذ يتردد على مينائها في السنة ١٤٠٠٠ سفينة منها ٥٠٠٠ بخارية تبلغ حمولتها مليونين وربع مليون طن ونولاته وتجارها قدرت بمبلغ ٢٦٢ مليون فلورينو منها الصادرات بمبلغ ١١٧ مليون والواردات بالباقي

(١) الفلورينو عملة النمسا ويساوي ثلاث بارات و ٨ غروش بالعملة الصاغ

جميع المطلوبات ففيه مقعد للجلوس وفيه النور وفيه محل لغسل الوجه واليدين الى غير ذلك من اللوازم

واستدمننا على هذا الحال حتى آن وقت النوم وانصرف كلٌ لمحلّه فاجتمعنا في صباح اليوم التالي (الخميس) ورجعنا الى ما كنا عليه من المنادمة والمحادثة بين تلك المناظر الباهية والنضرة الزاهية حتى وصلنا تريسته في الساعة ٢ بعد ظهر يوم الخميس ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٩ اي بعد مسيرنا من برنديزي بمسافة ست عشرة ساعة وكنت استدلت من كتاب الدليل الذي معي على ان الوابور الذي يقوم من تريسته الى فينيسيا ييارحها قبل نصف الليل بساعة فيصل البندقية في الصباح فعزمننا على المسير فيه لما رأيناه من انه يكفيننا التفرّج على البلد من ساعة وصولنا الى الميعاد المذكور سيما انه ليس عاينا بتلك البلدة الا التفسّح في شوارعها والتفرّج عايلها وزيارة قصر ميرامار وزيارة ترسانة وابورات اللويد الشهيرة التي حضرنا بوابور من وابوراتها وقد رأينا تأخير هذه الزيارة الأخيرة الى ما بعد العودة الى هنا ثانية من السياحة

فأول شيء عملناه ان اخذنا تذاكر من تريسته الى البندقية كنا محولين من بيت كوك بأخذها هنا ثم اجتهدنا في نقل ما معنا من الأمتعة الى الوابور الذي سيسافر بنا الى تلك الجهة لعدم الاشتغال به مدة مقامنا بهذه البلد من جهة ولعدم تفتيشه بمعرفة الكمرك من جهة ثانية فانه لا يدخل البلد حتى يكون خاضعاً لتفتيشها الكمركية

وان اول محل رسا عليه الوابور بتريسته ونزلنا به هو الميدان الكبير (بياتساجرانديه) وعلى يمينه عمارة شركة اللويد وهي من اكبر عمارات تلك المدينة

ما محل ادارة هذه الشركة ومساكن مديريها. صرف في بنائها ثلاثة ملايين فلورينو^(١) على ما سمعناه وفي جهة ثانية من الميدان محل البلدية اي محل ادارة المدينة وفي وسط ذلك الميدان فسقية معروفة بفسقية ماريّة تيريزة وتمثال للإمبراطور كارلوس السادس

وفي الجهة البحرية من هذا الميدان رجة أخرى تعرف بميدان البورصة ويوجد بها دار مجلس التجارة التي كانت قبل محلاً للبورصة اما البورصة الحالية فلها محل آخر في الميدان المذكور يعرف ب (ترجستيوم) وهو عبارة عن بناء عالٍ كبير تحتاط به دكاكين وفي وسطه ممشيان مغطيان بالزجاج هما محل اجتماع التجار كل يوم للبيع والشراء في اعمال التجارة

ويمر بهذين الميدانين شارع كورسو الشهير وهو الفاصل بين البلد الجديد والبلد القديم اما القديم فضيق الطرقات على مرتفع عالٍ لا تسلك فيه العربات بخلاف الجديد فهو في غاية التنظيم والانقاف متسع الشوارع تخطلها الميادين الكبار

وترieste هذه اعظم موالي اوستريا هنكاريّا تبلغ سكانها مع سكان ضوحيا ١٦٥٠٠٠ نسمة فهي للنمسا اشبه بمدينة هامبورغ لالمانيا وبها قناصل لجميع الدول الاوربية وحركة تجارتها في غاية الأهمية اذ يتردد على مينائها في السنة ١٤٠٠٠ سفينة منها ٥٠٠٠ بخارية تبلغ حمولتها مليونين وربع مليون طونولاته وتجارها قدرت بمبلغ ٢٦٢ مليون فلورينو منها الصادرات بمبلغ ١١٢ مليون والواردات بالباقي

(١) الفلورينو عملة النمسا ويساوي ثلاث بارات و٨ غروش بالعملة الصاغ

والمينا هي اهم البلدة حركة وقد صُرفت مصاريف جسيمة في اصلاحها وتحسينها فصرف فيها في مدة العشر سنين الاخيرة نحو ١٦ مليون فلورينو وبالقسم الجديد من البلدة ترعة مستمدة من البحر تدخل المدينة على مسافة ٤٠٠ متر في تساعد كل المساعدة في نقل البضائع والأرزاق من البلد واليه فمتعنا نظرنا بجهات هذه المدينة ورأينا بعض الآثار بها راكبين احدى عربات الكراء متأملين في محاسن تلك الانحاء ومنها اتجهنا نحو الشمال سالكين طريقاً غاية في الجمال هو احد منتزهات البلد يسار في كثير من جهاتها بمحاذاة البحر قدر ساعة بل أكثر ثم انتهى بنا المسير الى منتزه نصير فيه قصر ميرامار وهو قصر بناه مكسيمليان اخو امبراطور النمسا الحالي قبل قبوله امبراطورية المكسيك ابداع فيه كل الابداع حتى شاع ذكره وذاع واودعه من الاحكام والاثقان ما يمكن ايجاده للانسان فجاء عديم المثال لم ينسج له على منوال وهو على البحر ذو منظر عجيب ومرأى غريب تحدث به حقائق موقنة ذات انهار واشجار مودقة بديمة الترتيب مزينة بالأعاجيب وهو على الحالة التي كان عليها ايام كان يسكنه بانيه بما كان له فيه من الفرش والأثاث معتنى بخدمته ونظافته كل الاعتناء فتفقدنا غرفه ودخلنا محل النوم ومحل الاكل ومحلات الجلوس والاستقبال وبالاخص محل مكتبة مكسيمليان فانها معمولة على شبه محلات المراكب البحرية اذ كان صاحبها رئيس الدونمة النمسوية واشرفنا من احد مطلاته (بالكون) على البحر فكان المنظر الذي رأيناه من اتساع البحر واعتدال الهواء وصفو الماء احسن ما يراه الانسان وعدنا من هذا التنزه فتعاطينا طعام العشاء في احد الفنادق ثم رجعنا الى

الميدان الكبير لسماع الموسيقى لانه علم لنا من مطالعة الدليل انها تعزف في هذا
الميدان ثلاث مرات في الاسبوع منها يوم الخميس
ونعم ما فعلنا في هذه الرياضة فقد رأينا في ذلك الحفل من اجتماع الناس
واحتشادهم لسماع الموسيقى مع منظر الأنوار البديع وهواء البحر واتساع المكان ما
ما يدعش الالباب ولكن ادر كنا التعب لكثرة المشي وان كان فيه رجال ونساء
بالغة حد الجمال والرشاقة والاعتدال فجلسنا على احدى قهاوي الميدان ننزه
الطرف في ما نراه ونُسِفُ الآذان بسماع النغمات الحسان وننغش الارواح
بمراي تلك الملاح مع ما يمتد أمامنا من نضرة الخضرة ولطافة البحر وطيب هوائه
واتساعه وصفاء مائه ومشاهدة الازهار واجتلاء الانوار وبينما كنا نجتنب
ثمرات هذه اللذات ونجتلي مناظر هائيك المتبرجات اذ وقع نظري على بناء
شركة ليولد الذي عرفتك به في اوائل الوصول الى هذا البلد فجال في خاطري في
الحال ما قرأته بخصوص هذه الشركة في الدليل هذا النهار^(١) واخذت احديث
به رفاقي وتبادل الاسف على عدم الاعتناء في بلادنا بأمر الشركات واهمالها مع
انها السبب في الخير والاصل في الثروة والوسيلة الوحيدة في الغنى والتقدم
والتمدن والعمران ومع انها هي التي اوصلت اوروبا واهلها الى الدرجة السامية والمعارف
النامية مما نراه وقت حديثنا وسيزداد الاختبار كلما تقدمنا الى الامام فيا حبذا

(١) وهي انشئت سنة ١٨٢٢ ومركزها تريبست واورانها زادت عن الستين من مدن
سنتين وبواسطتها تصل تريبست مواصلة منتظمة بمواني بحر الادرياتيك التابعة للنمسا
وبالمواني اليونانية وبالمواني العثمانية مثل سلاويك والقسطنطينية وكريد ورودس وازمير
وبيروت واسكندرية وبورسعيد وصمصون وغيرها من مواني البحر الاسود وتنقل سفن هذه
الشركة في السنة الواحدة ٣٠٠٠٠٠ مسافر ومليون خطابات ومليون برقع مليون طرود وصرر

ثم يا حبذا لو اجتهد اهل بلادنا في اجتماعهم على شركات تورثهم الغنى والتقدم
ويمكنون بواسطتها من القيام بالاعمال المهمة التي لا تقوم بها الآحاد ولا يقدر
عليها الافراد لاحتياجها الى جمع كثير من المال يسهل بمعونة الاجتماع ايجاده
ويتعذروا يتعسر الحصول عليه بالانفراد فيقدر ان يفعل اصغر الجمعيات ما
يستحيل على ذي ثروة بانفراده من كبار الأغنياء

ويترتب على ذلك من المصالح ما لا يحصى ومن المنافع ما لا يستقصى فانه
لاشراك الناس في فوائدها يساعد بعضهم بعضاً على تسهيل امرها وحسن تسيير
عملها مع المراقبة والمحافظة ولأن هاته الشركات فضلاً عما تقوم به من الاعمال
الجسيمة تكون سبباً لتعيش كثير من الآحاد الذين يستخدمون فيها وباب خير
عظيم لمن تشغلهم من العمال في اعمالها وعلى فرض الخسارة فانها لتفرقها في عدة
اشخاص يبلغون المئات والالوف لا يكاد ان يوجد لذلك اثر بخلاف ما اذا كان
العمل كله لواحد ولو كان من الثروة والغنى بمكان عظيم فربما اوجب ذلك فقره
واضمحلاله وذهاب ما ييده بالكلية

هذا وقد اخذ سيدي الوالد يستأنس لذلك بالآيات والاحاديث حيث
ذكر قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) فان الاجتماع على القيام بمصالح الناس
ومنافعهم لا شك انه من البر وقد بينا فيما تقدم ما في اجتماع الناس على الشركات
من المصالح والمنافع العامة وقوله صلى الله عليه وسلم (بد الله مع الجماعة) وقوله
ايضاً (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بمضئ مضئاً) فان في ذلك حثاً على تعاون
الناس بعضهم بعضاً وتعاوضهم الى غير ذلك مما ورد في السنة وجاء به الشرع
الشريف من الحث على الاجتماع والتعاوض ودار الكلام في ذلك الى ان قرب

ميعاد السفر فتركنا الحبل ونزلنا الوابور وسار بنا قبل نصف الليل بساعة على
بركة الله

﴿ وَيُنِيسِيَّةُ (البندقية) ﴾

كما يتيسر السفر من تريبته الى البندقية بطريق البحر كذلك يتيسر بطريق
السكك الحديدية في مسافات تختلف بين عشر ساعات واقل وأكثر باختلاف
سرعة الوابورات ويسير الوابور اربع مرّات في كل يوم بين هذين البلدين وانما
اخترنا طريق البحر ورجعنا السفر فيه للتفرج على مدخل البندقية من جهة البحر
فانه لا يتيسر لو قصدنا هامن جهة البر

فركبنا ذلك الوابور الذي اشرنا اليه في آخر الفصل السابق وهو من
منشآت شركة ليولد النمساوية السالف ذكرها انشأته مع كثير من امثاله للمواصله
بين البلدين بحر او بين تريبته وكثير من الثغور المجاورة لما تفسر على مقربة من
البر فاستغنى لذلك عن ان تكون من الوابورات الكبيرة واكتفى بان تكون بقدر
وابورات النيل او اكبر منها بقليل الا انها تفوقها بما لا يوصف من الرونق والزينة
وهي يشابه بعضها بمضاً في الكبر والصغر والهيئة حتى في ألوانها ويشتمل الواحد
منها على صالة كبيرة تحت الكوبرته (سطح الوابور) للاكل والاستراحة والقراءة
فيجد الانسان فيها من المآكل ما يشتهي باثمان معلومة محدودة غاية في المناسبة
ويجد بها الجرائد المشهورة وبعض دلائل الشركات والسياحين فيستفيد منها ما
نهم معرفته ويشتمل ايضاً على غرف عديدة معدة للنوم بجانب تلك الصالة وتحتها
تضامها في الرونق والبهجة

فاذا اصبح الصباح وجد المسافرين في تلك الصلاة من الحليب والزبد والشاي
ونظيف الخبز ما يكفيه مؤنة الاشتغال بامر الاكل زمناً من النهار
ولحرصنا على التمتع بمدخل وينيسيه بادرنا الى القيام من النوم والاستعداد
للمعود فوق سطح الوابور قبل وصوله اليها بنحو نصف ساعة فوصلناها في الساعة
السابعة صباحاً من يوم الجمعة ٢٦ يوايو سنة ١٨٨٩ بعد مسير ثمان ساعات من
مبارحتنا تريسته

ولا بد انك تعلم من كتب الجغرافية ان هذه المدينة واقعة كالتي مرت
عليك قبلها على بحر الأدرياتيك بالخليج المنسوب اليها وانها قاعدة ولاية البندقية
من ولايات ايطاليا المسماة باسمها وان عدد سكانها يزيد على ١٢٥ ألف نسمة
ولا بد انك تتذكر ما حكته التواريخ عن مجد هذه المدينة وعظم شأنها في
القديم وان اهلبا بعد ان التجأوا الى مكانها الذي لم يكن معموراً من قبل وكانوا
متفرقين اخذوا في الاتحاد والانضمام والتعاون والتعاقد حتى شيدوا ملكاً بعد ان
شادوا المدينة وكان من شأنهم ان تغلبوا على كثير من البلاد وقهروا كثير من العباد
وصارت بلادهم مدة قرون عديدة واحقاب مديدة مركزاً للتجارة بين اسيا واوروبا
حتى تحولت عنها باكتشاف اميركا ورأس الرجا الصالح في الازمان الاخيرة
واخذت البندقية في الانحطاط وتوالى على اهلبا الحروب الى ان دخلها الفرنسيون
مدة نابوليون الأول وكان لم يدخلها قط قبل ذلك عسكر عدو فالغيت حكومتها
الجمهورية وخسرت استقلالها من ذلك الحين وبقيت تحت سلطتهم مدة الى ان
انتقلت الى حكم النمساويين وعادت بعده لنابوليون الثالث فأقيمت فيها حكومة
محلية ولكنها ما لبثت ان انضمت برغبة شعبها الى الايطاليين وهي لا تزال تحت

حكمهم الى الآن

ومدينة البندقية هذه قائمة في وسط بحيرات منسوبة الى اسمها (بحيرات البندقية) منفصلة عن البحر بلسان من اليابسة يمنع عنها شروره ممتد على بعد نحو اربعة اميال عن الشاطئ و يتخلله فتحات خمسة تدخل منها السفن الى البحيرات والمدينة ولا يزيد عرض هذا اللسان عن مائة متر وقد صارت ثقوبته بمصاريف طائلة وباعمال استغرقت قروناً حتى صارت المدينة في مأمن من صدمات البحر وهجمات كما صار ثقوبه شاطئ البحيرات المتصل بالقارة بأخشاب دُكَّتْ بالارض لمنع تسلط الانهر مما استغرق عمله نحو اربعة قرون

والمدينة في وسط البحيرات كما تقدم مبنية على ثلاث جزر كبيرة يتخللها نحو ١٥٠ خليجاً فتقسمها الى ١١٧ جزيرة متصل بعضها ببعض بنحو ٤٠٠ قنطرة ويتيسر المشي في اي جهة منها براً بواسطة ارصعة اتخذت بجانب المنازل بجذء الخللجان وبواسطة تلك القناطر كما يتيسر السير فيها بزوارق صغيرة تعرف بـ (الجندول) وهيئتها العمومية اشبه بثلاث يقسمه كنال يعرف بـ (كَنَالِي جِرَانْدِي) اي

الكنال الكبير الى قسمين غير متساويين من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي وتظهر للناظر من كل جهة كأنها ساجحة على الماء وذلك يكسبها منظرًا غاية في البهاء وأجمل مسالكها وازهاها والطفها وابهاها ذلك الكنال الكبير السالف ذكره حيث يبلغ طوله ٣٧٠٠ متر وعلى ضفتيه السرايات البديعة الشكل التامة النظام وقد ركبنا جندولاً من تلك الجناديل بمجدد وصولنا الى المدينة فأوصلنا الى الفندق المسمى (جِرَان أُوتيل فِكْتوريا) وبعد ان تركنا امتعتنا استبقينا ذلك الجندول معنا وقصدنا به (الكنال الكبير) فاذا هو من احسن المناظر واحلاها

والبجها واعلاها تحف به السرايات الفاخرة من الجانين سرايات الاشراف
والاغنياء ومساكن الحكام القدماء.

وهذا الكنال يمكن عبوره للمار بواسطة خمس قناطر في مواضع متفرقة منه
أغلبها من الآثار المشهورة بحسن صنعها واتقانها وبزوارق جعلت في مواقف
مخصصة فيه عددها سبعة عشر موقفاً

وعلى جانبي الكنال سوى السرايات السالف بيانها كثير من معامل الزجاج
والفسيفساء والمرابا وغيرها من المصنوعات الزجاجية فتفرجنا على كثير منها دهشنا
ابتقان مصنوعاتها ولا غرو في ذلك فلهذه المدينة اليد الطولى في عمل الزجاج من
قديم الأزمان ولا زالت الى الآن محافظة على المنهج القديم وقد وصلت مهارتهم في
اصطناعه الى درجة ايجاده (الزجاج) على شكل خيوط رفيعة مرنة يعمل فيها
الصانع ما اراد من الألوان على اشكال متنوعة بالطريقة المعروفة بالجدل ولا يكاد
يصدق الانسان انها من الزجاج نظراً مرونتها ودقة خيوطها الا اذا عثر على طرف
من اطراف تلك الخيوط فانه يعرفه بكونه محددًا ربما يجرح

وعادة الصانع في تلك المعامل ان يهدوا للمتفرج شيئاً من الزجاج يعمل أمامه
وينقش عليه اسمه بحروف ذهبية ليبقى تذكراً عنده من آثار سياحته والقصد
من ذلك الأهداء اجتذاب رغبة الزائر في الشراء ولا اقل من ان ينالوا منه بعض
نقد مكافأة على اهدائهم فأخذنا من تلك المصنوعات أكرراً صغيرة صنعت أمامنا
من المادة الاصلية حتى صارت زجاجاً وكتب عليها اول حرف من اسمائنا لتعلق
في السلسلة التي تعلق بها الساعة وكان ذلك سبباً في شرائنا بعض اشياء دفعنا ثمنها
مع مكافأة العمال على ما اهدونا كالمعتاد هناك وقد ألحوا علينا في الشراء وحاولنا

التخلص من ذلك فلم يتيسر فانا كل ما اعتذرنا عن ذلك بمذر ردوهُ بِالطَف رد
حتى لما اعتذرنا باننا مسافرون لجهات بعيدة ولا يسعنا ان ننقل ما نشتره في
هذه الاسفار اجاب من كان يُسائرنا في جهات العمل اننا لا نشغل افكارنا بهذا
الشان فَاَنْ لَرَباب هذه المعامل عملاء بالاسكندرية ومصر يرسلون اليهم ما
نُحِب من الاشياء بحيث نجدها حاضرة بمجرد وصولنا فنستلمها وندفع الثمن هناك
ثم بعد ذلك اخذنا نجول في المدينة برّاً وبحراً ورأينا معظم امكتتها وأعظمها
مبتدئين في ذلك بميدان (سَان مَاركو) وهو الطرف انحاء المدينة واكثرها حركة
ويتصل بالميدان الصغير (بِيَانْسِيَا) المشرف على البحر بقرب مدخل كنائلي
جراندي من جهة الشرق وتفرجنا في الميدان الكبير المذكور على كنيسة سَان
مَاركو وهي اقدم كنائس تلك المدينة واشهرها واحسنها صنعةً وانقائاً وقد بهرنا
حسن مبانيها العظيمة واعجبتنا التمثال الموضوع على بابها وهو عبارة عن حصان
من النحاس ورأينا بالميدان الصغير في جهته الشرقية الكتبخانة القديمة من الخارج
وهي ذات ابنية مشيدة واعمدة كبيرة موجودة من القرن الخامس عشر للمسيح
وفي جهته الغربية سراي (الذوج) ^(١) البديعة الصنع فراقنا حسننا واعجبتنا صنعا
واحكامها وانقائها وهي مركز حكام تلك الديار في السابق ومن آثار القرن
الرابع عشر للمسيح محدقة من جهتها الجنوبية والغربية بأعمدة تعلوها سقف
وهي ذات طبقتين مزينتين بأحجار من المرمر الاحمر والايض وكنا نرغب ان
ندخلها ولكن عاقنا عن ذلك مضي الوقت المحدد في يومنا هذا وعدم امكان التأخر
في اليوم التالي عن السفر واكفيننا عن الدخول في هذه السراي بمطالعة الدليل

(١) الدرج بمعنى الدوك وهو لقب حاكم هذه البلاد القديم

عل ما بها واذا به ذكر انها من اشهر آثار البندقية وان بها من الداخل رحبة كبيرة يتهافت الزائرون على التمتع بروية جهتها الشرقية ومنها يدخل الى سلم عديم المثال فيه من التماثيل الهائلة ما يحير الالباب فيتوصل به الى صالات السراي حيث يجد الزائر من الآثار التاريخية واعمال المصورين والنقاشين البندقيين القدماء ما خلد مجد هذه البلدة وابقى ذكر اسمها مقدماً في فن الرسم والتصوير على غيرها من البلاد ويجد الزائر في (قاعة المجلس الاكبر) رسم (الجنة) الممدود من اكبر الرسومات الموجودة الى الآن في العالم ويجد في قاعة (الاقتراع) رسم (يوم الحشر والحساب) ويجد كذلك في قاعة المكتبخانة وفي قاعة الانتكخانه وفي غيرها في هذه السراي ابداع الآثار المتعلقة بالتاريخ دالة على علو شأن النوع الانساني من قديم الازمان

واخذنا بعد ذلك اي (بعد ان تعاطينا طعام الظهر في الفندق الذي نزلنا به) نجول في البلدة مرجحين الكنال والخلجان على السكك لضيقها وعدم تمام انتظامها وعدم اتصال بعضها ببعض في كثير من الاحيان فمررنا ببيادين كثيرة وان كانت صغيرة (بها ١٢٧ ميدان) وبكنائس جمّة (بها ١٠٠ كنيسة)

والحاصل ان هذه المدينة لم يحرمها وجودها في وسط الماء متخللاً في سائر جهاتها من ان تجمع الى حسن المنظر وطيب الهواء ما يحتموي عليه غيرها من المدن الارضية من الزينة والبهاء اذ بها جميع معدات الراحة حتى الجنائن العمومية (انشأها نابليون الاول منذ استيلائه عليها) والتياترات

وقد مررنا قبل المساء بالسوق المعد لبيع الأسماك وحيوانات البحر فوجدناه على ضفة الماء مفتوح الجوانب مغطى جميعه بسقف من الحديد منقسمة ارضه الى عدة

اقسام مصطفة فيها الطاولات خص كل قسم منها بنوع من حيوانات الماء ورأينا من اختلاف الأصناف والاشكال والالوان والاثمان ما لم يكن داخلاً عندنا في حساب

وقد صادف وجودنا بالمدينة احتفالٌ أعدّه الاهلون في تلك الليلة أجلاً لحضور الملكة لذلك الثغر فجمع من العالم على الكنال الكبير ما يفوق الحصر وظهرت فيه المنازل المحاررة للماء يديع الانوار والاضواء وترنمت فيه الموسيقىات بأحسن الاناشيد والنغمات ولم يكدر ذلك الصفو غير المطر الذي كثر وقوعه تلك الليلة من السماء

وبعد ان أخذنا من التفرج حظنا عدنا لمحلنا فقمنا فيه بغاية الراحة على نية السفر من هنا غداً الى ميلانو

✽ من البندقية الى ميلانو ✽

قد اخترنا القيام من البندقية بوابور الصباح في السكة الحديدية نقدياً له على غيره اذ يقوم منها خمسة وابورات بالاقل في اليوم واللييلة لنصل الى ميلانو في اثناء النهار فنتمكن من رؤيتها والاستراحة بها حتى اليوم التالي فقمنا بوابور الساعة تسعة وربع من صباح يوم السبت ٢٧ يوليوسنة ١٨٨٩ وسرنا بين اودية لطيفة ومناظر ظريفة وانهار وبحيرات واشجار وغابات ومررنا على محطات كثيرة يشابه بعضها بعضاً وان اختلفت وضعاً واتساعاً وانخفاضاً وارتفاعاً حسب اهمية المدن والبلدان ولا نخص واحدة منها بالذكر غير ان محطة (بسكييرا) الواقعة على بحيرة (جوازدو) بقربها تمثال (سولفيرينو) ينظره من ورد تلك المحطة وهو تمثال شهير

موضوع بالقرية التي تسمى بذلك الاسم بين بسكيير السالف ذكرها (وماتو) وجعل في ذلك الموقع تذكراً للواقعة الحربية الشهيرة التي حصلت هناك في سنة ١٨٥٩ وانتصر فيها الفرنسيون على النمساويين انتصاراً عظيماً وهو شبه شيء بعمود السواري عندنا وفوقه شبه تاج من الحجر

وما زال الوابور يشغل بنا ونحن نتناقل الحديث مع من سائقه لنا الصدفة من السابحين فكان فيهم احد محرري (غازيتة ميلانو) وآخر طالب علم في بولونيا فأخذ الاول بعد تعرفه بنا ومعرفة جهة قصدنا واستيفائه منا جميع الاستعلامات واستفهامه عما يهيمه من الاستفهامات ينصحنا في امر الفنادق في ميلانو والتفرج على ما يجب التفرج عليه فيها بتقديم الأهم على المهم واخذنا نستفهم منه ما يهمننا الوقوف عليه من العوائد والاخلاق كما اخذ هو يناقشنا في عادات الشرق واخلاق ساكنيه الى ان انتهى بنا الحديث على تحجب النساء فيه وصار كل فريق يورد مزايا الطريقة التي ينتصر لها ويؤيدها بالادلة والبراهين فكنا نعتد في دفاعنا على ان التحجب من موجبات العفاف وكان يحنج علينا بما في عدمه من امكان التعاون وتيسر المساعدة بأن قال إن من عوائدكم حجب النساء عن الرجال وذلك امر فيه من الصعوبة ما لا يخفى فان المنع من مقتضاه عدم المعاونة والاختلاط فيه التعاون على المعاش واطنكم لا تنكرون ذلك فاجبنا أن الحجب عندنا ليس على اطلاقه بل الممنوع اختلاط الاجنبي بالاجنية من غير ان يكون معها ثالث مميز اما الاختلاط الذي فيه التعاون في امر المعاش لم يمنعه عندنا شرع ولا عادة بل للمرأة ان تبيع وتشترى وترهن وتشارك الى غير ذلك من انواع المعاملات نعم اختلاط النساء بالرجال الذي يكون كاختلاط اهل اورو با في المجتمعات العمومية

والخصوصية ممنوع عندنا وهو لا فائدة له في امر المعاش مع انه ربما يكون داعية لما هو ممنوع عندنا وعندكم

ثم انتقلنا من ذلك بعد كلام طويل فيه الى امر تعليم النساء فكان يظهر ان صاحبنا يظن منع تعليمهن عندنا فافدناه ان تعليمهن عندنا ليس بممنوع بل منه واجب كتعليمهن امر دينهن ومنه مباح كتعليمهن الصنائع واللغات على اختلاف انواعها من غير تقييد فيها حتى الطب والهندسة وقد ورد في الشرع الشريف ارشادات كثيرة في تعليمهن وانشئت لمن المدارس فيما مضى من الزمان فنبغ منها عالمات فاضلات تولين امر تعليم غيرهن حتى الرجال وروين الحديث ونبغن في جميع العلوم والفنون واشتهرن بالتأليف والتصنيف والاشعار البديعة وذكرنا له منهن السيدة كريمة راوية البخاري والسيدة عائشة الباعونية صاحبة البديعة المشهورة وشرحها ولما ديوان شعر مشهور وولادة الشهيرة وغيرهن وعرفناه ان امر تعليمهن لا يزال معتنى به الى الآن عندنا كل الاعتناء وها هي مدارس البنات بمصر وغيرها مشهورة معلومة فسر صاحبنا لذلك

وانساني بنا الحديث من تعليم البنات الى تعليم البنين وعند ذلك اخذ الطالب البولوني في البحث والمناقشة معنا في امر التعليم فدل كلامه على ان امر ذلك في بلادهم قائم على مبادئ صحيحة واصول منتظمة فأخذ سيدي الوالد يبين حال التعليم في بلادنا الآن وانتشاره واتقانه في هذه الازمان

وما انقطع هذا الكلام الا عند تعاطي الطعام وعدنا بعده اليه حتى وصلنا ميلانو وكانت المسافة من البندقية اليها ست ساعات ونصف ساعة فركبنا عربة ووصلنا الى فندق (جراند أوتيل دي ميلانو) وبه تركنا

ما معنا من الأمتعة وغيرنا من الثياب ما غيرته السكة الحديدية وركبنا العرب
نفسها واخذنا نجوب البلدة للتفرج عليها

ورب معترض يعترض على التغير فانه على الظن لا يكون الا في البلاد التي
يكثر فيها الغبار والتراب كمصر وما يماثلها اما تلك الجهات فلا يكون فيها ذلك
لصلابة ارضها واكتسائها بالنبات من جميع الجهات فيجاب بان التغير الذي
ذكرناه لم يكن منشأه غبار الارض بل غبار دخان فحم الوابور وهو اشد تأثيراً على
الثياب مما عندنا من الغبار فاذا اصاب العين شي منه الما اشد الايلام وان قال
قائل كيف بعد سفر ست ساعات ونصف نخرج للتفريح بدون استراحة اجنباه بان
الاسفار في هذه الجهات والمعيشة فيها لا تشابه اسفار بلادنا ولا معيشتنا فيها
فكان وجود الانسان في هذه البلاد يكسبه النشاط وسرعة الحركة والحرص على
الوقت وحسن استعماله وعدم ضياعه بمجرد استنشاقه هواءها الذي جعل اهلها يجدون
ويجتهدون ويهتمون في مصالحهم فيحصلون على ما يوجب لهم التقدم ورغد العيش
فهم اعرف الناس بقيمة الوقت وعدم صرفه في البطالة والكسل وما لا يغني واعلمهم
بكيفية استعماله واجتناء ثمرات اشتغالهم فيه واذا اعتبر هذا القائل حالنا في هذه
الاسفار ونقدمنا وهمتنا ونشاطنا ومتابعتنا فيها الليل بالنهار مستديمين التفرج على
المدن وغيرها واستطلاع احوالها اتضح له ما ذكرناه وعرف الفرق بين حال
الانسان في هذه البلاد وحاله في بلادنا فان الانسان في بلادنا اذا اراد السفر من
مصر الى طنطا مثلاً فانه يستعد لأخذ اهبة السفر ويتردد في تجهيز ما يؤخذ
وما لا يؤخذ من الثياب والمتاع وذلك يستغرق زمناً طويلاً وعند ارادته ركوب
الوابور يذهب الى المحطة قبل الميعاد المحدد لقيامه بمسافة طويلة كان يمكنه ان

يعمل فيها اعمالاً كثيرة واذا وصل الى مقصده فلا بد ان يستريح يومه هذا او بعضه من غير ان يشتغل بشيء مما قصده فاذا اراد العود كان منه ما كان أولاً فاذا وصل بالسلامة الى مقره استراح وامتنع عن مقابلة الناس بطلّة الاستراحة من السفر بل قد تمتنع عنه اصحابه من انفسهم طلباً لراحته وكنا نرجو اننا عند عودتنا الى مصر لا نعود الى هذه الحال من التكاسل والاهمال

فان قيل ان السبب فيه عندنا حر البلاد وهواؤها واقليمها وماؤها اجبنا بوجود ذلك في بعض الاقاليم الجنوبية من اوروبا وان من يقيم في بلادنا من اهل اوروبا مع وجود هذه الاسباب لا يكون حاله كحالتنا بل يحافظ على الجد والاجتهاد والحرص على عدم ضياع الاوقات فعمل ان الحر والماء والهواء ليست اسباباً لهذا الداء بل ذلك تطبع اعتدناه يمكن زواله ان نحن حاولناه

ولنرجع الى ذكر ميلانو فنقول انها مدينة من مدن ايطاليا في وسط سهل ارضه خصبة ذات تقدم في الزراعة ويبلغ سكانها نحو ٢٦٢ ألف نفس وهي منقسمة الى قسمين احدهما المدينة القديمة يكتنفها خليج نافيلىو جراندي وثانيها المدينة المستحدثة وقد اقيمت مكان الضواحي القديمة بين الخليج المار ذكره والسور المحيط بالبلدة

فاخذنا نسير في طرقاتها فوجدنا أكثر طرقات القسم القديم غير منتظمة في الاعتدال والتبليط والقسم الجديد طرقاته على الضد من ذلك فان الكثير منها غاية في التنظيم والسعة والاحكام خصوصاً الطريق المسمى (كورسو فيكتور إيمانويل) فان بجانبه احسن الدكاكين كبيرة وصغيرة وطريق (كورسو دي بورتا وينيسيا) وهو قسم من الطريق الذي قبله

ثم رأينا الميدان (بِلَانْسُودِلْ دُومُو) وهو في وسط المدينة وعلى احد جوانبه الكنيسة الكاتدرائية الشهيرة وهي اكبر كنائس اوروبا بعد كنيسة القديس بطرس بروما وبعد كنيسة اشبيلية عاصمة الاندلس باسبانيا .

فدخلنا هذه الكنيسة وهي معدودة من عجائب العمارات بالنسبة لجودة المواد المستعملة في بنائها وحسنها واثقانها وما فيها من التصاوير والتماثيل المحكمة الصنع العجيبة الوضع وهي وان ابتدئ في بنائها سنة ١٣٨٦ لكن لم تتم الى الآن ويفوق داخلها خارجها في كثرة التماثيل وحسن النقوش وكثرة الاعمدة وارتفاع السقف واثقان تبليط ارضها بانواع الرمر المختلفة الالوان والاشكال التي هي الغاية القصوى في الابداع

وفي الجهة الشمالية من (بِلَانْسُودِلْ دُومُو) المار ذكره المارة الهائلة المعروفة (جَالِيرِيَا فكتور إيمانويل) وهي بناء عظيم غاية في الاحكام والزينة والزخرفة وفيه عدة طبقات يتخللها طرقات واسعة معطاة جميعها من الاعلى بالزجاج وله ابواب من سائر جهاته اهمها ما يدخل به من هذا الميدان وبه من البضائع والحرائر وغرائب المنسوجات وبدائع المصنوعات ما لا يدخل تحت حد الاستيعاب مكتوب بأعلى مدخله بالخط الجلي (من الميلانيين الى فكتور إيمانويل)

ثم بعد ذلك تفرجنا ولكن من الخارج على سراي (بِريرا) وهي اشهر امكنة ميلانو بعد الكنيسة السابقة وتحتوي على متحف رسومات من صنع أشهر الرسامين وعلى متحف فيه مجموعة من النقود القديمة فريدة في بابها

ولم يساعدنا الحظ بالنسبة لضيق الوقت وقرب الليل على زيارة المكتبة التي هي من اعظم ما يزار بميلانو نظراً لما تحتوي عليه من الكتب اذ يبلغ عددها

١٤٠ ألف مجلد منها عشرون ألفاً بخط اليد كثير منها نادر الوجود لا تدخل قيمته تحت حد التقدير

وقد دأبتا هيئة العمارات بميلانو وزخرفتها على غنى اهلها ولا غرو في ذلك فان بها كثيراً من فاوريقات الحرير والقطن ولها تجارة عظيمة ساعد عليها سهولة اتصال هذه المدينة بواسطة الخللجان الصناعية الى انهر لومبارديا وبحيراتها بحيث صارت من اغنى مدن ايطاليا وأوسعها ثروة

وبسبب سعة تجارتها تتردد عليها الأجانب من كل جانب فاستلزم ذلك اعتناء اهلها بالفنادق فهي فيها من الدرجة الاولى فهذا الفندق الذي نزلنا به من احسن ما رأينا من الفنادق انقانا فجميع غرفه يستصبح فيها بالكهرباء وبه محل للتغراف وآخر للبوستة وآخر للسكة الحديد وبه الحمامات وغير ذلك من المستلزمات حتى ان القائمة التي تعمل فيه كل ليلة عن اصناف الاكل الذي اعد لطعام المساء تطبع ببيان اليوم وساعة ابتداء الاكل فتجد هذه القائمة مطبوعة في صحيفة من اربع صحف مملوءة الثلاثة الباقية منها باعلانات عن الدكاكين التي يجد المسافر فيها ما يحتاجه عادة من الاشياء مع بيان مواضعها

ومع تردد الاجانب على هذه البلد كما ذكرناه فانها مع ذلك يظهر ان اهلها غير متعودين على تردد المشرقين بملابسهم المشرقية فاننا رأينا منهم غاية الاستغراب لهيئة الطرايش وبالاكثر لهيئة الحجة والقفطان اللذين كانا يلبسهما احد رفقتائنا ولكتنا مع ذلك لم نر ولم نسمع منهم قط ما يؤخذ منه الاستهزاء والصحيح ان سكان هذه البلد وسكان مدينة البندقية التي قبلها غاية في اللطف ورقة الطباع وبعد ان اكلنا طعام المساء واسترحنا في الصالون حيث اطلعنا على الغازيات

والاخبار تمشينا بشوارع البلد لرؤية هيئتها في الليل فاذا جميعها منورة بالنور
الكهربائي فجعلها في الليل كالنهار
وحيث كان بلغ منا طلب النوم حده لاسيما مع سفر اليوم والمشي في الليل
وفي النهار فقد نمنا نوماً طيباً الى الصباح

❖ من ميلانو الى لوسرن بطريق سَان جُونَارْ ❖

الطريق الذي سلكناه من ميلانو الى لوسرن من اعظم الطرق التي سلكنها
في سياحتنا من اولها الى آخرها فجزى الله من دَلْنَا عليها احسن الجزاء فاننا رأينا فيها
من بدائع الخلقة وعجائبها ومدھشاتها وغرائبها ومن لطائف عمل الانسان ما لم
يكن في الحُسابان

اما عجائب الخلقة فلأن ارض السويسرة من اخصب الارض وايهاها واجملها
رونقاً وازهاها من حيث الخضرة والنضرة والمناظر الحسان في السهول والبحيرات
والأودية والغدران

واما عجائب عمل الانسان فلاقتدار اقوام هذه الجهات على تسيير السكك
الحديدية بجيئها الجسميمة الشاهقة وأوديتها الفائرة والمتسعة حتى يسهل الوصول
من جهة الى اخرى

وطرق المواصلات في هذه البلاد ثلاثة طريق السكك الحديدية التي سلكنها
وطريق البحيرات وبوابورات البحر وطريق البر بالركائب واحياناً بالعربات
وقد اخترنا الطريق الحديدية لسهولة عن غيرها ولا استمرارها كل المسافة
بدون انقطاع لا كما يكون في حال السفر في البحيرات فانها غير متصلة ببعضها

ولا كما يكون في السفر بالركاب فان فيه من الطول والمشقة ما ليس في الآخرين
واختارنا من بين الواورات التي تقوم من ميلانو الى لوسرن البالغ عددها
سبعة في كل اربعة وعشرين ساعة الواور الذي يقوم صباحاً لتتمكن من رؤية ما
يستحسن في الطريق على ضوء النهار ونمر بمنفذ سان جوتار

فركبنا الواور من ميلانو الساعة ٩ و ٥٥ دقيقة من صباح يوم الاحد ٢٨
يوليو سنة ١٨٨٩ وسار بنا حتى وصل الى لوسرن والساعة ٥ و ٣٥ دقيقة بعد الظهر
اي قطع ما بين هاتين المدينتين في مسافة ثمان ساعات الاثلاث ساعة
وكان طريقنا المذكور جميعه متجهاً من الجنوب الى الشمال مائلاً الى الغرب
قليلاً فاجتازنا اولاً ما بقي من ارض ايطاليا مارين على بحيرة كومو حيث وقفنا
بجوارها ثلاث دقائق فوصلنا بعدها الى كياسو وهي اول حدود السويسره بعد
مسافة ساعة وثلاث من ميلانو وقد مررنا في الاثناء على اودية لطيفة وسهول في
غاية الخصوبة

ثم سرنا من كياسو حتى وصلنا بحيرة لوجانو فسرنا على جانبها الشرقي مسافة
ثم اجتازناها وسرنا على جانبها الغربي بمحاذاة حتى وصلنا مدينة لوجانو الواقعة عليه
في منتهاه فوقنا ثلاث دقائق

ومدينة لوجانو هذه اهم مدن اقليم تيسان من اعمال سويسره وهو
الاقليم الذي حصلت فيه اضطرابات سياسية في سنة ١٨٩٠ اضطرت حكومة
السويسرة العمومية لأن تتدخل فيها بالقوة العسكرية وطنظنت بها الجرائد
مدة من الزمن

ومنظر هذه البلدة وبلدة كومو التي قبلها غاية في اللطف لانتشار مساكنها

ذات اللون الأبيض المحيطة بها الحدائق على شطوط البحيرة وتزيدها اشعة الشمس وانعكاساتها فيها رونقا وبراء

ثم استمر بنا المسير نجتاز الاودية والغابات والانهار ونصعد المرتفعات كل ذلك بين مناظر متغيرة وابصار متغيرة فكنا نمر من أعلى الوادي على قناطر من خشب بحيث يهولنا النظر الى قراره بعده وعدم التمكن من التحقق منه ثم نصعد الجبل فنصف سرعة الوابور من نفسها وان كانت حركته هي لم تغير قوتها وانما ذلك لصعوبة الصعود وكثيرا ما تحايل القوم المكلفون بأعمال هذه السكك الحديدية على ارتفاع المرتفعات العالية بتقاويس يتخذونها في الطريق واعوجاجات يعملونها فيه فلمصر صعود الوابور بما فيه الى المرتفع العظيم على خط مستقيم من نقطة الذهاب الى نقطة الوصول او من الجنوب الى الشمال مثلاً ينثني المار المدينة لوصوله الى ذلك المرتفع فيذهب الى جهة الشرق مسافة كبيرة يكون فيها مع ذلك متجهاً بما امكن لجهة الشمال حتى اذا بعد عاد الى جهة الغرب بحسب مرتقياته وهو مع ذلك يستمر في سيره من الغرب الى الشرق او من الشرق الى الغرب متجهاً ما أمكن نحو الشمال فيصل أخيراً الى النقطة المرغوبة فيرى الانسان في صعوده الى هذه المرتفعات اذا تأمل للطرق الحديدية التي تحتها انه مر بطرق كثيرة فوق بعضها وانه في وقت النظر في الطريق الثالث او الخامس وتلك تحتها وهو فوق القناطر المعمولة فوقها لا يزال يصعد ولا تزال تلك الطرقات تخفي عنه تارة وتبتعد أخرى حتى يشغل نظره منظر أم وأبي او يصل بالسلامة الى الحل المقصود

وما زال بنا السير على هذا الحال نصعد جبلاً ونهر وادياً ونجتاز نهراً ومنفذ

سَانْ جُونَارْ يقرب منا والشوق الى مرآه بلغ منتهاه مارين على مدينة يياسكا
وفيدو حتى وصلنا الى إيرولو وهي المحطة الواقعة في أول المنفذ
وما أدراك ما هو منفذ سَانْ جُونَارْ طريق صار حفرة في جبل شاهق
يلغ ارتفاعه في بعض مواضع أكثر من ألفي متر لمرور الوابورات منه بالبضائع
والمسافرين لسهولة المواصلات بين جنوبه وشماله ونقريبها عما كانت عليه
قبله بمسافات عظيمة بين ايطاليا والمانيا وبينها وبين فرنسا وغيرها من الممالك وقد
كان قبل ذلك طريق سان جوتار المعروف بهذا الاسم كله على سطح الجبل لا
يتيسر عبوره بالعربات حتى تعاونت بعض الأقاليم السويسرية على اصلاحه وجعله
صالحا لمسيرها فابتدأت فيه سنة ١٨٢٠ وانتهى سنة ١٨٣٢ وعرضه في الغالب
ثمانية امتار

واستمر الحال على ذلك الى ان هزت الفيرة وحب التسهيل ورواج التجارة
بعض المالين لعمل الطريق الحديدي الحالي تحت الجبل المذكور فحصلوا بعد
جهد جهيد على اقناع الحكومة السويسرية بالدخول فيه وهذه رأيت من الصواب
ان تشترك في مصاريفه الدول اللاتي تستفع من المرور به ونقدت نفقاته بمبلغ
١٦٥ مليوناً من الفرنكات تعهدت الحكومة السويسرية بأن تعطي منها تبرعاً عشرين
مليوناً وايطاليا ٤٥ مليوناً والمانيا ٢٠ مليوناً وتألقت شركة مالية في ٦ ديسمبر سنة
١٨٢١ سميت باسم (شركة سان جوتار) ذات اسهم تعهدت بالثمانين مليوناً
الباقية

وتعهد بالعمل الموسيو لويس فابر احد اهالي السويسرة واشترط عليه ان
يتمه في ٨ سنوات باعتبار ٢٨٠٠ فرنك عن كل متر في مقابل اعمال الحفر

دون البناء

وابتدى في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٧٢ بالعمل في هذا المنفذ من جهة الجنوب
وفي ٩ أكتوبر سنة ١٨٧٢ من جهة الشمال
وبقي العمل مستمراً بعض سنين الى ان ظهر من صعوبات طرأت في
الطريق ان المبالغ التي تقدرت للعمل بادية بدء غير كافية لاتمامه
فاضطربت الافكار وخيف من عدم اتمام العمل وكثر الجدل واشتد
القييل والقال وكاد ان يفوز معارضو هذا العمل العظيم لولا ان تداركت الحكومة
الامر فاتحدت مع من لم صالح فيه وعينت قومسيوناً دولياً بحث في المسألة وفيما
يلزمها من المصاريف واقتصر في الخطوط التي كان التصميم على اجرائها اولاً على
اللازم الضروري منها دون سواء حتى امكن حصر المبالغ التي يلزم زيادتها على
المبلغ الذي صار تقديره اولاً في مبلغ اربعين مليوناً فقط صار توزيعها باتفاق اولي
الشان جميعاً بينهم فقبلت ايطاليا عشرة منها والمانيا عشرة وسويسرة ثمانية والشركة
قامت بالاثني عشر الباقية

وعلى ذلك بقي العمل مستمراً بلا انقطاع بل ازداد الجهد فيه الى يوم ٢٨
فبراير سنة ١٨٨٠ الساعة ٢ صباحاً حيث تقابل عمال الحفر من جهة الجنوب بعمال
الحفر من جهة الشمال لان الاعمال كانت جارية من الطرفين في آن واحد طول
المسافة كما تقدم

وابتدى سير الوابورات فيه في اول يناير سنة ١٨٨٢ وطول هذا المنفذ من
محطة إيرولو الواقعة عند مدخله الجنوبي الى محطة جوشن الواقعة عند مدخله
الشمالى ١٤٩١٢ مترًا

وارتفاع مدخله المذكورين عن سطح البحر من جهة الشمال ١١٠٦ امتار ومن
جهة الجنوب ١١٧٩ متراً

وقد صنعت جميع اعمال الحفرية بواسطة الهواء وضغط الماء وتجاوز الوابورات
في مسافة تختلف باختلاف سيرها في السرعة بين ٢٠ دقيقة وخمسة وعشرين دقيقة
فان نظرت كم عمل فيه من العمال وكم صرف عليه من المال حكمت بما تقدم
الصنائع في هذه البلاد وبنهاية اعتناء اهلبا بكل ما يوجب لها الخير والاسعاد
فاجتازنا هذا المنفذ من اوله الى آخره في مسافة ٢٠ دقيقة كانت العربات
فيها مضاة بالانوار والذهن في غاية الدهشة والحيرة من هذا الصنع البديع

ولم يكن السبب في الدهشة والحيرة غرابة الممر فكثيراً ما مررنا من منافذ في
الجليل استغرق بعضها بعض دقائق وهذا مثلها في النوع والحالة وانما الاستغراب
من طول مسافة المنفذ ومثابة العمال على العمل حتى امكن المرور بقوة البخار هذه
المسافة في هذا الجبل البالغ ارتفاعه في بعض مواضعه اكثر من ألفي متر كما
ولما وصلنا المحطة الاخيرة وهي محطة جوشن كما سبق وقف الوابور بها نحو
ثلاث دقائق تمكنا في خلالها من شراء بعض الاشياء التي تبيعها هناك بعض
الباعة من مصنوعات هذه الجهة ومن احجار هذا الجبل لتكون للسائحين تذكراً
لمرورهم واجتيازهم ودليلاً لم يماجئون به من انكر عليهم ذلك واني اذكر انني
اشتريت فيما ابتعت ميزان حرارة فوجدت درجة الحرارة فيه ذلك اليوم (٢٨
يوليوسنة ١٨٨٩) بعد الظهر في الشمس عشرة فوق الصفر تماماً وقارن بين درجة
الحرارة في ذلك المرتفع وبين درجتها بمصر في مثل هذا التاريخ تعرف الفرق
ثم استمر بنا المسير في طريقنا بعد ذلك نجتاز الانهر ونعبر البحيرات ونمر

بالأودية والغابات بين جبال شاهقة وانهار دافقة وبحيرات رائعة ومناظر غاية في البهجة حتى وصلنا الى بلدة فلولين وهي اول بحيرة لوسرن من جهة الجنوب وصرنا بشاطئها مدة وهي على يسارنا حتى وصلنا محطة برون ثم اتجهنا الى الشرق فمررنا ببخيرة لوفرثس وكانت على يسارنا ايضا ثم الى بحيرة زوج وكانت على يميننا فاستمرت كذلك الى محطة أمانس فتركنا بحيرة زوج المذكورة وعدنا الى بحيرة لوسرن فمررنا بجذاء شاطئها من الشرق الى الغرب حتى وصلنا الى لوسرن والساعة ٥ و ٣٥ دقيقة بعد الظهر كما قدمنا

لُوسِرْن

بمجرد وصولنا اليها وجدنا بالمحطة اشخاصاً لا تحصى من رجال الفنادق المرسنين لاستقبال الزوار يعرف كل منهم عن اسم الفندق الذي هو من قبله فسلمنا في الحال تذكرة الأمتعة الى رجل (أوتيل صوانين) الذي نحن عازمون على النزول به وتركناها له وركبنا عربة الفندق المذكور حتى وصلنا اليه واذا به مملوء بالعالم لم يبق فيه من غير سكني الا ثلاث غرف فقط احداها بها سريران اختصت بها وسيدي الوالد والاخريان كل واحدة بها سرير اختص بكل واحدة واحد من رفيقينا وما لبثنا ان حضرت الأمتعة فأرقيت الى غرفنا وفرحنا على ذلك الفندق واستعداداه وموقعه واذا به من احسن الاماكن مطل على البحيرة غاية في اللطافة وخرجنا بعد ذلك نمشي بشاطئ بحيرتها فاذا هي متسعة الانحاء غزيرة الماء نقية الهواء تحف بها تيجان انوار الكهرباء فتراها عند انعكاسها في الماء كأنها النجوم في السماء او دراهم نثرت على بساط أخضر او قطع الماس بتاج ملك مظفر فكان

النور شاملاً والضياء كاملاً كأنما الشمس في رابعة النهار نشأت عنها هذه الانوار
واذا هبت الريح على سطح تلك البحيرة الفسيح ترى كأن نجوم تلك الأنوار في
الماء عدة مرايا في أكفٍ شلاءً فلهذا المنظر ما أحسنه وإعلاه وإغلاه وانقنه
وما زلنا نسير على شواطئ هذه البحيرة نتمتع النظر بأنوار تلك الفنادق
العظيمة المظلة عليها وبما نراه حولها من اجتماع الناس لسماع الموسيقى التي احضرها
البعض من ارباب هذه الفنادق تسلياً للمسافرين فتشيد الأناشيد البديعة كل
يوم أمام ابوابها على شاطئ البحيرة ويكثر لذلك احتشاد الناس لاسيما في يوم
الأحد وقت البطالة من الأعمال وترى الرجال والنساء في حال الاجتماع للاستماع
وفي حال التفرق للتنزه حول تلك البحيرة مستصبحين بأنوارها الساطعة وهؤلاء
النساء كاملات الجمال كأنهن البدور السافرة تدهش الأبواب وتنش الأرواح
وتأخذ بجامع القلوب

ولوسرن هي رأس الأقليم المسمى بها من اقاليم السويسرة ويبلغ عدد سكانها
١٧٠٠٠ نسمة وهي واقعة بمنتهى بحيرة لوسرن من جهة الغرب على نهر رومن من
جهة مأخذه من البحيرة المذكورة وهي موضوعة في موضع عجيب بين جبل ريجي
من جهة وجبل بيلات من جهة ثانية

واعظم أثر رأبناؤه فيها هو تمثال سبع منقور في جبل ملاصق للبلد على عين
ماء ولقد اتخذ هذا التمثال تذكاراً للضباط والعساكر السويسريين الذين ماتوا
في ليلة ٢ اغسطس سنة ١٧٩٢ وهم يدافعون عن سراي تويلري مقر لويس السادس
عشر ملك فرنسا الذي قتل في الاختلال الفرساوي الحاصل في تلك المدة وكان
اتخذ حرسه منهم اقتداءً بأسلافه فلما ثار عليه الاهلوت استمر هؤلاء الحرس

السويسريون على المدافعة عنه حتى قتلوا فلم يتيسر للاهالي الاستيلاء على السراي الملكية الأبعد فناء هؤلاء وهذا الأثر عبارة عن اسد مات قابضاً على ارمه (شعار) ملك البربون وجنبه مجروح بطعنه بليغة بحيث يظهر على سيماء شعار الضمير والتألم يشيرون بذلك الى شجاعة السويسريين وصدق وفائهم حيث انهم لم يبالوا بالموت في جانب صدق العهد وحسن الوفاء

وبجوار محل هذا الأثر محل تصاوير مصور فيه تلك الواقعة واقعة موت السويسريين على قماش طوله ١٦ متراً يمثل فيه قتال الضباط والعسكر على سلم السراي يتناوشون مع الاهلين للذود عن السراي فتراهم ما بين مشتغل بالقتال ومطروح على الأرض وعلى درج السلم وجريح دمه يسيل

وفيه غير ذلك مما يتفرج عليه وهو بعض الكنائس ومحل الأسلحة القديمة وبالأخص القناطر الممدودة على نهر رؤوس واخصها القنطرة القديمة لما تشتمل عليه من الرسوم والنقوش العتيقة التي تمثل بعض توارخ سويسره وبجانب هذه القنطرة البرج القديم المتخذ من سالف العهد دفترخانة تحفظ فيها اوراق المدينة ودفاترها وهو في وسط النهر

ومياه هذا النهر غاية في الصفاء ذات لون اخضر وهو يقسم المدينة الى قسمين متصلين باربعة كوبريات

وقد بقيت المدينة على هيئتها القديمة من حيث طرقاتها والصور المحيط بها وهو مشتمل على بروج سبعة

والقسم الواقع على شاطئ البحيرة قد توسعوا في عمارته واقاموا فيه فنادق كبيرة من أحسن الاشكال

ولم تكن هذه الفنادق البالغة حد النهاية في الزينة والرونق هي السبب في جلب من يقصد التنزه من الاجانب الى لوسرن وان كانت لا تنكر لديهم مزاياها وانما السبب في ذلك حسن وضع المدينة وما جاروها من المرتفعات الزاهية الزاهرة الباهية الباهرة وما انتشر على تلك المرتفعات من القصور الجميلة الصنع المحكمة الوضع ثم ما ينضم الى ذلك كله من اللطائف الخلقية من ازهار واشجار وأنهار مما يدهش الناظر ولا يقدّر قدره الواسع وما يثبت بحلي ريجي وبيلات المجاورين للمدينة من انواع النبات البهيج والشمس حين تقرب فتترك بعدها الأفق مستنيراً بسبب انعكاس اشعتها برهة من الزمان وهو مرأى لطيف بديع المثال والمطر اذا حصل صيفاً فيترك بعده قوس قزح كأنه يُشير به الى صفاء الوقت وانتشار السلم وهو على هيئة يعجز عن وصفها لسان الشاعر ويد الرسام والمنزهات حول لوسرن كثيرة تزيد في حسنها وبهائها الخلقي على غيرها اخصها مرتقي جوتش ومصعد ريجي ومصعد بيلات

وقد تفرجنا على الأولين واستغنينا بثنائهما عن الثالث اذ لا فرق بينهما الا

في الارتفاع

اما مرتقي جوتش فمصعده على مقربة من قشلاق لوسرن ويصعد اليه بالقدم في مسافة ٢٠ دقيقة وبالعربة المخصوصة به في مدة ثلاث دقائق في منحدر طوله ١٨٠ متراً ومقدار انحداره $\frac{53}{100}$

ويكون الصعود اليه في عربة مدرجة على حسب ارتفاع الأرض تسير على خطين متوازيين من الحديد على كلي منهما عجلة للعربة على وضع سكة الحديد المعتاد في بلادنا وتزيد هذه للمساعدة على صعود هذا الانحدار بعجلة ثالثة مضرسة

بأفراس ناتئة بين كل اثنين منها تجويف بقدر احدهما فتعشق هذه الافراس
 بمثلها في الارض من شريط حديدي على مثالها تسير فيه صاعدة وهابطة يجرها
 حبل مرتبط به عربة قريبة لما تنزل من الأعلى الى الأسفل فتجرا التي في اسفل
 بواسطة الحبل فبمقدار ما تنزل احدهما تصعد الأخرى ويلتقيان في منتصف
 الطريق فمتى وصلت السفالة الى آخر المنحدر من الأسفل تكون قد صعدت
 الأخرى الى آخره من الأعلى وبعد ذلك يبرهه بتبدي التي صعدت في النزول
 فترجع التي كانت نازلة الى الصعود للأعلى وذلك بواسطة الحبل المرتبط طرفاه
 بكل منهما وهودائر على محور في أعلى المنحدر فاذا انزلت احدى العربتين جذبت
 الأخرى المقابلة لها بثقلها الى أعلى ويمر هذا الحبل في اثناء سير العربتين الصاعدة
 والهابطة على بكرات من الحديد تسهل مروره وتحول بينه وبين مفارقه موضعه
 وهكذا تستمر العربتان في صعود وهبوط وفي جانب كل منهما على طولها وفي
 اسفلها حوض على شكل اسطوانة يملأ بالماء النازل من الجبل في المجاري المعدة له
 بمحابس منتظمة فمتى امتلأ حبس عنه الماء واخذت العربة المملوءة حوضها في
 النزول فترفع بقوة نزولها العربة الثانية الواقعة بأسفل الموقف وفي اثناء نزولها
 ينصب منها الماء تدريجياً حتى اذا وصلت الى الأسفل يطلق منها ما بقي بها من
 الماء ليسهل على العربة التي صعدت وقد امتلأت بالماء بعد صعودها ان تنجزها
 من الأسفل الى الأعلى بقوة نزولها وهكذا وقد جعل الى جانب عجلة كل من
 العربتين قطعة من الحديد مستديرة قد أعدت للأمن من الخطر لو انقطع الحبل
 وهي مرتكزة على قائمة من الحديد رافعة لها مشدودة بهذا الحبل فاذا انقطع الحبل
 سقطت الرافعة لما فتسقط القطعة فتحول بين العربة وبين سقوطها راجعة فيأمن

ذلك راكب العرب

وهذه الطريق بما بها من العربات والأدوات في ملك رجل يسمى بوزنجير
مقيم في دار له بأعلى الجبل قد اتخذ فيها فندقاً يقصده السائحون المتفرجون هناك
ومحل قهوة وكلاهما مطل على مدينة لوسرن وعلى مواضع من جبال الألب
وجوانب البحيرة وفروعها ذات مناظر بديعة حسنة تعجب الناظر وتسرح الخاطر
ويصعد إلى سطح هذا الفندق بمُرْفٍ يسع ستة أشخاص يرتفع بواسطة ضغط الماء
فيجد الصاعد على السطح شبه منارة ذات ثلاثة ادوار يرى من ادوارها هذه كل
ما حولها من الجبال والآكام والبحائر والأغوار فلما جئنا إلى هذه الجهة ورآنا
صاحبها الموما إليه عرف بواسطة الطربوش والملابس ومكالمتي مع سيدي الوالد
العزیز أننا من مصر وسألنا عن ذلك فصدقنا تسميته وعند ذلك أخبرنا أنه سبق
له الوفادة إلى مصر للسياحة وذكر لنا بعض المواضع التي رآها من بورسعيد
والاسماعيلية والصعيد الأقصى واخذ في الترحيب بنا والاحتفال بأمرنا وإزفاناً
إلى سطح الفندق وإلى أعلى المنارة وعرفنا بأهلها وولده كأن له بنا معرفة سابقة
والفة ندية وتقدم اختلاط ومعاشرة

وأما مصعد ريبيجي فيتوصل إليه بياخرة بخرية تسير في بحيرة لوسرن من
موضع بقرب الفندق الذي نزلنا به فتستمر نحو ساعة إلى أن تصل إلى قرية
بشاطىء البحيرة تسمى وتُسَوَّى على مرأى ومناظر لطيفة طول المسافة ونقف في
عدة مواقف أثناء الطريق إلى أن ترسو بالقرية المذكورة ومنها يتنقل إلى سكة
الحديد فيسار في عربات خاصة بها يجرها وابور مخصوص إلى أعلى الجبل مارّة على
مواقف متعددة يأتي بيانها فيقطع من ابتداء الطريق حيث الحطة الأولى بواسطة

انحرافات واعوجاجات الى آخر محطة مسافة ٧٠٥٨ مترًا في مسافة ساعة وربع مع ان ارتفاع القِمة التي فوق هذه المحطة الاخيرة عن سطح البحر لا يصل الى هذا القدر بل هو ١٨٠٠ متر

وهذه الطريق عمات بمعرفة شركة تألفت في الأصل من ثلاثة اشخاص جمعوا بواسطة اصحاب لم نصف المصاريف وهو ٦٢٥٠٠٠ فرنك واما النصف الثاني فقد حصلوا عليه باكتئاب عمومي في بعض ساعات بمجرد تصديق المجالس النيابية على هذا المشروع وكان ذلك في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٦٩ وانتهى الخط المذكور وتم عمله وافتتح بالطريقة الرسمية في ٢١ مايو سنة ١٨٧١

وفي هذا الخط عدة وابورات مصنوعة بطريقة مخصوصة قوة الواحد منها ١٢٠ حصانًا بخاريًا وسرعة سيره واحدة في الصعود والهبوط على ان الحركة في الصعود بالبخار وفي الهبوط بواسطة ثقل الوابور في الانحدار اما العربات فهي مكشوفة من سائر الجهات ما عدا جهة السقف ليتمكن المسافرون من رؤية المناظر وكل قطار يتركب من عربة واحدة ووابور والعربة بها ٩ صفوف كل صف ستة اشخاص وبها آلة تمكن من ايقافها في حالة حصول خطر في مسافة لا تتجاوز خمسين مترًا

وتسير هذه الوابورات بين محطة وتسنو وبين محطة ريجي كولم وهي آخر محطة خمس مرات في اليوم ذهابًا وخمس مرات ايابًا كما ان وابورات البحر تسير من لوسرن الى وتسنو وتعود من هذه الى لوسرن بعدد تلك المرات

وبعد ان بارح بنا الوابور وتسنو امتد الخط معوجًا بارتفاع $\frac{25}{100}$ الى اول مجازة تحت الجبل واستمر بعدها في الارتفاع وصار كلما صعد اشد استغراب

المسافر ورأى ما اوجب تأمله واستلفات نظره الى ان اجتاز غابة صغيرة ثم عقبا
مجازة طولها ٧٥ متراً وبعد مفارقتها كان يُحِيلُ للناظر ان الأرض تهوي به حيث
قد اجتاز الوابور بعد تلك المجازة قنطرة منصوبة على فراغ هائل دل على شدة
مهارة صانها ومزيد جراءة في اقدامه على ذلك فهاهنا منظره جميع السائحين لاسيما
النساء فانهم صحن عند رؤيته لرعين ومزيد ارتياحهم ويقال انه قلما تجاوزت
امراة هذه القنطرة بدون ان يحصل منها مثل ما حصل من النساء اللاتي رأيناهن
واستمر السير الى ان وصلنا الى اول محطة على ارتفاع ١٠١٦ متراً

فانتهزنا فرصة الوقوف فيها للتمتع بالمناظر البهجة وإجالة الطرف في الجبال
التي حولنا وكانت قممها لم تزال مغطاة بالثلوج في فصل الصيف الذي كنا فيه
والنظر في البحيرات التي تحتها وكنا نراها تصغر في اعيننا كلما ارتفعنا عنها

ثم بعد مفارقة هذه المحطة الأولى استمر سير الصعود فأرانا من جهة اليمين
مناظر أبهى وأبهى من الأولى وكانت المنخفضات تتعاقب في الروية كالمرتفعات
فلا تفارق هويّاً إلا وقد صادفنا مرتفعاً ولا نكاد نتأمله حتى نصادف هويّاً آخر
ولا تزال لوسن مع ذلك كله تبدو للناظر في وسط خليجها وإن صغر حجمها
عنده واستمر السير هكذا حتى وصلنا الى ارتفاع جبال الألب السفلي فقل
وجود الأشجار ورأينا الحشائش اقل ارتفاعاً من التي كنا نراها قبل واذا بنا وصلنا
الى ثاني محطة وهي على بعد ١١٨٦ متراً عن سطح البحر

ثم استمر بنا الصعود بعد مبارحتها في وسط اشجار صنوبر بين مناظر عجيبة
حتى وصلنا الى ريجي كيتباد وهي ثالث محطة على ارتفاع ١٤٣٣ متراً ومنها ينفرع
خط حديدي ثانٍ يجه لجهة اخرى وبها فندق كبير يمكن ان يسع خمسمائة نفس

مخدق بغابات وبساتين وله موسيقى خاصة به ويستأنس كنيسته مبنية في وسط
الصخور يتعد فيها الكاثوليك كل يوم ما عدا يوم الاحد فانه اختص به فيها
البروتستانت

ويتيسر للاجانب التنزه في الغابة المختصة بهذا الفندق بمجرد الاستئذان من
صاحبه ويُعطى الزائر رسم هذه الغابة خشية ان يضل عن الطريق فيها ويوجد
بقرب الكنيسة الساقفة الذكر ينبوع ماء يُعتقد فيه الشفاء من امراض الفالج
والروماتزم والحميات المتقطعة

وبعد المسير من هذه المحطة بمسافة غير كبيرة وصلنا المحطة الرابعة محطة ستافلهوه
على بعد ١٥٥١ متراً واذ نظرنا ما تحتنا من الجبال الكثيرة رأينا في آخرها اربعة
اقاليم من اقاليم السويسرة وهي التي لاجلها تسمت بحيرة لوسرن بحيرة الاربعة
الاقاليم

ثم بعد قليل وصل الوابور الى محطة ستافل ومنها ترى محطة ريجي كُلم وهي
المحطة الاخيرة كانها قرية ولكن قد استغرق الوابور في قطع المسافة التي بين هاتين
المحطتين زمناً أكثر مما كان يظن حتى وصل الى محطة ريجي كُلم وهي على بعد
١٧٥٠ متراً عن سطح البحر الملح ثم مشينا على الاقدام بذلك مسافة (٥٠) متراً
فوصلنا الى قمة ريجي كُلم حيث كانت مرتفعة عن سطح البحر بألف وثمانمائة متر
وهذه القمة على ممر الازمان مطمح آمال السائحين في هذه الجهات فانها
لا تكتشفها من سائر الاطراف يُشرف الناظر منها على جهات يتعسر تحديدها من
جهة الاتساع والامتداد

ووجدنا هناك منظرارات ترى البعيد أعدّها بعض الناس للايجار كما اعدوا

بعض مرتفعات متخذة من الحشب يصعد فوقها بدرجة يجد فيها الانسان زجاجاً
ملوناً بعضه وبعضه مسوداً بدخان الشمع مثل الذي يتخذ عندنا لنظر الشمس يوم
كسوفها فصعدت مع سيدي العزيز لاحدى هذه المرتفعات واخذنا ما يلزم من
المناظرات ورأينا ما يجعل الناظر في غاية الاندهاش

ومن المتعسر تحديد ما يراه الانسان حال كونه في هذه القمة من المبدأ الى
الآخر فان ذلك يختلف باختلاف قوة بصر الناظر وضعفه وكثرة حدته وقلتها
والجبال التي تنظر منها كثيرة جداً حتى حكى لنا بعض من لقيناه بهذا المرتفع من
اهل تلك الجهات انها ٣٣٤ جبلاً منها ستون مغطاة فيها بالثلوج سبعة الصيف
والشتاء والبحيرات التي تنظر منها في اوقات الصحو اربع عشرة بحيرة بين صغيرة
وكبيرة وكثير من افرادها يرى انه متعدد فان الجبال قد تكون حاجبة للنظر في
بعضها دون الباقي فتفصل البحيرة الواحدة في نظر الناظر الى بحيرات متعددة ويمتد
النظر بعد ذلك كله الى مئات من الفراسخ بحسب ما يستطيع الناظر الوصول اليه
ومن هذا المرتفع يرى الرائي منظرين عجيبيين منظر شروق الشمس ومنظر
غروبها

اما شروقها فان جميع من بيت هناك تشوق نفسه لان ينظر ذلك فيسمع
قبل شروقها بمسافة تفتح بوق لايقاظ النيام فيذهب كل منهم مبادراً ليجد له
مكاناً يقف فيه لرؤية ذلك فبقرب الشروق يأخذ النور في الازدياد ويرسم خط
ذهبي فوق جبل سان جال ويأخذ هذا الخط في الانتشار والاتساع فتتلون
القيم الثلجية وتذهب وتليس ثوباً وردياً كأنما كوكب النهار اودع قبلته خدود
تلك القيم المغطاة بيباض الثلوج وحين ذاك ترى السكوت تاماً والنظر عاماً واذا

ثَبَّةٌ بِرَبِّقِ اضَاءِ وَاسْتِنَارِ وَمَا هُوَ إِلَّا طُلُوعُ النَّهَارِ فَتَرْفَعُ الْأَصْوَاتُ أَظْهَارًا لِلْفَرْجِ
وَالسُّرُورِ وَيَعُودُ كُلُّ إِلَى حَيْثُ كَانَ

وَأَمَّا الْغُرُوبُ فَلَيْسَ أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْبَهْجَةِ وَالْبَهَاءِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ بِشَدَّةِ
الِاعْتِنَاءِ فَإِنَّ هَذَا الْكُوكَبَ بَعْدَ دَوْرَانِهِ طُولَ النَّهَارِ يَمِيلُ إِلَى الْغَرْبِ فَيَنْزِلُ عَنْ
الْجِبَالِ الَّتِي هُنَاكَ حَتَّى يَصِلَ إِلَى سَطْحِ الْبَحِيرَةِ تَدْرِيجًا وَعَلَى حَسَبِ نَزْوِلِهِ كَذَلِكَ
يَرَى انْتِشَارَ الظَّلَامِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى تَخْتَفِي الشَّمْسُ وَيُقْبَلُ اللَّيْلُ زَاحِفًا بِمُسْكِرِهِ
ضَارِبًا بِمَجْلِهِ وَرَجْلِهِ نَاشِرًا اجْنَمَتَهُ مُقِيمًا أَلْوِيَتَهُ وَلَوْ سَاعَدَنَا الْحَظَّ لَتَمَتَّعْنَا بِرُؤْيَا
هَذَيْنِ الْمَنْظَرَيْنِ

هَذَا وَبِمَدَانِ اطْلَانِ النَّظَرِ وَالتَّمَتُّعِ بِهَذَا الِارْتِفَاعِ وَبَلَّغْنَا الْأَرْبَ مِنَ التَّأَمُّلِ
وَالْتَفَرُّجِ وَاشْتَرَيْنَا بَعْضَ أَشْيَاءَ بِقَصْدٍ أَنْ تَتَذَكَّرَ بِأَذَلِكَ الْمَكَانِ مِمَّا يَبَاعُ بِهِ ابْتِغَاءُ
تَذَكُّرٍ مِنْ تَذَاكُرِ الْبُوسْتَةِ تَبِيْعَهَا امْرَأَةٌ هُنَاكَ فَكُنْتُنَا بِهَا مَا ارْتَدَاهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صَحَّتِنَا
وَسُرُورِنَا بِمَا قَصَدْنَاهُ وَذَكَرْنَا فِيهَا أَنَّهُ كُتِبَتْ عَلَى قِمَّةِ رَيْحِي كَلِمَةُ الْمَرْفَعَةِ عَنْ سَطْحِ
الْبَحْرِ ١٨٠٠ مِترَ وَجَعَلْنَا عُنْوَانَهَا بِاسْمِ صَهْرِي الْعَزِيزِ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ
أَحْمَدَ بَاشَا السِّيُوفِيِّ بِمِصْرَ وَوَضَعْتُهَا بِيَدِي بِصَنْدُوقِ الْبُوسْتَةِ الْمَوْضُوعِ بِهَذِهِ الْقِمَّةِ
وَقَدْ بَلَغَ مَنَازِلُ ذَلِكَ التَّفَرُّجِ حَدَّهُ وَالْجُوعُ أَشَدَّهُ فَتَزَلْنَا مِنَ الْقِمَّةِ مَسَافَةً
الْخَمْسِينَ مِترًا حَتَّى وَصَلْنَا الْمَحْطَةَ وَدَخَلْنَا الْفَنْدُقَ الْمَوْجُودَ بِهَا فَإِذَا هُوَ غَايَةُ فِي السَّعَةِ
وَالْحُسْنِ وَالِاتِّظَامِ مَمْلُوءٌ بِالْعَالَمِ فَمِلْسَانَا يَجَلُّ خَالٍ فِي صَالَةِ الطَّعَامِ وَطَلَبْنَا مِنَ الْخَادِمِ
أَنْ يَأْتِيَ لَنَا بِالْعَبْدَاءِ فَأَحْضَرَ لَنَا مَا لَزِمَ مِنَ الْأَكْلِ وَالْفَاكِهِ وَالْقَهْوَةِ وَأَعْطَيْنَاهُ ثَمَنَ
مَا أَكَلْنَاهُ

وَلَعَلَّكَ تَتَصَوَّرُ أَيُّهَا الصَّاحِبُ أَنَّنَا فِي نَظَائِرِ هَذِهِ الْأَكْلَةِ الْعَظِيمَةِ بِهَذَا

المكان البعيد عن المدينة مع تنوع الأطعمة والناكهة والنفان القهوة أعطينا عنا نحن
الأثنين بعض ليرات لا بل اعطيناهُ وَرَقَتِيْ غداء من اوراق كوك التي اخذناها
بمصر البالغ ثمن الواحدة منها ١٠ قروش صاغ واستفدنا مع ذلك التفرج على اماكن
هذا الفندق وقاعات اجتماعه الفاخرة المحتوية على أصناف العالم يتكلمون
بسائر اللغات

وبعد مفارقتنا الفندق لم نُرِدْ النزول الى البحيرة دفعة واحدة من غير ان
ننزل في محطة بل قصدنا النزول في ما استحسناهُ من المحطات التي نقابلنا في
الطريق وقد كان ذلك والوابور يهبط بنا في انحداره بغاية الهدوء فانه يهبط بمجرد
الانحدار لا بقوة البخار كما سبق حتى وصلنا البحيرة ومنها الى المدينة

وقد تلاقينا ونحن بالباخرة في البحيرة مع مواطننا صاحب المِمة وقوة العزِمة
المُسَيُوفيلكس سوارس أحد اصحاب سكة حديد حلوان فتآنسنا وتحدثنا في الشوق الى
الأوطان بعد المذاكرة في عجائب تلك الديار الى ان افترقنا وقد رآنا في هذه الطريق
احد من سبق له السكنى ببلاد الدولة العلية من الاوريين فعرَفنا بملابسنا الشرقية
وجاء الينا بمجرد ذلك مستفسراً عن حالنا وعرضَ نفسه لخدمتنا اكراماً منه
وملاطفة لنا كانه يُعِدُّ نفسه بسبب المدة التي اقامها ببلاد الدولة العلية بليدياً لنا
والحق ان بقاءنا بملابسنا الوطنية كان سبباً لتعظيمنا ومراعاة خاطرنا والاحتفاء
بنا في سائر الجهات التي مررنا بها فكان كل من ذهب الى بلاد الشرق ولو مرة
وكل من عَرَفَ من لغاتهم ولو كلمة وكل من سمع منها ولو لفظة يعد من الواجبات
ان يُعَرِّفَ نفسه لنا ويكرمنا بما يمكنه من انواع الاكرام ونحن وان كنا والحمد لله
في عدم احتياج الى خدمة احدٍ لوجود كتب الدلائل معنا ولمعرفتنا اللغة التي

تسهل للانسان السفر في كل البلاد لكن كُنَّا نُسرَّ كثيرًا من هؤلاء الأجانب
الَّذِينَ كانوا يتعهدوننا باللفظ والموانسة على غير سابقة تعارف بيننا بل لمجرد نظرهم
ملا بسنا الوطنية فليبق الوطن مؤيدًا بهز مليكه السعيد

هذا وحيث قد أخذنا راحتنا بالأقامة في هذه البلد اللطيفة وقضينا بها مدة
ثلاثة ايام كنا حددناها لمقامنا فيها بمجدول السياحة قمنا منها قاصدين باريس
في يوم الخميس اول اغسطس سنة ١٨٨٩ في الصباح

وكُنَّا سمعنا بالإشاعة ضيق الحلات بباريس لوجود المرض بها وأن بعض
الناس فيها صار يبحث طول الليل على محل يأويه فلم يجدوه كُتبنا بواسطة بيت
كوك في لوسرن الى مدير الفندق المسمى أثيل سَان بطرسبورغ في باريس بان
يحتجز لنا اربع غرف ليوم اول اغسطس سنة ١٨٨٩ فافاد صاحب الاوتيل
بالتعريف انه سيعمل الجهد في الوصول الى المرغوب

وقبل مبارحتنا لوسرن وضع سيدي الوالد بصندوق بوسنة محطتها كتابًا
حرره الى عزيزه صاحب السعادة علي مبارك باشا ذكر له فيه بعض ما يستحق
الذكر من مبداء سياحتنا الى الآن وهذه صورته

—o—o—o—

❖ كتاب سيدي الوالد ❖

الى صاحب السعادة علي مبارك باشا

”سعادتو افندم حضرتلري

”بعد ان اطرز ديباجة هذا الرقيم برقوم التحية والتسليم مُوشعة برسوم التبجيل
والتعظيم اسأل عن المزاج الكريم سؤال المستقصي عن احواله الداعي بدوام

اعتداله واحمد مولى الآلاء على ما اسبغ من النعائم ضافية الرداء صافية الماء
غير مشوبة بالاقذاء شاملة لجميع الرفقاء وما منهم الا شاكر للأفضال ناشر
لحسن تلك الخلال داع بدوام الاقبال والله المستول في نعمة القبول

”ركبنا الباهرة من الاسكندرية يوم الاحد ٢١ يولييه سنة ١٨٨٩ بعد التيمن
بتقيل اليمين الخديوية الطاهرة واستدراار غيوث القبول والاقبال من فيض
بركتها الظاهرة فرأينا من البشر والايناس ما جبلت عليه السجاياء الخديوية
الباهرة واقتضته مكارمها الزاهرة وشملتني عواطف ذلك الجنب من الاحسان
بالنشان الثاني المجيدي بما لم يكن في الحساب وضاعف المنّة به عليّ أن جاء على
غير سابقة وعد انتظره في اليوم والغد واني تسلمته من الجنب العالي الخديوي
ادامه الله تعالى يدأييد وانصرفت من لدنه شاكرًا داعيًا سامعًا لما تلقيت من
الأوامر الكريمة واعيًا وكان الشكر بلسان الحال أوفر منه بلسان المقال
وحضرني أبيات في هذه الحالة اثناء انصرافنا الى البلد مناسبة للصدد وان
كانت قليلة العدد فأودعتها الرحلة على قصد تخليدها الى الابد وهما هي

مولاي قد أوليتني منّة ولم يكن لي أمرها في حساب
شكرت مولاي على فضلها شكرت الروض فعل السحاب
منطقه أعجم في شكرها ومنطق الحال فصيح الخطاب
متعك الله بما تبغى وسرّ بالأنجال ذاك الجنب

ثم سار بنا الوابور في اليوم المذكور ونحن نرى الجو صحوًا والهواء رخوًا
والبحر رهوًا والحال زهوًا فها هو الا ان خرجنا من فم الميناء الى صدر سعة
الفضاء حتى رأينا البحر يوج والسفينة بين هبوط وعروج وفي الجملة رقصت

بنا فصلاً لا نقول خفيفاً ان لم نسمه مخيفاً ولا ندعوه لعباً ان لم نقل تعباً فلا جرم
صبرنا على الأسواء من اخلاق تلك الجارية السوداء وهي تظهر انها ولية تمشي على
الماء وتطير بأجنحة الهواء وعلى ذلك اتصل مسيرها واستمر مريرها الى ان مررنا
بين جزائر كريد وجورها يزيد على فعل يزيد فلما تجاوزنا حدود تلك الجزائر
وغابت عن النواظر هدأت السفينة بقدرة الملك القادر وسرنا حتى رأينا
برنديزي فوصلناها ثم تريستا فدخلناها ولبثنا بها برهة تفرجنا فيها على قصر
مكسيميليان وما به من المناظر الحسان والمظاهر البديعة الشأن ثم سرنا بباخرة
أخرى الى فينيسيا من بلاد ايطاليا وكانت بها ملكة البلاد فصادفنا زينة اتخذت
لها احتفالاً وزادتها مناظر الماء المتخلل ديار البلدة جملاً ثم سرنا بوابور البر الى
(ميلانو) من ايطاليا ايضاً فبتنا بها ليلة كما انا بتنا قبلها في فينيسيا ثم سرنا الى
(لوسرن) من بلاد السويسره قبل يومين ونحن بها الآن وقد رأينا اثناء طريقنا
من المناظر البديعة وجمال الصنعة والطبيعة لا سيما في جبل (سان جوتار) وما في
بلاد السويسره من الأنجاد والأغوار والبحائر الكبار والقرى والديار ما يدهش
الناظر ويستغرق الحاطر ما تطول بشرحه اذبال المقال واخاف منه على
شريف خاطر كم اللال لا سيما مع ما عندكم من الاشغال وسأودعه ان شاء الله
تعالى كتاب الرحلة مفصلاً مفرعاً مؤصلاً ليكون تذكرة لمن يتذكر وتبصرة لمن
يتصور وقد اتخذت الأبهة لذلك والعدة بمفكرات أقيد بها الأوابد وارتبط بها
الشوارد ورسوم اجمعها لأستوضح بها الخفي وأقرب القصي وأدلل العصي وكتب
أدخراها لتكميل البيان وسؤال من ذوي الخبرة أو كده بالعيان حتى اذا يسر الله
سبحانه سلامة المعاد الى البلاد وهو ولي الرشاد والسداد القادر على ما اراد

اكثر عليها بالبيان واستعمال الفكر والبيان وهو المسئول من فضله ان يصرف
الصوارف ويمنع الموانع ويصنع كرامة التوفيق في جميع المواضع لا رب غيره
ولا خير الاخره

بعد ان وصلت الى هذا الموضع من الخطاب في اثناء تحرير هذا الكتاب
على نية الاختصار والاختصار والتسويق ببيان ما رأيناه في هذه الامصار الى
ما بعد الوصول لمستقر الديار رأيت ان استمع شريف خاطرك في الالامع بشيء
مما رأيناه وسمعناه في فسحة هذا النهار التي فرغنا منها الآن حين لم يتقدم عليها
الزمان لتكون كالثمرة القرية العهد من القطف والخروج من القشر والغلاف لم
يدنسها عبث العاثر ولم يذبلها طول مكث الماكث فان أبيتها فألقها ناحية هناك
وان رغبته في الاطلاع عليها فهاك

خرجنا من مثنوانا بجمل مأوانا في موقع من أحسن المواقع على بحيرة (لوسرن)
من اشهر بحيرات هذه المواضع وهي حرية بذلك في الواقع فخطونا خطوات من
محلنا قلائل الى الباخرة المتهيشة للمسير على الساحل فأقلعت بنا

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم التراب المفايل باليد

ونحن نرمي بالأبصار الى ما حولنا من الديار المنتظمة بلبآت ذلك الماء انتظام
فرائد القلائد على الغادة الجيذاء والمنتشرة في المروج كالكوكب في البروج بينها
الشرف على تلك القلال إشراف الهلال والمشرق اشراق الشمس في هامات
تلك الدرى والرؤوس تختلف بها المناظر بين أخضر ناضر وازرق زاهر الى ابيض
ناصع واحمر يانع واصفر فاقع هرمية السقوف بين شتى وصفوف لم يلبسها
الغبار ولم تدنسها الاقدار نقول لم يفارقها قبل هذه الساعة المعمار وحولها انواع

النبات والاشجار زاهية الاخضرار متلونة النوار متنوعة الاشكال والثمار متولية
 غسل ابدانها وأردانها الأمطار فهي تتألق تألق الانوار وتأخذ بجماع البصائر
 والابصار وتذهب بالافكار ذهاب التيار بموج البحار قد عرف اهلها بمقدار نعمة
 النعم الكريم فأدوها حقها اعتناء واحتفاء واعتنوا بمعرفه اسرار حكمة الصانع
 الحكيم فاهتدوا اليها بقدرته اهتداء ولا جرم فالحق جلت نعمته وعلت عظمتة
 يعطي على السؤال بلسان الحال والاشتغال بالسبب ما ليس يعطيه على السؤال
 بلسان المقال الذي يعتريه الكذب في الرغب والرهب بخلاف اللسان الاول
 فهو يميز بالعصمة من هذه الوصمة فالزراع منا اذا غرس شجرة او القى في الارض
 الحرة بذرة ثم تولاهما من السقي والخدمة بكل ما في وسعه من الهمة قد سأل الله
 سبحانه بلسان حاله فأعطاه ما استحق وفوق ما استحق من نواله فقد اجرى عادته
 وهو اكرم مسؤول ان لا يقابل سؤال لسان الحال الا بالقبول بخلاف ما لو زرع
 في غير مزرع او أعرض عن واجب الخدمة وامتنع وقعد يسأل الحق بلسان المقال
 اناء الليل واطراف النهار ان يرزقه منها أطايب الثمار ويستزيده الاكثار فقد
 أساء الأدب ولم يحسن الطلب فطأب الحق جات قدرته بما يخالف ما جرت به
 سنته فلا يجد لذلك سبيلا ولن تجد لسنة الله تبديلا فاستحق ان يجرمه ابدًا ولا
 يظلم ربك احدا

ألم تر أن الله قال لمريم وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
 ولو شاء أن تحببه من غير هزها جتته ولكن كل شيء له سبب
 فسبحان من ابدع وابدى واعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهذه هي الهداية العامة
 لكل ناطق وصامت وحيوان ومعدن ونابت قد عم كلا بهذه الهداية لما يليق

بجالة ويلغهُ الترقى في معارج كماله

أراني ايها الامير قد طوّحت بي الفكرة من توالي النظرة بعد النظرة حتى خرجت من الوصف الى التصوف وان شئت فقل الى التفلسف ولسنا في شيء من قبيل هذه الانواع ولكنه من طفيان اليراع والحديث ذو شجون والكلام يحرك الكلام وفي الجملة يلزمنا ان نرجع الى المقام

نعم سارت بنا الباخرة ماخرة في تلك البحيرة الفاخرة ووقفت بنا في مواقف ذوات عدد نزل في كل منها من نزل وصعد من صعد الي ان وصلت بنا محطة (وَنَسْنُوْا) وهي آخر موقف فيما نحن بسبيله من الصدد فخرجنا من باخرة البحر الى باخرة البر نبتغي الصعود في تلك الجبال والاكام الى آخر ما يرام فوجدنا من كثرة الزحام واختلاف الاقوام والتفاف الاقدام بالأقدام ما عاقنا عن الإقدام الى ان فاتنا ثلاثة وابورات وركبنا مع الرابع اذ تصدينا لمدافعة من يدافع وممانعة من يمانع

وتتازر الوابورات والعربات المختصة بمثل هذه الجهة عن المعتادة عندنا في في الديار المصرية بامور منها اختلاف الشكل والهيئة بالكلية ومنها ان لكلٍ منها سوى العجلات الجانبية عجلتين في المقدّم والمؤخر كلتاها ذات تضاريس في دائرها يتخللها تجاويف بحسبها معمولة على نسبها لتعشق اثناء المسير مع امثالها في خط ممدود على الارض بحسب حالها ذات تضاريس وتجاويف على مثالها مشكلة لأشكالها وهذا الخط سوى القضيبين المعتادين الموضوعين في الجانبين متوسط بين الطرفين فيسير الوابور بهذه العجلات في ذهابه وايابه وصعوده وانصابه وهو مسرع في المسير لا يظهر فيه لهذه التضاريس والتجاويف تأخير كأن امرئ القيس

كان ينظر الى حال عجلته حين يقول في جاهليته وبدويته

دَرِيرٌ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ تَبَاعُ كَفَيْهِ بِخِطِّ مُوَصَّلٍ

والخذروف معروف الجسم وان كان الآن غير مألوف الاسم وهو قطعة مستديرة مثقبة يلبس بها الصبي فيدخل في ثقبها خيطاً يجعله في اصابع يديه فيديرها به في غاية السرعة بشد الخيط وارخائه بالمقاربة بين اليدين والمباعدة كلنا رآه ايام صباه لا اذكر الآن ما كنا نسماه به وانما اعرف مسماه وما علينا فلندع لامرئ القيس خذروفه بين يديه ونرجع ثانياً الى ما كنا نتكلم عليه فنقول

لمصلحة هذه الطريق جملة من العربات والوابورات وقد استحدثت بمعرفة شركة تركبت في الاول من ثلاثة اشخاص جمعوا من مالم الخاص وبعض اصدقائهم الخواص نصف مبلغ المصروف وهو ٦٢٥٠٠٠ فرنك ثم حصلوا على النصف الآخر بواسطة اكتتاب عمومي تكامل في ساعات من الزمن بمجرد تصديق المجالس النيابية على هذا المشروع وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٨٦٩ من الميلاد وانتهى عمل الطريق وافتتاحه بالطريقة الرسمية في مايو سنة ١٨٧١ بحضور من رجال الحكومة والمساهمين

وهكذا تفعل الشركات امثال هذه الأفعال من عظام الأعمال باتحاد الأيدي والأفكار من عظماء الرجال ومساعدة المال بالمال والحال بالحال وكبال العدل والاعتدال فينشأ عنها من المنافع العمومية والخصوصية والنوعية والشخصية ما لا يتأتى بالانفراد وتفرق الآحاد

و (يد الله مع الجماعة) قضية لا تختلف نتيجتها الى قيام الساعة والله تعالى يقول في محكم كتابه العظيم الشان (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم

والعدوان) وقد جاء في الحديث الشريف ايضاً (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ولندع الآن هذا البحث فهو طويل الاذبال ولنعد لأكال ما كنا فيه من المقال

كل وابور من وابورات هذه الشركة قوته ١٢٠ حصاناً بخارياً وسرعة سيره ٤٨٠٠ متر في الساعة الواحدة لا يختلف سيرها في ذلك صعوداً وهبوطاً على أن الحركة في الصعود بقوة البخار وفي الهبوط بمجرد قوة الانحدار

ويختلف الميل في هذا الطريق من ١٠ الى ٢٠

والميل في مرتقى آخر لناحية (كوتش) بغير هذه الجهة رأبناه بالامس ٥٢ في جميع جهاته وندع الكلام في صفاته وصفات عرباته وسيرها بغير حيوان ولا بخار وتركه للرحلة رغبة في الاختصار. والعربات في الطريق الذي كنا نتكلم عليه مغطاة من اعلاها للتوقي من الشمس مكشوفة من سائر الجوانب ليتمكن المسافر من رؤية كل ما يمر به من المناظر

ويتركب كل ذيل (قطر) من عربة واحدة يسوقها وابور واحد وليست العربة مربطة بالوابور وانما يدفعها من خلفها في الصعود وينزل أمامها فتسير خلفه في الهبوط وذلك للتفادي من ان يصيبها ما اصاب الوابور لو اصابه شيء من الاخطار والعياذ بالله تعالى وفي كل عربة آلة للأمن من الخطر تيسر بها ايقاف العربة في مسافة لا تتجاوز ٥٠ متراً وبعد مفارقة اول الخط يمترق الوابور قبل اول موقف من مواقفه منفذين قد نقبأ له في صلب الجبل ثم يجتاز بعدها على جسر من الحديد متقن الصنع ممدود فوق قوائم من الحديد على ارتفاع هائل قد يروع الناظر ويهول امره السائر ثم يصل الى الموقف المذكور وهو على ارتفاع ١٠١٦

متراً عن سطح البحر وبعد الوقوف به بعض دقائق يستمر في صعوده ويقف في
مواقف عديدة على ارتفاعات متفاوتة بين مناظر مختلفة ومحاسن مؤتلفة فيرى
المنخفضات تتابع بقدر المرتفعات ولا يكاد يفارق منخفضاً الا ويصادف مرتفعاً
وهكذا يستمر بين حدائق ونباتات واشجار وغابات ومناظر بحيرات وجبال
مغطاة بالثلج وغير مغطاة مما يروق الناظر ويعجب الخاطر وكلما أخذ في الارتفاع
صغر في نظر الناظر حجم ما خلفه من الجائر وغيرها من المناظر وهكذا حتى يصل
الى محطة (ريجي كلم) وهي المحطة الاخيرة وترتفع عن سطح البحر بقدر ١٧٥٠ متراً
ويوجد بالمحطة الاخيرة المذكورة وما قبلها من المحطات كثير من اللوكندات
بديعة البهجة والانتان تسع نحو الف نسمة يبيتون على جيد السرر ومستحسن الفرش
ويأكلون طيبات المأكّل ويجدون غاية الراحة ويسمع النازل بها كثيراً من
اللسن التي يتكلم بها في العالم وما ذاك الا لتوافد الزوار عليها من سائر الجهات
والمحطة العليا من محطة عن أعلى قمة الجبل حيث يبلغ الارتفاع عن سطح
البحر مسافة ١٨٠٠ متر فالفرق بين المحطة العليا وأعلى الذروة نحو ٥٠ متراً
وقد بنيت المحطة من محطة عن القمة بهذا القدر للانتقاء بالجبل من ريج الشمال
وهي هنا غير مطلوبة ورأيناها كذلك في جهة بيروت وغيرها في سورية غير مرغوبة
ويرى الانسان وهو في أعلى الذروة من الجبال والمرتفعات المحيطة بتلك
الجهات ما يتعاصى على الحصر والعد ويتعاصى عن الضبط والحد وان امكن ذلك
فهو موكول الى قوة النظر وحدته وطول التأمل واتساع مدته وقد ابلغها بعض من
لقبناه هناك من اهل تلك الجهة الى ٣٣٤ جبلاً بين صغير وكبير منها ٦٤ مغطاة
بالثلج الدائم على قول ذلك الرجل والباقى عار عن الثلج في هذا الوقت

اما البحيرات التي ترى من تلك الذروة في اوقات الصحو فتبلغ ١٤ عدًا ويمتد النظر في هذا الموضع الى مئات من الفراسخ بعيدة الانحاء مختلفة السموت لما من غرائب المناظر وعجائب المظاهر ما تنقطع دونه الاوصاف والنعوت لاسيا الجبال المكتسية بدياج من الثلج ابيض المتحصنة بدروع من الزرد البديع النسج مفضض

واذا تأمل الواقف بهذه الذروة العالية فيما يراه تحت قدميه من المواقع السافلة والأغوار النازلة يتخيل ان ليس بها نسمة مخلوقة ونفس منقوسة لانقطاع الصوت واتصال الصمت وغاية تصاغر المنظر لبعده السموت وحول هذه الذروة من المنازه والمنازل والخضرة والنضرة والارواح والادواح ومواطن الانس والانشراح والراحة والارتياح والمباحثة والمناظرة والمسامرة والمسيرة ما لم يكن يخطر ببال او يتصور بحال

وكم رأينا في تلك البطاح من صباح الملاح كل خوذ رداح شاكية السلاح من الحاظ كالصفاح مراض صحاح وقود كالرماح دامية الجراح فانكة في الارواح وليس عليها لدى القانون فيما جرحت جناح وكل ما اجتاحت صباح

فليس للجور في ايامهم اثر الا الذي في عيون الفيد من حور وهن منتشرات في تلك الجهات كمقد خانه السط فانتثرت دُرُرُه وروض الحت عليه الريح فتبدد زهره بين وحدان وزرافات وشتى وجماعات فمن ظبلاء في هذه المراتع رواتع واقمار من هذه المطالع طوالع وانوار في تلك المواضع سواطع قد رين في مهاد الدلال رواقع وغذتن بلبان الجمال لا الجمال المراضع فبرزن

كالخُور في غلائل نور او ورد جور في زجاج بلور تراهن خلال الاشجار
فتخالهن بعض الازهار وتنظرهن على الماء فتقول قد تمثل فيه السماء وهذه
كواكب الجوزاء ولقد انسينني المشيب حتى خلت انني عدت الى الصبا وكدت
أمد لداعي اللهو والخلاعة يدأ فأقول مرحباً مرحباً وأكون فيمن صبا الى ان
رأيت مرأة ببعض مفارش الباعة بديعة الصناعة فاذا الشيب فيها يخاطبني بلسان
الحال من بين الجماعة

هيأت ما عهد الشباب براجع يوماً ولا هذا المشيب براحل

سيدي

كنت أريد شيئاً كثيراً ولكن غلبني الوقت فاقتصرت واختصرت وما
تركت ما اردت أكثر ما ذكرت ونجني على جناح السفر الى باريس داعون لولي
النعم الخديو الاعظم دعاء الابتهاال مترنمون بأحاسن الثناء في كل محل وكل حال
والله المسئول في ان يتقبل من عبده ويمن بالزيد من عنده فهو غاية المسئول
ونهاية المأمول فك في ٣١ يوليو سنة ١٨٨٩
عبد الله فكري



❖ من لُوسِرْن الى باريس ❖

قمنا من لوسرن والساعة ٥ و ٣٠ دقيقة من صباح يوم الخميس اول اغسطس
سنة ١٨٨٩ كما سبق وان كان يقوم منها الى باريس عدة وابورات في النهار لكن
اخترنا هذا الوقت لتتمكن من رؤية ما بقي من مناظر سويسره ونصل الى باريس
قبل الليل لنجد ما نأوي اليه من الامكنة فصرنا نمر بأنهار وأودية ومناظر حسنة

وأرض مخضرة ناضرة يتخيل للناظر انها بساتين خُطَّت فيها السكك والطرق
ومازلنا سائرين نقطع ما نمر به من المجازات والمنافذ ونقف في بعض المحطات
حتى وصلنا الى أولتن ومنها الى بَال من أعمال سويسره بعد مسيرنا من لُوسرن
بساعتين وربع ساعة فمكثنا بها نحو ثلاثة ارباع ساعة فأكلنا واسترحنا

وبال هذه مدينة واقعة على ملتقى ثلاث ممالك من جهة الحدود المانيا
وفرانسا وسويسره قائمة على نهر رين ذات ثروة اكتسبتها من توسطها بين هذه
الدول حتى اتسع نطاقها وازداد عمرانها وتقدمت فيها الصنائع فصارت تزيد
سكانها عن ٤٥ ألفاً

ثم سرنا منها متجهين الى الغرب على باقي أرض السويسره نحو ساعتين حتى
وصلنا الى ديل من اعمال سويسره ايضاً وهي بلدة الحدود بين المملكتين وبها
الكمر ك لكن لم تفتش امتعتنا به لاننا عند نزولنا من لُوسرن سجدنا لها على ان نسلها
في باريس فصار التفتيش يحصل هناك

ثم بارحنا ديل المذكورة بعد وقوف ربع ساعة فيها وسرنا بأرض فرانس
قاصدين باريس من شرق فرانس الى الغرب متجهين لجهة الشمال مارين على
بلفور وفيژول وشومون وتروا نتفرج على المزارع الفسيحة والمراعي المتسعة والمباني
المتظمة وغير المتظمة حتى قُرَبنا الى باريس فأرانا بعض من معنا بالوابور قبل ان
نمُر مباني المدينة على بعد بناء اسطوانياً مرتفعاً اشبه بمدخنة الوابورات الثوابت
فأخذنا نتأمل فيه وصرنا كلما قربنا منه يتميز لنا حتى علمنا انه برج ايفل المشهور
واذا بنا قد وصلنا باريس والساعة ٦ بعد الظهر فكانت المسافة من قيامنا من
لوسرن الى وصولنا لباريس اثنتي عشرة ساعة ونصفاً

❖ الوصول الى باريس ❖

بوصولنا الى المحطة خرجنا الى قاعة الانتظار حتى يصير اخراج الأمتعة من عربات السكة الى القاعة المخصصة بالتفتيش من طرف الكرك اذ انه لم يسبق تفتيشه بمحطة ديل كما أسلفناه بل رجحنا ان يفتش في باريس وسلمناه على ذلك الى ادارة السكة على ان لا نستلمه الا فيها

فانتظرنا بعض دقائق واذا ياب مكان غاية في الاتساع انفتح ودُعينا الى الدخول فيه فوجدنا بوسطه طاولات من الخشب على شكل دائرة عليها جميع أمتعة المسافرين اللازم فحص ما بها بمعرفة رجال الكرك ومن داخل تلك الطاولات رجال الكرك ومن خارجها الحمالون فصار كلُّ يبحث على أمتعته ومتى وجد شيئاً منها طلب من احد رجال الكرك تفتيشه فيحضر لجهة المتاع بلا توانٍ ويأمر احد الحمالين بفك ما يكون مربوطاً به من الحبال ويسأل بغاية اللطف هل عندك ياسيدي ما يجب التعريف عنه من الدخان او غيره فاذا اخبرته بالحاصل ربما اكتفى باخبارك وقد يفتش المتاع او بعض مواضعه للتحقق بنفسه من صحة ماقرره المسافر كل ذلك بغاية اللطف ومراعاة الأدب ولما لم يجد شيئاً ما يدفع عنه رسم للكرك يضع على الصندوق علامة بالطباشير يستدل به خدم المحطة على انتهاء مأمورية التفتيش فيصرحون للمتاع بالخروج

والسبب في سؤال رجال الكرك المسافرين عما اذا كان عنده ما يجب التعريف عنه تخفيف مؤنة التفتيش عن رجال هذه الادارة لاستدلالهم بهذا التعريف على ما تدفع العوائد عليه مما يصحبه المسافر

اما اذا لم يُعرَفُ المسافر الحقيقة فانه يضاعف الكمرك الذي كان يدفعه لو صرح بالصدق وربما أدى الحال الى مصادرة بعض المتاع المسكوت عنه بحسب الأحوال

واهم شيء يسألون عنه الدخان لأنه محتكر من الحكومة ولأن ترويح سوق هذا الاحتكار متوقف على قلة دخوله من الخارج ولذلك قد جعلت عوائد دخوله عالية فقد يدفع على الكيلوجرام (الف جرام) من ٣٦ فرنكاً على السجاير المصنوعة و ٢٥ فرنكاً على الدخان المجلوب من بلاد المشرق و ١٥ فرنكاً على المجلوب من غيرها

ولم يكن معانداً دخولنا باريس شيء من الدخان إلا ما في علب السجاير فانا لم نستصحب منه معناً شيئاً غير نحو الف سجارة لسيدي الوالد ومثلها أو أقل لرفيقنا الشيخ حمزه على قصد ارسالها من فينيسيا للسويد مباشرة لنجدها هناك بوصولنا لاننا لو ابقيناها معنا لوجب علينا الاشتغال بها ودفع الكمرك عنها مرات بقدر الممالك التي يكون العبور منها والوقوف فيها قبل الوصول الى محل المأمورية وذلك مما لا ضرورة له على ان الدخان المشرقي المعروف عندنا بالاسلامبولي يوجد من سائر انواعه باثمان مناسبة في المدن الكبيرة

ويوجد في سائر البلاد ما يقاربه في الذوق واللون من دخان البلاد الاجنبية مما يمكن الاستغناء به عنه تفادياً من ضياع الوقت في معاناة التخليص في كل الكمارك على ما نجلبه معنا من دخان مصر فضلاً عما يستلزمه ذلك من المصاريف الباهظة

وقد كنا ارسلنا السجاير التي كانت معنا من فينيسيا الى السويد بطريق

البوستان بدون ادخالها المدينة من نفس ادارة الكمرك بها وان استلزم ذلك عناية
لأننا توجهنا لهذا الغرض أكثر من مرتين لمحل الكمرك وهو واقع على البحر
وانتظرنا في كل منها مسافة من الزمن ولاخفاء فيما يستلزمه ذلك الانتظار من
المضايقة لانه فضلا عن صعوبته من حيث هو انتظار فانه يترتب عليه تعطيل
واضاعة وقت كان يمكن الانتفاع به في غيره من التنزه والتفرج على المدينة
هذا ولم يكن معنا مما تدفع عليه العوائد غير الدخان الأعلى احد رفقاءنا وما
ادراك ما هي علة مصنوعة من الصفيح اسطوانية الشكل بها نحو الاقنين من كعك
الدقيق المعروف بالفرنسية استحضرها معه من مصر فاعتبر كمر فنينيسيا السالف
بيانه ان ما بها من نوع الحلواء ودفع صاحبنا عنها قيمة نحو خمس فرنكات وكان
يظن ان ما بها ينفذ في المسافة بين فنينيسيا وباريس ولكن بقي فيها نحو ثلثها فانها
ثقيلة المضم ولم يحب الرفاق لاجل ذلك الاشتراك معه فيها فتخليصه منها ولم يقبل
هو تركها بما بها على ان ما دفعه عنها من الكمرك في فنينيسيا وحده كاف لشراء
أحسن منها من اي مدينة وعلى ان اكل الصبح متيسر بطريقة أطف وبكيفية
أخف من هذه الثقلات في كل الجهات

فاراد كمر پاریس ان يدفع صاحبنا عنها رسم الحلواء وذلك بعد ان طالت
ابحاث رجاله في تحقيق ماهيتها اذ من قائل منهم انها من العقاقير وآخر يدعي
المعرفة أكثر من الاول يقول انها من المجهزات الكيماوية وثالث يتفرس في هيئتنا
المشرقية ويقول من جهله بما فيها انه لا بد وان يكون من نوع الحشيش فبعد الجهد
الجهد واقامة الحجة على اثبات انها من الحلواء عدوها منها وتخير الرفيق مع هذا
بين تركها وقد دفع عنها قبل ذلك ما دفع وشغلت من صناديقه محلا مهابا ومدة الاقامة

النوي عليها في باريس عشرون يوماً ربما احتاج فيها الى ما بها وبين اخذها مع دفع الكمرك عنها ثانية فبعد اخذ ورد وحلي وعقد دفع رفيقنا عنها خمس فرنكات ثانية ورافقته الى باريس

ولكنه لم يتخلص بذلك من أذاها على ما علمت منه بعد وذلك انه اثناء مقامنا في باريس وقرب قيامنا منها اراد رفيقنا الموما اليه ان يتخلص مما كان استصعبه معه رغماً عن اشارتي عليه عند السفر بعدم لزوم ذلك في سفرنا هذا لوجود ما يماثله في كل محل نزلنا به مثل الغطاء فانه يوجد منه بجميع الفنادق ومثل طست الوضوء فانه يوجد بكل محل طسوت من الصيني تقوم مقامه وكان قد تضرر من أجر السكك الحديدية على هذه الاشياء وما يماثلها مما يمكن الاستغناء عنه فاشترينا له من دكان كبيرة تعرف بمخازن اللوفر بباريس شنطتين صغيرتين وضع فيها اللازم من الثياب ووضع في الصندوق الكبير الذي معه الغطاء والطست وغير ذلك من الثياب والاشياء المستغنى عنها ووضع معها العلبة المهودة وارسلنا هذا الطرد لمصر مع طرد مثله لنا وضعنا فيه ما اشتريناه من باريس ومن غيرها من الاشياء تخفيفاً للحمل وقد اخبرني الرفيق بعد العودة عن امر تلك العلبة المشؤمة انها قبل وصولها الى الاسكندرية انفتحت في الطريق من اهتزاز الوابورات ورفع الصندوق ووضع في البر والبحر فنزل الكمرك الذي بها الى ما تحتها من الكتب والملابس الجوخ وغير الجوخ فانبس وصار هباءً منبثاً وشربت دهنه وسمته حتى لم يبق منه الا آثار بالملايس والكتب للدلالة عليه وصار لسان حاله يقول

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ولكن هذا الانبساس نفع في عدم اخذ الكمرك عليها ثالثة

وربما صحت الأجسام بالعلل

ولنرجع الى الكرك الذي كنا فيه فنقول اتنا بعد ان استخلصنا أمتعتنا بالوسم عليها من رجال الكرك وكانوا لم يفتشوا إلا صندوقاً واحداً منها ودفننا كرك العلبة المذكورة نقل الحمائلون امتعتنا الى احدى العربات المغطاة المخصوصة فوضعت فوق ظهر العربة يحجزها عن الوقوع حاجز خفيف من الحديد بدائر سطحها وجلسنا نحن الاربعة في داخل العربة وامرنا السائق بالتوجه الى فندق سان بطرسبورغ وهو الذي حررنا لصاحبه من لوسرن بحجز غرف لنا فيه وافاد أنه سيعمل الجهد في ذلك فقابلنا صاحب الدار بقاية الايناس وازانا أسفله الزائد على عدم خلومحل عنده من يوم التلغراف الى الآن وقال انه حجز لنا غرفاً لاثثة بفندق دوميبيسي بشارع كسنجايون نمرة ٧ ونمرة ٩ وأعطانا ورقة برسم صاحب ذلك الفندق فقصدناه في الحال فاذا هو في نقطة احسن من نقطة الاول بأربع مواقع بالمدينة على خطوات عن حديقة ثويلري الشهيرة على مقربة من البلورات (الشوارع) المشهورة ومن تياترو الاوبرا ومن نهر السين وبجوار فندق كوتنتال الشهير فلا شك ان الله سبحانه اراد لنا بهذا المحل خيراً فانه احسن مما اخترناه فقابلتنا صاحبة ذلك الفندق بكل اعتبار واحترام واوصلتنا الى المحلات التي أعدت لنا واذا هي بالطبقة المتوسطة بين الاولى والارضية وغير مظلة على الشارع بل تطل على صحن الدار فتكلمنا معها بعدم استحساننا لهذه المحلات ورجبتنا في احسن منها يكون الهواء فيها مطلقاً والنظر ممتداً فأرتنا صعوبة وجرد المحلات للغاية في باريس زمن المعرض خصوصاً في النقطة المهمة منها ووعدتنا مع ذلك بأن ستخصص بنا غرفاً أحسن من هذه جامعة لما نرغبه من المزايا في اليوم التالي فانها

متخلو في الصباح وبعد ان تفرجنا عليها واعجبنا للغاية قبلنا الغرف التي أُعدت لنا
بهذا المساء

هذا وبعد ان غيرنا ما رأينا لزوم تغييره من الملابس وتعطينا طعام العشاء في
الفندق فوجدناه بانما حد النهاية في الحسن والنظافة والانتان خرجت مع سيدي
الوالد نمشي الموبنا للإانة على المضم واكي أريه اول بلوار (شارع) من بلوارات
پاريس الشهيرة حيث اعهد من قبل انه يعد بعض خطوات عن الحل الذي نحن
به فنأخذ قهوة الطعام في كافيه ده لابي (قهوة السلم) الواقعة عليه فسرنا لجهة
مبدان واندوم فسكة السلم حيث وصلنا الى ميدان الاوبرا فكان امامنا التياترو
المذكور وعلى اليمين شارع الطليان وعلى اليسار شارع الراهبات فجلسنا باقهوة
الواقعة بين الشارع المذكور وبين ميدان الاوبرا تحت جراند اوتيل (الاوليل
الكبير) وهي قهوة السلم السابق ذكرها وطلبنا قهوة في الخارج حيث أسعدنا الحظ
بان وجدنا محلاً خالياً هناك مما لا يتيسر في غالب الاوقات

وصرنا ننظر الى المارين الذاهبين والآيين وعددهم لا يحصيه الا الله منهم
الذاهب الى محل معهود او القاصد لميعاد محدود فهذا يذهب مسرعاً ومنهم من
يمشي لمجرد التنزه وقصد التفرج وهذا يمشي الموبناً ومنهم الراكب عربة وهذا يمشي
دائماً يمينه فآخذ منا العجب والاستغراب كل مأخذ من كثرة المارين أمامنا من
أنصاف المخلوقات فكنا جميع سكان باريس قامت من أماكنها وتعدت المرور
بهذا الطريق والآفما هذا الازدحام وما هذه الاقوام ذلك منظر لا ينسى ومرأى
وصفه لا يستقصى وكمن بين هؤلاء الأشباح من ذوات ملاح وكمن بين هذه المشاة
والركبان من احاسن الغزلان ولم يكن الازدحام قاصراً على رصيف دون رصيف

بل كان عاماً للجهتين شاملاً وسط الشارع أيضاً حيث لا تنقطع منه العربات حتى جعل في وسطه ارضفة ضيقة بينها وبين بعضها فواصل ليتمكن من يريد العبور من الالتجاء اليها قبل ان يصل الرصيف الذي يقصد اذا خاف وصول العربات اليه والأوطئته لا محالة قبل الوصول

وكنا كلما امتدنا النظر الى جهة من جهات الشارع نجد الحركة متوالية ويَتَخَيَّلُ لنا من كثرة الاضواء وقوتها وانتشارها وشدها ان الليلة ليلة زينة واحتفال فان النور لم يكن قاصراً على نور الغاز المعتاد بالبلوار بل ان كل حانوت من حوانيت الشارع افرغ صاحبه جهده وبذل ما عنده في اضاءة داخله وخارجه بما يأخذ بالعقول ويبهز الأبواب فضلاً عن الإضاءة في وضع الاشياء المعرضة للبيع وجعلها بيئة تسر الناظرين وتبههم حتى يرغبوا في الشراء ولو لغير داعٍ ضروري

وقد اخذنا في الكلام على هذه الخلائق وكثرتهم وما نراه من نشاطهم وهمتهم وانتقلنا الى الكلام في كيفية السير الذي نسيره للتفرج على باريس وجرتنا ذلك الى التكلم في السير للتفرج على المعرض أيضاً واخذنا نترقّى في اي السيرين نقدمه على الآخر هل نبدأ بالمدينة او بالمعرض الى ان تقوى عندنا جانب التفرج على المعرض والبدء به في اليوم التالي لمعرفة حاله بصفة اجمالية ورجح ذلك عندنا أنه ربما وجدنا به مكاتبات وردت لنا من أهلنا بمصر فانا كنا قبل التوجه الى اوربا اوصينا ان ترسل الينا المكاتبات باسم صاحبنا السيد مصطفى الديب في شارع القاهرة بالمعرض لظننا أننا لا نطيل مكثاً قبل باريس بجهة يمكن وصول المكاتبه اليها ومنذ توجهنا لم تصلنا مكاتبه الى الآن فزاد بنا التشوق الى استطلاع

اخبار الاهل والوطن وفضلاً عن ذلك أننا اطلعنا بالقهوة في احدى الجرائد ان المعرض ستقام فيه في الليلة التالية زينة حافلة احتفالاً بقدوم شاه العجم فيه فعقدنا النية على مشاركة المعرض في اليوم التالي والبقاء به حتى الليل وعلى إرجاء اول تفرج في باريس الى اليوم الذي بعده ثم على تقسيم الزمن الذي صممنا على بقائه بهذا البلد بين زيارات المدينة وضواحيها والمعرض ومحاسنه وبعض اوقات من الليل نشتغل فيها باتمام ما لم يتم من الاعمال العلمية التي عزمنا على تقديمها في المؤتمر وقمنا على ذلك قاصدين الفندق حتى وصلناه وبقينا به الى الصباح



❖ بعض اجماليات على باريس ❖

ليس من قصدنا هنا التعرض الى ذكر تاريخ هذه العاصمة فانه عبارة عن تاريخ فرانس نفسها وقد جمعت مطولات كتب التاريخ بكامل الاستيفاء والاستيعاب وانما نريد ذكر بعض اجماليات تجعل القارئ يتمكن من السير معنا في التفرج على هذه المدينة الشهيرة ويفهم بها هذه البلدة التي ربما توهمها الرائي لاول وهلة غاية في الصعوبة

والقارئ يعلم ولا شك انها عاصمة فرانس وانها واقعة على ضفتي نهر السين يدخلها من طرفها الجنوبي الشرقي فيجري الى الشمال الغربي بعد ان يرسم قوساً نحو الشمال وانها قائمة في وسط سهل مستو تقريباً يخلفه بعض آكام تبعد عن النهر اتصلت بها المدينة وعلت بينها عليها ولا يزيد ارتفاع هذه الآكام على ١٠٠ متر عن سطح النهر و١٥٠ متراً عن سطح البحر ومن هذه الاكام شارون وميليمونتان وبيلفيل ومونارترز على الشاطئ الشرقي وميزون بلانش وغيرها بالشاطئ الغربي

وبنهر السين المذكور جزيرتان في وسط مجراهُ بداخل المدينة جزيرة سَآن
لُوي وجزيرة لاسيتيه تَكُونُ كُلُّ منهما من عدة جزر صغيرة متقاربة عُدَّت بها
واحدة

والمدينة منقسمة الى قسمين اصليين يفصلهما النهر وهما جهة الشاطئ اليميني
وجهة الشاطئ اليساري ويتبعهُ الجزيرتان المقدمان ولم يبقَ ما يميز البلدة القديمة
ما استجد عليها ومن الضواحي التي انضمت اليها بسبب الاصلاحات الكثيرة
والطرق المنتظمة العديدة والتحسينات المتكررة التي تمت فيها غاية ما هنالك ان
ان وسط المدينة يتميز عما سواه بكثرة مبانيه وانضمامها لبعضها أكثر منه في غيرها
وبزيادة الحركة فيه ويتميز محل استحكاماتها العتيقة وقد أبطلت بالشوارع
المسعة التي جعلت في محلها

على ان الزيادات التي حصلت في المدينة والتحسينات التي جُددت فيها لا
يمكن تخصيص نسبتها الى عهد من التاريخ دون سواه فانها عمل جميع الحكومات
التي استولت على العاصمة واشترك في اجرائها جميع الأجيال التي سكنوها جيلاً بعد
جيل فهذه الآثار الجليلة التي سيأتي عليك بيانها وهذه المباني العظيمة التي ترى
اثناء التفرُّج وهذه الأعمال النافعة التي أُحييت المدينة اشترك في إيجادها جميع
الفرنساويين وآخر علمهم فيها معرض سنة ١٨٨٩ ويمكن ان يأتي بعده ما يزيد
عليه كما زاد هو على ما قبله ومن يعيش به

وتتقسم باريس (نقسيمًا اداريًا الى عشرين قسمًا تفصلها عن بعضها شوارعُ
وطرق

وتحاط المدينة باستحكامات بُنيت في مسافة ثلاث سنين بمقتضى قانون

صدر في سنة ١٨٤٠ وبلغ ما صرف عليها ١٤٠ مليوناً من الفرنكات وهي عبارة عن سور محيط طوله ٤٣ كيلو متر وارتفاعه عشرة امتار يحيط به خندق اتساعه خمسة عشر متراً ثم يتبع هذه التحصينات الداخلية ١٧ قلعة خارجية كانها سور ثان للمدينة وهذه اغلبها تهدم في حرب سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ ولكن جرى اصلاحه بعد ذلك ثم استحدثت تسع عشرة قلعة على بعد من هذه الاستحكامات كانها سور ثالث

هذا وان انتظام طرقات هذه البلدة واتساع شوارعها واحكام نظامها على كثرتها وتعددتها ومهولة تواصلها بعضها لجدير بأن يستلفت نظر السائح ومزيد تعجبه لاسيما ان قارن هذا بما كانت عليه الطرقات القديمة في هذه المدينة من الضيق والاعوجاج وعدم الانتظام ما قد يوجد بعضه الى الآن وتفكر فيما صرف على هذه الشوارع المستحدثة خصوصاً في وسط المدينة من النفقات الطائلة وتعويض اصحاب المنازل التي لزم هدمها وتعويض ساكنيها فهو لا يستغرب حينئذ كون المدينة مديونة من جرء هذه الاعمال لمدة اجيال

اما لو لاحظ السائح أن تحت جميع هذه الشوارع التي يراها شوارع ليست اقل احكاماً منها خاصة بسيلان المستعملات من المياه فيها ورأى مجاريها الزاد في الاستغراب

فاذا مشى في البلد ورأى تسلطن حركات العالم في جميع انحاء المدينة وسمع اختلاط اصوات السوق ودبدة العربات ودوايها ونداء الباعة وعلو اصواتهم بقصد اشهار ما يبيعونه على اختلافهم في النداء والاصوات وعلى اختلاف ما يبيعونه من جميع المصنوعات والأصناف من مأكل ومشروب وملبوس وانضم الى ذلك

صفاير سائقي العربات وابواق عربات الأجرة من ترامواي وأمنبوس وصادف
من ينادي بالجرائد وأسعده الطالع بأن كان فيها الإعلام بخبرهم أو حادث لم
أو ظهور جريدة جديدة في عالم الوجود ورأى اقبال الناس عليها وتغاطفهم إياها
لقضى من ذلك كله العجب العجاب وزاد في الاستغراب

وقد جمعت هذه المدينة من اسباب الجد والتمدن والعمران والتقدم
كالمدارس العالية والمجتمعات العلمية ودور العلوم والفنون والصنائع وغير ذلك
من موجبات ازدياد المعارف البشرية ما يغبطها عليه سائر المدن ويحلمها مدينة
العلم والعرفان وعاصمة الآداب كما انها جمعت من اسباب الهناء والدعة والراحة
من المنزهات والبساتين والساحات وباقي امكنة الانس العمومية ما جعلها تدعى
مدينة الحظوظ

وفيها من الفنادق ما يصلح لسائر درجات الناس للغني منها بلغ غناه وللفقير
مها انمخت به دنياه وفيها من مواضع القهوة وتعاطي الطعام ما لا يدخل تحت
حصري في سائر الجهات وفيها من دكاكين الحلوائين ما تشبهه الانفس وتلذ الاعين
وفيها من التياترات الكبيرة ما يبلغ العشرين فضلاً عن غيرها من محلات الملاهي
الخاصة بالخيال والرقص ونظر صور الوقائع والاشخاص من المشاهير وفيها من
الكنائس وامكنة العبادة لليهود والبروتستانت ما يفوق الوصف من حيث التشييد
وحسن البناء

ويوصلها بسائر بلدان المملكة من كل جهة خطوط حديدية كثيرة هي
مركزها حتى بلغت المحطات بها تسع محطات
ويوصلها بسائر بلاد المعمورة خطوط التلغراف ومراسلات البوستة وبعضها

خطوط التليفون وجميعها بالغة حد الانتظام والكثرة فان فيها من مكاتب البوستة وحدها ٨٧ مكتبة منتشرة في سائر انحاءها فضلاً عن مكاتب التليفونات ومكاتب التلغراف التي بعضها مفتوح على الدوام في سائر اوقات الليل والنهار وبها من المطبوعات كثير جداً أهمها صحف الاخبار اقدمها المسماة جازيت دة فرانس تأسست سنة ١٦٣١ ولم يكن بها من المطبوعات الدورية سوى ١٥٠ في سنة ١٧٨٩ و ١٤٠ في سنة ١٧٩٠ و ٨٥ في سنة ١٧٩١ ثم تناقص عددها بعد ذلك الى ان بلغ في مدة نابليون الاول ١٣ ثم تزايد بعد مدته فكان يطبع منها في زمن الحكومة التي بعده ١٥٠ منها ثمان جرائد سياسية واستمرت في الازدياد زمن الحكومات التي تعاقبت بعد ذلك حتى بلغت المطبوعات الدورية باريس وقت رحلتنا ١٥٥٠ منها سبعون جريدة سياسية أكثرها يباع في الطرقات العمومية بالمناداة عليها وفي امكنة معمولة من الخشب بالشوارع الكبيرة لبيع ذلك وباريس هذه محور مالية فرنسا وتجارها واشهر بنوكها (لَابَنَك دة فرانس) وله فروع في سائر الولايات والمحقات الفرنسية وله وحده الحق في اصدار اوراق مالية تقوم مقام النقود في البلاد

وصنائعها في غاية الرواج والانتشار يشتغل فيها أكثر من خمسمائة الف صانع وقد اشتهرت بالصياغة والحلى على اختلاف انواعه وعمل الساعات والكشمير واشغال الأبنوس والارواح والشاسي والعب الصبيان وغيرها من اللطائف المسماة (أَرِ تَكَل دة پارِي) وقد فاق الباريسيون فيها غيرهم من جهة الظرافة وبحسن اشغال الأنسجة واقمشة الملبوسات بانواعها على اختلاف اصنافها واوصافها وبعمل الآلات الموسيقية على اختلاف اشكالها من بيانو وغيره

وباصطناع المواد الكيماوية وبصناعة الخراطة والحفر والنقش بالأخشاب والعاج
وباشغال الصوف والحبر والقطن والتيل بديعها ودقيقها وبعمل الأوراق جميعها
للكتابة ولزينة الجدران وبصناعة الصابون والطيب وبعمل الأزهار الصناعية
وبانقان ملابس الرجال والنساء تفصيلاً وخياطة وزخرفة وبعمل الأسلحة بسائر
انواعها وآلات الحرب بجميع اصنافها والآلات الميكانيكية وغيرها من سائر الآلات
فقد اشتهرت آلاتها الرياضية والمنظارية والجراحية وغيرها بالجمال والانقان

وبها معامل لتكرير السكر وصناعة البارود وتجهيز الجلود وبها مطابع لطبع
الأقمشة حريرها وقطنها وصوفها عاليها ودانيها وبها مصانع تخص الحكومة منها
معمل جوبلان يصنع فيه من الطنافس والبسط ما لا يدخل المتجر لغلو ثمنه بل
خست الحكومة مصنوعاته بزينة أماكنها العمومية وزخرفتها وباهداء بعضها لكبار
بعض الدول تودداً وتحبياً

والشوارع الكبيرة تسمى عندهم (بلوار) وتنقسم الى أربعة أقسام البلوارات
الداخلية او القديمة والبلوارات الخارجية والبلوارات المستحدثة والبلوارات المحيطة
واهم هذه البلوارات وأكثرها حركة البلوارات الداخلية وسميت بالقديمة
ايضاً لأنها في مكان اسوار المدينة القديمة التي هُدمت في عهد لويس الرابع عشر
لكن لفظ البلوار او البلوارات الكبيرة عند الاطلاق لا ينصرف عندهم إلا
على جزء البلوارات الداخلية الواقع على شمال نهر السين وهو اهم اقسام البلوارات
الثلاثة على العموم وباقي البلوارات الداخلية على الخصوص فهو اهم الأهم ويمتد على
شكل نصف دائرة تقريباً وتختلف اسماءه في هذه المسافة باضافته الى اسماء آخر
حتى تبلغ احد عشر فيقال بلوار كذا وبلوار كذا الى آخره

وحقيقة هذه الشوارع لا تكاد تُتصوّر بمجرد الاخبار بدون مشاهدتها فانها اذا شوهدت يُجزمُ بانها احسن شوارع العالم اجمع من حيث اتساعها وانقاها والمبالغة في زخرفتها واتساع دكاكينها المشتعلة على اثمن الحرائر وانفس الحلى والجواهر والمغالة في تنظيمها ومن حيث كثرة العالم فيها واستمرار الحركة بها وبعض هذه البلوارات مبلط بالحجر وبعضها مغطى بالخشب وبجميعها ارصفة متسعة مبلطة بالاسفلت وبجانبها اشجار كبيرة مرتفعة وبذلك الارصفة على مسافات متقاربة اماكن صغيرة (كشك) معمولة من الخشب بعضها معدلبيع الجرائد وبعضها لاقامة بعض رجال البوليس وبعضها معد لحاجة بعض المارين من الرجال يتخلل مسافتها التي في البين عمدٌ تلصق فيها اعلانات التيارات لاعلام العموم بها

ومن أعجب أسواق باريس السوق المركزية (هال سانترال) وهي مؤلفة من عشر دوائر - مزيج جعلها اثني عشرة دائرة - مبنية بالحديد مسقفة بالزنك يتخللها طرقات مسقوفة عرض كل منها وارتفاعها ١٥ متراً يقطعها شارع عرضه ٣٢ متراً متجه الى شارع ريفولي وتشغل جميعها قطعة ارض مساحتها ٨٨ الف متر مكعب وهذه الدوائر تشتمل الواحدة منها على ٢٥٠ دكاناً مساحة كل منها اربعة امتار مكعبة اجرة المتر منها عشرون سنتياً في اليوم الواحد وتحتها مخازن ارضية ارتفاع الواحد منها ثلاثة امتار وثمانون سنتماً ومساحتها كمساحة ما فوقها لخزن البضائع لا يقل عددها عن الف ومائتي مخزن ومن أراد ان يعرف قدر ما يصرف في المأكول بمدينة باريس فعليه ان يقصد هذه الاسواق في الصباح ولا ينبغي ان ينسى ان بالمدينة مع ذلك اسواقاً آخر من نوع هذه

خلا الحوانيت المنتشرة في المدينة ومحلات بيع الخبز والنبيد فانها لا يباعان
بالاسواق المركزية وقد دلت الاحصاءات الاخيرة على انه يخص الواحد من سكان
باريس على المتوسط في السنة ١٤٨ كيلو جرام خبز و ٢١٢ لتر مشروبات و ١٨٨
لتر نبيد و ٨٥ كيلو جرام لحم و ١٠ ونصف كيلو جرام سمك فيكون ما يخص
سكان المدينة على ذلك في السنة بدون حساب الاجانب الغير المتوطنين
٣٤٧٠٦٠٠٠٠ كيلو جرام خبز و ٤٩٧١٤٠٠٠٠ لتر مشروبات و ١٩٩٣٢٥٠٠٠
كيلو جرام لحم و ٢٤٦٢٢٥٠٠ كيلو جرام سمك ومجموع اثمان هذه الاصناف
مليار من الفرنكات في السنة ونحو ثلاثة ملايين فرنك في اليوم الواحد و يبلغ
عدد عربات النقل التي تنقل المأكولات لهذا السوق في اليوم والليلة نحو
خمسة عشر الف عربة

وتجلب لهذه السوق جميع اصناف المأكولات والفواكه من جميع المدن
الفرنساوية ومن سائر بلاد العالم

وهذه المدينة فضلاً عن كونها مقر الحكومة الفرنسية ودواوينها ومجالسها
النيابية وسائر مصالحها العمومية ومركزاً لمحاكمها العليا القضائية والادارية هي محط
رحال وكعبة آمال تقصدها الاجانب من سائر الاقطار

وهي كما تقدم مقر العلم والعرفان ومحل انتشار المعارف والآداب فقد
اشتهرت بالمكاتب العالية والمدارس الخصوصية السامية التي يقصدها الطالبون
من سائر الجهات فيوجد فيها من محلات التعليم العام والمجتمعات العلمية ما سارت
بذكره الانباء في جميع الانحاء

فالعلوم العالية ينحصرها من ذلك مدرسة العلوم ومدرسة الآداب ومدرسة

اللاهوت ومدرسة الحقوق ومدرسة الطب وكوليج ديه فرانس اي (مدرسة فرانس) وموزيوم (محل تدريس) التاريخ الطبيعي ومدرسة الهندسة ومدرسة المعلمين ومدرسة القناطر والجسور ومدرسة المعادن ومدرسة اركان الحرب ومدرسة الصيدلية (الأجزاء) ومدرسة الفنون المستظرفة ومدرسة التجارة ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الفنون والصنائع ومدرسة العلوم السياسية والمدرسة المركزية (إيكول سانترال) ومدرسة الموسيقى والفناء والمرصد الفلكي الذي قيل فيه إنه مركز العلوم الفلكية

هذا والتعليم الثانوي يختص به مكاتب عدة
أما مكاتب التعليم الابتدائي فلا يعلم عددها الا من أحصى سكان باريس
أجمع فانه يعلم حينئذ ما يلزم من المكاتب لتعليم البنين والبنات لان أمر التعليم اجباري فيها وفي سائر البلاد الفرنسية الآن

واشهر جمعياتها العلمية ال (أنستيتو) وهي جمعية مؤلفة من كبار العلماء
أقيمت لاصلاح العلوم والآداب والفنون وتنقسم الى اقسام خمسة اشهرها
الأكاديمية (محل العلماء) الفرنسية وهي أعلى ما يمتنى الانتظام في سلوكها رجال
القوم وكبار علمائهم ثم يليها أكاديمية النقش والتصوير والفنون المستظرفة وأكاديمية
الكتابات القديمة وأكاديمية العلوم والفنون وأكاديمية العلوم السياسية والأدبية ومن
جمعياتها العلمية سوى ما ذكر أكاديمية الطب وجمعية تاريخ فرنسا والجمعية الجغرافية
والجمعية الاسيوية والجمعية الجيولوجية الى غير ذلك

وبها متاحف علمية وفنية عديدة من اشهرها متحف علم المواليد وبشصل
بستان النباتات ومتحف كلويفي لللاثا والسلاح ومتحف الفنون والصنائع وهو

يشتمل على اشكال الآلات والادوات المخترعة قديماً وحديثاً ومتحف متعلقات
فن الطوبجية وبه مجموع عظيم من الآلات التي اخترعتها يد البشر لإبادة بعضهم
بعضاً ويدخل تحت ذلك جميع انواع الآلات من الفاس الحجرية الى المدافع
الجديدة المصنوعة على الطراز الأخير ومتحف معادن فرانس في مدرسة المعادن
ومتحف المسكوكات في دار الضرب يشتمل على جميع اصناف المسكوكات التي
ضربت في فرانس من عهد شارلمان الى هذه الأيام وفي المطبعة الوطنية متحف
للمطبوعات الحديثة والقديمة يتبين منه ما كانت عليه صناعة الطبع في بدايتها وما
وصلت اليه من الكمال ثم متحف اللوفر وينقسم الى دوائر متعددة سيمر عليك بيانها
وبها من ممال الكتب الكتبخانة الأهلية وهي من اعظم كتبخانات العالم
لما بها من الكتب المكتوبة بخط اليد والمطبوعة وغيرها من الآثار لا يناظرها إلا
الكتبخانة الانجليزية ثم يلي هذه الكتبخانة الأهلية كتبخانات الأرسلان
والقديسة جنيفاف والسوربون ومازارين والأنستيتو والمدينة واللوفر والدفترخانة
الملوكية هذا غير الكتبخانات المخصوصة ببعض المصالح والجمعيات (ويسهل الانتفاع
بما في هذه من الكتب بالاستئذان) وغير الكتبخانات العمومية التي احدثت
اخيراً في كثير من اقسام باريس لتكون على مقربة من الاهالي مفتوحة في ساعات
توافق وقت فراغهم من الأشغال لانتفاعهم بكتبها والاستعانة بها على صنائعهم
المعاشية واعمالهم اليومية

هذا ولم يهمل في باريس على اتساعها وكثرة سكانها امر الضعيف ولم يترك
في يوم من الايام بين سكانها مواساة المغوز والفقر فتألفت لذلك الجمعيات
الخيرية من رجال ونساء في سائر الانحاء يجمعون الصدقات ويطلبون التبرعات

فيصرونها في ادارة مركزية تعد فرعاً من فروع نظارة الداخلية تسمى بدائرة المساعدة العمومية لها مدير وديوان لتدبير عموم مصالحها وله دوائر فرعية ومأمورون متعددون لتوزيع الصدقات واعطاء المساعدات في داخل البيوت وخارجها وفي المستشفيات الكثيرة القائمة على نفقة هذه الادارة الخيرية وذلك فضلاً عن المستشفيات العمومية لسائر الامراض والخصوصية لامراض مخصوصة القائمة بمساعدة الحكومة او من طرف بعض الشركات او من احسانات بعض اغنياء الآحاد حتى زاد عدد الأسيرة في المستشفيات برسم الفقراء عن عشرين الف سرير وعدد سكان باريس آخذ في الازدياد فانه بعد ان كان في سنة ١٨٧٢ ١٨٥١.٢٩٢ نسمة صار في الاحصاء الذي حصل في سنة ١٨٨٦ (٢٣٤٤.٥٥٠ نسمة) هذا والسائح لا يسأم من اتساع هذه المدينة ولا يتعب فانه كلما سار فيها وقف على أمر جديد لم يعلمه قبل ولأن المشي بها سهل للغاية لانتظام الشوارع واتصالها ببعضها كما ان وسائل الانتقال متوفرة فيها جداً اذ بها من عربات الكراء المعتادة للركوب ما يزيد عن ١٥ الف عربية وبها غير ذلك من عربات الترامواي والأمنيبوس ما يتخلل طرقاتها طول النهار وجزءاً كبيراً من الليل بلا انقطاع حتى لا تكاد تمر بالانسان خمس دقائق في طريق من الطرق الا ويرى منها صاعداً او نازلاً وتبلغ خطوطها ٣٦ خطاً للأمنيبوس واربعين خطاً للترامواي وباريس ايضاً غير ذلك من وسائل الانتقال وابورات نهر السين تمر بجوانبه طول النهار وجزءاً كبيراً من الليل وفيها زيادة على هذا كله السكك الحديدية المحيطة بها يسهل للانسان بواسطتها سرعة الانتقال من اي جهة من ضواحي المدينة الى اي جهة غيرها

❖ أول يوم في باريس ❖

أول يوم في المعرض

نظرة اجمالية

أول شيء قصدناه في باريس في أول يوم من اقامتنا بها هو زيارة المعرض كما سبق أنه ترجع عندنا ذلك ليلة وصولنا الى باريس وكان يمكننا ان نتوصل اليه بعبرات الأمتنيوس وبالترامواي وبالوابورات التي تسير في السين وبالسكة الحديد التي تسير بمحطات الضواحي وعبرات الكراء المعتادة فاخترنا هذه

وقد سبقه معارض عمومية بباريس اهمها معرض سنة ١٨٥٥ ومعرض سنة ١٨٦٧ ومعرض سنة ١٨٧٨

وهذا المعرض قد تقرر عمله منذ شهر نوفمبر سنة ١٨٨٤ حيث صدر امر رئيس الجمهورية في ذلك التاريخ (باقامة معرض عمومي في باريس لجميع الحاصلات الصناعية بفتح في يوم ٥ مايو سنة ١٨٨٩ وينتهي في يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٨٨٩ وبأن تقبل فيه حاصلات جميع الامم) وقد ابتدئ في اعماله بالفعل في اوائل سنة ١٨٨٦

وتقدرت نفقاته بمبلغ ٤٣ مليوناً من الفرنكات بعد تنزيل قيمة المواد التي يستحصل عليها من المباني التي ستقام من اجله وتهدم بانقضاضه تحملت منها الحكومة ١٧ مليوناً ومدينة باريس ٨ ملايين والثمانية عشر مليوناً الباقية قامت بها شركة تدفعها تحت الاستيلاء عليها من العوائد التي تحصل من الداخلين فيه

وخلفت هذه الشركة شركة ثانية حلت محلها في جميع تمهّداتها وامتيازاتها ودفعت ثلاثة ملايين ونصف زيادة على مادفعته الأولى فبلغت المصاريف العمومية على ذلك ٤٦ مليوناً ونصفاً من الفرنكات

وصار تقسيم الأشياء المعروضة بهذا المعرض الى تسعة اقسام وكل قسم تحتها عدة انواع

القسم الاول الاعمال الفنية بأنواعها وهي المتعلقة بالرسم والتصوير مجسماً او غير مجسم معمولاً باليد او مطبوعاً والمتعلقة بالعمارات على اختلاف أنوعاتها .
القسم الثاني كلما تحتاجه التربة والتعليم ومتعلقات الفنون العقلية وانواعه احد عشر منها متعلقات التعليم الابتدائي للاطفال وغيرهم من الشبان ومنها متعلقات التعليم الثانوي ومنها متعلقات تعليم العلوم العالية ومنها المطابع والكتب ومنها الورق والتجليد وادوات الرسم والتصوير ومنها متعلقات الفطوغرافيا وادواتها ومنها آلات الموسيقى ومنها متعلقات الطب الانساني والبيطري والجراحة ومنها الآلات الدقيقة ومنها الخرائط والآلات الجغرافية والقسموغرافية والطبوغرافية والرسومات المتعلقة بالهندسة والاشغال العمومية

القسم الثالث أثاثات المنزل وملحقاتها وانواعه ثلاثة عشر منها الفرش العالية الاثمان والمتاهون في ثمنها ومنها متعلقات تزيين المحلات وزخرفتها ومنها زجاج النوافذ واواني البلور والزجاج ومنها اواني الفخار ومنها البسط واقمشة الفرش ومنها الأوراق المنقوشة التي توضع بالجدران ومنها السكاكين ومنها المصوغات ومنها البرونز والمعادن المصبوبة ومنها الساعات على اختلاف انواعها ومنها ادوات التدفئة وادوات الانارة بغير الكهرباء ومنها الاعطار ذوات الروائح الذكية

والقسم الرابع المنسوجات والملابس وتوابعها وانواعه احد عشر منها الخيطان
ومنها منسوجات القطن والكتان والقنب ومنها خيطان الصوف ومنسوجاته
ومنها الحرائر منسوجة وغير منسوجة ومنها الدانتيلات واشغال التطريز والحياكة
ومنها القلائس وملابس الرجال والنساء ومنها الحلى ومنها الأسلحة التي تحمل
ولوازم الصيد في البر ومنها متعلقات السياحة والاقامة في السفر

القسم الخامس حاصلات المعادن وغيرها طبيعية ومصنوعة وانواعه سبعة
منها المعادن المستخرجة ومنها حاصلات الغابات ومنها حاصلات صيد البر والبحر
وآلاته ومنها الحاصلات الزراعية غير المأكولة ومنها الحاصلات الكيماوية ومنها
الحاصلات الصيدلية ومنها الجلود

القسم السادس آلات الفنون الميكانيكية وكيفيات استعمالها والكهرباء
وانواعه تسعة عشر منها آلات استخراج المعادن وطرق استعمالها ومنها آلات
استغلال الأرض الزراعية والغابات ومنها الآلات المستعملة في الصنائع المتعلقة
بالمأكولات ومنها الآلات المستعملة في الفنون الكيماوية والاجزائية ومنها
المكينات المستعملة في الصناعات اليدوية ومنها الآلات المستعملة في صنع الجبال
ومنها الآلات المستعملة في النسيج ومنها الآلات المستعملة في خياطة الملابس
وتجهيزها ومنها الآلات المستعملة في عمل لوازم اثاث المنزل والسكنى ومنها
الآلات المستعملة في اشغال متنوعة ومنها الآلات المستعملة في صناعة العربات
وتنجيد الفرش وعمل السروج ومنها لوازم السكك الحديدية ومنها الكهرباء ومنها
الآلات المستعملة في الهندسة المدنية والاشغال العمومية واشغال العمارة ومنها لوازم
الصحة ولوازم مساعدة الفقراء ومنها ادوات السباحة وتخليص الغرقى ومنها

الآلات المختصة بفن الحرب وكيفية استعمالها

القسم السابع الحاصلات الغذائية وانواعه سبعة منها الحبوب والدقيق على تنوعها ومنها حاصلات الخبز والفطير والحلاوة على اختلاف انواعها ومنها حاصلات اللبن بانواعه والبيض بانواعه ومنها حاصلات اللحوم والاسماك ومنها حاصلات الخضراوات والفواكه ومنها التُّبَلَاتُ ومنهيات المعدة والسكر وما يستخرج منه من المربيات والاشربة ومنها المشروبات المخمرة

القسم الثامن الزراعة المعتادة وغرس الكرم وفن تكثير الاسماك وفيه اربعة انواع منها المختص بالزراعة ولوازمها من مساكن ومعامل ومنها المختص بغرس الكرم ومنها المختص بالحشرات النافعة والحشرات المضرّة بالزراعة ومنها المختص بتكثير الاسماك بأنواعها

القسم التاسع صناعة البساتين وفيه ستة انواع منها المختص ببيوت تربية النباتات وادوات البستان ومنها المختص بالازهار ونباتات الزينة ومنها المختص بالفواكه واشجارها ومنها المختص بالبذور والنباتات التي توجد في الغابات ومنها المختص بالنباتات التي تزرع في بيوت التريبة السالف بيانها

ومما ذكرناه اوضح للقارئ ما اشتمل عليه هذا المعرض من الاشياء فلم بدع شيئاً الا واشتمل على انواع منه ثم لم توجد أمة من الامم الا اشتركت في اعماله واحضرت حاصلاتها لعرضها فيه فان لم يكن بصفة رسمية فمن عند آحاد ابناءها من تلقاء انفسهم

ولا غرو في أنه يلزم لجميع هذه الحاصلات امكنة متسعة وميادين شاسعة فلذا جعل هذا المعرض في ساحة شان دة مارس وطولها نحو ١٠٠٠ متر

وعرضها نحو ٥٠٠ متر وفي سراي تروكاديرو وما اللذان كان فيها معرض سنة ١٨٧٨ واضيف اليها رصيف أوزبي على شاطئ السين (من الشان ده مارس الى ساحة دار العواجز طول ذلك ١٢٠٠ متر) وزيد على ذلك ساحة دار العواجز المذكورة ايضاً (إسپلاناډ ديزنفلید) وقدرها طولاً ٥٠٠ متر وعرضاً ٢٥٠ متراً فتكون مساحة الارض التي اقيم عليها هذا المعرض جميعها ٨٤ هيكتاراً (والهكتار عشرة آلاف متر مربع)

وهو غربي المدينة وقسم (شان دة مارس) منه على جنوب نهر السين وقسم تروكاديرو على شماله يوصل بينهما قنطرة إيناً وقسم رصيف أوزبي يتصل بالشان ده مارس من جهة الشرق ويستمر على النهر حتى يصل الى ساحة أنفليد وهي القسم الرابع

اما قسم شان دة مارس فهو اهم الاقسام ويشتمل بالاخص على معارض الفنون المستنظرة والفنون العقلية والصنائع بأنواعها والمكينات وسرايات معارض بعض الأم الخصوصية

وقسم تروكاديرو يشتمل على معارض الامور البستانية وغيرها
وقسم كيه دورسي (رصيف أوزبي) يشتمل على المعارض الزراعية
وقسم إسپلاناډ ديزنفلید يشتمل على معارض البومات والتلفرافات
ودبوان الحرية والصحة وغيرها خصوصاً معارض بلاد الجزائر وتونس وملحقات
فرانسا والبلاد الداخلة تحت حمايتها وفيه بعض القرى الوطنية من هذه البلاد البعيدة

وحيث قد عرفت الآن هذا المعرض ونقسياته ومصاريفه واتساعاته فلنذكر

لك حال زيارتنا الاجمالية فنقول

اخترنا للدخول فيه جهة ترؤكادير ولأنها مرتفعة عن جهة شان دة مارس بطبيعة ارضها فيتيسر للناظر ان يرى منها مجموع هيئة جهة شان ده مارس المذكورة فدخلناها من احد ابواب الدخول اليها (وعددها خمسة اما عدد ابواب الدخول الى المعرض جميعها ٢٢) وهي سراي عملت لمعرض سنة ١٨٧٨ على شكل ابنية الاندلس عبارة عن نصف دائرة في وسطها بناء مستدير فيه قاعة الاحتفالات والمجتمعات العلمية تعلوه قبة عظيمة وفي كل من طرفيه برج وجناحا هذا البناء من اليمين ومن اليسار متجهان نحو السين وامامه من جهة النهر محل متسع مرتفع (يسفل عنه شبه غدير مملوء بالماء متفن الصنع) وقفنا به لننظر المعرض وما فيه

فرأينا تحت اقدامنا ذلك الغدير اللطيف وحواليه بستان غاية في الانتظام والبهجة ينتهي الى نهر السين قد أعد معرضاً لما تحويه البساتين من الاشجار والازهار جمع من انواع الورد وحدها ٤٥٠٠ نوع لتخلله في بعض جهاته ابنية رشيقة ومحلات أنيقة ما زلنا نتمتع الطرف بها حتى عبرنا النهر من قنطرة إيبينا اما ساحل النهر من الجهة المقابلة لنا فقد أعد معرضاً لمتعلقات الابجر والانهر واصطفت بجوانبه المراكب والفلاثك من كل صنف

ومذ عبرنا هذه القنطرة دخلنا قسم شان دة مارس فصرنا في أهم محال المعرض

ان كان يجوز التمييز بين محال هذا الصنع المجيب والاثر الغريب واول ما يقابل المتفرج الطريق الذي سمي (تاريخ السكنى) بناء المهندس الشهير جازنييه بالي الأوبرا الباريسية وجعله موازياً للنهر يخترق هذا القسم من الشرق الى الغرب وشيد على جانبيه ثلاثاً واربعين عمارة حاكي بها اماكن السكنى

عند جميع الامم في الازمان القديمة فجاء فريداً في بابهِ لم يسبق اليه
وحيث انتهينا من النظر في هذا الطريق بمنه ويسره سرنا الى الأمام فقابلنا
برج ابفل الشهير وسيأتي الكلام عليه فمررنا من تحته بجوار الفسقية العظيمة التي
شادها المهندس سان فيكتور حتى انتهينا الى ما بعده من حدائق الشان ده
مارس

وفي وسط هذه الحدائق الفسقية ذات الانوار الكهربائية وبمبمنتنا من
الامام سراي الفنون العقابية (آرلييرو) وبمبسرتنا في مقابلتها سراي الفنون
المستظرفة (بوزار) فهما جناحان اما القلب فهو سراي الصناعات المتنوعة
(أندوستري ديرفن) وفي منتصفها على مدخلها العمومي القبة المركزية (دوم
سنترال) وسيأتي الكلام عليها

وبين كل من الجناحين المذكورين والفسقية ذات الانوار الكهربائية بناء
موازي لها اصغر من الجناحين بكثير تخصص بمعرض مدينة باريس
فاذا دخل المتفرج من باب سراي الصناعات الوسيط واستمر في طريقه
على استقامة في المشي الكبيرة التي تقسم هذه السراي الى قسمين متوازيين انتهى
به السير الى قاعة الماكينات (جاليري ده ماشين) الهائلة
اما حوالي برج ابفل ووراء طريق تاريخ السكنى فقد اقيم بها ابنية مشيدة
وعمارات فريدة أعدت لمعارض بعض امم امريكا وغيرها مما سيأتي الكلام عليه
في الزيارات الخصوصية

والجهة الغربية من سراي الصناعات المتنوعة مشغولة بمعارض بعض الدول
المشرقية مثل اليابان وسيام ومصر ومراكش والعجم وشارع مصر الذي ازمعنا

الذهاب اليه

وهذه السرايات العظيمة والعمارات الجسيمة والحدائق المنسقة والقباب المرتفعة وبرج إيفل من بينها يفخر بارتفاعه ويُعجب بحسن اوضاعه وهذه الخلائق منبكة عليها ومتواردة من كل فج إليها^(١) فضلاً عما احتوت عليه من البدائع وغرائب الصنائع مما لا يدخل تحت حصر ويوجب استقصاؤه^{التي} والحصر على انك لو رأيت ما رأيت وحددت النظر فيما استقصيت^{لا} استحسنيت^{ما} استحسنيت^{واعترفت} بما به اعترفت^{وما} انا مع هذا سأبذل الجهد في وصف ما شاهدت حسب ما استطعت في الزيارات الخصوصية التي سأجرىها بعد

هذا وقد ذهبنا الى شارع مصر بقصد اخذ المكاتيب التي نبحثها فيه والاستراحة عند صاحبنا السيد مصطفى الديب والتوجه بعد ذلك الى قسبي المعرض اللذين بقي علينا زيارتهما اليوم وهما قسم رصيف أورسي وقسم أنقلايد بالسكة الحديدية المعمولة على طريقة ديكوفيل من محطاتها الواقعة بآخر شارع مصر عازمين على قلة المكث بهذين القسمين والاسراع بالعودة الى صاحبنا الموما اليه كما وعدناه^{اللاكل} معه والتفرج بصحبته على الاحتفال الذي سيمحصل بالمعرض في ليلة هذا اليوم

(١) وقد دخل المعرض يوم افتتاحه من يدفع رسم الدخول وكان فيه ثلاث فرنكات ١١٢٦٥ نسمة سوى المستخدمين و أصحاب المحاصلات المروضة فيه ولم لا يدفعون رسماً فما بالك بمن بدخلة بعد يوم الافتتاح وقد توافد اليه الوافدون من جميع الانحاء ورسم الدخول بعد اليوم المذكور من الساعة ١٠ قبل الظهر الى الساعة ٦ بعده ورقة دخول (توكيت) واحدة قيمتها الاسمية فرانك واحد والتحقيقية لا تزيد عن ثلاثة ارباعه وفي الصباح الى الساعة ١٠ قبل الظهر وفي المساء من الساعة ٦ بعد الظهر ورفتنا اه

احتفاء لشاه العجم حيث يزان لأجله بالانوار والاضواء
 وشارع مصر هذا قامت بانشائه جمعية مالية من اعضاءها البارون ديه لوز
 والموسيو شارل ديه لسيس وتولى الاول منها مباشرة الاعمال واحضر من اعمال
 الخرط والمشيريات القديمة المعروفة بمصر عدة عديدة مما نُقِّق وضعه ومن الابواب
 المصرية العتيقة ما حسن صنعه وشاد به المنازل الكثيرة والمساكن الخطيرة
 التي رأى مناسبتها واجرى تشغيل كل ذلك حسب ارادته وتحت مباشرته
 وجعل في اوله من الشمال الى الجنوب جامعاً اقام له منارة شبه منارة جامع
 قايتهاي وبأحد جوانبه سبيلاً ثم جعل من الجانبين مساكن مصرية على الطرز
 القديم والتزم ذلك في جميعها بأن جعل الطبقة الارضية منخفضة وعلق على بعض
 ابوابها تماثيل ثم جعل في الطبقة العليا خزانات من الخشب او الحجر على الشكل
 المعروف بالقرص وجعل عليها مشرييات وبني فوق سطح هذه الطبقة حواجز
 تحجز من فوقه عن نظر المارة كمادة اهل الشرق قاصداً بذلك كله مشكلة الهيئة
 القديمة بمصر حتى انه جعل البياض مغبراً لتم المشابهة فجاء هذا الشارع غاية في
 اللطف حتى عدّه الباريسيون ومن حضر لزيارة المعرض من احسن جهاته فكانوا
 ينكبون عليه ويكثر تواردهم اليه وقد بلغت مساكنه خمسة وعشرين غير الجامع
 وجعل الدكاكين التي انشأها تحت هذه الاماكن محلات لتجار في الاشياء
 التي تصنع او تباع في مصر فخصّ احدها بصائع من مصر يبيع اصناف المصوغات
 المصرية من الذهب والفضة واشكال الحلي واسكن في دكان آخر رجلاً يصنع
 الحلوة والمرييات على الطريقة الشرقية حتى الكنافة وفي غيره صانعا يصنع قللاً
 على شكل القلل القناوية سالكا في ذلك الطريقة الأصلية التي يدبر فيها القلة

يده والآلة برجله وفي غيره بائع دخان وفي غيره بائع طرايش
وجعل بعض الشرقيين فيه فسطاطاً محل قهوة على الطراز الشرقي من ابهج ما
يرى وسير بك الكلام عليها

وأعد بيت كوك في هذا الشارع دكاناً لعرض بعض تماثيل العمارات المصرية
القديمة وتماثيل ما يستعمله في نقل السياح من اقاصي بلاد العالم الى مشاهدة هذه
الآثار في النيل من وابورات وزهبيات وصواوين وغير ذلك حتى جاء بعض
التراجمه بلباسهم المصرية من سراويل وطرايش مكتوب عليها اسم كوك
وقد أعد مكان واسع في هذا الشارع لبيع العطريات الشرقية والانتيكات
المصرية بجميع اصنافها وانواع الفخار الاسيوطي من آنية وغيرها وانواع اواني
النحاس مكتوبة ومنقوشة على الهيئة القديمة وهي تصنع بجهة خان الخليلي بمصر
والحرائر المصرية كالكريشة والملس والشاهي والقطني والملاءات باجناسها والألحاجات
والفزيات والبن والفستق والبلح والمراوح والشبكات والشيش بأنواعها وأنواع
المصوغات الشرقية الممثلة من النحاس ومن الفضة والذهب كالأساور والاقراط
والخلاخيل الى غير ذلك من انواع الحلبي المستعمل بمصر وقد صفت جميع هذه
البضائع داخل المكان وفي دواليب بدائره والمستخدمون واقفون عندها للبيع
فيدخل الزائر يحوّل ويتفرج بسائر انحاء المكان ويشترى ما اراد وهذا مكان
صاحبنا السيد مصطفى الديب

وما ادراك ما هو واحد الوطنيين المجدين المجتهدين له محل بيع اعطار
بالتربعة في مصر استحسن التوجه الى باريس في معرض سنة ١٨٧٨ الماضي
وتعهدت الحكومة له ولجميع من اراد الذهاب الى ذلك المعرض من مصر بتسفير

بضائعهم على مصاريها فلما وصلها استأجروا مكاناً تحت المنزل المصري الذي بته الحكومة المصرية هناك ووضع فيه أنواع الأعطار المصرية في زجاجاتها ولى أشكالها المعتادة عندنا فانكب عليه المتفرجون لفرابة هذه الاشياء عندهم ولانه حافظ على الملابس الوطنية اللطيفة (الجبة والقفطان الشاهي والعمامة والمركوب الاحمر) ولذ كانه تعلم من اللغة الفرنسية ما يلزم تجارته فكان يقول بهيشه هذه ويده زجاجة من عطر الورد مثلاً سأنتي مادام اي (شتي ياسيدي) إيسأنس دهرورز (عطر الورد) أون فرآن (ثمنها فرائق واحد) فباع واشترى وتفرج واكتسب

ثم عاد بعد ذلك الى معارض أخرى منها معرض حصل في قصر البلور في بلاد الانجليز ومعرض قبله او بعده بليدين من أعمال هولنده وزار النمسا والمانيا وباع واشترى فيها وعرف ما يلزمه من لغات هذه البلاد

فلما حل موعد هذا المعرض (سنة ١٨٨٩) رغب السفر فاستأجر المكان المتسع الذي ذكرناه وجعله محلاً للبيع والشراء وكان ملتقى للمصريين يجتمعون فيه ويأوون اليه فيشربون القهوة العربية من تلك القهوة السالف ذكرها ويشرب من يريد منهم الترجيلة اكراماً لهم من هذا الوطني وتصلهم برسمهم فيه مكاتباتهم

وانا وان كنا لم نبلغ القصد من وجود مكاتيب فيه من الأهل إلا انا وجدته مكاتيب من بعض الاصحاب دلتنا على اخبار الوطن وقرأنا الجرائد المصرية فيه فافادتنا حالة مضرنا بعد ان فارقناها وحظينا فيه بلقياً كثير من المصريين السائحين مثل حضرة الوجيه الماجد حسن بك مذكور وحضرة عثمان فهمي بك مدير البحيرة حالاً وكان وكيل محافظة مصر وقت ذاك والرحوم ابراهيم بك زكي

قاضي محكمة الاستئناف الاهلية ورأينا من المقيمين في باريس من المصريين للعلم والدراسة حضرة الفاضل احمد شفيق بك رئيس قلم ترجمة الديوان الخديوي الآن وحضرتي جميل بك ثابت وعزيز بك ثابت نبلي الأمير الجليل سعادة ثابت باشا رئيس الديوان الخديوي وقت ذاك وهما من وكلاء النائب العمومي الآن لدى المحاكم الاهلية والمختلطة

واذ كان ملتقى المصريين كما قدّمناه شرفه صاحب السمو والاجلال ولي عهد الحكومة المصرية وقت ذاك وهو الآن خديونا الافخم المتخلي باسمه الكريم هذا الكتاب ومعه صاحب السعادة والسيادة البرنس محمد علي بك اخوه الماجد وقد زينته صاحبه باحسن الزينة من الفرش والحرائر والسجاجيد والنجف والفوانيس تحفها البيارق والرايات اجلالاً لها وسروراً بتشريفها وتنزلاً بأن تعاطيا فيه القهوة تشجيعاً لصاحبه وجبراً لحاطره وجباً في اهل الوطن ومراعاة لجانبهم يصحبها في هذه الزيارة رئيس الوزارة الفرنسية ومدير المعرض وغيرها من كبار الفرنسيين وعظماهم

وجديرٌ هذا المكان أن يزار فياجبذا لواقفتي اثر صاحبنا هذا اخواننا المصريون في الإقدام والمهمة والنشاط والخروج الى البلاد الاوربية ابتغاء التجارة والكسب والتفرج عليها ومعرفة عاداتها واحوالها وتجاراتها حتى يكون لم خبره بطرق التجارة والكسب ويأخذون عند عودتهم من هذه البلاد ما يلزم لتجارهم ويروج في بلادهم اذ يجدونه فيها بأنمان اقل من التي تباع السامرة لم بها عندنا ويجدون انواعاً كثيرة يتخبون منها ما يناسبهم وربما كان بعض ما يأخذ السامرة منهم او التجار المتوسطون هنا بينهم وبين تجار اوربا كافياً لمصاريف السياحة

فيكونون اكتسبوا التنزه ومعرفة احوال البلاد وتحصلوا على متاجرهم بثمن اقل من الثمن الذي كانوا ينفقونه فيها بمصر

وحقيق بنا ان نترك الكسل والاصرار على عدم الخروج من أوطاننا ويا نم ما لو اشتغل بذلك الأغنياء منّا فبثوا في الناس روح الكسب بالسعي في مشارق الارض ومغارها

فهذا صاحبنا اشترك هو وابن اخته السيد محمد الديب مع اثنين آخرين في تأسيس هذا المكان الذي ذكرناه ومكان مشرقى آخر بهذا المعرض في الشارع المذكور وجعلوا رأس مال الشركة ٨٠٠٠ جنيه فحل علمت ما ربحوه بعد جميع المصاريف كما علمته من صاحبي هو كما اخبرني عشرون الف جنيه ربحوها ربحاً صافياً بعد الاستحصال على رأس المال وجميع ما صرفوه وبعد استيادتهم مبلغاً قدره ٣٠٠ جنيه احتياطاً بأحد البنوك لمصاريف دعوى اقاموها ضد البارون دة لوز ولم تنته الى الآن فخص صاحبي وقريبه ١٠٠٠٠ جنيه وخص الشريكين الآخرين ١٠٠٠٠ جنيه مثلها

وحرّى هذا الشارع الذي انتقل بنا الى هذه الافكار الحسنة ان نعود اليه بالذكر وهو ان منازلهم ومشيئاتها والبائعين فيه والبضائع التي يعرضونها للبيع كلها مصرية فكاننا الواحد منا بمصر في شارع من شوارعها القديمة مزدحم بالأجانب غاية الازدحام

فان انتقل بالزائر الفكر نظراً لكثرة الأجانب به الى انه ليس في مصر بل في طريق من بلاد أخرى تشابه مصر وصرف النظر عن جميع ما قدمنا فانه لا يستمر طويلاً في هذا الفكر عندما يسمع كل من جهة الحمارة تصيح "يمينك

شمالك باءم

وذلك لأن البارون ده لورز أحضر خمسين حماراً أيضاً بجائتها التي تُكرى بها في مصر ومعها خمسون حماراً وما يلزم لذلك من القصاصين والبياطرة وصانعي البراذع لاصلاح ما عساهُ يفسد منها وجعل اجرة الركوب من الشارع الى نقطة قريبة منه فرنكاً واحداً فلم تكن الحمير تستريح دقيقة واحدة من النهار والليل لشدة اقبال الناس عليها حتى اضطر مأمور المعرض العمومي لأن يُصدر له قراراً مقتضاهُ ان لا تُركب هذه الحمير إلا في ساعات معلومة من النهار ليس الاً مراعاة لنظام المعرض الداخلي ولكن البارون ده لور لم يخسر شيئاً فان حميره استراحت ورجاله في مسافة البطالة هذه وماليتُهُ لم تتغير فقد جعل رسم الدخول الى الاصطبل الذي به هذه الحمير نصف فرنك فلا تسل عن ازدحام العالم عليه وتوارد هم اليه فكانوا يدخلون فيرون الحمير مرصوفة على طوايلها والحمارة جالسين يطبلون على الدربكة ويضربون بالدف ولم جلبة عظيمة فيقفون بعض دقائق وينصرفون ليدخل غيرهم

ولترك الحمارة مع حميرهم الآن ولنرجع الى ما كنا قصدناه من زيارة القسمين الآخرين في المعرض ونركب لذلك سكة حديد ديكوفيل

وهي سكة عملت داخل المعرض لتسهيل الانتقال فيه من احدى جهاته الى الجهة الاخرى لزيادة اتساعه كما تقدم (فهي من وسائل مساعدة الزائرين كالكراسي ذات العجلات التي جعلت لجلوس النساء والشيوخ ممن لا قدرة لهم على المشي الكثير ليتفرجوا على المعرض من غير مشقة وهي اشبه بالعربات المبعولة عندنا للاطفال يدفعها السائق من الخلف) اعطي امتيازها للموسيو ديكوفيل

فسميت باسمه وهذا المسبوق له ورشة عظيمة مخصصة بصناعة امثال هذه من السكك الحديدية الضيق ما بين قضيبها التي تنقل من جهة الى اخرى وهي كثيرة الاستعمال عند الجيوش في حال انتقالها لنقل مهماتها واثقالها اذ أن قضبانها توضع كما هي بدون عملية اخرى وتستعمل ايضا من طرف نظارة الحرية الفرنسية في الطوابي والقلاع لنقل المدافع وتركيبها

وقد جعلت من درجات الركوب فيها اثنتان احدها اجرتها نصف فرنك والثانية اجرتها ربع فرنك مها كانت المسافة وطولها من مبدئها احد اطراف المعرض الى الطرف الآخر ثلاثة كيلومتر ونصف وجعل لها خطان من الحديد الصلب يقوم الوابور من كليهما في كل عشر دقائق مرة من الصباح الى نصف الليل فتكون المرات مائة وتسعين ويقطع المسافة من المبدئ الى النهاية في ٢١ دقيقة مع ما في ذلك من مسافات الوقوف في محطات ثلاث وقد استلزم ذلك خمسة عشر وابورا وكلها تسير بقوة الكهرباء

فسرنا في هذا الطريق وكان الوابور يمشي المهيئ في اطراف المعرض والطريق محفوف بمحاجزين من الجانبين وكان تارة يمشي فوق القضيب على الارض المعتادة وتارة تحت الارض وطورا تحت بعض البيوت وحواجز الجانبين كلها اعلانات مكتوبة بسائر لغات العالم مشرقية وغربية بخط جلي بالتحذير من ان يخرج الراكب رأسه من العربة حال سير الوابور لكيلا يصادفه غصن شجرة او غيره فيتأذى له منه ما لا يحمد الا اللغة الالمانية فلم يكتب بها اعلان نظرا للتنبيهات التي اصدرها البرنس بسمارك وقت ذاك بالتضييق على الالمانيين والتحرير عليهم في الحجيء فكأنما الفرنسيين يقولون حيث انه لا يحضر احد من الالمانيين في معرضنا

اتباعاً لتنبهات حكومتهم الرسمية فلا حاجة الى تحذير قوم لا يحضرون من خطر لا يتعرضون له لذلك

فنظرنا في الطريق بغض مواضع كي دُونسي وهو الرصيف التي تشغله معارض الزراعة والحاصلات الغذائية واستمر بنا السير حتى وصلنا الى إسبلا نَاد دِيرَ انثايد (ساحة دار العواجز)

وهذا القسم نقسمه طريق متسعة جداً الى شطرين شطر على يمين السائر واهم ما فيه معرض نظارة الحرية ومعارض الصحة والمياه المدنية والاقتصاد الاجتماعي وما يتبعه من المساكن التي هي من احسن ما يُعد لسكنى العملة وشطر على يسار السائر خصص بمعارض المستعمرات الفرنسية والبلاد الداخلة تحت حماية فرنسا واوله من جهة السين سراي معرض الجزائر وقد جعلت على هيئة جامع سيدي عبد الرحمن بعاصمة الجزائر وسراي معرض تونس وقد جعل قسم منها على شكل جامع سيدي ابن عروس بتونس والمأذنة والقبة على شكل جامع سيدي عقبة بالتيروان ثم سراي أنام وثونكين وفي مقابلتها سراي كوشنشين وبينهما سراي الملحقات الفرنسية ووراء ذلك قرى وطنية بنيت على الحالة التي تكون عليها في تلك البلاد يسكنها أناس من اهلها الحقيقيين

وهذا القسم على عموميه وخصوصه غاية في الجمال ونهاية في النظام لاسيما ان سرايات المعارض التي ذكرناها فيه يحرسها عساكر من اهلها لابسون لباس الحرب الذي هيأ لهم به الدولة الفرنسية فضلاً عن ان اكثر هذه الاماكن صنعها عملة وطنيون حضروا من تلك البلاد البعيدة على مصاريف الحكومة الفرنسية لتستدل بأعمالهم على تأثيرها في تلك الاصقاع من حيث ادخالها في اهلها

المعارف والصنائع

وما بلغنا هذا المبلغ من التفرج إلا وقد دخل علينا الليل يصحبه الجوع لمضي زمن طويل من وقت أكلنا في احد محلات المعرض وقت الظهر فعدنا بالسكة الحديدية الى شارع مصر

ولا يُظن ان صلاة المغرب حصلت في الجامع الموجود فيه أو أن الاكل كان في الطبقة التي تعلو محل تجارة السيد مصطفى الديب اما من جهة الجامع فلأن هيئته هيئة جامع من الخارج ليس إلا اما من الداخل فهو قهوة جعلت لراقصات مصريات وعبيد ترقص ودراويش تدور أوجدها البارون ده لور لما رآه من انكباب الناس على القهوة التي جعلت في آخر الشارع من الطرف الآخر في فسطاط كما تقدم

واما من جهة الطبقات التي ترى انها تعلو هذه الدكاكين فذلك من الخارج ايضاً والواقع انه ليس وراء الحائط الخارجي شيء مع انه يُخيل للناظر غير ذلك فاكلنا في محل التجارة بعد ان أغلقت ابوابه من جهة الطريق باقبال الليل والأطعمة احضرتها طاهية من اهالي تلك البلاد استأجرها صاحبنا للخدمة والطباخة وعوّدها على نهية الطعام بأقرب ما يمكن من الأسلوب الشرقي فاكلنا أكلة شرقية مع شرقيين في محل شرقي من سكة مشرقية

وقمنا بعد ذلك للتفرج على الاحتفال باستقبال شرقي وهو سمو شاه العجم حيث يستقبل في هذه الليلة استقبالا رسمياً بالمعرض

وذلك انه حضر بباريس يوم الثلاثاء الماضي ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٩ فاستقبله على المحطة رئيس الجمهورية مصحوباً بالوزراء وامراء الجيوش واصطف له المسافر

في الطرق التي مر منها حتى وصل الى سراي كوبرنيك وقد أعدت لاقامته ضيفاً عند الحكومة الفرنسية

واحتفل القوم به عظيم احتفال لأنه أول ملك زار هذا المعرض من ملوك العالم المتمدن فأعد له رئيس الوزراء وليمة في اليوم الثاني لوصوله عقبها ليلة باللو واعد له رئيس الجمهورية وليمة في اليوم الذي بعده عقبها باللو أيضاً وهذه الليلة الثالثة (٢ اغسطس سنة ١٨٨٩) أعد له هذا الاحتفال في المعرض وصار تزيين البرج بمواد كيماوية ترى كاللهب فيه كأنه يحترق وتورت جميع محلات المعرض وضيئت الفسافي الكهربائية بأنوارها البهجة وفي الليلة الآتية تعد له ضيافة بنظارة الخارجية ويتبعها ليلة باللو وفي التي بعدها تسمعه الموسيقى العسكرية ألحانها في (سراي الصناعة) في (شانز بليزيه) وفي التي بعدها يتفرج على الإيدروم والتي بعدها يتفرج رسمياً بتياترو الاوپرا

والشاه جدير بهذه الاحتفالات فانه محبوب في بلاده عادل في رعاياه محب لخبرهم باحث عن راحتهم حكم فيهم منذ تسع واربعين سنة

ولم تكن الساعة التاسعة بعد الظهر حتى تم احتشاد الناس وكثر تواردهم الى ان غصت بهم الساحات والمنزهات وقد حضر الكثير منهم نهراً تفادياً من دفع اجرة الدخول في المساء وقد جعلت من الساعة السادسة بعد الظهر عشرة اوراق دخول (تيكيت) واحضروا معهم ما يأكلون تخلصاً من اثمان أطعمة الفنادق الباهظة فقد حكى بعضهم انه احتسب عليه فيها ثمن الصنف الواحد عشرة فرنكات فأكلوا في حدائق الشان ده مارس

وكان المنظر بهجاً لا يقدر ان يوفيه القلم حقه ولا البيان وصفه فهذا برج ايفل

فضلاً عما تزين به من الانوار في طبقاته جميعها صار إلهاباً واشعالة بمواد كياوية
يخال الرائي انه محترق وكله لهب فياله من منظر لم ير أبهى منه ولا الطف ولا
أبدع ولا أظرف ولا أحسن ولا أبهى ولا أجمل ولا أزهى

وهذه القبة المركزية وبابها والثروكادير ووبرجاء وسائر العمارات منارة
بأحسن الانوار وضوءها يبهير الأبصار متشكلة بغريب الاشكال متلونة بالوان
الحمال من الغاز والكهرباء مما لم يسبق نظر مثله في انحاء المعمورة وهذه الحدائق
مزدانة بالقوانيس على اشكال حسنة وتنظيمات مستحسنة وهذه الفساقى المنورة
بالكهرباء وما يرى بها من انعكاس النور في الماء تبهر العقل فترى الماء عند انصبابه
وتدفعه وانكابه يتلون بأحسن الالوان ويتشكل بأشكال حسان

وقد حضر الشاه في الساعة التاسعة ومشى بالمعرض نحو ساعة تفرج فيها على
الزيينات والاحتفالات فأحسن القوم ملاقاته وكثيراً ما أبدوا له علامات
السرور على حضوره لديارهم

ورأيناه من احدى النوافذ على كثرة الزحام وتراكم الأقوام واذا به متوسط
القامة قريبها الى الطول ذو شارب وسبائين غلاظ حليق اللحمية ابيض اللون
لابس قلنسوة بلاده وعليها قطعة كبيرة من الالماس

ومكثنا بعد انصرافه مدة طويلة نمتع النظر بما نراه من الأنوار الزاهية
والاضواء الباهية والاشكال البديعة اللطيفة والمناظر البهجة الظريفة جالسين على
كراسي استأجرناها بقرب تلك الفساقى البهية وننظر ما حولنا حسب مد البصر في
جميع الانحاء الزاهية بالأزهار والاضواء

فلعمري لو نظرنا امرؤ القيس لعمل فيها المعلقات وترك وصفه للمنازل

والعرصات او شام برقها نابغة ذبيان لنظم فيها القصائد الحسان او شاهدها قس
اياد لكان له في وصفها الأياد ولورأها سبحان وائل لفضلها في الحسن على
الاولائل ولو ابصرها قدأمة او البديع لأطنبا القول في حسن هذا الصنيع
ثم آن اوان انصراف الناس وشرع في اطفاء بعض المصابيح ومع ذلك
لا تسمع انفسنا بالخروج عن هذه الملاذ ونتمنى ان لو طال الليل الى ان اضطرنا
الحال الى التوجه اخيراً فخرجنا نبحث على عربة توصلنا الى الفندق فما وجدناها الا
بعد جهد جهيد وبحث شديد فركبناها بخمسة اصعاف التعريفة والمعتاد الى ان
وصلنا الفندق



﴿ ثاني يوم في باريس ﴾

اردنا في هذا اليوم (السبت ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩) ان نتفرج وسيدي
الوالد على باريس وننظرها نظرة اجالية نعرف بها اجمالياتها تاركين دخول ما اشهر
من الاماكن وروية ما بها الى فرصة ثانية فاكثرنا لذلك عربة في الصباح وعرفنا
السائق بأن يسلك بنا طريقاً ييناؤه له فسار بنا كما ستراه

خرجنا من الفندق الساعة التاسعة صباحاً ومشينا قليلاً حتى وصلنا ميدان
باليه رويال (السراي الملوكة) فسلطنا طريق ريفولي مارين على برج سان
جاك ودار الحكومة البلدية (أوتيل ديه فيل) ثم سكة سانت انطوان الى ميدان
الباستيل (القلعة) القائم في وسطه كولون ديه جويليه (عموديوليه) ومنها الى
جران بلواز (الشوارع الكبيرة) فمررنا منها على بلوار بومارشيه وعلى بلوار
ده تامبل (شارع المبد) وعلى رحبة الجمهورية وعلى بلوار سان مارتان وبلوار

سان ديني وبلوار بون نُوفيل وبلوار پُواسُونيِر وبلوار الطليان ثم ميدان
الأوبرا وكان على يميننا والطريق المسمى أُوينُودُولُوبيرا (طريق الأوبرا) على
يسارنا وهو متجه من هذا الميدان الى ميدان التياترو الفرنسي فتفرجنا حوالي
الأوبرا من الخارج وعدنا الى ميدانه حيث ابتدأنا ومررنا في طريقنا الذي أتينا
به من شارع الايطاليان قاصدين باقي الشوارع الكبيرة فمررنا ببلوار كاپوسين ثم
بلوار مادلين ثم ساحة كنيسة المادلين فتفرجنا على الكنيسة المذكورة داخلاً
وخارجاً ومن هذه الساحة نزلنا على اليسار فمررنا بالسكة الملوكة (رُويال) حتى
وصلنا الى ميدان لاكُونكورد (الوفاق) ومررنا حوالي مسلة كليوبطره القائمة
هناك واتجهتنا الى اليسار حيث رأينا منتزه الشانزليزيه العظيم الاحكام البديع
النظام وسرنا فيه حتى وصلنا الى باب النصر (أرك دُه تِرِيُونف) القائم على ميدان
إِتُوَال (الكوكب) فتفرجنا عليه وصعدنا فوقه فاستطلعنا تلك المناظر اللطيفة
التي سيأتي عليك بيانها مع غيرها في آخر هذا الفصل ثم عجبنا متجهين نحو نهر السين
فمبرناه على قنطرة (أَلما) ووصلنا شان ده مارس حيث المعرض كما سبق في الفصل
المتقدم ولم ندخله بل مررنا من الخارج لرؤية الجهات القريبة منه ومررنا على
أوتيل ديزنغاليد (دار العواجز المتقاعدين من العسكر) واتنينا الى سكة جرُونيل
فوصلنا بلوار سان جرمان ومنه وصلنا سكة بوناپارت ومررنا بكنيسة سان سوليس
حتى وصلنا سراي لُكسَمبُورج واجتزنا حديقته فتذكرت العهد القديم مذ كنت
بباريس مدة دراستي بها فاني كنت معتاداً على التنزه فيها بعد الفراغ من الدروس
آخر النهار فكانت محل نزهي مع اخواني وأحبائي وخلاقي فتأثرت من تذكرولك
الاخوان وما كان لي معهم من محاسن الحديث وأحاسن الألفة وروابط الود والحب

وجال تفكري في تفرقنا بعد الاجتماع وتشتتنا في سائر البقاع وعرفت سيدي
الوالد بذلك وما كنا عليه فيها مع الاخوان ومازلنا نتنزه بها حتى خرجنا منها وكنا
وجهنا العربية الى سكة صوفلو فقصدناها وسرنا بها حتى وصلنا الى ساحة
(بانتيون) وعن يسارنا مدرسة الحقوق التي كان تعليمي بها وعن اليمين قسم
البلدية الخامس فدخلت المدرسة لتشوقي اليها فان لها ولعلميها الفضل علي وقد
مضى لي منذ فارقتهم أحد عشر عاماً واني ما عشت اذكرهم بالثناء الجميل ولم
اتجاوز صحن الدار لعدم وجود أحد فيها من الأساتذة والتلامذة لانقضاء مدة
الدراسة السنوية وقصدنا منها سكة كرونيال لموان حيث كنت ساكناً مدة اقامتي
بباريس لأرى المنزل الذي كنت ساكناً به وأريه لسيدي الوالد فلما وصلناه
ارته أياه من الخارج وعرفته الغرفة التي كنت ساكناً بالطبقة الثالثة منه وأريته
خرجة الغرفة التي كنت ارى منها سكة كرونيال المذكورة وسكة مونغ حيث
كانت دارى على تقاطعها تقريباً بعمرة ٥٩ واذا بالشباك مفتوح وحال الهل على
ما كان عليه قبل ولكنني لم ادخل المنزل لانه بلغني ان صاحبه الاولى تغيرت
وقصدنا من هنا سكة مونغ فشارع سان جرمان حيث سرنا جهة الغرب الى ان
التقينا بيلوارسان ميشيل فالتفتنا الى جانب متحف كلوني بسكة سؤمرار حيث
الفندق الذي كنت آكل به آخر اقامتي بباريس فسررت لرؤيته بعد غيبي
عنه المدة الطويلة وكانت محادثتي مع سيدي الوالد المسافة كلها في الأيام الحالية
وانا بباريس وقت الدراسة وفي صفاء تلك الأيام وخلو البال من الشواغل
والانكباب على الدراسة والتفكير في اتمام ذلك والعودة الى الوطن بخلاف حالنا
الآن من شغل الفكر فيما كان لا يخطر ببالنا وقتذاك وشرنا القهوة في الهل الذي

كنت متعوداً شربها فيه مدة الدراسة بآخر بلوارسان ميشيل تجاه الفسقية المشهورة هناك واخذنا في الحديث بشأن هذه الجهة اي الجهة اليسرى من السين المعروفة بـ (كارتييه لآتآن) وأنها مقر المدارس العالية وغيرها من محلات التعليم والتدريس وانها مسكن التلامذة من الفرنسيين ومن يقصد فرنسا من سائر بلاد العالم فيعيشون فيها عيشة راضية يقضون اوقات الدروس في الاستحصال على نفائس المعلومات وبعد الفراغ منها يتنزهون في منزله لكسمبرج وما جاوره من المتنزهات ويتآسسون بمن يريدون في القهاوي وبها يظالعون الجرائد ويعرفون الأخبار وهم في اثناء ذلك يروضون انفسهم بالمداعبة مع عدم الكلفة وكال الحرية فتراهم ضاحكين فرحين مستبشرين وربما ارتفعت اصواتهم احياناً الى درجة يظنها من لا يعرفهم ولا يقدر اعمالهم العقلية حق قدرها انهم مجانين اوسكارى وليسوا كذلك بل المقصود رياضة أذهانهم وإيراحتها من أتعاب الأفكار في العقلات حتى يأتوا دروسهم وهم بفاية النشاط والشوق اليها

على ان التلامذة ليسوا على حالة واحدة من انتظام الحال والاستعانة بالرياضة والتنزه وإراحة الذهن على النشاط والتوجه الى استحصال العلوم برغبة وهمة بل منهم من تكون لم الرياضة والتنزه سبباً في التعطيل عن الاشتغال بالعلم والدرس فانهم جعلوا ذلك محط انظارهم فترى الواحد منهم يقضي السنين العديدة والاحقاب المديدة وهو لم يتزحزح عن سنته الاولى الدراسية ولم يتقدم عنها خطوة واحدة فهو فيها للسنة الخامسة عشرة تواليه اهله مع ذلك بالمصاريف لغناهم واقتدارهم وتفهمهم اياهم بانها كره على الدرس وانكبابه على المطالعة وهو منهمك لا على الدرس بل على اللهو واللعب ومنكب لا على تحصيل العلوم بل على استصحاب

الفتيات اللطيفات مقسم اوقاته نقاسيم منتظمة في غير الدروس ساهر ليله في غير
المطالعة فهو يخرج في الصباح فيذهب الى قهوة معلومة يجد فيها من هم على شاكلة
من اخوانه فيقضون الصباح في اللعب والشرب حتى يأتي وقت الغداء فيتوجهون
الى محل الطعام الذي اعتادوه ويخرجون منه الى قهوة لتعاطي القهوة واللعب
بالورق حسب ما يسمح به الوقت ولو في نظير ان المخلوب يجعل ثمن القهوة على
حسابه (قلت على حسابيه ولم اقل يدفع فان هذه القهاوي بفتح فيها حساب
لهؤلاء الطلبة يقيد فيه ما يشربونه تحت دفعهم بعض شيء من ثمنه في آخر كل
شهر فيقيد صاحب القهوة في حسابهم ما اخذوا وربما قيد عليهم ما لم يأخذوه
وهيات ان يدفعوا له ما اخذوه بالفعل) ثم ينتشرون للتنزه في ضواحي المدينة
وفي متزهاتها وبعودون وقت طعام العشاء وبعده يتوجهون الى محلات الشرب
فيتقابل الواحد فيها مع امثاله ومن يحب فيقضون ليلهم في لعب ولهو وصباح
حتى يقرب او يصبح الصباح فيعيد ما كان عليه في الأمس وهكذا دأبهم على
الدوام في جميع اوقات المقام

هذا ولما طال بنا الجلوس في هذه القهوة واسترحنا وقد امتغرق منا الحديث
زماً طويلاً تركناها وعبرنا من نهر السين على قنطرة سان ميشيل الى جزيرة
لاسيبتيه وسرنا فيها بشارع سراي الحاكم حتى وصلناها ثم جاوزناها وهي عن يسارنا
ومحكمة التجارة عن يميننا حتى فارقنا الجزيرة المذكورة وعبرنا باقي السين ثانية
وصرنا في الجهة اليمنى منه بساحة الشانليه على يميننا تياترو الأوبرا كوميك وعلى
يسارنا تياترو الشانليه وسرنا قليلاً حتى وصلنا برج سان جاك الذي سبق لنا المرور
عليه في ذهابنا واذا بنا في طريق ريفولي فأخذنا على يسارنا ومررنا أمام مخازن

اللوثر الكبيرة حتى وصلنا لجنيئة سراي التويلري فاثنتينا على يسارنا في طريق
كستجليون الى محل اقامتنا وكان الوقت وقت الغروب فاسترحنا وبعد مسافة
تعشنا وامضينا الليل في مطالعات تتعلق بما سنتفرج عليه في اليوم التالي من الآثار
كلعتاد كل ليلة ليسهل علينا معرفة ما نقصده

وقد رأيت بعد الفراغ من تعليق ما كتبتُه اجمالاً في هذا الباب ان اذكر في
الايام الآتية كلما اقف عليه بالتفصيل من جميع الأمكنة التي اراها ليكون
القارئ منها على بصيرة حتى لا يضيق ذرعاً من الاجاليات والتعداد من غير
تفصيل ويكون في غنى عن ان تكون خريطة باريس بمرأى منه ويكون ما كتبه
له كالرفيق في هذا الطريق

وها انا الآن اكتب بيانات وتعليقات تختص بما رأيناه من الآثار في هذا
النهار

(طريق ريفولي) هو من اهم شوارع باريس بعد (البلوارات الكبار) وتمر
بين ميدان بابل رويال وسراي اللوفر فيبتداً من ساحة كونكورډ ويتهي للطريق
المسمى سانت انطوان وهو مواز لنهر السين طوله نحو ثلاث كيلومتر وسمي بهذا
الاسم تخليداً لذكر واقعة انتصر فيها نابليون بوناپارت على النمساويين بناحية
ريفولي سنة ١٧٩٧ وقد ابتدئ في عمارته سنة ١٨٠٢ فانتهت سنة ١٨٦٥
وعمارته متشابهة في البناء والجسامة تحفها ترنوارات مغطاة بسقوف تحملها عمد
(كالتي بعمارة البوسنة القديمة بالازبكية عندنا) من ميدان الكونكورډ الى طريق
لوفر على امتداد ١٤٠٠ متر وكله في هذه المسافة مشغول بدكاكين كبيرة غاية
في الزخرفة وبفنادق من الدرجة الاولى ومن اشهر العمارات التي بجانبه سراي

اللوثر الملوكية من جهة اليمين للآتي من رحبة الكونكورد ونجاها مخازن اللوثر الكبيرة

(برج سان جاك) هو برج كنيسة قديمة بني معها (من سنة ١٥٠٨ الى سنة ١٥٢٢) ارتفاعه ٥٣ متراً ثم هُدمت وكان التصميم على هدمه معها لولم تشتريه مدينة باريس فجددته وحفظته من الاندثار وكان لمدة قريبة يقصده السياح لمشاهدة باريس من أعلاه لارتفاعه ووقوعه وسط باريس ولكنهم منعوا عنه الآن منذ خصص بعلم الحوادث الجوية واتخذ معملًا للكيمياء والطبيعة

(أوتيل ديه فيل) اي دار الحكومة البلدية هي عمارة من أحسن عمارات مدينة باريس واهمها أعيد بناؤها حديثاً على شاكلة الدار التي كانت قبلها وموضعها وقد احرقها حزب الكومون سنة ١٨٧١ انما هذه اوسع من التي قبلها واثقن منها في النقش والزخرفة وهي بناء هائل على طراز عمارات القرن الخامس عشر تتألف من كثير من المحلات ذات القباب معمولة على هيئة أبراج القرون الوسطى تعلوها الرواشن ومنافذ المداخل وهي منفصلة عن الطرقات المحيطة بها بدرابزين من حديد يليه خندق يصل منه النور الى طبقتين مبنيتين تحت الارضيه منها وهذه الطبقة الارضية تحيط بها اعمدة مربعة الشكل بخلاف الطبقة التي فوقها فإنها محاطة بأعمدة مستديرة عالية

وأهم ما في هذه العمارة منظراً وجهتها الأصلية التي على الميدان المسمى باسمها وتنقسم هذه الوجهة الى ثلاثة اقسام الوسط منها بارز عن الآخرين وهو ذو ثلاثة أبواب أوسطها الباب الاصلي وعلى جانبيه صور مصنوعة من البرونز تمثل العلم والصناعة وقد جعل في الطبقات العليا من الوجهة صفف متجهة فتحاتها الى

الخارج وُضع فيها كثير من تماثيل مشاهير الرجال وغيرها من الصور المجسمة التي تمثل بعض المدن الفرنسية ويوجد في وسط هذه الوجهة ساعة غاية في الاتقان يحيط بها سبع تماثيل ويعلمها قبة صغيرة فيها جرس الساعة حولها تماثيل عديدة فيبلغ عدد التماثيل التي تزينت بها هذه الوجهة نحو المائتين

وبداخل هذه العمارة محلات متسعة وأبنية متعددة مخصوصة بمصالح المدينة كافية لاحتياجاتها العديدة أهمها قاعة جلسات المجلس البلدي

ولهذه الدار شهرة كبيرة ومدخل عظيم في التاريخ الفرنسي فانها كانت تجتمع فيها احزاب الثورة الخارجون على الحكومة ايام الانقلاب الاول الذي تم في سنة ١٧٨٩ كما أنها اجتمعت فيها الاحزاب بمناسبة الانقلابات التي تمت بعد الثورة العامة المذكورة وقد أوى اليها لويس السادس عشر لما رجع من فرنسا من رأى نفسه محاطاً بالاهلين ولم يسكن جاشم الأبعد ان شارفهم من احدي نوافذها فرأوا العلامة ذات اللون الثلاثة التي صنعها له لافاييت والفها من اللون الابيض الخاص بعائلة البربون ومن اللونين الازرق والاحمر الحاصين بمدينة باريس وكانت هذه الدار مركزاً لبعض الحكومات الفرنسية حتى ان حكومة الكومون اتخذتها مقراً لها واحرقتها لما طردتها منها العساكر المنتظمة في سنة ١٨٧١

السالف يانها

وليدانها ذكر لا ينسى في التاريخ وان كانت تجدد بذكرها الاحزان فكم أعدمت فيه أناس بالاحراق والقتل والشق بامر الحكومات الملكية لجرائم سياسية وبأمر رجال الثروة ايام الاختلال

(ميدان باستيل) اي القلعة سمي بهذا الاسم لأنه كان محل قلعة من قلاع

السور القديم الذي انهدم وبقيت لدفع هجمات سكان قسم سانت انطوان عن المدينة اذا دعت الضرورة الى ان صارت بمرور الأزمته سجنًا تحبس فيه الاكابر الذين يتهمون بجرائم سياسية وتسجن فيه كبار الشريرين وصارت بعد ذلك يودع فيها من لا ذنب له من الناس الأمعاداته للمقربين او كراهته للاستبداد والمستبدين بمجرد ابراز امر من الحكومة وبدون ادنى تحقيق ومن غير ان تصدر بالحبس احكام فكانت هذه القلعة مطمح أنظار انتقام الثائرين حتى انهم بمجرد اشاعة سمعوها من أن من في القلعة يستعد لهاجمة قسم سانت انطوان المذكور قصدوها بعدد لا يحصى ورجعوا الدخول فيها فلما استشعروهم حفظتها أغلقوا الأبواب ورفعوا القناطر التي يمر عليها ولكن الثائرون تغلبوا عليها ودخلوها عنوة فقتلوا من لم يتيسر له النجاة من حراسها انتقاماً لمن قتل منهم في دخولها وأخلوا سبيل الحبوسين فيها ظلماً وهدموها عن آخرها فكان تاريخ استيلائهم عليها (١٤ يوليو سنة ١٧٨٩) مبدأ نحو الاستبداد وقطع آثار الظالمين وفتاحة الاصلاحات الجديدة ولذلك صار يعد عيداً وطنياً عند جميع الفرنسيين

(عمود بُولِيَّة) هذا العمود القائم وسط الميدان السالف ذكره أُقيم (من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٨٤٠) تخليد الذكر من قُتِلوا في ثورة يولييه سنة ١٨٣٠ وارتفاعه ٤٧ متراً وهو قائم على اساس مستدير من الرخام الأبيض يعلوه قاعدة مربعة على اطرافها كثير من الصور والتماثيل كتمثال العدل والقانون الاساسي والقوة والحرية الى غير ذلك وساقه مصنوع من البرونز قطره اربعة امتار منقوش على جوانبه اسماء من ماتوا في واقعة يولييه المذكورة وعددهم ٦١٥ وفوق تاجه صورة من البرونز المذهب تمثل الحرية واقفة على احدى قدميها وباحدى يديها مصباح

التمدن وباليد الثانية سلاسل الاسترقاق مكسورة مشومة
ويمكن الصعود لأعلى العمود بواسطة سلم درجه ٢٣٨ درجة فيرى الانسان
منه جميع الجهات المجاورة ويمكن النزول لأسفله فيمر بالازل بين قبور قتلى يوليه
السالفين وغيرهم من تلاحم من القتلى السياسيين

(جران بلواز) اي الشوارع الكبيرة - سبق لنا في الفصل الذي خصصناه
ببعض اجاليات على باريس ذكر تقسيم الشوارع الكبيرة (جران بلواز) ونقتصر
هنا على ذكر الشوارع التي رأيناها في رياضة هذا اليوم ومررنا بها وهي اهم بلوارات
باريس اتساعاً وحركةً ومتبراً وزخرفةً وانقائاً وهي متواصلة كأنها طريق واحد
منحنٍ على شكل نصف دائرة تختلف اسماءه باختلاف مواضعه مبتدأً من ميدان
باسنيل ومنتهً الى ميدان ماداين

فأولها بلوار بومارشيه وهو أطول هذه البلوارات اذ يبلغ طوله ٧٥٠ متراً
سمي بهذا الاسم تخليداً لذكر الكاتب الشهير بومارشيه وعلى اليسار بنمرة ٢٥
تياترو بومارشيه

ثم بلوار في دكاليفر نسبةً لدير كان قائماً بهذه الجهة في القديم وبآخر هذا
الشارع محل ملعب الخيل المعروف بملعب الشتاء

ثم بلواردوتاميل (شارع المبد) وطوله ٤٠٥ امتار وكانت على جانبيه
محلات تياترات متعددة وكانت الحركة فيه سابقاً أكثر مما هي عليه الآن وقد
تحولت عنه الى ما بعده بسبب تحول مركز المدينة ورمي الرجل المسمى فيسكي
ملك فرانسوا لوي فيليب في الحبل القائم فيه الآن البناء المنمر بنمرة ٤٢ في يوم
٢٨ يوليو سنة ١٨٣٨ بألة قتالة لم تصبه وانما امات كثيراً من حاشيته ومن المارة

ثم وصلنا پلاس دُلا رِيُونِيك (ميدان الجمهورية) وهو من اجمل الميادين طوله ٢٧٥ متراً وفي وسطه تمثال الجمهورية اقيم في سنة ١٨٨٣ قاعدته من الحجر ارتفاعها نحو خمسة عشر متراً ونصف وهو من البرونز ارتفاعه تسعة امتار ونصف متر تحيط به بعض الصور وقد عملت تمثيلاً للحرية والمساواة والاخاء ونُقش على قاعدته كثير من الرسومات بارزة في الحجر لتمثيل الوقائع الشهيرة المتعلقة بالجمهورية وتحيط بهذا الميدان اشجار كبيرة لتخللها فساتي المياه واكبر عمارة قائمة على الجانب الأيمن فندق (أوتيل مُودرن) وقشلاق للعسكر ويتفرع من هذا الميدان عدة طرق وشوارع مهمة

ثم يلي الميدان المتقدم بلوار سَان مَارْتَان وبه كثير من التيارات منها تياترو فولي دراماتيك وأميجو كوميك وتياترو پُورت سان مارتان وتياترو رُونيسَانْس وبهذا الشارع الباب المسمى (پورت سان مارتان) وهو باب ارتفاعه ١٧ متراً ونصف وعرضه مثل ذلك وسمكه ٤ امتار ونصف اقيم في هذا الطريق سنة ١٦٧٤ اِجلالاً للملك لويز الرابع عشر وتذكّاراً للوقائع التي انتصر فيها الفرنسيون في عصره

ثم بلوار سَان دِينِي وتُتفرع منه على اليمين واليسار طرقات معدودة من اهم طرقات باريس تخترق المدينة من شالها الى الجنوب مبتدأة من محطة الشرق وتستمر بيلوار بطرسبرج وبلوار سيديستاپول ثم تستمر بيلوار سراي الحقانية وبلوار سان ميشيل حتى تصل الى الرصدخانه

وقد اقيم على بلوار سان دِينِي هذا باب سمي پُورت سَان دِينِي شيد احتفالاً باتصار لويس الرابع عشر على هولانده والمانيا قبل الباب المتقدم بستين وارتفاعه

٢٤ متراً وخمسة وستون سنتيمتراً وعرضه ٢٥ متراً وسمكه ٥ امتار وليس به غير فتحة واحدة طولها ١٥ متراً وعرضها ٨ امتار (بخلاف السابق اذ فيه ثلاث فتحات) وعليه رسومات مسلات مغطاة بأسلحة ورايات يرمز بها الى النصر والغلبة وكلما تقدم السائر من هنا الى الامام زادت العارة واتسعت مظاهر الثروة وصارت الدكاكين اكثر نظاماً واثقناً والمنازل ومحلات المساكن احسن ترتيباً واحكاماً واجمل هيئة واعباراً وترى جدرانها ملأى بكتابات ذهبية تدل على ما يُباع او يصنع او يتجر به فيها الى ان يصل السائر الى بلوار بُون نوفيل حيث تياترو جمّاس قائم على احدى جانبيه

ثم بلوار پُواسُونيز ويتفرع عنه من جهة اليسار سكة پُواسُونيز الموصلة الى السوق المركزية السابقة الذكر ويتفرع عنه من جهة اليمين سكة فُوبُورج (ضواحي) پُواسُونيز التي فيها بنمرة ١٥ مدرسة الموسيقى والفناء وهي مجعولة ليستخرج منها مشغعو التياترات الوطنية وفيها من المعلمين عدد ٧٣ ومن التلامذة ٦٠٠ اصليون و ٢٠٠ ملحقون لا يدخلون اليها الا بعد اختبار عمومي ولكنهم متى قبلوا فيها يتعلمون مجاناً لغاية انتهاء التعليم وجعل للذين تكون لهم الدرجة الاولى من التلامذة في السنة المتممة للدراسة مكافأة قدرها ٣٠٠٠ فرانك تصرف اليهم سنوياً مدة ثلاث سنين من طرف الحكومة بشرط انهم يستقيمون في جهات ايطاليا والمانيا نتمياً لاكتساب الفن الذي تحصلوا عليه وهذه المدرسة منحف لآلات الموسيقى فريد في بابيه ولها كتيبخانه مستوفاة

ثم بلوار مُونَمَازتر وطوله لا يزيد عن ٢١٥ متراً وهو اكثر شوارع باريس وبلواراتها حركة فقد ابلغ بعضهم ما يمر فيه من العربات في اليوم الواحد الى مائة

الف عربة

والقهاوي التي على جانبيه أكثر مما في غيره والدكاكين التي به اصحابها أزيد ثروة من غيرهم وعلى جانب هذا البلوار من اليمين بَسَاجُ (مجاز) بَانُورَآمَا ومن اليسار بَسَاجُ جُوفُرُوآه وبها من الدكاكين ما لا يدخل وصفه تحت حد ولا يقدر قدره امرؤ ولو بلغ الجهد وهما أكثر محلات باريس من جهة تردد الناس عليهما مها كان الوقت صحوآ او مُطَرَا حارآ او باردآ

وعلى يمين بَسَاجُ جوفرواه هذا متحف جريشان وهو من عمل الرسام الشهير جريشان صَوَّرَ فيه مشاهير الرجال والعظماء ومشاهير الحوادث وهو من الاماكن التي يزورها السياح من كل جانب

ثم بلوار الايطاليان وهو من أكثر البلورات حركة وازيدها رونقآ وسي بهذا الاسم نسبة لتياترو الايطاليان الذي كان به ويتفرع منه سكة لَافِيَت وسكة تِيَتْبُو وسكة شُوسِيَّة دَانَتَان وهي السكة المعمورة بكبار المالين واكبر البنوك

وعلى هذا البلوار تياترو النُوفُوتِيَّة (المستحدثات) وعمارة بنك الكريدي ليونيه المشيَّدة الاركان وتجتمع فيها بورصة المساء من الساعة ٨ و٤٥ دقيقة الى الساعة ٩ و٤٥ دقيقة بعد الظهر من كل يوم

وفي آخره مكان كِرِسْتُوفَل الشهير بصياغة الفضيات والأواني المتخذة من المعادن التي ينطليها بطبقة من الفضة لا تذهب

ثم بلوار كَابُوسِيْن وعليه من جهة اليمين تياترو فُودُويل ثم القهوة الاميركانية الشهيرة ثم ميدان الأوبرا

ويتفرع من هذا الميدان خمسة طرق مهمة منها رُودُة لَآبِيَه (طريق السِّلَم)

ويرى منه عمود وَأَنْدُومَ وَأَوِينُودَه لُوپِرا (طريق الاوپرا) الفاخر وهو موصل ميدان الاوپرا بميدان التياترو الفرنساوي ومنها رُوكاتر سبتمبر (سكة اربعة سبتمبر) ثم رُهاليتي وآخرها رُو (طريق) أُوِير

اما (الايوپرا) وهي اكاديمية الموسيقى الاهلية فهي بناء زاهٍ زاهر بني على حسب رسم المهندس جارييه (ابتدى فيه سنة ١٨٦١ ولم ينته الا سنة ١٨٧٤) وهو أوسع تياترات العالم اجمع ولو ان اوپرا ويانه وتياتري (سكالا) بميلانو (سَانْ كَارْلُو) بناه لي كل منها يسع لكثرة محاله أكثر مما يسع هو من المتفرجين لكن هذا أوسع منها فانه يشغل ارضاً يبلغ مقاسها ١١٢٣٧ متراً مربعاً

وقد صرف عليه مصاريف طائلة حيث انفق في شراء الارض التي اقيم عليها ١٠٥٠٠٠٠٠٠٠٠ فرانك وانفق في بنائه ٣٦٥٠٠٠٠٠٠٠٠ فرانك فان اساساته استوجبت ان يُحفر لها عمق خمسة عشر متراً تحت سطح ماء نهر السين واستعملت ثمان آلات بخارية مدة سبعة اشهر كاملة ليلاً ونهاراً لرفع المياه من الاساسات ونزحها منها اذ صودف فيها تيار مائي

والوجهة العظمى تشتمل على طبقة أرضية ذات سبع قناطر بكلٍ من طرفيها مجاميع صور مجسمة تمثل الشعر والموسيقى والغناء والانشاد والرقص وغير ذلك ويعلم هذه الطبقة طبقة تشتمل على سبع نوافذ فوق القناطر السفلى تحيط بهذه النوافذ عمد يبلغ عددها ثلاثين ستة عشر منها طول الواحد أزيد من عشرة أمتار وهي من الحجر وباقيها أقل من ذلك وهي من الرخام الملون ورؤوس الجميع مصنوعة من البرونز المطلي بالذهب وقد صنعت البلكونات (خرجات) الموضوعة على هذه النوافذ من الرخام الأخضر المجلوب من بلاد السويد ثم بأعلى هذه

الطبقة العلوية كرنيش مملوء بما يفوق الوصف من التماثيل المذهبة والصور المصنوعة بمعرفة مشاهير الرسامين ثم فوق الكرنيش من الجانبين الأيمن والأيسر مجاميع تماثيل مجسمة من الحجر المنحوت ترمز إلى الموسيقى والشعر والشهرة ويرى من هذه الوجهة قبة تملو ذلك كله فوق قاعة المتفرجين يعلوها تمثال إله الشعر ورب الانشاد وخلفها سقف هرمي فوق الملعب

أما الوجهات الأخرى فهي وإن كانت متقنة الصنع مشيدة الأركان لكنها لا تبلغ درجة الوجهة العظمى

وداخل الأوبرا أبدع من خارجها ومما يستحق الذكر فيه قبل غيره السلم العمومي المعمول للصعود منه إلى طبقات الحجرات (لوج) وصلالات الاستراحة فإنه في حد ذاته محل تفرج من حيث صنعه ومن حيث ما يراه الإنسان من البالكونات (الخرجات) المصنوعة في كل بسطة من بسطاته اذ يتمكن ان يرى منها جماعات المتفرجين في صعودهم ونزولهم ودرجات هذا السلم من الرخام الأبيض واصابع درابزينه من الرخام الأحمر وما ركب فيها من مواضع وضع اليد هو من الحجر الأحمر ذي اللون العقيقي ويحمل هذا السلم ثلاثون عموداً من الرخام هذا فضلاً عما هو بسائر جهاته من الصور المجسمة من الحجر والمنحوتة من غريب الصناعة وبديها

أما قاعة جلوس المتفرجين للتفرج (الصالة) مع المثل عليها من الحجر فبالغة حد النهاية من الرونق والزينة بالتذهيب ومن انتشار التماثيل وصور آلات الموسيقى والغناء بالسقف وسائر الانحاء أما أنا وقد أسعدني الحظ بحضور ليلة من ليالي التمثيل بهذا المكان فلا تسلي عما رأيته من الاجتماع والاحتشام وانتظام

المحفل مع شدة الزحام ومع كثرة الكواعب الحسان اللواتي يعجز عن كنه وصفهن
اللسان

ثم الملعب ارتفاعه ٦٠ متراً وعرضه ٥٥ وبآخره محل الرقص وبه مرآة عرضها
سبعة امتار وارتفاعها عشرة

وصالة فُسْتة المتفرجين بين فواصل اللعب (فُؤَايَة) هي أيضاً من احدى
عجائب هذا التيانر من حيث بناؤها وانقانها وزخرفتها وتذهيبها وما بها من العمدة
العظيمة ومن حيث سعتها فان طولها ٥٤ متراً وعرضها ١٣ متراً وارتفاعها ١٨
متراً وبها مرايا الواحدة منها ارتفاعها سبعة امتار بجوانبها عمد تبلغ العشرين ومن
حيث من يوجد بها من المتفسيحين والمتفسيحات والفظن البصير يتبين له من
احوال من فيها محاسن الاخلاق وأحسن العادات

هذا واذا بارح المتفرج ميدان الاويرا ومشى الى يمينه في ما بقي من بلوار
كاپوسين فانه يجد اولاً الفندق الكبير (جراند اوتيل) وتحتة قهوة السلم (كافي
دو لايبه) التي جلسنا بها في اول ليلة من وصولنا لباريس وتفرجنا بها بعض التفرج
ثم يلي بلوار كاپوسين هذا بلوار مادلين حيث ينتهي الى ميدان مادلين وتنتهي
به البلوارات التي نحن بصدد ها الآن

(كنيسة مادلين) - الوجهة المهمة من هذه الكنيسة متجهة نحو سكة رويال
وهذه السكة تصل منها الى ساحة كونكورد وتقر بقنطرة كونكورد حتى تنتهي الى
سراي مجلس النواب على الضفة الثانية من السين وهذه السراي تشابه كل المشابهة
كنيسة مادلين المذكورة في المنظر والهيئة والعمد والسلم الذي أمامها
وهيئة هذه الكنيسة لا تشابه هيئة الكنائس المعروفة فان منشئها اراد ان

يجمعها على شاكلة (بَانْتِيُون) وهو الهيكل التي كانت تُعَدُّ رومة القديمة لجميع الآلهة (وقد ابتدئ فيها سنة ١٧٦٤ ولم تنتهِ إلا في سنة ١٨٤٢) وتحيط بها العمدة العظيمة من كل جانب من الخارج ويصعد إليها من جهة الوجهة بسلم تبلغ درجاته ثمانية عشر وفوق عمدة الوجهة بنيةٌ مثلثة في أعلى البناء ارتفاعها نحو الثمانية أمتار وعرضها نحو ٣٩ متراً صوّر فيها أحد مشاهير الحفارين صوراً ناتئة في الحجر ترى من الأرض بغاية الوضوح لكبرها وجسامتها تمثل يوم العرض والحساب واتساع هذه الكنيسة من الداخل ١٠٨ أمتار في الطول و٤٣ في العرض أما ارتفاعها فيزيد عن ثلاثين متراً من أرضها إلى القبة مع أن أرضها مرتفعة عن أرض الساحة بنحو سبعة أمتار ولم يدخل في بنائها شيء من الأخشاب وبابها الأعظم مصنوع من البرونز ارتفاعه عشرة أمتار ونصف وعرضه خمسة أمتار وعليه كثير من النماذج الرائعة فيه تمثل الوصايا العشرة غاية في الانقار

(بَلَّاس دِه لَأكُونكُورد) — ميدان الوفاق — هو أحسن ميادين باريس وأكبرها وأتحفها وأفخرها طوله ٣٥٧ متراً وعرضه ٢١٧ يحدّه نهر السين من جهة الجنوب ويحده من جهة الشمال خزينة الأمتعة قديماً والآن قسم منها به ديوان البحرية والقسم الثاني مقر النادي المعروف بالنادي الجديد ويحده من جهة الشرق حديقة تويلري ومن جهة الغرب منتزه شاتيليزيه وإذا وقف الإنسان في نحو وسطه يشاهد كنيسة مادلين ومنه ومجلس النواب يسرة وقوس النصر من جهة الإمام وسراي اللوفر من الجهة المقابلة لقوس النصر المذكور

وان منظر هذا الميدان في المساء بمساعدة أضواء الغاز خصوصاً من جهة شاتيليزيه لمن أفخر المناظر وأبهاها وأبهجها وأزدها حيث يرى الناظر على مد

البصر أنوار المصاييح كأنها النجوم الزواهر هذا في الايام المعتادة اما في ايام الزينة والاحتفالات فتبلغ الانوار في هذا الميدان مبلغاً يقضي منه العجب فانه يوجد فيه من طرف البلدية نحو ٢٥ ألف مصباح خلاف زينات المباني العمومية والقهاوي التي به وما يجاوره من المحلات

وهذا الميدان لم يتم عملاً على الحالة التي هو عليها الآن الا في سنة ١٨٥٤ وقد كان في اواسط القرن الماضي من المحلات المهجورة وأول عمل بدى به فيه مدة لويس الخامس عشر سنة ١٧٤٨ واستمر فيه التحسين والإصلاح وصارت اسماءه تتغير بحسب الاحوال الى سنة ١٧٩٢ فتسمى ميدان الثورة ورفع منه تمثال لويس الخامس عشر ووضع مكانه تمثال للحرية ونصبت بجواره آلة ضرب العنق المسماة جليوتين صنع الدكتور جليوتان

وقد حافظ هذا الميدان على نسبته للثورة طول مدتها لأنه أعدم فيه بالآلة المتقدمة الملك لويس السادس عشر والملكة ماري أنطوانيت امرأته ثم رؤساء الثورة والأحزاب والمتقدمين منهم رئيساً بعد رئيس وحزباً بعد حزب كلما ثقلت فئة حل بالمغلبة أليم العذاب كأنما تريد الانتقام منها عما فعلته فيمن قبلها وأحصى من مات مضروب العنق بالجليوتين في هذا الميدان من ٢١ يناير سنة ١٧٩٣ (يوم وفاة الملك) الى ٣ مايو سنة ١٧٩٥ (٢٨٠٠) شخص وفي ضمنهم النساء والشيوخ حتى أراد الله بزوال الشدة واطمئنان الحال

وفي وسط هذا الميدان مسلة الأقصر الشهيرة كان أخذها الملك لويس فيليب من افندينا الأكبر جتتمكان محمد علي باشا واقامها في هذا المثل يوم ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٣٦ بعد ان مكثت في الطريق من مصر الى فرانس أكثر من

سنتين بسبب ما حصل في نقلها الى فرانس من الصعوبات وهي قطعة واحدة من الحجر الصوان ارتفاعها ٢٣ متراً و٨٣ سائتي وزنتها ٢٥٠ ألف كيلوجرام واتخذت لها الحكومة الفرنسية قاعدة من الحجر ارتفاعها اربعة امتار مركبة على اساس بني هناك يرتفع متراً عن سطح ارض الميدان وقد رسمت على الجهة الشمالية من هذه القاعدة الادوات والآلات التي استعملت في نقلها من مصر وعلى الجهة الجنوبية الآلات والادوات التي استعملت لاقامتها حيث هي الآن وفي الوجهين الآخرين تواريخ العمل واسماء الاشخاص

ولجانبي المسلة فسقيتان كبيرتان كل واحدة منها حوض من الحجر قطره ١٦ متراً ونصف متر يعلوه حوضان ملتفان على عمود في وسطه حجمها اصغر من حجم الحوض الاول ويتدفق من هذا العمود ماء بقوة يرتفع تسعة امتار فيصب في الاحواض الثلاثة بالتدريج هذا وبذلك الحوض الارضي تماثيل بنات البحر وغيرهن من التماثيل تنبعث منها المياه فتصل الى الحوضين المرتفعين وتصب بالثاني منها الى الحوض الكبير

ثم في حوالي الميدان ثمان صور كبيرة قاعدة كل واحدة منها محل مبني تمثل مدن فرانس الشهيرة وهي ليل وستراسبورغ وبوردو ونانت ودوان وبرست ومرسيليا وليون

وفي وسطه المئات من الاعمدة كبيرة وصغيرة تعلوها مصابيح الغاز مثنى وثلاث ورباع فتشير هذا الميدان العظيم في المساء بأحسن الأنواء

(شأنز بليزيه) - هذا المنتزه عبارة عن البستان المجاور للميدان المتقدم (وطوله ٧٠٠ متر وعرضه من ٣٠٠ متر الى ٤٠٠ متر) وبجواره محلة مشتملة على

مساكن بديعة الاشكال منتبهة بقوس نصر الكوكب (أَرْكَ دُهُ تَرِيْنَفْ دُولْتَوَالْ)
ويحترق هذا البستان وهذه الهلة طريق بالغ حد العظم والاتساع فيصل من
ميدان الوفاق الى قوس نصر الكوكب في مسافة ١٩٠٠ متر

وهذا المنتزه من اعظم منتزهات باريس وأكثرها رغبة في التنزه فلا ينقطع
مرور الناس به مشاة وركبانا خصوصا في ساعات الفسحة وعلى حافتي الطريق
المذكور كراسي يستأجرها الناس للتفرج على المارة وتمتيع النظر في مناظره المروقة
البهجة فضلا عما فيه من محال اللعب والتمثيل المعروفة باسم (كُونْسِيرْ)

وعلى يمين المنتزه سراي إيليزيه وهي مقر إقامة رئيس الجمهورية ومدخلها
من طريق آخر وعلى يساره سراي الصناعة وما ادراك ما سراي الصناعة
هي سراي بنيت لاقامة معرض سنة ١٨٥٥ العمومي فيها وهي تشغل مساحة
من الارض مقدارها ٢٧ الف متر مربع ومن اهم ما فيها مدخلها بما عليه من الصور
الفائقة والتماثيل البارزة فان عرضه خمسة عشر مترا وارتفاعه ثلاثون فضلا عما
يعلوه من مجامع الصور التي تمثل فرانسا وهي توزع الجوائز وتُعطي العطايا للفنون
والصنائع

ومن اهم ما بداخل هذه السراي قاعة كبيرة مسقفة بالزجاج طولها ١٩٢ مترا
وعرضها ٤٨ مترا وهي الآن مجموعة لمعارض خصوصية سنوية وغير سنوية منها معرض
الرسم السنوي ويدخل فيه نحو خمسمائة الف نفس مدة افتتاحه وهي مركز لعدة متاحف
منها متحف فنون الزينة والزخرفة ومتحف حاصلات البلاد المحقة بفرانسا

هذا وفي نصف الطريق بين ميدان الكونكورد وميدان قوس الكوكب
ميدان مستدير مزين بالفساقي وحياض المياه يفصل البستان عما يليه من الهلة

المنقدمة الذكر المنتهية بميدان قوس نصر الكوكب

وهذا القوس هواكبر جميع الآثار التي من هذا القبيل واجسمها فيرى من جميع ضواحي باريس (وقد بدأ في بنائه ناپليون الاول سنة ١٨٠٦ ولم ينته الا في سنة ١٨٣٦) وهو عبارة عن قوس واحد علوه تحت العقد ٢٩ متراً وفتحة ١٤ متراً وبداخل كل من جانبيه قوس صغير ارتفاعه ١٨ متراً وعرضه ٦ امتار وارتفاع القوس مع ما فوقه من البناء نحو الخمسين متراً وعرضه ٤٥ متراً وسمكه ٢٢ متراً فاكثر وكله منقوش بالنقوش النائية في الحجر من سائر أطرافه تشيلاً للوقائع الحربية التي انتصرت فيها الجيوش الفرنسية

ويصعد الى أعلى هذا القوس بسلم يبلغ عدد درجاته ٢٦١ درجة فيرى الانسان من اعلاه الطرقات التي تنفرح حواليه فتذهب في جميع جهات باريس وعددها ١٢ وهي لا تلبث حتى يتفرع منها كثير غيرها ويرى غير هذه الطرقات وغير ما بجوانبها من العمارات غابة بولونيا الشيرة وحياضها الواسعة الكثيرة ويرى برج ايفل وما يليه من المعرض وازدحامه ويرى سائر المباني المرتفعة وبالاجمال فان بهجة هذا المرأى وشهرته ورغبة الناظرين فيه ووصف الواصفين في محاسنه ومعانيه قد صادف محله من كل الوجوه

هذا وقد طال بي الكلام في هذا الفصل فلذا اترك الكلام على دار العواجز المتقاعدین والبانيتون وقد مر ذكرها اجمالاً الى فصل ثانٍ لاسيما اننا في فسحة هذا النهار لم ندخلها بل مررنا عليها من الخارج



❖ ثالث يوم في باريس ❖

ثاني يوم في المعرض

خصصنا في الترتيب الذي جعلناه لأنفسنا من ايام مقامنا بباريس ثمانية ايام
لزيارة المعرض سوى اليوم الاول وقسمناها عليه فخص هذا اليوم (الاحد ٤
اغسطس سنة ٨٩) زيارة سراي ترؤكاديرو وما جاورها من معارض البساتين
والازهار

وسراي ترؤكاديرو هذه بنيت بمناسبة معرض عام ١٨٧٨ على مرتفع
مسمّى بهذا الاسم الذي نسبت اليه وشكلها كالملال في وسطها دائرة من البناء هي
قاعة الاحتفالات وطرفاه شبيهان بجناحي طائر مفتوحين يطير بهما (والطائر
يشبه البناء الوسطي) يتجه احدهما نحو اليمين على امتداد ٢٥٠ متراً والثاني مثله
نحو اليسار وفي السراي الى الامام رواق على عمد بقدر طولها يبلغ ٥٠٠ متر فسيح
مطل على الغدير الملتصق بها وعلى البستان الذي أعد لعرض الازهار والاشجار وعلى
نهر السين وعلى ميدان شان دة مارس بجميع ما احتوى عليه من بدائع الصنائع
وصنائع البدائع ومقدار الارض التي يشغلها بناء هذه السراي ١٥٠٠٠ متر مربع
اما البناء الوسطي فهو محتو على قاعة الاحتفالات المذكورة وهي اوسع جميع
القاعات التي وجدت الى الآن مبنية على شكل مستدير بها مقاعد خمسة
آلاف متفرج او مستمع وبها فضلاً عن هذا محل يسع طقم موسيقي مقدار
اشخاصه ١٥٠٠ نفس

وقد راعي فيها المهندس الذي شادها مسألة انتشار الصوت ووصوله الى

جميع من فيها وان كان ضعيفاً كما راعى مسألة تجدد الهواء بواسطة خمسة آلاف فتحة كل واحدة منها تحت مقعد من المقاعد وسلط على هذه الفتحات ما يأخذ الهواء الرديء فيصرفه الى مرتفعات عالية بعيدة ويأتي بدله بأهوية نظيفة اما نورها فبالكهرباء فلا محل معه للخوف من اشتداد الحر بسببه

وقبة هذه القاعة قطرها خمسون متراً وارتفاعها كذلك

وعلى يمين هذه القاعة ويسارها برجان مرتفعان الى عنان السماء يُصعد الى كلٍ منها بمرقي موصل الى انتهائه وارتفاع الواحد ٨٠ متراً فيرى كل من يصعد من جبال المنظر ولطافة الهواء والاطلاع على البقاع المجاورة على بُعدها ما يزيد تشوقه الى صعود برج إيفل الذي سنذكره وكل آتٍ قريب

والجناح الذي على جهة اليمين يحتوي على متحف علم خصوصيات الشعوب (إيتنوا جرافيك) وقد جمع بدائع الآثار في هذا الباب وغرائب الاشياء فيه حتى جماجم بني آدم وهياكل عظامه على اختلاف أزمته واشخاصه بكيفية يمكن معها الوقوف على حقيقة الشعوب التي تسكن القارة على اختلاف اجناسهم

والجناح الذي على جهة اليسار يحتوي على متحف نقل الصور المجسمة والنقوش بواسطة افراغها وصبها في قوالب من الجبس (مولاج) وقد اشتمل على صور اعظم العمارات الموجودة في المدن الفرنسية منقولة على هيئتها مجسمة بمآلاتها التي هي عليها فهذا باب كنيسة شارترز الكاتدرائية وهذه قطع متعجات من كنيسة رمنس وهذه محلات من القصور القديمة الفرنسية نقلت الى الجبس كأنما انتقلت حقيقة من مكانها الى هنا ولقد صدق من قال ان زيارة ساعة لهذا المتحف بمثابة زيارة أشهر للعمارات الفرنسية المنتشرة في انحاء متفرقة اللهم الا ان الفرق بين

زيارتنا هذه والزيارة الحقيقية أن المباني مشتتة في الثانية بين الواحدة منها
والاخرى ايام طوال لا يمكن معها المقارنة كاللازم وهذه يفصلها عن بعضها خطوات
تجعل المقارنة سهلة للغاية

وهذان التحفان المذكوران في الجناحين قديمان قبل المعرض الحاضر ويستمران
بعده وانما ذكرناهما اليوم لانتا رأيناها واعجبنا خصوصاً الثاني منها لان هذا مع
اشتماله على صور العمارات المجسمة جعل ايضاً معرضاً للمصوغات الفرنسية من
الازمان القديمة الى آخر القرن الثامن عشر

وان معرض المصوغات هذا لجدير بان يستلفت النظر ويستوقف الزائر فقد
حوى من الآثار ما يستحيل عادة الجمع بينها بغير هذه الفرصة فهذه آثار الكنائس
ولا يخرج من خزائنها الأساعة في كل سنة او أكثر من سنة يتبرك بها بعض المتازين
وتعاد الى ما كانت عليه من الحفاء مثل بعض الصحف والاكؤس وصوالجة الاساقفة
وتيجانهم المزركشة وذخائرهم ومباخرهم المتقنة الصنع المزدانة بالاحجار الثمينة جمعت
بهذا المحل واظهرت في هذا المحفل ليتمتع القوم بالوقوف على اسرار صنائعها ومجئيات
كيفيةاتها واشكالها وانقائها ونظامها وهذه نفائس المصوغات التي حازها الاغنياء
بعد ان دفعوا في سبيل اقتنائها الاموال الطائلة وكانت في مساكنهم لا يطلع عليها
الأم من أسفده الحظ بالقرب منهم ونال ثمة معرفتهم عرضت هنا ليطلع عليها
الافراد فيقتبسوا منها أسرار صنعتها ويعلموا منها حكمة ايجادها بالهيئات اللطيفة
التي جعلت عليها

واذ فرغنا من ابنية السراي فلننتقل الى البستان فنرى ما احتوى عليه
ولنترك وصف القدير الذي صنع بجانب هذه السراي وانحدار الماء منه وشدة

انصابه ولطافته فانه لا يقدر على كنه وصفه الا الشعراء المجيدون فلعل احدهم يراه فيقوم بما يمكن من واجب وصفه ويبين عن بعض حسنه ولترك ايضاً وصف البستان من حيث انتظامه وانقائه وكيف صفت الازهار فيه بألوانها المختلفة وكيف طرزت حواشيه بأشجار الأثمار وكيف جعلت مظلات من القماش اللطيف على الطريقين الكبيرين فيه (ويذهبان من السراي بجانيي الغدير الى النهر) لتكون معارض للزهور بحسب أوقاتها في المواعيد المحددة لها فهذا أمر يتعسر القيام بواجبات وصفه أكثر من تعسر القيام بوصف الغدير ولنكتفِ بذكر ما حواه البستان من العمارات بوجه الاجمال

فأهم العمارات التي اشتمل عليها هو القصر المشيد لعرض حاصلات الغابات فانه بني جميعه من الخشب بجائته الطبيعية وقشوره الا ان استعمال الفكر في انتخابه وانتقاء اجناسه وتعدد ألوانه ووضعه على اشكال مخصوصة جعل هذا القصر المائل (وقد شغل أرضاً مسطحها ١٥٩١ متراً مربعاً وبلغ طوله ٤٧ متراً وعرضه ٤٣ متراً وارتفاعه ٢٠ متراً واستعملت في تشييده ١٨٠٠ متر مكعب من اخشاب الغابات المأخوذ جميعها من غابة فونتينبلو القريبة من باريس وسيأتي عليك بيانها) من احسن القصور واغر بها شكلاً وابدعها هيئة وقد صفت في داخله الاخشاب واصنافها من حاصلات فرانسا بكيفية بدیعة وهيئات لطيفة على حسب ترتيب اصنافها مع كثرة تعدد أشكالها واختلاف أنواعها وزينت سقوف هذا القصر من الداخل بقشور الاشجار ملونة بالوانها الطبيعية المختلفة فصار كأنه صنع في نقشه أشهر المشتغلين بالرسم واعظم المحترفين بالتصوير وقد صفت فيه العمد محملاً عليها السقف من الاخشاب الاصلية التي اخذ منها على هيئتها الطبيعية ايضاً

وجعلت رؤوسها فروع من فروع الاشجار التي تناسب هذا الشكل وتوافق هذه الهيئة

وقد دلَّ هذا الصنع الفريد في بابِه على كثرة تعدد الاخشاب وأصنافها بالغابة التي أخذ منها ودلَّ على مهارة من صنعه وعلى مزيد تفننه اذ لاشيء انسب لعرض الاشجار وحاصلاتها الطبيعية غير محل يصنع منها بهذه الكيفية

وتجاه هذا القصر من الجهة الثانية مكان شيد للاشغال العمومية فجمع كل ما يستعمله المهندسون في الاشغال المختصة بالحكومة وبالأحاد

ويحتوي البستان على محلين غير هذين أحدهما للاكل والثاني لتعاطي الجمعة (البيره) والمرطبات

وما عدا ذلك فكله مشغول بالازهار والاشجار مكشوفة تحت السماء او مظاة تحت العنابر الزجاجية (سير) المصنوعة من اجلها فتعطيها بواسطة البخار الحرارة التي تلزم لنموها كأنها في بلادها او تظللها خيام تمنع عنها شدة أشعة الشمس وتأثيراتها وقد بلغ عدد العنابر الزجاجية المذكورة ٢٦ وبلغت مساحة الارض التي تشغلها هذه العنابر وتستورها الخيام السالفة ٣٠٠٠ متر

ولاتسل عن الازهار وكثرتها واختلاف أنواعها على لطافتها (الورد وحده يوجد منه ٤٥٠٠ نوع) وقد جلبت النساء للفرج عليها فنَّ يُحِبُّنَهَا ويرغبنَ فيها أكثر من غيرها خصوصاً في هذه العاصمة فان النساء يهوينَ الازهار حتى انهنَّ يقتنينَ اشجارها في منازلهنَّ ومجتمعاتهنَّ وداخل حجرهنَّ فلاغروا أن صار هذا القسم من المعرض ملئاً بالنسوة يهوينَّه أكثر من غيره ويأوينَّ اليه وهذا ما زاد الرغبة فيه وكان مؤسسي المعرض خطر بياهم فكرة اجتماع أحاسن الاشجار وازهارها

الهيئة بأحسن النساء وقد ردها المياسة وخطودها الوردية وأرادوا أن يتم هذا النظام ويخلص لهم ذلك المرام فعملوا المتكفل بحراسة أدوات البساتين ولوازمها ودلاء المتفرجين عليها والتعريف عن اثنائها بسائر أنواعها من النسوة وبالصدفة كن جميلات فتمت بذلك المناسبات

ولا ننسى بهذا البستان أشجار الفواكه المجلوبة مثل الأزهار من مشارق الارض ومغارها حارها وباردها فانه جيء بها من الهند والصين واليابان ومن البلاد التي بأقصى الشمال وهي مع ذلك مزهرة مشرة كأنما هي في هذا المكان من قديم الزمان مع ان الايدي قد اعبت ببعضها أي لعب وتفنت في تسييرها وتعديل فروعها لأي وجهة كما أحببت وهي متقادة لا لتعاصي فهذه شبه جدران مقامة من الكثيرى والتفاح والخوخ والمشمش ليس الا واخرى من التين والزيتون وهكذا وهذه موضوعة على اشكال لا يدخل في التصور ان تنهيا بها الاشجار الا بعد الرؤية لما فمنها الاشكال الغير الهندسية ومنها الاشكال الهندسية كالمربعات والمخروطيات والمثلثات والمربعات

فاذا جاوزت الازهار والاشجار وصلت الى حيث تعرض الحضراوات فترى كيفية زرعها وحال ثمارها بالمياه التي تصل اليها من مجاري باريس ولوشئت لا طلمت على بعض أشجار الغابات التي نقلت الى البساتين للزينة كالصنوبر وغيره وشاهدت الاشجار التي تمتد وتتسلق عالي الجدران والمرتفعات ونظرت الاشجار التي صور الباري سبحانه أوراقها بما لاتصل اليه اليد الصانع وبعد هذه أشجار ثلاثة كبيرة مجلوبة من اليابان وشيلي واميركا وهي اكبر اشجار هذه البلاد فيبلغ ارتفاعها ما لا يبلغه غيرها من الاشجار

وبعدها بركة ماء متسعة مملوءة بالأشجار المائية من جميع الاشكال وبقرب
النهر اشجار نخل كثيرة أحضرت من الجزائر باهية زاهية
ولا تنسى معرض اليا بان فقد جلبت اليه أشجار تلك البلاد وأزهارها
موضوعة في أواني من فخار متقنة الصنع وأحيط بسياج من اشجار الخيزران جعلت
منظره من أحسن المناظر وأعرب ما فيه اشجار عمرها نحو مائة سنة عادتھا العلو
والكبر اجتهد هؤلاء في أن لا تلعو ولا تكبر رغماً عن مرور الاعوام (كما يفعل
جيرانهم الصينيون في أرجل نساءهم حيث تبلغ المرأة سن الشيفوخة ورجلها هي في
حينها كانت بنت أيام) فرأينا فيها من أصناف السرو والصنوبر أشجاراً عمرها على
ما قيل خمسون عاماً وهي لا يزيد طولها على خمسين سنتيمتر
وقد تخصصت أيام في كل شهر بعضها بعرض الازهار التي صار جنبها
واعطاء المكافأة لمن يجي بأحسنها او لمن ينظمها أحسن من غيره في الاواني او في
زينة الاماكن او موائد الطعام وبعضها بعرض الورد وقد أسعدنا الحظ بان صادفنا
بعض هذه المعارض فتبارك الصانع الذي أوجد هذه الانواع المختلفة الاشكال
والالوان

وحيث انتهينا من تفرج هذا اليوم عدنا الى الفندق وقد أقبل الليل
فأردت الخروج منفرداً بعد تعاطي الطعام للتنزه فاستمر بي السير الى منتزه
شانزليزيه حتى وصلت سراي الصناعة (باليه ده لاندستري) فوجدت عندها من
الازدحام وعلى ابوابها من الزينة ومن توارد المدعوين والمدعوات ما فهمت منه انه
يحتفل فيها الليلة احتفال موسيقي برسم الشاه تسمع فيه كثير من الموسيقىات
العسكرية مجتمعة وظننت ان الدخول لا يكون إلا للمدعوين وغميت لو كنت منهم

لشاهد هذا المهرجان وبقيت مع ذلك أُنْفِرَج على الواردين واذا يأتع من بائعي الجرائد يصيح "بروجرام المساء" فاشترينهُ واذا به يذكر ان رجال الموسيقى سيكونون مؤلفين من ١٢٠٠ شخص تحت رئاسة رئيس موسيقي الحرس الجمهوري وان الدخول رسمهُ ثلاث فرنكات فأُسْرَعَت للدخول في الحال ووصلت من دِهْلِيز متسع (به سلم يصعد منه الى الطبقات العليا) الى قاعة الاحتفال وهي في غابة الاتساع مضاءة بنور الكهرباء والغاز اضاءةً ليس لها مثيل وهي مستطيلة مطلة عليها غرف في طبقتين غير الطبقة الارضية وتمتاز ثلاث غرف عن غيرها في الطبقة الاولى بزيادة اشرافها عما سواها وبانتظام فرشها وزخرفة ستائرهما وتمتاز الوسطى منها بأن وضع فيها ثلاثة كراسي من الكراسي المزخرفة المتقنة وقد اخبرني من أخذت احادثهُ وبمحدثي وقتها من المتفرجين بان احد هذه الكراسي للشاه والثاني لرئيس الجمهورية والثالث للرئيسة امرأته

ثم ان الرئيس حضر في الساعة التاسعة فصدحت الموسيقى بالسلام الجمهوري وهو واقف يصنّى ومثله كل الحضور وما فرغت حتى اخذ القوم في التصفيق ترحيباً به واخذ الكثير يصيحون فليعيش كارنو - فليعيش الرئيس - فلتحي الجمهورية وهو يشير باليد الى التشكر لهم متبسمًا مسرورًا وما استقر به المجلس الا والشاه قد حضر فقام لاستقباله وصدحت الموسيقى بسلامه الملوكي واجلسهُ عن يمينه بعد ان تصافحا باليد والقوم يصيحون "فليعيش الشاه" مرات متواليات وهو يرد السلام باليد يُقْرِبُها من قلنسوته السوداء ذات الالماس الذي رأيناهُ اول امس وكلما رد السلام كلما كرر القوم التحية والاحتفاء وذلك لانه اول ملك عظيم زار المعرض كما سبق زيارة رسمية

وجلس امراء الملك ووزراؤه بالعرفتين المجاورتين للفرقة التي هوفيا وبقي
التشريفاتي قائماً خافه كما لبث تشريفاتي الرئيس خلفه قائماً ايضاً ليتلقى كل منها
اوامر سيده.

وبقي الشاه في الغرفة اكثر من ساعة تصدح في خلالها الموسيقى بالحانها
اللطيفة في غابة الانتظام والاثقان مع كثرة عدد الموسيقيين (١٢٠٠) ومع
اتساع المحل وكثرة الناس وازدحامهم وان كانوا وقت السماع لا يبدي احد منهم
حراكاً وكان القاعة خالية من الناس

وقد أحضرت المرطبات (الدوندورمه) للشاه وللرئيس فأخذ الاول طبقة
واذا بالتصفيق وارتفاع الاصوات "يعيش الشاه" فرد السلام بالملقعة الصغيرة التي
يتعاطى بها وأعاد القوم التصفيق والاستمسان
ثم انصرف الشاه يصحبه الرئيس الى مسافة بعيدة والناس يصفقون ويعلنون
"يعيش الشاه"

وعاد الرئيس بعد ذلك فبقي نحو نصف ساعة قابله فيها الجمع بالترحيب
عند الحضور وعند الانصراف كما سلمت عليه الموسيقى بالانشاد المعروف بالمارسيليز
مثل ما سلمت عند حضوره ووقف الجميع لهذا الانشاد كما هو العادة إشارة الى
احترام الوطن وتعظيمه

ولم يلتفت احد حال وجود الشاه ولا بعد انصرافه ولا بعد انصراف الرئيس
الى ملك آخر من ملوك السودان كان حاضراً في الحفلة مع امراته الأ بذكر كيفية
سفره وأمر حضوره لهذه الجهات وذلك أنه من سلاطين احدى الجهات الصغيرة
التي دخلت ضمن أملاك فرانس من افريقية فدعاه الحاكم ان يتوجه الى باريس

للتفرج عليها وعلى معرضها قصدان تنطبع في ذهنه قوة مالكي بلاده فينشر عند عودته بين قومه مارأه من قوتهم وقد أحضر امرأته معه وأفهمها أنه يأخذها للتغيب إياماً قلائل ومادرت انها ستغيب عن بلادها اشهر أطوالاً

والذي كان يلوح على وجه هذا الملك علامات الاندھال والاستغراب أما امرأته فكان يظهر عليها انها لاتفهم شيئاً مما تراه وقد أخبرني جارتي في التفرج انها كانت تنام طول مدة مكثها في هذا المكان والعهدة عليه

وبعد أن بقيت مدة أتفرج على هذا الجمع وأنظر الى هولاء الحاضرين من أجنب ووطنين وما هم عليه مع كثرتهم واختلاف اصنافهم من السكينة والوقار ومزيد الاحتشام واحترام بعضهم بعضاً نساءً ورجالاً تمتيت لولائهم في اجتماعاتنا الوطنية هذا الحال وفارقتُ الجمع وفي النفس حب البقاء به الى الصباح



❖ رابع يوم في باريس ❖

ثالث يوم في المعرض

خصصنا هذا النهار (يوم الاثنين ٥ اغسطس سنة ١٨٨٩) بزيارة برج إيفل والمعارض الموجودة بجوانبه التي لبعض ممالك امريكا وبعض المعارض الخصوصية فابتدأنا اولاً بسكة تاريخ السكنى لأنها كانت قبل البرج بموازة نهر السين كما سبق

(سكة تاريخ السكنى) قام بتنظيمها على حساب المعرض منشئها المسيو شارل جازنييه مهندس الأوبرا وأحد أعضاء الجمعية العلمية الفرنسية قاصداً بها أن يعرض على الناظرين كيفيات سكنى جميع الامم من جميع الأجيال

المتقدمة بأشياء محسوسة وأسكن بعض الدور التي شيدها اقواماً بلباس القوم الذي كانوا يستعملونه وقت سكناهم منازلهم على أنه وان استعمل في ايجاد هذه المساكن جهده من التحري والنقل من التواريخ والآثار القديمة فإنه اضطر في بعضها الى استعمال القياس والاستنتاج خصوصاً بالنسبة الى الاماكن التي كانت تأوي اليها الامم المتوحشة قديماً اذ أنها لم يعثر لها على مبانٍ باقية عند عالم الاستكشافات وابتدأ مساكنها من اليسار الى اليمين فابتدأنا من حيث ابتدأ فوجدنا أولاً الامكنة التي كانت تأوي اليها الاولون بالاضطرار مجمولة من فجوات الجبال ونحو ذلك فراراً من الوحوش المفترسة وتفادياً من الامطار واثقاء لظي الشمس وسعيرها

وتجاوزناها الى ما هو أرقى منها فوجدنا اخصاصاً مصنوعة من فروع الاشجار بغير انتظام الى ان زادت درجة المعرفة ووصلت الى عمل أكواخ من أحجار مرصوفة بجالاتها التي أمكن نقلها بها وموضوعة كيف ما اتفق من غير إحكام ولا اتفاق ثم وجدنا الأحجار دخل في صنعها الحديد فصار نحتها ووضعت على هيئات أحسن من التي قبلها

هذا في السهول والجبال واما من يسكنون شطوط البحائر واطراف الجزائر فيعيشون بقرب الماء كما كان في جهات سويسرا وبعض جهات ايطاليا فقد اوجد المنشئ لهذه السكة شبه بحيرات طبيعية وجعل فيها مساكن تلك الاقوام الاولين وهي أكواخ من القاب على اطراف الماء يحيط بها سياج من الخشب المأخوذ من الاشجار

انما تعذر على المنشئ المومي اليه ان يوجد في هذه المساكن سكاناً على حالتهم

وقت سكناها بالنسبة لأمر اللباس فان لباسهم أكوأهم والآداب الجديدة تأتي
الظهور بهذا اللباس

ثم انتقل المنشيء من هذه المساكن الى مساكن المصريين والآشوريين
والفينيقيين واليهود والآشوريين واليونان والاطليان وغيرهم

فهذا بيت المصريين القدماء فيه الاتيكات العتيقة والمومياء والتوابيت
والملايس وهذا القصر الآشوري نقله من أصل غير مشكوك فيه وهذا المنزل
الفينيقي غريب عجيب وهذه فساطيط العبرانيين وهذا منزل على اسلوب مساكن
آشورية التي محلها الآن اقليم توسكان وبه فرش وأدواته على الحالة التي كان
عليها في تلك الأزمان ووراءه عش صنع من احجار مجالنتها الاصلية الممجة على
مثال التي كان يسكن بها اول من سكن ارض ايطاليا واليونان

ثم بعد هذه بيت صنع على هيئة مساكن الهند يسكنه بعض اهالي اقليم
كشير فيعرضون صنع بلادهم من الشيلان العالية القيمة

وبجواره بيت للعجم وفيه موسيقيون من أهل تلك البلاد ويقال ان الشاه
عند زيارته المعرض كان يستريح في هذه الانحاء

وبعد ذلك مساكن بلاد الجلائقة واليونان وايطاليا مجاورة لبعضها ويمجد
المنفرج في الاولى والثانية الاشربة الخاصة بتلك الجهات في تلك الاوقات
وفي الثالثة يمجد معملان معامل الزجاج فيه الادوات المستعملة لهذه الصناعة
الآن وما كان مستعملاً لها في قديم الزمان

وهنا انتهى النصف من هذه السكة حيث التقاطع بينها وبين الطريق
الموصل من النهر الى البرج والى سائر قصور المعرض فقطعنا هذا الطريق المقاطع

واستمر سيرنا في سكة تاريخ السكنى التي كنا سالكيها
فابتدأنا بنحس من خصاص سكندنافية حيث يسكن بعض الصيادين من
النرويج بملابسهم الاصلية فيبيعون بعض اخشاب مصنوعة لمن اراد
وبعد منزل على طراز المساكن الرومانية مدة القرون الوسطى وهذا أعد
لاستراحة رئيس الجمهورية عند زيارته المعرض فتعدت فرشاة ادارة المفروشات
الاهلية وفرشته من أحسن الاشياء مناسبة للحال وبجواره مسكن على طراز
المساكن المستعملة في الازمان التي تلي القرون الوسطى مباشرة
وبعد هذه المنازل مساكن على الطراز البيزنطيني والبلغاري والروسي والعربي
فالاول منها فيه كثير من الملابس المستعملة في كرواسيا وسلفونيا من اعمال النمسا
والثاني فيه معمل لاستخراج ماء الورد وضعه فيه احد مشاهير تجار هذا الصنف
بجدة قزائلق والثالث فيه عائلة روسية تصنع كثير من الاشياء الصغيرة التي تؤخذ
للزينة والرابع عبارة عن فسطاط على الطراز البدوي يسكنه بعض المغريبات
بملابسهن الاصلية وهن من يهود الجزائر مشهورات بحسن الخلفة والمهارة في التجارة
والاخذ والعطاء

وبعد هذه مسكن من مساكن السودان بجهات الكونغو الداخلة تحت ملك
فرانسا وبه بعض حاصلات تلك الجهات الحديثة العهد بالتمدن
ثم بعده مسكنان للصين واليابان وبعدها مساكن لاهالي لا يونيا اشبه
بجفائر في التراب وبعدها مساكن لبعض اهالي افريقية المتوحشين وبعض اهالي
أميركا الاصليين وتنتهي هذه بمسكن من مساكن اهالي مكسيكا الاصليين حيث
يوجد على بعض خطوات خلفه معرض الجمهورية المكسيكية وسيأتي الكلام عليه

في هذا النهار

واذ انتهينا من هذه السكة العجيبة ورأينا كيف كان الاقدمون يسكنون ويعيشون حدقنا النظر قليلاً فرأينا البرج المشيد فكأنما هذه السكة التاريخية شيدت بهذا المثل مجاورة لهذا البرج ليستدل منها على تقدم هذا العصر على تلك العصور الحالية التي هذه مساكنها فان هذا من عمل العصور الحالية شيدته يد المعرفة من الحديد الصرف فدل على تقدم من شاد وسنتكلم عليه بعد التفرج على معارض الجمهوريات الاميركانية التي اعتنت فيها كل الاعتناء وصرفت عليها المصاريف الطائلة اكراماً لاختها الجمهورية الفرنسية حتى جارتها غيرها من البلاد التي كانت غير جمهورية وقتها كالبرازيل ثم تنتقل الى بعض المعارض الخصوصية القائمة على جهة اليسار من البرج لتتفرغ بعدها للتفرج عليه ومشاهدة ما حوله من اعلاه حتى ينتهي النهار

(معرض مكسيكا) - ان معرض هذه الجمهورية لمن احسن معارض ممالك اميركا واكبرها وأثقتها فقد صرفت الحكومة على بناء محله مليوناً من الفرنكات بناءً احد المكسيكانيين المهندسين بشرط ان يمكن فككه ونقضه قطعاً بعد فراغ المعرض لنقله الى مكسيكو والتزم في بنائه الحديد الصب والفولاذ وطلا منهُ الطبقة الخارجية فصارت كالحجر في المنظر بالسواء

وجعله على طراز العمارات التي كان يشيدها اهل هذه البلاد قبل اكتشاف الاوربيين قارة امريكا

واراد ان تكون وجهته رامية لجميع اعتقادات الملة المكسيكية وجميع عاداتها القديمة فجعل القسم المتوسط منها على طراز المعابد التي كانوا يشيدونها للشمس

واحاطه بصُورٍ وتماثيل تدل على حياتهم السياسية ومعتقداتهم الدينية غير ما عندهم من الصنائع والفنون

وهذه العمارة تشغل من الارض ٢١٥٠ متراً مربعاً وتشتمل من الداخل على قاعة وسطى ومحلين بجانبها من الجهتين يصلها النور من سقفها الزجاجية وفي الوسط سلم بديع الشكل ذو جهتين يصعد منها الى الطبقة العليا من البناء وقد تزينت هذه المحلات من الخارج مثل زينتها من الداخل بأحسن النقوش الوطنية والصور الملية

ومن أهم الحاصلات المعروضة فيها الذهب والفضة فمعادنها كثيرة في هذه البلاد الغنية وليس من المستغرب معها أن اسرع التمدن والتقدم فيها اي اسراع ثم غيرها من المعادن النافعة ثم الحاصلات الزراعية من ثمار ونبات فانه لمناسبة طول الاقليم ينبت فيه كثير من النباتات بحسب كل من جهاته الموافقة له مما لا يوجد في غيره من الجهات ففيه الموز والصنوبر والبن وقصب السكر والقطن والحبوب بأنواعها وفيه من الحاصلات الفنية والصناعية الحرائط والأطالس الجغرافية والجيولوجية وأدوات الفرش والزينة والمطابع والكتب والأخشاب الغالية واخشاب البناء والمنسوجات والحلى والمصوغات مما دل على تقدم هذه البلاد

(معرض جمهورية الأَرَجَنْتِين) — بناء معرض هذه الجمهورية بجوار المعرض السابق قبله وقد اعتنى فيه اعتناءً لا مزيد عليه حرصاً على شهرة هذه البلاد لانها بلاد الذهب والثروة والغنى السريع وفي المقصودة من جميع انحاء العالم يتوجهون اليها افواجاً وافواجاً ودائماً في ازدياد ابتغاء الرزق والوصول الى الثروة فضلاً عن رغبة حكومة هذه البلاد في ان تظهر لاختها الفرنسية في الجمهورية المحبة والاعتناء

وشدة المودة حتى استدعت احسن الرسامين والنقاشين الفرنساويين وعهدت اليهم مع مهندسيهم تشييد هذا المحل ولم تبخل عليهم بالمال بل نقدتهم في مصاريفه بالحالة التي هو عليها ١٢٠٠٠٠٠ فرنك مشرطة انه بعد انتهاء المعرض يفك البناء ليترك في بونوس إيريس عاصمة الجمهورية ولذلك صنع جميعه من الحديد وانواعه ليس الا فشنل في الطبقة الأرضية مسطحاً قدره ١٦٠٠ متر مربع و ١٤٠٠ في الطبقة العليا وجاء بعد بناء مكسيكا أهم المباني الأمريكية وهيئة الظاهرة غاية في الزخرفة كهيئته الداخلة تعلوه قبة كبيرة حولها اربعة اصغر منها ويحيط بالطبقة العالية منه ممشى للاشراف على الخارج وللزينة وقد سلطت اشعة الكهرباء في نحو الف شعلة على زجاج النوافذ مجعولاً على هيئة الاحجار الثمينة فصار في الليل من أحسن مناظر المعرض واهجها كذلك في النهار هو من احلاها واعلاها فكله مشغول بالميناء والفسيفساء والقيشاني والنقوش البديعة ظاهراً وباطناً داخلاً وخارجاً

والسلم المعمول بداخله للتوصيل الى الطبقة العليا مصنوع من الحديد والخشب بمناسبة باقي البناء في الرونق والبهاء وترتيب الاشياء المعروضة بداخله وكيفية تنظيمها واتقان وضعها فضلاً عن جودة الأصناف ليست غريبة على من نظم هذا المحل ولا على غنى تجارتك البلاد ولو اردنا استيفاء هذه المعروضات جميعها لطلال بنا الكلام وخرجنا عن غرض الاختصار اذ فيه من الحاصلات الزراعية والمعدنية والنباتية ما لا يحصى كثرة فضلاً عن كونها بكيفية تزيد في رغبات الامم في طلب الرحيل الى هذه البلد التي خصها الله بمزايا الخصوبة وسعة المعيشة ومع هذا نذكر الآلة المبردة التي

عرضت فيه وهي آلة مجمولة لحفظ اللحوم وصيانتها من التعفن وبقائها على حالتها الرطبة الطرية مهما طال الزمن وبلغ ما بلغ الأمد ولا خفاء ما في ذلك من الفائدة للعالم عموماً ولهذا المملكة خصوصاً فانها مشهورة بكثرة الحيوانات فيها فيسهل عليها بهذه الآلة نقل اللحوم مذبوحة الى اوروا فتصلها بجالتها الطبيعية وتباع فيها باثمان أقل من اثمان لحومها الناتجة فيها

(معرض البريزيل) أراد أهل هذه البلاد التفاخر بحاصلات بلادهم الزراعية والمعدنية وساعدتهم على ذلك مجالسهم النيابية فاكتتبت بمبلغ ٨٠٠٠٠٠ فرنك واكتتب بعض المدن المهمة بما أوصل النقود المكتتبه الى أزيد من مليون فرنك وعضدهم على ذلك امبراطورهم وقتذاك دون يدرو الثاني (اما حكومتهم الآن فجمهورية) فشيدوا بما تحصل بواسطة احد المهندسين الفرنسيين بناءً عالياً بجوار البرج والجمهورية الارجنطينية عرضوا فيه حاصلات بلادهم بمدان جعلوا لها معرضاً خصوصياً في ريو دة جانيرو افتتحه الامبراطور بنفسه وعرضوا فيه اشياء جمة اختاروا منها ما ارسلوه الى هنا

وقد شغل البناء وهو من الحديد ايضاً كسابقه ما مسطحة ٤٠٠ متر (اما المعرض جميعه فيشغل ١٢٠٠ متر مسطح وجعل ذا طبقات ثلاث تدور حول رجة من الداخل تشرف جميعها عليها وفوقها قبة وراءها برج ارتفاعه اربعون متراً وفيه سلم الصعود الى الطبقات العليا

ووجهته مزينة بالخزف المطلي والميناء مرسوم عليها صور ستة تمثل انهار البريزيل الستة وما ينبت حوالها من الأشجار والازهار وحول ذلك شارات اقاليم المملكة تعلقها الراية الوطنية

ووراء المحل عنبر للنبات (سير) يشتمل على النباتات البريزيلية المزهرة في جميع فصول السنة

وحوالي هذا كله بستان لباقي النباتات والاشجار جمع المغرب والمطرب والمجب ومغارة جعلت لبيان هيئة بعض النباتات على حالتها الطبيعية وحوض ماء غزير يصب فيه دائماً وابدأ ماء سخناً حرارته ثلاثون درجة زرع فيه النبات المائي المسمى (فيكتوريا ريجيا) الشهير بعلوه وارتفاعه على شواطئ نهر أمازون الورقة الواحدة منه لو وضع عليها طفل حملته على ما قيل ولونها ابيض وقطرها متر ونصف متر

ثم محل لمذاق المشروبات والمأكولات عرضت فيه حاصلات البلدة الغذائية مأكولة ومشروبة

وقد احتوى هذا المعرض على حاصلات مختلفة الاشكال عظيمة المقدار خصوصاً المعدنية منها مثل الالماس الخام والمصقول والأحجار النفيسة ما دل على اقتدار هذه البلاد وغناها

وقد شيد الموسيوجارنييه صاحب سكة تاريخ السكنى في السكة المذكورة بيتاً من بيوت البريزيل الواقعة على ضفاف نهر أمازون هناك ووضع فيه كثيراً من الاواني الفخارية التي كانت تصنع قديماً بتلك الاصقاع استعارها من متحف ريبوديه جانييرو عاصمة هذه البلاد

ويكفي في الدلالة على عظم قدر هذا المعرض البريزيلي أن عدد من عرضوا بضائعهم فيه بلغ ١٦٠٠

(معرض وينيزولا) هو جنوبي المعرض المكسيكي جميل الشكل لطيف

المدينة مبني على طراز العمارات الاسبانية يبلغ مسطح ارضه ٦٠٠ متر اشتمل على كثير من الحاصلات اهمها المعدنية واخشاب العمارات والصنع ونباتات الطب والصيدلية مما دل على ثروة هذه الجمهورية الواقعة في جنوبي امريكا ذات العجائب الطبيعية والغرائب الصناعية

(معرض شيلي) بناء معرضها صغير بالنسبة لصغر الجهة المراد عرض حاصلاتها فيه وهو على ٦٠ متراً مربعاً ولكنه في الزخرفة والانتان من احسن المعارض المجاورة له

وقد عمل من حديد ليسهل نقله بعد المعرض الى سانتياجو عاصمة البلاد ويحتوي على مجموعة معادن بالحالة التي استخرجت عليها من اشمل المجموعات التي علمت الى هذا اليوم وأوفاهها ويحتوي على اشياء كثيرة من حاصلات هذه البلاد الغنية مثل الصوف والنيلة والكيما والأخشاب بأنواعها

(معرض بوليفيا) لقد صرحت المجالس النيابية في جمهورية هذه البلاد بمبلغ ثلاثمائة الف فرنك لتشيد محل معرضها فبناءً عظيماً فاخراً على طراز العمارات البوليفية وعرضت فيه حاصلات هذه الديار بأنواعها واهمها وسبب الثروة السريعة والتقدم العاجل فيها معدنا الفضة والنحاس فضلاً عن غيرها من المعادن والحاصلات النباتية والصناعية

(معرض جمهورية خط الاستواء) يشغل بناء معرض هذه الجمهورية الاميركية ١٠٠ متر مربع فقط وهو مع ذلك في غاية اللطف عمل على طراز المعابد التي كان يشيدها اهالي تلك البلاد للشمس وقد استعان من انشاءه بالصور الموجودة بمنح التروكاديرو مصنوعة من الجبس نقلاً من المعابد الاصلية

وقد عرضت فيه حاصلات البلاد بجميع أصنافها من البن والقطن والكتان والاختشاب بأنواعها والحبوب بأصنافها والنباتات الطبية والجلود والسكر والشمع والمعادن الثمينة والبلور الصخري والكبريت فضلاً عن المشغولات الدقيقة الصناعية كالذئبيلات ومنسوجات الحرير والصوف والقطن والكتان مما دل على تقدم هذه البلاد الصغيرة

(معرض جمهورية نيكاراغوا) المثل الذي تخصص بيناء هذا المعرض هو من خشب تكسوهُ طبقة مطليّة على شكل الآجر ولم يشغل مسطحة أكبر من مائتي متر يشتمل على قاعة وسطية وقاعتين بجانبها وقد جعل في وسط القاعة الكبيرة رسم نهر نيكاراغوا مجسماً على طول تسعة أمتار وعرض متر ونصف وذلك لأنّه الأصل في خبرات هذه البلدة الصغيرة التي اجتهدت نفسها وعرضت أنفس ما عندها من المزروعات وحاصلات المعادن والمهاجر واشهى ما لديها من الطيور ذوات الشكل اللطيف وريشها الذي يستعمل للزينة فضلاً عن الروائح الذكيّة ومستخرجاتها العطريّة وما ذلك كله إلاّ لترويجاً لتجارها وترغياً فيها فلذا صرفت في هذا المعرض ما يبلغ خمسمائة ألف فرنك حالة كون سكانها لا يزيدون عن نصف ذلك العدد الأقلّ

ثمّ تفرّجنا بعد ذلك على (المعارض المخصصة بباقي الجمهوريات الاميركية) فرأينا المخصص منها بجمهورية سان سال فادور وجمهورية أوراجوي وسان دومينج وباراجوي وهائني وجواتمالا الجميع مختلفاً في الشكل والمهيئة والزينة والزخرفة والكبر والصغر على حسب اهمية البلاد واتساعها كما انه مختلف في مواد البناء فمنه وهو الاكثر ما هو مصنوع من الحديد مثل الحال المتقدمة ومنه

ما هو مبني بالحجر والآجر ومنه مثل محل جُؤًا تَمَّالًا معمول من الخشب على هيئة مساكن تلك البلاد مطبقة جدرانها بالبوية الزيتية الممعة المعمولة على هيئة القيشاني وغيرها من الهيئات اللطيفة

وهذا المحل الاخير مركب من طبقة ارضية وطبقة فوقها تحيط بالعلما خراجات متسعة مظلمة بالمظلات المتخذة من القماش

وفي هذه الدار اشياء كثيرة من حاصلات تلك البلاد ومعادنها ومصنوعاتها واهم ذلك في الطبقة الارضية منها فان فيها مجموعة حيوانات وحشرات مضرة جمعها رجل فرنساوي من تلك البلاد في سنين طويلة بمشقات كبيرة فجاءت من احسن مجاميع العالم وبالطبقة العليا كذلك حيوانات ذلك القطر مثل النمر والثعابين ونبات آوى وغير ذلك من الدواب وقل ان يوجد مثل هذه المجموعة في متاحف اوروبا

ثم في الطبقة العليا قاعة صغيرة للمطالعة وحيدة في بابها تحتوي على جميع جرائد امريكا الجنوبية والوسطية

ثم انتقلنا بعد هذه الجمهوريات الى (المعرض الصيني) وقد اقامه بعض تجار مينكا كاتون الصينية (وهي اقرب الموالي لفرانسا وان كانت تبعد عن مرسيليا ٣٥ يوما) بعد ان كاد الوقت ان يفوت ولم يتيسر لم هذا ان يجلبوا صناعة من بلادهم الا انه جاء بهمة المهندس الذي شيده على طراز المباني الصينية يشبه الديور التي نتخذ لعبادة بودا في تلك البلاد بما حوالها من الأبراج وما هي عليه من الشكل المخصوص وما بها من الزينة الخارجية حنرا في الخشب وطلاء بالبوية الكثيرة الألوان

وهؤلاء التجار ليسوا مع ذلك كثيرون العدد فانهم خمسة عشر فقط ولا كلهم من مشهورى الاغنياء بل فيهم اثنان من المشهورين لا غير ولم يشغلوا بالبناء محلاً كبيراً لان المحل الذي كانت خصصته الحكومة الفرنسية للصين في سراي الصناعات المختلفة كانت تصرف فيه لتأخر هذه عن الاشتراك بل اعطت لهم ارضاً مساحتها ٣٠٠ متر ليس الا مع ان اهالي الصين يزيدون عن ٤٠٠ مليون ومع هذا لم يشغل تجار كانتون جميع هذه الارض وحدهم بل اشترك معهم فيها التجار الصينيون المقيمون للتجارة في باريس من مدة مديدة بحق سبعي الارض وقد اشتمل هذا المحل مع هذا كله على بدائع وغرائب تأخذ بالابصار والالباب بحيث يعجز القلم عن سرد ما اشتهر ما احتوى عليه من النفائس والآثار وقد اشتمل على صنائع نفيسة واشياء غريبة دلت على مزيد تقدم هؤلاء الاقوام فهذه قشور اشجار الخيزران منقوشة بنقوش عديمة المثال وهذه المنسوجات اللطيفة من السجايد والبسط وغيرها مزينة بأحسن الالوان وعليها أحسن الصور والتماثيل خصوصاً واحدة منها طولها سبعة امتار وعرضها متران ونصف أخبر العارفون أنها يعجز عن ان يأتي بمثلها اعظم صناع العالم من حيث اتحاد الالوان وسبكها واحكام الصور وجبكها فهي في غاية البهجة كما يظهر لأي انسان رآها وهذه الستائر والارواح من النباتات والمنسوجات وهذه مصنوعات العاج على اختلاف الاشكال والانصاف وهذه الفرش والاثاث ونظامها وانقانها واحكامها مزخرفة بالعاج والفضة وهذه الاواني الفخارية الصينية ويكفي مجرد ذكرها عن اطالة الشرح وزيادة البيان وهذه آلات الموسيقى وهذه أدوات الزينة وهذه وهذه من كل المدهشات وسائر المطربات وجميع المعجيات في الاشكال والالوان

وبجوار هذا المعرض نخرجنا على (المعرض الهندية) - وقد اقامه ايضاً بعض تجار الهند فاحتوى على أنفس النفائس وأغرب الغرائب وأبدع البدائع وصار تشييده على هيئة مخصوصة ذات قباب موافقة هيئات بلادهم وجعل لونه احمر قانياً ومن الغريب في هذا اللون انه أدخل في تركيبه كثير من دم الثيران التي تذبح في باريس والذي يتضح بادىء بدء لمن يتأمل في النفائس التي شملها هذا المكان والغرائب التي أبدعتها يد صناعة هؤلاء الاقوام أنهم كما كانوا اول المتمدنين في الصناعة والعرفان لا يبعد أن يرجع اليهم دور التقدم والمعرفة ما داموا على هذا السير

(سراي الاطفال) ثم بقرب هذه المعارض سراي الاطفال وبهذه المناسبة اذكر المحال التي جعلت لرياضة الاطفال وتنزههم في هذا المحل وفي غيره من محلات المعرض

وذلك أنهم كانوا لم يلتفتوا الى أمر الاطفال في المعارض السابقة وكان أهلهم يضطرون إما الى تركهم بمنازلم اثناء حضورهم للمعرض مع تشوقهم اليه وفي ذلك من اشتغال البال ما لا يخفى خصوصاً على من لم يكن عنده من يمول له الاولاد واما ان يحضروهم معهم فيرى الكبار من عجائب الصنائع وبدائع العروض ما يسرون منه ولكن تنقبض نفوس الاطفال من تعب المشي لمشاهدة اشياء لطيفة في حد ذاتها لا يفقه كنه أمرها الا الكبار فأراد مؤسسو هذا المعرض تلافي هذا الضرر وتفادي هذه المظورات فبنوا لذلك قصوراً فاخرة في جهات متعددة من المعرض لم يقصد منها غير رياضة الاطفال وتسليتهم وانشراحهم فهذا البناء الذي سموه سراي الاطفال هو من المحلات التي شيدت لهذا الغرض وفيه تلبس الالاب المضحكة

بالاشارات (بانثوميم) والالعاب الحيوانات والحواة والراقصات فضلاً عما في
الستان المحيط به من الملاعب اليدوية وبائعي الحلواء فيتمكن اهل الاولاد من
تركهم في هذا المل يتفرجون وهم يذهبون الى حيث أرادوا من المعرض
وهذه (سراي البحر) ملحقة بالمل المتقدم تابعة له عملت بكيفية ميكانيكية
مخصوصة يخال للوجود فيها انه راكب سفينة حقيقية في وسط لجج البحر تلعب بها
امواجه حتى ترسو بالراكب بينما من موافي اليابان وهناك ينزل فيجد متحفاً ممتلئاً
بالاشياء والملابس المختصة بتلك البلاد

وهذه (بانوراما بواخر الشركة الترانزاتلانتية) اي عمل رؤية بواخر
الشركة المخصوصة باسفار البحر الأتلاتيني يتخيل للرائي الذي في داخله انه في
وسط سفينة من اكبر سفن هذه الشركة تسمى لاثورين راسية مع كثير من اكبر سفن
هذه الشركة في مينا هافر كانها كلها حقيقية حتى انه لو نزل في داخل السفينة
الذي هو واقف على سطحها لوجدها على هيئة الواورات السفريّة من الداخل كما
هي كذلك من الخارج مع ان كل هذه المناظر من الرسم واحكام وضعه وتوجيه
الضوء الى اجزائه ولا حقيقي فيها غير المل الذي اعد لوقوف المتفرجين عليه وجعل
من داخله على الهيئة المطلوبة من حيث الوضع والاسلوب

وهذه (الكرة الارضية) في جهة اخرى وقد عملت مجسمة في وسط محل
مخصوص بها تحت قبة هائلة والكرة المذكورة بمقدار واحد من المليون من كرة
الارض الحقيقية فيكون محيطها على ذلك ٤٠ متراً في مقابلة ٤٠٠٠٠ كيلو متر
التي هي مقاس دائرة نصف النهار الحقيقية

وكل مليمتر واحد في سطح هذه الكرة في مقابلة كيلومتر واحد في سطح

الحقيقية والمتر الواحد يقابله ١٠٠٠ كيلومتر
 وقطر هذه الدائرة ٧٣٢ مليمتر واثنًا عشر مترًا في مقابلة ١٢٧٣٢ كيلومتر
 قطر الارض الحقيقي
 وفرطحة القطبين التي هي في الكرة الحقيقية ٢١ كيلومتر ليست في هذه
 الكرة إلا ٢١ مليمتر فهي لذلك غير محسوسة للنظر
 وداخل هذه الكرة عيدان من الحديد يغطيها ٥٨٦ قطعة من الورق ممسوكة
 من الداخل ببعض اخشاب فيتيسر فكها واعادة تركيبها بأي مكان
 ووزن هذه الكرة عشر طونولاطات من الحديد وثلاث من الورق وهي
 واقفة على مدار يتيسر معه ادارتها بالسهولة
 وقد دُهنّت ببوية الزيت ولم تثبت فيها الجبال بارزة فان اكبرها ارتفاعاً
 ٨٠٠٠ متر فكان يقابلها في هذه الكرة ٨ ميليمترات وهي لا تكاد تحس
 وكذلك البحار لم تثبت اعماقها منخفضة في هذه الكرة للسبب المتقدم وانما
 صار تلوينها بالألوان تختلف بحسب أعماقها فاللون المجاور للشطوط والجزائر يدل على
 الأعماق التي لا تتجاوز ٢٠٠٠ متر والذي بعده من ٢٠٠٠ الى ٤٠٠٠ متر
 والذي يليه من ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ متر والرابع من ٦٠٠٠ الى ٨٠٠٠ متر والخامس
 يدل على الاعماق التي تزيد عن ٨٠٠٠ متر
 وعلى جدران الحل جداول احصائية عديدة تدل على سكان البلاد واهم
 حاصلاتها وجداول اخرى تدل على اعماق البحار وغيرها تدل على غير ذلك من
 متعلقات كرتنا الارضية هذا فضلاً عما اشتملت عليه الكرة نفسها من بيان اسماء
 المدن وخطوط السكك الحديدية وخطوط الشركات البحرية مع بيان الامم التابعة

في لها وبيان أماكن معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والفحم والاماس كل بلون خاص به يميزه عن غيره وبيان محال الثلوج في القطبين وغير ذلك من البيانات المهمة

ويوجد غير هذه الكرة ملاءة للاطفال داخل المعرض وخارجة وغيرها للرجال مثل الموسيقىات الوطنية والراقصات الوطنيات التي توجد في كثير من القهاوي الموجودة في انحاء هذا المعرض كالمصرية والمغربية والسودانية والاسبانية والايطالية وكذلك يوجد في محلات اخرى بعض اغاني جهات افريقية وآسيا هذا فضلاً عن بعض القرى التي كأنما نقلت بتمامها من محلها الى بعض محلات انقاليد مما سيأتي الكلام عليه

هذا وقد رأينا ان نتقل الى المحال الموجودة بجبهة اليسار من برج ايفل لتفرغ منها ثم نصعد اليه قبل ان يفوت النهار فذهبنا الى

(محل مخبري الجرائد) وقد اعد لم هذا المحل وجعل فيه كل ما يلزم لم للكتابة والمراجعة وما يستلزم ذلك من الكتب والادوات وهي لم على مقربة منه محل للبوستة ومحل للتغراف ومحل للتليفون ثم بعد ذلك قصدنا محل

(معرض مؤناكو) وقد اراد اصحاب هذا البلد وان لم تساعدكم حكومتهم مساعدة مادية ان يشتركوا في هذا المعرض فاكثبت بعض الشركات المالية بمبالغ كافية لتشييد هذا المحل فجاء غاية في الزخرفة والبهجة على طراز الابنية الايطالية المتأخرة وجعل له اربعة بروج تحيط به يحرق بها اشجار النخيل وغيرها من الاشجار الخاصة بالبلاد الحارة لتتم بها الهيئة وليتشكل منها معرض زراعي يحتاط بالمعرض الصناعي المنحصر في البناء

وعدد الذين عرضوا بضائعهم في هذا المثل ٣٦ وأهم ما عرضوه المياه العذبة والحاصلات الصيدية وكثير من متعلقات البساتين وزراعة الاشجار ثم الاواني الفخارية الفاخرة والقيشانية الجميلة الصناعة وأهم هذا كله مجموعة النباتات البحرية وبعض الاسماك الغريبة التي استحصل عليها ولي عهد حكومة موناكو في سياحته حول الارض فانها استلفتت انظار العلماء كما استحققت كتاباته التي كتبها عن سياحته هذه في جريدة (رؤفوده دؤموند) الفرنسية مدح الكتاب والفضلاء

والذي يستدل من معرض هذه البلد واعتناء اهليها به انهم يرغبون منه اظهار مقدرتهم في الصنائع والمعارف وقد بلغوا ما تمنوا من هذا القبيل ونالوا الاستحسان العام وباليتم يكفون بهذا الكسب الحلال عن الاستحصال على الاموال بطرق الميسر واشكاله من الالاب

ثم بالقرب من هذا المثل البناء الذي أعد لعرض اصناف الدخان التركي فيه من طرف ادارة التزام الدخان في تركيا فتباع فيه على اختلافها وكثرتها وبالقرب منه تياترو

(فولي باريزين) او الهزليات الباريسية وتلعب فيه جميع الالاب المسلية كما ان فيه الاغاني المطربة وفصول الرقص المعجبة مع اطلاق الحرية للمتفرجين في الشرب واستعمال الدخان اثناء الالاب ويمتاز عن التياترات المعتادة بان صنعت فيه محال اللعب وغرف التفرج وغالب الاماكن من الحديد الفولاذ المنقوش فصار في حد ذاته ومن حيث بناؤه بهذه الصفة عملاً صناعياً واثراً هندسياً يتفرج عليه بخصوصه بصرف النظر عما يلعب فيه من الالاب

وبجوار هذا التياتر مسكن بناء الانجليز من الفولاذ ايضاً لاقامة مأمور معرضهم فجاء اليبثات المصنوعان من الحديد متقاربين وسهلت بذلك المقارنة بينها لمعرفة ايها اقرب للزينة او للمثانة ولكن الحقيقة انها متساويان في الهندسة والنظام وحسن الصنع والاتقان وان اختلفا في الشكل الظاهر هذا وعلى مقربة من هذا التياتر

(المنزلان الفنلندي والتروبيجي) وقد صنعا من الخشب وحسن صنعها ووضعها وكملت زخرفتها مع انها صنعا في بلديهما وأتي بأخشابها متفرقة ومصار تركيبها هنا كما يمكن تركيبها بعد في اي محل كان وهما غاية في التناسب مع الاختصار ومراعاة الضروري وسهولة النقل هذا وبالقرب من هذين المنزلين

(محل للاكل في المعرض) نذكر بمناسبة ان محال الاكل في المعرض كثيرة في كل جهة من جهاته وفي اي طرف من اطرافه مختلفة الاثمان والاشكال فيها الرخيص والمتوسط والغالي غلاء ليس فوقه غلاء ولذلك قد نصحت الجرائد المتفرجين بالتحرز من هذه المحال والسؤال عن الاثمان قبل الاكل بطلب قائمة المآكل وفيها ثمن كل صنف للوقوف على الحقيقة قبل الوقوع في الورطة واجتهدت مع هذا ادارة المعرض في انقاذ الناس من هذا الضرر بالاتفاق مع اصحاب هذه المحلات على تحديد اثمان للاكل وكتابتها في قائمة تعلق خارج المحل يطلع عليها من يريد الدخول اليه فاذا اعجبته دخل واكل والأبحث عن محل توافقه اثمانه ولكن بعض هذه المحلات اعتماداً على حرية التجارة وتمسكاً بعقد الایجار الذي بيدها من ادارة المعرض المبيع لها استعمالها لبيع المآكل بدون اشتراط اثمان امتنعت عن اجابة طلب الادارة وبقيت لتصرف كما تشاء في عباد

الله بحسب ما تراه

وبالقرب من هذا (معرض التليفون) عُرِضَتْ فِيهِ جميع اشكال التليفون المستعملة على اختلاف كيفياتها وكيف كانت في الاول ثم كيف تحسنت الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن واهم ما استجلب انظار الاستغراب فيه وان كان كله غرائب صندوق كصناديق البوستة ذو فتحة مكتوب عليه العبارة الآتية وهي "ضع خمسين سنتياً وخذ المسمع واصغُ تسمع من بعد الساعة كذا بعد الظهر لُعبة كذا تلعب في تياتر كذا بپاريس" فاذا اراد المتفرج ان يسمع اللعبة فليأت في الوقت المخصوص ويضع المبلغ المذكور ويأخذ المسمع ويصغى فيسمع اللعبة الموعود بها

وكيفية ذلك ان شركة التليفون وضعت آلة في محل التياتر ينتقل بواسطتها الصوت من اللاعبين الى الآلة التي عندها يسمع السامع بمحل التليفون فاذا رمى القطعة المتقدم بيان قيمتها في الصندوق صادفت في نزولها كفة ميزان فأسقطتها بقدر ثقلها مسافة لتحول معها الصمامة التي كانت تسد الطريق على السامع فيسمع بذلك مسافة معلومة حتى اذا انتهت عادت الصمامة الى محلها والكفة الى حالتها قبل ان يضع فيها قطعة الفضة بحيث لو وصلت اليها قطعة غير قطعة الفضة المعلومة الوزن لم تتحرك الكفة بقدر الحركة المطلوبة فيترب على ذلك عدم تحول الصمامة عن محلها واستمرار انسداد طريق السمع على هذا الذي اراد ان يسمع غشاً بدون نقد الاجرة المقررة فحسر بهذا ما دفعه مها كان قليلاً ولم يسمع شيئاً

وبعد هذا (معرض الغاز) وهو بناء مشيد اقامته شركة ائارة الغاز الباريزية

من طبقتين تعلوها قبة لطيفة مزخرفة عرضت فيه جميع الاشكال وسائر الالوان
بكيفيات استعمال الاضاءة في الشوارع وفي محلات الجلوس ببيئات مختلفة وفي
محلات النوم والمطالعة ثم للطبخ بكيفيات متعددة واساليب متنوعة ثم للتدفئة
بدل الفحم والوقود في زمن الشتاء على طرق زائدة في الكثرة ثم في زمن الاحفالات
عوضاً عن سائر ما عداه من المضيئات وجعلت محلها هذا الذي اقامته انموذجاً
لانواع الزينة في كل ليلة داخلاً وخارجاً وساعداً على هذا انها شيدته بكيفية
تمكنها من ذلك فانها اكثرت فيه من النوافذ وتفننت في تعدد الالوان واشكالها
وانقنت قبتة واكثرت فيها الزخارف

وقد حثنا على الظهور مزاحمة شركات الكهرباء لما حتى صار ما اجرته من
باب الدفاع عن النفس وصار واجباً أكيداً بهذا الوصف هذا وبجوار هذا
المعرض

(منحثة الالماس المولندية) وقد شيدها بعض التجار المقندين وبنوها
بالحجر والآجر على طراز عمارات بلادهم في اوائل القرون المتأخرة وجعلوها
طبقتين العليا تشغلها ادارة المعرض والأرضية مشغولة بالمنحثة

وفي وسطها طاولة مغطاة بالزجاج فيها كثير من حجارة الالماس صنع من
بعضها شكل برج ابفل مرصوصاً (بدون ان يكون مشغولاً) على بساط من
القطيفة الزرقاء وبجواره في اطباق من المعدن كثير من الالماس ايضاً حتى بلغت
قيمة ما تحت هذا الزجاج وحده مليوني فرنك

وبجوانب المثل طاولة يتيسر للزائرين المرور بالقرب منها فيرون الصناعات
مشغلين بتهيئ الالماس وقد جلب غير مصنوع فيقطعونه اولاً ثم ينحتونه نحتاً

أولاً ثم يعيدون نخته وتهذيبه بواسطة محركات تديرها قوة الغاز
وبجوار هذه المحركات والآلات الجديدة المسنات التي كانت تستعمل في
القرن الخامس عشر وتدار بالرجل ليتبين الفرق بين هذه وتلك
ويتصل هذا المحل بمحلات البوليس بواسطة التليفون للاستعانة عند الحاجة
اتماماً للنظام ولكي لا ينقص لهذا العمل الامالي شي؛ اصلاً
وبجوار هذا المحل بناه شيدته ادارة احتكار الدخان فأرت فيه كيف يصنع
بالدخان من حالته الاصلية حتى يصير سجائر موضوعة في عليها كل ذلك بالآلات
البخار للسهولة والاسراع وتوفير اجر العمال هذا وبمفارقتنا هذا المحل وصلنا الى



❖ برج ايفل ❖

وحيث كان هذا البرج اهم شيء استلفت الانظار في هذا المعرض وهو من
أعظم أعماله وانتشر صيته وشاع ذكره ورسم على اشياء لاتخصى بالتصوير والتجسيم
وانقلت هذه الصور من باريس الى سائر انحاء الارض شأن كل عجيب مرغوب
رأينا ان نتكلم عليه بايضاح أكثر من غيره وان نطنب في وصفه حسب ما هو
عليه فنبتدى بذكر

(اساساته) قد ابتدئ في عمل تجهيز اللازم لها في يوم ٢٨ يناير سنة ١٨٨٧
فانتشرت الفعلة في جميع انحاء المكان نقلع الاشجار (حيث كان بستان قائم على
المحل الذي به البرج الآن) وتحفر الاساسات وتجهز المحل اللازم للعمل في هذا البرج
العظيم فان البرج المذكور يشغل مسطحة قدره أكثر من ١٦٠٠٠ متر مربع وكل
ضلع من اضلاع مربعه ١٢٩ متراً و٢٢ سنتمتر فهو على ذلك يشغل ارضاً تقرب من

اربعة افدنة فان الفدان ٤٢٠٠ متر و ٨٣ سنتمتر وهو قائم على اربعة عمد يعبر عنها بالارجل او الاكتاف وضعت في الجهات الاصلية الاربعة فالرجلان اللتان من جهة النهر الاولى منها (على يسار الآتي من الجهة التروكاديرو) في نقطة الشمال والثانية (على يمين الآتي من الجهة المذكورة) في نقطة الغرب والرجلان الاخران احدهما على نقطة الشرق والاخرى على نقطة الجنوب

(في ارض الاساسات) اخبر الميسو إيفل بواسطة المجسات تركيب الارض التي يراد وضع اساسات البرج عليها اختباراً جيداً وعرف ان الطبقة السفلى منها مكونة من طبقة من الطفل المندمج سمكها ١٦ متراً تقريباً مرتكزة على طبقة طباشيرية وان هذه الطبقة السفلى كافية لتحمل الاساسات وانها مائلة قليلاً متجهة في انحدارها نحو نهر السين وان فوقها طبقة ثانية من الرمل والزلط مندجعة ارتفاعها في البعد عن النهر من ٦ امتار الى ٧ امتار وفي القرب اقل من ذلك فانه أثر فيها فعل المياه بالنحر حتى كادت ان تكون معدومة

وفوق هذه الطبقة الثانية الرملية طبقة ثالثة طينية مختلطة بالرمل الناعم والردم المختلف الاجناس لا تحمل الاساسات

فاضطر الميسو إيفل الى اتخاذ احتياطات خصوصية واستعمال طريقتين مختلفتين في الاساسات بحسب حالة الارض

فاما الرجلان البعيدتان عن النهر فانه امكن بالسهولة تأسيسهما على كتلة من الحراسنة سمكها متران صنعت من الاسمنت في الهواء المطلق حيث وجدت الطبقة الرملية الزلطية اللازمة لتحمل الاساسات على منسوب ٢٧ متراً + (اعني فوق سطح البحر المالح وهذا المنسوب يعادل منسوب سطح مياه السين المعتدل في الحالة

(المتوسطة) وسمكها ستة أمتار في هذا المكان

وأما الرِّجْلَانِ القريبَتانِ من النهر فإنه صار تأسيسهما بطريقة غير الأولى وذلك لأن الطبقة الرملية الزلّية اللازمة لتحمل الأساسات لم توجد الأعلى منسوب ٢٢ مترًا أعني على عمق خمسة أمتار تحت سطح مياه نهر السين ولا يتوصل إلى هذه الطبقة إلا بعد اختراق أرض وحية مستحثة من الطي الجديد ولهذا اضطر المسيو إيفل إلى استعمال طريقة التأسيس بالهواء المنضغط بواسطة صناديق من الصاج طولها ١٥ مترًا وعرضها ٦ أمتار موشحة بقطع من الحديد قوية واستمر نحو الثلاثين من الفعلة يشتغلون مدة شهرين داخل هذه الصناديق تحت ضغط هواء مكبوس بواسطة آلات أعدت لذلك لحفر ما يوجد تحت أرجلهم من الطين الرخو والأوحال وإخراجها حتى انزلوا هذه الصناديق إلى عمق خمسة أمتار تحت الماء وملأوها بالخرسانة صلبًا وقد جعل لحمل كل رجل من الأرجل الأربعة للبرج أربعة من هذه الصناديق

ثم غطيت هذه الخرسانات في الأرجل الأربعة بمدماك من الحجر النحت المأخوذ من محجر شاتولاندن ومقاومة هذا الحجر للتفتت تبلغ ١٢٣٥ كيلوجرام على السنتيمتر المربع في الحد المتوسط مع أن الضغط الواقع من البرج تحت مواقع الأرجل لم يبلغ سوى ٣٠ كيلوجرام على السنتيمتر المربع فالبحر لا يشتغل حينئذ إلا بقدر جزء من أربعين جزءاً من مقاومته الحقيقية وعلى ذلك تكون شروط الأمن متوفرة وزيادة

(المكابس الأيدروليكية أي المائية) ومع ما ذكر فإن المسيو إيفل زيادة في الاحتياط ورغبة في مداركة ما عساه أن يحصل لأرجل البرج من الهبوط وقتاً

ما قد تدبر في كيفية لارجاع البرج الى حالة موازنته الاصلية فوضع لهذا الغرض تحت كل رجل من ارجله مكبساً أي دروليكيّاً من قوة ٨٠٠ طونولاته بتيسر بواسطته في اي وقت رفع كلّ من الأرجل بالقدر اللازم لارجاعها الى حالتها الاصلية .

وقد ترك في قاعدة أحد الارجل كهنّاً معدّاً لوضع الآلات وقزاناتها اللازمة لعملية تشغيل المراقى

وقد اخذ من اجل صرف الكهرباء الجوية من مبدأ الامر احتياطات قوية فوضع لكل رجل من الارجل ما سورتان من الزهر قطر الواحدة منها خمسون سنتمتراصرها الى اعماق الارض وهما متصلتان بقاعدة الرجل الحديدية ونازلتان رأسياً الى مستوى الطبقة المائية فتنعطفان افقياً في الطبقة المذكورة على طول ١٨ متراً منها

(تركيب البرج) في ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٧ ابتدئت أعمال تركيب الاجزاء المعدنية للبرج وكانت الصعوبة الاصلية في هذه المسألة منحصرة في كيفية وقوف الاضلاع الرئيسة من الاكتشاف اذ كان واجباً وضعها في الفراغ وضماً مائلاً وهو ما يعبر عنه في أشغال العمارات بالتركيب على الخلو (ومن المعلوم ان هذه المسألة دقيقة جداً في حد نفسها لان منشئ البرج واعوانه لم يسبق لهم الى ذلك الحين انهم انشأوا عملاً مثل هذا في الجسامة والدقة ولو انهم سبق لهم القيام بأعمال مهمة كبيرة) فأخذوا لذلك في التجارب وعملوا من الخشب نموذجاً صغيراً لاحد الاكتشاف درسوا عليه الطرق اللازمة لاستناد هذا الجسم عليه باركازه كلما ارتفع على نقط ارتكاز خفيفة بواسطة ما وضعوه تحته من العيارات والتخاشيب الهرمية

الشكل الى ان استدلو بالحساب على ان لزوم هذه النقط الارتكازية لا يكون
الأبعد ارتفاع ٢٦ متراً وعلى هذا عندما وصل تركيب الاضلاع الرئيسة
للاكتاف الحديدية الى ارتفاع ٢٦ متراً كانت العيارات والتخاشيب المعدة
للارتكاز حاضرة فانها هيئت والعمل جارٍ في اسفل الاكتاف وقد وضعوا فوق
هذه التخاشيب علبة مملوءة بالرمل معدة لان تركيز عليها الاجزاء الحديدية وبوصول
الارتفاع الى ٢٦ متراً أخذ مركز ثقل جزء كتلة الكنف الذي تم انشاؤه في ان
يسقط خارجاً عن مربع القاعدة ولكن سنده التخاشيب وامكنهم بهذا ان يسبوا
في العمل الى ما فوق ذلك مع التحميل على الخلو في وضع جديد بعد نقطة الارتكاز
الاولى وهكذا استمر العمل حتى وصلت الاضلاع الرئيسة من الاكتاف الى نقطة
ارتكازها العلوية وهي الاعتبار الافقية للطبقة الاولى من البرج التي هي كناية عن
قناطر منصوبة على ارتفاع ٤٨ متراً وعلى عرض ٤٢ متراً لكل واحدة من هذه
القناطر

(تعشيق الحداثد ببعضها وربطها) ان هذه الاعتبار الحاملة للطبقة
الاولى من البرج لم يكن ممكناً مدّها في الفراغ لأنها ليس لها نقطة ارتكاز فعملوا
لحملها قبل ان تصلها الاكتاف في مكان الفسقية الجميلة التي أنشأها سان ويدال
بعد ذلك تحت البرج في النقطة الوسطية منه اربعة عمد هرمية من التخاشيب
ارتفاع كل منها ٤٥ متراً وضعت عليها الاعتبار الكبيرة المقنطرة التي ستصل
بها أرجل البرج الاربعة وبذلك زالت أصعب صعوبات العمل
ولاجل تطابق نقط ارتكاز الأضلاع الرئيسة مع الاعتبار الافقية من
الطبقة الاولى تطابقاً تاماً انزلوا كمية من الرمل الموجود بالعلب السندرة للاضلاع

الرئيسة المذكورة فتسبب عن ذلك انخساط في الاكتاف به تقاربت تدريجياً من رؤوس الاعتاب التي كانت ثابتة كما تقدم فوق عمد وبهذا امكن تطابق القطع المقصود ربطها ببعضها بغاية الضبط وقد نجح هذا العمل حتى إن الثقوب المعدة لربط اطراف الاكتاف بالاعتاب البالغ عددها ٢٠٠ ثقب تطابقت تطابقاً كلياً مع بعضها بحيث لم يحتاج الحال الى توسيع أدنى ثقب لاجراء عملية البرشمة (العيارات) وقد صار رفع الاجزاء المعدنية الى ما علا من البرج لتركيبها بواسطة اربع عيارات صار تثبيتها على طول الاكتاف فترتقي بواسطتها القطع الحديدية على اختلاف حجمها واثقالها حتى تصل الى الصناعات المتعلقة في حديد البرج تعلق النوانية بجبال السفينة

وان منظر هذه العيارات لمنظر عجيب حين ما كانت تشتغل برفع هذه الأثقال فتسير بها ذات اليمين وذات اليسار داخل المراف البرج وخارجها حتى تصل بها الى محلها المعد لها بكل إحكام فلما ارتفع البرج الى أزيد من ١٥٠ متراً استبدلت هذه العيارات بآلة واحدة رافعة بخارية

وسارت الأعمال على درجة من السرعة والتقدم الغريب حتى انتهى العمل الى الطبقة الثانية في مسافة اثني عشر شهراً وتيسر ايقاد الصواريخ البارودية لمناسبة حلول العيد الاهلي في يوم ١٤ يوليوسنة ١٨٨٨ على ارتفاع ١١٥ متراً وفاء بما وعد المسووفل

(المُرَقِيَات) يوجد مَرَقِيَات للصعود من الارض الى الطبقة الاولى على طريقة (رُو) و(كَبَالُوزِيَّة) و(لُوبَاَج) وَيُصْعَد من الطبقة الاولى الى الثانية

بواسطة مَرْقٍ على طريقة أوتيس وضع في الكتف الجنوبي فيصعد من الطبقة الاولى الى الثانية فقط دون ان يصعد من الارض

ويوجد مَرْقٍ آخر على طريقة أوتيس أيضاً موضوع في الكتف الشمالي صاعد من الأرض الى الطبقة الثانية بدون وقوف في الطبقة الاولى ويصعد مرقٍ على طراز إيدو من الطبقة الثانية الى الطبقة العليا تحت القمة وجميع هذه المراقي تحركها المياه وسنشرحها هي وكيفية تسييرها على قدر الامكان

(مَرْقٍ رُو ورفيقه) ان اختلاف مرقٍ رو هذا عن المراقي الاعتيادية منحصر في ان المسير رو ورفيقه عوضوا الساق المستقيم المعمول من قطعة واحدة في المراقي الاعتيادية بساق مركب من جملة عقل منعشقة في بعضها من اطرافها تعشقا مفصلياً كل عقلة منها تدفع العقلة التي فوقها ويتكوّن من هذه العقل شبه جنزير حلقي لافٍ من الاسفل على عجلة موضوعة فوق ارض البرج ومن الأعلى على بكره بمحاذاة الطبقة الاولى يدور عليها كما يدور حبل الساقية والمركبة المعدة لجلوس الصاعدين والنازلين مرتبطة في احد فرعي هذا الجنزير من احد جوانبها وتتحرك بتحريكه ومن الجانب الآخر مرتبطة بجنزير كالاول فكان المركبة مجذوبة بجنزير مضاعف واذا حصل قطع في الجنزير تقف المركبة مكانها بواسطة حافظ أعدوه لذلك

وتحصل حركة الجنازير بواسطة ضغط مكابسها بالماء المخزون في حيزان موضوعة في البرج على ارتفاع ١١٥ متراً

وسرعة صعود هذا المرقٍ ونزوله متر واحد في الثانية وكل مركبة تسع مائة راكب فتصل الى الطبقة الاولى او تنزل منها الى الارض في اقل من دقيقة

واحدة ليس الآ

(مرقي أوتيس) هذا المرقى على الطراز الاميركاني وقد وضع من اجله اسطوانة من الزهر في كتف البرج مائلة بميل الاضلاع الرئيسة وفي داخل هذه الاسطوانة يتحرك مكبس بواسطة الماء المأخوذ من حياض موضوعة في الطبقة الثانية اعني على ضغط احد عشر أو اثني عشر جواً وساق المكبس يدفع شبه عربة مثبت بها ست بكرات متحركة وكران بكر من هذه البكرات بناظرها بكرات ثانية في الطبقة العلوية المقصود الوصول اليها فطرها كقطرها بحيث يتكون من مجموع ذلك شبه عيار يمر حبله العمومي على بكرات تحويل موضوعة من مسافة الى مسافة لغاية ما فوق الطبقة الثانية ثم ينزل ليتعلق بمركبة المرقى وينتج من هذا الترتيب انه كلما تحرك المكبس متراً واحداً في الاسطوانة ترتفع المركبة او تنخفض بقدر اثني عشر متراً والحبال المعلق بها المركبة مصنوعة من سلوك من الصلب عددها ستة كل واحد منها كاف وحده لحمل المركبة وما بها من الركاب بدون أدنى ضرر عليه وقد وضعوا ايضاً تحت المركبة آلة أمن ذات فكوك تمنع بنفسها الخطر بمجرد انقطاع اي حبل او بمجرد حدوث طول غير اعتيادي في اي حبل من الحبال ولا تسع هذه المركبة الا خمسين راكباً لكن يكون سيرها مترين في الثانية اعني ضعف سير المرقى السابق فتكون نتيجتهما واحدة

(مرقي إيدو) يتركب هذا المرقى من مركبتين مرتبطتين معاً بواسطة حبال تنقل احدها الركاب من الطبقة الثانية الى نصف المسافة بينها وبين الثالثة وتنقل الثانية من هذه النقطة المتوسطة الى النقطة العليا فاما المركبة الاولى فيحتملة على مكبسين مائتين مرتبطتين من طرفها العلوي

ارتباطاً مفصلياً في حمالة تحمل المركبة من وسطها ويخرج من هذه الحمالة ومن نفس المركبة المحمولة عليها أربعة جبال تمر على بكرات مثبتة في قمة البرج وتنزل حتى تتصل بالمركبة الثانية واثنان من هذه الجبال يرتبطان بحمالة موضوعة في وسطها المركبة الثانية المذكورة والجبلان الآخران مثبتان مباشرة في جسم هذه المركبة ومعدان للأمن في حالة حصول ضرر للآخرين

وهاتان المركبتان ترفع الواحدة منها ٧٥٠ شخصاً في الساعة الواحدة فان مسطح كل منها ١٤ متراً مربعاً وتسع الواحدة منها ٦٣ شخصاً في المرة الواحدة ولما كانت كل مركبة لا تقطع سوى نصف المسافة بين الطبقتين الثانية والثالثة استلزم الحال انتقال الركاب من احدهما الى الاخرى في منتصف المسافة ويحصل هذا الانتقال بواسطة طريقين متنازيين عن بعضهما لعدم الازدحام وضباع الزمن لو كانت الطريق واحدة هذا وتبلغ سرعة الصعود ٩٠ سنتمتر في الثانية فيصل الصاعد في مسافة دقيقة ونصف دقيقة الى المسافة المتوسطة وفي مثلها منها للطبقة العليا ويقضي دقيقة واحدة للانتقال من احدهما الى الاخرى فتكون الجملة اربع دقائق لأجل الصعود من الطبقة الثانية الى الثالثة او النزول من هذه الى الثانية

ولكل من المركبتين آلة أمن قوية لأجل حفظ الركاب من كل خطر بحيث لا يخشون شيئاً مما حصل للمركبة ولو انكسر اي قسم منها وترفع المرقيات كلها في الساعة الواحدة ٢٣٥٠ شخصاً الى الطبقتين الاولى والثانية و ٧٥٠ شخصاً الى القمة ويمكن عشرة آلاف نفس ان يوجدوا في آن واحد على البرج في طبقاته المختلفة وسلاله ومرقياته بدون ان يحصل فيه ادنى ازدحام

(سلام البرج) صُنِعَتْ سلام لصعود هذا البرج في كل من الكتفين الشرقي والغربي عرض كل درجة فيها متر واحد ذاتُ بسط كثيرة يُصعد بواسطتها من الارض الى الطبقة الاولى بكل سهولة

أما من الطبقة الاولى الى الطبقة الثانية فقد جعلت سلام حلزونية اربعة في كل كتف من الاكثاف سلم عرض الدرجة فيه ٦٠ سنتمتر وقد خُصَّصَ اثان منها بصعود المتفرجين واثان بالنزول

وتكفي هذه السلام لان يمر منها الفا شخص في الساعة الواحدة صاعدين وهابطين

(في الصعود بواسطة السلام) لا شك ان الصعود بواسطة السلام انزه واجمل من الصعود بواسطة المرقيات وان كان اقل راحة منه لأن الرأي يتمكن بواسطتها ويتمتع بمناسبتها من مناظر غابة في العظم فكأنما هو طير في قفص من الحديد جميل الصنع وكأنما ساحة الشان ده مارس بما فيها من الأبنية الفاخرة والاماكن المزخرفة يزداد مجموعها وضوحاً حين يراها صاعداً فتزداد في عينه حلاوة وطلاوة هذا اذا نظر لجهة الارض اما اذا نظر الى جهة الملو فيرى نفسه كأنما هو في سفينة عظيمة الحجم منسوجة من الحديد جميع جبالها وأدواتها منه وكأنما بجانبه شريطا سكة حديدية منصوبان على الارض ليمر عليهما وابور كبير الحجم وماهما الأمر احد المرقيات التي سبق الكلام عليها وهو لا يزال مستمراً في الصعود فيمر على مخازن الطعام واماكن الطبخ التي جعلت في الطبقة الاولى من البرج ويصل بعد قليل الى الطبقة الاولى نفسها ويشاهد بقرب وصوله الانحناءات في الحوائد وتغير الاشكال واختلاف الاتجاهات فيها

ويرى الرأي من هذه الطبقة مدينة باريس الزاهرة وقباب أبنيتها الذهبية
الناصرة وأعدال شوارعها وانتظام طرقاتها وإحكام ميادينها ومنزعاتها مما لا
يدخل تحت الوصف ولا يبلغ مداه الإحصاء

والصعود لهذه الطبقة بواسطة السلم في غاية السهولة لاسيما اذا لم يجهد
الانسان نفسه ومشى المويناء متكئا على الدرايزين الحديد الذي بجانبه وعدد
درجاته ٣٥٠ ويلزم لصعودها من سبع دقائق الى ثمانية ليس الا
ومن الطبقة الاولى الى الثانية يكون في الصعود بعض الصعوبة لازدياد
عدد الدرج فيه ولكون شكل السلم حلزونياً وعدد الدرج فيه ٣٨٠ يلزم لصعودها
نحو عشر دقائق

ومن الطبقة الثانية الى القمة يوجد سلم حلزوني أيضاً ارتفاعه ١٦٠ متراً
ولكنه مختص بخدمة البرج وعماله فلا يصعد فيه الاجانب وعدد درجاته ١٠٦٢
درجة فيكون عدد درجات سلم البرج من الارض الى القمة ١٧٩٢ درجة
(نظام الصعود الى البرج) تفتح ابواب البرج للزائرين كل يوم من الساعة
٩ صباحاً الى الساعة ١١ بعد الظهر انما لا تُعطى اوراق بعد الساعة العاشرة وتبتدئ
حراس البرج بدعوة الزائرين للنزول منه ومبارحته من الساعة ١٠ ونصف
وتعطى تذاكر الصعود من الارض الى كل الطبقات ومن كل طبقة الى
ما فوقها

ولا يقبل أكثر من مائة شخص في المرقبات التي تصعد الى الطبقة الاولى
ولا أكثر من خمسين في التي تصعد للثانية ولا أكثر من سبعين في التي تصعد
من الثانية الى القمة

والسلام قد تخصص بعضها بالنزول وبعضها بالصعود كما مرَّ وتُلق الابواب الموصلة من الطبقة الاولى الى الثانية من غروب الشمس اما السلم الذي يصعد به من الثانية الى القمة فلا تقبل فيه الا جانب أصلاً كما مرَّ

(تعريف الصعود)

في ايام الاحد والاعباد	من الساعة		في ايام الاحد والاعباد
	من الساعة	قبل الساعة	
	١١ الى	١١ وبعد	
	٦ الساعة	٦ الساعة	
فرنك	فرنك	فرنك	
٢	١	٢	من الارض الى الطبقة الاولى بالمرقي او بالسلم
١	٥٠	١	من الطبقة الاولى الى الثانية بالمرقي او بالسلم
٢	٥٠	٢	من الثانية الى الثالثة بالمرقي

فتكون حينئذ اجرة الصعود من الارض الى القمة في ايام الاسبوع خمسة فرنكات ولا فرق بين المرقيات والسلام في الاجرة ولا في التذاكر وقد جعلت ستة عشر مكنياً تُوزَّع منها التذاكر عشرة في الطبقة الارضية واربعة في الطبقة الاولى واثنان في الثانية

والاوراق تختلف الوانها فالتى للطبقة الاولى زرقاء والتى للثانية بيضاء والتى للقمة حمراء وهي الوان العلم الفرنسي المثلثة بحسب ترتيب وضعها فيه وتسع السلام والمرقيات ان يصعد فيها للبرج خمسة آلاف نسمة في كل ساعة

(الطبقة الاولى) تبعد الطبقة الاولى عن سطح الارض ٥٧ متراً و٦٣ ستمتر

ومسطح ارضيتها ٤٢٠٠ متر مربع وفي مفتوحة من وسطها على مسطح ٩٠٠ متر مربع فيرى الناظر من هذه الفتحة ارض البرج المحصورة بين أكتافها الاربعه ويطلُّ على الفسقية البديعة التي عملها سائر ويدال تحتها

وحوالي هذه الطبقة ممشى ذات عقود طولها ٢٨٣ متراً وعرضها متران وستون ستمتر

وقد شيد في هذه الطبقة أربعة اماكن أعدت للطعام يسع الواحد منها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ نسمة جيدة الصنع بديعة في الاتقان وحسن الوضع جعل في أحدها محل بار (محل يبره وأكل) على الطراز الفلامندي وفي ثانيها محل أكل روسي وفي ثالثها بار على الطراز الانجليزي الأميريكاني وفي رابعها محل أكل فرنساوي

وقد جعلت اماكن الطباخة وتخزين الانبذة والاشربة اللازمة لهذه المحلات منحطة عنها ينزل اليها بنحو عشرين درجة في مرتفعة عن سطح الارض بنحو خمسين متراً فقط يطبخ فيها ويستنار بانجرة المياه والكهرباء فلا يدخلها الغاز لانه لا يستعمل الا في إضاءة محلات الأكل

وقد نُقِشت في أعلى محلات هذه الطبقة اسماء العلماء وكبار المهندسين الفرنسيين الذين اشتهروا في هذا القرن باختراعاتهم ومعلوماتهم فكان هذا البرج صار تشييده تحت حمايتهم وبعين عنايتهم اذ لولاهم ولولا اختراعاتهم لما تيسر تشييده بهذه الحالة ولما تَوَصَّل الى اقامته بهذه الكيفية

وعلى هذه الطبقة دعا المسيو ايفل في يوم ٤ يوليو سنة ١٨٨٨ نحو مائة من كبار محرري الجرائد الباريسية لتناول الطعام وكانوا اول من صعد الى البرج

بعد صنّاعه

(الطبقة الثانية) تبعد هذه الطبقة عن سطح الارض ١١٥ متراً و ٧٣ سنتيمتر واتساع كل ضلع من اضلاعها ثلاثون متراً والى هذه الطبقة كانت اكتاف البرج الاربعة منفصلة عن بعضها وهكذا تبقى الى سقف هذه الطبقة فيحذر لتصل ببعضها ويتكوّن منها عمود واحد يصعد من هذه الطبقة الى القبة

ومسطح هذه الطبقة ٤٠٠ متر مربع القسم الوسطي منها مخصص بالانتقال من المرقيات التي توصل هذه الطبقة بماتحتها الى المرقيات التي توصلها بما فوقها وقد صعدنا اليها بالمرقي وكان الزحام على الصعود شديداً اذ هو لا يتيسر لكل واحد الا بحسب ترتيبه في الحضور فطالت مدة الانتظار علينا حتى زادت عن الساعة الى ان انت النوبة لنا فوصلنا هذه الطبقة ووجدنا فيها محطة انتقال الصاعدين والهابطين كما مرّ وفي وسطها محل اتخذته جريدة الفيجارو الباريزية الشهيرة وسمّته باسمها ووضعت فيه ما يلزم من أدوات الطباعة ومن يراد من المحررين والكتاب وجعلته لاصدار جريدة يومية سمّتها باسمها (فيجارو) وخصصتها باعمال المعرض وعجائبه وغرائبها فكانها ارادت ان تعرض في هذا المعرض كيفية تحرير جريدة وطبعها ونشرها فوضعت آلة من احسن الآت الطبع (ماربنوني) يحركها الغاز وجعلت نجمة من محرريها يتولّون امر التحرير والتسطير وكثيراً من الحماة والطباعين في هذا المكان الخشبي البديع الاتقان وجعلت لكل من يزور ادارتها هذه الحق في أن يكتب اسمه في دفاتر اعدتها لهذا وجعلت على نفسها أن تطبع هذه الاسماء بالتوالي في اعداد هذه الجريدة المخصوصة فكتبنا اسماءنا وجعلت لكل زائر فوق هذا أن يستلم نسخة يومها الذي طبعت فيه في فاستلمناها

بعد دفع ثمنها وقد طُبع عليها ما يأتي ترجمته
 "هذه النسخة سلمت تذكراً لزيارة كشك الفيغارو في الطبقة الثانية من
 برج ايفل على ارتفاع ١١٥ متراً و٧٣ سنتيمتر من سطح ارض شان دة مارس
 ثم ختم الجريدة وفيه اسم الكشك والبرج وتاريخ ٥ أغسطس سنة ١٨٨٩"
 وقد لحصنا من هذه الجريدة بعض ايضاحات متعلقة بدرجة الحرارة في
 البرج في يوم صدورها وعدد من صعدوا الى البرج في اليوم الذي قبله وعدد من
 دخلوا المعرض في اليوم المذكور

اما درجة الحرارة فكانت في نصف الليل ١٩ وفي الساعة ٦ صباحاً ١٦ وفي
 وقت الظهر ٢١ وفي الساعة ٣ بعد الظهر ٢٣ فوق الصفر

واما عدد من صعد الى البرج فبلغ ١٢٠٧٠٥ من الارض الى الطبقة الاولى
 و٢٠٥٣٥ من الارض الى الطبقة الثانية و٦٠٩٢١ من الطبقة الاولى الى الثانية
 و٤٠٢٣٤ من الطبقة الثانية الى القمة

وبلغ عدد من دخل المعرض من المتفرجين الذين يدفعون اجرة على
 الدخول ٢١٢٠٣٨٣ نسمة

وجريدة الفيغارو الاصلية من اهم الجرائد الفرنسية شهرة وانتشاراً يطبع
 منها في اليوم ٨٠٠٠٠ نسخة يجرها احسن المحررين تبلغ مرتباتهم الشهرية ٦٠٠٠٠
 فرنك وهي لشركة ذات سهام كانت قيمة السهم الواحد المدفوعة منها ٥٠٠ فرنك
 اما الآن وقد تقسم السهم الواحد الى ثمانية سهام فيساوي الواحد من هذه ١٣٠٠
 فرنك فصار من دفع ٥٠٠ فرنك في الاسهم الاولى يمتلك الآن سهماً في مقابل
 ذلك قيمتها ١٢٤٠٠ فرنك

هذا وحول كشك الفيجارو المذكور بالبرج ممشي عظيمة طولها ١٥٠ متراً وعرضها متران وستون سنتيمتر مطلة على ما تُشرف هذه الطبقة عليه من الامكنة والبقاع فيرى الرائي ما هو فوق التصور من باريس وآثارها وعماراتها ويري نهر السين يقتسم هذه المدينة الباهرة كلنا هو زنار من الفضة في وسط فتاة ويري من هذا العلوي ساحات الشان ده مارس نقطاً صغيرة سوداء هي العالم المجمع في ذلك المكان ويري بعد هذا كله ما وراء باريس من الغابات والأكام مد البصر وحد النظر مما يعجز قلم البليغ عن وصفه ويقصر لسان الفصيح عن وصفه (الطبقة الثالثة) ليس للوصول الى هذه الطبقة غير طريق واحد هو طريق المرقيات على ان الراكب فيها يستبدل مرقية بغيره في وسط المسافة كما مر في ذكر المرقيات

وهذه الطبقة على ارتفاع ٢٧٦ متراً و١٣ سنتيمتر وهي عبارة عن قاعة متسعة الاطراف عرض الضلع من اضلاعها ١٦ متراً و٥٠ سنتيمتر تسع نحو ٨٠ نسمة ويحيط بها اجز من البلوريتي الزائرين من البرد والرياح وبعده جهات من تلك القاعة منظارات عادية وفلكية تختار منها ما شئت لتنظر ما تريد والفلكية كل واحدة منها موجهة الى جهة من ضواحي باريس وتلك الجهة مبينة على خريطة موجودة بجانب تلك المنظارة ومقدار ما يراه الرائي يختلف بحسب حدة البصر وقلتها وبحسب اتقان المنظارات واحكامها وحسن صنعها ومعرفة استعمالها وبحسب صحو الجو وقلة ذلك ولهذا قد يري الرائي الى تسعين كيلومتر وربما بلغ مقدار المرئي بالتحري والمعرفة وصفاء الجو الى مائتي كيلومتر

وان هذا المنظر لمنظر بهيج يهر الناظر اذ يري باريس وما حولها من القصور

المشيقة والمباني الجسيمة العديدة والشوارع والحارات والميادين والطرق
والبساتين والمنزهات والأشجار المتكاثفة والظلال الوارفة والأنهار والحدائق
والإنسان والحيوان كأنها لم تكن شيئاً يذكر فهذه شوارعها وطرقها وميادينها
وحاراتها على ما فيها من الاتساع كأنها بيوت نخل أو طرق نخل وهذه بساتينها
ومنزهاتها كأنها حشائش لا تتميز وهذه سكانها أولوا المعرفة والنشاط والحركة
كانهم نقط سود أو نمل يذهب ويعود

فإذا أمعن الإنسان النظر وقارن بين باريس وهو فيها يمشي في شوارعها
ونواحيها تمتع الطرف بمنزهاتها الزاهرة وقصورها الفاخرة ورأى ساكنيها على ما هم
عليه من الإعجاب والخيلاء وبين الحالة التي هي عليها الآن وهو بهذا المرتفع زاد
في العجب والاستغراب

فلبئنا ملياً باهتين متعجبين مما رأيناه ثم أخذنا نذكر فضل الإنسان ونندح
اجتهاده ونشاطه حيث بلغا به الدرجة القصوى من المعرفة وحدانا ذلك إلى تمجيد
الخالق سبحانه الذي خلق الإنسان وعلمه البيان

وقد دخل الليل وأن وقت الانصراف فقمصدنا النزول وإذا قد وقع نظرنا على
صندوق من صناديق البوطة المعدة لوضع الخطابات فاشتريت ورقة بوطة
وكتبت فيها السلام لسعادة صهرى العزيز الأمير الجليل أحمد باشا السيوفى
واحبابنا بمصر ووضعتها في هذا الصندوق

(ألفية) ليس للزائر أن يتعدوا الطبقة الثالثة وهي على ارتفاع ٢٧٦ متراً
وثلاثة عشر سنتيمتر كما مر

أما ما فوقها فقد صار تقسيمه إلى عدة قاعات جعل بعضها لأجراء بعض

تجارب علمية وجعل بعضها مسكنًا للسوايفل اتخذه لنفسه ليقم فيه بعض
الاحيان

وهذا الجزء العلوي مركب من اربعة عمد شبكية التركيب كالصناديق
وترتبط هذه العمد مع بعضها من الأعلى بقواصر فتعمل فوقها القنار ويصل
اليه العمال المخصصون بعملية تنويره بواسطة سلم دائري في وسط العمد المذكورة
وقد جعلت ثلاثة معامل في هذه الطبقة القيمة اولها خصص بالارصاد
الفلكية والثاني مخصص بالطبيعة والحوادث الجوية والثالث تخصص بدراسة حياة
الاجسام العضوية وبدراسة الميكروبات الهوائية ويؤمل العلماء في هذه المعامل
الحصول على نتائج مهمة

(القنار) قوة هذا القنار الضوئية تعادل قوة اكبر الاضواء المجمولة على شواطئ
فرنسا البحرية وقد اتخذوا الضوء الممدد لانه ارصفة مدينة (روان) حدًا للمقارنة
في حساب انشائها فان انوار هذه الجهة موضوع لما ينبوع ضوئي على ارتفاع ١٣
مترًا تعادل شدته ٢٤ أمبيرًا فينبير دائرة قطرها ١٣٠ مترًا

اما في برج ايفل فلما كان بعد ينبوع عن مركز الشكل يعادل عشرة اضعاف
المد في قنار روان لزم هنا ينبوع شدته تعادل شدة ينبوع الاول مائة مرة
وحيث انهم فضلوا عن هذا راعوا تشرب الضوء في الجوزادوا ينبوع الضوئي عن
ذلك فحسبوه ٢٤١٢٥ أعني ٣٠٠٠ أمبيرًا

ولهذا الحين لم يمكن الحصول من ينبوع ضوئي واحد على اكثر من ٩٠ أمبيرًا
في النهاية العظمى فاستلزم الحال وضع ٣٣ لامبة كل واحدة منها تعطي تلك النهاية
العظمى فموضوعها بثمانية واربعين لامبة مختلفة الشدة جعلوها حول ينبوع العلوي على

ثلاث طبقات فتتغير ثلاث مناطق ذات مركز واحد
وهذا الفئار ثابت لكن الصفائح الزجاجية الموضوعة امام الانوار منحركة
تدور بواسطة آلة ساعة وهي زرقاء وبيضاء وحمراء على مثال العلم الفرنسي
ولا يمكن رؤية هذا الفئار من ميدان شان-ده-مارس ولا يراه الا من يبتعد
عنه بنحو ١٥٠٠ متر فيرى من ميدان الكونكورد مثلاً
وقد لزم لاجراء هذه الاضواء آلة قوتها ٥٠٠ حصان فأوجدت مع الماكينات
التي استلزمها المرقيات تحت احد الاكتاف
(قاذفات الضوء) قد وضعت آلتان قاذفتان للضوء عظيمنتان في الشدة
بها يتسرق ذف حزم ضوئية على مباني باريس الاثرية مدة الليل وهما غير الفئار
وهو يطوف بانواره الثلاثية في نقط مختلفة حول باريس على سطح دائرة نصف
قطرها سبعون كيلو متر
وهاتان القاذفتان كهربائيتان لا يقل قطرها عن تسعين سنتيمتر وهما
موضعتان على ارتفاع ٢٩٠ متراً وتصل اشعتها في الليالي الصحو الى بُعد عشرة
كيلو مترات تقريباً
وهما من نوع الاجهزة المستعملة في مدرعات الدونمة الفرنسية ومجموع
شدة اشعتها الضوئية تعادل ١٦ مليوناً من فوهة كازرل
وتوجه انوارها تين القاذفتين الى النقط المرتفعة من باريس وضواحيها بمعرفة
عمال كهربائيين يشتغلون مدة النهار بتنظيف الآلات ومدة الليل بهذا العمل
(العلم) فوق قبة الفئار سطح صغير قطره متر واربعون سنتيمتر يحيط به
درازين من حديد يصعد اليه بواسطة سلم يمر من داخل الفئار في ماسورة قطرها

ثمانون سنتمتر تشابه مداخل السفن البحرية ولا يتيسر الصعود منه إلا لشخص واحد وقد جعل من الداخل لقصد عدم الاضرار باشعة الفئار وعدم حجبها عن جهة ما من سائر الجهات

وهذا السطح الصغير واقع على ارتفاع ٣٠٠ متر من الارض وقد خصص بمقاييس الهواء (أنيومتر) ولا لات الارصاد الجوية التي تستدعي عزلة تامة وقد بُنيت في وسط هذا السطح عمود من الخشب يحمل العلم الفرنسي الذي طوله ثمانية امتار وعرضه ستة

وفي يوم الاحد ٣١ مارس سنة ١٨٨٩ رُفِعَ على هذا السطح العلم الفرنسي بمعرفة المسيو ايفل اشارة الى انتهاء الاعمال واتمامها فقابلته بالترحيب أصوات المدافع التي وضعت لهذا الغرض على الطبقة الثالثة من البرج وهو لا يزال مرفوعاً في هذا المحل

(مانعة الصواعق) هنأت أكاديمية العلوم بباريس المسيو ايفل عند تمام البرج على النتائج الحسنة التي استحصل عليها وعلى عدم لزوم وضع مانعة للصواعق عليه لان وضعها ربما كان من موجبات تعطيل التجارب العلمية التي يرّام اجراؤها في أعلى البرج وذلك لان البرج في حد ذاته عبارة عن مانعة صواعق جسيمة تحمي مسافة كبيرة حولها فإن اجزاء البرج المعدنية متصلة بالطبقة المائية التي تحت الارض بواسطة الموصلات الخصوصية التي نُظِمَت في طول كل كنف من أرجل البرج وبهذه الاحياطات يكون داخل البرج ومن فيه من الاشخاص في أمن تام من الصواعق وأخطارها

(خشية العواصف في البرج) قد اشتغل مشاهير العلماء بمسألة ما عسى أن

يحصل في البرج من الحركة لعظم ارتفاعه عند حصول العواصف فقرروا بعد البحث والتدقيق أن أعظم حركة يحتمل حصولها في القمة لا تتجاوز عشر سنتمترات مها بلغت شدة العواصف بحيث لو وجد زائر في قمة البرج وقت حصول هذه العواصف لما شعر بهذه الحركة

(أعالي مباني الدنيا) قد علمت أن ارتفاع برج إيفل ٣٠٠ متر فنذكر ما عده من أعلى مباني الدنيا ليُعلم أنه أعلى منها جميعاً وهما هي

متر

٦٦	قبة كنيسة نوتردام في باريس
٨٣	قبة بآنتيون باريس
١٠٥	قبة دار العواجز العسكريين بباريس
١٣٢	قبة كنيسة القديس بطرس بروم
١٤٢	كنيسة ستراسبورغ الكاتدرائية
١٤٦	الهرم الأكبر بمصر
١٥٩	كنيسة كولونيا الكاتدرائية
٠٤٩	باب نصر الكوكب (إيتوال) بباريس
١٥٠	كنيسة رُوان الكاتدرائية

والأثر الذي أقيم بفيلادلفيا تخليداً لذكر واشنطن وارتفاعه ١٦٩ متراً و ٣٥٥ سنتمتر كان أكبر الآثار ارتفاعاً قبل برج إيفل على ما كان في بنائه من الصعوبات وذلك أنه كان الأصل في العزم سنة ١٨٤٨ أن يشاد هرم ارتفاعه ٦٠٠ قدم (١٨٣ متراً) فلما وصلوا في ارتفاعه سنة ١٨٥٤ الى ٤٦ متراً رأوا أنه مال

فخوفوا من ذلك ووقفوا العمل ولم يعودوا إليه إلا في سنة ١٨٧٧ مضطرين مع ذلك الى تخفيض ارتفاعه وجعله ١٦٩ متراً فقط ايثاراً لمئاته وتقادياً من سحق الاحجار التحتية وتفتتها من الاثقال التي فوقها واخذوا من ذلك الحين يبنون ٣٠ متراً في السنة حتى تم الهرم في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٥ وبلغت مصاريقه سبعة ملايين فرنك ومائة الف فرنك

(عمال البرج) لم يكن عدد العمال الذين شيدوا هذا البرج كثيراً وهذه حالة تستلفت النظر في مثل هذا العمل العظيم حيث لم تجتمع له جموع كثيرة كما كان يظن ولم يكن للعمال فيه جلبة وضوضاء بل الحديد نفسه لم يسمع صوته المداوم وما السبب في ذلك إلا أن قطع الحديد كانت تجلب تامة الصنعة من معمل المسوايفل بيلد ' لوفالوا بيرية ' عليها نمره يعلم منها الحل الذي توضع فيه فيعكم وضعها على سابقتها بكل سهولة من غير أن يحتاج فيها الى إحداث ثقب للبرشمة ولا الى احضار آلات للتوسيع والتعديل وكان مائتا عامل كافين كل الكفاية لعمل التركيب بل كان في بعض الاوقات لا يلزم للعمل أكثر من مائة وخمسين عاملاً وكانت اجرة العامل الواحد في الساعة الواحدة ٨٠ سنتيماً لغاية ٣١ اكتوبر سنة ١٨٨٨ ثم حصلت زيادة ٥ سنتيمات في اول سبتمبر سنة ١٨٨٨ ثم خمسة أخرى من اول اكتوبر التالي له ثم خمسة ثالثة من اول نوفمبر كل هذه الزيادات عمومية ثم خمسة سنتيمات زيادة خصوصية للعمال المشتغلين بالمحلات العالية

ومما ينبغي التنبيه عليه أن كثيراً من العمال المشتغلين بتركيب هذا البرج لم يصعدوا صعوداً تاماً من الارض الى القمة إلا يوم الافتتاح بعد تمام البرج خلف المدعوين الرسميين وذلك لان هؤلاء كانوا مشتغلين إما في الطبقة الاولى او في

الثانية في المحطات والمخازن التي كانت مقامة فيها بصمود الحدائد وتشغيل
السيارات في توصيلها (وكانت تبلغ زنة بعضها ثلاثة آلاف او اربعة آلاف طن ولا طه)
من محل وجودها الى احدى هاتين الطابقتين أو الى القمة وكانت المسافة التي
تلزم الى ارقاء قطعة من الحديد الى ارتفاع ٢٢٠ متراً ثلاثة ارباع ساعة

وقد جعل المسير ايفل في الطبقة الثانية على مقربة من المحل الذي به الآن
مكتب الفيجار وقاعة متسعة للاكل عهد به احد المتعمدين واشترط عليه ان
يبيع للعملة الاكل اللازم لافدائهم وقت الظهر بنصف الثمان التي يباع بها الاكل
في محلات الطعام المجاورة لمحل تشييد البرج في مقابلة قيامه لهذا المتعهد بوقود
الطعام وبمبلغ ٦٠ سنتيماً عن كل اكلة يأكلها العامل وقصد بذلك المسير ايفل
توفير النصف للعمال في مصاريهم كما رأيت وتوفير اتماب الصعود والمبوط الى
الاكل ومنه بما كان يضيع الوقت سدى ويورثهم تعباً ومشقة فضلاً عن تأخر
العمل في هذه المسافة الذي ربما يعوق اتمامه في اوانه

والعمال الذين كانوا معرضين للمتعاب اكثر من غيرهم هم النقاشون والمبرشون
لقطع الحدائد ببعضها حال التركيب فانهم كانوا يتعلقون في الهواء مرتكزين
على شباك رفيعة من الحديد بينهم وبين الارض العدد الكثير من الامتار وكلما
تقدم العمل زاد الارتفاع فالتقاشون لطلاء البوية وجهاً بحد وجه والمبرشون
لبرشمة الحدائد ببعضها بادخال مسمار كبير محمى بالنار الى الدرجة البيضاء في ثقب
الحديدتين المراد جمعهما فكان هو لاء عرضة لتقلبات الجو والهواء واختلاف الانواء
وتساقط الامطار وشدة البرد وسائر الاخطار حتى ان درجة البرد عندهم في الشتاء
وصلت الى ثمان درجات والى عشرة تحت الصفر في بعض الاحيان

ولكنهم كانوا العدد القليل من عشرين الى ثلاثين وكلهم من الامناء لمعامل
ايقل ومن المتعودين على المتاعب والمصاعب ومن المجريين كل التجارب فكانوا
معه في الأعمال الجسيمة التي قام بها الى الآن سواء كانت في القناطر والهواء او
تحت الارض او الماء

وكان بجوار الواحد منهم مع هذا تنور يتنقل معه اينما كان ممتلي نارا لتلظى
يُدْفِئُهُ ويستعمله في احماء مسامير البرشمة

(لماذا استعمل الحديد) ليست فكرة تشييد برج عظيم الارتفاع جديدة بل
سبق ان المهندس الانجليزي تريفيثيك صم ان يبني بناء ارتفاعه الف قدم (٣٠٤
امتار و ٨٠ سنتيمتر) وكذلك الامريكانيون كثيرا ما نسخ بفسرهم مثل هذا
المشروع ولكن الذي يميز برج سنة ١٨٨٩ هذاعما سواه من جميع ما صُم عليه او
تُفكر فيه هو تشييده من الحديد دون سائر المواد وتركيبه بطرق خاصة بالمسيو
ايقل نفسه ومن ابتكاراته

فقد ألفه من شبكات من الحديد ذات مقاومة عظيمة مع المرونة والخفة
متصلة ببعضها بواسطة قطع من الحديد مبرشمة بالحديد وهذا الذي اكسب البرج
الشكل الهوائي الشبيه بالدنتيلة المصنوعة من الحديد فهو غاية في اللطف نهاية في
الظرافة والملاحظة كما اعترف به كل من رآه ومنهم المعارضون في هذا المشروع الذين
تصدوا الى الممانعة فيه قبل وجوده

واستعمال الحديد دون غيره في هذا العمل الخطير لعدة اسباب منها ان استعمال
البناء بالحجر في الآثار العظيمة قد ابلغه منتهاه اهل العصر القديمة والقرون
الوسطى والازمان المتأخرة فلم يكن في الامكان سبيل للابداع فيه أكثر مما اتى

به القدماء ومنها ان درجة تحمل الحجر للاهوية اقل بكثير من درجة تحمل الحديد
اما الحديد فبعكس الحجر في كل ذلك من شدة المقاومة ومن صغر حجم
السطح المعرض منه للهواء ومن مرونته التي تجعل جميع اجسامه المرتبطة مع بعضها
كجسم واحد صنع من قطعة واحدة

مع ان الحديد فيه مزية اخرى ليست في الحجر وهوائه قابل للنقل الى اي
مكان فيمكن نقل هذا البرج من مكانه الذي هو فيه الآن الى اي محل يراد نقله
اليه وقد قرر لنقله المسيو ايفل لو اريد ذلك من ٦٠٠,٠٠٠ الى ٧٠٠,٠٠٠ فرنك
(زينة البرج) زنته مع جميع لوازمه وملحقاته وسقوفه وادواته صار تقديرها
بسبعة ملايين كيلو جرام

وهذا الحمل العظيم موزع على مسطح من الاساس لا يتجاوز الضغط
الواقع منه عليه كيلو جرامين على كل وحدة سطحية
وان ثقل الحدائد التي استعملت فيه وحدها سبعة ملايين كيلو جرام وثقل
مسامير البرشمة التي استعملت لربط الحدائد ببعضها يقرب من ٤٥٠,٠٠٠ كيلو
جرام وعددها ٢,٥٠٠,٠٠٠ قطعة منها ٨٠٠,٠٠٠ برشمت في البرج نفسه
حال تشييده

وعدد القطع المعدنية المتقاطعة مع بعضها في جميع الاتجاهات ١٢,٠٠٠
قطعة وكل واحدة منها بالنظر لشكلها او لاتجاهها في الفضاء استلزمت رسماً
خصوصياً وجميع هذه الرسومات باشكالها صار حواشيها باللوغاريتم بدرجة ضبط
لا يكون فيها فرق بعشر مليمتر وذلك في مكتب معامل المسيو ايفل ببلدة لوفوا ايرية
حتى صارت اوراق الرسوم بانضمامها على بعضها كجبل من الاوراق المرسومة ولا

غَرَوْا ان انتجت جبلاً شامخاً من الحديد وقد اجمعت التقارير الرسمية على ان البرج
تم بدون غلطة واحدة ولا حصول خطأ واحد في حسابه

(تاريخ البرج) لما عرض المسيو ايفل فكرة ايجاد هذا الأثر الخطير على الحكومة
تلقاها المسيو لوكرواه وزير التجارة اذ ذاك بكل قبول وشجعة كل التشجيع
وتكلمت بها الجرائد فاشتغل بها الرأي العام واستحسنها وساعدها كل المساعدة
وصدق عليها كل التصديق حتى ان الحكومة لما اعلنت بالمكافأة لمن يأتي باحسن
رسم لمعرض سنة ١٨٨٩ في الاجل الذي ضربته وبالشروط التي وضعتها جعلت
من ضمن ذلك ايجاد برج فيه ارتفاعه ثلثمائة متر فاعتبر هذا بمثابة قبولها مبدئياً ايجاد
هذا البرج واضطر جميع من اشتغلوا بعمل رسومات للمعرض وتعرضوا لنوال المكافأة
ان يجعلوه في رسوماتهم التي قدّموها

وانما حصلت لهذه الفكرة معارضة واحدة اقامها في طريقها جماعة من مشاهير
الشعراء والرّسامين والمهندسين والعلماء بكتابة الى المسيو ألفان رئيس اعمال
المعرض قالوا فيها " ان هذا البرج سيكون خزيّاً لپاریس وعاراً عليها " وان هذه
المدخنة تمحق ببيتها الوحشية وقبح شكلها جميع مباني پاریس الأثرية فتصيرها
صغيرة بجانبها وتضع بذلك بهجتها وتذهب بنضارتها ويستطيل على هذه المدينة
التي تولّى اعمالها وشيد ابنتها واقام آثارها اذ كياها القرون الماضية والحاضرة ظل
هذا العمود الحديدي الكئيب كقطعة من الجبر سوداء

فكتب المسيو لوكرواه الى المسيو ألفان كتابة في رد هذا الاعتراض وقد ظن
نفسه المقصود بالذات منه لمساعدته في هذا المشروع وجعله الحكومة تمديد المساعدة
فيه بليون ونصف مليون من الفرنكات وبعد أن قال فيها ان پاریس لا تخاف

شيئاً ولا يخشى عليها اصلاً من هذا المشروع قال ما ترجمته "وانما كانت تصح هذه المعارضة لو تقدم وقتها عن هذا المشروع وجاءت في اوانها فانه كان ينجوبها من الدمار وبسلم بها من الخراب تلك الارض الواسعة والبقعة المرملة الشاسعة المعروفة بالشانده مارس الجديرة بان يحمي حماها الشعراء وان تستمد من قفرها اذهان المصورين الفضلاء" واستمر على هذا النمط من الاستهزاء الى أن ترجى المسيوالفان أن يحافظ على هذه المعارضة "فانها جدية بان تُعرض في أحسن محال المعرض وهي لاشك في أنها تستجلب انظار عموم الناس فيه حتى ربما أدتهم الى الاستعجاب والاستغراب"

اما المسيوافيل فلم يوقفه شيء من هذه المعارضات والمناضلات بل استمر في عمله مواظباً عليه مجداً فيه مهتماً في اتمامه عاملاً على انجازه في ميعاده المحدود حتى نال متمناه ووصل الى اقصى مناه

(مصاريف البرج) صرف على البرج حتى تم ستة ملايين ونصف مليون من الفرنكات على حسب البيان الآتي

فرنك	
في الاساسات وأبنية ماتحت الاكتاف	٩٠٠,٠٠٠
تركيب البرج واثمان الحدائد ورسوم الدخولية التي دفعت عليها	٣,٨٠٠,٠٠٠
طلاء البرج بالبوية أربع مرات اثنان منها بالمينوم (زنجفر)	٢٠٠,٠٠٠
المرقيات والماكينات	١,٢٠٠,٠٠٠
محلات الاكل وقاعاته وزخرفة الطبقات الثلاثة وغير ذلك	٤٠٠,٠٠٠
	<hr/>
	٦,٥٠٠,٠٠٠

ولم يلتزم المسيو ايفل التقديرات التي قَدَرها بادئ بدء كل الالتزام بل كان يغير منها كلما دلتُه الاعمال على ما هو أحسن منه وكلما رأى لزومه فزاد مثلاً نحو ٦٠٠ طنولاطه من الحديد على ما كان قدره اولاً في قسم البرج الذي بين الاساس والطبقة الاولى وصرف في المرقيات زيادة على ما قَدَر لها اولاً ٦٠٠,٠٠٠ فرنك

وقد دفعت الحكومة من مبلغ الستة الملايين ونصف مليوناً ونصفاً وتبرعت مدينة باريس بالارض اللازمة لتشييد البرج ولكن كل ذلك على شرط أن تكون للحكومة ملكية البرج بعد مضي عشرين سنة من يوم انقضاء المعرض اما من وقت افتتاح المعرض الى تمام العشرين سنة فالبرج تستغله شركة مالية تسمت بشركة برج ايفل الفها المسيو ايفل من بيتين أو ثلاثة من البيوت. المالية الكبيرة رأس مالها خمسة ملايين ومائة الف فرنك بدون اكتتاب عمومي ونقسمت سهام هذه الشركة الى قسمين متساويين أعطي قسم منها الى المسيو ايفل في مقابلة فكرته وعمله ووُزِع القسم الثاني على الشركاء الذين نقدوا الملايين ويؤكدون أن ايرادات السنة الاولى (سنة المعرض) كفت بعد المصاريف لاداء راس المال المدفوع بتمامه ان لم تزد عنه فيكون استغلال البرج مدة العشرين سنة ربحاً صافياً يقتسمه ايفل وشركاؤه

(فائدة البرج ومنفعته) برج ايفل بكيفيته هذه التي شيد بها سيكون نموذجاً تشاد على مثاله اعمال كثيرة نافعة واشياء خطيرة مهمة كالقناطر والفنارات بعد ان كان مهرة المهندسين الى اليوم لا يجسرون عليها مخافة عدم النجاح اما الآن وقد نجح هذا العمل فسيستبع السير فيه العاملون ويقتفي اثره الفاهمون فهو لهذا مقدمة

اصلاجات جمّة وتغييرات في عالم الاستقبال مهمة
ولم يقتصر نفعه مع هذا على ذلك بل ريثما تمّ تجاري العلماء وتسابق الفضلاء
الى اختيار ذروته العالية وقتها السامية معامل لا يجائهم ومجامع لتجارهم واختباراتهم
ومراصد تعود على النوع البشري بأحسن الفوائد واجل العوائد
فهذه الارصاد الفلكية قد جعل من اجلها في قمة البرج نظارة معظم هائلة
يتمكن بها علماء الفلك من رصد الكواكب هذا فضلاً عن ان نقاء الهواء في هذا
الارتفاع وصفاء الجو من الضباب فيه (وكان يكثر في جهات الرصد خانة الباريسية)
يتيسر بهما من الآن اجراء ملاحظات فلكية كانت تستحيل قبل هذا البرج في
مدينة باريس

وهذه الارصاد العلمية كانت تحصل قبل الآن في داخل زوارق معلقة في
القباب الطيارة (البالون) على ما فيها من عدم الثبات والدوران مع الأهوية
والرياح فصارت تحصل الآن في قمة هذا البرج الثابتة على ارتفاع ٣٠٠ متر حيث
لا يعتري من يجري التجارب والارصاد فيها ادنى اهتزاز ولا اقل اضطراب وصار
يمكن بهذه الوسطة تكملة التجارب المبتدأة من عهد بعيد بغاية الضبط والاحكام
مثل ما يتعلق بسقوط الأجسام في الهواء ومقاومة الهواء وقوانين المرونة ودراسة
تركيب الغازات والانجرة ودراسة ذبذبات البندول ودوران الارض الى غير ذلك
وهذه الارصاد المتعلقة بالحوادث الجوية (الميتريولوجية) يمكن الوصول
الى معرفة نواميسها والوقوف على حقائقها بجمالة تؤدي الى استنتاجات نافعة مثل
معرفة اتجاه التيارات الجوية وشدها ومثل حالة الجو وتركيبه الكيماوي وتكرب
الجو والتيارات العليا والصواعق ومثل درجة الحرارة في ارتفاعات البرج المتفاوتة

وفي الساعات المختلفة من النهار ومثل درجة جفاف الجو الى غير ذلك وهذه الارصاد الحربية يستعمل فيها البرج في حالة الضرورة والحرب لملاحظة سير جيش العدو وحركاته على مسافة سبعين كيلو متر بعد استحكامات باريس ولا استمرار المواصلات بين باريس والاقاليم الفرنسية بواسطة الانوار الكهربائية التي فيه واستعمالها بطرقها المعهودة

هذا فضلاً عما سيظهره الاستقبال من فوائد هذا العمل العظيم ومنافعه غير التي ظهرت الى الآن على انه لو اقتصر نفعه على اثبات فضل واضعيه وتقديمهم في العلوم والمعارف لمذه الدرجة التي شهد بها الجميع لكفاه ذلك شرفاً ولكفاهم هذا فخراً ومجداً

ويكفي هذا اليوم الثالث في زيارة المعرض اختتامه بهذا الأثر الباهر والعمل العظيم الفاخر

وموعدنا في زيارة باقي المعرض اليوم الثاني عشر من مقامنا في باريس وسيكون الرابع في المعرض كما سيأتي عليك ان شاء الله



❖ خامس يوم في باريس ❖

رأى سيدي الوالد ان يزور بعض مدارس الزراعة وبعض المدارس الاخرى بفرنسا لمعرفة كيفية الجاري بها فاتفقنا مع موجيهل بيك ناظر الارسالية المصرية هنا على ان يكون دليلنا في هذه الزيارات وان كنا نعلم ان الوقت وقت بطالة وفسحة لا وقت تدريس وان التلامذة غير موجودين والمعلمين ايضاً ولكن حيث ان مدة البطالة المذكورة لا تنقضي قبل مبارحتنا باريس وفرنسا رأينا الاكتفاء

برؤية ما يمكن من اماكن التعليم فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتقابلنا اليوم (يوم الثلاثاء ٦ أغسطس سنة ١٨٩٠) بناءً على سابق الاتفاق مع موجيل بيك بمحطة مُونِبَارْ نَاس وقمنا منها والساعة سبعة افرنكي صباحاً قاصدين مدرسة جِرِنْيُون الزراعية

فوصلنا محطة جِرِنْيُون بعد سفرنا بساعة ونصف وركبنا عربة نحو عشرين دقيقة حتى صرنا في المدرسة

فاستقبلنا بها احد المستخدمين الذي عليه النوبة في ملاحظة المحل والمواشي والزراعات مدة البطالة واخذ يُفَرِّجنا بكل اكرام على محال المدرسة وما يتبعها والغرض من هذه المدرسة تعليم الشبان الذين يريدون تعاطي الزراعة ما يلزم من المعلومات العلمية والعملية الضرورية لاستغلال الارض حتى يكونوا على خبرة في الصناعة الزراعية وشرائطها ولوازمها فيقدروا على انتخاب اصلح الطرق واستعمالها لما لم من الالام التام بجميع أصول هذه الصناعة فضلاً عن معرفتهم فن التدبير فيها فينتفعون في اعمالهم الزراعية الخصوصية وينفعون في التدريس وفي البحث والتنقيب عن المفيد النافع في المسائل المشتغل بها في الامور الزراعية

ولذلك كان التعليم في هذه المدرسة علمياً وعملياً فيكون التعليم ابتداءً بالقاء المسائل على التلامذة شفاهاً على وجهها العلمي ثم ينتقل المعلم والمتعلمون الى قاعة فيها من الآلات والادوات ما يزيد في افصاح المسائل العلمية التي تلقوها شفاهاً ثم تنتقل التلامذة بعد هذا مع معلمهم الى الفيطان والحدائق النباتية ومحال زروع الخضروات والفواكه والى محل تربية الابقار والثيران والمغز والخيول بحيث تتمرن التلامذة بالتدريج على جميع الاعمال من العلم الى العمل بالآلات الى الحرث في

الفيضان والبساتين ومباشرة اعمال السّماذ

ومدة الدراسة سنتان ونصف نتعلم فيها التلامذة الزراعة علماً وعملاً و
يتعلق بذلك من علم طبائع الحيوانات وعلم الكيمياء والمعادن وطبقات الارض
والنبات وفن غرس الغابات وفن زرع الكروم وقوانين الزراعة وعلم الألبان وكيفه
اصطناعها والتدير الزراعي وغير ذلك

وتنقسم التلامذة الى داخلية وخارجية يُمتحنون في اوقات مخصوصة
ويستحصلون عند انتهاء الدراسة على شهادات دراسية والى تلامذة لا يمتحنون
ولا يأخذون شهادة وانما يتعلمون ليس الا

فتفرجنا على محال التدريس وهي عبارة عن مدرّجات متسعة وبجانبا محال
بعضها للآلات الزراعية وبعضها للادوات العلمية التي لما تعلق بها فالزراعية منها
في محلات غاية في الاتساع محتوية على جميع الآلات المستعملة قديماً وحديثاً ففيها
محارث على شكل التي كانت تستعملها الاقدمون ومحارث على اشكال متنوعة
يُسَدَّل منها على كيفية ترقى المحراث الى ان وصل الى الحالة التي هو عليها الآن
وهكذا بالنسبة لسائر الآلات اللازمة للزراعة مثل آلات الحصاد والدراس والغريلة
وكذا الأدوات العلمية مثل المتعلقة بالطبيعة والكيمياء وغيرها في محلات أخر
مستوفاة للغاية

ويحيط بالمدرسة أرض متسعة ربما تبلغ نحو الف فدان اغلبها محاط بسور
بعضها غابة وبقاياها مزروع بسائر أنواع المزروعات والاشجار بأصنافها وسائر انواعها
معتادة عندهم وغير معتادة فالمعتادة مزروعة في الفيضان المكشوفة وغير المعتادة
مزروعة في غابر زراعية وهي محال مغطاة لها حرارة مخصوصة بواسطة تسخينها بالنار

وقد جعلت أشجار الفاكهة في هذه الحدائق على سائر الاشكال فلمبت بها يد الانسان وشكلتها على أي شكل اراد حتى ترى أشجار الكمثرى والتفاح وغيرها مسطحة تغطي بعض الجدران او تنتشر على بعض السياج المتخذة من الخشب فتكسوها بمروشها مثل ما تعمل النباتات الزاحفة كاللبلاب والعنب واللوف

وبالمدرسة محلات لتربية الابقار والثيران والمعز والدجاج وكثير من الحيوانات ومحلات تصنع فيها الألبان فتصير جنباً بسائر أشكال الجبن المعهودة وغير المعهودة مختلفاً طعمه والوانه

وبها محل لعمل السماد يضرب به المثل في الكتب العلمية الزراعية وهذه المدرسة احدى مدارس ثلاث من نوع واحد والاخران احداها بمدينة مونبلييه وثانيتها ببلدة جرانجوان

وأقل من هؤلاء درجة في التعليم المدارس الزراعية العلمية بالمديريات وغيرها المعروفة بالمزارع المثالية (فرم موديل) وعدد هذه ٣٤

وبكل مديرية ما عدا ذلك استاذ زراعي تحت أمر المدير يستعلم منه تارة عما يرى لزوم الاستعلام عنه وينشر أفادته على اهالي المديرية لاستفادتهم بنصائحه المتعلقة بأمر يهمهم عموماً ويطلب منه تارة أن يتوجه الى جهات معلومة من المديرية ليقتش فيها على المزروعات وكيفياتها وحالاتها ويقدم له عما يراه تقريراً ويكلفه احياناً بالتوجه لجهات معلومة والقاء خطب زراعية فيها على مواد يخصصها له بحسب الظروف ومقتضيات الأحوال

وفوق ذلك كله المجمع الزراعي (أنستيتو أجرو نووميك) الذي مركزه

مدينة باريس

وبعد أن أتمنا التفرج عدنا الى بلدة جرينون فتغدينا بها واسترحنا من
مشاق السير ثم رجعنا الى باريس



❖ سادس يوم في باريس ❖

كان هذا اليوم يوم عيد الاضحى السعيد (٧ اغسطس سنة ١٨٩) فأدبنا
صلاة العيد وأردفها سيدي الوالد العزيز بكتابة تلغراف ارسله الى الاعتاب
الخدويّة قياماً بواجب التعميد فصدر الأمر العالي الخديوي بارسال رده في
يومه تفضلاً منه وكرماً من لدنه وقد وصلنا بعد بعض ساعات بامضاء سعادة سر
تشريفاتي خديوي بما ترجمته

” لسعادة فكري باشا بباريس

” عرضت لتلغرافكم للاعتاب الخديويّة وسمو مولانا الخديوي من شكر لكم

رشي ”

مع أن إدارة التلغراف تحرّرت محل وجود سيدي الوالد فسألت عنه من
السفارة العثمانية وهذه دلّتها على رئيس الارسالية المصرية فدلها على الفندق الذي
نحن به كما علمنا ذلك من التأشير التي صار توقيعها على ظرف التلغراف
وقد أمنا في الصلاة حضرة رفيقنا الشيخ حمزة فتح الله وخطب خطبة مناسبة
للمقام ثم بعث الى سعادة ثابت باشا رئيس الديوان الخديوي محرراً بالتعميد
وبذكر الصلاة فكتب سيدي الوالد حاشية على ما حرر نسخت صورتها ونصها
” حضرت الشيخ عند إنهاء كتابته فأحببت الاقتداء بامامته في عواطر
التحيات أهديها وشكوى لواحج الاشواق أهديا فكان في الحلة الودادية محلياً

وكنـت خلفه بين الجماعة مصلياً كما أني صليت معه العيد مأموماً وثبتنا بعده
بالدعاء لافندينا ولي النعم فرضاً محتوماً ومسكاً محتوماً

”نعم صليـنا فشهد لنا المكان وان لم يشهدنا السكان ودعونا ببارقـه
الملـكـان وان لم يكن علمه إنسان اما الثناء على ولي النعم ونشر ما له من
محامد الشيم فكلنا نعطـر به المـجامع جـهراً ونشـنف به المـسامع دـراً ونجـمله
استهلال المقال وحلية الحال وبراعة الكمال

”سيدي لورأيت الشيخ وقد اتخذ سريره منبراً واستهل خطبته العبدية مبكراً
واخذ في الموعظة الحسنة يسردها وعلى مقتضى الحال والمناسبة يوردها لخلته قساً في
عكازله خاطباً او سحبان لقومه مخاطباً وكلنا مكبٌ على الاصغاء والسمع وان كنا في
اقل مراتب الجمع ولو علم بنا من حولنا لعظم المزدحم وهم السواد الاعظم ولكن الله
سلم والله يوالي لولي النعم الاعياد سارة والمسرات قارة بارة ويدم سروره بالاشبال
الامجد الانجال على خير الاحوال وكلنا هنا بحمد الله ذي الجلال وحسن
انظار خديونا المفضل في هـنا بال وجمال حال

”وقد رأينا نجلي سيدي النجيين حرس الله شبابها وجمل بالاقبال حظها
كما كل بحسن الخلال آدابها فرأينا من النجابة والذكاء ولطف الشئائل الفراء
مالا يستغرب من موافقة الفرع النبيل للاصل الاصيل فسرنا ذلك سرور الحب
اذا رأى ما يسر من يحب وداما ودمتم فوق ماراما ورمتم

ثم حضر عندنا موجيل ييك على حسب اتفاقنا معه قبل ذلك فخرج سيدي
الوالد وأنا معها للتفرج على بعض محلات الدراسة بپاریس
فتوجهنا اولاً لمدرسة توزجو وهي بسكة توزيجو أسستها بلدية پاریس

سنة ١٨٣٩ وجددتها في سنة ١٨٦٦ والسكة المذكورة من أحسن مواقع باريس وهي مجعولة لأن تسع ٨٠٠ تلميذ خارجية يتعلمون فيها مجاناً كما في سائر المكاتب البلدية ولا تدفع التلامذة الأ مقابل مآكلهم وقت الظهر ان ارادوا الاكل هناك وذلك عشرون فرنكاً في الشهر على كل تلميذ

وقد أنشئت لتخرج بها التلامذة الذين يعدون انفسهم للتجارة ولاعمال البنوك وللصنائع والفنون الصناعية وللادارات التابعة للحكومة او المتعلقة بأحاد الناس كما انها بتخرج بها من يستعد للدخول في المدارس الخصوصية الصناعية

والتعليم فيها عمومي لجميع التلامذة بها في مدة الثلاث سنوات الأولى من الدراسة وفي السنتين الاخيرتين المكملتين لمدة الخمس سنين المقررة يكون التعليم خصوصياً لكل فرقة بحسب الأمر الذي تعد التلامذة انفسهم لائقانه

ومتى أتم التلميذ الدراسة فيها فإن لم يستعمله اهله في أمر يريدونه ويريدوه فإن المدرسة تجعله في محل لائق بحاله الذي تعلمه فيه وذلك إما بواسطة مباشرة او بواسطة دخوله في جمعية التلامذة القداماء المتخرجة بها فان التلميذ يدخل في هذه الجمعية بمجرد طلبه فينتفع باعضائها كل الانتفاع في الحال والاستقبال لانتشارهم في انحاء المدينة وفي غيرها من الانحاء

وكل فن يعلم في المدرسة له قاعة مخصوصة (أنفتيآتر) لتلقي الدروس فيها من الاساتذة بحضور المعيدین ويستحضر فيها ما يلزم من الآلات ان كان في ذلك سهولة والأ فتنقل التلامذة الى معامل الكيمياء والطبيعة وغير ذلك وبعد الانتهاء من الدرس تتوجه كل فرقة الى محلها المخصص بالمذاكرة فتشتغل به مع المعيد المخصوص

وبالمدرسة فضلاً عن هذا ورشة لتعليم الصناعات والاشغال اليدوية اذ من مقتضى طريقة التعليم الجديدة ان يتعلم التلميذ صناعة تسليه او تسد خلته عند الحاجة اليها

وبها محل لتعليم النشان وحمل السلاح فان جميع تلامذة مدارس باريس يتعلمون التعليمات العسكرية كاحاد العسكر بمعرفة ضباط يدرّبونهم عليها في ساعات مخصوصة فانها اجبارية عليهم بل على جميع الافراد كما ان مطلق التعليم الزامي بالنسبة لسائر الاحاد فيوجد بباريس فرقة مخصوصة تسمى الفرقة المدرسية يبلغ عددها الآن خمسة عشر الفا تامة النظام والترتيب من ضباط وصف ضباط واسلحة ومهمات حتى انها تستعرض امام رئيس الجمهورية مع سائر الجيوش في يوم ١٤ يوليو من كل سنة

وبها لرياضة التلامذة محلات للصف ومجلات للشئاء

فاذا أنت تأملت ما ذكرناه من تعدد المحلات واللوازم واستيفاء محلات التنزه والرياضة الكافية لثمانمائة تلميذ وعرفت ان المتر الواحد بهذه الجهة تساوي قيمته أكثر من ٨٠٠ فرنك وعرفت ما يلزم من الامتار للعدد الذي بيناه وأضفت الى ذلك متانة البناء وبلوغه حد الانفاق واستكمال آلات التعليم وأدوات التحصيل والتفهم تصوّرت ما صرف على هذه المدرسة من النفقات

ثم بعد الفراغ من هذه الفسحة وقد آن أوان الغداء أكلنا في محل قريب وقصدنا بعد ذلك مدرسة سكة كامون وهي آخر مدرسة أنشأتها مدينة باريس على الصورة التي أوصلها اليها منتهى التجارب والاختبارات وهي مركبة من قسمين قسم يسمي (ايكول ماترنيل) مدرسة الأمهات وهي

مجمولة للأطفال الذين لا ينقص سنهم عن سنتين ولا يزيد عن ست سنوات وقسم
يسى (ايكول پريمير) المدرسة الابتدائية منفصل عن الاول في المدخل وان
كان متصلاً به في البناء معمول للتلامذة الذين لا ينقص سنهم عن ست سنين
ولا يزيد عن ثلاث عشرة سنة وهو منقسم في حد ذاته الى قسمين منفصلين عن
بعضها قسم للذكور وقسم للإناث بخلاف القسم الاول فتمتلط فيه الذكور بالاناث
اما قسم مدرسة الامهات فالاصل فيه ان بعض السيدات الخيرات كنَّ
اجتمعن في سنة ١٨٢٦ وشككن جمعية جمعت من البر والاحسان ما مكَّنهن من
تشيد محل سميته (سَال دَار بِل) المجأ تلجأ اليه الامهات اللواتي تمنعن اشغالهن
المعاشية في النهار عن القيام بأمر اولادهن فيودعنهم في هذا المحل طول النهار
حيث يوجد فيه من يقوم على نفقة الجمعية بأمر موالاتهم وتطعيمهم حتى تعود
امهاتهم من اشغالهن فيأخذنهم معهن الى منازلهن مسافة الليل الى الصباح ثم زالت
هذه الجمعية لتتقدم وتزداد ويتشكل لها مماثلات في سائر الجهات الى ان كثرت
محلاتها وتنظمت بالحالة التي سميت بها مدارس الامهات فصارت فضلاً عن حفظها
الطفل تعلمه وتؤدبه وتجهزه الى درجات أعلى بحسب ما يرى فيه من اللياقة والاستعداد
ومعلومات هذه المدارس جميعن من النساء نظراً لعلهن بحالة الاطفال ولاطمئنان
هؤلاء بين بدلاً عن امهاتهم ولتمككن بشفتن الفطرية من اجتذاب محبتهم لهن
ولذلك نراهن يجتهدن كل الاجتهاد في استماله قلب الطفل وتعليمه بما لا يمل منه
فيتخذن له قطعاً صغيرة من الحشب يرسمن بها الرسومات بكيفية الالاب ويعلمنه بها
ما ليس به اعوجاج من الحروف ويطنن في ذهنه بها الاعداد ومتى تقوى أعطينه
قطعاً صغيرة من الورق فيشكل الطفل منها بديع الاشكال بتشكيلها مع بعضها ثم

يعلمه الكتابة كل ذلك بكيفية لا يمل منها بان لا تزيد مدة الدرس الواحد عن ربع ساعة يعلمن الاطفال فيها بالمدرج ما يقدرون عليه حتى كيفة التكلم واللقاء وتحسين اللفظ والتأدب في الاصغاء

والحاصل انهن يجتهدن بحسن سيرهن وملاحظة سير من يرينهم في ان تنشأ هذه الاطفال مطبوعة على حسن الخلق وحب المكرمة وعلو النفس بما يلقينه اليهم من حلو الاحاديث ومتقيات المتخبات واحاسن سير مشاهير رجال الوطن الذين اكسبوا البلاد المجد والشرف فتغرس في قلوبهم محبة هذه الرجال وحب ما اتصفوا به من محاسن الاخلاق

وجميع التلاميذ خارجة يأتون معهم بالخبز وتصرف للواحد منهم المدرسة صحفاً من الاكل النظيف الطبخ وقت الظهر في مقابلة عشر ستميات للمقتردين ولغيرهم بدون مقابل لان الحكومة تتحمل اكثر نفقات هذا الطعام

وادوات التعليم مجانية كالتعليم فانه لما كان اجبارياً وجب ان يكون مع ادواته مجانياً والا كان من باب الامر بما لا استطاع

وتفرق على الفقراء عند حلول الصيف والشتاء الملابس مجاناً بتصدق ناظرة المدرسة وظليها تشتري من نقود مخصوصة في ميزانية البلدية وتثوى تفصيلها وخياطتها وتربيتها جمعية نسوة خيرية هذا فضلاً عما يصل الاولاد من الجوائز بمناسبة الاعياد والمواسم وتقدمهم في التهذيب والتعليم لا بفرق بين الغني والفقير لعدم تطلع طائفة الى ما يصل الاخرى ولان المقصود من هذه الجوائز التنشيط والحث على الرغبة في التعليم وادخال الفرح والسرور على من امتاز عن غيره في التحصيل

اما نظافة هؤلاء الاطفال ونظافة ملابسهم وايديهم مع صغر سنهم لتعويدهم عليها وادبهم وحسن الفاظهم ورقتها ولطف اطوارهم وكل ذلك مع ملاحظتهم باللفظ وكال الملاينة حسب ما تقتضيه الانسانية فما يقضي بالاستغراب

ثم بعد الفراغ من مشاركة مدرسة الامهات المذكورة والتفرج على المحلات المعدة بها لالعب (جمناستيك) وهي الالعب التي تمرن على النشاط والحفة وتقوي الجسم وعلى المحلات المعدة لتفسيح التلامذة في الصيف وعلى محلات فسحة الشاء انتقلنا للتفرج على القسم الثاني قسم المدرسة الابتدائية

والتعليم فيها يقصده الوصول الى ثلاثة اشياء التربية الجسمانية والتربية العقلية والتربية الادبية فيشتمل على تعليم القراءة والكتابة واللغة الفرنسية والجغرافية والتاريخ عموماً وجغرافية فرنسا وتاريخها خصوصاً وبعض معلومات عمومية ابتدائية في القوانين والاقتصاد السياسي ومبادئ الكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي مطبقة على الزراعة وعلى قواعد حفظ الصحة وعلى الصنائع والاعمال اليدوية وعلى استعمال الآلات المتعلقة بالحرف الكثيرة الاستعمال ثم بعض مبادئ من الرسم والموسيقى والجمناستيك وتعليم استعمال السلاح للذكور واشغال الابرّة للبنات

ومدته ست سنوات للمجد المجتهد من الذكور والاناث ويعطى للتلميذ عند دخوله المدرسة دفتر يبقى معه مادامت دراسته بها ويحفظ فيها بعد خروجه منها فيكتب فيه مرة في الشهر بنفسه وبدون أدنى مساعدة اجنبية موضوعاً يقتصره عليه استاذهُ من كل علم تلقاه فيتيسر بواسطة هذا الدفتر معرفة درجة التلميذ واستعدادهِ ومعرفة تقدمهِ في المدرسة من يوم

دخوله الي يوم الخروج

ومن شرائط التعليم التي لا بد منها في هذه المدارس ان تخصص بالاقل
حصه من حصص الصباح للتعليم الادبي يعطيه الاستاذ اما في صورة محادثات
اثناسية او بمناسبة كتاب مطالعة يدرج ذلك التعلّم ضمن تفسير عباراته وتفهم
معانيه

ومن يُعلّم بمدارس الامهات ومدارس البنات جميعاً من النساء المتحصلات
على شهادات بالتعليم والتعليم تعطى اليهنّ بعد الامتحان

ثم بعد الفراغ من التفرج على هذه المدرسة الابتدائية دخلنا محل المعرض
قاصدين قسم مدينة باريس الخاص بالتعليم في المدينة فمشينا به ورأينا تفاصيل
اعمال التلامذة من اول نشأتهم في مدارس الامهات كيف يتعلمون حروف
المجاء واعداد الحساب وكيف تكون اعمالهم في الكتابة والرسم والنقش وغيرها
حتى في الالاماب يجعلها نافعة مفيدة ثم رأينا اعمال تلامذة المدارس الابتدائية
وكراريس كثيرة من كراريسهم وعلمنا من تصفح بعضها معلومات التلميذ عند
دخوله المدرسة ومعلوماته عند اتمامه الدروس فيها وكذلك اطلعنا على بعض
كتب تعليم المبتدئين وعلمنا منها كيف انها سهلة العبارة مفهومة المعنى ظاهرة المبنى
خالية من التعقيد خلية من الصعوبات المشوشة لاذهان المبتدئين ما استدللنا منه
على مزيد اعتناء القوم في امر التعليم والتهديب فقد جعلوه كما مر اجبارياً مجانياً
واجتهدوا مع هذا في جعله مفيداً للعقل نافعاً للجسم موجداً في التلميذ فضائل
محاسن الاخلاق ملجئاً له على اكتساب مزايا الآداب بما يُلقي اليه من اخبار
خيار القوم وافعالهم التي نفقوا بها البلاد فحازوا بها فخراً يجعل هؤلاء الاطفال

يُحِبُّونَهُمْ وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِمْ لِذَلِكَ وَيُصِرُّونَ عَلَى الْإِخْذِ بِالسَّبِيلِ الَّذِي سَلَكَهُ هَؤُلَاءِ
وَبِهِ وَصَلُوا جَادَةَ الْمَدَى وَالرَّشَادَ وَهُمْ لَا يَرَوْنَ مِنْ اخْلَاقٍ مَعْلَمِيَةٍ وَمِنْ مَعَامِلَاتِهِمْ
لَمْ وَمِنْ مَطَالَعَةِ الْكُتُبِ الَّتِي بَأْيَدِهِمْ إِلَّا كَمَا يُعْضِدُّهُمْ فِي الْمَعَارِفِ وَتَصْمِيمِهِمْ
عَلَى مَوَالِيهَا وَالْمَوَاطِبَةِ عَلَيْهَا

هَذَا وَمَا فَرَعْنَا مِنْ التَّفَرُّجِ عَلَى مَعْرِضِ تَعْلِيمِ بَارِيسِ الْأَوْقَدِ فَرَّغَ النَّهَارَ
فَاسْتَحْسَنَّا التَّوْجِهَ إِلَى شَارِعِ مَعْرِضِ بِالْمَعْرِضِ وَقَدْ كُنَّا عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهُ بَعْدَ تَعَاطِي
طَعَامِ الْعِشَاءِ بِأَحَدِ الْفَنَادِقِ الْقَرِيبَةِ لَهُ فَذَهَبْنَا إِلَيْهِ وَسَلَّمْنَا عَلَى صَاحِبِنَا السَّيِّدِ
مُصْطَفَى الدِّيبِ وَهَنَانَاهُ بِالْعِيدِ وَتَعَاطَيْنَا فِي مَحَلِّ تِجَارَتِهِ الْقَهْوَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاتَّحَفْنَا
بَشَيْئَةٍ (نَرْجِيهِ) وَكُنْتُ مِنْذُ بَارِحَتِنَا الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مَا تَعَاطَيْتُ مِثْلَهَا فَانْشَرَحْتُ
نَفْسِي بِذَلِكَ وَعَنْ لَنَا بَعْدَ هَذَا أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَى الْقَهْوَةِ الْمِصْرِيَّةِ الَّتِي فِي هَذِهِ السَّكَةِ
وَقَدْ تَنَاقَلْتُ حَدِيثَهَا الْجَرَائِدَ وَكُتِبَ دَلَالُ الْمَعْرِضِ فَذَكَرْتُ رِقَاصَاتَهَا وَمَغْنِيَاتَهَا
بِجَمِيلِ الْمَدْحِ وَكَالَ الْأَطْرَاءِ فَدَخَلْنَاهَا

وَهِيَ فُسْطَاطٌ كَبِيرٌ مَتْنُ الصَّنْعِ وَجِهَتُهُ عَرْضُهَا ثَمَانِيَةُ أَمْتَارٍ وَثَلَاثُونَ سَنْتِمَتَرٌ
وَعَرْضُهَا أَرْبَعَةُ أَمْتَارٍ وَخَمْسُونَ سَنْتِمَتَرٌ مَعْمُولَةٌ تِلْكَ الْوُجْهَةَ عَلَى هَيْئَةِ مَشْرِيبَةٍ مِنْ
أَخْشَابِ مُحْكَمَةِ الْخَرْطِ أَمَامَهَا عَمْدٌ مَكْسُوءَةٌ بِالْقِيْشَانِيِّ اللَّطِيفِ مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِهَا
بِحَطِّ عَرَبِيٍّ جَلِيلٍ

عَزَّ صَيَوَانُ لَنَا فِي دَارِكُمْ فَادْخُلُوهُ بِسَلَامٍ وَسُرُورٍ

وَفِي الدَّخْلِ وَجَدْنَا هَذَا الْفُسْطَاطَ مُحَلًّى بِأَحْسَنِ النُّقُوشِ مَزْرُكُشًا بِأَحْلَى
الْوَشِيِّ وَالطَّرِيزِ مَزِينًا سَقْفُهُ بِقَنَادِيلٍ مِنَ الطَّرِيزِ الْقَدِيمِ جَمِيلَةٍ الْوَضْعِ تَنْبَعُثُ مِنْهَا
الْأَشْعَةُ وَالْأَنْوَارُ فَتَزِيدُ النُّقُوشَ حُلَاوَةً وَالْهَيْئَةُ طَلَاوَةً وَقَدْ صَفَّتِ الْكَرَاسِيُّ بِهَذَا

المحل الرحب لجلوس المتفرجين مجعولة على الطراز الشرقي ووضعت في صدر المكان
تلك مرتفعة غاية في البهجة والزخرفة مغطاة بالواح من الخشب متينة لرقص
الراقصات وغناء المغنين

والمغنون تختم مستوفي العدد والآلات من عود وقانون ودُفٍ وكنجة وغير
ذلك وقد أحضروا من مصر ومعهم منها الراقصات أيضاً بما يلزمهن من الدربكة
والمزمار والساجات

فرقصت عيوشه وبعدها فيمة فأدهشنا العقول بحركاتها وبهرتا الحاضرين
بحسن سبك ملابسها المزركشة بالقصب والتلي المعمولة على الطراز المصري القديم
وبجملتها المصوغ على الطريقة الشرقية بما فيه من الخلاخل والجلال وقد اختصت
أحداها بالرقص بالشمعة موقدة في زجاجة تحملها على رأسها في سائر حركاتها
وجاءت بعدها ثالثة أعجبت واجادت

كل ذلك والآلات يُشغنون الاسماع بموسيقاتهم العربية والحضور في غاية
الطرب والحبور

ثم قدمت الراقصات وتلاهَن درويش مولويٌ لابس قلنسوة الدراويش
المولوية (كلّاه) وفستانهم (تثوره) واخذ يرقص على نقرات الدف دائراً
وفستانه يستدير حوله ورأسه مائل الى الجانب على الهيئة المعلومة في مصر مسافة
استغرب لها الحضور واشبعوه تصفيقاً مثل ما اشبعوا سابقاته استحساناً

وفي اثناء ذلك دارت على المتفرجين القهوة العربية في الفناجيل المستعملة
بمصر يسقيها فراشون مصريون بملابسهم الشرقية المعتادة
وما فرغ الدراويش المولوي من دورانه الا وقد انفضت الحفلة وذهب

المتفرجون ودخل غيرهم للتفرج مثلهم بقدر ما يسع الحبل وبقي الباقي بالخارج
ينتظرون خروج من دخلوا فان العالم منكبون على التفرج في هذه القهوة لغرابة
ذلك عندهم ولا يؤخذ من كل واحد من الداخلين في مقابلة التفرج وشرب القهوة
الأفرك واحد

وقد انصرفنا مع المنصرفين متقدمين على هذا الدرويش لإتيانه باسميناه
رقصاً في مثل هذا المكان وليس هو كذلك في طريقته ومعتريين على هؤلاء
الاقوام على ما أكثروا من الاستحسان ومعتريين على انفسنا في دخولنا هذا المكان
وقد يدفع الاعتراض على المستحسنين بغرابة هذا الامر عندهم وحجب الاطلاع على
ما لم يكونوا يعرفونه من قبل ويدفع الاعتراض عنا بان وجود هذا الحبل في باريس
ليس كوجوده عندنا فانه وان اخص بدخول مثله بمصر السفهاء لكن من يدخله
هنا هم العظماء والامراء مع غاية الكمال وتقام الاحتشام واما الانتقاد على هذا
الدرويش فلا وجه لدفعه حسب ما ذكرناه

وعند وصولنا الى الفندق أخبرنا بانه حضر للتعديد علينا اثناء النهار من سبق
لنا ذكر اجتماعهم بنا من مواطنينا الاعزة وزاد عليهم غيرهم من المقيمين بباريس من
المصريين اخص بالذكر منهم الفاضل حسين رشدي بك طيوز زاده نجل صاحب
السعادة محمود حمدي باشا وكيل الداخلية وقت ذاك فكان تفضلهم بالسؤال عنا
ما زادنا سروراً وانشراحاً



❖ سابع يوم في باريس ❖

قد علمنا من اعلانات بيت كوك ان له عربات ودلاء مخصوصين يفرجون السياح على باريس في يومين وعلى فرسائي في يوم واحد وعلى فونتنبلو في يوم واحد ايضا في نظير ٣١ شلنا عن كل شخص في ايام باريس وفرسائي و٢٣ شلنا عن كل شخص في يوم فونتنبلو فاستحسننا هذه الطريقة لمناسبة ان التفرج فيها يكون بصحبة اشخاص عديدين وفي ذلك فائدة تبادل الافكار على الشيء الذي يرى من استحسنه او انتقاده ولان التفرج يكون بواسطة دليل عارف يفهم السائح كل ما يراه من العمارات والاشياء نعم اني اعرف باريس لكني لم اعرفها معرفة هؤلاء الاشخاص المتخذين ذلك صنعة لم فانهم عارفون بتلك الاشياء وتواريخها حتى المعرفة ولان السائح ولو استعان بالدلائل المطبوعة لا يتيسر له معرفة جميع محال التفرج في هذه المدة اليسيرة

وقد اهتم بنا دلاء كوك بناء على توصية رئيس البيت فصاروا بعد ان يتكلموا عن الشيء بالانجليزي مع رفقاءنا من سياح الانجليز يتكلمون لنا عنه بالفرنساوية وانا اترجمه للرفقاء ما عدا أحد يومي باريس فإن الدليل كان فيه من ابناء العرب الذين يفرجون سياح كوك على اثار صعيد مصر فهذا كان يعبر لنا عن الاشياء بالعربي قبل التعبير عنها بالانجليزي لباقي السياح

وكنا نخبّر محل كوك بباريس عن اليوم الذي نريد التفرج فيه وعن الجهات التي نريد الذهاب اليها قبله بالمشافهة او الكتابة ليحجز لنا محلات بمراتبه وهي تشابه العربات المستعملة عندنا لاصحاب الفنادق في ركوب السياح ونقلهم من المحطة اليها او بالعكس مستظيلة الشكل ذات ست عجلات تسع بجوار السائق

محلين وعلى ست كراسي بها ثمانية عشر شخصاً على كل كرسي ثلاثة اشخاص وهي مكشوفة من الجانبين لتمكن الراكب من رؤية المناظر في طريقه

فتمر العربات علينا بالفندق او نذهب لمحل كوك قبل الميعاد فانه يقرب من الفندق وليس بيننا وبينه الا بعض خطوات اذ هو امام الاوبرا فنركب في ما هيأه لنا من أحسن محلاتها

وكلما مررنا بمكان يستحق ان نتعرف حاله توقف العربية وينزل الدليل وننزل معه او نبقى بها على حسب مقتضيات الاحوال ويأخذ الدليل في تبين الاشياء وتعرفنا عنها بكل ايضاح

واذا وصلنا محلاً يتفرج عليه من الداخل نزلنا جميعاً ودخل أماننا هذا الدليل بعد ان يدفع هو رسم الدخول إن كان كما يدفع صلات (بخاشيش) الخدم عند الخروج لدخولها في الاجرة التي دفعناها ونتفرج نحن على المحل صاغين لما يقصه من التفهيمات والشروح المفيدة

وكنتم قبل ذلك اطالع الدليل الذي معي عن المحلات التي سنراها في اليوم التالي فكنت عند رؤيتها كاني أعرفها من قبل فيبتسر لي شرح الايضاحات التي يلقها هذا الدليل بغاية البيان

واول متفرج ابتدأنا فيه بهذه الطريق سراي فونتنبلو ومن شروطه ان العربية التي نركبها من الفندق الى المحطة واجرة السكة الحديد في الدرجة الاولى ذهاباً وإياباً واجرة العربات من محطة فونتنبلو الى السراي المقصودة في الذهاب والاياب ومن محطة باريس في العودة الى الفندق وثن اكلنا في الغداء بفونتنبلو واجرة الدليل كلها داخلة في ضمن ٢٣ شلناً المذكورة

فركبنا صبيحة هذا النهار عربة ارسلها لنا بيت كوك وقصدنا محطة ليون
فوجدنا الدليل في انتظارنا ومعه التذاكر وقد حجز لنا ومن معنا حجرة مخصوصة
انزلنا فيها وسار بنا الوابور والساعة ٩ وثمان دقائق من يوم الخميس ٨ اغسطس
سنة ١٨٨٩

وبعد مسافة مرّ بنا على بلدة شارتون وهي شهيرة بالبيارستان المبني بقرىها
فرأيناه على بعد وهو مكان كبير مرتفع الطبقات تحيط به البساتين والغابات
فلم نتمالك انفسنا بمجرد النظر من التأسف على من فيه وقد كانوا في حالتهم الأولى
من نوع الانسان فصاروا بذهاب العقل لا يمتازون عن سائر الحيوان

واستمرّ بنا المسير بعد ذلك ساعة وثمانية دقائق حتى وصلنا محطة فونتنبلو
بعد ان اجتزنا قسماً من غابتها اللطيفة المشهورة بالحسن والبهاء فوجدنا عربات
في انتظارنا ركبناها حتى وصلنا قصر فونتنبلو بعد سير ربع ساعة

وهذا القصر على الجنوب الشرقي من المدينة المنسوب الى اسمها بناءً فرانسوا
الاول ملك فرانسوا وزاد عليه هنري الرابع بعض زيادات

واشتهر هذا القصر بقدومه واتساعه وبزخرفته من الداخل وبوقوع حوادث
تاريخية كثيرة فيه وهو لم يتغير عن اصله فان الملوك الذين تعاقبوا على فرانسوا بعد
هنري الرابع المذكور اكتفوا بترميمه واصلاح كل ما تخرب فيه

ويشتمل هذا القصر من الداخل على خمس رحبات متسعة جداً وهي
رجبة الحصان الأبيض او الوداع ورجبة الفسقية والرجبة البيضاء ورجبة
الپرستات ورجبة هنري الرابع

ويُدخل الى هذا القصر من رجبة الحصان الأبيض وهي اكبر الرحبات

فان طولها ١٥٢ متراً وعرضها ١١٢ متراً وقد كان فيها تمثال حصان نقل منها فيما بعد فاضيفت الى اسمه الى ان ودّع فيها ناپليون الاول في سنة ١٨١٤ عساكر حرسه قبل تركه فرانسا فسميت رجة الوداع

ويسكن رئيس الجمهورية في فصل الشتاء القسم الواقع على يمين الداخل في هذه الرجة ولذلك لا يمكنون من التفرج بداخله

واهم بناء في هذه الرجة هو بناء الصدر ويصعد اليه بسلم من بدائع الصنائع واول ما تفرجنا عليه فيه كنيسة الثالث وهي غاية في الزخرفة منقوش سقفها بأحسن النقوش والصور وقد اشتهرت بتزوج بعض الملوك فيها وتعهد ناپليون الثالث بها

ثم صعدنا في سلم متسع فوصلنا الى مسكن ناپليون الاول وهو عبارة عن صالة للانتظار وبها محل كنية الاسرار وحمام مكسوة جدرانها بالمرايا المزينة بالنقوش وعن المحل الذي امضى فيه ناپليون المشار اليه في يوم ١١ ابريل سنة ١٨١٤ تنازله عن الامبراطورية وفي وسطه الطاولة التي أمضى عليها التنازل المذكور قائمة الى الآن وعن محل كتابه ومطالعاته الخصوصية وقد صنع سقفه رينول الشهير ومثل برسوماته فيه العدل والقانون ثم يليه محل نومه وفيه السرير الذي كان ينام عليه وساعة كبيرة كان اهداها اليه البابا بي السابع

ثم تفرجنا بعد ذلك على القاعة المعروفة بقاعة المجلس وهي من مدة لويس الخامس عشر مفروشة بالابسطة المعمولة بمعمل بؤفيه الشهير ثم قاعة سرير الملك فاعجبنا سقفها والثريات البلورية المعلقة فيها والأخشاب المفروشة في أرضها على اجمل الهيئات والطف الحالات

ثم تفرجنا بعد ذلك على مساكن الملكة ماري أنطوانيت فاعجبنا منها
المخدع ثم محل النوم وجدرانه وسقفه مكسوة من الداخل بأنفس الحرائر المهداة
اليها من مدينة ليون ثم آيتان من العاج للزينة ووعاءان آخران من صنع معمل
سيفر العديم النظير

ثم مشينا بالكتبخانة الملكية الموجودة بالقصر فادهشنا كثرة الكتب بها
واعجبنا فيها حسن ترتيبها وانتقلنا منها الى قاعات الاستقبال وهي موازية لمسكن
ماري أنطوانيت ومطلّة على الرحبة البيضاء احداها مغطاة جدرانها ببسط
من صنع معمل جوبلان واخرى مغطاة بطنافس من صنع فلاندر ومُدَفَنَاتُهَا مَحْدَقَةٌ
بالأبنوس على أحسن صنع واجمل وضع ثم انتقلنا الى القاعة التي وُلِدَ فيها لويس
الثالث عشر فعرفت باسمه للآن

وما زلنا نتقل من مكان الى احسن منه ومن تنظيم الى أرقى منه حتى
وصلنا الى قاعة الاحتفالات وقد تزينت بالرسومات والنقوش من عمل اعظم
المشتغلين بفن الزخرفة والتحسين

وانتقلنا منها الى المسكن الذي سكنه البابا بي السابع حين أتى به أسيراً الى
هذا المكان (من سنة ١٨١٢ الى سنة ١٨١٤) وقد كان قبله معداً لسكنى
والدات الملوك فتفرجنا على محلاته وعلى المل الذي كان ينام فيه البابا المشار اليه
ثم مررنا على القاعة المعروفة بقاعة الاطباق وسميت كذلك نظراً لما تزينت به
من الاطباق الصينية المنقوش عليها صور السرايات الملكية وهي في غاية الاتقان
ثم انتقلنا الى حديقة القصر وفي اثناء ذلك مررنا برحبة الفسقية فتفرجنا
على بحيرة عظيمة فيها ورأينا بها بقايا الاسماك المسماة كارب الشهيرة عند السياح

وقد نقلت اليها من مدة فرانسوا الاول على ما يقال فلما دخلنا الحديقة شاهدنا ما فيها من عجائب الصنعة وغرائب الترتيبات والتنظيمات ومتقنات التحسينات ما لا يمكن ان يحاط بوصفه

وبعد ذلك انتقلنا الى البلد وتعدينا في اشهر فنادقها ثم ذهبنا بالعربات الى الغابة نتفرج عليها ونتمتع بمناظرها وتنقل فيها

وهذه الغابة في غاية الاتساع فيها كثير من الطرقات المتشابهات حتى انهم اعدوا فيها كتابات وعلامات لتمييز بعضها عن بعض وليهتدي بها المتفرجون ومع هذا فانه لا يحسن التفرج فيها بغير دليل تفادياً من اخطار عدم الاهتداء الى الطريق فان محيطها ثمانون الف متر ومسطحها سبعة عشر الف هكتار

وقد دلنا الدليل حسب ما ساعد الوقت على اشهر مواضعها فسلك بنا في الدرب المعروف باسم فرانشار حتى اوصلنا الى صخور وثغر فرانشار

اما صخور فرانشار فشهرتها لكونها مركبة من احجار صلبة بيضاء بنبت فيها مع ذلك كثير من الاعشاب والاشجار وبالقرب منها (الصخرة الباكية) سميت كذلك لان الماء يرشح منها فشبهت بالعين الباكية وتصب مياهها في بحيرة هنالك ابلغ محيطها فرسخاً واما ثغر فرانشار فشهرتها لانها فوهات في الجبل ينطلق منها النظر الى اماكن بعيدة من الغابة وما جاورها غاية في النضارة واللفظ

وما زلنا سائرين نتفرج على صنع الخالق في هذه الغابة نخترق الطرقات والجداول ونمر بالصخور والاكام حتى وصلنا المحطة من طريق غير الذي سلكناه بعد ان رأينا (فارامون) (وشارلمنج) اقدم اشجار الغابة فركبنا الوابور ووصلنا باريس وقت المساء

❖ ثامن يوم في باريس ❖

خرجنا صباح هذا اليوم (يوم الجمعة ٩ اغسطس سنة ١٨٩٠) الى محل كوك فركبنا العربى وشرنا قاصدين مدينة فرساي فوصلناها في اكثر من ساعة من مسيرنا

ومررنا من ميدان الأوبرا الى المادلين الى بلوار مازرب وهو من الشوارع المستجدة مبتدأ من ساحة مادلين حتى يتصل بجهة الاستحكامات على طول ٢٧٠٠ متر تحفه من جانبيه بيوت الاغنياء والكبراء وفي بعض جهاته دكاكين متسعة مزخرفة

وفي وسطه كنيسة سانت أوجستان وهي مبنية حديثا في سنة ١٨٦٨ لطيفة المنظر تعلوها قبة ارتفاعها خمسون مترا

ومن هذا الشارع وصلنا بآرك مونسو - بستان مونسو - وهو محاط بسور من حديد وله أربعة ابواب يدخل منها فدخلنا من احدها ومشينا بين الخضرة والمياه نظللنا الاشجار المرتفعة ممتعين الطرف بما يكتنفه من المساكن المشيدة والدور المنظمة حتى خرجنا من باب الموصل الى أوبنو (طريق) هوش فوصلنا منه الى قوس نصر الكوكب (أرك دولتوال) واستمر بنا السير حتى وصلنا (بواد بولني) غابة بولونييه

وهي حديقة غاية في السعة (مسطحها ٨٧٣ هكتارا) تتصل بالاستحكامات وقد كانت قبل اصلاحها ملجأ للشريرين وقطاع الطريق حتى ملكتها بلدية باريس اعطتها لما الحكومة بشرط ان تتكفل بالنفقات اللازمة للصرف عليها وبنفقات ملاحظتها وان تصرف عليها في أمر تحسينها مليونين من الفرنكات (وكان ذلك

سنة ١٨٥٢) فقبلت ذلك البلدية وانجزت ما وعدت فصارت هذه الحديقة أعظم حدائق باريس ومنزهاتها على هيئة الغابات الطبيعية يقصدها الاغنياء والامراء من رجال ونساء للرياضة كل يوم فيوجد فيها عدد لا يحصى من العربات كذلك يقصدها غير الاغنياء بواسطة عربات الامنيوس والتراموى وصارت راس المجتمعات بباريس وزادت رغبة النساء فيها لهذا الازدحام لان رغبتهن متعلقة بكثرة وجود العالم ليُظهرن الجمال والدلال والملابس الحسنة ويتباهين بذلك

ومن أحسن محلات هذه الحديقة ملتقى الطرق عند بحيرتيها وهاتان البحيرتان صناعيتان على هيئة البحيرات الطبيعية احدها وتسمى البحيرة المنحطة طولها ١١٥٢ متراً وعرضها ١٠٠ متر والاخرى وتسمى العالية طولها ٤١٢ متراً فقط

ويتفرع من اولاهما جدولان يجري احدهما نحو حديقة النباتات والحيوانات وهي تابعة لشركة قصدت بانشاءها تطبيع الحيوانات والنباتات الاجنبية النافعة لفرنسا بسائر انواعها وجعلتها مع ذلك من أحسن منزهات باريس ويمر ثاني الجدولين نحو الشلال الكبير

وقد جعل في البحيرة المنحطة المذكورة جزيرتان وترتبت باخرة مخصصة تنقل المتفرجين اليها في كل وقت من الاوقات وفي احدى الجزيرتين محل طعام وقهوة كذلك بالبحيرة كثير من الزوارق تُؤجر بالساعة لمن يريد التنزه والرياضة وبين البحيرتين محل يعرف بملتقى الشلالات بالقرب منه أكمة مرمّاز يمتد البصر منها الى جهة سان كلو وفوق الاكمة المذكورة منابر مجهزة للتفرج على سباق اوتوي الشهير حيث تشرف هذه الاكمة على محل الذي صار ايجاده في هذه الجهة

واول جائزة تعطى للسابق فيه ٣٠ الف فرنك وله ثلاث مسافات ٢٦٠٠ و ٣٥٠٠ و ٤٠٠٠ من الامتار

اما الشلال الكبير فيندفق ماؤه من مغارة صناعية ذات طبقتين فتتكون منه طبقة مائية ارتفاعها عن سطح البحيرة ثمانية امتار وقد صعدنا بعد التأمل في هذا الشلال العجيب على الالكة المرتفعة بعده فرأينا مجرى السين من جهة ومن جهة ثانية بلدة سان كلو والقرب منها محل سباق لوتشان ورأينا ايضاً على بعد قلعة مونفاليربان الشهيرة الذكر في حرب السبعين الاخيرة

ثم نزلنا من ذلك المرقى واستمر بنا الطريق حتى وصلنا الى (حديقة سان كلو) وبقايا القصر الذي كان بها

وسان كلو هذه مدينة صغيرة قائمة على الجانب الايسر من نهر السين كان فيها قصر امبراطوري غاية في العظم تخرب وانهدم في حرب سنة ١٨٧٠ ولم يبق منه الا اطلاله

اما الحديقة فباقية يقصدها المتنزهون في سائر الايام ويعجبهم ما بها من الانتظام خصوصاً الشلالات المعمولة فيها تقليداً للشلالات الطبيعية وبهذه الحديقة منافذ كثيرة تندفق منها المياه في ايام معلومة يؤمها فيها كثير من الناس للتمتع بحسن مرآها وقد يبلغ ارتفاع الماء من احدها اربعين متراً ويصير باجتماعه مع غيره من المياه على اشكال في غاية الابداع

وقد وقفنا بجوار خربات القصر المنهدم على مرتفع هناك ومن معنا من السائحين واخذ صورتنا بالقطوغرافيا من حضر لهذا الغرض من الرسامين ووعدا ان يعطينا

نسخة منها في المساء - بالثمن - ولكنه لم يف بوعده الى الآن
وسرنا من هنالك حتى وصلنا الى مدينة فرساي واجتازناها قبلنا (ميدان
الاسلحة) ووصلنا السراي المقصودة من بابها الممرد حيث يفصل رحبتها الكبيرة
والقناة الكائن امامها درابزين من الحديد

وفرساي هذه عدد سكانها نحو الخمسين الف نفس والسبب في ايجادها
لويس الرابع عشر مزاراد بناء هذه السراي بجهتها ولم تتعلق ارادته بهذا العمل
الأمقرونأ بقاية الجذ والنشاط حتى بلغ عدد العاملين في تصليح الطرقات وتنظيم
الساتين واعداد الحياض وغير ذلك من الاعمال في اليوم الواحد على ما يقال ٣٦
الف رجل مع مساعدتهم بستة آلاف من الخيل الى ان تم العمل وتشيد القصر
فصار مقراً لهذا الملك ولكنير من الملوك بعده وصار لهذه المناسبة مرتبط الذكر
بتاريخ فرنسا لوقوع كثير من الوقائع المهمة فيه مما هو واضح في كتب التاريخ
وقد زاد في هذا القصر من خلف بانيه من الملوك ولذلك كان مجموعهُ مركباً
من عدة عمارات

ووجهته الغربية المشرفة على البستان وطولها ٤١٥ متراً احسن من الشرقية
التي من جهة المدينة والبناء الاصلي في الوسط وعلى يمينه بلمصقه كنيسة القصر
ويلى كلا هذين البناءين أبنية من الطرفين اخصها البناء الذي على يمين الكنيسة
وهو التبانر وقد بني في زمن لويس الخامس عشر

وقد هجرت هذه السراي من عهد الثورة وكادت تتخرب حتى تفكر بعضهم
في بيعها نقادياً من تحمل ما يستوجه ترميمها من النفقات الى ان تولى الملك
لويس فيليب فرأى ان يصلحها ويرمها وينشئ فيها المتحف التاريخي الذي هو

فيها الآن وكان ذلك سنة ١٨٣٢ فجمع فيها جميع الرسومات المملوكة بالتاريخ في
متحف اللوفر وغيره من المتاحف والمحال حتى صارت المجموعة التي فيها عديمة
الشبه والمثال

هذا وبعد ان شاهدنا منظر السراي من الرحبة وأمعنا النظر في هيئتها
الخارجية دخلناها للتفرج عليها وعلى المتحف الذي بها واذا بها متعددة المحلات
كثيرة القاعات ملأى بالتأثيل والصور فضلاً عن زخرفة محلاتها وانقائها في حد
ذاتها وهي مؤلفة من طبقة ارضية وطبقة عليا وطبقة فرقا ولذو السراي جناحان
شمالي وجنوبي وبناء متوسط بينهما

ولا يتيسر استيفاء ما بهذه المحلات من الصور والآثار بل ولا المهم منها لكثرة
فلا يمكن توفية المرام حقاً من التفصيل والبيان والمدح والاطراء على ان هذه
الآثار مدونة بتفاصيلها في كتب مخصوصة بها ومذكور مهمها في كتب دلائل
السياح

وقد اكتفينا بالدخول في هذه المحلات والتفرج عليها بغاية ما يمكن من
الاسراع لان الوقت محدود وقد مضى جزء من النهار وعلينا زيارة البستان وما
به من الأبنية والتماثيل الحسان

فدخلنا الطبقة الأرضية من دهليز الكنيسة بعد أن تفرجنا على الكنيسة
المذكورة وعلى نقوشاتها البديعة وأعجبنا المنصة الممثلة فيها لجلوس الملك وقت
العبادة فاذا بهذه الطبقة احدى عشرة قاعة مشتملة على الرسومات التاريخية من
اول مدة شارلمان الى آخر مدة لويس السادس عشر ويعرف مجموع هذه القاعات
(بروان تاريخ فرنسا) وفي الواقع ان الرسومات التي فيه تمثل وقائع فرنسا

الشهيرة في المدد المذكورة وتُصور تماثيل الحروب القديمة التي انتصر فيها الفرنسيون في مدد ملوكهم السابقين

وتجاء هذا الرواق (رواق المقابر) سمي بذلك لاشتماله على صور المقابر الشهيرة حاكوا بها نفس المقابر الاصلية بواسطة طريقة الصب والافراغ فتظهر مجسمة بالهيئة والشكل الذي عليه أصلها فرأينا به صور المقابر الشهيرة بقُرطبة وغيرها من بلاد العالم

وعلى يسار هذا الرواق (رواق حروب الصليب) وهو من اعجب معالم هذا السراي واتحفها بالنسبة للانثان في زينتِه وزخرفته ويشتمل على رسومات شعار (أزمة) رؤساء حروب الصليب وعلى رسومات وقائع تلك الحروب وهو عبارة عن خمس قاعات مملوءة من هذه الرسومات

هذا واذا فرغنا من التفرج بالجناح الشمالي اردنا التفرج بالجناح الجنوبي والقسم المتوسط بين الجناحين من الطبقة الأرضية ايضاً فدخلنا (رواق الامبراطورية) وهو مركب من احدى عشرة قاعة تشتمل على رسومات الوقائع والحوادث والاجراآت الشهيرة التي حصلت مدة الامبراطورية مثل دخول نابليون الاول في برلين واستقباله رؤساء مدينة ويانه واستسلام مدريد لجيشه ثم تفرجنا على رواق التماثيل المجسمة بمحاذاة رواق الامبراطورية السالف بيانه وهو يشتمل على كثير من صور مشاهير الجمهورية والامبراطورية ثم دخلنا الحُل الذي كان ينعقد به مجلس النواب قبل انتقاله الى محله بباريس

ثم دخلنا القسم المتوسط بين الجناحين فتفرجنا على قاعات امراء الجيوش وامراء البحر والمارشالات والضباط الذين قُتلوا بالحرب في خدمة الوطن وتفرجنا

على قاعات الملوك وهي تشتمل على صور ملوك فرنسا وعلى قاعة السرايات وتشتمل على رسم السرايات التي كانت مقاماً لملوك فرنسا قديماً وبعد ذلك قصدنا زيارة (الطبقة الاولى) فدرأنا بالجناح الشمالي وتفرجنا على رواق التماثيل المصنوعة من الحجر وماشابهه ورأينا فيه من صور الرجال الشهيرة وتماثيل بعض الوقائع العظيمة ما بلغ حد الانقمان ومنتهى الاحكام

وعلى يمينه رواق قسنطينة وهو يشتمل على ست قاعات مشتملة على كثير من الرسومات المتعلقة بحرب الجزائر مثل محاصرة قسنطينة وأخذها عنوة وغير ذلك من وقائع الحرب المذكور وغيره.

وبموازاة رواق التماثيل المجسمة السابق رواق مشابه للذي رأيناه في الطبقة الارضية ويسمى رواق تاريخ فرنسا الثاني ويشتمل على عشر قاعات تحتوي على رسومات تمثل بعض الوقائع التاريخية التي حصلت من سنة ١٧٩٧ الى سنة ١٨٣٥ بخلاف الرواق التاريخي الاول فإنه يحتوي على الوقائع لغاية حكم لويس السادس عشر فقط

واذ فرغنا من التفرج على هذا الرواق وانتهينا به من رؤية ما في الجناح الشمالي من الطبقة الأولى دخلنا القسم المتوسط بين الجناحين في الطبقة المذكورة ويشتمل هذا القسم على محلات الملك التي كانت معدة لسكنائه وعلى محلات الملكة وعلى قاعة السلم وقاعة الحرب وقاعة المرايا وفي آخر هذا القسم من جهة الجنوب قاعة الرسومات المعروفة بالأكنواريل وهي المرسومة بالماء والنبويات بدون ادخال الزيت في تراكيب بوياتها

ومحلات الملك عبارة عن عدة قاعات ومخادع متقنة الزخرفة منقوشة سقفها

باحسن الصور من صنع اشهر الرسامين ومحلاة جدرانها بالذهب
ومحلات الملكة عبارة عن عدة مخادع وقاعات أخصها قاعة جلوس الملكة
وغرفة نومها وقاعات استقبالها الرسمية والخصوصية وقاعة حرس الملكة حيث
تسلك منها الثائرون (سنة ١٧٨٩) الى محل الملكة ونجت منهم بواسطة حرسها
المخلصين وقد مات ثلاثة من ابطالهم في معاناة نجاتها

وقاعة الحرب سميت بذلك للرسومات المنقوشة في سقفها فانها تمثل فرنسا
متسلحة بصاعقة الحروب قابضة على ترس مرسوم عليه صورة لويس الرابع عشر
محاطة في هذا التمثيل بألمانيا جاثية على ركبتها وبهولانده مصابة بصاعقة الحروب
وباسبانيا خائفة وجلة وقد بلغ من شهرة هذه النقوش انها كانت على ما رواه احد
المؤرخين السبب في تحزب اورو باضد الملك لويس الرابع عشر المشار اليه

وقاعة المرايا طولها ٧٣ متراً وعرضها عشرة امتار وخمسون سنتيمتر وارتفاعها ١٣
متراً وهي مطلة على بساطين السراية وحياضها من سبع عشرة نافذة تجاه كل واحدة منها
مرآة بالقاعة موضوعة على صفة محلاة بالذهب وسقفها منقوش بالنقوش الفاخرة
يمثل بعض الوقائع الشهيرة

وبمجاورة هذه القاعة قاعة نوم لويس الرابع عشر وهي من محلات الملك
السالف يانها مفروشة باحسن الفرش وبقرب وسطها سريره يحجزه عن باقيها
درازين لم يكن لأحد أن يتخطاه الا بتصريح من الملك بذلك وقد مات لويس
الرابع عشر المشار اليه على هذا السرير بعد ان حكم فرنسا ٧٢ سنة

وبعد الفراغ من هذا القسم المتوسط بين الجناحين قصدنا الجناح الجنوبي
ونفرتنا على الاروقة التي به

فزرنا رواق الوقائع الحرية وهو في غاية الاتساع طوله ١٢٠ متراً وعرضه ١٣ متراً وبه ٨٨ قطعة من الرسومات العديدة النظير تمثل الوقائع الحرية الشهيرة وبه ثمانون صورة من صور مشاهير البرنسات وامراء البحر وامراء الجيوش والجنرالات والضباط الذين توفوا بميدان الحروب في سبيل الوطن وبموازاة رواق الحرب هذا رواق للصور المتخذة من الحجر وما شابه فيه كثير من صور المشاهير والمعتبرين

وبذلك انتهينا من زيارة الطبقة الاولى وصعدنا الى (الطبقة الثانية) وهي تشمل على قاعات فيها ما لا يدخل تحت الحصر من صور الاشخاص صغيرة وكبيرة شهيرة وغير شهيرة واذ فرغنا من رؤية هذا القصر وقد آن وقت الغداء تغدينا في فندق قريب منه ثم دخلنا بستان القصر للتفرج عليه وهو متسع جداً ابتداءً من جهة السراي بانحدار ينتهي بالبحيرات والاحواض الكثيرة العدد التي أوجدت هناك

والمنحدر اشبه بيساط من سندس أخضر نقوشه الازهار المختلفة الاشكال المتعددة الألوان كأنما رسمتها يد الرسام على قطعة من الورق او القماش والحياض المتعددة وما حوته من الصور المختلفة والاشكال البديعة مع كثرة المياه شيء لا بديع المثال لا يحاط بكنه وصفه بحال والتماثيل المتقنة الصنع المحكمة الوضع بالغة حد الاتقان والاشجار المرتفعة والمنبات المبتدعة غاية في الجملة والنضارة بلغ بها الحسن منتهى الحد

وقد جلبت لهذه الحياض من جهات بعيدة مرتفعة بمصاريف كثيرة مياه

تصل الى سائر جهاتها والى التائب والصور القائمة هناك بواسطة انابيب من الرصاص حتى اذا أطلق ماؤها ارتفع ارتفاعاً عظيماً يبلغ في بعض المواضع الى ثلاثين متراً متشكلاً بشكل غاية في البهجة والبهاء

ويكون لإطلاق هذه المياه احتفال شائق يحضره كثير من الباريسيين ويتزاحم عليه السباح نظراً لحسن اشكاله وبديع انقائها وهو يحصل مرة في كل شهر اثناء الشهور الست المتوسطة من السنة ولا تزيد مدته عن ساعة وهو مع ذلك يُصرفُ عليه في المرة الواحدة نحو العشرة آلاف فرنك

وفي هذا البستان محال معدة لتربية الاشجار المحتاجة لحرارة أكثر من حرارة البلاد تُعطى لما بواسطة تسخين هواء الحلات بالنار فتكون الاشجار فيها دائماً في درجة الحرارة التي تعيش بها في بلادها المجلوبة منها ومن أشهر هذه المحال المل المتخذ لاشجار البرنقان فانه يحنوي على سائر اصناف هذا النوع حديثها وقديمها حتى قيل ان أقدمها فيه من سنة ١٤٢١

وفضلاً عن ذلك أن هذا البستان يشتمل في احدى جهاته على مسكن بناءه لويس الرابع عشر فيه لصاحبه مدام دُ مانتنون سمي (جَرَانْ تِرِيَانُونْ) وفيه كثير من الصور والنقوش وله حديقة فاخرة وبجوار هذا المسكن بنى الملك لويس الخامس عشر مسكناً لماري انطوانيت سمي (پتي تِرِيَانُونْ) وعمل له بستاناً جعل في احدى جهاته شبه كفر من كفور الفلاحين بقرب بركة ماء صنعت فيه مشتمل على مساكن للمزارعين ومسكن لصاحب الكفر ومسكن للقبس ومحل للأبقار وطاحون فكانت نساء السراي يأتين الى هذا المكان ويتزين بزي الفلاحات ويعشن بمعيشتهن للتسلي بعض ساعات من الزمان

وبعد أن اتمنا التفرج على هذا البستان وأردنا الانصراف تفرجنا على متحف العربات الموجود باحدى جهاته فوجدنا فيه كثيراً من العربات المزركشة وكانت استعملت احداها في موكب لتويج نابليون الاول واستعملت اخرى في زواجه الى غير ذلك من العربات المزخرفة التي استعملت في احتفالات الملوك السابقين وحول جدران المتحف طقوم خيول العربات القديمة من جميع الاصناف ثم ركبنا العربات التي حضرنا فيها حيث كانت في انتظارنا وسرنا عائدين لپاریس سالکین طریقاً غیر الذي سلکناه في الحضور لتغيير المناظر ومشاركة ما لم نشارفه قبل من المحلات

فمررنا على قرية فيروفي ثم قرية شافيل ثم قرية سيفر ورأينا معاملها الشهيرة بعمل الصيني من الخارج

وهذه المعامل ملك للحكومة منذ سنة ١٧٥٦ ويصنع فيها كثير من الادوات الصينية المنقوشة بأحسن النقوش من عمل اشهر الرسامين تهدي الى الملوك والامراء للزينة فان قيمة القطعة الواحدة منها قد تبلغ الخمسين الف فرنك على ان فيها ما هو ثمنه اقل من هذا وبها محلات متعددة فيها المصنوعات معرضة لمن اراد التفرج او الشراء مكتوبة اثنائها عليها وبها متحف الاواني الصينية وهو مفرد في بابيه يحتوي على جميع انواع الصيني من كل البلاد المعمولة في سائر الازمان

ثم عبرنا نهر السين وسرنا ما رين بالاستحكامات ثم بقنطرة أوتوي المقامة على نهر السين لمرور القطارات التي تسير حول باريس واستمر بنا السير حتى وصلنا سراي التروكاديرو وسرنا على رصيف نهر السين حتى وصلنا ميدان الكونكورد وصادفنا وقت عودة المتنزهين من شانزيلزيه ومن غابة بولويه فنزلنا هناك

لنتمتع بهذا المنظر البهيج وكنا قرب الغروب
وبعد ان تعشينا بالفندق توجهت الى التيارالفرنساوي حيث كنت اخذت
ورقة لهذه الليلة قبل ذلك بأيام فتفرجت على قطعة (رُوي بلاس) من تأليف
فكتور هُوجو الشاعر الشهير وانهرت من التأليف ونظام الحل وحسن الالقاء
ولا عجب في ذلك فهذا التيار معدود من اوائل تيارات فرانساهو وأعلى
ما يلعب فيه الكوميديا والتراجيديا تُعينه الحكومة كل سنة بمبلغ ٢٤٠ الف فرنك
وما رأيتُه في اللعب الذي كان يلعب من البلاغة والحكم والنصائح التي كانت
تُستج من سياق عبارات التشخيص وما شاهدته من اجتماع الناس وموانستهم
وتعارفهم ببعضهم في اثناء الفصول فضلاً عما يترتب على ذلك من التشوق الى
التأليف ومن تعيش المؤلفين من تأليفهم والشخصين من تشخيصهم وتعيش العدد
الذي لا يحصى من مستخدمي التيارات مثل مدير وموسيقي ومشتغل بالتليس
وحارس وكانس وحاسب وكاتب وفضلاً عما يترتب على انشاء محل التيار نفسه
من تسرحركة تجار لوازم البناء من اخشاب وادوات ومشي حال الزخرفة من تحسينات
وتذهيبات كل ذلك حداني الى التفكير فيما اذا كان عدم وجود التيارات في
عوائدنا الشرقية مما يؤسف عليه او مما لا يؤسف عليه وفيما اذا كانت تبني في
بلادنا اولا تنبني

واني لما امنت النظر والتأمل في هذا الامر بدا لي ان التيارات مدار
تركيب قطعها واللعب فيها في التأليف والتشخيص على النساء وان التيارات من
غير امرأة تلعب او تفرج لا يستكمل نظامها ولا ينم التمامها وبدا لي من جهة ثانية
ان ذلك مستدرك عندنا من جهة النساء للاعبات بوجود من لا تلز من عوائدهن

بعدم التبرج من الشرفيات ومثل ذلك في المتفرجات
واخذ يرمي بخاطري ما يترتب على التيارات من تهذيب الاخلاق وبث مكارم
الصفات وصارت الافكار تترقى والطريق ينطوي حتى وصلت الفندق ودخلت
السريرواستغرقت في النوم ولم يكن ترجع عندي احد الامرين على الآخر
فإذا تراه في ذلك ايها صاحب القاري أفدني بالصريح والرأي الصحيح
ولا يكون جوابك محملاً كقول من قال

قلت بيتاً ليس يُدري أمدح أم هجاء
خاط لي عمرو قباء ليت عينه سواه



﴿ ناسع يوم في باريس ﴾

هذا اليوم يوم السبت ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٩ خصصناه بزيارة بعض
أنحاء باريس فركبنا في الصباح من ميدان الأوبرا ومررنا من جران بلوار حتى
وصلنا كنيسة مادلين ومن هناك قصدنا ميدان كونكورد وشارنيليزيه وتفرجنا
فيها على بانورما ريزوتيل وهي عبارة عن عمل مستدير يحيط به من سائر أطرافه رسم
واقعة ريزوتيل التي انتصر فيها الفرنسيون في حرب السبعين وهو مصنوع بحيث
يرى الرائي الاشياء كأنها حقيقية وكأن الحرب قائمة على ساق بين قتلى وجرحى
ومتصرين ومنهزمين وذلك بواسطة كيفية توجيه الضوء وكيفية جعل الرسومات
على وضع مخصوص

ثم مررنا من جهة أرك دة تريونف (قوس النصر) وسرنا حتى وصلنا الى

دار العواجز وبها كنيسة وقبر ناپليون الاول ومتحف الاسلحة وما يتعلق بها
فدخلناها للتفرج عليها

ودار العواجز هذه بناها لويس الرابع عشر سنة ١٦٧١ برسم العواجز
المصايين في الحروب من متقاعدى العساكر الذين لا أهل لهم أو الذين يُفضلون
منهم المقام بها على الإقامة عند أهلهم فيقيمون فيها الى آخر حياتهم تجري عليهم
الارزاق بدبر أمورهم جنرال من أقدم القواد يأكلون ويتفسمون في بستان
الدار المتسع ويتفرجون على متحف الطوبجية فيذكرهم قديم المجد ويتعبدون في
الكنيسة المبنية لهذا الغرض في نفس الدار أو يتسلون في محل الاستراحة بقراءة
صحف الاخبار والتأليف التي يهديها الى الدار من هو على شاكلتهم في الاصابة
ولكن حاله المالي أحسن من حالهم

وتشغل دار العواجز المذكورة مساحة من الارض تبلغ نحو ١٢٧ ألف متر
مسطح وهي جعلت لان تسع خمسة آلاف شخص من هؤلاء وان لم يكن فيها
وقت زيارتنا منهم غير ٤٠٠ فان أغلب المصايين يوثرون المعيشة في بلادهم
بالمعاش الذي تجر به عليهم الحكومة عن المعيشة في هذه الدار حباً في الاستقلال
ويتمدين هذه الدار ونهر السين ميدان غاية في الاتساع يعرف بساحة دار
العواجز طوله نحو ٥٠٠ متر وعرضه نحو ٢٥٠ متراً كما مرتخطا به الاشجار العالية
من كل جانب وقد أقيم به في هذه السنة بعض أقسام المعرض كما سبق
ويُفضل هذا الميدان عن رحبة الدار بمجاز من حديد وراءه خندق
موضوعة عليه مدافع تستعمل لعلام المدينة اذا اطلقت بالوقائع المهمة عند
اقتضاء الحاجة

ورحبة الدار المذكورة جعلت على هيئة بستان مزدان ببعض المدافع التي
 غنمها الفرنسيون في حروبهم مع الدول العظيمة
 وهيئة الدار غاية في العظم فان طول وجهتها يبلغ نحو ٢٠٠ متر وهي ذات
 ثلاث طبقات تعلوها صورٌ نائثة في الحجر تمثل النصر والظفر في وقائع الحروب
 ومتحف الاسلحة واقع في الجهة الغربية من بناء هذه الدار وهو في غاية
 الاستيفاء والكمال جمع جميع الاسلحة قديما وحديثا كبيرا وصغيرا متقنا وغير
 متقنا من البلاد المتقدمة وغيرها من سائر البلاد

وهذا المتحف عدة أروقة بعضها مخصص بالاسلحة التي تستعمل للهجوم
 والدفاع من نارية وبيضاء وبعضها مخصص بملابس الفرسان في الحروب وبعضها
 مخصص ببيان هيئات رجال الحرب من الشعوب المختلفة في الممالك البعيدة وبعضها
 هيئة رجال الحرب في الازمان الفائرة

فلاسلحة المستعملة للدفاع تشمل ما يلبسه المحارب لوقاية جسمه من
 صدمات عدوه ويوجد في جملة هذه عدة من ملابس الملوك والامراء والكبراء
 والاسلحة المستعملة للهجوم تشمل المدافع والبندقيات والطبجات وسائر
 الاسلحة النارية كما تشمل سائر الاسلحة البيضاء المستعملة عند جميع الامم وفي
 سائر البلدان

ويتبع الاسلحة المذكورة عدد الخيل وملابس المحارب من راسه الى قدمه
 ورواق هيئات رجال الحرب من الشعوب المختلفة به صور اثنين وسبعين
 شخصا مجسما لابسين ملابس الهيئات الحربية على اختلاف انواعها في بلاد
 الجزائر الاوقيانوسية وامريكا وسواحل آسيا وافريقية

ورواق هيئة رجال الحرب في الازمان الفائرة مشتمل على اثنين وسبعين شخصاً ايضاً على هيئة الجلالة واليونان والرومان والفرنساويين من زمن شارلمان الى آخر القرن الثامن عشر

وبجوار هذا الرواق رواق ليس بأقل من السابقين اهمية مشتمل على صور صغيرة مجسمة من الاسلحة من سابق الازمان الى الازمان الحاضرة

وقد رأينا بأحد المحال ساسلة من الحديد طولها ١٨٠ متراً استعملها العثمانيون لوقاية وإمسك جسر ممدود على نهر الطونة ايام محاصرتهم وبانه سنة ١٦٨٣ وفي محيط بعض الاروقة من الداخل رايات فرنساوية مختلفة الاصناف والاشكال والازمان

اما الكنيسة فتقسم الى قسمين ممتازين عن بعضهما محلّ التعبد وقبة قبر نابليون

فمحلّ التعبد مزين ببعض الرايات التي اكتسبها الفرنسيون من اعدائهم في الحروب ومنقوش على عمدته اسماء الجنرالات الذين تولوا امر دار العواجز هذه واسماء القواد المدفونين في هذه الكنيسة

وقبة القبر مستقلة بحيث لها باب من الخارج وان كان لها باب من الداخل وهي عبارة عن مربع ضلعه ستون متراً وفي وسطه قبر نابليون من قطعة واحدة من الحجر طولها اربعة امتار وعرضها متران وارتفاعها اربعة امتار ونصف وحول القبر تماثيل مصنوعة في الحجر عددها عشرة تمثل الاصلاحات التي أتمها نابليون مثل اعادة النظام واصلاح الادارة والمجلس الاداري والكود وانتشار التجارة والصناعة الى غير ذلك ثم يلي هذه التماثيل الوقائع الشهيرة التي حصلت في

مدته منقوشة في الحجر ايضاً وفوقها ستون راية موضوعة بوضع لطيف بقيت بدون احراق من الرايات التي اكتسبها من اعدائه في الحاربات

وفوق هذا المربع محيط مستدير ارتفاعه خمسون متراً به اثنتا عشرة نافذة لكل نافذة بجانيها عمودان من احسن العمد بحيث يبلغ الجميع اربعة وعشرين عموداً وبين النوافذ صُورَ الحواريين وفوق هذا المحيط تحيط القبة وهي مصنوعة من الخشب محلاة من داخلها بأحسن الرسوم والنقوش والتماثيل ومغطاة من الخارج بطبقة من الرصاص مطلي قسم منها بالذهب بحيث تُرى من مسافات بعيدة

وفي القبة غير قبر نابليون على بعد منه قبور بعض المشاهير من اقربائه مثل قبر جيروم بوناپارت ملك وستفاليا وقبر جوزيف (يوسف) بوناپارت ملك اسبانيا وقد نُقلت جثة نابليون لهذا القبر من محل منفاة في سنة ١٨٤٠ وكتب على باب قبره من الداخل هذه الكلمات مترجمة من وصيته "أتمنى ان أدفن على شواطئ نهر السين بين الأمة الفرنسية التي احببتها كثيراً"

ثم بعد انتهائنا من زيارة دار العواجز سرنا مارين على نظارة الخارجية وسراي مجلس النواب فتفرجنا عليها من الخارج لعدم انعقاد المجلس في ذلك الوقت وهذه السراي بنيتها اميرة من امراء البوربون سنة ١٧٢٢ ولذلك تسمت سراي البوربون ثم انتقلت بعد مدد الى الحكومة فجمعتها مقرراً المجلس الامة ثم لمجلس النواب الآن ويبلغ عدد اعضائه ٥٧٤ عضواً ووجهة هذه السراي المتجهة الى نهر السين بنيت في سنة ١٨٠٤ تشبه كما تقدم في ثاني يوم في باريس وجهة كنيسة مادلين المقابلة لها على بعد من حيث انها مرتفعة يصعد اليها بسلم يعلوه اثنا عشر عموداً

ومن أحسن التماثيل المنقوشة في الحجر على هذه الوجهة التمثيل المرسوم في القطعة المثلثة التي تعلو العمدة في مقدم هذا البناء حيث مثل فرنسا ماسكة يدها القانون الاساسي تحيط بها الحرية والنظام العام والتجارة والزراعة والسلم وغير ذلك من الصور الناتئة في الحجر

ثم سرنا بعد ذلك على حافة نهر السين فمررنا بجوار قطرة ميدان كونكورد ومررنا بجوار سراي ليجيون دونور الى ان وصلنا السراي الملوكة (بآله رؤيال) وهي من اشهر مواقع باريس بناها في الاصل الكردنيال رشييو الشهير (من سنة ١٦١٩ الى سنة ١٦٣٦) ثم أوصى بها الى لويس الثالث عشر فصارت تنتقل من أمير الى أمير ومن ملك الى ملك ومن حكومة الى حكومة حتى ورثتها الحكومة الحالية وهي لاتزال تسمى السراي الملوكة بعد ان كانت في اول نشأتها تسمى السراي الكردنيالية

وقد بنى أحد الأمراء الذين ملكوها الدكاكين التي تحيط ببستانها وهي تنقسم الى قسمين ممتازين عن بعضها السراية الاصلية ووجهتها واقعة على الميدان المعروف باسمها تجاه قسم سراي اللوفر الذي يسكنه ديوان المالية والقسم الآخر البستان مع الدكاكين التي تحيط به

أما السراي فباعلاها (كونسيديتا) المجلس الاداري وبأسفلها دكاكين متسعة مسقوف أمامها يسقف مركزة على عمدة يسكن غالبا مشاهير بائعي الكتب وملتزمي طبعها وباحدها شوقية الشهير ببيع الفواكه والخضراوات في أوانها وغير أوانها حيث تجلب اليه من سائر أقطار العالم

أما الحوانيت المهدقة بالحديقة فتفتح أبوابها الى ممشى يحيط بالبستان مغطى

يُسْقَفُ محمولة على عمد وتُفْتَحُ أيضاً من الجهة المقابلة لآبوابها المذكورة الى الشوارع المحيطة بالسراي من الخارج فلكل منها بابان وتباع فيها أصناف المجوهرات والحلي وأدوات الزينة والزخرفة بسائر أنواعها وفوقها في الطبقة العليا منها محال للاكل باثمان عالية وغير عالية واما الحديقة فطولها ٢٣٠ متراً وعرضها ١٠٠ متر بكل جانب منها اربعة صفوف من الاشجار وفي وسطها حوض ماء تعرف بجانبه الموسيقى العسكرية ثلاث مرات في الاسبوع وقت العصر حيث تمشي حولها الرجال والشبان والنساء الحسان

وفي الجانب الغربي من الجهة الشمالية تياترو (بالي رويال) السراي الملكية يلعب فيه بالروايات ذات الاغاني المفرحة والتثيلات المضحكة وبعد ان تفرجنا على هذه الامكنة وتقدينا بأحد الفنادق بها أحسن الغداء ركبنا العربات ثانية ففرجنا على كنيسة سانت أوستاش الشهيرة لقديمها وقد بنيت في أكثر من مائة سنة (من سنة ١٥٣٢ الى سنة ١٦٣٧) وكثيراً ما نقصدها السياح لزخرفتها وانفاقها

ثم تفرجنا (على هال سانت رال) السوق المركزية وقد سبق لك بيانها فراينا فيها اليوم من الحسن ما لم نره في اول مرة وهكذا مثل هذه المحلات المتسعة كلما تردد عليها الانسان رأى فيها ما لم يره أولاً وزاد إعجابه بها ومن جملة ما رأيناه اليوم أن الاسماك بها تحفظ وفيها الحياة في حياض مياهها دائماً متجددة بواسطة مواشير تمدها بالمياه على الدوام فالبائع يفرج الشاري على السمك فيأخذه لو اعجبه وان لم يعجبه اعاده صاحبه الى الماء فيبقى بدون خطر عليه مها طال الزمان ثم مررنا من هنالك على بلوار سواستابول وهو من احسن بلوارات باريس

بعد البلورات الكبيرة ومنه سرنا الى ساحة الجمهورية ومنها الى ساحة الباستيل
العلومتين لنا من تفرج سابق

ثم اتجهنا الى الشمال الشرقي سالكين من سكة لاروكيت قاصدين التفرج على
مدفن (بيرلاشيز) مارين قبل الوصول اليه بجوار حبس (لاروكيت) وهو مخصص
بحبس المحكوم عليهم بالنفي او القتل وامامه الحبس المعروف بحبس الشبان وكلها
على شكل القلاع اسود الوجهة محزن المنظر وبينها ميدان يعرف بميدان التنفيذ
لان احكام الاعدام تُنفذ فيه فتُصب آلة الجيليوتين (نسبة الى مخترعها الدكتور
جيليوتان) في وسطه

وحاصل ما يكون في امر الاعدام ان كل من يحكم عليه به يُنقل الى ذلك
الحبس ويوضع في غرفة بافراده يلاحظ فيها بكيفية مخصوصة لا تمكنه من قتل
نفسه قبل تنفيذ حكم القتل العلني عليه ويبقى في ذلك الحبس ينتظر الحكم من
محكمة النقض والابرار بسبب تظلمه اليها فان كان حكمها يرفض تظلمه لا يُعان اليه
ذلك الحكم الا قبل التنفيذ بساعات ليعيش المدة الباقية من عمره في الامل والرجاء
فاذا جاء وقت التنفيذ وصدر امر النائب العمومي به جاء الى ذلك الحبس
قبل شروق الشمس بنحو ساعة كاتب من المحكمة ورئيس الحبس فيدخلان على
المحبوس وينبهانه من نومه وتبلى عليه الكاتب رفض تظلمه الذي رفعه الى محكمة
النقض والابرار ويسأله مأمور الحبس عما يرغبه من مأكل ومشرب وغيره ويدعوه
الى تغيير الثياب وحينذاك يحضر حلاق الحبس فيخلق له شعره من جهة القفا
لسهولة مثي السكين ويمتلي به قسيس الحبس ليعترف له بذنبه ويتوب على يده
ان اراد ثم يساق الى حيث نصبت آلة العذاب ومعه القسيس فيرقى سلها ويستلمه

معاوناً مأمور التنفيذ وهو مكتوف الأيدي فيُميلانه إلى الأمام ويمجزانه عن الاعتدال بقطعة من الخشب ثقيلة تنطبق عليه والناس وقوف حول هذا المحل تمنعهم العسكر بالسلاح من زيادة التقرب إليه والمحكوم عليه يكون تارة في حالة تجلّد وتارة بعكس ذلك كل هذا قبل شروق الشمس فإذا اشرقت وسطع نورها كأنها تشير إلى احقاق الحق وظهوره قطع مأمور التنفيذ الخيط المعلق به سكين الآلة (وهي شبيهة بمفرمة الدخان) المثقلة بالرصاص فتنفض على قفا المجرم فتسقط رأسه في سبت مملوء من الردّة وما يلبث إلا أن تؤخذ رأسه مع جثته في عربة مغطاة تسير بها إلى المقبرة فيدفن فيها المقتول ظاهراً ويحضر المحضر بذلك وفي الحقيقة أنه يُسلم إلى مدرسة الطب لتجري فيه عمليات التشريح في غالب الأحيان — فلما وصلنا إلى

(مقبرة بير لاشيز) نفرجنا عليها وهي أهم مقابر باريس بجهة الشرق منها وبها مقبرتان غيرها أحدهما مقبرة مونمارتر في جهة الشمال وثانيتهما مقبرة مونبارناس في جهة الجنوب

وسميت بمقبرة بير لاشيز نسبة لاسم قسيس لويس الرابع عشر كانت له دار بموضع الكنيسة التي في المقبرة اشترتها منه المدينة وجعلت في محلها الكنيسة المذكورة واشترت بعض محلات حولها وصارت تتسع المقبرة إلى أن صارت الآن أشبه بمدينة مسطحها ٤٤ هيكتار تدفن فيها سائر اصناف العالم وترغبها الاغنياء من الناس

وطرق الدفن في مقابر باريس ثلاث أولها طريقة دفن الفقراء وثانيها طريقة الدفن الموقت وثالثها طريقة الدفن الدائم أما دفن الفقراء فانهم يدفنون

مجاناً في (الحفر العمومية) الواحدة منها تسع نحو الخمسين وتُرَدَم عليهم ويدفن في غيرها حتى يمضي وقت تدوب فيه الاموات فتُفْتَح حينذاك وتنقل عظامهم منها او تحرق ويدفن فيها غيرهم وهكذا واما الدفن الموقت او الدائم فيكون بشراء قطعة من الارض من البلدية للدفن فيها لمدة او الى الابد واصغر قطعة تلزم لدفن شخص واحد متران مربعان من الارض وثمنها في الشراء الدائم سبعمائة فرنك ولمدة ثلاثين سنة ٣٠٠ فرنك ولمدة خمس سنوات ٥٠ فرنكاً واذا زاد العدد عن مترين كان ثمن كل متر يزيد الف فرنك الى ستة امتار فاذا زاد عن الستة كان ثمن كل متر يزيد عنها الف فرنك

وتُدفن الاموات في باريس بمعرفة شركة مخصوصة تدفن الفقراء مجاناً وتدفن غيرهم بحسب الدرجة التي يرغبها اهلهم ولها تعريفه بها تسع درجات معمولة بتصديق البوليس أدنى درجة فيها ١٢ فرنكاً و ٧٥ سنتيماً واعلاها ٧١٤٤ فرنكاً ولا يدخل في ذلك ثمن الارض التي تُشْتَرى في المقبرة ولا ما يعطى في الكنائس نظير الصلوات والدعوات

وتُفْتَح هذه المقبرة وغيرها من الصباح الى المساء فتخرج منها الناس حينئذ ولا يجوز لهم اخذ اي شيء معهم منها حتى من الزهور الا باذن اصحاب الادارة فيها وكلها مقسمة الى سكك وشوارع تعرف باسماء لها وهي غاية في الانتظام تكتنفها الابنية العالية المزخرفة بالتماثيل والنقوش والصور ولكن قلما تكون هذه القبور المزخرفة لمشاهير الوطنيين والعلماء الا ان الخلف قد تكفلوا مع ذلك بان يشيدوا بعض هؤلاء من الآثار الحجرية ما يجعلهم لا ينجعلون من مجوارهم من الاغنياء لو كانوا احياء وان كانت تأليفهم واعمالهم النافعة لوطنهم وللجنس البشري

تغنيهم عن جميع ذلك

والطرق الكبيرة منها مظلمة بالاشجار تجري بمجوانها المياه المخصصة بري الحشائش النباتية في سائر انحاء المقبرة حتى صيرتها على اتساعها كبساط سندس أخضر غاية في اللطف والبهاء فيصددها كثير من الناس لاسيما في بعض ايام من سنة للتفسيح وزيارة الاموات حتى يبلغ عدد الزائرين فيها في اليوم الواحد نحو المائة الف نفس في ذلك الاوان

وباحدى جهات هذه المقبرة فرس معمول لاحراق الاموات على طريقة القائلين بعدم الدفن في الارض خشية أن تؤثر في الاموات عوامل الرطوبة فتمتص الارض منها مواد العفونة فتبعثها الى المياه التي تمتد الانهار فتشرب منها اصناف المخلوقات فتضر بالصحة العمومية ولهذا رأى هؤلاء القوم ان تحرق امواتهم ويحفظ ترابها عند الاقرباء فبني هذا المحل لم في هذه المقبرة من باريس وابتدى في احراق من يوصون لانفسهم به او من يرغب اهلهم فيه يوم ٣٠ يناير سنة ١٨٨٩ حيث أحرق فيه شخص أوصى قبل موته بذلك وهذا المحل عبارة عن قاعة ينتظر فيها الاحباب والاقرباء ويدخل بجثة الميت الى محل بها فيه تنور يوقد بالحشب من سائر اكنافه ويوضع الميت على معدن في وسطه غير قابل للاحتراق ويستمر الايقاد حتى تبلغ درجة الحرارة نحو ٨٠٠ درجة والجسم لم تمسه مع ذلك كله النار بل يذوب من شدة الحرارة وانعكاس اشعتها فيه بدون ان يسمع نشيش او فرقة اعضاء منه فان الغازات التي تتكوّن من الحريق تنصرف في مسالك غملت لها وتستهلك بها بحرارة ثانية تسلط عليها فيها فلا يضي نحو ساعة ونصف او ساعتين بالاكثير من وقت وضع الجثة بذلك المحل الا وقد

احترقت وصارت رماداً وزنه بقدر جزء من اثني عشر من زنة الجسم قبل الاحتراق
فستلم اهل الميت الرماد وتذهب به الى حيث تشاء وقد هلك كل شيء منه حلتة
الحياة

وبعد ان فارقنا مقبرة بيرلاشيز سرنا من البلوارات الخارجية ومررنا من
بلوار ميلينموتان وبلوار بلقيل حتى وصلنا منتزه بوت شومون وجدد برنا المنتزه
به بعد رؤية مكان التنفيذ ومقبرة الأموات

وهذا المنتزه انشئ على قطعة كبيرة من الأرض اصلها مرتفع استخرج منه
كثير من الاحجار فصار كثير الأنجاد والأغوار كان قبل جملة منتزها تأوي اليه
الاشقياء وتودع فيه الأقدار الى ان صار تنظيمه بالحالة التي هو عليها الآن
وصار الانتفاع في ذلك التنظيم بمجالاته العالية حيث أقيمت فيها الكهوف
الصناعية الشبيهة بالكهوف الطبيعية التي بالجبال يخترقها نهر ينصب منها على ارتفاع
عشرين متراً في بحيرة صناعية متسعة تحديق هذه الكهوف وقد صار توصيل واحد من
هذه الكهوف لآخر منها بكوبري من الحديد جعل بينهما على طول ثلاثة وستين
متراً مرتفع عن سطح الماء بأكثر من ثلاثين متراً يتمتع فوقه الناظر بمنظر بهيج
باهر فاذا صعد الى كهف أعلى انكشف أمامه منظر جزء عظيم من المدينة فاذا
علامته الى الصخرة التي بعده بواسطة كوبري أقيم بينهما من الحجر انكشفت له
المدينة بتمامها ونم المنظر الحسن

والحاصل ان هذا المنتزه جعل ذلك المثل الحرب الذي أقيم فيه من ابعج
المحلات وحسن قيمة جميع الارض المجاورة له وقد كانت قبله مهتلة لاتباع
ولا تشري فصارت مجاورته مقراً للمعامل المعتبرة والمصانع العظيمة كما قيل

(يجبرانها تفلوا الديار وترخصُ) وصار يسكن ما جاور هذه المعامل من المساكن من يشتغل بادارتها من العمال وربحت الحكومة التي قامت بهذا العمل من أثمان تلك الارض المجاورة ما عوّضها الذي صرفته في سبيل هذا الاصلاح من المال فهي زيادة عن أنها لم تخسر شيئاً في هذا العمل قد أكسبت المدينة منتزهاً من أحسن المنتزهات يبلغ مسطحه أكثر من ٢٢ هكتاراً

هذا وإنني بعد ان طالعت من كتاب الدليل في خصوص هذا المنتزه ما تقدم معناه واعقت ذلك بالمشاهدة يصحبها الاعجاب والاستحسان انصرف خاطري في الحال وانا على ذلك المرتفع الى الوطن العزيز ومصره فتذكرت ما ترتب على تنظيم الشوارع بحجة التوفيقية من ارتفاع قيمة الارض بها بعد ان كانت بدون القيمة وتميت أن لو استمر الاصلاح في طرق القاهرة وصار توسيع الضيق منها بشوارع متسعة معتدلة منتظمة لتبث وتنتشر بداخل البلد ومساكن الوطنيين فيه موجبات الصحة من طيب الهواء وتجديده وانتشار الشمس بالاماكن وزوال الرطوبة منها ولا تصرف الحكومة في هذا الاصلاح الا القليل في ابتداء الامر لانتفاعها بملو قيمة ما يبقى من المحلات التي تشتريها لممر الشوارع منها وهي تأخذها نظراً لحالتها الاولى بانحس الاثمان فهي لا شك تربح أكثر مما صرفته اولاً وهب انها خصصت بذلك في الميزانية مبالغاً سنوياً من المال تصرفه من غير ان يعود عليها عوّضه فلا ريب انها تحمد على ذلك وتكون قامت بالواجب نحو عاصمة البلاد وأدت ما ينبغي عليها من الاصلاح فيها ومرضاة اهليها بوسائل التحفظ على صحتهم المقدمة على المال

واذ وصلت الى هذا الحد من التأمل اخذ القليل الذي يصحبنا يشير الينا

بالنزول من المرتفع لنسير الى التفرُّج على ما بقي من الآثار في هذا النهار
فتبعناه وخرجنا سائرين في شارع لافاييت ثم شوارع بورت سان مارتان وسان
دينس وما بعدها من البلوارات حتى وصلنا الى محل كوك ثم منه الى الفندق
آخر النهار

وتوجهت في الليل مع صاحب لي من الفرنسيين صحبته في مدة دراستي
وقد ساقته الصدقة بطريقي في هذا المساء الى تياتر (بالي رويال) الذي سبق
القول فيه بأنه مخصص بالتمثيلات الاضحوكية والروايات ذات الاغاني الهزلية
فتفرجنا وتحصلنا على ما لم يكن يخطر لنا من السرور والأنس والانبساط على بال
حتى بعد نصف الليل فافترقنا بعد ان استودعت صاحبي لسفروه في صباح اليوم
التالي الى جهة اعماله وتوجهت الى الفندق فنمت الى الصباح

﴿ عاشر يوم في باريس ﴾

كنا خصمنا هذا النهار وهو يوم الاحد ١١ اغسطس سنة ٨٩ بالاستراحة
من التنقل في جهات باريس وعزمنا على زيارة موجيهل بك رئيس الارسالية
المصرية بفرانسا حيث ابتدأنا هو بالزيارة وصحبنا لزيارة بعض المدارس كما
قدما ذلك

فتوجهنا الى منزله في طريق رين راكبين عربة فصادفنا عنده جيمون بك
ناظر مدرسة الفنون والصنائع بمصر وقت ذاك لكنه كان بباريس حينئذ بإجازة
فالم على سيدي الوالد العزيز ان يذهب معه للتفرُّج على دار الصنائع والفنون
(كنسيز واتوارديز اريزيميتيه) بها قائلًا ان فيها من الأشياء المفيدة والادوات

المهمة ما يسر سيدي لرويته . ولما لم نجد بداً من التلخص صجناه وركبنا عربية سرنا بها حتى وصلنا بلوار سباستاپول ووجدنا على اليمين منه الميدان المنسوب الى اسم هذه الدار فدخلناه ودخلناها من بابها المدخول له من هذا الميدان

وتشتمل هذه الدار على متحف للصنائع والفنون وعلى محلات معدة للتدريس وقد صدر الأمر بانشاءها في سنة ١٧٩٤ وان كانت فكرة ايجاد متحف للآلات موجودة قبل هذا التاريخ

وأول من اخذ في جمعها فوكانسون الميكانيكي الشهير حيث أوصى للحكومة بجموعته التي صرف في جمعها نفيس العمر والمال من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٨٣ فكانت اساس هذا المتحف العظيم

فاذا دخل الانسان من الباب وجد رحبة على اليمين منها كنبخانة تشتمل على ٢٥ ألف كتاب ووراء الكنبخانة متسع تحيط به محال تدريس ثلاثة ومحال معامل عن يمينها قاعة الآلات وعلى اليسار من هذه الرحبة محال بعضها للإدارة وبعضها لبعض آلات المتحف والجزء المهم من هذا المتحف مواجه لمدخل رحبة الدار ويصعد اليه بسلم متقن الصنع عظيم الارتفاع على يمينه تمثال يابان مخترع الماكينات التي تدور بالبخار (ولد سنة ١٦٤٧ وتوفي سنة ١٧١٤) وعلى يساره تمثال لوبلان (ولد سنة ١٧٤٢ وتوفي سنة ١٨٠٦) وهو اول من استخرج من الفحم الصودا العظيمة النفع في الكيمياء الصناعية

وينقسم ما جمع في هذا المتحف الى اربعة وعشرين قسماً كل قسم منها ينقسم في حد ذاته الى عدة اقسام وقد بلغ فهرست ما دخل تحت هذه الاقسام في سنة ١٨٨٢ الى ٩٩٢٥

وقد بذل كمال الاعتناء في جعل ترتيب الآلات بحسب تاريخ اختراعها من اول نشأتها حتى وصلت الى الحالة التي هي عليها الآن فالآلات النسيج مثلاً رأيناها على حالتها الاولى من السداجة ثم تقدمت تدريجياً حتى وصلت الى ما هي عليه الآن والقناطر رأينا كيف كانت تُصنع في اول الاعصار ثم كيف تقدم عملها بالتدريج ومثل ذلك السفن الحربية وبعدها البخارية ممثلة باشكال صغيرة غاية في الدقة والاستيفاء ثم آلات الكهرباء ثم غير ذلك من جميع الآلات التي تدار باليد وبالبخار حتى وجدنا أدوات رفع المياه اولها شبه تابوت من خشب كالمستعمل عندنا عثروا على قطعة منه نحو الربع في بلاد الاندلس حيث كان يُستعمل لرفع المياه فيها قبل الآن بستمائة سنة فجلبوا هذه القطعة الى هذا المتحف واستمرت بعد ذلك الآلات في التقدم حتى وصلت الى ما هي عليه من الاثقان فتفرجنا على جميع القاعات بالطبقة الارضية والعلوية ومعنا جيئون بكم وامين المتحف الذي هو صاحبه ورفيقه من وقت التعليم بالمدرسة يُفهمنا خصائص جميع الاشياء

فاول قاعة دخلناها بعد الدهليز القاعة المعروفة بقاعة الصوت سُميت بذلك لانها مبنية بهيئة هندسية من مقتضاها انه اذا وقف انسان بركن من اركانها ووقف آخر في الركن المقابل له وتكلم احدهما بصوت غاية في الانخفاض فانه يسمعه الآخر لاحتالة كما شاهدنا ذلك ورأينا فيها من المتحف معادن حديدية على هيئتها الاصلية وعلى هيئتها التي استعملت فيها بعد ذلك بالسفن وادواتها وتفرجنا في غير هذه القاعة على المقاييس والمكايل فرنساوية واجنبية وعلى الآلات المتعلقة بعلم هيئة الارض ومساحتها وبالفلك والمتعلقة بالساعات

وبمقياس الهواء وباصطناع نروس الساعات وبالآلات الهندسية
وفي غيرها على متعلقات العمارات المدنية من حدائد وأقفال ومرمر
واخشاب وفي غيرها على كيفية قطع الأحجار والآلات
ثم في أخرى على الآلات والأدوات المتعلقة بالمياه واخصها القناطر
والجسور وفي أخرى على الآلات المتعلقة بالانارة والتدفئة وتهوية الاماكن
وفي قاعة على آلات استخراج المعادن من محالها وتنقيتها وكيفية تطريق
الحدائد واصطناعها

وفي قاعة على آلات وابنية الزراعة بجميع أجناسها واصنافها
وفي قاعة على آلات شتى منها طاحون هواء ثم سفينة شراع ثم آلات تدور
بالخيل ثم آلات تدور بقوة الماء ثم آلات تدور بالبخار على اختلاف أصنافها
وأشكالها ثم آلات تدار باليد مستعملة في كل الصنائع والحرف ثم آلات السكك
الحديدية ووابوراتها والآلات المستعملة في الكيمياء الصناعية والمستعملة في
المأكولات والمشروبات والاعمال المنزلية

وفي قاعة على آلات الغزل والنسيج وأدواته بأصنافها وحوملها جميع المنسوجات
من حرير وقطن وصوف حتى رأينا من أبسطة جوبلان وبوفيه الشهيرين
وفي قاعة على الآلات المتعلقة بالفنون الكيماوية مثل فن النقش والتصوير
على الاقمشة وفن صناعة الورق وما يتركب منه من المواد وفن الطبع بالحروف
والحجر والنقوش والصور ذات الالوان والآلات الكتابة ثم آلات الفطوغرافيا
وفي قاعة على آلات الصباغة وآلات صنع أواني الفخار والصيني واواني
الزجاج والبلور ومواد تركيب ذلك وكيفية عمله

وفي قاعة على مصنوعات البلور والزجاج بما فيها من تقليد حجارة الالماس
الشمينة وبجوارها قاعة هذه المصنوعات من بلاد الاجانب ثم قاعة الماكينات
الحسابة والعدادة وغيرها من مماثلاتها من الماكينات

هذا من حيث الآلات واما من حيث التعليم فيها فاهميته بالنسبة للصنائع
والفنون كاهمية التعليم بمدرسة سُوربون الجامعة الشهيرة بالنسبة للعلوم والآداب
وهو عمومي مجاني ليلي علمي عملي عهدت به الحكومة الى اشهر العلماء يقصده
من لا يحصى عددهم من الناس فيزيدون في الدرس الواحد عن ٦٠٠ ولا ينقص
متوسطهم عن ٢٥٠ او ٣٠٠ بقعدون على مدرج منور مدفأ مغير هواؤه على
حسب الفصول

فندرس به الهندسة والميكانيكا والطبيعة المتعلقةات بالصنائع والهندسة الوصفية
والعمارات المدنية والكيمياء من حيث تعلقاتها بالصنائع على العموم وباعمال الصباغة
وأواني الفخار والصيني والزجاج على الخصوص والكيمياء الزراعية وعلم الزراعة والمباني
الزراعية والتدبير الزراعي وعلم الغزل والنسيج والتدبير السياسي والقوانين المتعلقة
بالصناعة والتدبير الصناعي وعلم الاحصاء والقانون التجاري

ويلى محلات التعليم معامل كيمائية للتعليم العملي ثم قاعة الآلات البخارية
يدبرها البخار فتدير الآلات وتصنع سائر المصنوعات وكانت تشغل ايام الاحاد
قبل ان يتقرر ايقافها حتى تنقل الى محل جديد لعدم متانة المحل الذي هي به الآن
وفي قاعة الآلات البخارية هذه تختبر المخترعات فيحرر المكلفون باختبارها
تقريراً يخبرون فيه بالنتيجة التي صار حصولها من تشغيل الشيء المخترع بدون
مدح ولا اطراء مقتصرين على ذكر الواقع ليس الا وفيه الكفاية

ولم نفرغ من زيارة هذه الدار الأقرب انتهاء النهار وقد شغلنا عن الأكل بدائها ونفائسها وانقائاتها ونحسيناتها وما يستدل به فيها على اتساع معارف الإنسان ونرفقاته التدريجية إلى أوج الكمال وعلى ما جاء به العلماء من خدمة النوع البشري ببدء اختراعاتهم التي اهتموا إليها بانوار العلم والعرفان وكنا مع كثرة المشي وطول مدته لم نكد نستشعر به لاشتغال جميع حواسنا بهذه المشاهدات وشكرنا صاحبنا الذي كان الأصل في هذه الزبارة وصاحبه الذي تكرم علينا بالتعريفات والايضاحات وانصرفنا

وقد وجدت في نفسي بعد الأكل والاستراحة لما أتى الليل القدرة على التوجه للأوبرا حيث كنت تحصلت على تذكرة لها من مدة أيام وكنت انتظر هذه الليلة كل الانتظار فوجدت فيها من اشرار الصدر وفي بناءها من الأحكام والانتان ما تقدم الاماع بشيء منه عند ذكر وصف هذا التياتر في فسحة ثاني يوم بباريس



❖ اليوم الحادي عشر في باريس ❖

خصصنا هذا اليوم (الموافق يوم الاثنين ١٢ اغسطس سنة ٨٩) باستكمال زيارة باريس فركبنا عربة من عربات كوك وكان الدليل بها من اهالي سوريا المعارفين باحوال مصر بواسطة تردده عليها مع سياح كوك في فصل الشتاء فصار يترجم عن الآثار والمشاهدات لرفاقي بالعربي ثم بعدهم يترجم بالانجليزي لغيرهم من الرفقاء الانكليز

فمررنا أولاً بعمود واندوم وهو على القرب من الفندق الذي كنا نسكنه
بعض خطوات كما سبق في غير هذا المثل قائم في وسط رجة تعرف باسم ميدان
واندوم

وقد اقام هذا العمود ناپليون الاول من (سنة ١٨٠٦ الى سنة ١٨١٠) تخليداً
لذكر جيشه الذي ظفر به على النمساويين والروسين في سنة ١٨٠٥
وباعلاه صورته مجسمة وارتفاعه ٤٣ متراً و ٥ سنتمتر وقطره يبلغ نحو اربعة امتار وهو
وان كان هدمه رجال الكومون سنة ١٨٧١ الا انه بني بعد ذلك كما كان

وهو مبني من الداخل مغطى من الخارج بطبقة سميكة من البرونز تحيط به
على شكل حلزوني بحيث يبلغ ما يغطي ساقه من هذه الطبقة ٢٧٣ متراً وكلها
منقوشة بالتصاوير النائية فيها تمثل اشهر وقائع جيش ناپليون المعروف بالجيش
الكبير في سنة ١٨٠٥ اما هذا البرونز الذي عملت منه هذه الطبقة وتمثال ناپليون
الاول الذي يعلو العمود فما أخذ من ١٢٠٠ مدفع من المدافع التي اغتنمها
الفرنساويون في حرب السنة المذكورة من النمساويين والروسين ويصعد بهذا
العمود من الداخل الى قاعدة التمثال السالف ذكره فيجد عندها الصاعد متسعاً
محاطاً بدرابزين من حديد يُطل على احسن مواقع باريس

وانتقلنا من هذا الميدان الى سكة كاستيجليون حيث الفندق الذي نحن به
ومنها الى سكة ريفولي فوصلنا سراي اللوفر

(- سراي لوفر -) هذه السراي واقعة بين سكة ريفولي السالف ذكرها
ونهر السين وهي اهم عمارات باريس بالنسبة لبنائها وما تشتمل عليه من نفيس الآثار
كما انها اعظم عمارات باريس من حيث السعة والشهرة بل هي من اشهر عمارات

اوروبا باجمعها

وهي من اقدم العمارات الملوكية بباريس كان في مكانها سابقاً حصن بناء
احد الملوك بجانب سور المدينة وتلاه آخر فبنى بجواره قصرًا لاقامته الى ان اتى
فرنسوا الاول (سنة ١٥٤١) فهدم القصر والحصن وشرع في بناء هذه السراي
مكانها واستمر في البناء والتوسيع كل من أتى بعده من الملوك حتى صارت
سراي اللوفر على ما هي عليه الآن فهي من عمل فرنسوا الاول وجميع الملوك الذين
اتوا بعده حتى اتما نابليون الثالث الامبراطور فواصل ضلعها الشمالي والجنوبي
بضلعي سراي ثويلري التي جعلها مقرًا له ومركزًا لامبراطوريته

وتنقسم هذه السراي الى قسمين اللوفر العتيق واللوفر الحديث فالعتيق عبارة
عن البناء المربع بمجه الشرق المحيط بالرجة الداخلة فيه والحديث عبارة عن
الجناحين الشمالي والجنوبي المتصلين بضلعي هذا المربع الشمالي والجنوبي الممتد
كل من هذين الجناحين من الشرق الى الغرب بموازة بعضها وسكة ريفولي ونهر
السين حتى يتصلا بضلعي سراي ثويلري التي جعل مكانها الآن حديقة منذ
أحرقها اهل الكومون سنة ١٨٧١ وكانت على شكل مستطيل يتجه من الشمال
الى الجنوب فيكون الضلع الرابع شكلًا آخر مستطيلًا ضلعه الشرقي الضلع الغربي
من سراي اللوفر العتيق وضلعه الشمالي والجنوبي جناحا اللوفر الحديث وضلعه
الغربي سراي الثويلري المذكور

ولو نظرت في خريطة من خرائط باريس الآن لوجدت السين من جهة
الجنوب وسكة ريفولي من جهة الشمال وبينهما سراي اللوفر العتيقة (على شكلها
المربع المحيط بالرجة الداخلة به كما عرفت) ويلها الضلعان الممتدان بموازة نهر

السين والسكة المذكورة وهما سراي اللوفر الحديث فينتيان الى ضلعي سراي التويلري الممتدة بامتدادها حتى يصل الى الحديقة التي انشئت محل خربات التويلري وبها طريق يسى طريق التويلري استحدث بعد ايجاد هذه الحديقة يوصل ساحل السين طريق ريفولي ويفصل الحديقة التي قلنا بانشاءها محل السراي المحرقة عن حديقة التويلري الشهيرة الممتدة من الشرق الى الغرب بموازة النهر وطريق ريفولي حتى تصل الى ميدان الكونكورد المشهور وقد سبق ان هذا الميدان متصل بمنزله شانزليزيه العديم المثال

فبعد ان شاهدنا رحبة سراي اللوفر العتيق وتأملنا البناء العظيم المحيط بها وما فيه من الإبداع وحسن النظام وتمعنا النظر بوجهته اليمنى من جهة السين وهي من عمل لُسكُوت من اشهر المهندسين المماريين وتمتعنا بروية الوجهة الغربية ذات الثلاث الطبقات المعدودة من احاسن ابنية زمن فرسوا الاول بما عليها وعلى غيرها من القباب التي كانت لتخذي عمارات تلك الاوقات عابناً البناء من الخارج فاذا هو اكل جمالاً وازيد بهاء وكالاً لاسيما الوجهة الشرقية منه التي طولها نحو ١٧٤ متراً على ارتفاع نحو ٢٨ متراً مزينة بالعمد المتخذة على احسن الاشكال واجمل الهيئات

وانصرفنا بعد هذا الى مشاهدة اللوفر الحديث وهو اكبر من الاول سعة وامتداداً تعلوه القباب وتحيط بنوافذه العمدة المتقنة التي تأخذ بالالباب مزينة بست وثمانين صورة مجسمة من صور مشاهير الرجال وثلاث وستين من مجموعات الصور المقصود بها تمثيل الوقائع التاريخية الجديدة بالتخليد اماعد التصاوير والرسومات وحصر الاشكال والهيئات التي زين بها سراي

اللوفر العتيق والحديث من الداخل والخارج وإبقاء هذا البناء حقه من الوصف والاطراء فلا يكاد يحيط به البيان كيف وهذه السراي اوسع واشهر سرايات باريس كما اشرنا اليه حتى قيل انها اوسع سرايات الدنيا باسرها فقد بلغت مساحتها مع مساحة تويلري وقت ان كان ١٩٥٠٠٠ متر مربع فضلاً عن كونها معدودة عند ارباب الفن احسن العمارات الفرنسية من حيث فن العمارة والبناء

هذا ومحلات اللوفر العتيق متخذة متاحف لآل نفس الآثار وكذلك بعض محلات اللوفر الحديث من جهة الجنوب اما من جهة الشمال فتسكنه نظارة المالية وتكلم الآن على متاحف اللوفر العديدة المثال فان لها مقاماً يستلزمه الحال (متاحف لوفر) لم تجتمع الذخائر الموجودة في هذه المتاحف من اول وهلة وفي وقت واحد بل جذت في جمعها الملوك وساعدت فيه الجيوش المظفرة حيث اغتنمت ما طاب لها من بلاد اعدائها ولا زالت هذه الذخائر والكنوز تتجمع شيئاً فشيئاً وحذت الامراء حذو الملوك في هذا الأرب واتفق اثرهم آحاد الاغنياء والموسرين

واول من اخذ في جمع الآثار فرنسوا الاول ونحا نحوه كما سبق الامراء والآحاد حتى أتت الثورة الفرنسية فجمعت كلها كان متفرقاً في مساكن الملوك المنتشرة في سائر الانحاء وضمت المتفرق منها في سائر البلاد لهذا الحل الذي تأسس سنة ١٧٩٢

ولما عادت الجيوش الفرنسية من ايطاليا والمانيا وما جاوزها استنصبت معها برسم هذا الحل ما استحسنته في هذه البلاد من الآثار حتى صار متحفاً عمومياً لسائر الديار

والقاعات الحاوية لهذا المتحف كثيرة العدد عظيمة الاتساع حتى يازم لاجتيازها بأجمعها وبمجرد المرور فيها ساعتان للمجد في السير الماشي بلا توان - ومن هذا يتضح تعسر التفرج على كل هذه القاعات وبالأولى وصف ما بجميع هذه المتاحف من النفائس الحسان

وها نحن سنسير بك الطريق الذي سلكناهُ مستلفتين نظرك الى بعض ما رأيناه وما عليك الآن ان تستعد للسير وتعود نفسك الاسراع فالطريق طويل والوقت قصير ولا بد ان نخرج من هنا وقت الظهر أو بعدهُ بقليل لتعاطي الطعام فاعلم ان الطبقة الارضية تشتمل على المتاحف المخصصة بأعمال الحفر في الحجر والمعادن (سككُتور) والنقش (جرافور) ومتحف الآثار القديمة المصرية والطبقة التي فوقها تحتوي على ما يتعلق بالتصوير (بانثور) وعلى الآثار القديمة الصغيرة الحجم المختلفة من الازمان الوسطى والتي بعدها وعلى ما يتعلق بالرسم (دسان) وغير ذلك والطبقة الثالثة تحتوي على متحف البحرية وعلى قاعات متعلقة بالتصوير ايضاً وعلى متحف علم خصوصيات الشعوب (انثجرافيك) وبعض قاعات متعلقة بالرسم ايضاً وعلى المتحف الصيني - وها نحن نبداُ

(بمتحف الآثار القديمة المصرية) هذا المتحف يشتمل على آثار مصرية عديمة المثال لا تكاد توجد بغيره من متاحف الآثار المصرية وقد جمع ما يتعلق بديانة قدماء المصريين وعوائدهم وفنونهم وصنائعهم ويشتمل على عدة قاعات

منها المسماة بقاعة هنري الرابع وتحتوي على كثير من الاشياء الكبيرة الجرم مثل تمثال ابي الهول التي كانت توضع مُثناةً على ابواب الهياكل وهي كما لا يخفى على هيئة حيوان تخيلي جسمه جسم الاسد ورأسه رأس الانسان وتحتوي هذه

القاعة ايضاً على كثير من المسلات المنقوشة بالنقوش المتنوعة وكانت تقام كما هو معلوم تخليداً لذكر عظماء الاموات عندهم وتحتوي على كثير من الصور المجسمة التي استخرجت من المقابر وعلى كثير من التوابيت

وقاعة ايسن وسميت بذلك نسبة لتمثال العجل ايسن احد معبودات المصريين الموجود بها وهو من اعمال العائلة الثلاثين في القرن الرابع قبل المسيح

وبجوار جدران هذه القاعة من الداخل كثير من المسلات الصغيرة المتخذة من الحجر الصوان وكان قدماء المصريين يضعونها في قبر ايسن بعد نقش التاريخ واسم الملك الحاكم عليها فهي لذلك من أعظم النافعات بالنسبة لتاريخ مصر

وبجوار هذه القاعة محل صغير به جانباً باب مدخل سيراً يوم الواقعة بقرب سقاره بمصر وعليها كتابات من اول مدة عائلة البطالسة

واذ صعدنا في السلم للوصول الى الطبقة العلوية لمشاهدة باقي الآثار المصرية وجدنا هذا السلم مغطاة جدرانه بأوراق معمولة من البردي عليها أقدم الكتابات المنسوبة لليونان والقبط وفي جملتها قطعة مأخوذة من هيكل الكرنك مكتوب عليها بالخط القديم ذكر واقعة من غزوات طوطميس الثالث من العائلة ٣٨ وهو اكبر ملوك مصر الاقدمين

ويوجد في أعلى هذا السلم كثير من التوابيت المصنوعة على شكل المومياة وعليها كثير من النقوش والتساوير وهي مع قدمها للغاية (بعضها منسوب للعائلة الرابعة او الثالثة) تدل على تقدم المصريين في تلك الايام تقدماً تحار فيه الاذهان

واول قاعة يدخل فيها الزائر بعد ذلك يجد فيها صور بعض الملوك مجسمة

مُفرَّغة في قوالب مأخوذة من الصور الاصلية مثل صورة شفرين باني الهرم الكبير (من العائلة الرابعة) وصورة أمينيريتيس امرأة بساميتيك الاول (من العائلة السادسة والعشرين)

ويتوصل الانسان من هذه القاعة الى قاعات الانتيكات الصغيرة الحجم اولاهما القاعة التاريخية سميت بذلك لاشتمالها على كثير من الاشياء ذات القيمة التاريخية بها صورة بساميتيك الثاني مجسمة من الحجر الاخضر وبها كثير من الدواليب المغطاة بالزجاج مشتملة على صور متعلقة بالاموات وجعارين وعلى أشياء مصنوعة من الذهب مثل اواني الشرب والسلاسل وكثير من ادوات الحلي والمصوغات العالية القيمة فان الصور الثلاثة الصغيرة الموضوعة بالدولاب الواقع على اليسار وهي صورة اوزيريس وايزيس وهوروش مصنوعة من الذهب اشترت بمبلغ ٢٥٠٠٠ فرنك

وثانيتهما القاعة المدنية لاشتمالها على اشياء متعلقة بمعيشة اهل المدن وفيها من الحلي ما هو مصنوع من الذهب أو غيره من المعادن وكثير من ادوات الزينة المتخذة من الاخشاب والعظم والعاج وكثير من الصور المجسمة الصغيرة واشكال المساكن مجسمة والكراسي والحصر وقطع من المفروشات وكثير من المنسوجات البديعة الصنع وفي الدواليب غير ذلك كثير من الادوات المصنوعة من البرونز والصيني والزجاج والفخار وفيها كذلك الاشياء المصنوعة من الحلفاء على اختلاف اشكالها ومنافعها وبها كثير من الاحذية والنعال وبها اصناف الفواكه والحبوب وادوات الزراعة والحراثة وهيئة استعمالها وبها الاسلحة وادوات الموسيقى وبها حق يشتمل على ادوات اللعب باختلافها حتى ان بها سفناً صغيرة على شكل التي

كانت تستعمل في النيل من صنع الازمان السالفة

وثالثها قاعة متعلقات الاموات وهي مهمة بالنسبة لمعرفة كيفية اعتبار الاموات عند قدماء المصريين وقد كانوا يعتقدون خلود الروح وبدم فناءها ولذلك كانوا يفرغون الوسع في حفظ الاجساد وتصويرها والتحفظ على عدم فناءها ويبدلون المال الكثير في سبيل بناء القبور المشيدة وقد علمت معتقداتهم في الاموات من كتاب كانوا يضعونه او بعضاً منه مع الاموات محتوي على الصلوات والاجراءات التي يجب على الروح ان تسير بمقتضاها في الآخرة وعلى الاجوبة التي تجيب بها عن الاسئلة التي تُلقي عليها الى غير ذلك

وقد رأينا في هذه القاعة كثيراً من اوراق البردي مشتملة على بعض هذه الكتب كما رأينا في الدواليب الموجودة بها كثيراً من التوابيت المعمولة على شكل الاموات منقوشة بأحسن النقوش مذهبة بأحسن التذهيب وكثيراً من الجمارين والموميات وكثيراً من الكتابات المبروجلية متعلقة بالاموات

ورابعها قاعة الآلهة وتشتمل على كثير من صور الآلهة والمعبودات المصنوع أغلبها من البرونز ففيها صور هبس وسخت وامون اوزيريس وايزيس يرضعون هوروس وفي الوسط صورة من صور الإلهة أونوت وهي من الآلهة الشمسية رأسها على شكل راس البقرة الى غير ذلك من الجمارين والصور المصنوعة من الخشب او من مواد غير محلاة بالذهب

وخامستها قاعة العمود وفيها الاشياء التي لم تسعها القاعات التي قبلها ومن جميع الأصناف الموجودة في تلك وقد رأينا فيها توابيت غاية في الاتقان والزينة لورائتها لعلت فرغ منها الصانع الآن ورأينا في وسطها صورة نيساهور مجسمة وهو

من اصحاب الوظائف في مصر مدة العائلة السادسة والعشرين ورأينا في الدواليب الزجاجية المرايا والاسلحة المصنوعة من البرونز وبعض آلهة ايضا ثم رأينا كثير من الادوات المنزلية ومن اهم ما في هذه القاعة الورقة البردية الملوكية وهي كتاب الأموات السالف ذكره مكتوب بالهيروجليفيه طوله ثمانية امتار لم يؤثر عليه مرور الأيام بشيء وان كان له أكثر من ثلاثة آلاف سنة في عالم الوجود وها نحن فرغنا من وصف متحف الآثار المصرية فلنصف لك

(متحف الآثار القديمة الآسيوية) ومدخله مقابل مدخل المتحف المصري الذي سبق وهو يشتمل على قسم من الموجودات التي عُثر عليها بواسطة الاكتشافات التي أجريت في موضع مدينتي آشور ونيوى القديمتين ويشتمل فضلا عما ذكر على ما استحضرت الارشاليات العلمية التي ساحت في بلاد آسيا لهذا الغرض وعلى ما استحضرت آحاد الناس من السائحين واهدته الى هذا المتحف ويشتمل هذا المتحف على سبع قاعات

القاعة الاولى والثانية منها مخصوصتان بأشوريا وهي بلاد النمرود المذكورة في التوراة وكانت ممتدة على الشاطئ الايسر من نهر الدجلة وتحتها نيوى ثم انتقل الى آشور وهي التي تغلبت سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد على مملكة بابل وامتد سلطانها على البلاد حتى آسيا الصغرى وقد عثر الباحثون في خربات هاتين المدينتين على قصور غاية في السعة وجدت مجدران قاعاتها جملتها رسوم نائفة في الحجر تمثل معيشة الملوك الذين حكموها وحالم وملابسهم ونظامهم وكل أمورهم بطريقة اوضح وأشارات افصح من النقوش والرسومات التي استدل منها في برابي مصر على تاريخ المصريين ههنا فضلا عن الكتابات التي وجدت بهذه القاعات مكتوبة

بكيفية مخصوصة قد أسعد الحظ بالوصول الى معرفتها وحل رموزها وقراءتها منذ زمن قريب جدًا واغلب الصور الموجودة في هاتين القاعتين استخرج من قصر خورسا بار الذي وُجد في القرن الثامن قبل الميلاد ومن قصر النمرود وقد وجد في القرن العاشر قبله ومن قصر سردنا بال الخامس ببنوي وقد حكم في القرن السابع قبل الميلاد

والقاعة الثالثة والرابعة مخنستان بالتوايت الفينيقية مصنوعة من الرخام الاسود والايض وهي ما بقي من آثار الصنائع الماثورة عن الفينيقيين وكانوا أمة سكنوا سواحل آسيا بجهاث سوريا يستمدون من معارف المصريين والآشوريين فاستعمروا مستعمرات عدة على سواحل البحر الايض المتوسط كانت واسطة العلائق بين اهل الشرق والغرب هذا وأهم هذه التوايت تابوب اسمونا زار ملك سيدون فإن عليه اطول كتابة فينيقية عُلِمَت حتى الآن

والقاعة الخامسة مخصوصة ببعض أتيكات فينيقية وبعض أتيكات عُثَر عليها ببلاد سوريا وبقرص واهمها اناء أمانت المستحضر من قبرص مصنوع من قطعة واحدة من الحجر قطره ثلاثة امتار وسبعون سنتيمتر

والقاعة السادسة والسابقة مشتملتان على صور مجسمة من صنع بعض البلاد القديمة بآسيا الصغرى - ولندكر لك بعد هذا

(متحف الرخام العتيق) وهو يشتمل على قاعات شتى ملأى بصور مجسمة من الرخام قديمة العهد ينقص من بعضها بعض الاعضاء وفيها كثير من متقنات الصنع دالة على تقدم فن التصوير بالرخام في القرون الخالية واني لا يمكنني ان أوفي هذا الباب حقه من الوصف فاني لست من ارباب

هذا الفن وإنما اقتصر على ذكر ما أثر في مخيلتي من هذه الصور أكثر من غيره مع ان ذلك لا يدل على أنها أحسن مما سواها وذلك أننا بعد ان اجتزنا عدة قاعات وصلنا القاعة المعروفة بقاعة سيفير فرأينا فيها صور الامبراطورين والامبراطورات الرومانيين مرسوماً نصفها الأعلى فقط من مازك أوريل الى كار كلاً — ولعل استحساني لهؤلاء دون غيرهم بسبب معرفتي باسمائهم وتكرارها في مطالعة القوانين الرومانية مدة الدراسة — ثم انتقلنا الى قاعة بعدها وبها صور تراجان وأدرين وأنطونان ومارك أوريل وكومود وإيلوس فيروس وليسيوس فيروس ثم الى قاعة أوجوست ومن أحسن صور الامبراطورين الأول بها صورة أنطونيوس وهو الذي اتخنوه إلهاً بعد ان مات غريقاً في النيل فتمثاله في غاية الأحكام والاتقان حتى يخال الراي ان شعره شعر حقيقي يمكن عدّه بالواحدة ويقال ان عينيه كانتا معمولتين من الاحجار الثمينة ثم الى (قاعة الزهرة) سميت بذلك لوجود زهرة ميلوبها وهي اشهر صور اللوفر وجديرة بالاشهرية فان الانسان يتخيل ان بها الروح لا تنظام اعضائها واعتدال قوامها وانسجام هيئتها وانها تتكلم من وجاهة وجهها وصباحته وحسن تركيبه وملاحظته وقد كانت في هيكل صغير بمجزرة ميلو في مدخل جزر الارخبيل اكتشفها احد الفلاحين في بناء تحت الارض سنة ١٨٢٠ فاشترتها منه حكومة فرنسا بمبلغ ٦٠٠٠ فرنك ليس الا ثم بعد ان تفرجنا في احدى القاعات على صورة اسكندر الاكبر انتقلنا الى (متحف الصور المجسمة في القرون الوسطى) وهو يشتمل على قاعات كثيرة العدد غاية في الاتساع كلها مملوءة بالاشياء المجسمة المنحوتة في الحجر وفي غيره من التماثيل والصور الدينية وغير الدينية — ثم الى

(متحف الصور المجسمة في القرون المتأخرة) وهو تكملة المتحف السابق عليه ولا ينقص عنه في الاتساع والانتقان والاهمية وكثير من غرفه منسوب لاسماء رؤساء الحفارين المعروضة مصنوعاتهم ومصنوعات من نحاس نحوم فيها ثم - انتقلنا من هذا الى

(متحف النقش والتصوير) وهو أكبر المتاحف بهذه السراي اتساعاً واحسناً بهجة فان طول القاعات به نحو كيلومتر وعدد الرسومات والصور المنتخبة فيه تبلغ الالفين من سائر المذاهب في فن النقش والرسم والتصوير فلا يطاقون لم فيه رسومات من صنع الاساتذة من قدمائهم ومن صنع الذين اتوا بعدهم

اما الاساتذة القدماء فاشهرهم اساتذة فلورنسا ومن بينهم فرا أنجيليكو له رسم السيدة العذراء وفيثوليبي له رسم السيدة العذراء ومعها سيدنا عيسى المسيح عليها السلام تحيط بهما الملائكة وبيروجان له رسم السيدة العذراء ومعها سانت - القديسة - روزوسانت - القديسة - كاترين وله رسم مثل به محاربة الحب والغرام مع العفاف وأنديري موتشيا له رسم مثل به المواعظ والحكمة متغلبتين على الدنيا

هذا ولاشهر الاساتذة الايطاليين ليوناردي فنسي ورفاييل وتيسان آثاره مشهورة بمجسّد هذا المتحف عليها غيره من المتاحف جديدة باستلافات كمال النظر اليها

فاشهر آثار ليوناردي فنسي هو الرسم المعروف برسم - جوكوند - وقد اشتغل به اربع سنين ولم يتمه مع هذا ولكن من سوء الحظ تغيرت ألوانه وليس الحال كذلك

في صورة ثانية هي صورة امرأة حسنة مفرطة في الجمال فإن الوانها لم تتغير ولا تنزل على حالها من البهاء

أما رفايل وما أدراك ما رفايل فليس ثمة في أوروبا بأسرها متحف فيه من آثار هذا الاستاذ ما بهذا المتحف منها حيث جمع آثار هذا الشهير واعماله في النقش والتصوير من أول نشأته الى آخر أيامه صغيرها وكبيرها فله فيه كثير من صور السيدة العذراء على اختلاف أحوالها في الحياة وكثير من صور القديسين والشهيرين والوقائع التاريخية مما يذهش منظره الناظرين من شدة ما بالغ فيه من الاتقان ومن زيادة ما وصل فيه من الاحسان والضبط في تركيب الالوان وهيئاتها حتى كأن الصور اشخاص ناطقة حسب الحالة التي اراد ان يظهرها بها هذا الشهير الى العيان

واما تيسيان فانآثاره الباهرة وتصاويره الزاهرة من رسم اشخاص وحوادث وتمثيل أحوال وأهوال فقد بلغت في الكمال منتهاه وفي اتقان الصنع اقصاه وآثار الالمانيين بهذا المتحف معدودة من أحسن الآثار

ثم آثار روينس اشهر اساتذة المدرسة الفلاماندية بهذا المتحف لا تدخل تحت الحصر واعظمها احد وعشرون رسماً كبيرة تمثل احوال الملكة ماري دي ميديسيس وان جميع آثار هذا الشهير وما فيها من روح الحياة وزهو الالوان وبهجتها واتقان الشخصيات وحسن التمثيل والتصوير لمن مدحشات العقل ومخبرات الب

والهولنديون في القرن السابع عشر آثارهم بهذا المتحف مع عدم كثرتها تدل على علوم مقامهم وشدة اعتبارهم بين العارفين بدقائق الرسم والتصوير فهذه صورة

(المرأة في الحمام) من صنع الاستاذ رامبراند (والعسكري الذي يعطي احده
النساء قطع ذهب) من صنع الشهير يتربورج و (معلم المكتب) من صنع أوستاد
وغيرها من الصور للطاقة ألوانها وانتظام اشكالها وهيئاتها وظهور الحياة في اطوارها
وحالاتها تبهر من لا يعرف دقائق هذا الفن وتورثه الحيرة في صنعها وتصويرها
وكيفية ايجادها فما بالك بمن له خبرة به ومعرفة تامة بصناعتها واحواله

والاسپانيون لم كذلك بهذا المتحف من الآثار ما يقدره العارفون حق
قدره من الاعتبار

اما الفرنسيون فلم كثير من الآثار بهذا المتحف وان لم يحتو على جميع
نفائس صنعم وذلك لتفرقها بين هذا ومناحف غيره ولوجود كثير منها في الاماكن
المنتشرة بانحاء البلاد

واقدم الفرنسيين المصورين الموجودة آثارهم بهذا المتحف كلوي (المتوفى
١٥٧٢) فله فيه بعض صور اشخاص تميز بحسن التلوين والحكمة في وضع الظلال
كصورة الیصابات امرأة الملك كارلوس التاسع
ثم يليه في القدم جان كوزان واشهر رسوماته (تمثيل يوم العرض والحساب)
هذا فضلاً عما له من الرسومات المنقوشة على الزجاج

ثم يليه في القدم نقولا پوسان (١٥٩٤ - ١٦٦٥) وهو من أشهر
الرسامين الفرنسيين وان سكن رومه بعد الثلاثين من عمره وقد اعتنى بتصوير
البقاع والاماكن والمناظر أكثر من اعتنائه بوقائع التاريخ ولكن تصاويره أثرت عليها
مرور الازمان فاذهب بعض بهاها

ثم يليه كلود لوران وقد اشتهر برسم الاضواء وابقاعها على حالتها الطبيعية

من البهجة والازدهاء الى ما لا تصل اليه يد المقلدين (فالاحتفال في القرية)
(ومنظر الميناء حين غروب الشمس) هما من أعظم آثاره .

ثم يليه فيليب دوشانيني وهو وان كان بلجيقي الاصل الا أنه توطن بباريس
واشتغل للماري دي ميديسيس وریشليو ولويس الثالث عشر وما ينبغي الالتفات
اليه من آثاره رسم (موت عيسى عليه السلام) وصورة ریشليو

ثم يليه مشاهير زمن لويس الرابع عشر ومن أتى بعدهم الى آخر القرن
السابع عشر

ولكن يرى الخبير بفن الرسم والتصوير أنه أخذ تدرجياً في الانحطاط من
اواسط هذا القرن لولا امتياز بعض الاساتذة في عمل صور الأشخاص ولولا أن
نبغ فيه من أعادله سالف المجد واشتغل في رفعته بكل جهد فعاد الى أحسن مما
كان عليه بل زاد

وإننا نختم لك ذكر هذه الآثار بأثر برودون النفيس وقد مثل به العدالة
والانتقام يقتفيان أثر الجناية فيقتصان من الجاني على ما جنت يده من ذميم
الحصا

هذا ولا نريد ان نُثقل عليك بالاستمرار في ذكر المشاهدات فإن ذلك
شرحه يطول اذ لو اردنا ذلك لكان ينبغي ان نذكر تقلبات هذا الفن وخروج
بعض اساتذته عن المعتاد فيه الى طريق جديد بعد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩
وعود بعضهم الى الاعتدال والطريق القويم وتنويع البعض في الطريق الجديد
وان نذكر أحسن اساتذة تلك المدد وأنفس آثارهم كما نذكر من أتى بعدهم وأحسن
أعماله ومشهور تصاويره وآثاره .

ولاحفاء أن هذا يجر الى استيفاء تاريخ فن الرسم والتصوير من مبداه الى اليوم ويقضي بمعرفة هذا الفن فان متحف اللوفر لم يقتصر على آثار المتقدمين بل وجدت فيه قاعات للمتأخرين حتى أحدثت فيه قاعة للمعاصرين والمتحف الذي صار ايجاده بمجدبة لكسبوزغ تكفل باعمال الاساندة الموجودين على قيد الحياة وكذلك التعرض لجميع ما اشتملت عليه القاعات بالتفصيل والترتيب من الآثار المشهورة وغير المشهورة أمر لا يتيسر الخوض فيه إلا لاربابه العارفين بأساليبه واحواله المتمكنين من معرفة ظرائفه ولطائفه العارفين به حق معرفته فهو لا لو ارادوا الدخول في هذا الباب وكلفوا انفسهم بهذه المشاق والاعاب لربما توصلوا بعد الجهد الجهد والعناء الشديد الى تفهيم المطلوب على أحسن أسلوب

أما نحن أيها القارئ العزيز فلنا اشتغال بغير هذا الوصف الآن اذ علينا كلمة التفرج بهذا المتحف فننظر نظرة في (قاعة الحلي والمجوهرات) نتمتع بمشاهدة ما تحتوي عليه من الاشياء العتيقة المصنوعة من الذهب والفضة البالغة في النقش والرسم والتصوير حد النهاية في الاتقان

ثم ننظر نظرة في (متحف الرسم المسمي ديسان) لانه من أهم المتاحف في هذا النوع وهو يشتمل على ٣٧٠٠٠ رسم منها ١٨٢٠٠ لاساندة ايطاليين و ٨٧ لاسبانيوليين و ٨٠٠ للالمانيين و ٣١٥٠ للفلامانديين و ١٠٧٠ للهولانديين و ١١٨٠٠ للفرنساويين

ثم ننظر نظرة في (مجموعة ديولافوا) وهي عبارة عن قاعتين تشتمل اولاهما على الاتيكات المستحضرة من سوزيان من بلاد الهجم وثانيتهما على الاتيكات

المستحضرة من بلاد الكلدانيين

ثم ننظر نظرة في (متحف الانتيكات اليونانية) ونشاهد بعض تلك الآثار الدالة على ما كان للقوم في القديم من علو الهمة والمنزلة

ثم ننظر نظرة في (متحف البحرية) فنشاهد بعض ما يحتوي عليه من الاشياء المتعلقة بهارات السفن وفن الملاحة وانموذجات السفن وماكيناتها وأدواتها وما فيه من اشكال الميناء المعمولة بالرسومات المجسمة وما به من رسومات الاسلحة وغيرها من الاشياء التاريخية وهو يحتوي على ست عشرة قاعة ورواقين واغلب الاشياء المعروضة فيه تصحيتها كتابات غاية في الايضاح والبيان يُعرَفُ منها حالها ثم ننظر نظرة في (متحف علم خصوصيات الشعوب - انثوجرافي) وقد

استحضرت الاشياء المشتمل عليها بواسطة السياح الفرنسيين او بسبب الحروب من بلاد بعيدة كالهند والصين واليابان وغيرها ففيه من الاواني والادوات المصنوعة من الذهب والفضة والبرونز والفخار والخشب ومن تماثيل آلهة ومعبودات الهنود ومن رسومات واسلحة ومن صور مجسمة وأقمشة منسوجة والبسة وهيئات رجال الحرب في تلك البلاد واسلحتهم ما تلد رؤيته لمريد الاستطلاع على احوال تلك البلاد القاصية الغريبة كما أن بهذا المتحف سفينتين من مستعملات البلاد التوحشة جعلتا من قطع خشب محفورة على طبيعتها متفتحتي الصنع مع بداوتها

ثم ننظر نظرة في (متحف الصين) وهو يشتمل على ثلاث قاعات وعلى جزء من الرابعة المعروفة باسم (قاعة ده لابس) وتشتمل الاولى منها على تصاوير ورسومات واسلحة ومفروشات وآلات طرب وموسيقى وسفن صغيرة مصنوعة من سن الفيل غاية في الدقة واللطافة وتشتمل القاعة الثانية على أواني صينية حقيقية

محلة بألحج النقوش كما تشتمل على سائر أشكال المفروشات والكسب وتشتمل الثالثة على الاشياء المصنوعة من العاج مما يطول شرحه من حيث الدقة والاتقان وفي ضمنها كرة صغيرة من العاج تشتمل على ست كرات او سبع بداخلها منفصل كل منها عن الأخرى كل الانفصال ويوجد بهذه القاعة ايضاً كثير من الصور المجسمة مصنوعة من العاج ومن الخيزران وكثير من الاواني المزينة بالميناء ومن الصور المصنوعة من الاحجار النفيسة وكثير من الاواني البلورية والاقمشة والمداسات الصغيرة جداً لمناسبة حسن ارجل الصينيات في الصغر كما سبق وعدهن ذلك من صنوف الجبال وتشتمل الرابعة على تماثيل آلهة من معبودات الصين وعلى بعض ملابسهم وحاييم وفي وسطها رسم قنال السويس مجسماً بما على جانبيه من المدن المستعثة وكيفية الاعمال التي استعملت في اظهاره في عالم الوجود بالحالة التي هو عليها الآن

وقد كانت هذه النظرات مبتدئين فيها بقاعة الحلي والمجوهرات محتتمين بقاعة ده لسيس التي بها قنال السويس فكانت زيارتنا لجميع متاحف اللوفر مبتدأة بأثار المصريين كما سبق محتتمة ببعضها وهو كنال السويس

ثم خرجنا من هذه السراي الى البستان المقابل لها (بستان تويلري) وهو باق على الهيئة التي نظم عليها منذ انشئ في عهد لويس الرابع عشر ما خلا بعض تحسينات تجددت فيه وتوسطه طريق تخرقه من الشرق الى الغرب يرى الناظر منها ميدان الكونكورد ومسلة الاقصر التي بوسطه ويمتد النظر من هذا الميدان الى ان ينتهي بقوس نصر الكوكب

وهذه الطريق تُظهِر الظلال الوارفة وتحيط بها من جانبيها المرتفعات والمنزهات والاشجار المشابهة لأشجار الغابات وتتردد عليها العالم المختلفة الصنوف والاشكال خصوصاً المريات بمن معهن من الصبية والبنات ما يزيد بهاء الحركة والبهاء ويجلب لها والفرح والهناء بوجود هؤلاء الاطفال ولعبهم وائتناسهم بمن هو في سنهم وعلى شاكلتهم وقد ينتهز اصحاب المريات فرصة اشتغال الاطفال باللعب فيتحدثون ويتآسسون معهن مع عدم الخروج عن حد الأدب والكمال

وترى هذه الحديقة عند اعتدال الزمن وحرارة الجو ملأى بأشجار البرنقان تنقل اليها بصناديقها من محلها المجمعول لحفظها الموصل الى بقائها بهذه البلاد الباردة فتفرق في اطراف هذه الحديقة وذلك ما يزيد في بهجتها ونضرتها واذا علم المتفرج أن احدى واربعين من هذه الاشجار باقية من زمن الملك فرنسوا الاول البعيد العهد من هذا الأوان قضى العجب كل العجب من ذلك لاسيما أن هذه الديار ليست مما يُغرس فيها هذا الصنف من الاشجار وهذا فضلاً عما تزينت به هذه الحديقة من الصور المنحوتة في الحجر والرخام وما في جهتها الغربية من الفسقية الثمينة الاضلاع المدة للماء ومحيطها يبلغ ثلاثمائة متر يخرج من وسطها الماء مقدوفاً الى الجو حتى يكاد يصل الى عنان السماء

فاذا صادفت يوم تصدح الموسيقى العسكرية بهذا البستان ورأيت حولها الجموع المجتمعة والامم المستمعة واضفت الى ذلك جودة الوقت وصفو الهواء وكنت ذا خبرة بعرفة الموسيقى طروباً بنغماتها وألحانها فانك لاتنسى ذلك مدى الايام

ثم خرجنا من هذا البستان وقد آن وقت الطعام وساعد على طلبه والتاكيد

فيه كثرة السير في هذا النهار فدعني اركب عربة كوك مع رفاقي حيث تنتظرنا من وقت دخولنا من الباب وانركني أتعاطى طعام الغداء واشمع مني في الاثناء حديث بعض محلات تفرجت عليها اليوم بين خروجي من محل كوك ووصولي المتحف فقد كان أنساني ذكرها شغفي بتوقيفك على محاسن هذا المكان الوحيد في بابو العديم المثال

وذلك أننا لما خرجنا من محل كوك مررنا بميدان واندوم وبشارع كاستيليون جهة الفندق الذي نحن نازلون به فوصلنا سراي اللوفر كما سبق ولكن لم ندخلها في الحال بل اخذنا نسير من طريق نويلري الفاصل بين حديقته والحديقة التي عرفت انها استحدثت مكان السراي المحرقة فوصلنا نهر السين وسرنا على اليسار حتى وصلنا الى سراي المحاكم فتفرجنا عليها وعلى كنيستها واثنين من هناك عائدين صوب سراي اللوفر من جهتها المقابلة لجهة ابتدائنا فدخلناها وتفرجنا على المتحف الذي ذكرنا لك منه بعض ما مكنتنا من ذكره المقام

(سراي المحاكم) هي السراي المخصصة باقامة محكمة السين الابتدائية لمحققاتها ومحكمة استئناف باريس ومحكمة النقض والابرار والتميز

وقد كانت هذه السراي في الاصل مقراً للملك فرنسا الى ان تنازل عنها اقدم شارل السابع سنة ١٤٣١ لجعلها مقراً للمحكمة العليا في فرنسا إلا أنها تسط عليها حريق في سنة ١٦١٨ وسنة ١٧٧٦ اتى على آخرها بحيث لم يبق منها الا الابراج والكنيسة ومطابخ سان لويس

والساعة الدقاقة القائمة والحالة هذه بإحدى زوايا هذه السراي هي اقدم الساعات العمومية التي أوجدت بفرنسا لأنها أوجدت سنة ١٣٧٠ وتجددت

سنة ١٦٨٥ و سنة ١٨٥٢

ومدخل هذه السراي واقع على الطريق المسمى بولوار دُوَّيَالِيَه نسبةً الى اسمها
يحجزه عنها سور قليل الارتفاع يعلوه مُصْبَعٌ من حديد
فاذا دخلها الانسان وجد ثجابه سماءً عظيم الصنع يُصعد منه الى متسع على
يمين الداخل فيه ايوان السراي وهو عبارة عن قاعة متسعة جداً من اكبر القاعات
التي من هذا القبيل طولها ٧٨ متراً وعرضها ٢٨ متراً وارتفاعها عشرة امتار مقنطرة
السقف نقسها الى شطرين عمد يعلوها قناطر وتحيط بهذا الايوان قاعات الجلسات
وهو محل انتظار العموم وترددهم فلا يخفون من حركة الناس ما دامت الاعمال
بالسراي

وبالجهة اليمنى من هذا الايوان تمثالٌ مألوفٌ لرب الهامي الشهير الذي دافع
عن لويس السادس عشر أمام المحكمة الثوروية وقُتل بعد ذلك سنة ١٧٩٤
وبمقابلته من الجهة الثانية تمثال بيرالي الهامي الخطير
وبجوار هذا الايوان متسع آخر تحيط به قاعات جلسات محكمة النقض
والايبرام والتميز

اما الكنيسة فهي معبد السراي القديم وقد بُنيت من سنة ١٢٤٥ الى سنة
١٢٤٨ مدة سان لويس أعدّها ليذفن بها أعظم من توفوا في حرب الصليب ولم
تُصب بضرر مدة اختلال السبعين وإن احرق رجال الكومون ما بجوارها
وهي وان كانت صغيرة الحجم إلا إنها من الطف واثق كنائس باريس
وطولها كارتفاعها ٣٥ متراً وعرضها ١١ متراً فقط

وارتفاع قبتها بمنااسبة باقي اضلاعها وبجدرانها خمسة عشر شباكاً ارتفاع الواحد

منها خمسة عشر متراً وعرضه أربعة أمتار

وهذه النوافذ مغطاة بالزجاج الملون المرسوم بالرسومات الفاخرة والالوان الزاهية الزاهرة صنع لها بمدة سان لويس وأصلح على ما كان عليه في الايام الحاضرة وقد صور فيه كثير من الوقائع المذكورة في الكتب المقدسة وجدران الكنيسة مكسوة بالرسومات الكثيرة الالوان المناسبة مع صور الزجاج والعمد منحوت فيها صور الحواريين والقديسين وذلك كله جمل هذه الكنيسة تحفة من تحف البناء وجوهرة من جواهر حسن السبك والاعتناء

هذا وقد انتهينا بذكر هذين الأثرين من تعاطي الطعام فركبنا العربات وشرنا قاصدين باقي الاماكن المخصصة بهذا النهار فقصدنا مدرسة الفنون المستظرفة (بوزار) المنشأة سنة ١٦٤٨ بقصد تعليم الحفر والتصوير (سككتور) والرسم (پتور) وفن العمارات (أرشتيكتور) وصناعة النقش والنقارة (جرافور) وترسل الحكومة التلامذة الذين يتحصلون في هذه المدرسة على اول مكافأة الى رومة وتصرف عليهم من لدنها مدة اربع سنين وفي اثائها تعرض هذه المدرسة التلامذة المرسلون ما عملوه هناك

وما احتوت عليه هذه المدرسة من جليل الآثار المتعلقة بالفنون المخصصة بتعليمها وما اشتملت عليه من التسهيلات والاستعدادات لتحصيلها وما صرفته الحكومة على ما تتعلم منه التلامذة وتستفيد وما انفقته في بناء المدرسة وتشيدتها على حالة جملتها انودجاً للتعلم فيها والنقل عنها يغنيني كل ذلك عن مؤنة التفصيل والاطراء بالاطناب في وصفها وبكفي ان فيها من الاساتذة خمسين معلماً ومن التلامذة أكثر ١١٠٠ تلميذ من جميع الامم ثلاثة ارباعهم داخلية يبيتون

في المدرسة مائتين الى التحصيل ليس الا شاغلين جميع اوقاتهم به
ثم سرنا بعد مفارقة هذه المدرسة حتى وصلنا الى سكة باك وسكة سيفر
حيث محل

(بُون مَارْشِيه) وهو احد المحلات المتسعة التي تباع كثيراً من الاشياء فلا
يكاد يوجد صنف الا وهو فيها حتى حكى أن احد السياح الاغنياء اراد تعجيز
مدير احد مماثلات هذه المحلات بلوندره فاقترح عليه شيئاً يظن أن محله خال
منه وذكر له قبل بيانه انه يخاف ان تضع بسبب عدم وجوده شهرة المحل
لعجزه عن القيام به فالح عليه المدير بالبيان فأخبره انه يريد من هذا المحل شابة
عذراء يتزوج بها تكون في غاية الحسن والجمال جامعة لمحاسن الخلال
فأخذه المدير بيده في الحال وصعد به الى قاعة فسيمة واذا فيها نحو مائة شابة
عذارى مشتغلات بإعداد ما يتعلق بالسيدات من الملابس فانبهر ذلك المقترح
وأخذ يطوف حول هؤلاء العذارى متحيراً في من يختاره لان كلاً منهن مفرط في
الجمال غاية في رشاقة القد والاعتدال نهاية في الحسن والكمال الى ان انحط
رأيه ووقع اختياره على واحدة اجذبت فؤاده دونن فأشار اليها وطلب من
المدير ان يتم أمر اقترانه بها فشاورها في ذلك ولما علمت منه حال هذا الطالب
في الثروة ومكانه في الغنى واعجبها لطف شمائله قبلت ورجب الطالب ان يكون
زواجه في نفس المحل فاستحضر مديره لوقتة قسيساً وتزينت الفتاة وكثير من
صواحباتها بالزي الأبيض المعتاد في احتفالات الزواج وصار العقد له عليها بين
أنفس مبتهجة وصدور منشرفة واشترى من هذا المحل جميع ما يلزم مما يليق بها
من مصوغات وجواهر وملابس واثاث وانصرف معها شاكراً معترفاً بان لاشيء

تخلو عنه هذه المحلات

ومحل بُون مَارْشِيَه هذا من أشهر المحلات التي من هذا القبيل بپاریس وبعادله
آخر اسمه (مَجَزَّان دُولُوفِر) أمام سراي اللوفر وبعدها (پَرَانْتَان) و(بِيل جَارْدِينِيِر)
و(بَنِي سَان تومَا) و(جَانِي بَنِي) و(لَا فِيل سَان دِنِي)

واصل محل بُون مَارْشِيَه دكان صغيرة انشأها بهذا الاسم (ومعناه هلهوا الى
الثن الرخيص) الميوسوبسيكو بالاشتراك مع آخر في هذا الموضع سنة ١٨٥٢
واعداها لبيع المنسوجات والملبوسات والاقمشة وكانت مساحتها عشرين متراً مربعاً
وما لبث ان تكاثرت أعماله وانتشر صيته نظراً لآمانه بوسيكو وانتقائه أحسن
الاصناف واجودها وبيعها مع ربح قليل وتخير الشاري في اعادتها واسترداد ما نقده
فيها او أخذ غيرها بدلاً منها في اي وقت اراد حتى استلزم الحال توسيع المحل
اولاً وثانياً وثالثاً بمناسبة امتداد اعماله واتساعها وقد اشترى نصيب شريكه فيه
سنة ١٨٦٣ فصار مالكا لاجمعه ولما استمر متجراً في الاتساع اخذ في تشييد محل
متسع وافٍ بجميع احتياجاته فوضع اول حجر في أساسه في ٩ سبتمبر سنة ١٨٦٩
وصار اتمام البناء وفتحه للعموم في ٢ ابريل سنة ١٨٧٢

وبعد ان كان البناء الاصلي قائماً على ارض مسطحها عشرون متراً كما تقدم صار
الآن قائماً على عشرة آلاف متر مربع وبعد ان كانت عملياته التجارية في سنة ١٨٥٢
٤٥٠٠٠ فرنك وصلت في سنة ١٨٨٨ الى ١٢٣ مليوناً من الفرنكات

وينبغي ملاحظة ان العشرة الآلاف متر مربع التي قلنا انها مسطح هذا
المحل هي ما يشغله البناء المعد للبيع والشراء ليس الارتفاع خمسة وعشرون متراً
منقسم الى عدة طبقات سوى طبقتين تحت الارض وكل طبقة تشتمل على

قاعات كثيرة

ولا يدخل في هذا المسطح المحلات المعدة للخيول التي تخصصت بنقل الاشياء من هذا المحل الى محلات المشترين في عربات مخصوصة ولا تدخل فيه المصانع والمعامل التي تعمل فيها الاشياء من أبسطة والبسة وغيرها ولا المخازن التي تخزن فيها البضائع ولا مساكن المستخدمين الذين تكفل المحل بسكنائهم وان كان غالب ما ذكر بجوار هذا المحل

والمشتغلون بامور هذا المحل وتوابه يعلم عددهم من عرف ان المتكفل هذا المحل باكلهم من المستخدمين ٣٥٠٠ شخص

ولا يخفى ما يستلزمه هذا العمل المهم وهو لاء المستخدمين الكثيرون من الملاحظة والترتيب ولم يجد المسيو بوسيكو مؤسس هذا المحل ضمانه لنجاح محله اكبر من جعل نصيب للمستخدمين المكلفين بالبيع في ارباح ما يبيعونه فكان ذلك من دواعي عمار هذا المحل وتقديمه السريع

ثم انه تفكر في طريقة نفع للمستخدمين الذين لا يباشرون البيع فجعل لهم صندوق احتياط صار يدفع اليه سنوياً جزءاً من الارباح التي تخصه حتى توصل بذلك الى ان جعل للواحد منهم نصيباً في رأس مال المتجر بعد خدمة عشر سنين كما أنه كان يعطي من هذا الصندوق مهور الفتيات اللاتي يخرجن من المحل الى الزواج

كذلك أوجدت امرأة هذا الرجل الخير بعده صندوق تقاعد جعلت فيه من مالها الخاص خمسة ملايين من الفرنكات حتى صار المستخدم في هذا المحل مني بلغ خمسين سنة من عمره ان كان من الذكور وخمساً واربعين سنة ان كان

من الاناث يترتب له (بدون سبق خصم شيء مطلقاً من مرتبه طول خدمته)
مماش نقاعد من ستمائة فرنك الى ١٥٠٠ فرنك في السنة

وسارت هذه المرأة الفاضلة على ما سار عليه زوجها من اتباع الطريقة التي
تأسست لتقدم المستخدمين ولترقيهم بحيث يكون الواحد منهم آمناً على مستقبله
أكثر من امنه عليه في كثير من الحكومات

ونج من هذه الاجراءات ان هؤلاء المستخدمين الكثيري العدد صاروا
باتحاد الصالح رجلاً واحداً أو قلباً فرداً في نجاح المحل وعماره وزيادة ثروته واتساعه
ولم تقتصر هذه الخيرة على هذا الاحسان بل اعطت ثلثائة من أكبر
مستخدمي المحل حقاً في رأس ماله ولم تكف بذلك بل اوصت بعد مماتها الذي
وقع في سنة ١٨٨٢ بجميع ملك المحل لهؤلاء المستخدمين الثلثائة وقد قدرت
قيمة هذه الهبة بستين مليوناً من الفرنكات بحيث لم يبق من المحل وملكه بعد
هذه العطية إلا ما اوصت به لفقراء باريس ولبعض الشركات الخيرية

فانظر الى هذا الرجل وقد كان في اول امره فقيراً يبيع بضائع غيره
بالاجرة في الموالد والاسواق كيف وصل بالأمانة والصدقة وحسن التدبير الى
هذا الغنى والثروة الواسعة وكيف استعمل هذه الثروة وهذا المال في فعل
الخير ما استطاع حتى انه وقت حصار باريس زيادة عن دخوله في جمعية
مساعدة الجرحي بمبالغ هائلة اشترك مع تاجرين آخرين وصرفوا من عندهم مؤنة
لا هالي باريس اجمعهم وهم محاصرون مدة اسبوع (من ١٧ الى ٢٣ فبراير سنة
١٨٧١) ودخل بعد هذا في الاكتتاب الذي حصل لاخلاء الديار الفرنسية
من العدو الى غير ذلك من الاعمال الخيرية

وانظر الى امرأته التي حذت حذوه في استعمال هذا المال في فعل الخير بانها فضلاً عما فعلت في صالح مستخدمي محلها كما سبق بيانه لم تتأخر عن المساعدات في المشروعات الخيرية بعد المات كما مرّ وقبله بالتبرعات العديدة التي بذلتها في وجوه الخير اختصر منها على اكتابها ١٥٠ ألف فرنك للاشتراك في تأسيس مستشفى باستور الذي شيد لمداداة مرض الكلب واترك الباقي فانه يطول شرحه

وان هذا الرجل وزوجته خير من الوف سواهم من ييخلون بما آتاهم الله من فضله ويأمرون الناس بالبخل ويقتصرون على نماء اموالهم ليس الا وان حقاً على اهل باريس بالنسبة لهذا الرجل وامراته وامثالهما ان يكتبوا فيها الكتب العديدة والرسائل المفيدة وينشروا ذكرها ليعملوا الناس على ان يعملوا مثل عملها فلمل الله يهدي بعض الناس الى سلوك ما سلكاه في سبيل الخير العام لنفع بلادها (والله يهدي من يشاء الى صراطٍ مستقيم)

واني أرى أن الخطباء والشعراء والكتاب لو استعملوا طريق الاسهاب والاطناب في تشييد ذكر مثل هذا الرجل وامراته لأدوا بعض ما ينبغي من صرفهم بعض ما وهب من نتائج الافكار في ترغيب الناس وحثهم على فعل الخير حيث بتأثر السامع والقارئ من كلامهم وتسيقظ الاغنياء وتنصرف افكارهم الى فعل الخير بعائلتهم او بلدهم أو اقليمهم او مملكتهم او عامة الناس كل على قدر طاقته وما اعطاه الله (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ حِمَا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عسرٍ يسراً)

اما ما يمجده الانسان في هذا الحل من الانتظام والالتقان فلا يحتاج الي بيان وقد تقدم لك ان من اصوله المقررة البيع بمكسب قليل مع جودة الاصناف

والخيار للمشتري في الرجوع عن البيع متى أراد اما اثانهُ فمحدودة يدفعها المشتري وقت الشراء ويستلم الشيء او يتركهُ فيرسل اليه بمجمله وهناك يدفع الثمن هذا واذا اراد الانسان شراء شيء دخل من اي باب شاء وسأل من يقف به عما يريدهُ فيدله عليه فيذهب اليه ويصعد او ينزل بالسلم او بالمرقي فاذا أتمَّ الشراء توجه معه المستخدم الى محل دفع الثمن وفي المحل حاسبون اضعاف عدد الابواب فيدفع الثمن ويستلم ما اشترى او لا بدفعهُ ويعرّف محله لتوصيله اليه فيه وينصرف

ولا يجبر الداخل بهذا المحل على الشراء ولا يخاطبه احد في ذلك بل يدخلهُ كثير بقصد التفرج او التسلية فيجدون في احدى الطبقات محلاً معداً للمطالعة فيه كل ما يتسلى به من كتب وجرائد مشهورة من سائر انحاء العالم وأدوات الكتابة مفروشا بأحسن الفرش مخدوماً بأحسن الخدم فيقرأون ما يشاؤون ويكتبون ما يريدون من مكاتيب وغيرها في ورق من ورق المحل مجاناً ويجدون على باب القاعة صندوق بوسنة فان تطلبت نفس الزائر شيئاً من الشراب للترطيب خصوصاً في وقت الحر توجه لجانب قاعة المطالعة فيجد قاعة متسعة في صدرها طاولة كالتي في أحسن القهاوي واقفاً عندها كثير من الخدم بأيديهم قناني اصناف الشراب وامامهم الكوبات النظيفة فيطلب مثلاً من شراب الرمان يطيه الخادم ويضيف عليه له الماء فيتعاطاه

وبرى الانسان محل هذا الشراب في ازدحام دائم فيضطر في الوصول لحاملي الشراب الى ان ينتظر انصراف من دخل قبله من باب غير الباب الذي دخل منه وربما بلغوا عشر صفوف وما ذلك الا لان ما يشرب لا يدفع له ثمن بل

يحتسب من مصاريف المحل العمومية ابتغاء مرضاة الزائرين "والمهل العذب كثير الزحام"

فمؤسس هذا المحل وزوجته يبنني ان تكتب مآثرها على مآقي العيون
ويقال (لمثل هذا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)
ثم انتقلنا من هذا المحل مارين أمام كنيسة سَانْ سُولِيسْ ثم في بلواز
سَانْ مِيشِيلْ حتى وصلنا الى

(الرصدخانة) الشهيرة وقد تأسست سنة ١٦٧٢ وصار توسيعها مرات
واحدة بعد الاخرى ويمر من وسطها خط نصف نهار باريس كما ان الوجهة
الجنوبية منها تتعد مع خط عرض باريس وقتها المعدة للارصاد كبيرة بنيت
سنة ١٨٥٠ وقطرها ١٣ متراً وجميعها من النحاس تدرر على محورها ليتمكن
الراصد من توجيه النظارة المعظمة الموجودة تحنها اينما شاء وقطر هذه النظارة
٣٨ سنتيمتر وطولها ٩ أمتار

وبها غير ذلك من آلات الرصد وأدواته ولوازمه ومعداته ما جعلها من
أحسن الرصدخانات وبها فضلاً عن هذا متحف فلكي يقصده المشتغلون بعلم النجوم
من سائر الجهات

وتفرجنا حال توجهنا الى الرصدخانة على (فسقية الرصدخانة) بالقرب
منها وقد بنيت سنة ١٨٧٨ وهي مزينة بأربع صور مجسمة من البرونز تمثل أربعة
اقسام الدنيا حاملة لكرة فلكية محمولة جميعها على قاعدة تحيط بها صور ثمانية خيول
من خيول البحر وصور كثير من وحوشه فتنفذ من الصور مياه لتكوّن منها حال
نزولها أشكال غاية في الجمال — ثم قصدنا بعد ذلك

(معمل جوبلان) وهو تابع للحكومة تُصنع فيه البُسْطُ المعروفة بهذا الاسم بحيث اذا قيل جوبلان فقط فهم من ذلك البساط العديم المثال المعمول بهذا المكان وقد أسس هذا المثل في سنة ١٤٥٠ رجل يسمى جوبلان وقد ذاع صيته حتى اشترته الحكومة سنة ١٦٦٢ ولا يزال ملكها ويدار بواسطتها الى الآن

فدخلناه وتفرجنا على أنوال النسيج فيه والمشتغلين بها فيشتغل الواحد منهم بالعمل ناقلاً الى البساط رسم صورة او هيئة مرسومة من قبل موضوعة امامه وكان قد خطَّ بالقلم الرصاص حدود هذه الصورة على اللوحة المنصوبة قدامه وهو جالس خلف وجه البساط الذي يعمل فيه أي انه غير مواجه للجهة التي بها النقش

واكثر صعوبة هذا العمل انما هو من جهة انتقاء الالوان المختلفة التي أمام الصانع فان الصوف مصنوع بالوان مختلفة لتتركب منها الوان الصور التي تكون على البساط كل لون منها يشتمل على اربعة وعشرين صنفاً من هذا اللون متميزة عن بعضها فلا بد للصانع من مهارة عظيمة وتدريب عجيب في انتقاء هذه الالوان وتمييزها عن بعضها واخذ اللازم منها أولاً فاولاً ولا بد له من صبر وتجلد عظيمين ولذلك لا يتأتى لأمر صانع ان يصنع أكثر من ثلاثين الى خمسة وثلاثين ستمتر مربع في النهار من هذه البسط بحيث يستغرق عمل البساط الكبير خمس سنين او عشر سنين فلا يستغرب حينئذ ان ثمة من خمسين الف فرنك الى ١٥٠٠٠٠ فرنك بحسب تفاوته في الكبر والصغر

والرسومات التي تنقش على هذه البسط بهذه الالوان عبارة عن هياث وقائع او صور اشخاص على حسب ما يقتضيه الحال وفي الغالب ينقل اليها احسن صور الرسامين فتجئ هذه الصور مطابقة للاصل كل المطابقة مشابهة له كل المشابهة

وهذه البسط توضع على الجدران وضع التصاوير والرسومات للزينة والرونق ولكن من يرى القديم منها في قصور حكام فرنسا القديمة يجد الوانها ليست على ما يجب من الرنق والازدهاء فيظن ان اللون فيها لا يكون الا بهذا المقدار وما يدري ان ذلك ناشى من القدم ومرور الازمان فان الجديد فيها الجاري عمله بهذا الملح الوان الرسم فيه فوق ما يتصوره الانسان

هذا وجميع هذه البسط مصنوعة من الصوف فان ألوانه اثبت الألوان في الصبغ وانما يستعمل الحرير فيها الرسم الازهار والفواكه اورسم المعادن وما يزيد في قدر بسط جوبلان كونها ليست في التجارة فلا تباع وانما يخصص ما يعمل منها بتزيين مساكن رؤساء الحكومة والدواوين العمومية ويهدى منه الى ملوك الدول المتعابة وامرائها والعظماء والملح متحف جمع مارق وراق من نفيس الاشكال من حيث اتقان الصنع وحسن الرسم والتصوير في البسط من قديم العهد الى هذا الزمان

ثم بعد التفرج على عمل البسط بالكيفية المتقدمة والتفرج على هذا المتحف اتينا راجعين الى

(پانتيون) وهو بناء قائم على أعلى محل في الشاطئ الغربي من السين (بدى فيه سنة ١٧٦٤ وانتهى سنة ١٧٩٠) وبنائه اولاً كان كنيسة برسم القديسة سانت جنيف ثم تسمى پانتيون سنة ١٧٩١ وخصص بدفن اعظم الرجال ثم أعيد كنيسة وجعل اخيراً مقبرة للعظماء في سنة ١٨٨٥ بمناسبة دفن وكثوز هوجو الشاعر الشهير فيه

وهو عظيم الاتساع طوله ١١٢ متراً وعرضه ٨ متراً ويعلو وسطه قبة ارتفاعها

٨٣ متراً وقطرها ٢٣ متراً وهذه القبة نفسها مرتكزة على مستدير ذي عمد وباعلاها برج فوقه قبة صغيرة ينتهي بها ارتفاع هذا البناء

والوجهة يتقدمها مشى متسعة يحفها اثنان وعشرون عموداً ارتفاع كل منها ٢٥ متراً معمولة على شكل وجهه بانتيون رومه بالتام

ويعلو هذه العمدة مثلث عرضه ٣٦ متراً وارتفاعه سبعة امتار مرسوم عليه صور نائثة في الحبر اكبر ما فيها ارتفاعه خمسة امتار يمثل فرسان توزع تيجان الفخار على اولادها العظماء

ويدخل هذا البناء من ثلاثة ابواب متسعة في مشى الوجهة فيجد الداخل صحن المكان تحيط به عمد كبيرة فوقها محلات للزائرين وفوقه القبة المذكورة الكبيرة الارتفاع مكونة من ثلاث طبقات يعلو بعضها بعضاً يمكن الصعود الى أعلاها بواسطة ٤٢٥ درجة يرى الصاعد في اثائها النقوش التي بهذه الطبقات ويفهم حسن انتظامها وجسامتها خصوصاً التي بالطبقة الثانية منها البالغ مسطح رسوماتها وحدها ٣٢٠ متراً مربعاً

ويوجد بهذا البناء قبور بعض اكابر القوم تعظيماً لهم واحتفالاً بهم مثل قبر وكثوز هوجو الشاعر السالف بيانه وقبرين لروسو وفولتير الفيلسوفين الشهيرين وان كانا ليسا مدفونين فيه بالنقل وغيرهم من الاكابر اذ لا يدفن بهذا المحل الا من يقر مجلس النواب على دفنه فيه

ومن هذا البناء نزلنا بسكة (صوفلو) المنسوبة الى اسم المهندس الذي شيد هذا المكان فوصلنا الى

(حديقة لكسمبورغ) وهي من احسن بساين باريس ومنزهاتها في

وسطها حوض متسع للغاية على شكل مشمن الاضلاع تحيط به الصور المجسمة كما يوجد منها كثير في اطرافها خصوصاً صور مشاهير النساء ويجتمع اليها في اوقات الفراغ من الاعمال خلق كثير لاسيما حين توجد فيها الموسيقى العسكرية يوم الاحد والثلاثاء والجمعة من كل اسبوع - هذا وبهذه الحديقة

(سراي لكسمبورغ) وهي ايضاً سراي من احسن السرايات وأثنتها وانظمتها بنيت من سنة ١٦١٥ الى سنة ١٦٢٠ وادخل عليها كثير من التغييرات في أزمان مختلفة وسكنها كثير من الامراء والاميرات من العائلات الملكية ثم جعلت حبساً في مدة خالئلال ثم اتخذها كثير من الحكومات مركزاً لها بعد ذلك الى ان صارت مقراً للسناتو من سنة ١٨٧٨ وهي لا تزال كذلك الى الآن وبداخلها من بديع الرسم والنقوش والتذهيب والتصوير ما صنعه احسن النقاشين واشهر المصورين كما ان عمارتها في حد ذاتها من اجل العمارات وابهاها هذا ومنها انتقلنا الى (متحف لكسمبورغ) وهو كما سبق الالماع اليه في غير هذا المحل مخصص بعرض رسومات الرسامين الموجودين في عالم الوجود ومن شروطه ان تنقل الرسومات منه الى متحف اللوفر او الى المتاحف الموجودة في داخلية فرنسا بعد موت صانعها بعشرين - ومنه انتقلنا الى السين فجزناه ووصلنا الى

(كنيسة نوتردام الكاتدرائية) وهي اول كنائس باريس اعتباراً تأسست سنة ١١٦٣ موضع كنيسة أصلية انشئت في القرن الرابع وهذه وان حصلت فيها عدة ترميمات وتصلحات وتغييرات الا انها حفوظ على هيئتها الاصلية حسب الامكان واعتني بذلك خصوصاً في الترميم الذي حصل فيها اخيراً سنة ١٨٤٥ وقد صدر الامر بهدمها مدة الثورة الا انه أنفي قبل أن ينفذ واتخذها

الثوريون هيكلاً لتعظيم الرشد والصواب واستعاضوا عن تمثال السيدة العذراء فيها بتمثال الحرية واستبدلت الصلوات التبعية بالاناشيد الوطنية وأسرج بحرابها سراج الحقيقة يعلوه تمثال الفلسفة وبجانبه صورنا قُواتير ورُوشو الفيلسوفين ولكنها ما لبثت أن أغلقت ولم تفتح إلا بعد اخداد الثورة

وأحسن ما في هذه الكنيسة وجهتها فانها غاية في اللطف وحسن البناء منتشر عايتها الصور المجسمة الحسناء وهي مركبة من ثلاث طبقات يعلوها برجان تنكشف لمن يصعد عليها باريس أجمع وارتفاع كل ٦٨ متراً عن سطح الارض ويصعد اليها بدرجات عددها ٣٧٨ وفي الجنوبي منها ناقوس من اكبر نواقيس العالم زنته ١٢٥٠٠ كيلو جرام وناقوس آخر استحض من سباستاپول

وداخلها في غاية الزينة والرونق والاتساع محلياً بأجمل الرسومات والصور منقوش بأحلى النقوش والزجاج المغطاة به نوافذها ايضاً منقوش بألج النقوش

اما طولها فيبلغ ١٢٧ متراً وعرضها ٤٨ متراً وارتفاعها ٣٤ متراً ثم منها قصدنا (أوتيل ديبو) مستشفى قديم صار تجديده من سنة ١٨٦٨ الى سنة

١٨٧٨ وهو اقدم مستشفيات باريس بل اورب الان اول انشائه كان سنة ٦٦٠ في عهد كلويس الثاني وهو بالمهيئة التي تجدد بها غاية في المتانة والحسن والاستعداد به ٥٥٩ سريراً ولا عيب فيه سوى أن الاماكن التي لزمت لتوسيعه اشترت بمبلغ ٢٢ مليوناً من الفرنكات وان مصاريف بنائه بلغت ٢٣ مليوناً من الفرنكات

وهو تابع في المصروف لادارة مساعدة الفقراء بباريس ويتبعها غيره خمسة عشر مستشفى كبار يسع جميعها ٨٧٥٣ سريراً للمرضى غير الأسرة التي يمكن استجدادها عند الضرورة

ويخرج منها بعد المعالجة كل سنة ٤٥ ألف رجل الى ٥٠ ألفاً و ٣٦ ألف امرأة الى اربعين ألفاً و ١٦ ألف طفل الى ١٨ ألفاً ومتوسط عدد الوفيات فيها في السنة ٧ آلاف رجل و ٥ آلاف امرأة وثلاثة آلاف طفل ثم انتقلنا بعد ذلك الى (لامورج) وهو بناء واقع على شاطئ نهر السين الداخل اليه يجد في الحائط المقابلة لمحل الدخول منافذ مغطاة بالزجاج مطلة على باقي المل وبداخلها أسرة من خشب عليها الاموات الذين يوجدون غرقى في النهر او مقتولين باسباب جنائية او غير جنائية في الطرق العامة ولا تعرف اسماءهم فيعرضون بهذا المل مدة من الزمن الى ثلاثة أشهر لتعرفهم اقاربهم او معارفهم فيأخذوهم لدفعهم بعد اثبات حالتهم وكيفية حفظ هذه الاجساد وبقائها بجالتها الاصلية بدون حصول تعفن فيها ولا تغير في الوانها مدة ثلاثة شهور هي ان توضع في آلة مبردة فتجمد لدرجة ١٤ أو ١٥ تحت الصفر ثم توضع في القاعة المعروضة فيها وحرارتها لا تزيد دائماً في كل الاوقات عن اربع درجات تحت الصفر ويعرض في هذا المكان في السنة الواحدة نحو ٨٠٠ جثة سبعة تقريباً من النساء

ثم اجتزنا نهر السين فمررنا على (أوتيل دة فيل) وميدان (شانتليه) وسكة الاوبرا حيث ابتدأنا وكان الوقت وقت الغروب

فعدنا الى الفندق ومنه قصدنا محل وطنينا حضرة احمد شفيق بك احد موظفي السكرتارية الخديوية وقتئذ وكان بياريس يدرس علم الحقوق وقد دعانا الى منزله لتناول الطعام عنده فاجبناه ونعم ما فعلنا فقد وجدنا من انسانية هذا الصاحب وما أعدّه من المآكل الوطنية وكانت غابت عنا منذ بدء سفرنا ما

أوجب سرورنا وانشراح صدورنا وبقينا هناك بعد الأكل وهنا من الليل نتجاذب فيه أطراف الحديث حتى آن وقت الانصراف



❖ اليوم الثاني عشر في باريس ❖

رابع يوم في المعرض

خصصنا هذا اليوم بزيارة قسم المعرض المخصوص بالفنون المستظرفة (بوزار) وقد اقيم هذا القسم في سراي فسيحة بنيت له من الآجر والحديد تعلوها قبة كبيرة يغلب على نقوشها اللون السماوي مع ما يتخللها من الزخارف والنقوش الذهبية وهذه السراي يقابلها سراي ماثلة لها في الهيئة والجسامة ومشابهة لما في الوضع والانتان خصصت بالفنون العقلية وتاريخ عمل الانسان وكأنها هي والمقابلة لها مع البناء الممتد من كلٍ منها الى سراي الصناعات المتنوعة جناحان لها وقد بلغت مصاريف تشييد هذين القصرين سبعة ملايين من الفرنكات وبين الجناحين المذكورين بستان فسيح نظير أبداع في اتقانه وتنظيمه وتحسينه واحكامه أعظم البستانيين الفرنساويين فجاء روضة غناء وحديقة فجماء نظمت فيه الطرقات والمزروعات والازهار كأنه أنشئ من مائة عام لما فيه من حسن النظام فضلاً عما يتخلله من فساق المياه وحياضها لاسيما الفسقية المضادة بالكهرباء التي ينصب فيها الماء مكتسباً بواسطة مروره على الواح من الزجاج لتسلط عليها أشعة النور الكهربائي من جميع جهاتها الواناً مختلفة متشكلة بأشكال بدعية وهيئات جميلة تروق الانظار وتبهر العقول وتثير الالباب وتقضي بالاستغراب وبهذا البستان بين الجناحين قصران صغيران خصصا بمدينة باريس

ومعروضات اعمالها الخصوصية وتجاه الداخل بالبستان مدخل سراي الصناعات المتنوعة وهو مدخل عظيم جداً تحت القبة المركزية الكبيرة التي سيأتي الكلام عليها واذا خصصنا هذا النهار بزيارة قسم معرض الفنون المستظرفة كما تقدم فلننصف بعض هيئته الداخلية فنذكر ما فيه من التصاوير والرسوم وبدائع النقوش وغرائب الاشكال على سبيل الاجمال فان القيام بحق تفصيل ما في هذا المحل من التحف ونقائس الصنائع لا يكون بمجرد الوصف من مثلي بالاستحسان بل يلزم له معرفة هذه الفنون المستظرفة والصنائع النفيسة معرفة تامة والوقوف على دقائقها ونفاصيلها من كل الوجوه حتى يتمكن من بيان الحسن ووجه الاستحسان وبيان ضده ان كان منه شيء في مثل هذا المكان ولست من أهل هذه الفنون مع أسفي على ذلك على ان قيام العارف بهذا الامر يستلزم المدد الطوال وكتابة أسفار

ولندخل هذه السراي من حيث اعتماد الناس الدخول وان تعددت فيها المداخل والأبواب ولنبدأ بمدخل رواق راب

وهو رواق متسع عرضه قدر عرض السراي المذكورة وطوله بنسبة هذا العرض قد خصص بهرض الصور المجسمة (سكولتوز) فجعل قسم عظيم منه للمصنوعات الفرنسية وباقيه للأجنبية مع انه على اتساعه وكبره ما كفي هذه المعروضات بل اضطر القائمون بأمرها أن يضعوا بعضها في جهات أخر من سرايات المعرض ودهاليزه وبعضها في البستان وما أعجب من قاموا بأمر هذه التماثيل من الحجر والبرونز والرخام فقد اتقنوها واكسبوها صيغة من الحياة لانها ان رُض بها الى وقائع تاريخية او حكمية او غرامية كانت كأنما تنطق ببيان ما أريد منها وان

أريد بها تصوير بعض مشاهير الأشخاص دلت على الشخص وهيئته وحافظت على
ملايسه وحالته حتى انها جعلته تجاه الناظر على الحالة التي يعرفه بها الناس من
وقفته التي كان يألفها وانحناء الرأس واعتدالها ووضع اليد او الاشارة بها الى غير
ذلك من المميزات

واذ نخرجنا بهذا الرواق اثنتين منه الى اليمين فدخلنا السراي مارين فيها من
الجنوب الى الشمال وصار هذا الرواق الذي تركناه بمثابة دهليز لها يدخل منه اليها
وفي هذه السراي الرسومات والنقوش بأنواعها (بانتور) والاشكال المتعلقة
بالعمارات (أرشيكتور)

ويقسمها ممشى كبير الى قسمين جعلت في كل منها غرف ذات اليمين
وذات اليسار مختلفات في الهيئة والاتساع وفي وسط هذا الممشى متسع تعلوه قبة
عالية تحتها سلم يصعد منه الى الطبقة العليا من السراي ومجالاتها مغطاة أغلبها
بالزجاج مجلوب لها الضوء بمقدار معلوم وبكيفية مخصوصة رغبة في تحسين
الرسومات وتبيين جمالها وحسنها وبيائها

وقد خصص قسم من هذه السراي بالمعروضات الفرنسية والثاني
بالمعروضات الأجنبية

اما المعروضات الفرنسية فتشغل الجزء الموصل من رواق راب الى المتسع
الوسطى وقد خصص هذا الجزء بمصنوعات العشر السنين الاخيرة من سنة ١٨٧٨
الى سنة ١٨٨٩ وخصص ما يكتنف المتسع الوسطى من القاعات بعرض منتخبات
اعمال الرسامين والمصورين الفرنسيين من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٧٨ فصار
هذا القسم الفرنسي بجزءه عبارة عن منتخبات الاعمال الفرنسية في فنون

الرسم والنقش والتصوير مدة مائة عام من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٨٩ ولذلك
سُي بالمرص الميمني ويحتوي على نحو ألفي قطعة من لوحات الرسم واذا علمت
ما تقدم ثم عرفت ان الذين انتخبوا هذه التحف واختاروها من بين الآثار
الموجودة بالتحاف وعند معتبري الاحاد لجانب مؤلفة من أشهر الاساتذة في هذه
الفنون وأصفت الى ذلك أن الهلات المخصصة بمعارضات العشر السنين الاخيرة
لم تقبل فيها هذه المعارضات الأبعد عرضها على لجنة مؤلفة من اعظم الأساتذة
وشهادتهم باستحسنائها وضمنت الى ما ذكر ان هذه الرسومات جميعها اشغل بوضعها
في محلاتها التي هي فيها وتنظيمها وتنسيقها وتصويب الضوء اليها كما رأيناها لجانب
من كبار العارفين وزدت على هذا كله انه روعي في وضعها جعل اعمال كل استاذ
من الاساتذة القداماء او الحدباء منضمة الى بعضها كأنما هذا المعرض عبارة عن
معارض كثيرة خصوصية بقدر عدد الاساتذة المعروضة اعلم ان ايقنت ان هذا
القسم من هذا القصر جدير بان يحار فيه من شاهد مرآه ويتعجب من بدائع
صنعه من رآه وان يعده من احاسن المحاسن ومحاسن الاحاسن ويجزم بأنه يقصر
عن وصفه الفضلاء ويعجز عن بيان كنهه النبلاء

والمعارضات الاجنبية التي تشغل باقي اقسام هذه السراي النفيسة قد
جلبت اليها من سائر الاقطار فهذه قاعات ايطاليا واسبانيا وانجلترا والمانيا والروسيا
واستريا هنكارييا وضعت في الطبقة الارضية وهذه قاعات بلجيكا وسويسره
واليونان والممالك المتحدة باميركا والدانرك والترويج والسويد وهولانده وسربيا
ورومانيا وضعت في الطبقة العليا وذلك كله غير قاعة خصصت بالام المختلفة التي
لم تكن مصنوعات تستلزم قاعة خصوصية

وقد قَدَّر بعضهم المسافة التي تشغلها الصور المعروضة بهذا القصر لو وضعت
بجوار بعضها متلاصقة على خط مستقيم بفرسخ وربع فرسخ لفرنسا من ذلك ٢٨١٠
امتار وللبلاد الأجنبية ٢١٢٣ متراً والباقي للمعروضات المصنوعة من سنة ١٧٨٩
الى سنة ١٨٧٨ وفي ذلك دلالة كافية على عظم ما انتجته القرينة البشرية من
غرائب البدائع وبدائع المتخجات في هذا الفن

وها أنا قد بينتُ في هذا الباب ما امكنني بيانه حسب طاقتي والأقني
الجنان ما لا يستطيع بيانه البراع واللسان وقد كنت اودُّ أن اوضح ما في نفسي
من حقائق هذه المصنوعات وأن امتع القارئ بدقائق ما تمتعت به وسيدي
الوالد العزيز في هذا النهار من المَرثَيَّات وأُطْلِعُهُ على ما عاينته في انتقالي من
غرفة الى أخرى ومن صورة الى غيرها يتراءى لمن شاهدها أنها ناطقة تُشَخِّصُ
في عالم الحياة ما اراد موجدوها اظهاره بها من عالم الخيال الى عالم العيان وهذه
القاطات خصوصاً المتعلقة بالتدريج منها من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٧٨ كأنما هي
كتب تاريخ واضحة العبارة مكتوبة صحائفها بخط جليّ تنادي بالاشخاص
واعمالها والملوك وافعالها والحروب واهوالها من انتصارات وانكسارات ومكافحات
ومناضلات وافراح واتراح أو اسفار أخلاق تنبئ عن الملابس والعوائد والمسكن
والموائد او محال اجتماع للتعارف يجتمع الزائر فيها مع مشاهير الرجال المنسوبة
اليهم أعظم الأعمال في فنون المعارف والآداب

ولا غرو أن فن التصوير يشابه فن الشعر من حيث ان مبنى كل منهما
التخيل وهما متعبدان في المؤدَّى مختلفان في كيفية التأدية وما يؤدَّيان اليه
فالشاعر يؤدِّي الى السمع ما تخيله بالفاظ ينظمها ويمسناها حسبما هو عليه من

القوة في التأدية والمصور يؤدي الى البصر ما تخيله بصور يصورها وتماثيل يمثلها
يجعلها ناطقة بلسان حالها عما في ضميره من المعاني التي ارادها يفهم المقصود منها
من رآها وتأملها كما يفهم المقصود من الشعر من سمعه وتأمله ولا يخفى ما في ذلك
من المهارة والدقة وما يعقلها إلا العالمون

هذا وبعد ان متعنا الطرف بهذه المحاسن طول النهار واغتنمنا هذا الانس
وتعاطينا طعام العشاء في أحد محلات الاكل الملاصقة للسراي أردنا الانصراف
الى الفندق فصادفنا نوراً عظيماً استلقت منا النظر فقصدنا نحوه واذا هو ملعب
الإيذروم لا يبعد كثيراً عن المعرض فقضينا به طائفة من الليل نتفرج على ما
فيه من ألعاب الفروسية وغرائب الحركات الجسمانية مما يدهش العقل ويغير
اللب لا يراه الناظر من الخروج عن العادة المألوفة من جهة اقتدار اللاعبين
وقوتهم وقهرهم وسرعة حركتهم على كبرهم وصغرهم نساء ورجالاً شيوخاً واطفالا
فيمشون على الجبال المرتفعة مع دقتها وبشتغلون فوقها بأنواع الألعاب كأنما هم
على ارض قارة هذا فضلاً عن ألعابهم على الأرض وفوق أظهر الخيل مع ما بهم
من عظم الوثبات الدالة على غاية الحفة والنشاط الى غير ذلك ولا شك ان هذه
الألعاب مع كونها من موجبات التسلية والاستغراب هي من موجبات التنشيط
للمعركة والتعجيب في الشجاعة والفروسية وتقوية النفس على اقتحام الاخطار
وعدم المبالاة بها فاذا خرج الانسان بعد تفرجه وجد في نفسه نشاطاً في المشي
وخفة في الحركة وجسارة في النفس لانه مما عمل في ذلك لا يصل الى ادنى
درجة هؤلاء من التعرض الى المضار وارتكاب الأخطار



❖ اليوم الثالث عشر في باريس ❖

خامس يوم في المعرض

خصصنا هذا اليوم (يوم الاربعاء ١٤ أغسطس سنة ٨٩) بزيارة سراي
الفنون العقلية (آرليبيرو) وتاريخ عمل الانسان تسميت بذلك لان ما بها للعقل فيه
الجانب الاكبر والخط الاوفر ولان أعمال الانسان من قديم الزمان الى الآن
معروضة فيها وهي السراي المقابلة لسراي الفنون المستظرفة التي كتبها أمس
والغرض من ذلك جمع حاصلات عمل الانسان من الازمنة المتقدمة الى
الوقت الحاضر في مكان واحد وكيف كان وكانت في مبدأ الأمر مع ترتيبها
بحسب تواريخها وبكيفية يستنتج منها حال التقدم فيها وكيف تحولت من حالتها
الاصيلة الى حالتها الحاضرة المحسنة ومن هذا تستفيد الناس معرفة كيفية الاعمال
الانسانية وكيف ترفت شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى حالتها الحالية

ومن البديهي انه لم يكن من الممكن دائماً عرض جميع الحاصلات القديمة
نفسها فهذه الماكينات البخارية لم يتيسر الحصول على اول ماكينة اخترعها ستفانسون
الانجليزي مخترع الواهورات البخارية التي تسير بقطارات السكك الحديدية
لاجل مقارنتها بأخر ماكينة من هذا القبيل عملت في أحسن القابريات
الفرنساوية او الانجليزية وهذه النظارة العظيمة التي كان يستعملها جاليليه الفلكي
الشهير ما امكن احضارها لمقارنتها باحسن النظارات الفلكية المستعملة في هذا
الوقت وذلك لان الماكينة البخارية الاولى محفوظة في متحف لندره والنظارة
الابتدائية من مملوكات مدينة وبنيسيا (البندقية) ولهايتين المدينتين الحق في

عدم تفریطها في مثل هذين الكثرين الثمينين
ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله والاشياء التي لم يتيسر احضارها بنفسها
عُوضت بصورها الفطوغرافية او بصور مجسمة منقولة منها او باقرب الاصول لها
فهذه الماكينة البخارية الحديدية التي لم يتيسر احضار الاولى منها استمضت بدلاً
عنها ثاني وابور حديدي عمله الانجليز بعد الاول

وهذه السراي إن شابهت السراي الذي كنّا بها أمس إلا إنها تمتاز عنها
بصفاء الوان الآجر الحديد فيها وبداخلها رحبة عظيمة الاتساع تعلوها قبة شاهقة
في الارتفاع وحولها تحت القبة المذكورة أربعة قصور مستقلة في ذاتها منفصل
بعضها عن بعض

وكل واحد من هذه القصور الاربعة بوسطه رحبة متسعة فيها الاشياء
المعرضة يحيط بها ممشى تحمل سقفها عمد وبالزوايا الاربعة قاعات أربعة في كل
زاوية واحدة

وأما دائر السراي فمشى كبير متقن الوضع عُرِضَ فيه كثير من الاشياء
وتنقسم المعارضات بهذه السراي الى أربعة أقسام الاول في الانسان
وتاريخه الطبيعي (أنتروبولوجيا) وعلم خصوصيات الشعوب (إثنوجرافيا)
الثاني في الفنون العقلية (آرليبيرو) الثالث في الفنون والصنائع الرابع في وسائط
النقل وجرا الاثقال

بقي قسم خامس متعلق بتاريخ عمل الانسان وضع في سراي مخصوصة بنيت
له في قسم أنفالييد من المعرض وهو قسم الفنون الحربية
وقد انتخبت لجان للملاحظة هذه الاقسام وترتيبها مؤلفة من كبار العلماء

بهذه الخصوصيات وتألفت لجنة عالية ترأس هذه اللجان تحت رئاسة المسيو
جول سيمون الفيلسوف الشهير وكفى ذلك دليلاً على حسن نظام هذه المعارض
الخصوصية وان لحظة يقضيها المتفرج في قسم من هذه الاقسام يتتبع الاشياء
ويقرأ ما عليها من التعاليق الكتابية لا فيد له من سنين طويلة يمضيها في دراسة
الكتب التي ربما لا توصله في أغلب الاحيان الى النتيجة التي يستفيد منها في بعض
دقائق فانها زبدة أفكار العلماء ولم يحصلوا عليها الا بعد مددٍ متطاولة وسنين
متعددة مضت في البحث والمناقشة والتفنير في كتب ومطال له لم تخطر ببال له
وكل قصر من القصور الاربعة مخصص بقسم من الاقسام الا ان القسم الثاني
ضم اليه الرحبة التي تحت القبة

فالقصر الاول من جهة النهر خصص بالقسم الاول المتعلق بالانسان وحالاته
وخصوصيات الشعوب وذلك ان صورت صور كثيرة من الشمع بقدر الانسان
الطبيعي ووضعت في وسط الرحبة جماعات كل ثلاثة واربعة منها مع بعضها
منفصلة عن باقيها تمثل حالة مخصوصة من حالات الانسان فاول جماعة مؤلفة
من ثلاثة اشخاص على حالة الانسان الاولى مجتمعين حول شجرة اوقعوها لاخت
اخشابها وصنعها للمصالح التي كانوا يستعملونها فيها بالايام الحالية وهم على هيئة
اشتغالهم بذلك وقتذاك والجماعة الثانية مركبة من اشخاص على الفطرة الاولى
يشغلون بتحديد احجار الصوان وسنها بواسطة احتكاكها باحجار غيرها حتى تكون
حادة فيستعملوها اسلحة للدفاع والمجوم على العدو من انسان وحيوان او في قطع
الاشياء اللازمة للمعاش الى غير ذلك مما وصلوا اليه بواسطتها من الصنائع وتري هذه
الاشخاص كأنها مشغولة امامك بهذه الاعمال والجماعة الثالثة ارقى من الاوليين

وهي عبارة عن عائلة تأوي الى قُسطاط حضر كبيرها من الخارج راكبا مركبة يجرها حيوان من حيوانات تلك الازمان ويظهر على هذه الجماعة نوع من الترتي لانظماها وتوفر الادوات عندها اكثر من اللتين قبلها والرابعة جماعة ألقت لها مسكنا من الاحجار على الحالة الاصلية ثم جماعة بعدها حسنت هذه الاحجار بعض التحسين كأنها نحتها بتلك الآلات التي ذكرناها ونظمتها بعض تنظيم كل ذلك والجماعات يتبين لنا منها كيف كان الانسان يلبس ويتغذى في تلك العصور السابقة على الازمنة المعروفة بالتاريخ

وفي دائر رحبة القصر صفت جماجم متعددة عثر عليها في نقط مختلفة من المعمورة ووضعت معها اشياء كثيرة من مجموعات عظام الانسان وهيكله مجلوبة من سائر الانحاء مرتبة كالتي قبلها بحسب الجهات والاصناف فمنها الزنجي وسكان اميركا الاصلي والصيني والافقيانوسي والهندي وغير ذلك

وباحدى جهات الرحبة جماعة على هيئة الصينيين يصنعون اواني الخزف الصيني فيمثلون سائر عملياتها من المبدأ الى ان وصلت الى الحالة التي هي عليها من الحسن والرونق بعد ان كانت في اول امرها لا يُعَدُّ بها ولا يعنى بشأنها ولا بالنظر اليها وقد استحضروا اشياء من تلك المصنوعات بحالتها الممجة واشياء بحالة الحضارة الحالية وهكذا صنعوا في تشيل كيفية صنع الاواني الصغيرة والتحف اللطيفة التي تتخذ من الاخشاب والاوراق حتى انتهوا فيها الى احسن ما وصلت اليه واستجلبوا الآلات التي كانت تستعمل في السابق عند هؤلاء الاقوام والآلات التي يستعملونها في اعمالهم الآن من اعظم المتاحف ومن كبار الاحاد الذين اقتنوا هذه الاشياء وصرفوا في تحصيلها الالوف المؤلفة من الاموال فيرى الراي في هذا

القسم ما لا يتيسر له رؤيته مجموعاً بهذا الوصف في غير هذا المحل في اي زمان
والقصر الثاني خصص هو والرحبة التي تحت القبة بالفنون العقلية (أرلييرو)
وهي التي نسبت اليها السراي التي نحن بها اليوم كما يتنا ذلك اول الفصل وقد انقسم
ما بها الى عدة اقسام على حسب ما فيها من الفنون

فالرسم (لأپانتور) جعل له فيه قسم على حدته يتبدى المتفرج فيه بأوائل
هذا الفن علي ما بها من عدم التحسين ثم يستمر فيرى المصور قد تمكن من استعمال
الألوان على حسب ما استخراجها من الأحجار ثم ترقى فيراه استعمال الألوان
على الجدران المطلوة بالجبس والجير ثم زاد في الترقى فيراه استعمال الرسم بالبوية
بالزيت او الماء والرسم بقلم الفحم او الرصاص الى ان وصل الى درجة التفنن
والاقتان التي عليها الفن الآن كل ذلك بواسطة اشخاص مجسة من الشمع
لابسة البسة توافق حالة الأوقات المنسوبة اليها تحيط بها جميع الأدوات
والآلات والبويات مما كانت تستعمل في أي وقت من الأوقات

ثم التصوير بالتجسيم (سكولتور) جعل له قسم ايضاً يرى المتفرج فيه أشكاله
من الصور المجسة من الخشب والرخام والحجر والبرونز والشمع والماج والمواد
الصلبة وغيرها على حالاتها المختلفة كيف كانت في الأول وكيف ترقى بعد
ذلك وكيف كانت تصنع فيما سبق وبأي آلات وكيف تصنع الآن والآلات
التي يستعان بها في ايجادها

ثم قسم الموسيقى بسائر آلاته القديمة والحديثة وكيفيات تقدمها مبتدأة
بالمود المصري وغيره من الأدوات التي كانت توجد عند المصريين الأقدمين
وموسيقى الفينيقيين منتهية هذه الآلات بأحسن ما يوجد منها الآن فاجتمع في

هذا القسم من آلات الموسيقى على اختلاف اصنافها وجمعها ما ينهر منه الانسان
ثم قسم العمارة وتاريخها وهذا استعمل فيه الرسومات أما من أراد نفس
البناء فعليه بالتوجه الى طريق تاريخ السكنى وقد سبق نفعنا عليه

ثم قسمُ التياتر وتاريخه العجيب (وهو في الرحلة التي تحت القبة) وهناك
رأينا كيف كانت تُعمل التياترات اولاً وكيف وصلت الى حالها اليوم وكيف
يكون محل اللعب ومحلات استراحة اللاعبين ولبسهم ملابس اللعب وكيف تكون
الاضواء في محل اللعب وخارجهِ وكيف تكون الأستار والأشكال وما كانت
تلبس اللاعبين في أول الأمر حتى وصلت الى ملابس اليوم التي روعي فيها
التاريخ ومناسبة وقته وكيف كان يُستصبحُ في التياترات بالشمع في أول الأمر
وكيف يُستصبح فيها بغيره الآن ثم بجوار هذا المحل محل عُرضت فيه من كُتبخانة
الأوبرا الأهلية اشياء كثيرة متعلقة بتاريخ التياتر لتزيين محال اللعب وتجميلها
للغرض المقصود وكيف كان ذلك اولاً ثم ترقى تدريجياً في الأزمان الى الآن مع
ما يتعلق بالتياتر من الكتابات والاعلانات والبروجرامات

والقصر الثالث خصص بقسم وسائط النقل وجرا الأثقال جُمعت فيه سائر
الآلات التي أمكن جمعها وأضيف الى ذلك نحو خمسة آلاف رسم عوضاً عن التي
لم يتيسر جمعها فجاء في غاية الاستيفاء مشتملاً على سائر آلات النقل وجرا الأثقال
من قبل المسيح بعشرين قرناً الى ما بعده حتى الآن فيتبين منه لمن أمعن النظر
فيه فوائد شتى ومعارف كثيرة وكيف كان الأولون في اوائل درجات التمدن
يتقلون في محامل تحملها الأعناق وكيف كان الحال بعد ذلك حتى وصل الى
النقل بالآلات البخارية واذا تأمل في وسائط النقل بالبخار نفسها وجد فيها

التقدم الموجب للاستغراب عند ما يقابل بين اول عربية صنعت لركوبة الدوك*
دُه وَلَنَجْتُنَّ فِي السَّكَةِ الْحَدِيدِ وَبَيْنَ الْعَرَبَاتِ الْمَزْخَرَةِ الَّتِي تَصْنَعُ الْيَوْمَ لِلْمُلُوكِ
وَالْكَبَرَاءِ

والقصر الرابع خصص بالفنون والصنائع وقد احتوى على جميع ما يهتم
المهندس معرفته ويلزم صاحب الفن الوقوف عليه في فنه وما يتعين على الصانع
التدقيق فيه مما تنوعت صناعته ففيه ما يلزم لكل صناعة وما عمل فيها
في كل زمن فصناعة الزجاج والبلور مثلاً هيئت فيه بكيفياتها في الازمنة سابقاً
ولاحقاً وصناعة الاسلحة بأصنافها ونقوشها في الماضي والحال وبه معامل تصنع
هذه الاشياء على الطريقة القديمة ومعامل جديدة تصنعها على الطريقة الجارية
الآن ليظهر الفرق ويتضح واستحضرت آلات طباعة من القديمة التي كانت اول
ما استعمل في الطبع والآلات التي تجددت بعد حتى وصلت الى الموجودة الآن
ومعها ما تطبع من كتابة ونقوش ورسومات سوداء او ملونة بالالوان لمقارنتها
بالمطبوعات اول الاختراع وعدة نسخ من الاعلانات التي تلتصق على الجدران
لشهرة ما يراد للمقارنة بين القديم منها والحديث وكيف وصلت هذه بشكلها واتقانها
الى استجلاب الانظار وأحضرت فيه ملابس عديدة لبيان ما كان يلبسه الصانع
في القديم والحديث كأنما اريد تدوين تاريخ الملابس الصانع من الاول الى الآن
هذا وفوق كثير من الهلات التي ذكرناها محلات تطلوها فيها بقية ما تحتها
وقد خصص احد هذه المحلات العلوية بحال القباب الطائرة فوضعت فيه واحدة
بزورها المعلق بها وجمع تحتها جميع ما يتعلق بهذه القباب وتاريخها وكيف ابتدئت
وكيف صارت الآن

وقبل الخروج من هذه السراي دخلنا الى المله الذي تخصص بها للتعليم الصناعي وقد اخذ في الانتشار بما استعمل فيه من التسهيلات وفي تحصيله من المساعدات

ثم زرنا المله المختص بالمعروضات الجغرافية والقسموغرافية وفيه كثير من الخرائط والكروت ارضية وسماوية والاحصائيات بأصنافها ثم الرسومات المختصة بالاشغال العمومية بجميع اشكالها كالقناطر والجسور والترع واحواض مرور السفن (هويس) ثم رسومات العمارات العمومية والمباني الأثرية وغير ذلك من المباني والمسكن والفنادق وامكن سكنى الصناع والفعلة ورسومات المحطات ومخازن السكك الحديدية

ثم رأينا المله الذي اختصت به نظارة الداخلية من هذا السراي فجعلته للسجون واشكالها وكيف كان حالها في الماضي من حيث التعذيب والاضرار بالصحة وكيف صارت الآن من جهة مراعاة الصحة مع ما في ذلك من سجون الانفراد وغير الانفراد والمخصص منها بالمحكوم عليهم بمدد قصيرة او طويلة والمجمل منها للاشغال الشاقة وكيف يكون فيه الحال

ثم مررنا بالمله الذي تخصص بالآلات الطب والجراحة وهو محتوي على العجائب والفرائب من حيث الآلات ودقتها وانقانها مع خفتها وتعددتها وكثرتها كل ذلك دل على عظيم التقدم في هذا الباب

ثم تفرجنا على المله الذي خصص بالآلات الدقيقة المجهولة لضبط الاوقات والمسافات وعلى الماكينات المجهولة للحساب والبصل والبارومترات وآلات المقاسات وغير ذلك من الآلات والادوات المجهولة للرصد خانات والمعامل فضلاً

عن وجود المقاييس والمكايل والنقود والميداليات الخاصة بكل البلاد في هذا المل

ثم على المل المعدود لعرض أدوات الكتابة من الاوراق بأشكالها والخبر بأصنافه والظروف والمحابر والمفاظ وأدوات الرسم والالوان وغير ذلك من اللطائف ثم على المل الذي خصص بعرض الاعمال الفطوغرافية فراينا التقدم العظيم الذي حصل في هذا الفن على حدائنه ما ينبغي عن زيادة حسن مستقبله وكان الرسامون كرهوه في اول امره لما ظنوه من انه يكون معطلاً لاعمالهم ثم رجعوا اليه مذكراً انه عضداً ونصيراً لم فانهم تمكنوا بواسطته من الحصول على اشكال كانت تعجز عنها ابصارهم ويستحيل الاتيان بها على حقيقتها بدونه كرم هيئة الحيوان بالضبط وهو يركض او الطير حال طيرانه الى غير ذلك هذا والامل اكيد والرجاء وطيد في ان يصل هذا الفن الى رسم جميع الالوان على حقائقها ما دام مستمراً على هذا التقدم آخذاً في سبيل هذا النجاح

اما محلات المطبوعات والكتب والتجليد المحتوية من بديع الآثار على ما تمار له الافكار فقد تفرجنا عليها وتفرجنا بعد كل محل منها على تكملة من معروضات الاجانب التي في نوعه للمقارنة بين ما بها وبه فرأينا معروضات ايطاليا والروسيا وسويسره وبلجيكا واسپانيا وانكلتره وامريكا الشمالية والبرتغال في آلات الحكمة والجراحة وفي الجغرافية وفي الموسيقى والآلات الدقيقة والاوراق والمطابع والفطوغرافية

ثم تفرجنا بعد هذا على المل الذي خصصته نظارة المعارف في هذه السراي بالتعليم بانواعه في سائر مدن فرنسا ولا غرو فهذا مكانه لان التعليم يتعلق بالفنون

العقلية وتاريخ عمل الانسان لا محالة

وينقسم التعليم فيه بحسب درجاته الى ثلاثة اقسام احدها للتعليم الابتدائي والثاني للتعليم الثانوي والثالث للتعليم العالي

اما محل التعليم الابتدائي فقد دل على عظيم الرعاية في هذه البلاد بأمره ومزيد الاعتناء بشأنه فاحتوى على نماذج متعمقة كثيرة من امكنة مدارس التعليم الابتدائي ومكاتبه على اختلاف درجاتها مخصصة بالاطفال الصغار واكبر منهم وبالبنات وباليتام في المدن والقرى ومن امكنة المكاتب المعدة للتدريس للكبار وللتعليم الصناعي ثم على نماذج من لوازم هذه المدارس على اختلاف أشكالها من الفرش وادوات التعليم وادوات الاكل والنوم ثم على نماذج مما أعد بهاته المكاتب من موجبات تقوية الاجسام ورياضتها وثقيف العقول وتهذيبها على حسب درجات التعليم وسن التلميذ ثم على نماذج من أدوات التعليم المعدة للخرس والعميان ولم يكتف بهذه النماذج على كثرتها وتعداد أصنافها بل اراد منظم هذا المحل أن يرى الناظر بعيني راسه نتيجة هذه التعاليم واثرها في المتعلم فاستحضر كرايس من اعمال التلامذة مئيناً فيها ما عمله الواحد منهم في سنه بالكتابة ومذكوراً فيها سنه وتاريخ دخوله الى المدرسة فيظهر للمطلع عليها حالة تعليمه عند دخوله وكيف أخذت في النمو والارتقاء بعد ذلك والزمن الذي لزم لهذا ولا شك ان هذه الكرايس تدل دلالة واضحة على حسن نتيجة طريقة التعليم المتبعة في هذه البلاد

ومحل التعليم الثانوي يحتوي ايضاً على كثير من النماذج اللازمة له وكذلك محل التعليم العالي اشتمل على نماذج أرقى وأعلى وعلى تقارير مطولة

حررها المفتشون على التعليم لناظر المعارف يستنتج منها من أراد الوقوف على حالة التعليم في كل فرع من الفروع

ثم خرجنا من هذه السراي والنفس في غاية الانشراح بما رأيناه وبعد الاستراحة وجدنا في الوقت اتساعاً فقصداً قصرى مدينة باريس وقد جعلاً كما ذكرناه سابقاً بين الجناحين اللذين خرجنا من احدهما الآن وشيدا من الحديد ملوناً بالخضرة

وقد عُرض في احدهما مناظر مدينة باريس رُسمت في خرائط مقارنة حالتها التي كانت عليها في سنة ١٧٨٩ بمجالاتها التي هي عليها في سنة ١٨٨٩ وعرضت فيه ادارة المدينة جميع ما يتعلق بتبليط الشوارع وتجهيزها واصلاحها ونوذجات من محاجرها والآلات التي تستخرج بها الاحجار منها قديمة وحديثة للمقارنة بينها فانها تمتلك محاجر عظيمة يشتغل فيها على ذمتها دائماً ابداً ٢٥٠ عاملاً لاستخراج احجار التبليط وبناء الترتورات والبواليع اللازمة للمدينة

وكان في القديم يمكث ثلاثة رجال ساعة من الزمن لحفر حفرة عمقها متر واحد اما الآن وقد وجدت آلات التسهيل التي تدور بضغط الهواء والبخار او الكهرباء فيتمكن بواسطتها احد العملة من حفر تلك الحفرة في مسافة دقائق قليلة ويستخرج من هذه المحاجر على ذمة أعمال المدينة في السنة ٧٥٠٠٠٠ حجر للتبليط و٢٠٠ ألف طونولاطه للبناء وقد عرضت في هذا المحل ايضاً آلات تنظيف الطرقات ورشها

وعرض في الثاني نوذجات من بواليع باريس عن سنة ١٦٦٠ وسنة ١٧٤٠ وسنة ١٧٨٩ وسنة ١٨٣٧ وسنة ١٨٥٤ وسنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٨٩ للمقارنة

ولا خفاء أن البواليع في المدينة من أهم الاعمال الصحية اللازمة لصرف المياه
الغذرة واستبعاد الاقذار وتصريف الامطار خصوصاً في زمن الشتاء فان بقاء ذلك
لاشك انه مضر بالصحة كما تدل على ذلك حالة القاهرة زمن الامطار في الشتاء
فانها لا بواليع فيها

ثم في هذا المحل رسومات كثيرة تدل على طرق متعددة لتطهير المساكن
وتفتيتها ونموذجات مساكن طيبة الهواء وغيرها بخلافها ليست طيبة الهواء
ولا صالحة للسكنى

ثم نموذجات طرق استعملت لتنقية مياه البواليع وتنظيفها من الاقذار
وجعلها يتنفع بها وهي غير طرق استعملها في تسميد المزارع

ويشتمل هذا القصر غير ذلك على نموذجات التعليم الابتدائي وكياناته في
باريس وطرق التعليم الصناعي فيها وقد تقدم الكلام عليه في سادس يوم من باريس
وقد جمع هذا القصر ايضاً لوازم الأمن في المدينة مثل مطفئات الحرائق
(طلوبات) ولوازمها من سلم وغيره

ومن أهم ما فيه نموذج المعمل الكيماوي الذي جعلته المدينة للكشف على
المأكولات والمشروبات لمعرفة النافع من المضر بالصحة منها محافظة عليها وقد
خصص مستخدمون بامتحان جميع المواد الغذائية بهذا النموذج أمام المتفرجين
وتفهمهم الطبيب منها والردى بمرأى العين ليتبين لهم انهم في أمن تام من حيث
المأكول والمشروب

وخرجنا من هذا المحل مدعنين بأنه ليس بالعمل السهل ادارة مدينة عظيمة
كباريس وان ذلك النظام يحتاج الى صرف الكثير من المال

❖ اليوم الرابع عشر في باريس ❖

سادس يوم في المعرض

قد خصصنا هذا اليوم (يوم الخميس ١٥ أغسطس سنة ٨٩) بزيارة سراي الصناعات المتنوعة وهي تشتمل على معارض المصنوعات الفرنسية وقد تقدم أن جناحها سراي الفنون العقلية على يمين الداخل من جهة البرج وسراي الفنون المستظرفة على يساره وأن بناءً يمتد من كل من السرايين المذكورين إلى سراي الصناعات المتنوعة يعدُّ باقي الجناحين لهذه السراي تُعرض فيه الصناعات الأجنبية وستفرج على ما في هذين البناءين غدًا إذ أن يومًا واحدًا لا يكفي في التفرج على جميع ما في هذه السراي والبناءين البالغ مساحة جميعهنَّ ١١٠٠٠٠ متر مربع

فدخلنا هذه السراي من بابها الوَسْطِيِّ وهو المدخول له من بين الجناحين تحت قبتها المركزية وهذا الباب وهذه القبة قد شاع في الآفاق ذكرها وانتشر في الخافقين صيتهما وهما مصنوعان من الحديد وبعض الآجر مع تخلُّل قليل من الخشب والتزيين بالمصنوعات الخرفية والقيشانية

ولم يكن استعمال الآجر في العمارات العظيمة بمستحدث فهذه المباني الأثرية القديمة بينتوى ومصر تشهد باستعماله فيها بالأعصر الحالية على أحسن كيفية والمتأخرون وإن استعاضوا عنه الحجر في الأزمان المتأخرة لما ظنوه فيه من المتانة والمهابة لكن وضعه في هذين على الكيفية الجمول بها أثبت أنه لا يقل عن الحجر فيما ذكر بل يزيد عنه زخرفة ورونقًا وبهاء وحسن منظر

(القبة المركزية) قطر دائرة هذه القبة ثلاثون مترًا وارتفاعها من الداخل ٥٥ مترًا ومن الخارج إلى منتهى تمثال فرنسا الموضوع بأعلاها ٧٥ مترًا واصل بناها

من الحديد مرتبطاً ببعضه ببعض بحديد وهي مغطاة من الخارج بطبقة من الآجر
تعلوها طبقة من الزنك منعاً لتساقط الأمطار على ماتحتها ومحشوة تلك القبة بين
حدائدها من الداخل بمخشب ليسهل طلاؤه بالجير مزينة بالمينا داخلاً وخارجاً
تتمثلها اثنتا عشرة نافذة زجاجية تحت ذروتها توصل النور الى ماتحتها
وقد جعل فوق القبة كثير من الرسومات المجسمة ففي الذروة صورة تمثل
فرنسا قائمة توزع مكافأة على المستحقين في خدمة الانسانية ثم على البنية الثلاثة
المجمولة فوق فتحة الباب الموصل اليها تمثالاً السلم والاتحاد وفي طرفيها تمثالان
آخران يمثلان العلم والتقدم وبأحد جانبي الباب تمثال التجارة وبالأخر تمثال
الصناعة وفي منتهى فتحة من الاعلى في جهة تمثال المشرق وفي أخرى تمثال المغرب
ومنظر القبة من الخارج والداخل في غاية البهجة والحسن وقد نُقشت رسومات
الداخل من اشخاص وغيرها على قطع من القماش نقشتها أعظم ارباب فن التصوير
وهم باي مكان كانوا ثم ألصقت بالبناء حيث هي الآن فيظن الراي انها نُقشت في
محلها الذي رآها به كالمعتاد ولا شك في ان هذه الطريقة اقل مشقة واسرع عملاً
وادنى مصاريف من طريقة النقش المعتادة اعني ان يكون النقش من اول الامر في
نفس البناء بالغاً ما بلغ ارتفاعه اذ في هذه من المشقة والبطء وكثرة المصاريف ما لا يخفى
وبداخل القبة على ارتفاع عشرة امتار من الارض ممشي من الحديد بقدر
محيط القبة ذو درابزين من الداخل وله منافذ مظلة على ساحة شان ديه مارس
من جهة وعلى داخل سراي الصناعات المذكورة من جهة أخرى وبكل زاوية من
زوايا القبة سلم يصعد منه الى هذا الممشى فيرى من به اذا توجه جهة الباب جميع
قسم شان ديه مارس واذا توجه جهة الباب المقابل له الذي يدخل منه الى داخل

سراي الصناعات المتنوعة رأى مشاها العظيم الذي يقسمها الى شطرين ويوصل الى قاعة الماكينات كما سيأتي الكلام على ذلك واذا قصر النظر على داخل القبة يرى فوقه الزخارف الرائعة والنقوش الفائقة على عظم ارتفاعها وكبر اتساعها ويرى تحته الناس يدخلون افواجاً وافواجا والوفاء مؤلفة ليتمتعوا الانظار بما حوته هذه القبة العظيمة من الرسوم الفخيمة ويشاهدوا ما بالسراي من الآثار الغريبة والصنائع البديعة العجيبة ويرى بعض هؤلاء صاعدين الى حيث هو فيشاركونه في الابتهاج والاعجاب بما يظهر على وجوههم والفاظهم من سمة الاستحسان ولا غرو فان هذا الحسن لا يختلف فيه اثنا

وكل سلم بما ذكر يوصل الى محلات ذات اليمين وذات اليسار جمعت في الاصل للاستراحة واستعملت بعد ذلك لعرض مصنوعات بعض معامل الحكومة نظراً لكثرة المعروضات والازدحام في هذا المعرض فعرض فيها من مصنوعات جوبلان ثلاثة وثلاثون بساطاً حوت من محاسن الصناعة واحاسن الرسم ما لم يسبق عرضه وعرض فيها غرائب من الاواني الخزفية والصينية التي تصنع بمعمل سيفر مما لا يباع بل يهدى الى الملوك العظام وعرض فيها بدائع من الابسطة المعمولة في معمل بوفيه الظرفية الاشكال العديدة المثال هذا وقد عرض من معمل الفسيفساء ما ألصق بوجهه وجاني باب القبة الثاني الذي يدخل منه الى ممشى السراي وأبدع في ذلك غاية الابداع (١)

(١) وهذه المعامل الاربعة تدار على نفقة الحكومة لصنع ما يلزم لزينة اماكنها العمومية ولاهداء الدول المتحابة وبيع ما يزيد على ذلك فتنفق الحكومة عليها كل سنة ٩٩٧٢٣٠ فرنكاً وقد انشئ الاول سنة ١٤٥٠ والثاني سنة ١٧٤٠ والثالث منذ ثلاثة قرون والرابع سنة ١٨٧٦ هـ

وفوق ممشى القبة المذكورة على ارتفاع ٢٢ متراً تماثيل أربعة كل واحد منها يمثل قوة من القوى الأربعة التي عليها مدار الصناعات وأعمال الإنسان وهي الهواء والماء والبخار والكهرباء

وفرقها رسومات عظيمة تمثل فرنسا حال كونها تدعو الأمم لمشاركتها في هذا المعرض وتقبل منهم حاصلات بلادهم وتحت هذه الرسومات جداول مكتوب فيها بحروف ذهبية أسماء الأمم التي أجابت دعوتها

وفوق هذه الرسومات صور أربعة تمثل أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقية وفوقها شعائر الدول التي اشتركت في هذا المعرض وفوق ذلك كله صورة العلم الفرنسي تحفه نجوم ذهبية مرسومة في شبه سماء صافية بيضاء وبعد أن تفرجنا على هذه القبة وما فيها من غرائب العجائب ومعجائب الغرائب انتقلنا الى

(ممشى السراي الكبير) وهذه الممشى تبدأ من القبة المركزية متجهة من الشمال الى الجنوب حتى تصل الى رواق الماكينات على امتداد ١١٠ أمتار وعرض ثلاثين متراً ونقسم سراي الصناعات المتنوعة الى قسمين وتفرع منها ماش جانبية على طولها نحو اليمين واليسار سبعة من كل جانب وحيث ان كل ممشى من هذه المماشي خصص بمعرض مصنوعات مخصوصة فقد عهد الى كل من ارباب هذه المصنوعات بعمل المدخل الموصل من الممشى الكبير الى الممشى الجانبية المتفرعة عنه فأجهد هؤلاء انفسهم في جعل هذه الابواب تدل في حد ذاتها على نوع الاشياء المعروضة إما بتشكيل هذه الابواب وتركيبها من نوع الاشياء المذكورة او بطريق الرمز اليها فصار ذلك الممشى بهجة تنبهر لها العقول وتحار فيها الالباب لما حوته من هذه الابواب وما جاورها من احسن المصنوعات وما فوقها من السقف المرتفع المركب

من الزجاج محكم الصنع كامل الانقان حتى يخيل للناظر انه ليس في عالم الحقيقة بل هو في عالم الوهم والخيال وما نحن قد مررنا بما عليها من الابواب ونذكرها لك حسب ذلك باب الصاغة هو اول باب على اليمين وقد جعل له ثلاث فتحات وسطاها اقل عرضاً من الآخرين ووشى بالنقوش الذهبية على هيئة اكاليل الازهار واوراق النباتات والاشجار اما عقود هذه الفتحات فتحملها قوائم ذات لون لاز وردي وعليها كثير من اشكال الصياغة النظرية فضلاً عن شارات جمعيات الصاغة القدماء وشعائرم التي كانوا يعرفون بها وفوق هذا كله الواح من الذهب الخالص نقش عليها أسماء أشهر الصاغة الفرنسيين

باب الجوهريّة وهو اول باب على اليسار يفوق الباب السابق من حيث زيادة الزخرفة والرونق واستعمال النقوش العظيمة والرسومات الجميلة والممشى التي وراء هذا الباب كالمشى التي قبلها مملوءة بالمتفرجين والكثير من المتفرجات اذ النساء يهوين هذه الاشياء النفيسة التي عُمّت لزيتن وقد بلغها اساتذة هذا الفن حد الكمال ووصلوا بها الى ما لم يصل اليه غيرهم في قديم الزمان وبممشى الجوهريّة من الحلي والجواهر ما تبلغ قيمته اربعين مليوناً من الفرنكات على ما قدره بعضهم وليس ذلك بمستغرب بالنظر لكثرة الحاصلات

ومن أغرب ما بهذا السوق حجر من الالماس يعرف بالحجر الامبراطوري وزنه ١٨٠ قيراطاً مملوك لشركة من الشركات وضع على مرتفع مخصوص به وسط هذا السوق مغطى بغطاء من البلور تحرسه دائماً جماعة من الناس فاذا جاء الليل انزله مع ما هو عليه في حفرة مبنية تحته بمجرد لمس آلة وينطى بغطاء مجنول له وتنام الحراس فوقه

وهو أكبر الاحجار المعروفة على ما قرأناه في ورقة مطبوعة اخذناها من جانبه
 بها رسمه وفيها انه يزيد عن ألماسة التاج الفرنسي الشهير ٤٤ قيراطاً لان زنتها
 ١٣٦ قيراطاً ويزيد ٧٤ قيراطاً عن ألماسة التاج الملكي الانجليزي لان زنتها ١٠٦
 قيراطاً وفيها أن السبب في تسميته بالاسم السابق هو سموه الپرنس ذو غال ولي
 عهد الحكومة الانجليزية حيث قال حين رآه اول مرة "ان هذا الحجر إمبراطوري"
 فتسمي بهذا الاسم من وقت ذاك وفيها ايضاً انه صار نحتاً بمدينة أمستردام بحضور
 لجنة مركبة من ثلاثة من مشاهير العمال ابتدأت في العمل بحضور ملكة هولانده
 حين البدء واستمرت فيه ثمانية عشر شهراً حتى اتمته ووزنه قبل النحاتة كان ٤٥٧
 قيراطاً ولتعديل هيئته اضطروا ان يقطعوا منه قطعة زنتها ٤٥ قيراطاً تحصل منها
 بعد نحتها حجر زنته عشرون قيراطاً

اما ثمن هذا الحجر فعلى ما قيل لنا من كانوا يتفرجون عليه انه ستة ملايين
 من الفرنكات وقال آخرون انه اثنا عشر مليوناً

باب الخزف والفخار وهو الثاني من جهة اليمين معمول على هيئة لطيفة من
 الخزف مركب عليه اشكال ظريفة من القيشاني ونقوش بديعة من الفسيفساء

باب الملابس وهو الثاني من جهة اليسار رُمز فيه بالرسم على ما يحتويه من
 المصنوعات وصوّرت عليه امرأتان لابستان من أحسن الملابس كأن الالوان
 فيها تتماوج من شدة الحسن والبهاء

باب اثاث المنزل (الموبليات) وهو الثالث من جهة اليمين صار بناؤه
 وتلوينه على شكل الخشب المنقوش وجعل فيه صوراً ناتئة تمثل بعض الصانع مثل
 صانع الابنوس وغيره من الخشب والنقاش والرسام وفوق ذلك وتحت اسماء من

اشتهروا بصنع الخشب ونقشه والتصوير فيه وجملة اثاث المنازل وفي وسطه من أعلى الى جانب منه ستارة للدلالة على الفرش التي هي من أثاث المساكن

باب الحرائر وهو الثالث من جهة اليسار وقد تهتد بعمله معامل مدينة ليون الشهيرة في صنع الحرائر فجاء في غاية اللطف ورشي ومحل باصناف الحرير

باب المنسوجات وهو الرابع من جهة اليسار وقد استعين فيه بالرسم والرمز أكثر من الاستعانة بذات المصنوعات فرسم عليه كثير من النقوش الخاصة

بصناعة النسيج اهمها والطفها رسم امرأة تصنع بانعة حد الحمال

باب الساعات وهو الرابع من جهة اليمين صفت به جميع مقاييس الاوقات من الادوات الرملية والساعات الدقاقة والادوات التي تازمها على اختلاف الاشكال

واعتني بوضعها على كيفية صار بها هذا الباب من احسن التحف ولطائف الآثار باب البسط وهو الخامس من جهة اليمين استعيز فيه عن نفس المصنوعات

بالرمز والرسم ايضاً واهم ما فيه رسمان من صنع اشهر الاساتذة يمثل احدهما امرأة نقص صوف خروف تمسكه لما ابنتها والثاني يمثل بحراً صافياً ماؤه صحواً سماءه

تجلس بالقرب منه امرأة تشغل بنسج بساط لطيف الاشكال وحواليها اولادها يساعدونها باعطائها الصوف والالوان ويشدون معها الحبال

باب الاسلحة وهو الخامس من جهة اليسار صور باعلاه شخص مجسم لابس ملابس حديدية شاكى السلاح وعلى بعد منه فارس بهيئة فرسان القرون الوسطى

على صدره صفائح الحديد ثم يحيط بالباب من سائر جهاته رسومات من الحديد تمثل آلات الحرب التي كانت تستعمل في الازمان القديمة وغيرها

باب صيد البر والبحر وهو السادس من جهة اليسار صار تزيينه بأحسن

كيفية وذلك أنه صنع من أشجار ضُمَّ بعضها الى بعض على أبداع شكل وفي ذروتها اصناف من الوحوش كالعقاب والنسر والغزال وبالجملة اليمنى جلود حيوانات كثيرة وأسد من أكبر الاساد وبالجملة اليسرى مثلها والذب الابيض الشهير بالغرابه وبين قائمتي الباب شباك من شباك الصيد وفوق ذلك كله مُقدم سفينة بها تمساح عظيم

باب مصنوعات البرونز وهو السادس من جهة اليمين عُمِل من الجبس على هيئة البرونز بدون فرق غاية في اللطف والظرافة

البابان الباقيان خصصا بالحديد ومصنوعاته صنع أحدهما من قضبان الحديد العادية على حالها استعملها المهندس الذي تكفل بهذا العمل فشكّل منها سائر أشكال ما يلزم للباب من أعلى ومن الجانبين حتى صار من أحسن الابواب جمالاً وهيئة وجلالاً مع كون القضبان فيه على حالتها الاصلية وصنع ثانيهما من مصنوعات الحديد فاستعملت فيه المدافع بدل القوائم وجعلت عقود الباب من القنابل وصفت فوقها عجلات المدافع وكثير من الفؤوس والمناجل والمطارق وغيرها من الأدوات الحديدية حتى صار هذا الباب ايضاً في غاية العظم والرونق

ولا غرو في كون هذين البابين حيث تُعرضُ الحداث ومصنوعاتها بهذا الحسن والاثقان فان الحديد جدير بذلك اذ هو أصل الخير واساسُ القوة والمعدن الذي لا يقوم مقامه غيره من سائر المعادن في الأبنية والمحرّكات البخارية وجميع الأعمال الصناعية وآلات الزراعة والدفاع عن النفس والمال الى غير ذلك مما لا يحصى من المنافع وكفاهُ شرفاً التنويه بالامتنان به في القرآن الشريف حيث قال الله تعالى (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)

هذا وقد وُضع في هذا الممشى الكبير آثار نفيسة منها صور مجسمة صُنعت من البرونز تمثل بعض مشاهير رجال فرنسا كصورة لافونتين الشاعر المشهور المراد نقلها بعد العرض الى جهة بآسي ومنها صندوق معد لجعل ذخائر بعض القديسين فيه ويوضع بعد ذلك ببعض الكنائس وقد صيغ على جسامته من الذهب الخالص أحسن صياغة وزُين بالبلور والحرائر الغالية الى غير ذلك من تحف الآثار

واذ فرغنا من التفرج بالمشى الكبير وما به أخذنا نتفرج بالماشي الجانبية المتفرعة عنه فدخلنا ممشى أثاثات المنازل — الموبليات — وقد بلغت فيها الصناعة الفرنسية حد الابداع من حيث الظرف والحفة والدقة وحسن السبك وانتقاء الالوان والأشكال فرأينا الفرش الفاخرة مصفوفة على هيئة مائصف به في المنازل ورأينا غرف النوم بها جميع معداته من سرر ودواليب ومرآيا ولوازم غسل الوجه واليدين وكراسي ورأينا غرف الجلوس على أكمل ما يهيئ لذلك في قصور الامراء من جميع اللوازم مصنوعة كل ذلك بالحرائر والطنافس ولطائف الابنوس والعاج موضوعة على أحسن الأوضاع بحيث لوبقي المتفرج يومه لاستقصاء التفرج لوسعه محل واحد

ثم انتقلنا الى ممشى البسط والستائر وأدوات زينة الأماكن فاذا صناعتها قد ألقنوها كل الاتقان وبلغوا في تزيين المحلات وزخرفتها بالأطالس والطنافس ما يجئ للرائي أنها قطعة من الجنان وأجادوا في تأليف الألوان وجعل بعضها يناسب بعضاً ويناسب ما في المحل من السقوف والجدران والبسط المفروشة كل المناسبة وبعد ذلك انتقلنا الى ممشى الادوات الخرفية والفخارية والزجاج والبلور والقيشاني فوجدنا فيه ما يوجب السرور ويشرح الصدور من تعدد الأصناف

وحسن أوضاعها وأشكالها وألوانها فمن أوانٍ صينية بيضاء وأوانٍ منقوشة بأحسن الألوان وأوانٍ من الخزف والفخار والقيشاني والفسيفساء البديع ومن صغيرة وكبيرة وغالية ورخيصة لاسيما المخترع الجديد الذي اهتدى إليه حديثاً أحد العارفين بعد شدة البحث وزيادة الكد من تركيب أوانٍ من الصيني بين الصلابة والرخاوة المعتادين يعادل ما يصنع منه في بلاد الصين ويضاهي أحسن الاواني المعمولة هنالك في الكيفية وتحمل الألوان ولا شك ان هذا المخترع وقد سمي بالصيني الجديد احدث تأثيراً عظيماً عند اهل هذا الفن حيث جعل فرنسا تشارك الصينيين واليابانيين في ذلك التركيب ثم تفوقهم في حسن النقش والتصوير واستكمال الزخرفة والطلاوة على ان ما رأيناهُ في هذا المحل من الصيني الصلب القديم قد ابدع فيه المشتغلون به كل الإبداع وعرضوا منه المعجب والمطرب وما يتعجب منه في هذا المحل مجموعة صينية ذات ألوان ملتبهية تشكّلت فيها على اشكال مختلفة ترى كأنها يشتعل فيها اللهب قوياً وضعيفاً كثيراً وقليلاً ذا دُخان وصافياً الى غير ذلك من الحالات فبهرت الناظرين وحيرت المتفرجين وفاق أحسن الأواني الصينية الحقيقية وارتفعت على أعالي المصنوعات اليابانية ونمّا يستلفت الأنظار بهذا المحل أعمال الفسيفساء وقد كانت قبل الآن فرنسا تابعة فيها لاطاليا فصارت تجارها في أحسن مصنوعاتنا وأجهد المشتغلون بها أنفسهم في استكشاف اسرار المؤلفات القديمة فاستنبجوا منها فوائد غاية في الأهمية وحصلوا منها على ما لا نظير له في الارتقاء

اما الاواني المصنوعة من البلور والزجاج والمرابا العظيمة المقدار فحدث ولا حرج عن ألوانها وأشكالها غاليتها ورخيصها في جميع ما يحتاج اليه كذلك النجف

وأدوات الاضاءة على العموم قد بلغت نهاية الكمال
وما أحضره في هذا المكان مِرَاتَان عظيمتان الواحدة منها يبلغ طولها
نحو تسعة أمتار وعرضها نحو خمسة نقلتا اليه مع هذا الكبر من غير ان يصيبها
خطر بعربات السكة الحديد

ثم نفرّجنا على الأوراق المنقوشة المكسوة بها الجدران والشقف فلم نفرّق
بينها وبين الطنافس الحقيقية والحرائر الأصلية وأشكال القطيفة وانواع الأنسجة
الصينية والمندية ولم يوقنا على حقيقتها إلاّ اللمس وتكراره اما النظر فلم يقدر على
إظهار فرق بين هذه الاوراق المرسومة وبين الحرائر الاصلية التي جعلت تقليداً لها
وقد أخبر العارفون أن هذه الصناعة كانت تعطلت بفرنسا لغلو مصنوعات
بها نظراً لانقائها وجودة موادها حتى كانت تجلب من الخارج لها وتباع بأثمان
أقل من أثمان مصنوعات لعدم انقائها وجودة موادها وان كانت تشابه مصنوعات
فرنسا في الزخرفة الظاهرية ولكن ما لبث أن حصص الحق والتضع لدى الجميع
أرجحية هذه المصنوعات على الخارجية مع زيادة ثمنها عنها فعاد لها الطلب من
البلاد الاجنبية وصار بذلك رواجها وقل دخول غيرها من الخارج واخذت هذه
الصناعة تستمر في النمو وتعويض ما فاتها في زمن التعطيل حتى وصلت الى حالتها
الاولى بل زادت عليها

ثم نفرّجنا على الساعات فرأينا منها الغرائب والعجائب في الزخرفة والزينة
فضلاً عما عمل منها على اشكال الحيوانات فيعمل كل منها عملاً مخصوصاً اذا جاء
الوقت وبعضها يحرك الآت تنتشر بواسطتها اصوات الموسيقى فتطرب السامعين
غاية الطرب الى غير ذلك من الساعات المعمولة للتسلية والمنافع المعتادة كالكرونومتر

باصنافه والساعات المنبهة وساعات الحمل المصنوعة على هيئة اللاآليء والجواهر
احسن صناعة مع اللطف وخفة الحجم وسوى ما ذكر من الآلات المشابهة لتركيب
الساعات المجمعولة لقياس المسافات وغيرها من المقاسات
ثم نمرجنا بعد ذلك في مَشْيِيَّ الجوهريَّة والصاغه فرأينا ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت من المصوغات المحلاة بالياقوت والزبرجد والعقيق والزمرد ومن
مصنوعات الألماس واللؤلؤ وغيرها من الجواهر الثمينة على اختلاف الاصناف
والاشكال مما تبلغ قيمته الملايين الكثيرة ويدل دلالة ظاهرة على زيادة التقدم
في فن الصياغة والجوهريَّة

وقد سبق في هذا الفصل ذكر حجر الألماس البالغة زنته ١٨٠ قيراطاً وفي
هذا المحل لؤلؤة واحدة زنتها خمسة وسبعون جراماً يالها من دُرَّةٍ لطيفة الشكل
عظيمة القدر لا عيب فيها سوى ان قيمتها على ما يقال تزيد على ٧٥٠٠٠ فرنك
وهناك كثير من الاحجار الكريمة في اشكال غريبة وهيئات عجيبه رُصَّتْ بِأَطْوَاقٍ
واقراط وتيجان وجعل بعضها على شكل حُلِيِّ تاريخي قديم تعرفه الصانعون من
محلات التحف والآثار فاثبت للجوهر بين الباريسيين عظيم الفخار

اما مصوغات الذهب والفضة واصنافها واشكالها وهيئاتها وجمالها فشيء يأخذ
بالعقل لما اجهد الصاغه أنفسهم فيه من التفنن فيها وجعلها على أحسن الأوضاع
وقد صاغوا من هذين المعدنين النفيسين فضلاً عن الحلي كثيرًا من أواني
الاكل والشرب وغيرها من أدوات الزينة

وزادوا في هذه الصناعة اتقاناً واحساناً من يوم ان اخترعوا - منذ المعرض
السابق عام ١٨٧٨ - الميناء الشفاف وقد تقدموا في عمله تقدماً عظيماً وصنعوا منه

كثيراً من الأواني للكنائس والناس حتى استظرفوا ذلك عما زُينَ بالياقوت والألماس
وأخذت صياغة الفضة في التقدم والنمو بعد أن كانت عطلت زمناً لما
أوجده فيها المشتغلون بها من حسن السبك وجمال الألوان بخلطها مع معادن
غيرها تكسب لونها بهاءً وتزيد في بهجتها ازدهاءً

كل ذلك في الفضة التي تُصنع بعبارات عالية اما التي تُصنع بعبارات
أدنى منها للتجار في الخارج فقد اخذت هي أيضاً في التقدم وتحسنت في الأشكال
والألوان وزادت لذلك الرغبة فيها عن سابق الأوان

وفرجنا بعد ذلك على محل عرض منسوجات القطن والكتان والقنب وهي
من الصنائع المنتشرة عند فرنساويين فالقطن يشتغل فيه ٥٠٠٠٠٠ عامل
والكتان والقنب يشتغل فيهما ٣٠٠٠٠٠ عامل حتى بلغ عدد آلات النسيج
عندهم بين ميكانيكية ويدوية ٣٥٠٠٠٠ نول واهم المدن التي اشتهرت عندهم
بهذه الصناعة رُوَانْ وَلِيلْ لأن فيها فابريقات نسج القطن العظيمة أكثر من
غيرها ويصنع برُوَانْ عدا ذلك كثير من اصناف الشيت المعتادة وكثير من
المناديل المنقوشة ثم مدينة رُوِيِيَه ويصنع فيها كثير من الاقمشة المختلط فيها
الصوف بالقطن فتعمل منها الملابس للرجال ثم مدينة أَمِيَانْس ويصنع فيها كثير
من القطيفة المصنوعة من القطن للملابس والفرش ثم سان كِتْتَان ويصنع فيها
اصناف الشاش والجاز والفينيت - الفينو - والتل وكثير غيرها من الأقمشة
الرفيعة ثم تارَارْ وقد اشتهرت بالشاش الساذج والمديج والجاز

هذا فضلاً عن كثير من المدن المتفرقة في انحاء فرنسا التي امتازت بكثير من
هذه الصنائع النسيجية فالكتان اشتهرت بصنعه بلاد الشمال ونورمانديا والقنب

اشتهرت به بيكارديا

فتفرجنا على كثير من هذه المنسوجات وقد استحضرت صانعوها من أشكالها على اختلافها ومن سائر ألوانها على كثرة تعددها وتفايرها في الانقاف والدقة في النسيج والاعتناء في التدبيج فرأينا منها الآيات البينات الدالة على مزيد التقدم في هذا الفن وتام الإحكام في أنواعه والوصول فيه إلى الدرجة القصوى والغاية التي ليس بعدها غاية

ثم انتقلنا من هذه المنسوجات إلى المنسوجات الصوفية واخذنا نتنقل في التفرج عليها وكيف يتنقل بها العمل من وقت جلب الصوف من البلاد المختلفة على حاله الطبيعية إلى صيرورته أقمشة تلبس وتستعمل على تعدد الأعمال التي تحصل فيه في أثناء ذلك من تفتينه وغسله وتبييضه ودهنه بالشحم ليسهل عمل الآلات فيه ونقشه وغزله ونسجه ثم ما يعمل فيه بعد ذلك من تنظيفه من الشحم وطيه وكبسه ولاغرو ان شغلت هذه الصناعة نظراً لأعمالها المتعددة وأشغالها المتكثرة كثيراً من الصناع بحيث يقل وجود صنائع تحتاج لعمالة مثلها فهي تشغل ٥٠٠٠٠٠ عامل يصنعون كمية قدرها من الصوف الخام ٢٠٠ مليون كيلو قيمتها ٤٠٠ مليون فرنك وقد اشتهر بها كثير من المدن الفرنسية من قديم الزمان وهي تختلف في كمية ما يصنع فيها من هذا الصنف فهذه مدينة ريمس مثلاً يصنع فيها سنوياً ٢٠ مليون متر من الصوف ويصنع بغيرها أقل من ذلك أو أكثر وقد جلب في هذا المعرض صانعو هذه المنسوجات أصنافاً منها لا تحصى ولا تدخل تحت حصر مختلفة الأشكال والألوان والأثمان تُدهش العقول وتأخذ بالآبصار لرونقها وبهائها ولطفها ولا بدع فهذه الصناعة معدودة من أوائل الصناعات الفرنسية

ثم قصدنا بعد هذا محلّ الحرائر والمنسوجات الحريرية فتفرجنا عليه وهو منقسم الى قسمين عظيمين معروضات مدينة ليون ومعروضات مدينة سانت اتيين وفي هذا المحل ما لا يتصوره العقل من الحرائر ونقائس المنسوجات منها العجيبة الألوان الغريبة الأشكال العديمة المثال في الطلاوة والزينة والالطف وقد شهد العارفون بامتياز الفرنسيين في صناعة الحرائر من حيث الألوان وبهاؤها وبهجتها وصفائها لم يزد لها مرور الأيام إلا حسناً ولم يؤثر عليها مرور الأعوام إلا زيادة في الاحكام ف هذه مدينة ليون أدخلت فيها صناعة الحرير قبل هذا العهد بمئتي سنة أدخلها اليها رجل طلياني ولم يمض عليها ازيد من نصف قرن إلا وقد عارضت بمصنوعاتها النفيسة أحسن المصنوعات التي كانت تعمل في البلاد الشهيرة بعمل الحرائر في ذلك العهد مثل سيين وفيينسيا - البندقية - بل فاقتها بمنسوجاتها المدبجة وحرائرها المزركشة بالذهب والفضة وكان عدد الانوال فيها لا يزيد في سنة ١٧٧٩ عن ١٢ ألف نول فصار بعد مائة سنة من ذلك التاريخ (سنة ١٨٨٩) ١٢٥ ألف نول وزادت قيمة المنسوجات السنوية عن ٤٠٠ مليون فرنك

وهذه مدينة سانت اتيين التي تصنع الشرائط من الحرير وقد احتكرت هذه الصناعة دون سائر بلاد العالم منذ ستة قرون مضت تفوق بطلاوة مصنوعاتا ومزيد انقائها ولطافتها سائر معارضها في البلاد الأجنبية فتصنع أصناف الشرائط ذات الألوان اللطيفة والنقوش الظريفة والأشكال العظيمة الغالية القيمة وترسلها الى سائر بلاد الأرض قاصيها ودانيها وهي تشغل ثمانية عشر ألف نول تعمل في السنة الواحدة ما قيمته تزيد عن مائة مليون فرنك

وحكى لي أحد معارفي من الفرنساويين وقد صادفته في هذا المحل القصة الآتية برهاناً على أن صناعة الحرائر من موجبات ثروة الفرنساويين العظيمة بسبب ما يرسلونه منها الى أنحاء الدنيا ويبيع بمبالغ جسيمة فقال "يوم أمضينا الصلح مع الألمانين في سنة ٧٠ على ان ندفع لهم غرامة خمس مليارات كان الجنرال جرانت رئيس جمهورية الولايات المتحدة يستقبل بعض زائريه فدار الكلام بينهم في هل نقدر فرنسا على القيام بدفع هذه الغرامة العظيمة ورأى الحاضرون أنها لا تقدر أبداً على دفع هذه الغرامة التي لم يسبق لها مثال في سني الحروب الا هذا الرئيس فانه بعد ان سكت طويلاً قال نعم فرنسا ستقدر على دفع هذه الغرامة ونحن الذين سندفعها عنها وهي ما عليها الا ان تُرسل اليها بعض سفن مشحونة بشرايط حربية وأشكالاً من زهورها الصناعية اللطيفة"

ومها تكن هذه الحكاية وان كنت رأيتها بالحرف بعد ذلك في أحد كتب الدلائل فان صنائع الحرير في فرنسا ذات شهرة بلغت مشارق الارض ومغاريها ولا بد ان تكون من مصادر الثروة الكبيرة للاهالي بدليل كثرة عدد العمال الذين يتعيشون منها وعدد أنوال النسيج فيها

وسرنا بعد هذا الى حيث عُرِضت الدتيلات ومصنوعات الجباكة وحاصلات صناعة التطريز والتدبيج - برودري - وجميعها من الصنائع الدقيقة التي تستحق كل العناية

فأما الدتيلة فنقسم الى قسمين دتيلة اليد والدتيلة الميكانيكية فدتيلة اليد تصنع بالآلة في محلات كثيرة أهمها أربعة تنسب الى اسمائها فيقال دتيلة بوي وقد اشتهرت بالدتيلات المصنوعة من القطن او الصوف او

الحريز من جميع الأصناف والألوان ودنتيلة ميركُور وقد اشتهرت بعمل القطع الكبيرة كالشيلان وغيرها ودنتيلة بايوتُم دنتيلة أَلْسُون وقد اشتهرتا بعمل دنتيلات الزينة والزخرفة أكثر من غيرها وبتعيش من صناعة الدنتيلة هذه بفرنسا مائتا ألف عامل وهي قديمة بها موجودة فيها منذ القرن الخامس عشر

والدنتيلة الميكانيكية جلبت الى فرنسا من انجلترا سنة ١٨١٧ وانتشرت بالخصوص في كَالِيه وما جاورها وتعدت بعد ذلك الى كثير من أطراف فرنسا وقد احتوى هذا المثل على بدائع ونفائس كثيرة من عمل هذه الصناعة الدقيقة يقف العقل عن ادراك فهم كيفية تَوَصُّل يد الصانع او المَحْرَك الميكانيكي الى عملها بهذا الانتظام وهذه الدرجة الدقيقة

واما المصنوعات التطريزية والتدييعة - برودري - فهي ثلاثة اقسام اولها البرودري البيضاء المعمولة بالكروشيه وهذه تُصنع باليد او بالميكانيكة وتُستعمل في الأقمشة المنسوجة والملابس وفرش المساكن وثانيها البرودري الملونة او المعمولة من الذهب او الفضة وتُصنع باليد او بالميكانيكة ايضاً وتُستعمل في الملابس التشريفية المزركشة بالذهب والفضة وملابس الضباط العسكريين وثالثها برودري الأبسطه وتطريزها وتدييها

واهم هذه الصنائع التطريزية الثلاثة هي الاولى منها فانها لا يشتغل بها اقل من مائتي ألف امرأة وقد ساعدت على زيادة انتشارها الآلات التي اخترعت لعمل التطريز والتدييعة فان الواحدة من هذه الآلات تعمل عمل خمسين امرأة كما تعمل ماكينة الخياطة عمل مثل هذا العدد من العاملات باليد

اما البرودري التي تستعمل في فرش المساكن فيصنع أحسنها في ليون وباريس

واما الحبكة فأنواعها وأشكالها وكيفياتها لا تدخل تحت حصروهي لا يستغنى عنها في سائر مواد الزينة والزخرفة للمرأة والرجل والمسكن وبهجتها وقد أعجبتنا هذه الصنائع ودقتها كل الإعجاب وأسعدنا الحظ بالعثور على رجل من الواقفين على معروضاتها من طرف اصحابها سألته سؤال استفهام عن شيء من ضمن هذه المعروضات فأخذ رعاية لميئتنا الاجنبية يشرح لنا غرائب هذه الصنائع النفيسة ويبين لنا دقائقها بغاية الترتيب وكمال الانتظام كأنه مدرس يشرح المسائل بغاية البيان والإيضاح ووقفنا بواسطته على ما تيسر من أسرار هذا الفن الدقيق ومعرفة ما استطعنا من محسنات أعماله المعروضة أمامنا ثم اتفينا نحو ملابس الرجال والنساء فرأينا الأشكال والألوان على اختلافها خصوصاً ما يتعلق بالنساء ولا عجب في ذلك فان غالب ما يختص بالنساء وملابسهن وأشكالها وهيئاتها وألوانها - الموده - يُبتدأ دائماً من باريس

ثم قصدنا المحلات التي خصصت بالبرونز والحديد المصبوب وهي من أحاسن المحلات التي تزار لاشتمالها على كثير من الآثار الفنية والمبتدعات العلمية منقولة بواسطة الصب والإفراغ من أحاسن أعمال العارفين من المتقدمين والمتأخرين ولا خفاء في ان ذلك فيه اشارة ذكر هؤلاء العارفين وتمكين الآحاد من التمتع بأعمالهم بأقل الأثمان وأهونها فضلاً عما في استعمال البرونز وحديد الصب من السهولة في العمل حتى على العارفين أنفسهم بالنسبة لئيسر ما يريدون احداثه بواسطة ذلك ثم انتقلنا الى محل صناعة استخراج المعادن واستغلال الغابات وبه الحاصلات الساذجة على الحالة التي استخرجت عليها من الأرض والحاصلات المهيأة والمعمولة بالفعل ويحتوي هذا المحل على أهم دواعي الثروة العمومية وتنقسم

موجوداته الى قسمين قسم الحاصلات المعدنية وقسم أهم الحاصلات النباتية وهي
الأخشاب

اما قسم الحاصلات المعدنية فيشتمل على ما لا يحصىه الا العارفون بأنواع
المعادن ساذجة على حالتها الطبيعية ومصنوعة على حسب الأشكال التي أريدت
منها فالحديد وهو أكثرها نفعا موجود على الحالة التي يستخرج عليها بادئ بدء
غير منتظم ثم على سائر الحالات التي دخلت الصناعة فيها من الآلات الكبيرة
والصغيرة في الحجم العظيمة في الدقة والإحكام ومثل الحديد غيره من المعادن
كالنحاس والرصاص والزنك ومن المعادن العالية كالذهب والفضة وما يلزم
لصناعة هذه المعادن وتشكيلها بتلك الهيئات الصناعية من الفحومات وأدوات الوقود
وقد سبق لنا بعض الكلام على مدخلي قسم المحلات المخصصة بهذه العروض
بمناسبة ذكر الأبواب الواقعة على المشى الكبير فذكرنا ما امكن من توضيح هيئة
هذين البابين وكيفية تزيينها بالحدائد ساذجة او مصنوعة على أشكال مختلفة
متعلقة بالحروب والدفاع عن النفس والوطن

على أن استيفاء الكلام على الحاصلات المعدنية جميعها او الأهم منها يستلزم
الاحاطة بذكر جميع العروض منها او الأهم وكلا الأمرين متعسر اما الاحاطة
فتعسرنا ظاهر جلي فانها تستلزم مجلدات ضخاما واما تعسر ذكر الأهم فلأنه يستلزم
علما تاما بالمصنوعات والمعادن ويستوجب مناقشات ومباحثات في طرق
استخراجها واصطناعها الكثيرة المختلفة وهذا لا يكون الا للمتضلعين في هذه
الفنون السنية ومن سوء الحظ أني لست من هؤلاء

على انك ايها الصاحب القاري ان كانت لك رغبة تامة في الاطلاع

وحب المعرفة في هذا الفن او في غيره من اي فن كان فما عليك الآن لتوجه الى اول معرض عمومي يحصل فإني واثق بانك ستبلغ منه بغيثك من حيث الوقوف على حقائق جمّة وكذلك أن زيارة معرض ما لا تستوجب إمكان الاحاطة بما فيه ولا إمكان التعبير عن جميع ما به بالعبارات التي يشتي الكاتب ان يفهم بها صاحبه الذي يكتابه

وها أنا اذكرك بعض ما شاهدت بحسب الاتفاق فما رأيت كثير من المدافع وما يلزمها من المقذوفات وما يلزم السفن الحربية من أدوات التدريب خصوصاً المدرعات التي دخل فيها الفولاذ المسمى كروم وقد استكشف حديثاً فجعلها غاية في الصلابة والمتانة والمقاومة وما رأيت مقذوفات من مقذوفات المدافع البحرية احدهما لم يستعمل والآخر استعمل ولا يفرق بينها الا بشديد التأمل فانه يوجد بالثاني بعض تاثير يكاد يكون غير محسوس وما ذلك الا من تمام المتانة وشدة الصلابة وحسن الصنعة وما رأيت غير ذلك كثير من أدوات الحرب على اختلاف اصنافها وأشكال شتى من المدافع على اختلاف حجمها ودقة معمولة من الفولاذ وهي قطعة واحدة طولها خمسة امتار وعرضها اربعة ولا يخفى ما في عمل مثل هذه من الصعوبة

ثم تفرجنا على خيوط حديدية تصنع من الفولاذ عظيمة النفع غريبة الشكل ثم انتقلنا الى بعض اعمال حديدية أخرى وما لبثنا ان صادفنا كثيراً من المصنوعات المتعلقة بالحروب والتدمير ايضاً فرأينا الشبكات العظيمة التي تحمي بواخر التورپيل من اخطار المقذوفات ورأينا رفاسات هذه البواخر التورپيلية البديعة النظام ثم صفائح من الحديد تستعمل لأبراج السفن الحربية زنة الواحدة

منها ٢٧٢٥٠ كيلوجرام وشكل صفائح توضع على سطح السفن الحربية زنة الواحدة منها مائة طونولا طه وعشرة

وانتقلنا بعد هذا الى اصناف غير المتقدمة من المصنوعات الحديدية فرأينا كثيراً من الأشكال مما يستعمل في جميع ما يحتاج اليه

ثم انتقلنا الى صنف آخر وهو صنف السبائك الفضية والصفائح الذهبية ورأينا في اثناء هذا بعض أبواب حديدية عظيمة عملت من الحديد والنحاس الأصفر ثم رأينا في دواليب من الزجاج حاصلات النيكل وبيعوارها هيكلان صنعا من الطباشير على مثال بعض القصور التاريخية بقُرطبة يستدل منها على ما يمكن ان يصنع من هذه المادة من الاشياء العديمة المثال

ثم ختمنا هذه الاصناف بأعلاها قدراً وأعلاها سعراً وهو الذهب فشاهدنا معرض المسبوذة لأبوجليلز وقد حوى كثيراً من اصناف الذهب على حالته الطبيعية وصخوراً من التبر على الصفة الفطرية فاذا اعتبرت نُدرة ما اشتمل عليه هذا المعرض من أشكال الذهب الطبيعية الموجبة لعلو القيمة زيادة عن قيمة الذهب العادية كانت مجموعة هذا المعرض لانظير لها في الدنيا

واما قسم الغابات فيشتمل على قسمين قسم يتعلق بغابات الحكومة وهو الذي رأيناه بجهة تروكاديرو وفي ثاني ايام زيارتنا للمعرض وقسم يتعلق بالأحاد وهو ما تفرجنا عليه في هذا اليوم ووجوده كان بهمة المهندس الماهر دُه شامبرلان وقد صرف هذا الرجل الفاضل والعالم الكامل عمره في احياء اقليم لاند من الأقاليم الفرنسية وتحويله من حالته الأصلية وقد كان مُسْتَنْقَعَات مياه غير صالحة للزراعة الى غابات متسعة مملوءة بأشجار الصنوبر والبلوط وغيرها

اغتبت فرنسا عن احتياجاتها في الاخشاب الى الترويج وامريكا الشمالية بل جعلتها
تسابقها في الاتجار بهذا الصنف والربح منه
وكان محل هذه الغابات الزاهرة والأجمات الباهرة قبل ثَيفٍ وثلاثين سنة
قاعاً صفصفاً وصحراء مَيَّتة لا تنبت شيئاً فصار في هذه المدة الوجيزة على ما هو
عليه الآن وعُرِضَ في هذا المعرض من الأشجار التي غرست فيه في سنة ١٨٥٠
وفي السنين التالية لما فكانت أعظم ما نبت في فرنسا من الأشجار حجماً وعظماً
فهذه الاشجار الموضوعة على وجهة المحل وقد غرست في سنة ١٨٥٠ وسنة
١٨٥٦ وصل ارتفاعها الى ١٩ متراً ومحيط دائرة ساقها الى متر وعشرين سنتمتر
ويؤخذ من هذه الغابات قوائم تستعمل في معادن الفحم الحجري يرسل منها
لانجلترا فقط مائتا ألف طونو لاطه في السنة الواحدة وقوائم تستعمل للسلوك التلفزيونية
يرسل منها مئات من الألوف الى سائر اقطار الدنيا كما يصنع من اخشاب هذه
الغابات عوارض لقضبان السكك الحديدية وترايع لتبليط مدينة باريس وغيرها
من المدن تُطْلَبُ منها كمية عظيمة حتى ان مدينة بُونوس ايريس وحدها طلبت
في سنة المعرض هذه فقط اخشاباً للتبليط مقدارها سبعة وثلاثون الف متر مكعب
ثم انتقلنا من هذا المحل الى غيره حامدين آثار الاقدام شاكرين هم الرجال
مرددين الشاء على هذا الفضال واخذنا نتفرج على معرض حاصلات صيد البر
والبحر فرأينا فيه صناعة الفراء المعدة للتدفئة فكم فروة جيدة الصنع رأينا وكما اشكال
اعجبنا ووجدنا بالقرب من هذا كثيراً من اصناف الاسفنج الكبيرة الحجم وبجانها
كثيراً من الملابس معمولة على تقليد الكاستور بحيث لا يُمَيَّزُ عنه اصلاً مع انها
متخذة من جلود الارانب ثم كثيراً من اصناف الصدف واشياء كثيرة وتحفا عظيمة

صنعت منها بحيث صارت من الهج ما بهذا المحل ورأينا كثيراً من اللؤلؤ والمرجان
وأصنافاً شتى من العقاقير وما لا يحصى من مجلوبات صيد البر
وانتقلنا من هذا الى محل الحاصلات الكيماوية ويشتمل على كثير من المواد المهمة
عند ارباب فن الكيمياء مثل المواد الملوّنة وزيت البترول وما يستخرج منه
والعقاقير الصيدلانية والصابون والمواد الشحمية والكواوتشوك واحبار المطابع
ويشتمل ايضاً على كثير من الجلود المصبوغة بالكهرباء وبغيرها وفيه جلود
بعض الغنم مشقوقاً سمكها ثلاثاً دلالة على إحكام صناعة الجلود ودقة آلاتها
وانتهت زيارة هذا اليوم بهذا القسم وقد مضى النهار بنامه واخذ منا التعب
كلّ مأخذ واذا نحن بالقرب من شارع مصر فمُجِّبنا اليه وقصدنا محل صاحبنا السيد
مصطفى الديب فاسترحنا به وشربنا قهوة على الطراز الوطني وعلمنا من الجرائد
المصرية التي وجدناها عنده اخبار مصر واكلنا في المعرض وقصدنا نعيم محاسن
هذا النهار بزيارة فاطمة الحسنة وهي امرأة يهودية من تونس اشتهرت بفرط الجمال
وحسن الاعتدال سمّت نفسها فاطمة ودخلت في معرض التنافس الذي صار
منذ سنين في احدى مدن اسبانيا تدخل فيه جميلات النساء وتحضرهن لجنة
مخصوصة عند تنافسهن للحكم في أحسنهنّ جمالاً واحلاهنّ قدّاً واعتدالاً فن كانت
منهنّ كذلك أُعْطيت جائزة عظيمة فحكمت اللجنة بأن هذه أجمل النساء
المتنافسات فأعطيت الجائزة دون سواها وشهد لها كل من حضر واعترفت اللجنة
والجرائد بأنها أنفُس وأعلى من تقدمن للتنافس في الجمال وسميت من ذلك الحين
بفاطمة الحسنة

وهي في الواقع غاية في الجمال آية في الاعتدال طويلة القائمة متناسبة

الأعضاء بيضاء اللون قانية الوجنت تأخذ بسويداء الفؤاد وتفتن العباد والزهاد
لابسة ملابس مشرقية " يلك وشنتيان " مزدهية بألوانها الوردية مزركشة بالذهب
والفضة منطى صدرها بالحفيف من التل الذي لا يحجب ما وراءه تمايل بمندلين
في يديها وترنم مع آلات الموسيقى الوطنية وترقص متجثرة على نغماتها التونسية
فسبحان من خلق وصور وأبدع في جمال هذه الحسنة الغادة الميفاء

ولم تفارقها الأبعد ان أتمت نوبتها في الرقص وجلست على منصتها العالية
وانصرف المتفرجون فانصرفنا معهم نردد عبارات الثناء على هذه الحسنة ونشكر
هذا اليوم الذي قضيناه في مشاهدة أحسن صنع الانسان وختمناه ببرؤية
ابى الحسان



﴿ اليوم الخامس عشر في باريس ﴾

سابع يوم في المعرض

خصصنا هذا اليوم كما معنا اليه في اليوم الماضي بزيارة المعارض الاجنبية
التي بسراي الصناعات المتنوعة وفي النبة ان نتفرج ايضاً على ما جاور هذه السراي
من بعض المعارض المشرقية الخصوصية ان ساعد الوقت

فابتدأنا يومنا هذا يوم الجمعة ١٦ اغسطس سنة ٨٩ (بمعرض بريطانيا
العظمى) لانه أهم سائر المعارض الاجنبية فان مسطح الارض التي يشغلها يبلغ
٢٢٧٦٧٠ قدماً انجليزياً مربعاً وعدد الذين ارسلوا بضائعهم لعرضها فيه ١٦٠٠
ولم يبلغ معرض من المعارض الاجنبية هذا القدر لا في المسطح الذي يشغله ولا في
عدد من اشترك في العرض على ان الحكومة الانجليزية لم تدخل في المعرض

بصورة رسمية بل اجتمع كبار من تجارها ودخلوا من تلقاء أنفسهم فيه تحت رياسة حاكم مدينة لندن وقت ذاك فبالك لو اشتركت الحكومة بصفة رسمية غير أنها لم تعاكس المشتركون بل ساعدتهم مساعدات معنوية وسبب عدم اشتراكها رسمياً انها حكومة ملكية لاجهورية وهذا المعرض عُمل على رأس السنة المتممة للمائة من يوم وجود الجمهورية بفرنسا

وليس هذا القسم الذي ابتدأنا فيه اليوم شاملاً جميع ما عرضته تجار الدولة الانجليزية في هذا المعرض فان لم في سراي الفنون المستظرفة قسماً خاصاً بهم من نوع ما بها كما ان لم قسماً خاصاً بالفنون العقلية بسراي الفنون العقلية وقسماً خاصاً بماكيناتهم بسراي الماكينات فضلاً عما لم بقصور مستقلة كالقصر الهندي وقد سبق لنا الكلام عليه وغيره من القصور المشيدة في غير هذا المكان

ولا غرابة في ان يكون لتجار هذه الدولة محلات عديدة وحاصلات متعددة فهي أم مستعمرات كثيرة بل أم الاستعمار في حد نفسه والأنموذج الذي يكون العمل بمقتضاه فيه

ونحن الآن نقتصر على ذكر قسم معروضات انجلترا الموجودة في سراي الصناعات المتنوعة وذكر القسم الملاصق له فيها وقد خصص بمعروضات المستعمرات الانجليزية

وقد حسن الانجليز ما خصص بهم وصرفوا على تحسينه مبالغ طائلة رغبة في ان يكون تحفة يفتخر بها وأثراً يذكر بعد حين دالاً على تقدمهم في الصنائع والفنون واعتنائهم بأمر التنافس المتعلق بها فجعلوا مدخله عبارة عن ثلاثة ابواب حسنة الصنع وعلى كل باب منها شارات المالك الانجليزية الاصلية الثلاثة

— انجلترا وايكوسيا وايرلانده — تحيط بها الاعلام والرايات على أحسن كيفية وأتم وضع ونقشوا بأخشاب السقف أسماء مدن انجلترا الاصلية والرموز الدالة عليها وانزلوا من جهة اعلاها أعلاماً كبيرة يدل كل منها على المدينة التي ارسلت حاصلاتها الى هذا المعرض فصار هذا القسم من بين اقسام المعرض يقصده الناس كثيراً للتفرج عليه لما هو عليه من الزينات والزخارف ولما نُقش بمجدرانه ومحلاته من النقوش الذهبية والفضية

أما وصف الاشياء المعروضة وذكر محاسنها فأمر لاسبيل الى استقصائه فإنه يستلزم من التفصيل ما يطول معه الشرح ويكفي ان يقال ان هذا المعرض حوى جميع الاصناف التي حوتها الاقسام الفرنسية المجاورة له اما اذا كان لابد من اعطاء بعض تفصيلات فنذكر ما استلفت الأنظار اليه أكثر من غيره بشرط ان هذا التخصيص لا ينجس شيئاً من حقوق العروض التي لا ندخلها فيه فهذه مصنوعات البلور وأواني حوت من النفائس أعظمها وهذه الحاصلات الخزفية والصينية شملت من التحف أحسنها ومن جملتها إناء صيني لم يبلغ كبره إناء غيره في الدنيا بأسرها وهذه المنسوجات الصوفية جاءت من المحاسن بالطفها وهذه غيرها من المصنوعات كالملابس والشموع والأحذية والأسلحة والذخائر الحربية وأثاث المنزل وفرشه والكراسي اللطيفة والتحف القيشانية وهذه الفضيات وأدوات السفرة ومنها مجموعة الملاعق العديمة المثال التي اعتمدت بها طائفة الصاغة بلندره حتى صارت كل واحدة منها غاية في الجمال والاستحسان الى غير ذلك من عجائب المصنوعات الانجليزية التي بلغت حد النهاية في الاتقان وحد الكمال في تمام التحسين والامعان

اما محل المستعمرات الانجليزية وهو بجوار الحل المتقدم كأنما هو قطعة منه
فقد اشتمل على معروضات بلاد كندا التي تعالت كل التغالي في اختيار ما
ارسلته من المصنوعات

واشتمل ايضا على معروضات مستعمرة فيكتوريا ومستعمرة زيلانده الجديدة وقد
تغطت جدران هذا القسم بالرسومات المنبثة عن هيئة أرض تلك الجهات الحديثة
وكيفية المعيشة بها وأهمها غرس الكروم واستغلالها والبحث على معادن الذهب
واستخراجها واغرب ما بهذا القسم باب تشيد من آجر ملون بلون ذهبي له عقد
من جنسه فجاء مرتفعاً عظيماً وليس به غير هذا الأجر الذهبي ظاهراً وباطناً قصد
به تمثيل الذهب الذي استخرج من معادن استراليا الذهبية من يوم استغلالها حجماً
ووزناً الى الآن بالتمام وقد احتوى هذا القسم سوى ما ذكر على كثير من معادن
الذهب والفضة والنحاس على حالتها الاصلية كما احتوى على كثير من الطيور
الغريبة والدواب العجيبة والوحوش الغير المألوفة على هيئتها الحقيقية محشوة بالطين
(مصبرة) واشتمل على كثير من الازهار والنباتات المجففة والاشباب المختلفة
والفراء الكثيرة الأشكال والالوان

ولمستعمرة فيكتوريا غير ما تقدم بيت صغير من الخشب في قسم تروكاديرو
جعل لعرض حاصلات أنبذتها بتوارد عليه الكثيرون لمعرفة ماهيتها وحالاتها من
الجودة والطعم وغيرها

ومعروضات سيلان كثيرة عظيمة منها الخيزران وجلود الثعابين والعاج
وغیرها من الاشياء التي ترغيبها الأوروپيون لغرابتها
وحكومة الكاب ارسلت اشياء كثيرة اخصها حجارتها الالمانية ذات الشهرة

العظيمة التي هي سبب غناها وسعادتها

ومالطه وجبل طارق وهونج كونج وكثير من الجزائر المنتشرة في البحار وجم
غفير من البلاد الواقعة بجهات مختلفة من الكرة الارضية التابعة للمملكة الانجليزية
ارسلت كثيراً من المصنوعات وعرضت اشياء لا تحصى من احاسن المعروضات
ثم انتقلنا من هذا القسم الى قسم (معروضات الدانيمارك) وهو يجاورته وقد
ساعدت الحكومة بمبلغ مائة ألف كورون على ايجاده وعدد عارضيه ١٥٠
ومساحته لا تبلغ غير ٥٥٠ متراً رباعياً في شان ديه مارس وفي كيه دوزسي وهي
وان كانت قليلة الا انه اعتنى فيه اعتناء كبير فقد نقش جدرانته من الداخل اشهر
رسامي الدانيمارك فرسم القصور الملوكية الموجودة بالمملكة جميعها على هيئتها الحالية
ورسم على وجهه طيوراً وازهاراً يقدُرُها اصحاب الفن حق قدرها ويحلونها من
التعظيم محلها

وقد اشتمل على اشياء منتقاة من المصنوعات الذهبية والفضية وعلى أدوات
تعليمية ومدرسية وما يستلقت الأنظار فيه أكثر من غيره مصنوعات بعض الآحاد
التي عُرِضت به فانها بلغت من الاتقان غاية فذه معروضات الأثاث المنزلية
من جملتها باب صنع أحد التجارين يعجز عنه كثير من الأساتذة وهذه معروضات
المصنوعات الحديدية فيها كثير من الاشياء النفيسة وهذه الأواني الخزفية بعضها
معمول باليد وهو مع ذلك يفوق عمله احسن الأعمال الشهيرة وهذه والبسط
بعضها عمل على تقليد ما يعمل بجبلان بفرنسا فجاء مثله بالسواء وهذه امرأة عرضت
مصنوعاتها في التطريز وقد صوّرت فيها بعض الأزهار فجاءت غاية في الابداع
ولنذكر هنا للاحاطة القصر الذي بناه أحد الدانيماركيين في قسم المعرض

المسمى كيه دورسي وان كنا سنذهب فيما بعد اليه لأنه عرض فيه حاصلات
الجمعة - البيرة - على اختلاف اصنافها ومصنوعاتها

ثم بعد هذا انتقلنا الى قسم (معرض بلجيكا) وقد استحصلت الحكومة من
المجالس النيابية على مساعدة من اجله قدرها ٦٠٠٠٠٠ فرنك وان لم تشارك فيه
رسمياً نظراً الى انها حكومة ملكية

اما الأهلون فقد اشتركوا فيه بكل ما امكنهم نظراً الى الفوائد التي لا بد
ان تحصل منه لصنائعهم فتحصلوا على مسطح قدره ١٣٠٠٠ متر مربع منها في
سراي الصناعات المتنوعة التي نحن فيها الآن ٣٧٥٠ متراً مربعاً ومنها ٤٠٠٠ متر
في قاعة الماكينات والباقي في سراي الفنون المستظرفة وسراي الفنون العقلية وقسم
كيه دورسي وغير ذلك

ووجهة المعرض البلجيكي في سراي الصناعات المتنوعة خمسون متراً ذات
باين كل منها له خمس فتحات مشكلة من نفس الحاصلات المعروضة وقد وضع
في أعلى كل منها خريطة مجسمة رُسم في احداها بلجيكا وفي الأخرى افريقيا بما
فيها الكونغو التابع لبلجيكا

وقد حوى هذا المعرض جميع حاصلات بلجيكا الصناعية ففيه الدانتيلات
باصنافها المتعددة على رقّة اشكالها ودقة صناعتها وفي وسط محل الدانتيلات
مكان بديع الشكل مرتفع قليلاً من سائر اطرافه يشتغل فيه كثير من النساء
بعمل هذا الصنف على رأي من الزائرين وفي هذا المعرض المصنوعات البلورية
والصينية والبرونزية والصنائع الفنية كافة وفيه العربات على اختلاف اصنافها
واثاث المنزل والفرش والحاصلات النسيجية من قطن وصوف ولوازم الحرية

في فسطاط نُصِبَ في وسط المحل وجعل بالقرب منه معرض الأسلحة والسكاكين والخناجر

وفي الممشى الواقع أمام الوجوه الأصلية لهذا المعرض رُسمت مينا أنقرس البليجيكة الشهيرة مستوفاة بتمامها ليطلع العالم على استعدادات هذه المينا التجارية العظيمة وإحكام نظامها

وفي مقابلة محل المعرض بعض أبنية جعلت فيها معارض خصوصية أهمها معرض معادن ماريون وبأسكوب صنُع من اشجار الصنوبر بيئة لطيفة وعرض في داخله رسم مجسم عن هذه المعادن وكيفية استخراجها ورسم آخر أكبر منه بقياس ١/١٠ رُسمت فيه إحدى الآبار بجميع لوازمها من ماكينات اخراج الفحم وآلات التهوية لمن فيها وماكينات تنزيل العملة للبئر واخراجهم منها وبجوار هذه الرسومات نموذجات من الفحم مختلفة القدر والصنف

ثم انتقلنا بعد هذا الى (معرض هولانده) ولم ترغب حكومة هذه البلاد الاشتراك في هذا المعرض ولا مساعدة من يريد الاشتراك فيه ولكن لما كانت البلاد تجارية صناعية لم يوقف اهاليها عدم المساعدة من حكومتهم عن عرض حاصلاتهم في هذا السوق العمومي بل أَلْفَ الأغنياء منهم جمعية لعرض حاصلاتهم وللمساعدة الفقراء على الاشتراك في عرض بضائعهم أيضاً فتمكنوا من عرض محصولاتهم حسب ما رغبوا أكثر من غيرهم الذين ساعدتهم حكوماتهم واتخذوا محلات خاصة بهم في سراي شانده مارس وفي سرايات أنقاليده والصناعات المتنوعة والفنون العقلية والمستنطرة فضلاً عن القرية الهندية التي شيدها في أنقاليده وسيأتي الكلام عليها بعد حتى كان مسطح المحلات التي شغلوها ٨٥٠٠ متر مربع

أما قسم الصناعات المتنوعة الذي نحن به الآن فبمجاورة المعرض البلجيكي وجهته عُمَات على الطراز القديم المستعمل في تلك البلاد من قبل ذات باب كبير في الوسط به عقود مغطاة بالأعلام والرايات الوطنية وفوقها رسومات ترمز إلى وقائع عظيمة تاريخية رسمها أحد مشاهير الرسامين

وقد ارسل الهولنديون لهذا المعرض أحسن صنائعهم من كل صنف فحجاء بديع النظام نخص بالذكر ما عرضه البسط الفاخرة المعمولة بعمل إيفنتر الملوكي تقليداً للبسط القديمة وهي جيدة للغاية عظيمة جداً في النقوش وإحكامها والرسوم وإتقانها يبلغ سمك الواحد منها تسعة سنتيمتر ثم اقمشة معمل دِلْفَت المشهورة في جميع أنحاء العالم ثم العربات المعدة للركوب بأصنافها ثم في وسط المحل عموداً عظيماً مؤلفاً من قناني زجاج مختلفة الألوان فصار شكلها لهذا لطيفاً جداً ثم رسومات مختلفة عن كثير من الأعمال العمومية كالقناطر والترع والجسور والمواني ورأينا كثيراً غير ذلك من الأعمال المهمة

وبجوار هذا المحل وملاصقته معرض المنحقات الهولندية وقد احتوى على غرائب الأشياء وبدائعها أصلية في البلاد ومستحدثة فيها أوجدتها المعمارون من الهولنديين مما دل على زيادة مهارتهم وعظيم نشاطهم منذ استحوذوا على هذه المستعمرات الهائلة والبلاد المتسعة الشاسعة فعمروها التعبير العظيم واصلحوها الإصلاح الجسيم وانتفعوا منها النفع العظيم على قلة عددهم وصغر حجم بلادهم ولهذا البلاد أيضاً منحة للألباس بقرب برج إيفل سبق لنا الكلام عليها وانتقلنا بعد هذا إلى (معرض أوستريا هنكاري) وقد امتنعت الحكومة عن الاشتراك في هذا المعرض امتناعاً كلياً ولم تكتف بذلك بل منعت اكتتاباً كان

حصل بواسطة المجامع التجارية للاشتراك فيه وحرمة كل التحريم فاضطر الذين يريدون الاشتراك الى تأليف لجنة في باريس من رعايا حكومة النمسا والمجر المقيمين بها للقيام بهذا العمل المهم رغبة في عدم حرمان بلادهم وصنائعها من مزايا هذا التنافس السلمي فجمع الاكتاب الذي عملوه ١٧٥٠٠٠ فرنك استعملت في تنظيم قسم المعرض الذي نحن فيه وزخرفته وتزيينه وهو يشغل في سراي الصناعات المتنوعة ارضاً مسطحها ٢٤٠٠ متر مربع فضلاً عما يشغل في سرايات الفنون العقلية والمستظرفة وغيرها

وبلغ عدد الذين اشتركوا في عرض بضائعهم فيه ٣٢٥ ووجهة هذا المعرض تمتد بإزاء المعرض البلجيكي صنعت على هيئة درابزين لطيف الوضع حسن الصنع داخلها مزين بالأعلام والرايات والرموز والشارات الخاصة بالمدن الشهيرة الاوسرية المنكارية مع اسماء هذه المدن

وقد صفت الاشياء المعروضة صفاء ورُصت رصاً بكيفية تسهل الاطلاع عليها وتمكن من مشاهدتها وقد اعجبنا منها الصناعة المتعلقة بالبلور من عمل بوهيميا ثم صناعة الجلود ونفاستها وصناعة العقيق وطلاوتها ثم دواليب المصوغات والحلي والجواهر المحبوبة على اشياء غريبة من عجائب المصوغات فقد أخبرنا بوجود سلسلة ذهبية في احدى هذه الدواليب توضع في قمع الخياطة - كشتبان - وطولها مع ذلك ستة امتار كاملات ثم صناعة المداسات المزخرفة المشهورة في بلاد العالم ثم صناعة البسط ذات الشهرة قديماً

ثم في بناءين ملحقين بهذا القسم معروضات المعادن والاشخاب اللتين هما سبب سعادة هذه المملكة وعمارها ومن ضمن ما جلب بقسم الاشخاب شجرة محيط

ساقها من الأسفل ستة أمتار وزنتها ١٤٠٠٠ كيلو جرام وطولها ثمانية أمتار وبالاختصار فإن هذا المعرض كله على ما هو عليه من القلة يجاري أحسن المعارض لما احتوى عليه من منتخبات الآثار فما بالك لو اجتمعت فيه جميع اصحاب الحاصلات والصنائع وسائر التجار

وانتقلنا من هذا الى (معرض ايطاليا) وقد امتنعت الحكومة الطليانية كل الامتناع من الاشتراك فيه ايضاً فقام الاهالي بهذا العمل وعقدوا لذلك الجمعيات واكثروا من الاكتنابات فاكتب السنيور سوتزنيو الكتيبي وحده في ميلانو مبلغ ٥٠٠٠٠ فرنك ومجمع تجار رومة اكتب بعشرين ألف فرنك ومجمع تجار نابولي ١٠٠٠٠ فرنك حتى تجمع في اقرب زمن ٣٥٠٠٠٠ فرنك صرفت على تشييد المعرض الطلياني بشأن ده مارس ودل هذا دلالة صريحة على حب الأيطاليين لآخوانهم الفرنسيين ورغبتهم مشاركتهم في هذه المسابقة التمدنية

وقد اشترك منهم في هذا المعرض سبعمائة وشغلوا ارضاً قدرها خمسة آلاف متر مربع في سائر جهات المعرض

واهم ما عرضه. بسراي الصناعات المتنوعة وقد اعتنوا كل الاعتناء بحسن زخرفة محلم فيها وتزيينه وجعلوا اللون الغالب في ألوانه على ما سواه اللون الأحمر فاعطى هذا المحل بهجة ورونقاً اما الوجهة فقد عملت من الفسيفساء والرخام الأبيض على مقتضى رسم تبرع به اكبر اسانذة رومة وصرف عليها وحدها ٤٥٠٠٠ فرنك فنجأت في غاية الاتقان والاحكام

واهم ما في هذا المعرض من المصنوعات اتقاناً واكثرها تقدماً وإحساناً هي المصنوعات الزجاجية والبلورية مجلوبة من وينيسيا - البندقية - المشهورة بهذه

الصناعة من قديم الأزمان ثم الدانتيلات على اختلاف اجناسها والمصنوعات الخزفية والصينية مرسله من مصانع مدينة فلورانس الزاهرة ومصنوعات المرجان مرسله من فابريقات نابولي

اما مصنوعات النسيج فلم يوجد منها في المعرض اصناف كافية وافيه فإن اصحاب المعامل الكبيرة في هذه الاصناف اصرؤا على الامتناع فليس منها الا معروضات اصحاب المعامل الصغيرة فهي بهذا الاعتبار قليلة وان كانت في حد ذاتها محكمة الصناعة تدل على تقدم هذه البلاد في مصنوعات النسيج

هذا اهم ما في هذا المعرض اما باقي المصنوعات فهي باقسامها المخصصة بها في المعرض العمومي فالميكانيكا مثلاً بقاعة الماكينات والرسومات بسراي الفنون المستظرفة وهلم جرا في كل الاشياء حتى في التديير الاجتماعي - إيكونومي سوسيال - فانها عرضت فيه ما دل على مزيد تقدمها في سبيل العمران وعرضت ايضا بهذه المناسبة رسماً مجسماً عن مدينة نابولي وما توي اجراءه في سبيل تطيب هوائها واصلاحها على مقتضى القواعد الصحية الجديدة

ثم انتقلنا من هذا الى (معرض سويسره) وهذه لم يوجد تردد أول الأمر وآخره في اشتراكها في هذا المعرض اذ كانت اول الدول اللاتي قبلن به رسمياً واخذت من ذلك الحين تستعد للحضور فيه فعينت مجالسها النيابية مبالغ المساعدة وجعلتها ٤٥٠٠٠٠ فرنك ولم تكتف اقاليمها بذلك بل اخذت هي ايضا نقرر مبالغ لترويج عرض مصنوعات الخاصة بها مثل زوربك في الحرائر وجنوة ونوفشابل في الساعات وسان جال في المدبجات وفو في الانبذة والمشروبات حتى كان الاعتناء بأمر المعرض عاماً ورغبة الاشتراك فيه سائدة عند جميع هذا الشعب

فاشترك فيه ١١٠٠ وشغلوا أرضاً مسطحها ٦٥٠٠ متر مربع مع أنهم لم يشغلوا في معرض سنة ١٨٧٨ غير ٥٠٠ متر فقط وانتخبوا البضائع والمصنوعات التي ارسلوها فجاء معرضاً شائقاً يفتخر به

وليس في الإمكان بيان ما احتوى عليه هذا المعرض بتفاصيله في غير سراي الصناعات المتنوعة التي نحن فيها الآن فقد اشترك من السويسريين في قاعة الماكينات فقط ١٢٨ بل ولا في هذه السراي لكثرة وتنوع ما فيها وإنما تقتصر على الاماع الى ما استلفت انظارنا بوجه خصوصي فهذه الحرائط الطبوغرافية ليس في الامكان الوصول الى أزيد مما وصلت اليه اتفاقاً وهذه المعروضات المدرسية لا يستغرب معها بلوغ هذه البلاد في الصنائع درجة الدول الفخيمة على صغرها مادام هذا شأنها في أمر التعليم وتحسينه والاعتناء بأمره من زمن مديد وهذا معرض الساعات ويشغل وحده ٢٥٠ متراً مربعاً واشترك فيه ١٦٠ لايسعنا الاّ مجرد ذكره ونكتفي بذلك عن الاطناب في البيان وقد احتوى من مصنوعات جنوه ونوفشاتل على اصناف لم يسبق لها مثيل قبل الآن دلت على ان هؤلاء وصلوا ذروة الارنقاء العليا في هذا الفن الجليل وهذه حرائر زوريك يحتوي عليها دولاب عظيم اثبتت مزيد التقدم في عمل الحرائر خصوصاً ذات الأثمان المتهاودة منها وهذا معرض الدانتيلات والمديجات المصنوعة في أبانز بل وسانجبال غاية في اللطف خصوصاً ما حواه من الستائر اللطيفة وهذه صناعة الألبان دلت على حرص هؤلاء القوم والتفاتهم الى صالحهم بما يصنعونه في اقليم فيني من الألبان المركزة او المحففة في الدقيق فيبيعون منها مبالغ كثيرة في سائر البلاد حتى في امريكا بأثمان عالية مع كون أصل الألبان عندهم رخيصاً وان كان جيداً حسناً لطيب المراعي

وهذه الشكولاته وهذا الجين وغير ذلك مما يدل على تقدم هؤلاء الاقوام وهذه الملابس الوطنية من أقدم الازمان الى الآن ملبسة لأشخاص مجسمين في هذا المعرض هي من اسباب الرغبة فيه وتزاحم الناس عليه افواجا ابتغاء التفرج على هذه المبيئات الظريفة والمناظر اللطيفة

ثم تخطينا بعد هذا الى (معرض الولايات المتحدة بأمريكا الشمالية) وقد قبلت هذه الجمهورية الاشتراك في المعرض بادئ بدء وقررت مجالسها النيابية بكل السهولة وتنام الانشراح ١٢٥٠٠٠٠ فرنك للقيام بهذا العمل وتعهدت الحكومة فضلاً عن ذلك بنقل الحاصلات التي يراد عرضها على حسابها وعينت مندوباً عاماً من قبلها للقيام بأمر المعرض وعينت كل ولاية من الولايات المشكل من مجموعها هذه الجمهورية - وعددها ٣٨ ولاية - عضواً مندوباً عنها فاجتمع هؤلاء تحت رئاسة المندوب العام واخذوا يستقبلون طلبات الاشتراك في هذا المعرض ويتخبون منها حتى اقروا على ١٥٠٠ طلب وتحصلوا للطالبين من إدارة المعرض على أرض مساحتها في جميعه ٨٠٠٠ متر مربع

اما هيئة المحل في سراي الصناعات المتنوعة فجميلة مع حالته الساذجة وقد وضعوا فيه من الداخل أعلام الولايات التي كوّنت هذا الاتحاد الجمهوري وجعلوا في وسطه محلاً لطيف الشكل خصصوه بالمعادن الذهبية والفضية والألماسية على هيئة الطبيعة التي تستخرج عليها وجعلوا حوالي هذا اربع معارض صناعية فنية رأوا فيها مزيد الأهمية عن غيرها من كل المعارض اولها محل جُوزهام وشركائه أكبر صاغة نيويورك من ضمن ما فيه اناء فضي جميل الصنع ارتفاعه متر وثمانية وعشرون سنتيمتر وزنته ستون كيلوجرام وثمنه مائة

وخمسة وعشرون ألف فرنك وحول هذا الإثراء مصوغات كثيرة من عمل الميناء وغيره وثانيها محل تيفاني الجوهري يوجد به كثير من الألباسات والمجوهرات ومن بينها عقد قيمته مليون فرنك وثالثها محل ميشيدان وقد اختص أكثر من غيره بعمل صفائح الفضة وما ينتج منها ورابعها محل كولامور الشهير بعمل البلور والأواني الصينية الغريبة الأشكال

وقد عرّض إيديزون الشهير في هذا المحل بعض أشياء قليلة اعتماداً على ما عرضه في قاعة الماكينات فلم نر له هنا غير بعض آلات من المسماة جرافوفون وهي آلة تكتب ومن المسماة فونوجراف وهي آلة تحفظ الصوت ثم تتكلم به

وقسم الكهرباء هنا غاية في البهجة والالتقان ففيه معرض تليفونات بيل الشهير ومن ضمن ما به قائمة من قوائم التليفون معدة لأن تحمل ثمانين خطاً من خيطاته وفيه معروضات كومبانية الكهرباء بأصنافها العديدة ونمذجات من مدينة نيويورك عن كيفية تسير السلوك التليفونية فيها تحت الأرض والآلة المسماة تيلونوجراف اختراع جراثر وهي آلة تكتب من مسافة بعيدة ثم مجموعة اعتنى بجمعها أحد العلماء ضمت جميع ما كتب من جهة الكهرباء من عهد ظهورها إلى الآن

ومن ضمن المعارض الأبركانية التي تسلفت الانظار — وإن كانت كلها موجبة لذلك إذ أن أميركا هي أم العجائب — معرض الأخشاب المنحجرة وقد استخرجت من غابة كبيرة تحجرت جميعها تحتوي على غرائب وبدائع من الأشكال وقد جمع هذا المعرض أشياء كثيرة غير التي ذكرناها من الأسلحة النارية والدخان والشوكولاته حتى صور منها صورة الزهرة مجسمة وكثير من الآلات

النافعة منها آلة لكنس البسط بدون ان يتطاير منها غبار الى غير ذلك
ومن اهم ما يوجد في قسم التعليم من هذا المعرض رسوم محلات المدارس
والمكاتب الموجودة في هذه الجمهورية مأخوذة بالقطوغرافيا فقد دلت بكثرتها
ونظامها وضخامتها على الاعتناء بأمر التعليم في تلك الانحاء ولا بدع حينئذ أن
فاقت هذه الأرض المستعذثة ارض اوروپا القديمة في الصنائع والفنون
والآداب

واما قسم الزراعة فحدث عنه ولا حرج لانه جمع من اصناف المحصولات
واجناس النباتات ما دل على حسن تربة هذه الارض ومن الأدوات البخارية
وغيرها المستعملة في الزراعة بسائر اصنافها وفي كل أوقاتها ما جعل قليلين بالنسبة
الى أرضهم ينتفعون بهذه الأرض المتسعة الأرجاء ويتمتعون بغيراتها تمام التمتع
ومن أجل ما بهذا القسم الزراعي قصر سبي بقصر الذرة لانه عمل جميعه
من الذرة ونباتها واشتمل داخله على سائر الاشكال التي تعمل من الذرة المألوفة
وغير المألوفة

ثم انتقلنا الى القسم المخصص (بمعرض اسبانيا) وهي لم تشترك رسمياً في
المعرض مراعاة لحكومتها الملكية وان ساعدت فيه مجالسها النيابية بمبلغ ٥٠٠ ألف
فرنك وعينت الحكومة لرياسة لجنته احد اعضاء مجلس النواب واستصدرت
نظارة مستعمراتها امراً ملكياً باعطاء جزيرة كوبا مائة الف فرنك واعطاء خمسة
وسبعين الف فرنك الى جزائر فيليبين وخمسين الف فرنك الى جزيرة پويرتوريكو
لمصاريف اشتراكها في المعرض فصدر الامر بذلك ولم يمنعها عدم اشتراكها الرسمي
من الاستحصال على محلات متسعة في سراي الصناعات المتنوعة وفي غيرها

لاسيانيا ولستمعمراتها فقد شادت محلاً للحاصلات الزراعية والغذائية عرضت فيه ما عندها من الأنبذة والمشروبات والفواكه يشغل ١٠٥٠ متراً مربعاً فاذا أضفنا اليها مثلها من الطبقة العليا كان المجموع فوق الفي متر مربع وشادت محلات لستمعمراتها مسطحها ٣٠٠ متر مربع وشادت نحو اثني عشر محلاً وضعت فيها حاصلات من الدخان والأنبذة والمشروبات والفواكه للبيع منها لمن يريد ذوق طعمها رغبة في زيادة معرفة الناس بها فضلاً عن قاعتين خصصتا بهذه المملكة في سراي الفنون المستظرفة وقاعة في سراي الفنون العقلية مساحتها ١٥٧ متراً كل ذلك غير قاعة كبيرة بسراي الصناعات المتنوعة مساحتها ١٢٩١ متراً مربعاً وهي التي نحن بها الآن.

وقد اشتملت هذه القاعة على كثير من الأقمشة والقطائف والدانيات والظرائف والروائح العطرية المستخرجة من الأزهار الكثيرة في تلك البلاد وعلى كثير من معادن الذهب والحديد والرصاص والفضة المنتشرة في أرضها وكثير من الأدوات والآلات المستعملة في سائر اللوازم وكثير من المدي والسكاكين واصناف الشيش من عمل طليظة القديمة الشهيرة التي كانت لتسابق على اقتناء اسلحتها الفرسان في قديم الأزمان وكثير من آلات الموسيقى المصنوعة بالصنائع الدقيقة من الصدف وسن الفيل ومنها الطنبور الكثير الاستعمال في هذه البلاد وكثير من الآلات الهندسية ومتعلقات الاشغال العمومية والأدوات الحربية.

ولانسي قبل ان نغتم المقال في هذا الباب ذكر ما حواه سراي الفنون العقلية من المباني الأثرية الأندلسية اذ مثلوا منها كثيراً من القصور السلطانية الإسلامية الموجودة في تلك البلاد من يوم كانت تحكمها العرب فوضعوا هذه

الآثار في ذلك المكان دلالة على ما كان عليه العلم وما وصل إليه الإدراك والفهم وحصلت عليه القدرة الانسانية في تلك الازمان الحالية ايام تلك الدول الماضية التي اضعفتها يد الترفه والسفه والتفرق وعدم اتحاد الكلمة

وانتقلنا بعد هذا الى (معرض البيرتغال) المجاور لمعرض اسبانيا وقد شابهت معروضاته معروضات اسبانيا لمجاورة البلدين واحتوى على اشياء كثيرة دلت على تقدم هذه الدولة الصغيرة حتى إن المندوب من قبلها - وهو من محرري الجرائد ومن النواب - لما رأى عدم كفاية المحل الذي خصص بها في سراي الصناعات المتنوعة استحصل على ارض بضفة نهر السين بني فيها بناء عظيمًا صرف عليه مائتي ألف فرنك مشتملاً على طبقة أرضية وطبقتين فوقها يملوها برج ارتفاعه ٣٥ متراً على طراز الأبنية القديمة البيرتغالية التي كانت تُبنى في القرن الخامس عشر من الميلاد وقد احتوى هذا البناء على المواد الغذائية والزراعية وأدواتها وغير ذلك من الحاصلات التي لم يسعها المحل المخصص بهذا المعرض في سراي الصناعات الذي نحن به الآن على ان حكومة البيرتغال لم تدخل المعرض بصفة رسمية وان أقرت مجالسها النيابية على مبالغ كثيرة لمساعدة هذا المشروع الجزيل النفع للصناعات والحاصلات البيرتغالية

وتفرجنا بعد هذا على (معرض اليونان) وقد اشتركت هذه الدولة في المعرض اشتراكاً رسمياً مجرد دعوتها اليه وقررت مجالسها النيابية مبلغاً قدره مائتا ألف فرنك لهذا الغرض باتحاد جميع الآراء وما ساعدها كل المساعدة وجود معرض وطني عندها قبل هذا بوقت قريب انتخب منه أعضاء اللجنة المنظمة له وهم من كبار الأغنياء ما رأوه جديراً بان يُعرض في باريس من المصنوعات والمحصولات

الوطنية وتبرعوا زيادة على ما تقدم بمائة ألف فرنك فبلغت الاعانة كلها ثلاثمائة ألف فرنك وانضم الى هذا ان تعهدت الحكومة بنقل جميع البضائع والمحصولات التي ترسل الى المعرض في بواخرها مجاناً الى مرسلها

وقد صار تشييد وجهه هذا القسم على هيئة العمارات القديمة اليونانية على طول ٣٥ متراً وارتفاع ١٢ متراً فجاءت غاية في العظم والرونق وقد صوّروا بجانبها من الخارج صوراً مثلوا بها بلاد اليونان القديمة من جهة وبلاد اليونان الحديثة من الجهة الأخرى كما انهم كتبوا من الداخل اسماء المدن اليونانية القديمة الأربعة وهي أثينا وكورنثيا وسبارتا وتيبة من جهة واسماء الحديثة الأربعة وهي بيريه وسيراكوز وكوزفو وپتراس من الجهة الأخرى وزينوا جدران المحل من الداخل بالبسط الفاخرة المصنوعة في البلاد

وهذا القسم يشغل في سراي الصناعات المتنوعة نحو ٦٠٠ متر مربع وعدة من عرض به المحصولات والبضائع والمصنوعات ألف وخمسون وكثير مما عرض غرر نذكر منها ما استلفت نظرنا فيها أكثر من غيره ألا وهي الحرائر على جمال أشكالها وألوانها وكثيرها من عمل اليد ثم البسط اللطيفة الألوان المصنوعة باليد ايضاً ثم الرخام بأنواعه فمنه الأخضر الجميل وهو المصنوع من مثله عُمُد جامع آيا صوفية بالاستانة ومنه أحمر ذو عروق زرقاء وسوداء لم يكن معلوماً الا حين هذا المعرض فقد اكتشف حديثاً في جهات من جزيرة شيبو اليونانية ثم المعادن من رصاص وفضة ثم الفواكه الجافة والأنبذة التي تفتخر بها اليونان ثم فطوغرافيات أخذت عن صور وتماثيل غاية في القدم صار العثور عليها حديثاً وهي آيات في حسن الصناعة ودلائل واضحات على غاية البراعة وقد استنتج بعضهم من انجاس

الثديين في هذه الصور ووقوفها بارزين فيها ان الصدر - كورسيه - التي تستعملها النساء الآن في رفع الثديين ليست بالشيء المستحدث بل سبقتهن اليها نسوة العصور الاولى ولا بدع فالنساء هن النساء في كل زمان وأوان

ثم تفرجنا على (معرض رومانيا) وهي كغيرها من الدول اللاتي لم يردن الاشتراك في هذا المعرض من اول الامر حتى اضطرها الى ذلك الأهلون وذلك ان مأمور فرنسا السياسي في رومانيا لما توجه اول مرة لمقابلة رئيس وزرائها وطلب الاشتراك منه في المعرض اجابه بعدم امكان ذلك " لا لأسباب سياسية بل لأسباب اقتصادية " ولما ان توجه بعد مدة الى الوزير الذي خلفه وكانت الوزارة تغيرت اجابه بعدم امكان حكومته الاشتراك في المعرض " لا لأسباب اقتصادية بل لأسباب سياسية " فتأكدت من ذلك عدم الرغبة واستمر الحال على عدم الاشتراك فقام المسيو سيوركو أحد الرومانيين القاطنين في باريس واهتم بالامر وكتب منشوراً الى الأمة الرومانية طبعته سائر جرائد رومانيا معضدة له قالت الاهالي الى ذلك الامر وعضدوه ودخل فيه البرنس بيسكو وهو من الرومانيين المشهورين بحجة فرنسا وتألفت في الحال لجنة كان منها الوزير الذي احتج بالاسباب السياسية دون الاقتصادية وقد كانت تغيرت وزارته ايضاً فاضطرت الحكومة رغماً عن عدم اشتراكها الرسمي ان تطلب من المجالس النيابية مساعدة لهذه اللجنة الوطنية التي تألفت فقررت مائتي الف فرنك وانضم اليها ٨٠٠٠٠ من اكتاب اجرتة اللجنة و ٢٢٠٠٠٠ فرنك من لوتريه - يانصيب - اجرتها اللجنة تحت اسم يانصيب المعرض الباريسي فكان المجموع خمسمائة الف فرنك واخذت اللجنة توالي العمل واستحضرت العروض

وزخرفت المحل الذي خصص بها وكانت طلبت أكثر منه مع ان مساحته بلغت ١١٢٦ متراً مربعاً وجعلت وجهته على هيئة العمارات الوطنية وداخله على مثال أحسن الآثار البلدية وقبته في الوسط بنتها على مثال قبة الكنيسة الكاثدرائية فجاء غاية في البهجة والظرافة وامتلأ بأحسن الصنائع من كل الأصناف على طريقة لم يكن يُظن أن هذه البلاد الحديثة في التمدن تصل إليها هذه اعمال المديجات والتطريزات والبسط تضاهي احسن صنائع الممالك القديمة في المدينة وهذه الملابس الوطنية على اختلاف أشكالها وألوانها تتادي لحسنها بتفضيلها على الملابس الاوربية ولكن هيات ان تدوم على حالها الأصلي وان عضدت ذلك ملكة رومانيا وقبلت رئاسة الجمعية التي أريد منها المحافظة على زي الملابس الأصلية اذ يدل على بعد بقائها على حالتها الوطنية ما استحضروه في هذا المعرض من الملابس المهيأة على الطراز الاوربي والبرانيط المعمولة على الشكل الباريسي وكثرتها فكأن جل المشرفين اعتقدوا أن دخولهم في التمدن لا يكون إلا بتغيير ملابسهم الوطنية وعدم المحافظة عليها مع ان اقل ما في هذه المحافظة حفظ الشعائر والميزات الوطنية وهي لا تمنع البتة من التمدن بما هو انفع من تغيير الزي واستبدال الملابس

ثم ما يستلفت الانظار في هذا المعرض المصنوعات السلاجية واثقانا والحصائل الزراعية وكثرتها والمستخرجات النباتية وتعددها من أرواح وروائح عطرية ومربيات وحلوات بلدية واخشاب من الغابات الالهية واملاح نظيفة عملت منها مسلة غاية في اللطف وتمام الظرف

وقد شاد اصحاب هذا المعرض محل طعام بالقرب منه في مدخل شارع

مصر على طراز المساكن الوطنية جمع المأكولات والمشروبات البلدية بخدم فيه طاهيات وخادومات وطنيات قد جم من الى حسن الصورة وجمال المنظر اللباس الوطني الظريف الشكل فتتزاحم الناس على هذا المحل من كل فج للأكل والشرب وسماع الموسيقى الوطنية حيث استحضرت من بكرش - بخارست - عاصمة البلاد لهذا الغرض

ثم انتقلنا الى (معرض النرويج) وقد أبى اهلها الا الاشتراك في هذا المعرض واصروا على ذلك فانصاعت لرغبتهم حكومتهم وان لم يرص السويديون الاشتراك كما سيجي وصرحت المجالس النيابية لذلك بمبلغ ١٢٥٠٠٠ فرنك وقد جعلت وجهة هذا المعرض من الخشب المتقن العمل صار صنعها في النرويج وأحضرت متفرقة قطعها وصار تركيبها على ما هي عليه بحسب نمراها التي وضعت لها هنالك فجاءت غاية في الظرف والمكانة

ويشغل هذا المعرض ١٣٠٠ متر مربع وعدة المشتركين فيه مائتان وخمسون واهم صنائع هذه البلاد واكثرها انتشارا صناعة الاخشاب لكثرتها هنالك فأحضروا منها كل اصنافها وما يعمل منها على حالته الأصلية اولا ثم على حالته التي جرى بها الصنع مع تعددها وغرابتها وبلوغها حد الغاية وكمال النهاية ومن أثن المصنوعات الخشبية المساكن التي من الخشب للسكنى فيها بداخل المدن على طراز بديع وبخارجها على طراز أحسن وأبدع فاستحضروا من اصناف هذه المساكن ما يبهر العقول وقد صنعت في النرويج واستحضرت متفرقة القطع وركبت هنا بحسب النمر فجاءت على مثال بديع وشكل مألوف ظريف منقوشة بأحسن النقوش وملونة بأحلى الألوان وأبهاها

وما يستلفت الأنظار في هذا المعرض الدواليب التي أعدت لعرض المصنوعات وما حوته من الحليّ والمجوهرات وشكل هرمي عجيب الشكل قد صنع من الحلواء ثم من أهم الصنائع النرويجية أيضاً صناعة مسامير الحديد لجودة الحديد وانتشاره في تلك البلاد وقد صنعوا في وسط المحل المخصوص بها صورة مجسمة من الحديد تمثل حصاناً ويطاراً يتنقله وفي دائرة هذه الصورة رسوم عملت من المسامير ليس الأعلى شكل شمس وأحرف كتابية وصور اشخاص وأشياء مختلفة الاشكال

ثم من التجارات المهمة تجارة الفراء التي نتخذ للتدفئة من جلود حيوانات البلاد كالأيّل والثوب

أما التجارة البحرية ومتعلقاتها ورسم اشكال سفنها المختلفة فقد أجادوا فيها وأفادوا وذلك لأن ملاحي النرويج يعدون من اعظم ملاحي العالم وسفن تجارتهم البحرية كذلك ومن ضمن ما استحضروه في هذا المعرض نموذجاً لهذه السفن سفن تستعمل عندهم لصيد الحيتان الكبيرة التي يؤخذ منها زيت كبده الحوت المشهور واستغلال ذلك مهم في تجارتهم

وقد حوى هذا المعرض غير ذلك كثيراً من الاصواف المختلفة الاشكال والصنع والالوان

وبمناسبة ذكر معرض النرويج نذكر بعض كلمات عن (معرض السويد) وان لم يكن محله سراي الصناعات المتنوعة بل جعل في حديقة شان ديه مارس بجوار البرج وذلك ان اهل السويد لم يرغبوا الاشتراك رسمياً في هذا المعرض كما قررت ذلك مجالسهم النيابية خلافاً لما رآه اخوانهم النرويجيون من الاشتراك

فيه فاتفق بعض التجار من السويديين على عرض بضائعهم وصنائعهم في المعرض مع هذا وعملوا محلاً من الخشب كالمعتاد في بلادهم مع الاعتناء والتحسين فيه وجعلوه ذا طبقتين واحضروه قطعاً منها وركبوه في المعرض بجوار البرج فجاء محلاً لطيفاً عرضوا فيه ما سنذكره

ولاشترك البرويجيين في هذا المعرض وعدم اشتراك السويديين فيه حصلت يوم افتتاحه حيرة لسفير الدولتين في باريس فانه واحد عنهما وذلك انه كان يلزمه باعتباره نائباً عن حكومة النرويج الحضور في الاحتفال وعدمه باعتباره نائباً عن حكومة السويد فبعد امعان الفكر وتدقيق النظر لم ير للتخلص من هذه الحيرة إلا ادعاء المرض وعدم الخروج في ذلك اليوم من دار سفارته

ولنرجع الى ذكر ما في هذا المحل السويدي فقد رأينا في الطبقة الأخرى منه على اليمين الفراء والأثواب المبطنة بها حسنة في عملها وتنظيمها وهي من صنع مدينة استكهلم عاصمة البلاد وفي وسط هذا المحل راس أيل هائل كبير وفي المحل المجاور لهذا الاول معروضات السكاكين والمضى التي اشتهرت بعملها تلك البلاد لجودة الفولاذ فيها وفي غير هذا المحل معروضات المصنوعات وأدوات الحلي قديمة وحديثة عالية القيمة بالغة نهاية الانقاف اما المحل المجاور لهذا فقد جعل على شكل محلات الصانع في تلك البلاد في وسطه طاولة حولها اربعة من الصاغة يصوغون على حسب طريقتهم فيها تحت أعين الزائرين وهذا المحل في غاية اللطافة مع كونه على سذاجته

اما الطبقة التي فوق الأخرى فقد اختص بها منشئو هذا المعرض اللطيف الذي يستدل منه على قوة السويديين في الصنائع على قلة ما عرضه من

المصنوعات فان القليل من الشيء عنوان الكثير منه

وانتقلنا بعد هذا الى (معرض الصرب) وقد جعلت وجهته على الطراز البلدي القديم في تلك البلاد من حيث التركيب والشكل والهيئة والألوان واعتنى به كل الاعتناء فان الحكومة الصربية من اول الحكومات التي رغبت الاشتراك في المعرض فأقرت مجالسها النيابية على مائة الف فرنك لهذا الغرض ويمتد هذا المعرض على ارض مسطحة ٥٦٠ متراً وجميع جدرانه من الداخل مغطاة بالبسط المشغولة في نفس البلاد من ألوان غاية في البهجة وكال المناسبة وقد انتخبها اللجنة التي تكفلت بأمر المعرض كما انتخب غيرها من المعروضات من احسن مصنوعات البلاد

واول شيء يستلفت الأنظار في هذا المعرض كثرة البرقوق الجاف لشهرته ولطفه ويرسل منه شيء كثير جداً لسائر البلاد حتى لأميركا وهو من اهم متاجر هذه الجهات

وما يستلفت الانظار فيه ايضاً معروضات الجمعة - البيرة - التي اشتهرت بطبيها ويرسل الى الخارج منها شيء كثير ثم نموذجات الجوخ وقد استحدث صنعه في هذه البلاد منذ عهد قريب على الطراز الانجليزي مع رخص الثمن ثم كثير من المعادن الساذجة والحبوب ثم معرض الأسلحة وقد دلت بكثرتها وتنوعها فيه على اعتناء هذا البلد بأمر اسلحتها كما دل نظام هذا القسم على حسن سير هذه الجهة الحديثة العهد في التمدن والعمران

ثم انتقلنا بعد هذا الى (معرض اليابان) وهي بلد شرقية اسرعت السير في سبيل التقدم الأوروبي فحصلت من محسناته وفوائده على ما انتفعت منه كل النفع

وأتى عليها بكل فائدة ورج

وقد اعتنت كل الاعتناء في أمر هذا المعرض لتثبت إلى الغرب تقدما
الغريب مفتخرة بصنائعها الوطنية وما اضافته إليها من الحسن الأوروبية وفي أولها
انتشار طرق التعليم وتوسيع دائرة العرفان في سائر انحاءها

وقد صرفت في سبيل ايجاد محل معرضها ٦٥٠٠٠٠ فرنك وجعلت وجهته
على طراز عماراتها الوطنية فاذا دخل الانسان وجد بادئ بدء عن يمينه بابين
احدهما باب قصر من قصور الامراء وثانيها باب معبد من المعابد الكبيرة وعلى
اليسار مدخل سراي من السرايات الامبراطورية ووجد بعد ذلك كل ما في
القاعة الكبيرة من الزينة والزخرفة والسقف والأخشاب على النمط البلدي صنع
في البلاد وركبة هنا عمال من الوطنيين جعلوه في حالة الطلاوة التي هو بها
الآن حتى الأوراق اللطيفة المنقوشة التي غطيت بها الجدران

فاذا تأملنا المعروضات وجدنا ما يحار دونه البصر ويندهش منه الفكر من
الدواليب وما صنف فيها من فاخرات الأشياء ومن صنع الأخشاب ونقشها
العجيب ومن البسط واللوانها وكيفية إنقائها ومن الفواصل البديعة الشكل والرسم
المجمولة لأن تفصل المحل الواحد إلى عدة حجر وقاعات فضلا عن اصناف
الحاصلات من معدنية ونباتية وعن ادوات التعليم التامة الانقان البالغة حد
النهاية الواصلة غاية ما في وسع الانسان وعن أواني الصيني والفخار التي يعجز
عن الاتيان بنظيرها أكبر البلاد في التمدن والحضارة وغير ذلك من التعف
والمعروضات والمصنوعات وقد شغلت ١٥٠٠ متر مربع واشترك فيها ٥٩٦ من
العارضين من تلك البلاد العجيبة السرعة في ارتقاء أوج الحضارة الأوروبية

ثم قصدنا بعد ذلك محل (المروضات الروسية) وهنا يلاحظ أن الحكومة الروسية لم تشترك رسمياً في المعرض إسوة كثير من الحكومات ولم تقرر مساعدة ما لمن قاموا بأمره وقد احسنوا القيام بهذا الامر الخطير مع ذلك وجمعوا نقوداً وافرة وشادوا محلاً عظيماً يشغل ارضاً مساحتها ٣٢٠٠ متر مربع واشترك في عرض مصنوعاته وبضائعه فيه أكثر من ٥٠٠ شخص او شركة

وجعلوا وجهة المحل على أبهى شكل وأجمل وضع وشادوها على تقليد أحسن العمارات الأثرية القديمة الموجودة في مدينة موسكو فجعلوا جدارها على هيئة جدار قصر كرمين وشبايكها على هيئة شبايك قصر تهريم وابعاجها على شكل ابراج كنيسة واسيلي لاجيني الكاتدرائية وبرج أجراسها على شكل برج سوكاريف وأحد بابيها على مثال باب قصر كرمين وبابها الثاني على مثال باب قصر واسيلي وهياً وأدخل المحل احسن تهيئة فكسوه باللون الحمراء والزرقة فتمخّلها شارات الملكة

وليس في الامكان الاحاطة بما في هذا المحل جميعه نظراً لكثرة من ارسلوا بضائهم ولكثرة المصنوعات المعروضة وانما نذكر ما يستأفت منها النظر أكثر من غيره فنخص بالذكر المصوغات والحلي المتخذة من الذهب والفضة المعمول منها على الاسلوب الجديد وعلى الأسلوب الرومي القديم ثم الصنائع النسيجية باصنافها من القطن والحريز ثم الفراء ثم الجلود ثم الزيوت المعدنية كزيوت النفط خصوصاً زيوت البترول وقد اتسعت دائرة استخراجها في بلاد روسيا الجنوبية اتساعاً عظيماً ثم اصناف الدخان

امان جهة الحاصلات الغذائية فكثيرة ايضاً منها الحبوب بأصنافها واصناف

الدقيق والنشاء والزيت والجبن والزبدة والفواكه المجففة ثم المشروبات على اختلافها من النبيذ المستخرج من كروم القرم الشهيرة وغيره من الانبذة والارواح المستخرجة من الحبوب

وبجوار برج ايفل محل تابع لهذا المعرض عمل على هيئة مساكن فلاحية بلادهم وفيه اثنا عشر صانعا يصنعون بعض الاشياء والصور المتعلقة بالدين وينقشونها أمام الزائرين

فاذا ضمنا الى ذلك المكان الذي بناه الموسيو جازنييه في سكة تاريخ السكنى وقد خصص بعض الصنائع المتعلقة بالفيضان والزراعة عندهم علمنا أهمية المعرض الروسي وان كان غير رسمي ولم تشترك فيه الحكومة

وسرنا من هذا المعرض الى (معرض سيام) وقد احتفل ملكها بعرض سائر مصنوعات بلاده وحاصلاتها في محل جميل يشغل ٢٥٠ متراً شاده على مصاريفه رغبة في الاشتراك بهذا المعرض وجعل وجهته على طراز عمارات بانكوك عاصمة بلاده وطراز قصورها الملكية ومعايها الأثرية وجعل بالقرب من هذا المحل محلاً آخر يشغل مائة متر مربع في اوائل سكة مصر بناه على طراز المساكن الوطنية ذات المظلات الواقية من حرارة الشمس

وقد عرض في المحل الأصلي جميع مصنوعات البلاد كما تقدم وهي تروق الناظرين مع ما هي عليه في وضعها من عدم الترتيب لما فيها من النفائس وبدائع الصنائع فهذه الملابس الملكية بزرقتها وزخرفتها وهذه ملابس غير الملوك من الرجال والنساء وهذه الأزياء المصنوعة من الحرير ذات الالوان البهجة مطرزة برسوم الأزهار محلاة بالذهب والفضة على أشكال لطيفة وهذه الأواني المصنوعة

من النحاس وبجوارها محفّات تستعملها تلك البلاد ثم آلات الموسيقى الالهية بسائر أصنافها على اختلاف أشكالها ثم عدّد الخيول ولوازمها وآلات الفرسان ثم الزهور المحفوظة ثم المشروب المسّمى كاوماك وهو مشروب تلك البلاد يتخذ من الأرز الى غير ذلك من المصنوعات والأشياء الغريبة

ثم تركنا هذا المثل الى (معرض العجم) وقد شيّد على مصاريف حكومة العجم بالقرب من معرض مصر وسكتها ويشغل ٣٧٥ متراً مربعاً جعلت وجهته على شكل وجهة جامع من جوامع طهران وجلبت اليه جميع اصناف المصنوعات الوطنية والحاصلات البلدية من شيلان وسجاجيد على لطافة ألوانها وظرافة اشكالها وسيوف وآلات واسلحة وأواني صينية وغير ذلك كما عُرِضت فيه جميع حاصلات الأرض الزراعية من حبوب وعقاقير وصبوغ حتى الأفيون وجعل في جهة منه مجموعتان اعتنى بهما اثنان من الفرنسيين أقاما مدة بيلاد العجم فاشتملتا على جميع المصنوعات العجمية القديمة من أقمشة وصيني ونحاس وتيسرت بواسطتهما المقابلة بين مصنوعات العجم القديمة وحاصلات صناعتها الحديثة

ثم انتقلنا من هذا المثل الى (معرض مراكش) وقد عرض بضائعهم فيه نحو ستين شخصاً في نحو ألفي متر مربع وهو عبارة عن قصر ملوكي وفسطاط بجوارهِ وسوق بالبعد عنه بأوائل سكة مصر كل منها على طراز مراكشي

اما القصر الملوكي فقد عُرِضت فيه المصنوعات الوطنية بأصنافها من بسط لطيفة واسلحة محلاة بالذهب والفضة وغير ذلك من المصنوعات الظرفية

اما السوق المراكشي فجميع ما به مُعْرَضٌ للبيع بخلاف ما في القصر وقد احتوى على اشياء كثيرة من مصنوعات البلاد مثل أقمشة الصوف والحريز

والسجاجيد ومنسوجات متعددة في الشكل والاستعمال وكثير من الجلود المصنوعة كالمخدات والمداسات المعروفة بالبلغ وكثير من النحاس المنقوش كالصواني وغيرها من الأواني والخناجر والسكاكين المذهبة والمفضضة ونجاء السوق محل أكل على الطراز المراكشي فيه من الموسيقى الأهلية ما يسمونها بالنوبة

ثم انتقلنا الى شارع مصر وقدمنا الكلام عليه في اول ايام باريس فلاحاجة الى التكرار ولا أحب ان اتكلم على (معرض مصر) اذ هو وان شغل محلاً من الأرض مساحته ثلاثة آلاف متر مربع وصُرف عليه ستون ألف فرنك واشترك فيه جماعة واحتوى على بعض الحاصلات الوطنية كالقطن والحبوب والعطريات وبعض المصنوعات من السن ومنسوجات الحرير كالشاهي والقطني والمصنوعات البلدية الذهبية والفضية وكتب التعليم والتدريس لكنه ليس هو نفسه ولا ما به شيئاً يستحق الذكر فحالج نفسي استصغاره واحتقار ما فيه بالنسبة الى ما رأيته من المعارض المتقدمة ولو أدناها وقد صرفت عليها المصاريف الطائلة حتي من أهاليها فان حكوماتها لما لم تشترك في معارضها شمرت الاهالي عن ساعد الجدة والاجتهاد في تنظيم معارض لم وتزيينها وزخرفتها وعرض حاصلات بلادهم حسب الطاقة لأجل اكتساب الشرف والذكر الحسن والربح فيما يعرضونه وكنت أود ان يكون في بلادنا مثل هؤلاء الأهلين اصحاب المهن العالية فان بلادنا بها من الأغنياء كثير ولا عذر لهم في ترك هذه الفرصة بل في تركها اللائمة من سواهم ممن لا يبلغ درجتهم في الغنى ولا شك أنهم لو بذلوا المهمة في هذا الأمر لكانت حكومتنا أحب ما عليها ذلك ولكانت أكبر معين لهم في هذا الفخار الذي يخلد الذكر ويعلي القدر ولما أهملوا هذا وقام به الأجانب جاء على حالة ليتها لم تكن فكنت ترى

محل المعرض المصري على اتساعه خالياً من الانتظام والزينة والزخرفة كما هو
خال من جل المعروضات المصرية وأجل الحاصلات الزراعية والمصنوعات
الأهلية ولا يتردد عليه الناس كما يترددون على سواه من المعارض بل هو كالمجل
المهجور الخالي مما يُتأنس به لقلة أهله فيه فتركته مسرعاً وترجيت ان لا يكون به
اشتراك مرة ثانية الأبحالة سارة وعين قارة بحيث تكون له مناسبة بالمعارض
الأخرى وتوجهت الى سكة مصر وازدحامها وبائعها وجلبتهم وحمارها وغاغتهم
قاصداً بذلك صرف ما أهمني من احتباس الفكر وسوء التأثير فقضيت بها زمناً
حتى تروحت نفسي وفاء الى حسي ثم رجعت الى الفندق

﴿ اليوم السادس عشر في باريس ﴾

ثامن يوم في المعرض

خصصنا هذا النهار (يوم السبت ١٧ أغسطس سنة ١٨٩٠) بزيارة سراي
المكينات واتفقنا مع صاحبنا جيمون بيك ناظر مدرسة الفنون والصنائع بمصر
وقت ذاك على ان نجتمع فيها بمحل معلوم لتتفرج معه حتى تسهل علينا معرفة ما
احتوت عليه هذه السراي من بدائع الصنائع وتحف البدائع فان له خبرة بها
علماً وعملاً

وكان هذا الصاحب ونحن معه بمصر اعطانا كتاباً لأحد أصحابه من كبار
المهندسين بباريس ليصحبنا في هذه الزيارة فلما تصادف حضوره بباريس ونحن
بها صار لازماً لمصاحبة المهندس الموما اليه وكفي وجود صاحبنا معنا في التفهيم
فاجتمعنا وابتدأنا في زيارة هذه السراي من مدخلها

(مدخل السراي) - مدخلها من جهة سراي الصناعات المتنوعة دهليز فسيح يفصلها عنها قبة بلورية في وسطه مزين كل منها بكثير من الصور والنقوش والتماثيل على هيئة لطيفة واشكال متنوعة تمثل قوى فرنسا التي عليها مدار أعمالها من التجارة والفنون والعلوم والصنائع

وبكل من جانبي هذا المدخل سلم فاخر يصعد منه الى مرتفع - بالكون - مشرف على سراي الماكينات بأكملها ويتوصل منه الى متسع دائر على حسبها عرض فيه كثير من المصنوعات الميكانيكية ومتعلقاتها وقد صرف في درابزين هذا السلم وحده وهو من الحديد مائة ألف فرنك وجعلت جوانب جدرانها من البلور المنقوش باحسن الصور والنقوش وجعل في وسط الدهليز فسقية ماء متقنة الصنع تبلغ زنتها من الحديد والرصاص اربعين الف كيلو جرام وقد جعل هذا الدهليز على حالة آخذة من سراي الصناعات المتنوعة زخرفها وزينتها ومن سراي الماكينات حدائدها وصنائعها حتى لا يحصل الانتقال من الأولى الى الثانية فجأة من اول وهلة بغير مناسبة

(تشيد هذه السراي) هي من أهم سرايات المعرض في بنائها وفي اشتمالها على عجائب صنع الانسان للآلات الميكانيكية ولما دخلناها وصرنا تحت قواصرها المائلة وأقواسها العالية ذهلنا ودُهشنا فان أبعادها لم يجترئ على عملها انسان قبل هذا إلا وان وهي في بابها غريبة كغرابة برج إيفل في بابها وذلك لأن عرضها ١١٥ متراً وطولها ٤٢٠ متراً وارتفاعها ٤٨ متراً فلو وضع تحت سقفها عمود ونُدوم لا يبلغ الى ذروة تخاشيبها الحديدية وهي أشبه شيء بسفينة ضخمة منعكسة في وضعها واذا جمعنا المساحات التي تبلغها هذه السراي وأروقها وجدناها تصل الى

عدد موجب للاستغراب وهو ثمانون ألف متر مربع وقد حُسِب ما تسعه من الجيوش لو نزلت فيها فوجد أنها تسع جيشاً مؤلفاً من ثلاثين ألف نفس يمكنهم ان يناموا فيها مع الراحة بحيث يكون للواحد منهم متران مربعان ونصف متر مربع وانها تسع من ١٢ ألف حصان الى ١٥ ألف لو وضعت فيها مع مراعاة المسالك بين الخيل وانها تسع مع ذلك فرسانها بالأروقة مع الراحة في اليقظة والنوم وبما لا بد من الانتفات اليه في تشييد هذه السراي المركبة من الحديد شكل القواصر الحديدية التي تكون منها هذا المكان البديع فانها جعلت متعشقة ببعضها تعشقا مفصلياً في طرفها العلوي وفي طرفها الماسين للأرض حول محاور جسيمة ضخمة وكل واحد من هذه القواصر زنته مائتا ألف كيلو جرام وهذا التعشق يمكن القواصر من التمدد الذي لا يتيسر في السقف العادية

وإن عمارة مثل هذه لأعجوبة في الصناعات من حيث الموازنة والمقاومة تشهد بفضل منشئها المسيودوتير المهندس العماري وتستوجب شكر من ساعده على تشييدها وهي باعتبار أبعادها العظيمة وسعتها الجسيمة تدلُّ دلالة واضحة على تقدم هذا العصر ووصوله الى ذروة الكمال بما كان لا يتصور من الاسراع وعلى أن الصناعة الميكانيكية سارت في هذا العصر عصر البخار والسكك الحديدية والكهرباء على مركبة من هذه القوى أوصلتها في مسافة وجيزة الى ما تراه في هذه السراي من الاعتبار وما تشاهده في معروضاتها من الكثرة والانتشار حتى استوجب ذلك تشييد هاته السراي التي لم يسبق لها مثيل في الاتساع ولا نظير في الارتفاع واستلزم توصيل القوة البخارية المحركة الى الآلات الميكانيكية بها ٥٥٠٠ حصان بخاري

(كيفية ترتيب الآلات الميكانيكية) هذه السراي مقسمة في اتجاهها العرضي الى خانات منفصلة عن بعضها بمش موازية للمحور الطولي للسراي وقد خصصت فيها خانات الأربعة الماشي الوسطية بالآلات المتحركة بالفعل اما الخانات الجانبية والخانات التي في دائرة السراي والتي فوقها فقد خصصت بالآلات الغير المتحركة بالفعل وبالكلوموتيفات وغيرها مما لا حاجة الى تحريكه الآن

(كيفية توصيل الحركة للآلات) اتخذت لما الطريقة الآتية وذلك ان صُفَّت صفوف ممتدة من عمد مصنوعة من الحديد الزهري حُمِلَتْ عليها اعتاب معدنية مجوّقة وجُعِلَ تحتها حمّالات جسيمة معدنية تمر من خلالها محاور محملة بكرات جُمِلَتْ لان تمر عليها السيور التي توصل الحركة لجميع الآلات وهذه العمد متباعدة عن بعضها بقدر أحد عشر متراً وعشرين سنتيمتر وهذا البعد العظيم هو السبب في جعل الأعتاب الحديدية المحمولة فوق هاتئ العمد ذات جرم عظيم

(القنطرتان المتدحرجتان الكهربائيتان) تتحرك عربتان كبيرتان من ذوات العجل فوق الأعتاب الحديدية التي ذكرناها مدفوعتان بقوة الكهرباء المرسلة اليهما من ماكينات كهربائية وُضعت فوق ارض السراي وهما القنطرتان المتدحرجتان الكهربائيتان فتسيران من أحد طرفي السراي الى الطرف الآخر تحملان كثيراً من الزائرين مرتفعين عن الأرض بمسافة سبعة أمتار ليشاهدوا جميع الآلات التي تدور والتي لا تدور فها لهذا الأمر من أمر عجيب وبما منظره من منظر بهيج غريب

(الآلات الحركية) عددها اثنان وثلاثون متسلطة على آلات توصيل الحركة التي وصفناها منها محرك غازي قوته مائة حصان وبجواره آخر غازي أيضاً قوته خمسون والباقيات بخارية

وينبغي ان يذكر هنا ان الحركات الغازية منذ سنين قليلة كانت من قبيل المستعذات الغريبة فأخذت في التقدم حتى وصلت الى ما هي عليه الآن وكان يُظن أن ظهور الكهرباء يُعطل هذا المخترع ويجعله عديم الجدوى ولكن صار الحال خلاف ذلك فان هاته الحركات الغازية استعملت هي نفسها لايجاد القوة الحركية التي بواسطتها تتولد الكهرباء

وهذه الآلات الحركية الغازية كان ظهورها في معرض سنة ١٨٦٧ حيث عرض منها فيه خمس آلات قوة جميعها تسعة أ حصنة بخارية

(الأنوار الكهربائية) جعل في وسط هذه السراي فانار كهربائي من الطبقة الأولى يضيء كل يوم بعد غروب الشمس وجعل إيديزون الشهير في معرضه الذي بهذه السراي فاناراً كهربائياً في ذروته أنوار كهربائية قوتها عشرون ألف لامپه بحيث ان ما يهذين الفانارين من الأنوار لو وُزِعَ لكفى لإضاءة إقليم بنامو ولذلك ترى الليل في هذه السراي الفاخرة ربما كان أشد نوراً من النهار وعلى كل حال لا يقل عنه

(كيفية توزيع المعروضات بهذه السراي) لم تسع هذه السراي على اتساعها الذي علمناه كافة معروضات القسم السادس التي خصصت به وهو قسم آلات الفنون الميكانيكية وكيفيات استعمالها والكهرباء فاضطروا الى ان يجعلوا بعض متعلقات هذا القسم خارجاً عنها فجعلوا الآلات الزراعية في قاعات بقسم كيه

دورسي من اقسام المعرض بجوار النهر وأرسلوا اليها القوة المحركة اللازمة لادارتها من الآلات المحركة لما بهذه السراي بواسطة سلك من سلوك الكهرباء ماراً من اول طرف المعرض الى آخر طرف منه فانظر كيف وصلوا هذه القوة مع البعد الكثير منقولة على سلك من حديد لتحرك هذه الآلات الزراعية العديدة وتجب من وصول هؤلاء الى هذا الحد من المعرفة واثقان العمل بهمهم العالية وقارن بين حالم وحال من غلب عليه الكسل والتهاون في الامور المهمة الموجبة للغنى والثروة تعلم الفرق بين الحالتين

وجعلوا عربات الركوب وعربات النقل في سراي الصناعات المتنوعة ومتعلقات الصحة العمومية ومساعدة المعوزين وأدوات السباحة وتخليص الفرق والآلات الحربية في قسم إسبيلاناد ديزن تقاليد وقد ابتدأنا في التفرج بهذه السراي على أقسام العروض الأجنبية

(قسم سويسره) وقد اعتني به كل الاعتناء فان السويسره الآن معدودة صنائها الميكانيكية في عداد أحسن صنائع العالم وقد ساعدها على ذلك وضع ارضها الطوبوغرافي فانه افادها الانتفاع بقوة سقوط المياه وكثيراً ما رأينا في هذا القسم آلات مختلفة المنافع جعلت للانتفاع بهذه القوى الابدوليكية بتحويلها الى قوى ميكانيكية وقوى كهربائية ورأينا آلات متعددة للنسيج والغزل وآلات بخارية اشتهرت تلك البلاد بحكام صيغاتها وكثيراً من الآلات اليدوية السهلة المنال وغيرها من الآلات الكهربائية المستعملة في كثير من المعامل الشهيرة وكثيراً من طواحين زوريك الشهيرة ورأينا معامل الكاغد ولوازمها ونموذجاً من الآلات القديمة المثال التي استخرج بها الماء على عمق ٥٠٠ متر من جهة شوده فون كل

ذلك من الدلائل المادية على تقدم هذه البلاد في الميكانيكة
(قسم بلجيكا) احتوى على كثير من الآلات المهمة مثل الآلات النافعة
المجمولة لتجديد الهواء في آبار استخراج المعادن وآلات النسيج والآلات البخارية
بأصنافها والآلات الكهربائية والأدوات المستعملة لعمل الأوراق وماكينات عمل
ظروف المكاتب وماكينات عمل الثلج وغير ذلك من أصناف الآلات كلها
بالطبقة الأرضية ووجدنا بالمشي العليا فابريقات عمل الحبال للسفن ومعرض
المعادن ومعرض صناعة الخراطيش وماكينات الجدل وغير ذلك من الماكينات
والآلات

(قسم الولايات المتحدة بأمريكا) وقد أبدع فيه منشؤه فوضعوا فيه الكثير
من الآلات الغريبة والأدوات العجيبة ولا بدع فإن هذه البلاد أم العجائب
والاختراعات حتى كأن أهلها من كثرة اشتغالهم بإيجاد الأشياء النافعة
والاختراعات المفيدة غير متوفرة لهم الأوقات اللازمة لطلاء الآلات وتحسين
جلائها من الظاهر فالآلاتهم أقل حسناً في المنظر الظاهري من آلات غيرهم ولكنها
من جهة الغرض المقصود منها والمتانة والاثقان تفوق كثيراً من غيرها المصنوع
في بلاد أخرى بشهادة أهل الفن انفسهم

وقد شمل هذا المعرض غير الماكينات الكبيرة كثيراً من العُدِّ البدوية
والآلات العملية المنزلية ولكن أبهى ما فيه وازهاره وأعظمه وأعلاه معرض الكهرباء
وجدير ببلاد منها إيديزون أن تحتفل بالكهرباء أكثر من غيرها ويحق
لهذا العالم الفاضل أن يظهر جميع ما عنده حتى ترى الأمم المجتمعة بهذا السوق
العام من جميع انحاء المسكونة تفاصيل أعماله وجميع مخترعاته وقد كان فانه صار

الاعتناء بشييد معرض موجوداته كل الاعتناء وجلب اليه منها جميع ما لزم
 فشفل ارضاً مسطحها ٦٧٥ متراً - على ان ارض سراي الماكينات هذه لو كان
 ما يوضع فيها من المعروضات بحسب الشهرة لما وُضع فيها غير معروضاته - وصُرف
 على هذا المعرض وحده في التنظيم والترتيب والايجاد والتشييد اربعمائة الف
 فرنك حتى صار على الحالة التي رآه الناس عليها وقد وضعوا بأعلى صورة
 ايديزون مجسمة كأنما هو ينظر الى الناس من احدى نوافذ المكان الذي بنوه
 لمعروضاته وهذه النافذة تحت النور الكهربائي العظيم الذي سبق التنبيه عليه
 اما ما حواه معرض هذا الامتاز من الآثار فلا سبيل الى استيفاء توضيحه
 والوقوف على صريحه لانه أمر يحتاج الى معرفة الطرق الكهربائية بأجمعها وامكان
 الفرق بينها والتفصيل لا يكون الا بمعرفة ذلك على التفصيل ولكن نذكر لك ما
 استلفت نظرنا اليه صاحبنا الذي معنا من آلات الفوتوجراف الجديدة وهي
 التي كلفت مكاتبي جرائد العالم أجمع يوم افتتاح المعرض الرسمي فتكلمت عنها
 جرائد العالم كلها من ذلك الحين وقد احتوى هذا المعرض على تاريخ مخترعات
 هذا الفاضل في التلغراف والتليفون وفي اللمبات العظيمة الضوء بحيث يعلم منه
 كيف كان الاختراع في أوله وكيف تدرج في التحسين حتى صار الى أنفع وأحسن
 وكيف ترقى في ذلك حتى صار الى ما هو عليه الآن مما يدل على امكان التحسين
 في المستقبل زيادة على ذلك وان كان العقل لا يتصور أن في الامكان أحسن
 مما يرى الآن هذا وانا نريد ان نحيطك علماً قبل مفارقة هذا المكان باختراع
 حديث لهذا الرجل العظيم رأيناه فيه وهو آلة مغناطيسية جعلت لفصل المعادن
 الساذجة عما خالطها من غيرها بكل سهولة بعد ان كان ذلك في المعادن من

أصعب العمليات وأكثرها مشقة ومصرفاً وما وَعَيْنَاهُ من غرائب ما رأيناهُ انموذج ترتيب الكهرباء في بلد تمر أدواتها تحت الأرض فيها بجميع ما يلزم لذلك من اللوازم والمعدات والأدوات

ولم تقتصر مع هذا معروضات امريكا الكهربائية وهي بلد الكهرباء على أشغال الاستاذ إيديزُون بل عرض غيره من الأساتذة المكتشفين أعمالهم بحواره فعرضت كومبانية تومسون هوستون ماكيناتها الكهربائية العظيمة وعرضت شركة غيرها الماكينات التي أوجدتها للحام المعادن بالكهرباء وعرضت كومبانية تليفون بيل تليفوناتها الشهيرة وعرض الاستاذ إيليو تومسون عملاً غاية في الغرابة ونهاية في الإعجاب وهو حلقة من النحاس الأصم قطرها خمسة عشر سنتيمتر واقفة وحدها في الهواء بدون أدنى تعليق بل بواسطة دفع كهربائي بسيط

ورأينا بعد (قسم انجلترا) المشهورة بإثقان الآلات ومثانتها وتحسينها مع صلابتها جمع فإوعي من الآلات المشيدة والمدد اليدوية العديدة مستكملة الاحكام كاملة النظام والمحركات العظيمة والآلات الميكانيكية الفخيمة التي تأخذ بالابصار ونقضي بالاعتبار وتدل على رسوخ قدم هذه الأمة في العرفان

وقد فرغنا من المعارض الأجنبية بهذا المعرض فلنختم هذا اليوم (بالمعروضات الفرنسية) في هذه السراي ونذكر منها ما استلفت منا النظر أكثر من غيره بقدر الامكان

فهذا معرض آلات صناعة الورق والصبغة والطباعة احتوى على كادخانة مكملة تأخذ المواد الأصلية التي يصنع منها الورق وتعمل فيها ما يلزم حتى تُصيرها ورقاً من سائر الأشكال بحيث لومشى المتفرج مع المادة الأصلية وتبج سيرها

لَوْصَلَ فِي لَحْمَةِ بَصْرٍ إِلَى رَوِيَّتِهَا مَتَحَوَّلَةً إِلَى أَوْرَاقٍ بَدِيعَةِ الْأَشْكَالِ وَقَدْ صَعَدْنَا إِلَى
بَعْضِ الْأَجْهَظَةِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الْأَعْلَى عَلَى طَبَقَةٍ مِنَ الْأَلْوَاحِ الْحَدِيدِيَّةِ وَنَزَلْنَا مِنْهَا إِلَى
بَاقِي الْأَجْهَظَةِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى الْأَرْضِ وَأَفْهَمْنَا مَنْ تَكَلَّفَ بِإِدَارَتِهَا بِسَائِرِ حَرَكَاتِهَا
وَأَجْرَاءِهَا حَتَّى أَنَّهُ أَعْطَانَا بَعْضَ أَوْرَاقِهَا الَّتِي صَنَعْتُهَا أَمَامَنَا

وَبِمَجْوَارِ هَذِهِ الْكَانْدُخَانَةِ مَعْرُضِ الْمَطَابِعِ وَاهِمٍ مَا فِيهِ الْمَطْبَعَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِاسْمِ
مَارِيْنُونِي الَّتِي طَارَصَتْنَاهَا وَزَاعَتْ سَمْعَهَا وَاسْتَعْمَلَتْ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ فَوَجَدْنَاهَا
تَطْبَعُ مِنْ جَرِيدَةِ بَنِي جُورْنَالٍ - الْجُرْنَالِ الصَّغِيرِ - الْآلَافِ فِي لَحْمِ الْبَصْرِ فَتَقْطَعُ
لَنَا بِالْمَعْرُضِ مَجَانًّا فَأَخَذْنَا نَسْخَةً مِنْهَا مَوْخَرَةً بِتَارِيخِ هَذَا النَّهَارِ - ١٧ أَيْسُطُسُ
سَنَةِ ٨٩ - فَوَجَدْنَاهَا مَحْتَوِيَّةً عَلَى أَخْبَارِهَا الْمُتَعَادَةِ وَاسْتَخْلَصْنَا مِنَ الْفَصْلِ الْمُتَعَلِّقِ
مِنْهَا بِالْمَعْرُضِ أَنَّ عِدَّةَ الَّذِينَ دَخَلُوهُ فِي يَوْمِ ١٥ أَيْسُطُسُ سَنَةِ ٨٩ بِدَفْعِ نَقُودٍ
٢٤٩ ١٣٤ شَخْصًا وَإِنَّ وَلِيَّ عَهْدِ تُونِسَ حَاضِرًا بِالْأَمْسِ وَزَارَهُ رَسْمِيًّا

وَمَا بِهَذَا الْقِسْمِ أَيْضًا مَوَادُّ الطَّبْعِ بِأَكْمَلِهَا وَسَائِرُ اصْنَافِهَا وَمَا كُنْتَ أَخْتَرْتُ
لِعَمَلِ أَوْرَاقِ السِّجَائِرِ فَتَصْنَعُ مِنْهَا الْآلَافُ فِي أَقْرَبِ مَنْ رَجَعَ النَّفْسَ وَقَدْ أَجْمَعَ عَلَى
اسْتِحْسَانِ أَوْرَاقِهَا شَارِبُو الدِّخَانِ وَتَكَاثَرُوا عَلَى التَّفَرُّجِ عَلَيْهَا فَلَمْ تَنْبَغِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ قَدْ
مَنْ عَلَيْنَا الْمَوْلَى بِتَرْكِ شَرْبِهِ وَالتَّغْلُصِ مِنْ شُرُورِهِ وَاضْرَارِهِ فَوُجِدْتُ فِي هَذَا
التَّرَكِّ مِنْ اعْتِدَالِ الصِّحَّةِ مَا صَيَّرَنِي أَكْرَهَ كُلِّ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي صَنْفِ هَذَا النَّبَاتِ
الْمُضَرِّ بِالصِّحَّةِ بِإِجْمَاعِ الْأَطْبَاءِ وَاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ وَأَوَّلُهُمْ شَارِبُوهُ

وَهَذَا قِسْمُ الْمَاعِلِ الزَّرَاعِيَّةِ وَالصَّنَائِعِ الْغَذَائِيَّةِ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْآلَاتِ
وَالْأَدَوَاتِ النَّافِعَةِ لِلنَّوْعِ الْبَشَرِيِّ الَّتِي لَا يَكَادُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا فِيهِ الطَّوَّاحِينُ
بِأَشْكَالِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْأَحْجَارِ وَذَوَاتِ الْأَسْطُورَاتِ تَفْرِجُنَا عَلَى كَيْفِيَّةِ طَحْنِهَا

وشاهدنا آلات التقطير بأصنافها وأشكالها مشغلة بأعمالها ورأينا فابريقة لتكرير السكر كاملة مستكملة عرضتها شركة فيف ليل وهي التي صنعت كوبري قصر النيل عندنا واطلعنا على ما عرضته إحدى الشركات من الآلات الزراعية والأدوات الفيطة كاملة الإثقان محكمة النظام

وهذا قسم استخراج المعادن وكيفية صناعتها وتشغيلها جلبت اليه جميع أدوات استخراج معادن الفحم الحجري والآلة واستحضرت فيه عربة مملوءة بالفحم كالتي تستعمل في المعادن للشحن والتفريغ وهيئت فيه بر على الهيئة الطبيعية التي تكون عليها حال الاستغلال منها على قدر نصف حجمها الطبيعي ورأينا فوهة البر مع اقفاصها الحديدية وماكيناتها اللازمة لتشغيل من يعمل بها ومواسيرها الضرورية لها ورأينا كيفية بنائها على شكل يأمن به النازل فيها من الاخطار والأضرار التي تنجم عن سقوط الجروف وانهارها

وعرضت شركة أنزان الفحمية ما كانت عليه أبنيتها على مسافة مائة سنة فآرئنا عشوشها سنة ١٧٨٩ المتخذة من أخشاب الأشجار وأبنيتها سنة ١٨٨٩ المعمولة بالأجر جيدة البناء فرأينا فرق تقدم الأيام حتى في محلات استغلال الفحم وكيف انتقلت من حالة الأكواخ الى هيئة القصور

وعرضت شركة لواز هيئة الطبقات الفحمية الحجرية مصفوفة بعضها فوق بعض في الصخور وفي بر شهيرة عندها بعمق يبلغ الآن ٥٣٠ متراً وسيزداد انخفاضاً كلما استمر استغلالها

وهذه البر نظيرة برج إيفل في مطلق الامتداد اللهم إلا إن هذا امتداده من الارض الى أعلى وهذه امتدادها من الارض الى اسفل على انها يستويان

بالنسبة لمن على الأرض في البرج ويريد الصعود ولن في قاع البئر ويريد الخروج فعلى الذين يهولم طلوع البرج ان يفكروا في هؤلاء الذين يعملون في استخراج هذا المعدن فيهن عليم طلوعهم لهذا المكان الرخب حيث يرون سيم في خلاله المناظر الحسنة والأشكال المختلفة في الصعود او المبوط بخلاف هؤلاء فانهم لا يرون إلا القمع وسواده في مسافة تقرب من ضعف مسافة البرج لما تقدم من ذكر ابعادها واذ كنا في هذا المكان نظرنا من الباب الذي بجوارنا واذا به يوصل الى حيث الأفران الجسيمة التي جعلت لتسخين القزانات الضخمة المعدة للبخار اللازم لتحريك جميع هذه المهدد والآلات التي رأيناها في المعرض فتفرجنا عليها ثم دخنا السراي ثانياً وقصدنا

(قسم الكهرباء) وقد احتوى من البدائع وغرائب الصنائع ما جعلنا نقف عنده ولا نتعدى حده مع ما رأيناه بالفصل الاميريكي من العجائب التي ذكرناها فاخذ صاحبنا يستلفت نظرنا الى الاجهزة الكهربائية المحسنة والآلات واللمبات العظيمة والمحركات التي تحرك بالهواء المنضغط والمكينات المغناطيسية الكهربائية التي تستعمل في الفنارات العظيمة الارتفاع والبيارات الكهربائية فضلاً عن أجهزة التليفون والتلغراف بأشكالها واصنافها

ثم استلفت صاحبنا نظرنا الى ما عرضه بيت كريستوفل الشهير بعمل اواني المائدة المطلية بالفضة بواسطة الكهرباء وبمناسبتها صار يُطلعا على ما وصل اليه من الطلاء بالكهربائية - جلواثو بلاستي - من غرائب الصناعة وبدائنها ثم أرانا الساعات والأجراس والنواقيس الكهربائية وغيرها من الآلات الكهربائية المعدة لإثارة قاع البحر للتوأمين وقاع الآبار المعدنية للعمال الى غير

ذلك من لوازم الكهرباء حتى سلوكها وجعلها
ثم انتقلنا الى قسم أدوات عمل أثاث المنازل وقد جمع سائر الآلات
والمكينات اللازمة لعمل ما رأيناه في سراي الصناعات المتنوعة من التحف
المصنوعة من اصناف الخشب والأبنوس فيكتفي في عملها بوضعها على ما يطلب
من الخشب فيحصل ما يراد منها بغاية السهولة وهذه غير الآلات التي تستعمل لضم
قطع الأخشاب المتفرقة الى بعضها والتي تستعمل لطلاء الأخشاب بالبويات المختلفة
وانتقلنا الى قسم أدوات الفنون الكيماوية فعرفنا منه لوازم معامل الغاز
وآلات صناعة الشموع ثم رأينا فيه ما لا يحصى من أدوات الأجهزة الكيماوية
وآلات كثيرة تختلف بحسب الطرق المستعملة في تجهيز الجلود وجعلها على الهيئات
اللطيفة التي تكون عليها في المصنوعات

ثم الى قسم أدوات النسيج وكيفية فرأينا فيه كل آلة وما جعلت له من
المنسوجات اللطيفة كالبسط الظريفة والشاش الخفيف بأشكاله والدانتيلات
الرفيعة بأصنافها ورأينا من عمل الآلات ما هو كالسحر في السرعة والغرامة وما لا
يتصور صدوره عن آلة صماء لولا الحس والمشاهدة

ثم الى قسم أدوات الخياطة وعمل الملابس وقد جمع ما يلزم من معدات
الخياطة والتطريز وآلاتها ومن الآلات المجهولة لتسمير الأحذية وخياطتها ومن
المخصصة بتفصيل الأقمشة والجلود للوازم الأحذية والألبسة

ثم الى قسم أدوات السكك الحديدية وقد اشتمل على سائر الأدوات الثابتة
كالشرائط والبلنجات وغيرها وعلى غير الثابتة كالعربات المستعملة في فرنسا
والخارج وكثير من الوابورات - لو كومتيف - المعدة لجرا العربات على أشكالها

المتفاوتة في الصغر والكبر

ثم الى قسم الآلات اليدوية وهي مختلفة الأشكال والأصناف بحسب اختلاف الحاجات والمواد بحيث لا يدخل فيها شيء من المعادن والمواد الأخرى ويخرج منها مصنوعاً مبروداً منشوراً مبرشماً مدموناً مبيثاً لما يستعمل فيه بعد ان كان ساذجاً وبهذا القسم كثير من المخارط والسندالات وآلات الثقب وقد رأيناها تثقب الحدائد الغليظة بغاية السهولة دون إجهاد بحيث لا يلزم لها سوى دائرة العامل وهي تعمل تحت طوعه ما يلزم من الأعمال كباقي الآلات اليدوية بهذا القسم

وما يلحق بهذا القسم الآلات المائية التي تدور بضغط الماء وقد جعلت لبرشمة الحدائد فتراها تدخل فيها المسامير بعد المسار على حسب رغبة العامل كأنما يخيظ ثوباً من القماش بهذه المسامير ولا تسمع لذلك صوتاً بخلاف ما هو معلوم في دق المسامير عندنا فانك تسمع لذلك اصواتاً مزعجة مفزعة ولاخفاء ما في هذه الآلات من راحة العمال والتسهيل عليهم فضلاً عما في ذلك من السرعة

ثم انتقلنا الى قسم أدوات الفزل وعمل الحبال وقد جمع ما يلزم لذلك من الأدوات العديدة من حين كون المادة على حالتها الاصلية الى حين ان تكون خيطاً او حبلأعلى الهيئة المطلوبة فرأينا الحبال المستديرة والمفرطحة والخيوط نباتياً كان كل منها او معدنياً تعمل بغاية السرعة

ثم الى قسم الآلات المتنوعة وقد جمع ماكينات كثيرة لعمل اشياء كثيرة بطرق سهلة فمنها ما هو لعمل الأزرار وريش الكتابة والديبايس وظروف المكاتب والفرش المجعولة لتنظيف الملابس والرأس وغيرها ومنها ما هو لسد زجاجات

الأشربة الحكم وفيها ماكينات عظيمة لتجليد الكتب وماكينات للكتابة بأشكالها المختلفة وماكينات لعمل السجاير وغير ذلك من الماكينات اللازمة لاحتياجات الانسان على اختلافها

ويا حبذا أن لو انتخب من هذا القسم وقسم الآلات اليدوية ما يكون به النفع والتسهيل وجلب الى بلادنا لاسيما أن جل هذه الآلات يُدار باليد فتكون باثمان غير عالية وتغني عن الاتعاب والمشقات وتوجب تخفيف الأجر وهذه ماكينات الخياطة من يوم أُدخلت مصر سهلت امر خياطة الملابس وخففت أجرتها ولا شك ان مثلها من الآلات النافعة لو ادخل في بلادنا واستعمل فيها لنفع نفعا كثيرا

ثم انتقلنا الى قسم أدوات الهندسة المدنية والأشغال العمومية والعمارة وقد جمع كل ما يلزم للعمارة والبناء من صخر وخشب وجير وطين واسمنت واججار طبيعية وصناعية وخراسان وأجر وأردواز وغير ذلك من المواد الأولية ثم ما يستعمل لزيادة قوة هذه المواد ومسانتها ثم الآلات التي يستعملها المهندسون لاختبار هذه المواد ومعرفة حقيقتها ثم آلات الحفر والردم فرأينا الحفارات البخارية وغير البخارية تعمل الواحدة منها عمل جم غفير من بني آدم وهي أشبه بكرات كبيرة أرضية ذات صناديق لنقل التراب وذات محالب لتحريك الاججار ورفعها ثم أدوات قطع الاججار من الجبل ونحتها وبنائها وآلات النجارة والأقفال وتركيب الزجاج والنقش والسبك ثم الآلات المستعملة في الأبنية البحرية كآبنية الأرصفة والفنارات الى غير ذلك مما يدل اوضح دلالة على تقدم فن الهندسة المدنية عندهم ألا ترى برج إيفل الذي لم يسبق له مثال ولا نسج له على منوال

فانه بلغ في العظم والمثانة والارتفاع حدًا ما كان يخطر بالبال وألا ترى هذه السراي فانها بلغت حد الكمال في الاتساع والعظم وحسن الأوضاع والأشكال وما ذلك إلا من تقدم هذا الفن ويرجى له الزيادة فيما يستقبل من الزمان هذا وقبل مفارقتنا لهذه السراي اقص عليك بمناسبة ذكر الماكينات بناء آلة ميكانيكية عجيبه وهو أن صانع ساعات يعرف الميكانيكا تمام المعرفة عمل آلة بخارية ميكانيكية فجاءت أصغر ماكينات العالم أجمع وذلك ان زنتها ثلاث جرامات وارتفاعها سنتيمتر ونصف وعدد قطعها ١٨٠ قطعة استغرق هذا الصانع في عملها سنتين وتدور بالبخار المتحصل من بعض نقط من الماء

وقد قرأت هذه العبارة في إحدى الجرائد مدة اقامتي بباريس وأخذت بها مذكرة ضمن مذكراتي لأتفرج عليها في المعرض ولكنني من سوء الحظ نسيت ذلك حتى بارحنا باريس فلا أدري أهذا النبأ صحيح أم لا فان وقفت على صحته انت أيها صاحب القارئ فاكذب لي بما تنقص عليه

ثم فارقنا هذه السراي وكان قد دخل الليل



﴿ اليوم السابع عشر في باريس ﴾

تاسع يوم في المعرض

هذا هو آخر يوم في المعرض وقبل آخر يوم بباريس (يوم الاحد ١٨ اغسطس سنة ٨٩) وقد خصصناه بما بقي علينا من أقسام هذا المعرض وهما قسما كيه دوزيبي (رصيف أورسي) واسيلاناد ديزنغليد (ساحة دار العواجز) ويمتد القسم الاول من حيث جهة شان ديه مارس بطول شاطئ نهر السين الى

الساحة المذكورة ويمتد الثاني في الساحة الفاصلة بين دار العواجر المتقاعدين وقد سبق ذكرها قبل الآن وبين نهر السين فابتدأنا في زيارتنا هذه مبكرين من اول النهار لنتهي من قسم كيه دورسي ومن بعض القسم الثاني في اول النهار وتنتظر صاحبنا جيرون نيك فيه بعض الظهر بساعة واحدة عند باب عيناه فتفرج معه على سكة الحديد الانزلاقية التي سيأتي عليك وصفها ثم ييارحنا ونستمر في باقي ما قصدناه

واول شيء صادفناه في قسم كيه دورسي معرض الاشياء البحرية والنهرية وقد استجمع كل السفن وسائر اصنافها واشكالها والوانها واحتوى على آلات الانقاذ والتخليص من البحر وغرقه والنهر وطوارئه مع تعدد الاشكال كل على حسب ما أعدت هي له من الأحوال والأهوال

وانتقلنا بعد ذلك الى (سراي الأغذية) وهي بناء مشيد ذو طبقتين مسطح الواحدة منها ٨٠٠٠ متر مربع غير طبقة أرضية تحتها وقد احتوت هذه السراي الفاخرة على جميع اصناف الأغذية من مأكول ومشروب وجعلت الطبقة الأرضية منها لعرض الألبدة وسائر المشروبات والاولى قسمت قسمين أولها لعرض بعض الأغذية واستذواقها وثانيها لصنع هذه الأغذية وتجهيزها أمام الجمهور فتنتقل من حالتها الأولى الى الحالة التي تؤكل عليها والطبقة الثانية جعلت مع القسم الأول من الأولى لعرض باقي الأطعمة والأغذية

وقبل ان يصل الزائر الى مدخل هذه السراي يمر ببستان متسع احتوى على سائر اصناف الكرم وما يلزم لها من الأدوات ولجني قطفها من المقصات وغيرها من الآلات البستانية ويمجد بقرب باب المدخل برميلين عظيمين احدهما

مستدير يسع ٦٠٠ هيكولتر وثانيها يضاوي الشكل يسع ٢٧٥ هيكولتراً
فكأنما يُذكر أن احباب الكروم بأن ما يحويانه هو المقصود بالذات من كل
هذا الفراس وهذه الأدوات والآلات

فإن أنت دخلت السراي صادفت ما يهر العقل ويدهش البصر من
حسن الترتيب وتمام التهذيب والتزام المستحسن من كل وجه ولم يقتصر فيها على
عرض الحاصلات الغذائية مرتبة موضوعة في القناني والسبتات مصفوفة في
الصفائح والغلافات مكتوباً عليها أسماء الصنف والصانع والبلد الى غير ذلك بل
ترى فيها المواد الأصلية لهذه الأطعمة وترى بعيني رأسك كيف تُصنع وتجهز
وتُحسن وتُنجز يصنعها أمامك أمهر الصانع فتأكل منها او تأخذ لنفسك ما اردت
بالشراء وترى فيها المريات والحلواء وسائر الأطعمة والمشروبات الحلال فتذوق
منها ما تشتهي بعد دفع ثمن ما تذوقه وترى من المشروبات غير الحلال ما يبتاهي
اصحابه فيه بالقدم وحسن الصنع ولطيف الذوق وتمام اللذة ومزيد المصفاة

ولنبداً بالطبقة الأرضية لأنها اول ما يدخل اليه فنذكر أكبر ما رأيناه فيها
وهو برميل عظيم زنة ٢٠٠٠٠ كيلوجرام ويسع ١٥٠٠ هيكولتر مملوء بالشمپانية
قد أحضر من تلك البلاد على عربة مخصوصة يجرها اثنا عشر زوجاً من الثيران
يمكن خمسة عشر شخصاً ان يجلسوا فيه ويأكلوا قبل ان يملأ بغاية الراحة
ولا نتعرض لتفصيل ما حوته هاته الطبقة الأرضية من أصناف الأنبة والجمعة
وغيرها من المشروبات فإن هذا امر لا يهتم الكثير من مطالعي هذه الرحلة وإنما
نذكر ما استلفت نظرنا فيها وهو كيفية عمل المشروب المسمى شمپانية منذ غرس
كرمها الى ان صارت في زجاجة معدة للشرب اعتنى بها بطريقة الرسم النائي

على خريطة بعض ذوي الالمام مستعيناً على تفهيم ذلك بالتعبيرات الكتابية حسب ما اقتضاه الحال فأبان الأمر في ذلك من حين غرس الكرم حتى تجنى قطوفه ثم صور بطريق التجسيم الهلات والأدوات التي تستعمل لصنع الكرم حتى يتحول الى النبيذ المعلوم من طرق التخبير والتجهيز وتعالى في البيان الى أن صور في تلك الهلات رجالاً من الشمع مجسمين على العشر من الرجال الحقيقيين يعملون الأعمال اللازمة لهذا المشروب الى أن يصير بالحالة المألوفة هذا وبما استلقت نظرنا ايضاً في هذا القسم ما رأيناه من الاعتناء بأمر الزواج الذي توضع فيه الأشرطة واختلاف أشكاله واللوانه واجسامه بحسب اختلاف اصناف الشرب حتى جمعوا القديم وشكلوا منه مجموعة عديمة النظير حوت من الزواج ما تصل نسبته الى زمن الملك لويس الخامس عشر

ثم بعد تفرجنا في هذه الطبقة صعدنا الى الأولى التي فوقها فدخلنا قاعة عمل الأغذية وتفرجنا فيها على صناعة خبز البسكويت والفطير بعد ان رأينا طريقة عجن ذلك وتجهيزه للخبز وهذا كله بواسطة الآلات الميكانيكية فوجدنا إناء يسع ٢٠٠٠ كيلو جرام من العجين نقله فيه محركات من الحديد ثم ينتقل العجين منه بالآلات الى ماكينة أخرى تصيره في الثخن المطلوب وهذه ترسله الى آلة ثالثة تقطعه على قدر المرغوب وتطبعه في الأشكال اللازمة وتنقشه بالرسومات اللطيفة وتكتب عليه ما يراد وتصفه على ضوأت مستطيلة لتحرك من مواضعها بمحركات ميكانيكية ايضاً فتصل الى فرن كبير طوله ١٤ متراً يحصل نضجه به في نحو عشر دقائق ثم يخرج على تلك الصواني المتحركة حتى تضعه في سبتات لطيفة صغيرة تنقل به الى الاشخاص المكلفين بالبيع فيتخاطفه المشترون وقد

علموا كيف عمل فياكلون ما يعلمون

وان انت لم ترغب اكل هذه البسكويات يابسة غير سهلة الابتلاع بل أردت ترطيبها بنوع من المريات او الشراب فاقصد الحلوانيين الذين يصنعون المريات والحلواء والشراب وخذ منها ما يستطاب

ثم عرّج على الروائح الذكية وكيفيات استخراجها وفرج على الأنايق الكبيرة التي تسع عشر هيكتولترات وانظر الدسوت العظيمة وادوات التقطير وتأمل صناعة استخراج الاعطار واشتر ما شئت من الروائح الذكية التي صاراعمالها أمامك ومتع بها شمتك كما تمتعت سمحك وبصرك وذوقك

وقبل ان تتم ذكر ما رأيناه من المصنوعات الغذائية اخبرك بمطاحن الشكولاته التي رأيتها ان كنت ممن يحبها مع اعترافي لك بعدم محبتها وذلك أنهم هيثوا في أحد جوانب المكان محلاً لعمل الشكولاته بجالتة التي يكون عليها في مكانه كأنما نقل منه الى هنا واداروا فيه عدة مطاحن كبيرة تعمل الشكولاته أمام المتفرجين

فان اردت ان تفرج على جميع هذه المخازن والمعامل والمصانع على اختلافها كيف تعمل وتدار فاصعد معي الى الطبقة العليا لنشرف منها على جميع ذلك فترى بديع الاشكال واذ قد تمتعت بهذا المشهد فلم معي لننظر الاصناف الغذائية المعروضة فتفرج على اصناف السكر والخل والتوابل والقهوة واللحوم والاسماك والخضراوات وسائر الاشياء المحفوظة من التغير بواسطة تفرغ الهواء من اوانها بحيث لو رأيتها قلت هذه الخضراوات أخذت من البستان في هذا الوقت وهذا اللحم من الغنم وهذا السمك من النهر او البحر في هذه الساعة مع انه ربما يكون

أخذ منذ أعوام ثم تفرج على اصناف البسكوت والفطائر والكعك والزبدة والألبان وغير ذلك

ولا نخرج مع ذلك قبل ان نمر بالمحل الذي أعد في وسط هذا المكان لمذاق المشروبات فقد رأينا عليه من الازدحام وكثرة الناس واقبالهم ما رغبتنا في ان نقصده لتعاطي كوبة مثلبة من شراب التوت تُطفئ حرارة الظما وتزيل العطش وتنش النفس وتساعدنا على السير الى ما نقصده بعد هذه السراي وهو محل المعروضات الزراعية على كثرتها وكثرة اصنافها وتشتهايين خيام مستطيلة معمولة من الخشب او القماش بحسب مقتضيات الاحوال

وذلك ان هذه (المعرضات الزراعية) وضعت صفتين يفصل بينهما طريق في محلات عملت على الصفة المار ذكرها بطول الرصيف على حافة النهر من شان ده مارس الى ساحة دار العواجز وقد استميت فيها عن الزخرفة والتذهيب بحسن الترتيب وهي وان كانت لا تهم الا من لم المام بالزراعة وشغف بها الا انها بالنسبة اليانا مهمة لان بلادنا زراعية فينبغي لنا الوقوف على ما استحدث في سبيل تسهيل الزراعة

اول شيء تفرجنا عليه (معرض وزارة الزراعة) فوجدنا فيه من الاحصائيات المتعلقة بالزراعات واصنافها في سائر البلاد الفرنسية ومن التعاريف المختصة بسير التعليم الزراعي في المدن والقرى ومن الاشياء المعدة لمكافأة الحائزين قصب السبق في التنافسات - كوناكور - التي تهم هذه النظارة ما جعلنا نفهم حكمة وجود وزارة الزراعة في هذه البلاد حاله كونها ليست زراعية الى حد يستوجب ايجاد وزارة لها خصوصية فاستخلصنا ان الغرض من

هذه الوزارة هو المساعدة على تقدم الزراعة بواسطة التنافسات - كونكور - التي تستوجب المكافأة وبواسطة الاعانات التي تجود بها على الشركات التي خصصت نفسها بهذه الخدمات ذات المنفعة العامة فضلاً عن ادارة هذه الوزارة شؤون التعليم الزراعي بجميع متعلقاته

وقد تقدم لنا في اليوم الخامس من مقامنا في باريس بمناسبة تفرجنا على احدى المدارس الزراعية ابداء بعض الايضاحات التي امكنتنا الاستحصال عليها بخصوص هذا التعليم المهم وقد امكنتنا فرصة هذا النهار من بعض معلومات حصلنا عليها من قسم الوزارة الزراعية هذا

فראينا كثيراً من اعمال اساتذة المدارس الزراعية الخصوصية وهي مدارس جرينيئون وجرانجوان ومونبلييه وكثيراً من مستحدثات افكارهم التي تربت عليها فوائد كثيرة الاهمية فضلاً عن تعليمهم كثيراً من التلامذة وترشيحهم بذلك لنفع البلاد نفعا مادياً

ورأينا جداول دلتنا على من أنتجته (مدارس الطب البيطري) من الرجال الذين اتوا للبلاد باكبر الفوائد في القرى والكفور بمدواهم حيوانات الزراعة ومعالجتها بعد ان كانت الامراض تهدك منها شيئاً لا يحصى كما انهم جاؤا بأعظم النفع للجيش بمدواهم حيواناته وملاحظتها والحفاظة على صحتها العمومية وقد استفادت هذه الفئة كثيراً من اختراعات الميسو باستور الشهير واكتشافاته العظيمة الاهمية

ورأينا تعليقات دلتنا على ما انت به (المدارس العلمية الزراعية) في المدير يات من الفوائد بتخريجها اشخاصاً علموا ما يلزم الزراعة عملياً باحسن طرقها

المستعذثة فضلاً عن بعض خصوصيات القيت اليم تعنفوا في اتقانها بحسب
احتياجات المديرية التي تأسست فيها المدرسة ففي إحدى المديريات انقنت صناعة
الالبان نظراً لكثرتها وفي أخرى اتقن فن الري للزوم فيها زيادة عن غيره وفي
غيرها التفت الى غرس الكروم لانها اهم هنالك مما سواها وهكذا مع ان هاته
المدارس لم يؤخذ في انشائها الا من عهد غير بعيد وقد بلغت مع ذلك الى اربعة
وثلاثين واستدل على نجاحها استدلالاً مادياً بما عُرِض من نماذج ادوات التعليم
واعمال التلامذة والاساتذة وحاصلات زراعاتهم فيها

واطلعنا على منافع (المراكز الزراعية) التي انشئت في جهات متفرقة من
البلاد حتى بلغت نحو الخمسين بقصد اجراءات متنوعة تجربها في نفس الارض
لمعرفة تراكيبها ولتجربة زراعات معلومة فيها من اشجار ونباتات مع اختبار
السماد عليها

واطلعنا على تعريفات تتعلق (بالمقالات الزراعية الاقليمية) وقد خصص
بها كثير من الاساتذة ينتقلون من مركز الى غيره ومن قرية الى غيرها فيلقون
على المزارعين المقالات السهلة المأخذ الكثيرة النفع في التحسينات التي ينبغي
اتخاذها في نوع معلوم من الزراعة لزيادة نمائه اما بكيفية زرع او بكيفية تسميده
او بطريقة ريه ومواعيد ذلك مستندين في مقالاتهم على تجارب عملية يجرونها
في نفس الارض امام اعين الزارعين ليتبينوا بالحس ثمره النصائح التي تلقى اليهم
مجاناً وليعلموا انه يكفي من المصرف اقل قليل للاستحصال على اكثر مما يستغلونه
من ارضهم باتباع الطريقة التي سمعوها وراؤا نجاحها بالعيان

وقد سبق في خامس يوم من الاقامة بباريس ان في الذروة العليا من جميع

هذه المدارس الزراعية المجمع - أنستيتو - الزراعي الأهلي وهو مؤلف من
المتجربين في العلوم الزراعية وفنونها

واذ قد انتهينا من متعلقات ديوان الزراعة ومعرضاته فلنأخذ في
(معروضات الآحاد والشركات المتعلقة بالزراعة) وذلك أنه تألف كثير من
الشركات في انحاء فرنسا لتشجيع الزراعين وتسمية الزراعة فأنت بفوائد كثيرة
نقتصر منها في هذا المكان على ما يختص بهذا المعرض وهو أن هاته الشركات
كانت السبب في ان يشمل هذا المعرض الزراعي حاصلات آحاد المزارعين
ولولاها لما تيسر لهؤلاء مع قلة رأس مالم ان يتحملوا مشاق السفر وكلفة
مصاريفه لعرض حاصلاتهم وان كانت في بعض الاحيان أحسن وأجود من
حاصلات كبار المزارعين فاحضرت بهذا المعرض احسن حاصلات زراعات
الآحاد التي وجدت في دائرتها وقد اختص بعض هذه الشركات بالحاصلات
الزراعية التي تستعمل في الصنائع وبعضها باعادة غرس الكروم في البلاد التي
اهلكتها بها " الفيلكسورا " وبعضها بمزروعات البساتين وبعضها بغرس اشجار التفاح
واستخراج أنبذته من ثمارها وبعضها بتربية حيوانات الزراعة وثقوبتها وتولى ما فيه
تسميتها وبعضها بزراعة الجبوب وبعضها بمباشرة عمل الالبان من زبد وجبن
وغيرها فعرضت كل واحدة من هذه الشركات حاصلات ماث من الزراعين
لولاها لما عرضوا شيئاً

وبجوار محل معروضات هذه الشركات قاعة خصصت بعرض اوازم الطب
البيطري وأدواته وآلات البيطرة وما يستعمل فيها

ثم محل خصص باستخراج الزبدة من الالبان وقد حصل في هذا النوع

نقدمات مهمة بواسطة آلات يتيسر بواسطتها الاستحصال على السمن والزبدة في صباح اليوم الذي حُلِب فيه اللبن بعمليات سهلة لا تحتاج الى ما كان يلزم لهذا العمل أولاً من التعب والنصب وطول الزمن فتفرجنا على هذين المهلين ثم انتقلنا الى المحلات التي خصصت (بالآلات والآلات الزراعية) فوجدنا التقدم فيها ظاهراً بديهياً وقد بلغت حد الانقاف في الحقة والمثانة ولا سبيل الى المشابهة بينها وبين الآلات الأصلية المستعملة عندنا من مئات او آلاف من السنين ولم نزل نستعملها الى الآن وهي وان كان ثمنها قليلاً بالنسبة الى هذه المخترعات إلا ان ذلك لا يذكر في جانب متاعبنا ومتاعب حيواناتنا من جرّ أثقالها بدون فائدة مع ان تلك المخترعة تعمل في اليوم الواحد بربع ما يلزم لغيرها من القوة مثلاً عمل ذلك الغير في اسبوع او أكثر فالرغبة في رخص الآلة توجب خسائر كثيرة وتضيع فوائد جمّة لانها تستوجب كثرة الحيوانات مع ان اثمانها تبلغ زيادة عظيمة عن ثمن المخترعات وربما مانت من ثقل الآلات الأصلية فاحتيج لتعويضها بنيرها ولأنها يتسبب عنها التأخير للزراع الموجب لاضراره من البرد والحر والتأخير حصاده المسبب عنه عدم البيع في اول ظهور محصولاته بالاثمان العالية هذا فضلاً عما يصرف باستعمال الآلات الأصلية على المواشي الكثيرة وعلى خدمتها ومن يعمل في الزرع بها

وهذه الآلات الزراعية المعروضة قسم يدبره تيار كهربائي قد سبق انه مجلوب لها من سراي الماكينات على سلك من سلوك التلغراف وقسم تدبره الحيوانات فالأول موجود مشاهد على حالة الإدارة والثاني لا يُدار إلا في ايام مخصوصة فنقل آلاته لهذا الغرض الى مزرعة لا تبعد عن محل المعرض العام بكثير

ثم انتقلنا الى (محل أعد للحشرات الضارة والحشرات النافعة) اما الضارة فقد اشتمل على كثير من اصنافها واما النافعة فليس منها غير اثنين النحل ودود الحرير

فالنحل غير مستعمل كثيراً في فرنسا وهو مع ذلك مغتنى به وآخر ما استقر عليه الراي في أمره جعله في الخلايا التي تنقل من مكان الى غيره

ودود الحرير لاقي فيها صعوبات كثيرة من أمراض معدية تسلمت عليه فكانت تهلك شيئاً كثيراً منه وكادت تأتي على آخره لولا أن تدورك بعلاج باستور الذي كان سبباً في شهرته وموجباً لمحبته لدى الشعب الفرنسي فتسبب عن هذا العلاج عودة هذا الدود ورجوعه الى حالته الأولى من الكثرة وحسن النوع والجودة

وبجوار هذا (محل أعد لعرض حاصلات فن تكثير الأسماك) ومناسبتهم للزراعة من حيث تعلق كل منها بالماء

وينقسم هذا المعرض الى قسمين قسم تكثير الأسماك في الأنهر وقسم تكثيرها في الأبحر وتصرف الحكومة في سبيل هذا التكثير مصاريف طائلة للاستحصال على بيض الأسماك النافعة او النادرة من محل وجودها وتكثيرها في الأنهر والبحيرات ومجارى المياه وشواطئ البحار لانتفاع العموم وكثيراً ما يستعمل هذا الفن آحاد الناس في المياه المتسعة الموجودة في أرضهم فيجلبون إليها بواسطته بيض أسماك كثيرة لا تلبث ان تكثر فيبتاعون من نتائجها ويكسبون منه مالاً كثيراً

هذا وقد انعقد (مؤتمر دولي للزراعة) في شهر يوليو الماضي وبُعث فيه عن

اسباب الأزمة الزراعية وطرق تلافي أمرها والتخلص من ضررها
وحصل في المعرض فضلاً عن هذا عدة تنافسات - كونكور - بين المربين
للحيوانات توزعت فيها الجوائز على من كانت تربيتُهُ أحسن وأفيد من تربيته غيره
اما الحال التي خصصت بالمعارض الأجنبية بهذا القسم فقد تقدم الإلماع
إليها عند ذكر معارض دولها فلاحاجة الى التكرار

وهانحن قد انتهينا من قسم كيه دُونسي فننتقل في الحال الى زيارة قسم
(سِيلَانَا دِيرَنفَالِيد) ساحة دار العواجز وهو من غرائب أقسام المعرض العام
وعجائب ما يُزار فقد خصص غالبه بالبلاد الشرقية الملحقة بفرنسا او الداخلة
تحت حمايتها فامتلاً بالقصور الشرقية الفاخرة على جانبي طريق وسطي جعل
فيه وشيدت هذه القصور على هيئة أحسن العمارات الأثرية بالبلاد التي يراد
عرض صنائعها وحاصلاتها وحوث من الداخل والخارج أحسن ما يُعمل وأكمل
ما يصنع في تلك البلاد وسكن هذه القصور لحراستها أناس من أهل البلاد المنسوبة
هي إليها لابسين ملابسهم العسكرية التي يلبسونها في تلك البلاد ويتعطل هذه
القصور أشجار تلك البلاد ونباتاتها وزيادة على ذلك جعل بينها انموجات قرى
وطنية من قرى تلك الأصقاع البعيدة كأنما نقلتها يد السحرة من السودان
او الهند او الصين ووضعها بهذا المكان مع ما اشتملت عليه من اثاثات وسكان
تراهم فيها يعملون اعمالهم المعتادة لهم من تجهيز الطعام وطهي اللحوم خلا من الأسواق
التي عملت فيها على هيئة أسواقهم الأصلية يشتغلون فيها بصنائعهم الأهلية كأنما
هم في نفس الجزائر او تونس او غيرها وخلا من يلعب منهم في الملاعب الأهلية فقد
انشأوا تياتراً على طراز تياترات الأنانيين ولعبوا فيه وخلا من يدق النوبة في

الطرق أو القهوي وعدا من يرقص في الحانات من الراقصات والعجيب في كل ذلك أنك ترى هذه الجموع الكثيرة المحشودة وهؤلاء العملة المتعددين وهؤلاء العساكر الأجانب الكثيرين مبتهجين مسرورين فرحين من رؤية أهالي أوروبا الآتين للتفرج عليهم كما أن أهل أوروبا كذلك فالحظ متبادل والانس شامل وقد رأيت في ساعة من الزمان بواسطة ما ذكر جهات من الأرض ما كان يكفي لزيارتها عمر الإنسان ورأيت مفاخر الأبنية وعجائب الصناعة وغرائب المخلوقات من اسود واسمر وقمعي وأبيض الى غير ذلك من الألوان

واذ قد عرفت ما ذكرناه اجمالاً في هذا القسم فتعال نجتمع بصاحبنا جيمون بك عند باب هذا القسم من جهة رصيف أورسي الذي أتينا منه فتفرج معه على (السكة الحديدية الانزلاقية) حسبما تواعدنا

هذه السكة شاع أمرها وانتشر خبرها وعجب لها الناس كثيراً وخاض في حديثها القوم واشتغل بها العارفون اليوم بعد اليوم فصاروا يتوافدون عليها ويتواردون دائماً اليها ليشاهدوا غرائب صنعها وعجائب وضعها

وهي تمتد مسافة مائة وخمسين متراً وليس لمراباتها عجلات فانها تنزلق على قضبان عريضة بل على طبقة خفيفة من الماء متوسطة بين القباقيب وبين قضبان الحديد

والذي باشر إتمام هذه السكة هو المسيو "بار" من عظماء مهندسي الفرنسيين ولكنه ليس المخترع لها وإنما انقنها وحسنها حتى امكن اظهارها الى عالم الشهود ودخولها في حيز الوجود ولقد كان المهندس الابدوليكي الفرنسي الموسيو جبرار اول من ألقى في روعه اختراع السكة الحديدية الانزلاقية في حدود سنة ١٨٥٢

فعرض فكره على امپراطور فرنسا اذ ذاك فمد له يد المساعدة واحضر له ما طلبه حتى وُفق في عام ١٨٦٠ الى اتمام ما خالج خاطره وحينئذ سارت العربات بلا عجل مدة من الزمان على سبيل التجربة والاختبار واستمر الحال بضعة شهور على هذا المنوال حتى انقادت نيران القتال بين فرنسا وأمة الألمان وقد كان المسيو جبرار تحصل على رخصة انشاء سكة بين باريس وجهة أرنجتوى من اعمال فرنسا ولكن المنية حالت بينه وبين ما يشتهي فانه اصابته رصاصة اثناء الهدنة فكانت هي القاضية وتوفي هذا المخترع النبيل عن ثمانية واربعين عاماً ثم كرت الايام وتوات الاعوام حتى انقضى منها ثمانية عشر بالتمام ولم يعن لاحد من الاقوام ان يقوم بإتمام ما بدأ به ذلك الهام

ولكن هذا المعرض جعل الافكار تنشط من عقالها والهم تتحرك في رجالها فاستأنف الموسيوي بار ذلك المشروع وتمكن من احداث هذا النموذج الذي رأيناه بمساعدة اهل المال وكان هو اقدر الناس على مراجعة العمل لانه صديق المخترع ومعينه على اظهاره وناموسه المطلع على اسراره واليك خلاصة بيان النظرية التي شرحها الموسيوي بار في كراسة له في هذا المعنى حيث قال ما ملخصه

ان الاستغناء عن العجلات أضحي في هذه العربات امراً طبيعياً فان العربات تستند مباشرة على قضبان عريضة جداً بواسطة ستة قباقيب موضوعة بازاء بعضها في جانبي كل عربة وهذه القباقيب مربعة الشكل مجوفة قليلاً من الجهة التي تليها على القضبان وعليها ثقب واضح وفي وسطها يتبي أنبوب صغير موجود في كل عربة ومنه تنزل المياه المضغوطة الى ما تحت القباقيب ومنى أطلق هذا الماء المخزون في أول عربة من القطار الى ما تحت القباقيب رفعها بعض

مليترات قبل ان ينفلت لأن الثقب تضابق مجاره بحيث ان العربة ترتفع قليلاً وتكون عائمة على هذا السطح المائع القليل ولا يكون الاحتكاك حاصلًا بين القضبان والقباقيب أصلاً وانما يكون بين هذه وبين الماء القليل وهو احتكاك لا يكاد يحس بحيث إنه يتسردفع العربة الى الأمام بمجرد ضغط الإيهام وعلى هذا النسق يمكن انزلاق القطار بقوة قليلة جداً من الجذب مع توارد المياه المضغوطة الى ما تحت القباقيب ويكون هذا الماء مخزوناً في عربة وواقعاً تحت تأثير الهواء المضغوط لكي يضغطه بواسطة ميزان مخصوص الضغط اللازم لرفع القباقيب وما تقدم يتضح أن كل ما يحتاج اليه في السكة الحديدية الانزلاقية إنما هو إيدرولكي محض لا يعمل فيه على غير الماء ولذلك استغني عن الوابور ودفع العربات الى الأمام يكون ايضاً بواسطة الماء وذلك أنه يوجد في وسط الخط في مواضع معلومة حنفيات صغيرة متصلة بما سورة مياه وهذه الحنفيات تفتح وتغلق كمية من المياه بقوة على سطح أفقي فتصدّم الواحاً كثيرة موضوعة بالطول في اسفل كل عربة فليس على سائق القطار الا ان يفتح حنفيات على مسافة ما فتندفع العربة الأولى من مصادمة المياه لما فانها تؤثر على محل العجلات ثم تمر العربة الثانية هكذا والثالثة وهلم جرا حتى يمر القطار كله مدفوعاً بالماء ومنى مرت العربات قُفلت الحنفيات من نفسها ولا يكون في الحقيقة سوى حنفيتين إحداهما متجهة الى الامام وتستعمل في حال الذهاب والاخرى بعكسها في حال الإياب ويوجد على الخط ما سورة أم ملء الحنفيات والقطار الموجود بالمعرض مركب كله من خمس عربات إحداها المناورات والبواقي للركاب ولهذا الطرز من السكة الحديد منافع جمّة وفوائد مهمة فمنها منع

الاضطراب ومنها حصول الراحة والسكون كأن الإنسان على المركبة التي تسير في البلاد الباردة فوق الثلج والجليد ومنها انعدام الغبار والدخان والضجة التي تكون في العربات المعتادة ومنها قلة الآلات والأدوات وخفة الأعمال الصناعية ومنها عدم الاحتياج الى الشعم وحذف مصاريف صيانة العجلات واللوازم وغيرها واتصاف مصاريف الجذب ومنها امكان التوصل الى قطع المسافات البعيدة في المدة القصيرة فقد كان المسير جيرا لا يخشى التكبر ويقدر امكان قطع مائتي كيلومتر في الساعة الواحدة

والذي يراه العارفون أن استعمال هذا الطرز يكون على الأوجه الآتية
اولاً في جميع البلاد متى كان الغرض قطع مسافة طويلة من غير وقوف في الطريق وتكون السرعة من مائة وخمسين كيلو متر الى مائتي كيلو متر في الساعة الواحدة

ثانياً في البلاد الجبلية التي يوجد بها منحدرات المياه الطبيعية اعني الكثيرة العيون والينابيع فانها تكفي لإحداث الدفع المطلوب او التي يكون بها عقبات وانحدارات لا يتسنى للسكك الحديدية المعتادة اجتيازها

ثالثاً في جميع السكك الحديدية المعروفة بسكك الجبال التي يكون استعمال العجلات فيها سلباً في حصول المصائب العظيمة والحوادث الخطرة في غالب الأحوال

ففي هذه الحالة يمكن الاستغناء عن الدفع الإيدروليكي الذي يكون بواسطة الماء ويستعاض عنه بالجذب بالحبل ولا يستعمل حينئذ إلا الانزلاق وهو يكون بالسهولة مع تمام السلامة وكما لا أمن فاذا انقطع الحبل يكفي حجز الماء عن

القباب فيقف القطار مع الطمأنينة المطلقة الى اربعمائة وخمسين ملليمتر في كل متر

رابعا في نقل الأجسام الثقيلة التي لا يمكن تجزئتها في هذه الحالة يستعاض عن الدفع المائي بالجذب الميكانيكي ولكن الأنزلاق لا يزال لازماً إنما يكون تركيب العُدَد والآلات بكيفية مخصوصة يجمع القوى وتوزعها على الوجه اللائق حتى يتيسر الحصول على الغرض المطلوب

وإن مثل هذه الطريق لا تستلزم عناية خصوصية مطلقة وذلك لأنه ليس من ضرورة في ابقاء جملة القضبان على سطح أفقي واحد فان القضبان يمكن تغيير مستوياتها وانحرافها بالنسبة لبعضها وفي ذلك من المنافع الجمة التي لا يمكن نوالها من العربات ذوات العجلات وفضلاً عن هذا فان بتلك الطريقة يتسنى حل مسألة نقل الاجسام العظيمة الجرم التي تتجزأ مثل المدافع ذوات العيار الكبير التي يحتاج لاستعمالها في الدفاع عن السواحل والقلاع والسفن المختلفة الاحجام ونقل السفن الكبيرة يكون بواسطة هذه الطريقة في حوضان المواني ومحازن التجارة البحرية التي لا ماء فيها من غير ان يحصل لها ادنى خطر

خامساً بدل السكك الحديدية المعتادة التي تستعمل تحت الارض في المدائن الكبيرة

سادساً في الطرق الحديدية العلوية التي تكون في المدائن الكبيرة ايضاً لانها في هذه الحالة لا يلزم لها الأكباري معدنية يكون ثقلها اقل من الكباري التي تلزم للسكك الحديدية المعتادة مرتين او ثلاث مرات نظراً لثقل مواد هذه وحينئذ يلزم تجهيز الاعمدة التي تُسكَّ عليها الكباري بحيث تكون مخازن للضغط

وتوضع جميع جهازات الدفع في مظاريف خاصة بها لمنع تأثير الجليد عليها وذلك اذا لم يستعمل ممزوج الجليسرين وفضلاً عن هذا فان عدم الضوضاء والدخان تكون من أفيد الأمور للسكان القريين لهذه الطرق التي تكون في الجو سائرة فوق رؤوسهم

هذا وان استعمال هذه السكة وشيوعها لا بد ان يتم عن قريب فيكون لها في العالم شأن عجيب وتكثر بسببها وجوه الافادة والاستفادة وتنفجر بناييع الرفاهية والسعادة فيرد منها الصافي جميع الانام والمورد العذب كثير الزحام ولنودع الآن صاحبنا جيمون بيك شاكرين له حسن اعتنائه ولنترك هذه السكة الانزلاقية للناس يتمتعون بانفراج عليها فقد حجبهم عنها مكوثنا مع صاحبها بعض الوقت يفسر لنا فيه عمله ويفصح لنا عما يؤمله في مستقبله والناس اثناء ذلك قلقون من الانتظار على ابواب الدخول^(١) ولنشرع في زيارة معارض سنلا نأذ ديز ثقاليد فنبتدي من حيث نحن في السكة الانزلاقية بجوار نهر السين فأول شيء ندخله على جهة اليسار

سراي الجزائر

وما أدراك ما الجزائر قارة من افريقية امتداد أرضها ٤٧٨٠٠٠ كيلو متر مربع وامتداد شطوطها على البحر الأبيض المتوسط ١١٠٠ كيلو متر يحدها من الغرب مملكة مراكش ومن الشرق اقليم تونس ومن الجنوب الصحراء وتنقسم هذه القارة الى اقليم ثلاثة اقليم أوران واقليم الجزائر واقليم قسنطينة

(١) اخبرني بعد عودتنا الى مصر سعادة النيل تيكران باشا ناظر الخارجية انه كان مع المنتظرين خروجنا لأجل الدخول بهذه السكة للنفراج عليها اه

وبها من السكان ٣٣٥٠٠٠٠ نسمة منهم ٢٧٠٠٠٠ من الفرنسيين الأصليين
ومن الذين تنجسوا بالجنس الفرنسي ٢٨٥١٠٠٠ من المسلمين و ١٩٠٠٠٠
من الأجانب منهم ١١٢٠٠٠ إسبانيون و ٣١٥٠٠٠ طليانيون و ١٥١٥٠٠ مالطيون
و ٣٨٠٠٠ المانيون وعاصمة هذه القارة مدينة الجزائر

وقد اعتنى في تشييد سراي هذا المعرض اعتناءً شديداً فجعلت وجهتها
الأصلية على هيئة وجه مسجد سيدي عبد الرحمن بمدينة الجزائر وبقبتها المرتفعة
كقبتها ومنارتها على شكل منارته وبابها على مثال محرابه مصنوعاً بالقيشاني
اللطيف

ويدخل إليها من دهليز متسع جعل على هيئة صحن ذلك الجامع مكشوقاً
من وسطه تحيط به ألونة مسقوفة على قواصر معقودة وجعل في وسط الصحن
صورة مجسمة تمثل الجزائر

وعن يسار هذا الصحن قاعة أعدت للرسومات عُرِضَتْ فيها أعمال الرسامين
الذين اشتغلوا بالجزائر فرسموا أسماءها وصوروا مآها ومسكنها وعوائدها وأهلها
من نساء ورجال وشيوخ وأطفال

وعن يمين الصحن تجاه الداخل قاعات كبيرة منها ثلاثة أُعدَّت للأقاليم
الجزائرية الثلاثة المتقدمة ومنها قاعة جعلت للاستقبالات الرسمية عملت على
الطرز الوطني المستعمل في مساكن الأكابر من تلك البلاد منقوشة بالقيشاني ملونة
زجاجها بالألوان البديعة مرسومة جدرانها بالرسوم الشرقية الفرية وسقفها
بالتذهيبات العجيبة ممتلئة من الكراسي المزركشة والتخانات المفضضة المذهبة
والفراء المصبوغة والطنافس الأهلية والبسط الوطنية والأواني الصينية الحقيقية

حتى ينجيل للزائر أنه في أحد مساكن الأمراء الشرقيين الاكبر وقلة النور في داخل هذا المحل وعدم كثرته فيه تزيد مهابة واجلالا وتكسوه أبهة وجمالا وقد جعل في احدى جهات هذه السراي الفاخرة شارع اشبه بشوارع مدينة الجزائر يعمل فيه الصناعات على اختلاف صنائعهم جالسين جاستم المبهودة على الأرض مستعنيين في اعمالهم بأيديهم وارجلهم فيجهزون أدوات الأقمشة وينسجونها ويهيشون الجلود ويفصلونها ويصنعون الأحذية والأحزمة ويطرزونها ويعملون الأسلحة والسجاجيد وسائر أعمال الخراط والنجارة التي يأتقونها أما قاعات الأقاليم فقد حوت كثيرا من خبراتها الزراعية والصناعية والمعدنية على اختلاف اشكالها وتعدد اصنافها وحسنها وفي وسط احدى هاته القاعات معرض شركة زراعية تألفت لإصلاح ارض الصحراء وجعلها صالحة للزراعة عرضت فيها كثيرا من الآلات التي تستعمل لاجراء المياه من أعماق الصحراء وما يلزم لهذه الآلات كما عرضت كثيرا من حاصلات النخيل الذي غرسه فيها وسائر ما يصنع منه على تعدده وتحسينه والاعتناء به وعرضت غير هذا جداول احصائية كثيرة يستدل منها على تقدمها وحسن مستقبلها وأحضرت غير هذا رسومات كثيرة رسمت فيها بعض جهات الصحراء الأصلية على الحالة الرملية وأرضها المحرقة وشمسها المزهقة ثم في مقابلة هاته الرسومات رسوم اخرى ترى فيها حالة الواحات التي احدثتها بها وما صارت اليه من البهجة وآت اليه من الرونق حتى وصل النخيل الذي غرسه في احداها ٥٠٠٠٠ نخلة وجول هذه السراي زرعت النباتات الجزائرية وغرست الأشجار الأهلية والازهار اللطيفة والنخيل الظرفية حتى يخال للانسان انه في تلك البلاد فانه

ان دخل الى الداخل وجد الكثير من الجزائريين وان خرج وجد الاشجار التي ذكرناها والخضرة الخاصة بتلك الجهات فان استمر في السير فيها الى الأمام صادفته القهوة الجزائرية فيسمع فيها الأناشيد الاهلية والموسيقى الوطنية ويرى الراقصين والراقصات من اهالي تلك الجهات - ثم بعد التفرج على هذه السراي انتقلنا الى

سراي المعرض التونسي

وقد جعلت بحوار سراي المعرض الجزائري المتقدمة واعتنى في أمر بنائها كل الاعتناء وعملت ايضاً على الطراز الوطني فجعلت وجهتها على هيئة وجهة قصر البازدوا لخاص بالباي في تونس وجهاتها الباقية على هيئة سوق الباي وقصر الباي وزويرة سيدي ابن عروس في تونس وبعض آثار القيروان وجعلت سقفها في النقوش والهيئة والتذهيب والزخرفة على طراز سقف دار الباي في تونس والقيروان

وفي وسط الواجهة جعل الباب الذي يدخل منه وقد عمل على طراز باب جامع سيدي عقبة تعلوه قبة عالية فاخرة البناء
اما نفس الابواب الخشبية فقد صنعت في تونس على طراز الابواب التونسية فعملت من ألواح مستطيلة متقنة النقش مرسوم عليها الرسوم اللطيفة بواسطة المسامير الكبيرة ذات الرؤوس البارزة المحكمة الصنع الشبيهة بأبواب الوكائل القديمة عندنا

وتتقسم هذه السراي الى ثلاثة اقسام محيطة برحبة داخلية مكشوفة الأمن جوانبها فإنها مغطاة بسقف مرفوعة على عمد لطيفة الأول منها وقد جعل سيف

القاعات التي على يمين الداخل خصص بالحصلات الزراعية والثاني وقد جعل في القاعات التي على يسار الداخل خصص بالحصلات الصناعية على اختلافها وبما يتعلق بالأشغال العمومية والثالث وقد جعل في مقابلة الداخل خصص بالفنون المستظرفة وفن الآثار العتيقة

وقد احتوت هذه الأقسام مع حسن الترتيب وكمال النظام على كثير من الحصلات كما اشتملت في قسمها المختص بفن الآثار العتيقة على نفائس من هذه الآثار منقولة بالجيس من الآثار الأصلية

وجعلت في المعرض قاعة مخصوصة بعرض المصنوعات الأهلية من الملابس والفرش فعملت على هيئة مسكن أهلي حوى أنفاس ما يصنع بالبلاد من الفرش والأثاثات وصورته فيه اشخاص مجسمة ألبست أحاسن الثياب لترى هيئة الملابس وبُنيت تجاه وجهة هذه السراي المقابلة للسراي الجزائرية سوق تونسية تقليدًا لأحد الأسواق التونسية فعملت معقودة السقف ضيقة الاتساع مشتملة على ستة وعشرين دكانًا فيها من جميع الصنائع التونسية والصناع من نجار وحلاق وصاحب قهوة وخرّاط وخياط وصائغ وجبّار إلى غير ذلك من سائر أصناف الصناع حتى الكاتب وقد وجدنا حوله بعض الفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين وهو يكتب للواحد اسمه بالعربي في مقابلة عشرة سنتيمات قيمتها خمس عشرة فية بالعملة الصاغ فتأملته فإذا هو أحد من كان معي بالمدرسة التجهيزية منذ تسع عشرة سنة وقد خرج منها من ذلك الوقت إلى حيث لا أدري ولم أره إلا مرة من نحو عشر سنوات وكان أحضر لسيدي الوالد جزءًا من منتخبات الجوائب أرسله إليه صاحبها المرحوم أحمد افندي فارس بواسطته وأعلمني في ذلك الحين أنه

ففى تلك المدة الماضية بالاستانة ودخل مدارسها وشرع فى تعلم الطب بها ولكن
 حالت دون اتمام ذلك احوال اضطر بسببها الى ترك هذا الطريق وأخذ بعده
 فى كثير من الصنائع دون أن يتم واحدة منها حتى عاد الى مصر لعله يجد
 طريقة للتميش وقد انقطع عني من ذلك الحين حتى رأيته الآن فأخبرني انه
 لم يطل مكنه بمصر وحسن له بعض الناس السفر الى بلد غيرها فقصدها ولم يزد
 حاله إلا نحسا وعيشه الأعكسا فتركها الى غيرها وما زال ينتقل من مكان
 الى مكان لا يقر له قرار حتى الآن وانه ناول بعد ذلك على الرحيل الى بلاد بعيدة
 أبعد من التي سافر اليها لعله يجد فيها من العيش ما لم يثر عليه الى هذا الوقت
 فتركنا هذا السوق وفي النفس تأثر لهذا صاحب القديم وقد عضه
 الدهر بنابه ورماءه بعظيم أوصابه وفرق بينه وبين عشيرته وأحبابه وما ناله من
 كروو الزمان الأ كبير مصابه واحببنا التخلص من هذا التأثير بالتزور في البساتين
 الزاهرة التي أحاطت بالسراي التونسية منقولة ازهارها واشجارها من بلادها
 الأصلية معمولة على نموذج أحسن المنتزهات عندهم وفي طرف منها قهوة تونسية
 فيها نساء تونسيات ممسكات بمناديل حريرية يرقصن بها على صوت آلات الطرب
 والفناء والموسيقى الأهلية

ثم بعد تفرجنا على معرض الجزائر وتونس انتقلنا الى (معارض المستعمرات
 الفرنسية وباقى البلاد التي تحت الحماية) وجميعها بمجوار المعرضين السابقين وقد
 بنيت بعض سرايات لبعض معارض خصوصية كمعرض أنام وتونكين بني لها
 سراي بالقرب من السراي التونسية ومعرض كوشنشين بنيت له سراي ايضا
 وجعل بينهما سراي سويت بالسراي الوسطية خصصت بمعارض المستعمرات

والبلاد التي تحت الحماية الفرنسية ولم تبن لها قصور خصوصية ويتخلل هذه السرايات قصور لبعض معارض اخرى وحدائق ومنزهات ورائها كثير من القرى الأجنبية كالقرية السنجالية والكاليدونية والكوشنشينية والجاوية مما سيأتي الكلام عليها فتشغل هذه السرايات والقصور المشيدة والقرى العديدة مع معرضي الجزائر وتونس الضفة اليسرى من ساحة قسم أنقلايد أما الضفة اليمنى فقد خصصت ببعض معارض المصالح الحكومية والجمعيات العمومية يفصل بينهما الطريق المتسع الذي ذكرناه آنفاً

والمستعمرات الفرنسية التي اشتركت في هذا المعرض من افريقية سوى الجزائر هي سنجال وجابون والكونغو وجزيرة ريونيون وأوبوك وغير ذلك ومن آسيا الكوشنشين او الهند الصينية والبلاد الفرنسية في الهند ومن الجزائر الأوقيانوسية كاليدونيا الجديدة وتايتي وجزائر پاسيفيك وماركيز ومن امريكا جويان الفرنسية وأنتيل وسان بيير وميكلون

واما البلاد التي تحت الحماية وقد اشتركت في المعرض سوى تونس فهي كامبوج وأنام وتونكين وماداغشقر

وقد بدأنا في التفرج (بالسراي الوسطية) فدخلناها وهي بنية طولها ٧٣ متراً عبارة عن رحبة تحيط بها قاعات فسيحة دائرة

والسراي في حد ذاتها لم تعمل على طراز مخصوص لعدم اختصاصها بجهة بل أراد منشؤها جمل بنائها مشتملاً على طرازات شرقية مختلفة كالهندي والصيني والجزائري ومع ذلك صير هذه الطرازات المختلفة باجتماعها في غاية التناسب واللفظ وجعل لونها تغلب عليه الحمرة فجاء غايه في الظرافة وبني لها قبة عظيمة

فوق بابها الأصلي الذي يدخل إليها منه ارتفاعها خمسون متراً بكل جهة من جهاتها الأربعة برج وبآخر البناء من كل جهة منه برج أيضاً فصارت السراية ذات بروج متعددة وقبة تتخلل بروجها نوافذ كبيرة تعلوها سقفٌ هرمية الشكل حمراء أيضاً وقد عُرِضت في القاعات حاصلات البلاد المستعمرة التي ليس لها معارض خاصة بها كما تقدم وصار تقسيمها بمجواز تفصل معروضات كل بلد عن معروضات البلد الأخرى فمحوت من غرائب هذه البلاد البعيدة وبدائعها ونفائس موجوداتها وصنائعها ما يلزم لتدوينه كتب مطولة ومن أسلحتها وحرايا وحيواناتها وهوائها شيئاً لا يمحى فضلاً عما ضمت إليها الحكومة الفرنسية من النتائج الإحصائية والخرائط الجغرافية والجداول التي تبين ما صنعتها فيها من الأعمال النافعة العمومية وفي وسط رجة السراي شكل هرمي من الخشب مرتفع وضعت عليه صور الآلهة التي تُعبد في تلك البلاد المختلفة مجسمة من الحديد والبرونز والجبس والخشب على حسب أصلها فيا للعجب لغرابة هذه الآلهة المقدسة لدى معتقديها المحترمة عند عابديها فكَمْ قُرِبَتْ لها منهم القربان وأُسِيلَ في أرضائها الوهي من دم الإنسان على فظاظة تراكيها وبشاعة مناظرها وإساليها واختلافها في الشؤون بين تعدد رؤوس وقرون وفضاعة الهيئات واللحى والأجسام وغرابة الألوان والأشكال في هذه الأصنام

وأمام هذه السراي بركة ماء متسعة فيها زوارق من زوارق تلك البلاد أخذت من الأشجار على حالتها الأصلية وحُفرت بمرقق النار يسير بها في الماء بعض أهاليها على اختلاف أشكالهم وهيئاتهم وألوانهم وملابسهم ثم دخلنا (سراي كوشنشين) وأول شيء يستلفت أنظار الوارد إلى هذه

السراي غرابة سقفها وذلك ان تلك البلاد لها عناية بالسقف وجعلها بكيفية مخصوصة على غير ما عهدناه فسقف هذه السراي مركب من سبعة سقوف فوق بعضها منقوشة حواشيا بالنقوش اللطيفة ملونة بالألوان الظريفة منفصلة عن بعضها تمام الانفصال تحملها عمد ترتكز عليها منقوشة بالألوان واشكال الصور الحسان والأزهار والطيور والفرسان

ولم يلتزم في هذا السراي شكل بناء مخصوص أو شكل محل معلوم وانما جعل نموذجاً للعمارات الدينية والبنائات الأميرية في تلك البلاد نقلت إليه احسن أشكالها ومحاسن هياتها وان كانت تغلب عليه هيئة المياكل أكثر من هيئة قصور الأمراء

وقد صنعت اخشابهُ بمدينة سايجون حيث صنعها عمال وطنيون وأتى بها بعضهم الى هنا فركبها ولونها بهذه الألوان والنقوش البديعة على مرأى من الجميع فإذا دخل الانسان من الباب الكبير وجد رجة فسيحة في وسطها حياض أعدت لتربية الأسماك وتنميتها بالطرق الصناعية لتخللها النباتات المائية وتحتاط بها الأواني الصينية اللطيفة المصنوعة في تلك البلاد مملوءة بالنباتات منقوشة بأحسن النقوش

ويحيط بهذه الرجة كثير من القاعات في الوسطية منها اشياء متعلقة بالأديان من صور وتماثيل آلهة وأصنام يحيط بها نفائس كثيرة من مصنوعات لبلاد الفينة وفي غير الوسطية عرضت حاصلات البلاد من زراعة وصناعة نفوت جميع الأصناف من الأسلحة وآلات الموسيقى والأسرة على لطافتها ورقتها والملابس على اختلاف اشكالها وأدوات التعليم على كثرتها للذكور والإناث

والخيزران ومصنوعاته العديدة والأخشاب واعمالها العجيبة حتى غودجات السفن صغيرها وكبيرها والفواكه والدخان والبن والنيلة والأرز الى غير ذلك من الحاصلات الزراعية والصناعية

ثم دخلنا (سراي أنام وتونكين) وقد استعملت الاخشاب فيها أكثر من استعمالها في التي قبلها وذلك لقلة الأحجار في تلك البلاد بحسب بُعد الجبال عنها ومشقة النقل منها اليها فلا تستعمل الأحجار الا في بناء المياكل وقصور الملوك ويستعاض عنها اخشاب غاية في الصلابة والمتانة لا تتأثر من الرطوبة كما يستعاض عنها الآجر والجبس واشجار الخيزران وخليط يعمل من الكلس والرخام وقد جاءت هاته السراي أكثر نقشا وأحسن رقشا وازيد زينة وزخرفة من التي قبلها وعملت على الطراز الأنامي والتونكي الكثير الشبه بالطراز الصيني في العمارات حتى يُظن أن العمارة فيها أخذت من الصين

وشيدت هذه السراي على انموذج المياكل المخصوصة بالعبادات " باجود " صنعها ونقشها عمال من أنام وتونكين استحضروا من مدينة سايجون فاشتغلوا بعملها أشهراً طويلاً حتى أوصلوها الى ما هي عليه من الإتقان ثم بقي منهم بعد ذلك من يحرص ما فيها من الحاصلات والمصنوعات

وهؤلاء الأقوام قصيروا الأجسام مثلهم كمثل مجارويهم من سكان الهند الصيني وجميع الصينيين وهم أشبه بالقردة في قبح الوجوه وبالنساء في طول الشعر وضفره وسعة السراويل وتلوينه وخلو الوجه من الشعر لحية وشارباً فهم جرد مرد ذوو أافية عريضة وأسنان سود من كثرة مضغ التانبول فيجتمع للفرج عليهم الزائرون في المعرض من كل جانب خصوصاً حينما يشتغل الصانع منهم بصنعه

فانه يعجبهم صبره على العمل ومهارته فيه واستعماله جميع اجزاء جسمه في عمله
ويعجبهم دقة أدواته

وفي وسط هذه السراي رجة متسعة بها تمثال "بودة" مجسم على شكله الموجود
بمدينة هانوي وهو من أحسن اصنامهم صنعا

ومحيط هذه الرجة قاعتان كبيرتان طول الواحدة منها ٢١ مترا وعرضها
ثمانية أمتار تصلها ببعضها قاعات اقل منها اتساعا وصنع في اثنين منها تماثيل
كبار الموظفين الاثامين مجسمة ووضع في باقيها كثير من المصنوعات من أسلحة
وحرب وسفن ونقوش وصور ورسومات وفضيات وزهبيات وحلي ومصوغات
ومراوح وحرائر وبسط وحصر وأواني من الصيني والبرونز ثم الخيزران بجميع
ما يعمل منه في الاستعمالات المنزلية والعُدَد والأدوات والآلات الصناعية ثم
آثاث المنزل ولوازم فرش مصنوعة من الخشب ثم التوايت المعدة للموت فان
اهل هذه البلاد شديدو الشغف بها وباقنائها حتى ان الابناء يهدون منها للآباء
اما الحاصلات الزراعية فنخص منها الرامية وقد نجحت في هذه البلاد نجاحا
عظيما تسبب لها في خيرات حمة كنانود ان يكون في بلادنا كذلك اذ زرعت
فيها ولم تنجح هذا النجاح

ثم انتقلنا الى (معرض كامبوج) المبني على شكل هيكل "أنقروات" وكامبوج
هذه مملكة من ممالك الهند الصيني تحت الحماية الفرنسية سكنها في السابق
اقوام بلغوا الذروة العليا في التقدم والتفنن كما تشهد بذلك آثارهم العديدة وأبنيتهم
الفائقة المشيدة ولكنهم انقرضوا لأسباب لم نؤكد حقيقتها وخلفهم هولاء
الحاليون ويدعون انهم من نسلهم

ومن ضمن آثار القدماء هيكل أنقروا العظيم الاتساع العالي البناء وقد دلت بعض الكتابات التي عُثر عليها في بعض جهاته أنه قبل المسيح بمائتي عام ويشغل مسطحه أكثر من ٦٠٠٠ متر مربع يُحيط به خندق عرضه مائتا متر وله برج ارتفاعه ثمانون متراً

وقد اجتهد من شاد بناء هذا المعرض الكامبوجي في نقل بعض هيئة هذا الهيكل فأخذ طوابع كثيرة بالجيس من نفس الهيكل الأصلي وطوابع مما اودع منه ببعض المتاحف وشاد هذا المل على هيئة أحد أبواب ذلك الهيكل الجسم وجعل فوقه برجاً كبيره إنما ارتفاعه نصفه وهواربعون متراً فجاء بناء فآخرًا وأثراً عظيماً دل على ما كان لهؤلاء القوم من سالف القوة في الأعصر الحالية وَوَجَّهَ الأَنظار الى استطلاع آثارهم والوقوف على اخبارهم فقصدهُ زائرو المعرض من كل فج يمتعون بمنظره وينزهون الطرف في بهجته ولطافته

وقد جعل برجه على شكل بديع فركب من سبع طبقات هرمية تعلو الواحدة منها الأخرى حتى تنتهي الى ذروة عالية وكل طبقة من هاته الطبقات معمولة على هيئة مظلات كأنها جعلت لمنع حرارة الشمس عن هذا المعبود الذي شيد الهيكل برسمه وتُظَل بظلالها هذا الإله الذي أُقيم لتمجيد اسمه وقد حوت هذه المظلات والطبقات كثيراً من أحاسن الصور والرسوم ورُسِم حوالي كل مظلة منها صور ثعابين الواحد منها له مائة رأس

واشتمل هذا الهيكل من الداخل على كثير من التماثيل المنقولة من نفس الهيكل الأصلي مجسمة بالجيس او منقوشة بالتصوير على حسب وضعها هناك واذ دخلناه وجدناها اصنافاً كثيرة من مصنوعات تلك البلاد ومزروعاتها

قد أحسنت رصاً وأجيدت صفاءً فدلّت على عود روح العمران الى هذه البلاد
 وأنهم ان داوموا على هذا الاجتهاد حصلوا على مجد الاجداد
 ثم انتقلنا الى (القرى والضياع الاجنبية) وما يتخللها من الاماكن وكنا
 ذكرنا أن وراء قصور المعارض السابقة قرى وضياعاً كثيرة بُنيت على هيئتها الاصلية
 يسكنها عالم من أهلها الحقيقيين لا بسين ملابس بلادهم مشتغلين بأعمالهم المعيشية
 فيها فيتخيل الإنسان أنه في احدى تلك القرى الوحشية بين خلائقها الممجبة
 فهذه (ضيعة من ضياع سنغال) بأفريقية بُنيت حوالي برج مماثل للأبراج
 الحرية التي شادها الفرنسيون في تلك الجهات اما البرج فبناء ذو طبقتين
 من الابنية المادية سقفه معلق به الراية الفرنسية وبالبناء نوافذ يدخل منها
 الضوء وتستعمل وقت قيام الحرب وقد أوجدوا كثيراً من هذه البروج في جهات
 مختلفة واستعانوا بها كثيراً واما الضيعة فمساكنها على الحالة الممجبة الأصلية
 مصنوعة من القش والطين مستديرة الشكل هرمية السقف مستديرتها ايضاً وبهذه
 الضيعة جميع المصنوعات والصناع الوطنيين من صائغ وحائك وصانع عصي من
 الخيزران وغيره مما يستعمل عندهم هذا والموسيقى الوطنية ذات الأصوات المزججة
 تسير في وسط القرية حيث لا ظل ولا شيء يقي من حرّ الشمس وحيث يجلب
 نظر الانسان عن غير القرية سور عال من القش فيرى نفسه كأنه في احدى
 قرى سنغامبيا الحقيقية تحيط به نساؤها ورجالها واطفالها بملابسهم التي لا تكاد
 تستر أجسامهم لولا التشديد من طرف الحكومة الفرنسية
 وهذه (مساكن مداغشقر) الالهية على حالتها الأصلية
 وهذا (الفندق الأنامي) وراء السراية الانامية جعل بناؤه على هيئة

الفنادق الانامية ظاهراً وباطناً لكن لم يوجد به من مآكلهم العادية شيء لعدم الرغبة فيها فإنها عبارة عن اسماك منتنة ويبيض متعفن ولحوم كلاب مشوية وغيرها مما تعافه النفس

وهذا التياترو الانامي هي على شكل ملاعب تلك اليلاد ويسع خمسمائة نسمة من المتفرجين فيرون غرائب الالعب من عجائب المخلوقات وقد مرّ خلوها من الجمال على كل حال

وهذا (قصر معروضات جواديلوب) بماحواه من الاصناف والحاصلات الزراعية والمعدنية واخصها معمل تكرير السكر وعمل الروم وهذه النباتات التي تنبت في المستعمرات الفرنسية وقد عملت لها اماكن مغطاة بالزجاج تمدها بالحرارة اللازمة لها

وهذا (محل من محلات الاتجار) التي انشأتها فرنسا في بعض بلاد افريقية جعل انموذجاً لمحلات الاتجار الاوروبية التي يقيمها الاوروبيون في البلاد المتبريرة فيجعلون فيها ما يروج عند أهلها من البضائع فيستبدلونها منهم بما عندهم من الحاصلات

وهذه (ضيعة من أعمال كاليدونيا الجديدة) المخصصة بارسال المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة اليها رأينا فيها محلاً على هيئة مساكن المحكوم عليهم وهم يعطون في تلك الجهات ارضاً يزرعونها فتزاد لهم ويزاد في حريتهم من الادارة هناك كلما رأتهم مستمرين على حسن السلوك والاستقامة

وهذا (قصر الاستعلامات التجارية) وقد جعل بجانب هاته المعارض الاستعمارية يجد فيه الطالب انموذجات من جميع اصناف الحاصلات الأجنبية

التي تجلب الى المستعمرات الفرنسية مع بيان اثنائها وكيفية ارسالها ونموذجات من
الحاصلات التي ترسل من المستعمرات الى فرنسا لاستعمالها فيها وصنعها بها ونموذجات
من البضائع التي ترسلها فرنسا لتلك المستعمرات واستعلامات كثيرة تتعلق بما ذكر
هذا ما رأيناه مما يتعلق بقرى المستعمرات الفرنسية وقد شيد بجانبها (قرية
من قرى بلاد الجاوه) احدى المستعمرات الهولندية ففرجنا عليها ورسم الدخول
فيها خمسون سنتيماً على ما تذكر

وقد تعهد بتشيد هذه القرية المسمى "برنار" وهو من أغنياء فرنسا أقام في
بلاد الجاوه ثماني عشرة سنة وعرف كل ما هم عليه من الأخلاق والعوائد والطباع
فاحضر منهم الى المعرض ٦٠ شخصاً وبنى لهم أكواخاً على طراز قراهم معمولة
جميعها من الخيزران معمولة على قوائم من خشب ترفعها عن الأرض لتقي من بها
شر الحيوانات الضارة وجعل فيها محلاً لاستذاقة الأشربة يقصده من أراد
الوقوف على حقيقة مشروبات هذه البلاد ومحلاً لصناعة القلانس المتخذة عندهم
من اشجار الخيزران تصنع أمام المتفرجين ومحل طبخة تشتغل فيه طابخة بتجهيز
الأرز الذي هو طعامهم المعتاد وباقي الأكواخ يسكنها الرجال والنساء والاطفال
يشغلون في داخلها وخارجها أمام المتفرجين بأعمال المعاشية من تجهيز الأطعمة
والاوازم المنزلية ولا ملابس تستر جميع أجسامهم بل لا يسترون الاقساماً خاصاً منها
ببعض الأقمشة اعطاهم لم من نظم هذه القرية محافظة على الأدب الزمهم بلبسه
بدلاً عما اعتادوه من الملابس الرقيقة الشفافة التي لا تحجب فكان لبسهم لهذه
الملابس التخينة على شدة كراهة منهم لها حتى اذا انصرف عنهم المتفرجون خلعوا
هذه ولبسوا ما اعتادوه من باب ارتياح النفس الى ما ألفته واعتادت عليه

أما موسيقى هؤلاء الجاويين وقد حضر أحسن مناعهم بالأنهم البلديّة الى هذه القرية ومعهم الراقصات تمحليات بالخلي والملابس الحريرية متوشحات بالأزديّة الرقيقة البية فإني هذه الموسيقى البربريّة من الشدة والدبدبة الغير المألوفة يُجَبِّرُ بما لهاته الراقصات من اللطف ورشاقة القد واعتدال القوام وتناسب الأعضاء وحسن الوجوه وجمال تركيبها ولطافة العيون وظرافتها وخفة حركاتهنّ في حال الرقص وإن كن سُمُر الألوان لكنها لاتشينهنّ بل ربما كانت مستحسنة لدى كثير من الناس

هذا والسائر في هذه القرية وما جاورها من القرى والمساكن المعبورة بهؤلاء الأقوام يرى نفسه كأنه سائر في أنحاء الأرض القاصية البربريّة متنقل من أفريقيّة الى آسيا ومنها الى أمريكا مخالط اشخاص جهاتها المختلفة ناظر مساكنهم داخلاً وخارجاً مطلع على احوالهم المختلفة العادات مشاهد نساءهم ورجالهم واطفالهم مستمع نغمات أناشيدهم وموسيقاتهم عارف كيفية ماكلهم ومشاربهم وذلك كله في بعض ساعات

ثم انتقلنا الى (معرض جمهوريّة افريقيّة الجنوبيّة) وقد سبق جعل محل هذا المعرض على مقربة من القرى السابقة شادته جمهوريّة هاته البلاد على مصاريها وعملته على هيئة مساكن الهولانديين الذين صاروا من أهلها وبلغ ما صرف عليه ٨٠٠٠٠ فرنك عرض فيه أربعة وخمسون من كبار تجارها وزراعتها أصناف حاصلاتهم وبضائعهم من حبوب ودخان وأصواف وجلود أبقار وأوعال ونمور ومن طيور وريش نعام وحاصلات معدنيّة من الذهب والفضة والنحاس والحديد والفحم حتى عرضوا من ضمنها قطعة من الذهب المعدني على حاملها المستخرجة هي

عليه زنتها ٣٠٠٠ رطل استخرجت من معادن ذهبية هنالك مملوكة لبعض الأحاد عمقها ٩٠ قدماً يوجد الذهب فيها باعتبار خمس أواق في الطونولاطة الواحدة من الترب فلله درُّ أبناء المولاندين الذين أسسوا هذه الجمهورية وصارت بهم هذه الأرض بعد أن كانت صحراء مقفرة جنة ناضرة تُحسد على غناها وثرثرة أهلها واذ قد انتهينا بمعرض هذه الجمهورية الأفرقية من النصف الأول من قسم إسبانيا ديزا نقاليد انتقلنا إلى النصف الثاني منه المنفصل عنه بالطريق المتسع الوسطى كما تقدم المخصص ببعض النظارات وبعض المصالح العمومية

فدخلنا (معرض وزارة البوستان والتلغراف) وهو عبارة عن مربع كبير منقسم إلى قاعتين كبيرتين وضع في إحداها الآلات التلغرافية ومواد البوستان والتلغراف ولوازمها على ما في الجميع من الاتقان وفي القاعة الأخرى وضعت انموذجات العربات المخصصة بنقل البريد في السكك الحديدية وفي المدن والقرى والضيايع مختلفة الأشكال بحسب اختلاف اللزوم وقد أعجبنا في المخصصة بالسكك الحديدية منها الكيفية التي عملت فيها لتسهيل تناول المكاتب وغيرها منها وإليها حال سير الوابور بالمحطات التي يقف عندها وهذا المحل على ساذجته وخلوه عن الزخرفة والزينة عظيم النفع جداً لما اشتمل عليه من موجبات تقدم هذا العصر

ثم دخلنا (معرض التحفظات الصحية ومساعدة الفقراء) وقد أقيم على نفقات نظارة الداخلية واشتمل على نمودجات من جميع ما يستعمل في سبيل حفظ الصحة في المدن والقرى وعلى انموذجات مما تجر به الإدارة الخيرية المخصصة بمعاونة المعوزين والفقراء

وقد خصصت إحدى قاعاته بما يلزم اللقطاء وأطفال بعض الفقراء الذين

يضطر اهلهم لتركهم على قارعة الطريق فتأخذهم ادارة مساعدة الفقراء وترسلهم الى القرى ليريتهم بها في محلات مؤتمنة على مصاريف من طرفها ثم تقوم بتعليمهم حتى يشتد أزرهم ويقدرُوا على معاشهم فاحتوت على نموذجات كثيرة من الأئداء الصناعية لرضاعهم والمهود وآلات تعليمهم المشي وفراشهم والى غير ذلك من لوازمهم حتى طرق لفهم على تعددها

وخصصت قاعة اخرى برسومات المستشفيات والبيمارستانات وما يلزم لها على اختلاف اشكالها وتعدد طرق المحافظة فيها على صحة المرضى والعناية بأمرهم وخصصت اخرى بمواصلات مدرسة العُني والحرس ومصنوعاتهم وكيفيات تعليمهم حتى الموسيقى والبيانو وأخرى بعرض مادة التلقيح الجدري المستحصل عليها من الحيوان واخرى بأدوات تهوية الاماكن وتنظيفها وتنقيتها من مواد عفونات والميكروبات المضرة

ثم دخلنا (معرض نظارة الحرية) وقد اعتني كل الاعتناء بتشيد هذا المثل وجعله جديراً بأن تعرض فيه لأنظار العموم حالة فرنسا الحرية برية وبحرية فجعل على هيئة قلعة من القلاع القديمة ذات باب كبير وبروج عظيمة وخنادق عليها قناطر تفتح وتغلق بحسب اللزوم وداخله اشبه بقشلاقات العساكر التي بداخل القلاع في الأزمان السابقة رُصت فيه الاسلحة على اختلاف اصنافها رصاً وصفت صفاً

فهذه اكبر المدافع التي أوجدت لاستعمالها في البر على اختلاف أشكالها وُضعت في رحبته وجعلت في قاعة مجاورة لها مصنوعات الحديد المتعلقة بالحرب ومن ضمنها صفائح مدرعات سمكها خمسون سنتيمتر بحيث لا يؤثر فيها اي مؤثر

كما دلت على ذلك التجربة والاختبار
وفي جهة ثانية مدافع بحرية تبلغ زنة الواحد منها ٦٦ طونولاطه وطولها
١٤ متراً

وفي قاعة على حداثها الخرائط الإيدروجرافية اي المختصة برسم الأنهر
والبحيرات وانمودجات من جميع الملابس ولوازم التجهيزات البحرية
وخصصت قاعة على حداثها بتاريخ الهندسة الحربية وكيف انتقلت من حالتها
الأولية حتى تدرجت الى ما هي عليه الآن من التقدم مبين ذلك بخرائط ورسومات
تتبي عن الاستحكامات القديمة وكيف كان الدفاع بها والاستحكامات الجديدة
وزيادة إحكامها ويتبع ذلك ملابس رجال الهندسة الحربية من يوم انشئت الى
هذا اليوم بتغيراتها وتبدلاتها

ثم قاعة بتاريخ الطوبجية فاحتوت على أصناف المدافع من عهد وجودها على
حالتها الأصلية الى ما وصلت اليه الآن ويتبع ذلك ايضاً ملابس الطوبجيين في
هذه الأزمان من بدءها الى هذا العهد

ثم قاعات أخر بالتلغرافات الحربية وبيان كيفياتها وهيئات استعمالها
ثم أخر بالاسلحة على تعدد اشكالها ومقذوفاتها من بنادق وطبنجات والآلات تبديد
وفتك مختلفات

ثم قاعة بالخرائط الجغرافية الخاصة بالجيش الفرنسي وأهم ما فيها خريطة
عملت لأرض فرنسا بمقياس $\frac{1}{100,000}$ يتبعها ضباط من كبار ضباط الجيش
بملاحظة اي شيء يحدث فيعملونه فيها

ثم قاعة بعرض كتابات الضباط الحربيين الشيرين وقد أخذت من كنجانة

نظارة الحرية فيجد الزائر خطوطاً كثيرة لأكبر الضباط منها خطوط نابليون الأول

ومن المحلات التي ترد عليها الزائرون في هذا المعرض الحربي كثيراً محلات خصصت بعرض الملابس الحربية المستعملة الآن برية وبحرية وقد صوّرت المساكرو والضباط فيها بالشمع مجسمة حسب الألوان والأشكال الطبيعية وجُعِلَتْ جموعاً متعددة على هيئات مختلفة كأنها حقيقة

وبحرس هذا المعرض ١٣٠ عسكرياً من جميع أصناف الجيش الفرنسي بين بري وبحري لابسون ملابس جيوشهم متحلون بأسلحتهم وذلك ما يزيد هذا المعرض هيئة وأبهة

وعجيب هذا الاعتناء بالاشياء الحربية التي لم يجعلها الانسان إلا للفتك بيني جنسه وإخوته في القرابة الأصلية وأعجب من ذلك عرضها حال كونها بهذه الدرجة المائلة في هذا المعرض السلمي وقد جعل لعرض الحاصلات الصناعية والزراعية وغيرها من المعروضات النافعة للنوع البشري بقصد التنافس والتشجيع لمن أحسن عملاً والتنشيط لغيره اللهم إلا أن يقال إن من شادوا هذا المعرض الحربي لاريب ان قصدهم منه حسن فإنه يثبت قوة فرنسا المادية وإنهم بهذا الاثبات يتوصلون الى استدامة السلم لا الى إثارة الحرب فإن الاعداء متى رأوا لها تلك القوة وعلموا ان لا طاقة لهم بها كفوا عن محاربتها واستمر السلم بخلاف ما اذا لم يروا ذلك فربما ظنوا عدم القوة واعتقدوا التهاون فينتهزون هذه الفرصة لمفاجأتها وشن الفارة عليها

ومها يكن الحال فإنه يستنتج من هذه المعروضات أن ابن آدم كما اشتغل

وتفنن في الأشياء اللازمة لمعيشته ورفاهيته وسعادته وزيادة تتمه والمحافظة على صحته اشتغل وتفنن في الآلات والأدوات التي تفنن بخله وتقلل من نسله وتحرم الناس من عمله والصنائع من صنعه والعقلاء من نتائج فكره كل ذلك بيلة الدفاع عن النفس والوطن والحماية عنها ألا ترى هذه السراي التي خصصت بالمعروضات الحربية وتلك التي خصصت بالصناعات المتنوعة فإن الأولى حصل التفنن فيها بجميع أدوات الفتنك والثانية حصل التفنن فيها بجميع آلات النفع للنوع البشري

ثم دخلنا (معرض القباب الطائرة المعروفة بالبالون) وقد جعل البناء الذي خصص بهذا المعرض بمجوار معرض الحرية لمناسبة المنافع التي تخصصت عليها الجيوش بواسطة هذه القباب في حرب السبعين ولما يُظن استحصاله بها من منافع أخرى زيادة عما تحصلوا عليه خصوصاً أن الحالة التي وصلت إليها هذه القباب كانت من عمل الكومندان رُونَار أحد الضباط الحربية فكانها من جملة آلات الحرب

وبناء هذا المعرض مربع مرتفع الى جهة سقفه قبة على الطراز الأخير عملت تحت ملاحظة الكومندان رُونَار الموما إليه معلق بها زورقها المعد لركوب من ترتفع به وفيه بطارية كهربائية

وبجوانب جدران المثل رسوم مختلفة مجسمة وغير مجسمة تدل على تاريخ القباب الطائرة كيف كانت في الأول وكيف تقدمت تدريجاً حتى وصلت الى ما هي عليه

والقوم شديداً الاعتناء بأمرها في جيوشهم حتى إنهم خصصوا بكل جيش

بالوناً مع لرازمه وهو قبة من الحرير مدهونة بزيت دبّروهُ بكيفيةٍ مخصوصة لا يؤثر فيها الماء وزورق يُعلّق بها فيه آلة لتجهيز غاز الإيدروجين وحبال لإمساك القبة اذا أُريدَ عدم اطلاقها في الهواء وعيَّارات تُستعمل في انزالها وآلة بخارية تُدير تلك العيَّارات

وأعظم ما وُجد من القباب الطيارة منذ اخترعت الى هذا اليوم القبة التي اخترعها القومندان رُونار السابق ذكره وسمّاها "فرنسا" وعرض في هذا المحل قبة على شكلها معلق بها الزورق الذي رأيناهُ وطوله ٣٣ متراً ورفاسته قطرها سبعة أمتار وماكينتها الديناميكية قوتها ستة خيول

وقد جرّبت القبة المسماة فرنسا أول مرة في يوم ٩ أغسطس سنة ١٨٨٤ وبعد ان سبحت في الهواء مسافة كيلومترات كثيرة أمكنها العودة الى المحل الذي قامت منه مع ان الهواء كان مواجهاً لها ثم عملت تجربة ثانية عنها ولم يكن النجاح فيها بأقل من الأول وذلك في ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٨٤

وهاتان التجربتان اللتان نجح فيهما هذا القومندان بعدُهما اهل هذا الفن بدء تاريخ جديد بالنسبة لفن السباحة الهوائية

ولم يثن عزمه عن زيادة البحث والاستمرار على الكد بغية الوصول الى أكثر ما وصل اليه في فرنسا هذه من السرعة وذلك بأن يتيسر له تحريك هاته القباب الهوائية بماكينات كهربائية أكثر قوة وأقل حجماً وثقلاً من التي استعملها في هذه وفي الأمل ان يصل هذا الحاذق الى متناهٍ فإنه حل عُقدهُ ما هو أصعب من هذا من جعل هذه القباب تسير حسب طوع الراكب ورغبته لا حسب الهواء وعدم راحته وقد وصل الى ذلك بالرफاسة التي جعلها وراء الزورق ودل على نجاحه

في ما ذكر التجارب التي ذكرناها

ثم دخلنا (معرض الاقتصاد الاجتماعي) وفيه قد اعتنى اصحاب الشأن بأن يرى الناظر بالحس كيف يكون الاقتصاد وكيف يتوصل اليه من بابهم فجعلوا محلاً اقتصادياً للاكل يأكل فيه الانسان باقل من نصف فرنك أكلاً نظيفاً طيباً وجعلوا فرنساً اقتصادياً الرغيف فيه بعشر سنتيمات ووراءه نادٍ يجتمع اليه العملة والفعلة فيجدون فيه من الجرائد والكتب والمشروبات النافعة ما ينفيهم عن التردد على محال المسكرات فيتوفر عليهم ما هم ووقتهم وعقلهم ووراء ذلك كله امودجات بيوت بناها كثير من الشركات في استخراج المعادن وغيرها لسكنى عملتها جمعت كل اللوازم مع النظافة والاقتصاد في المصروف ومراعاة لوازم الصحة حسب ما يرام وبجوار هذا كله ما هو أفضل منه ايضاً من امودجات المحال التي شيدها اهل البر والاحسان لمساعدة الفقراء والمعوذين في غذائهم وسكنائهم وملبسهم ثم ان كثيراً من الشركات الاقتصادية كشركت السيكرتاه وصناديق التوفير وغيرها عرضت نتيجة أعمالها بواسطة جداول احصائية وأرقام حسابية ابانت فيها منافعتها وما توفر بواسطتها للعمال من ادخار المال عن الكسب الحلال

وها نحن قد انتهينا بهذا اليوم من التفرج على ما بقي من المعرض بيداً نريد البقاء به هذا المساء لتفرج على (الاحتفال بمشاخ بلاد فرنسا) فيه والزينة التي تجعل من أجلهم به

وذلك ان مشايخ بلاد فرنسا جميعاً دعاهم المجلس البلدي بباريس للحضور الى وليمة في هذا المساء الساعة ٧ بعد الظهر في سراي الصناعة "باليه دولا ندستري" بجهة شان زيليزيه فيجتمعون اولاً بديوان بلدية المدينة ثم يخرجون منه مارين

بشوارع باريس الكبيرة تقدّمهم فرقة من العسكريّين إليها بعض محضري المجلس البلديّ الباريسي فشخّ البلديةّ وعلى جانبيه شيخاً بلدين من اصغر بلاد فرنسا التي اجابت الدعوة فباقي المشايخ وعدد هم ١١٨٢ شيخاً مرتبين بحسب ترتيب المديريات على أحرف المجاء يفصل كل فرقة عن الأخرى قائم من الخشب مكتوب عليه اسم المديرية يحمله محضر من محضري بلدية باريس فيستمرّون في السير حتى يصلوا الى سراي الدعوة والساعة ستة ثم يحضر رئيس الجمهورية والساعة سبعة حين يكونون جالسين على الموائد التي هيئت لهم

وقد لقوا في مسيرهم هذا من أهالي باريس أكراماً وتعظيماً لا مزيد عليها من الترحيب والتصفيق حتى وصلوا السراي وجلسوا في مجالسهم المعدة لهم ولما حضر رئيس الجمهورية جلس على مائدة الشرف وجلس معه عليها الميسو شوتان رئيس بلدية باريس والوزراء والميسو إيفل صاحب البرج والميسو برجييه وألفان من مديري المعرض

وفي أثناء تعاطي الطعام شرب رئيس بلدية باريس على صحة رئيس الجمهورية وشرب هو على صحة سائر البلاد الفرنسيّة ومشايخها

وكانت حفلة عظيمة إذ حضرها غير من ذكرناه من مشايخ البلاد والوزراء كثير من النواب واعضاء السناتو ومستخدمي الحكومة الكبار وضباط الجيوش البرية والبحرية حتى اضطروا الى تجهيز المآكل بالبخار وقد رأيت نسخة من جريدة "إستافيت" طبعت في خصوص هذه الوليمة رُسم فيها بالتصوير أشهر مشايخ البلاد وذكر فيها أسماء الجميع مع تفاصيل حال الوليمة وما احتوت عليه من المآكل والمشارب فأردت ذكر بعض شيء منها لغرابة ذلك

وهو أن عدد خدمة الموائد الف خادم سوى من بداخل محل طهي الطعام
 من يتناول منه الالف المذكورون وعدد الطباخين ٩٥ طبّاخاً وضعفهم من أتباعهم
 غَسَلَةَ الأصْحَن والأُوعِيَة وقد جهزوا من الشوربه ٢٥٠٠ لتر ومن المرق ٦٥٠
 لتراً ومن الاسماك ٣٠٠٠ سمكة كبيرة ومن كبار اطباق لحم البقر ١٥٠٠ ومن
 الفراخ الهندية ١٢٠٠ وعدد الاطباق ٨٠٠٠٠ طبق بحيث لورُصَّت فوق بعضها
 لبلغ ارتفاعها ١٨٠٠ متر بقدر ارتفاع برج إيفل ست مرات وذلك لأن كل
 عشرة اطباق منها ارتفاعها عشرة سنتيمترات وعدد ما شرب من الأنبذة المختلفة
 ١٨٣٠٠ لتر تفصيلها ١٥٠٠٠ زجاجة نبذ عادي و ٣٠٠٠ زجاجة نبذ جراف
 و ١٨٠٠ ماديرو ٤٥٠٠ پومار و ٤٠٠٠ شامپانيا وقد لزم لاجل تبريد هذه
 الأنبذة ٦٠٠ كيلو جرام من الثلج هذا عدا ما يلزم لتبريد ماء الشرب
 وبعد الفراغ من الاكل وشرب القهوة شربوا الدخان في حديقة السراي
 ثم قصدوا المعرض من طريق شاطئ نهر السين حتى وصلوه فاحتفل بهم الناس
 وكان فيهم رئيس الجمهورية والوزراء وخلق لا يحصون ووجدوه مزينا مستنيرا
 فتفرجوا عليه وعلى الفسافي ذات المياہ المنورة بالكهرباء المختلفة الألوان البهجة
 وعلى برج إيفل وهو مضيء كأنما يشتعل لهبا وصدحت الموسيقى وكثرت الفوضاء
 وصار كل من قابلهم يصيح "يعيش مسيولهُ ميز" - شيخ البلد - حتى ان بعض
 الناس رأى مع بعض هؤلاء المشايخ بنتاً له في غابة الجمال ووالدها تلوح من سماء
 الساذجية فحضره هو وأصحابه صائحين "يعيش مسيولير" وصاروا يقبلونه فظن ذلك
 الشيخ ان هذا فرح به وسرور بلاقائه واحتفال بأمره وقابل التقبيل بالتقبيل وما
 دري هذا الساذج انه ليس المقصود بالذات وإن ذلك مقدمة للوصول الى من

معهُ اذ ما لبثوا ان تركوه وانقضوا على الفتاة يقبلونها ويمانقونها كثيراً ويصيحون
 "نعيش بنت مسيولير" والناس أصفق وتصيح نهضة لم



﴿ اليوم الثامن عشر في باريس ﴾

هو آخر أيام الإقامة بها قصدنا فيه زيارة (المكتبخانة الالهية) فتوجهنا اليها
 ودخلناها من بابها الواقع على سكة ريشليو القرية من ميدان التياترالفرنساوي
 وتحصلنا من محل إدارتها على رخصة بزيارة محلاتها التي لا تزار بغير رخصة
 والمؤسس لهذه المكتبخانة هو الملك فرنسوا الاول حيث أمر بشراء الكتب
 من انحاء العالم ونسخ ما لم يتيسر شراؤه منها كما أنه ألزم كل طابع كتاب ان
 يودع نسخة منه فيها وهي لم تجعل في محلها الحالي الا في سنة ١٧٢٤ بعد ان
 تنقلت قبله الى محلات عديدة

ولا زالت من حين نشأتها لتوارد الكتب والنوادير اليها حتى وصلت الى ما
 هي عليه الآن وهي تنقسم الى اربعة اقسام الاول قسم المطبوعات والخرائط
 والجامع الجغرافية والثاني قسم الكتب المنسوخة بخط اليد والثالث قسم المسكوكات
 القديمة والأنتيكات والرابع قسم (استامب) الرسومات

اما قسم المطبوعات والخرائط والجامع الجغرافية فيشتمل على ثلاثة ملايين
 من المجلدات وقد حسب بعضهم أنه لو رُصت الرفوف الموضوعة عليها الكتب
 جميعها بمجوار بعضها لبلغ طولها ستين الف متر وقد انتقي من الطباعات احسنها
 وجلدت بأحسن تجليد واقننه وليس لهذا القسم فهرست تام لتوارد الكتب عليه
 كل يوم فلا ينقطع العمل فيه يوماً من الأيام

ويتبع هذا القسم قاعتان كبيرتان وهما أكبر قاعات الكتبخانة إحداهما قاعة
المطالعة العمومية فلا يمنع من الدخول فيها أحد والأخرى قاعة الاشتغال وهي لا بد
للدخول فيها أو الاشتغال بها من تصريح مخصوص لأنها خصصت بمن يريد التأليف
أو التصنيف والكتابة

وهذه القاعة مستحدثة في سنة ١٨٦٨ وهي في غاية الاتساع والعظم مربعة
يبلغ مسطحها ١١٥٥ متراً مسقفة بتسع قباب مكسوة من الداخل بالقيشاني
يسطع بها الضوء من نوافذ في هذه القباب معمولة تلك القباب على ستة عشر عموداً
من أحسن العمد الحديدية طول الواحد عشرة امتار

وأمناء الكتب جالسون في صدر هذه القاعة على مرتفع في شكل نصف
دائرة ووراءهم محلات الكتب طبقات فوق بعضها يتوصل إليها بمش وسلام في
الطول والعرض

وفي جهني القاعة يمتد ويسرة طاولات للعمل وأمامها محلات لجلوس
المشتغلين بالتأليف والكتابة عددها ٣٣٤ محلاً في غاية السعة والانتظام تمر من
تحتها أنابيب حاملة للحرارة لتدفئتها وقت اللزوم

وإذا دخل الانسان قاعة من هاتين القاعتين أعطيت له ورقة مطبوعة
ليكتب عليها اسمه وسكنه وتبقى عند مستخدمي الكتبخانة يقيدون فيها كلما
يأخذ من الكتب أو يرجعها مما أخذ حتى إذا انتهى من عمله وأرجع الكتب
أعطيت له هذه الورقة مكتوب عليها ارجاع الكتب فإذا خرج من الباب
سلمها الى المكلف به أما إذا كان عنده أوراق او كتب خاصة به ويريد ان يخرج
بها فلا يتأني له ذلك إلا بالاستئصال على تصريح خصوصي من أحد أمناء الكتبخانة

واذا طلب أحد كتاباً أثناء الاشتغال بآية القاعتين انتقل الى بعض الامناء الجالسين وأخذ ورقة وكتب فيها اسم الكتاب المطلوب ثم يعود الى عمله فيحضر اليه الكتاب في الحال هذا وعلى الطاولات المحابر والاقلام اللازمة لكل احد وفي دائر القاعة الكتب التي تكثر مراجعتها كالقواميس بحيث لا يحتاج من يطلبها الى انتقال على ما ذكره بالقرب من محل الامناء موضع الجرائد العلمية التي تصدر في اوقات معلومة وقدرها نحو اربعين فيرجع اليها من يريد مراجعتها

واما قسم المرسومات فيشتمل على مليونين ونصف مليون استامب يجمعها ١٤٥٠٠ مجلد في داخل ٤٠٠٠ محفظة

واما قسم كتب النسخ فيحتوي على ١٠٠٠٠٠ مجلد ويجواره قاعة صُنّت فيها أنفس كتب هذه المكتبة ونوادرها من حيث الرسم او الكتابة او التجليد او القدم او الندرة

واما قسم المسكوكات القديمة والأنيكات فيشمل نحو ٤٠٠٠٠٠ من السكك العتيقة وعلى ما لا يحصى من الأنيكات المتنوعة الغالية القيمة

واما ما يستلفت الانظار ضمن غرائب هذا القسم وعجائبه بالنسبة للمصريين "منطقة البروج" التي اخذت من هيكل دندرة بصعيد مصر

وقد أراد سيدي الوالد العزيز ان يستفهم من امناء هذه الكتبخانة عن بعض كتب عربية تهمة لعله يوجد شيء منها هناك فتوجهنا الى مأمور قسم الكتب الشرقية وطلبنا منه فهرست الكتب العربية فلم نجد لها من سوء الحظ فهرستاً بل أحضر لنا دفاتر متعددة كل واحد منها يحتوي قسم منه على شيء من الكتب العربية غير مرتبة ولا مبوبة فلم يتيسر وجود ما أراد وحملنا ذلك على قلة طلب الكتب

العربية فيها او على ان طالبيها غيرنا أعرف منا بمظانها في الدفاتر فيستدلون عليها بسهولة لم نيسر لنا

هذا وبعد فراغنا من التفرج بالكتبخانه توجهت لتوديع بعض أصحابي بباريس وقضاء بعض مصالح السفر وعدت الى الفندق وبتنا به الى الصباح ثم أخذنا في أهبة السفر وأنا آسف على فراق هذه العاصمة العظيمة وعلى فراق استاذي الفاضل العلامة الكامل الميسورونو المدرس بمدرستي الحقوق والعلوم السياسية وفراق رئيس الارسالية المصرية مذ كنت بباريس وهو الميسور مزير وفراق من بها للتعليم من المصريين الذين سبق ذكر اسمائهم وفراق زائري المعرض من المصريين الذين سبق التنويه بهم وفراق معارفي من الفرنسيين الذين عرفتهم بمصر مثل الدكتور فوكيه الطيب وكنت اتفقت معه بها على ان نتقابل بباريس ونجتمع بالدكتور رويو صاحبه الطيب الشهير فضلاً عن تأسفي على مفارقة محال السكن والاكل والدراسة والنزهة وباقي الحال التي كان لي بها علاقة حال دراستي بباريس



✽ من باريس الى لندن ✽

يوم الثلاثاء ٢٠ اغسطس سنة ٨٩ هو يوم الرحيل من باريس الزاهرة بعد أن أقضينا بها ثمانية عشر يوماً كاملة غير يومي القدوم اليها والارتحال عنها فتبلغ المدة بهما عشرين يوماً رأينا في خلالها عجائب هذه البلدة وغرائب معرضها شاغلين نهارنا وليلنا أما النهار فبالفرج على ما في المدينة وضواحيها من الأبنية والمنزهات والآثار وعلى ما جلب الى المعرض من فرنسا وسائر الاقطار وأما الليل فبالفرج

على بعض الحال التي مر ذكرها وبمطالعة كتب الدلائل على ما سنراه في اليوم التالي وتجهيز الاعمال التي في عزمنا عرضاً على المؤتمر فان "نبذة اللغة العامية" التي رأيت عرضها عليه طرأ لي ان أزيدها بعض كلمات سمعتها عند مرورنا بالاسكندرية ليلة السفر منها الى اوروپا فاستحسن الحاقها وان استوجب ذلك توسعاً في المقال حسب ما يقتضيه الحال

ففي صباح هذا اليوم ركبنا عربة من الفندق بعد ان شيعتنا صاحبتة وخدمها الى باب الدار مع اظهار التأسف من الجميع على فراقنا اما صاحبة الدار فلما اعتاد عليه اهل هذا البلد من حسن معاملة الغرباء واما الخدم فلما نالوه من المنحة لما رأيناه منهم من مزيد الاعتناء

وسرنا الى محطة سأن لا زار فقام بنا الوابور منها والساعة تسعة صباحاً الى ميناء ديب لنجوز منها بجر المانش الفاصل بين فرنسا وانجلترا الى ميناء "نيوهيفن" من السواحل الانجليزية ثم نركب منها وابور البر الى لوندرة

وأثرنا طريق البحر المذكورة بعد إمعان الفكر والسؤال من اهل الذكر على غيرها مما مسافته أطول أو أقصر لان ركوب بجر المانش هذا صعب على كل حال نظراً لكثرة الأهوية به والطريق الأطول يستلزم طول المسافة في البحر وامتداد المكث فيه ولا يخفى ما في ذلك من الشدة والطريق الأقصر تكون صعوبة البحر به أكثر منها في غيره لانحباس الأهوية فيه بين فرنسا وانجلترا وزيادة شدتها بسبب هذا الانحباس أما الطريق الذي سلكتناه فمتوسط فتكون المشقة فيه اقل مما فيها

والطريق الذي آثرناه مسافته ست ساعات على حسب العادة اما الطريق

الأطول فلهُ جهتان احدها من ميناء بولوني الى لوندريه بجرأ ونهرأ ومسافته عشر ساعات والأخرى من ميناء هافر الى ميناء سوتها متون ومسافته ثمان ساعات واما الطريق الأقصر فلهُ جهتان ايضاً احدها من ميناء كاليه الى ميناء دوفر ومسافته ساعة ونصف والأخرى من ميناء بولوني الى ميناء فلكستون ومسافته ساعتان وآثرنا سفر النهار على الليل لتتمكن من التفرج برأ وبجرأ وفي طريقنا مررنا على مدينة روان بعد ساعتين من مبارحتنا لپاريس وسرنا منها الى ميناء ديب فوصلناها بعد الظهر بنصف ساعة فكانت المسافة من پاريس اليها ثلاث ساعات ونصفاً

وديب هذه ثغر فرنساوي تبلغ عدة سكانه ثلاثاً وعشرين الف نسمة ميناء مصونة من غوائل البحر برصيف عظيم يمنحها عنها وهذا الثغر مشهور بلطف حماماته البحرية نقصدها السياح من كل فج ولما حللناها وجدنا البحر هادئاً والجو معتدلاً صافياً فحصل لنا الاطمئنان بذلك وكان أشار علينا بعض الاصحاب ان اول شيء نعله اذا نزلنا وابور البحر ان نتخذ لنا غرفة خاصة نلجأ اليها اذا اشتد الميجان فاعتدنا بذلك المدوولم نكثر باتخاذ غرفة بل بقينا على سطح الوابور نتمتع النظر بروية هذا الثغر اللطيف ومن يتوارد من السائحين والمسافرين حتى قام الوابور حسب مواعده فسرنا على بركة الله بعد الظهر بساعة

وهذا الوابور يشبه الواورات التي سرنا فيها من تريسته الى وينيسيا وهو اكبر من واورات النيل بقليل بسطحه صالون كبير تحته غرف كل من سبق الى احداها من المسافرين كان مختصاً بها ومن لم يسبق يكون بالصالون

فما زلنا على سطح الوابور حتى خرجنا من رصيف الميناء وإذا بالسطح قد امتلأ بلقاء بفتح وابلت منه ملابس الجميع وتوالى الموج واشتد هيجان البحر فتسلوع كل من له غرفة اليها ولزمنا الصالون وما برح الحال يشتد والهول يمتد والرأس في حوار والمعدة في اضطراب وكان خدمة الوابور أعطوا كل واحد من الركاب طستاً من الصيني لما يملونه بما لا بد عنه من لوازم الدوار واستمر الامر على ذلك حتى كادت النفس تزهي من شدة الأحوال وصعوبة هذه الأحوال ولم يبق أحد من الركاب قاطبة بدون تأثير كبيرهم وصغيرهم وعظيمهم وخفيرهم لا يسمع الانسان إلا أصوات تلام الأوج وتواردها بين فرادى وأزواج وتضجر الجيران في كل مكان وكل مشتغل بنفسه غافل عن حسه الى ان تقد ما كان من اكل وشرب ولم يتخذ مع ذلك الكرب وتوالى القذف من غير مقدوف واشتد التضجر والتألم على غير مألوف وكانت المدة على قهرها كالأشهر الطوال لا بل كالسنين والأحوال حتى تخيلنا قيام القيامة وترب كل مثاً حمامه وظن ألا خلاص ولات حين مناص وعظم الأمر وعيل الصبر وكثر الوجل وانقطع الأمل إلا من الله عز وجل فسلمنا الامر اليه واتكلنا في خلاصنا من هذا الهول عليه فان الامر علينا بذلك التسليم وانصرف ما قام بنا من الكرب العظيم وزال غنا ما كن من التوهم ولم يبق إلا التضجر والتألم حتى يسر الله بالوصول الى ميناء نيويهيثن بعد ست ساعات من قيام الوابور

وكثيراً ما سافرت في بجمار متسعه وشاهدت بها أمواجاً مفزعه ورياحاً مرتفعه ولهاولاً مروعاً واستمر على ذلك الحال أياماً وليال لكنها لم تكن بالنسبة الى هذه الساحات القليلة شيئاً مذكوراً واني مهاوصفت وبلغت لم أوف هذه الحالة حقها

ولم أقدر هذه الأهوال قدرها لا باللسان ولا بالبراعه. اذ تعجز عن ذلك ارباب
 البلاغة والبراعه وقد تعرفني رعدة وشده عند تفكري ما صار في تلك المده
 والعجب ان الاطباء في هذه الأزمان على ما هم عليه من التقدم والاثقان لم
 يعرفوا لداء البحر دواء ينفع ولا علاجاً لدائه يدفع غايه ما وصلوا اليه هو ما نعرفه
 من اختلاف امراضه باختلاف الامزجة والابدان ولنعم ما وصلوا اليه في هذا الشأن
 وعند وصولنا الميناء نزلنا مسرعين الى هذه القارّة فرحين مستبشرين
 حامدين على السلامة شاكرين على خلاصنا من هذه المشاق وقد زال ما لقيناه
 كأنه لم يكن وما لبثنا ان ركبنا وابور السكة الحديدية قاصدين لوندريه فسار بنا
 والساعة سبعة وخمسة واربعون دقيقة بعد الظهر ووصل اليها والساعة تسعة ونصف
 فكانت مسافة سيرنا من باريس الى لوندريه براً وبحراً إحدى عشرة ساعة وربما
 وقد كنا تركنا امتعتنا بمحطة باريس لترسل منها الى لوندريه حتى لا نشغل
 بها في سفرنا اليها فلما وصلنا لمحطتها وجدنا صناديقنا بها في الهل المعد للتفتيش
 من طرف الكرك ولم يفتش منها الا صندوق واحد فإن المعتاد عندهم أن ما يحمله
 السباح من لوازم الضرورية لم معاني الا ما يكون للتجار او المشروبات
 الروحية او الدخان الذي يزيد عن ٢٥٠ جراماً ولم يكن معنا شيء من ذلك
 فركبنا عربة من التي بالمحطة قرب الرصيف ونهينا قائدها على ان يوصلنا الى
 "ميدلندجراند هوتيل" وكنا اتخبتنا هذا الفندق من الفنادق التي تعامل
 بيت كوك باستشارة بعض الأصحاب

فلما وصلناه وجدناه في غاية الاتساع واللطف يشتمل على أكثر من اربعمائة
 محل وعلى سائر معدات الراحة وهو معدود من فنادق الدرجة الأولى مبني بمحطة

من محطات السكك الحديدية غير التي نزلنا فيها فقد بنت بعض الشركات فنادق على المحطات المهمة من السكك الحديدية تسهيلاً للمسافرين فجاءت في غاية المناسبة بالنسبة الى ذلك ولعدم معرفتنا بهذا الأمر لم نزل بفندق المحطة التي نزلنا فيها من أول الأمر

فاتعجبنا غرقاً من أحسن الغرف وبعد ان استرحنا بإحدى قاعات الاستقبال ثم تعشينا صعدنا الى غرفنا وبتنا الى الصباح

واذا بمستأذن يستأذن في الدخول فأذنا له واذا هو صاحبنا عبد العزيز بك كحيل رئيس نيابة بنا وقت ذاك ووكيل محكمة اسكندرية الآن فبعد التحية والتسليم وما ينبغي من التكريم سألناه عن كيفية معرفته وصولنا لهذا المحل حالة كوننا لم يمض علينا به غير قليل من الزمان فأخبر أنه حضر بعدنا البارحة من باريس مع اربعة من الرفقاء وهم الدكتور شميل صاحب جريدة الشفاء ونجيب افندي بولاد المترجم بمحكمة الاستئناف الأهلية ومادام بولاد وسليم افندي زنايري الموظف بالبنك العقاري بمصر وأنهم بحثوا عن محلات لائقة في عدة جهات فلم يجدوا ما يعجبهم فساقطهم الصدفة بواسطة أحد المعارف الى هذا الفندق فأعجبهم محلاته وسرهم انتظامه وأخذوا يكتبون اسماءهم في دفتر السياح كالعادة فلما رأى مدير الفندق أنهم كتبوا في خانة "بلد الأصل" اسم مصر وكنا كتبنا مثل ذلك قبلهم أراد ان يسرهم فأخبرهم أن عنده بالفندق جماعة من بلدهم وأراهم صحيفة الدفتر التي كتبنا فيها اسماءنا ففعلوا بوجودنا في هذا الفندق وعزموا على مقابلتنا في الصباح

وما لبث ان حضر الباقون واخبرونا أنهم عازمون على الإقامة بلوندره ثلاثة

ايام اواربعة وهذه هي المدة التي رأينا ان نقيمها بلوندرة فاتفقنا على أن نتفرج فيها سوية وعلى أخذ دليل من بيت كوك يدلنا على آثار المدينة ومحلّاتها وان نتخذ عربة منه تسعنا جميعاً مع الراحة وتوجهنا الى بيت كوك وأخذنا الدليل والعربة وتفرجنا على ما بلوندرة من التحف والآثار وعلى ما تيسر من ضواحيها ومكثنا كل مدة الإقامة بهذه المدينة معهم نهارنا وليلتنا حتى إنه لما آن وقت سفرنا منها وتفرقنا رأينا من الوحشة والتأثر ما لم يخطر لنا يبال



﴿ اجماليات على لوندرة ﴾

(لندن)

هذه العاصمة قائمة على ضفتي نهر التيمس وهو يخرقها من الغرب الى الشرق مع اعوجاجات فيقسمها الى قسمين غير متساويين في السعة والأهمية فالجهة التي على شمال النهر غاية في الأهمية يسكن غالبها الأغنياء وأهل الثروة وليس الحال كذلك في الجهة الجنوبية منه

واهم الجهة الشمالية القسم المتوسط منها وهو ينقسم الى قسمين أحدهما يشتمل على "سيتي" أي المدينة و"إيست إيند" بالجهة الشرقية من الباب القديم المسي "تمبل بار" وذلك القسم مركز التجارة والصناعة وبه الميناء ومخازن التجارة البحرية "دوك" والكمرك والبنوك والبورصة والخوانيت المهمة والتجارة بالجملة وكلاء الأعمال التجارية والكومبانيات المتنوعة ومطبعة التيمس وعموم البوستة ومقر علماء القانون والافتاء وسراي المحاكم وكنيسة سان پول الكاتدرائية

وثاني القسمين "وِسْتْ إِيند" وهو حديث بالنسبة الى الأول آخِذْ فِي
الزيادة والنمو دائماً واقع بالجملة الغربية من باب تميل المتقدم ذكره كما يدل على
ذلك اسمه "وِسْت" الذي معناه الغرب وهذا القسم مُقام الأشراف والأعيان
وفيه سراي الملكة ودواوين الوزارات وسراي البرلمان ودير وستمينستر والمتاحف
المختلفة والملاهي "التياترات" والنوادي - كلوب - والحدائق الفناء
والرياض الفيماء

وفضلاً عن التقسيم المار ذكره أن هذه العاصمة تنقسم الى عدة أقسام نظراً
الى ما فيها من اصناف التجارة والصناعة ومن تحتوي عليه من السكان نذكر منها
بعض الأقسام المهمة

فمنها قسم "لُونج شور" يمتد عن يمين قسم سيتي السابق على شاطئ نهر
التيمس وغالبه مشتمل على معامل السفن وكثير من المخازن ومسكن صناع السفن
والملاحين والحمالين وبائعي مهات السفن ومآكل ملاحيا والمسافرين فيها
ومنها قسم "وَابْتشابل" وفيه معامل تكرير السكر ومسكن عمّاله وهم من الألمانين
ومنها قسم "هَوْنْدِسْدَيْتش" و"مِينورز" وهو عبارة عن حارة اليهود ومنها "بِشَل
جرين" و"سِيَتَال فِلْدِس" وجزء من "شُورْدَيْتش" المخصصة بالفابريكات وغالبها
مسكن صانعي الحرير وأكثرهم من نسل البروتستانت الذين هاجروا من فرنسا
حين اشتدت عليهم وطأة الكاثوليك وألفت الحكومة سنة ١٦٨٥ أمرها الذي
كانت أصدرته بالذب عنهم والانتصار لهم ومنها قسم "كَلَرَكْنُول" المخصص
بصناع الساعات وعملة المعادن ومنها شارع "بَاتِرْنِسْتِرزو" المخصص ببائعي الكتب
والورق وشارع "تَشِينِيرِي لِين" المخصص بالافوكاتية وارباب القانون وشارعا

ايام او اربعة وهذه هي المدة التي رأينا ان نقيمها بلوندرة فاتفقنا على أن نتفرج فيها سوية وعلى أخذ دليل من بيت كوك بدلنا على آثار المدينة ومحلّاتها وان نتخذ عربة منه تسعنا جميعاً مع الراحة وتوجهنا الى بيت كوك وأخذنا الدليل والعربة وتفرجنا على ما بلوندرة من التحف والآثار وعلى ما تيسر من ضواحيها ومكثنا كل مدة الإقامة بهذه المدينة معهم نهارنا وليلتنا حتى إنه لما آن وقت سفرنا منها وتفرقنا رأينا من الوحشة والتأثر ما لم يخطر لنا ببال



﴿ اجماليات على لوندرة ﴾

(لندن)

هذه العاصمة قائمة على ضفتي نهر التيمس وهو يمتدّ من الغرب الى الشرق مع اعوجاجات فيقسمها الى قسمين غير متساويين في السعة والأهمية فالجهة التي على شمال النهر غاية في الأهمية يسكن غالبها الأغنياء وأهل الثروة وليس الحال كذلك في الجهة الجنوبية منه

واهم الجهة الشمالية القسم المتوسط منها وهو ينقسم الى قسمين أحدهما يشتمل على "سيّتي" أي المدينة و"إيست إيند" بالجهة الشرقية من الباب القديم المسمى "تمبل بار" وذلك القسم مركز التجارة والصناعة وبه الميناء ومخازن التجارة البحرية "دوك" والكمرك والبنوك والبورصة والحوانيت المهمة والتجارة بالجملة ووكلاء الأعمال التجارية والكومپانيات المتنوعة ومطبعة التيمس وعموم البوستة ومقر علماء القانون والافتاء وسراي المحاكم وكنيّسة سان بول الكاندرائية

وثاني التسمين "وَسْتِ إِبْنْد" وهو حديث بالنسبة الى الأول آخِذٌ بِفِي
الزيادة والنمو دائماً واقع بالجهة الغربية من باب تميل المتقدم ذكره كما يدل على
ذلك اسمه "وَسْت" الذي معناه الغرب وهذا القسم مقام الأشراف والأعيان
وفيه سراي الملكة ودواوين الوزارات وسراي البرلمان ودير وستمينستر والمتاحف
المختلفة والملاهي "التياترات" والنوادي - كلوب - والحدائق الفناء
والرياض الفيماء

وفضلاً عن التقسيم المار ذكره أن هذه العاصمة تنقسم الى عدة أقسام نظراً
الى ما فيها من اصناف التجارة والصناعة ومن تحتوي عليه من السكان نذكر منها
بعض الأقسام المهمة

فمنها قسم "لُونج شُور" يمتد عن يمين قسم سيتي السابق على شاطئ نهر
التيمس وغالبه مشتمل على معامل السفن وكثير من المخازن ومساكن صنّاع السفن
والملاحين والحمّالين وبائعي مهات السفن ومآكل ملاحيا والمسافرين فيها
ومنها قسم "وَابْتشَاپِل" وفيه معامل تكرير السكر ومساكن عمّاله وهم من الألمانين
ومنها قسم "هُونْدِسْدِيْش" و"مِينُورِز" وهو عبارة عن حارة اليهود ومنها "بِشَل
جرين" و"سِيْتَال فِلْدِس" وجزء من "شُورْدِيْش" المخصصة بالفابريكات وغالبها
مساكن صانعي الحرير وأكثرهم من نسل البروتستانت الذين هاجروا من فرنسا
حين اشتدت عليهم وطأة الكاثوليك وألفت الحكومة سنة ١٦٨٥ أمرها الذي
كانت أصدرته بالذب عنهم والانتصار لهم ومنها قسم "كَلَر كَنُول" المخصص
بصنّاع الساعات وعمّلة المعادن ومنها شارع "بَايْرُنْسِرُوز" المخصص ببائعي الكتب
والورق وشارع "ثِينْسِرِي لِين" المخصص بالافوكاتبة وارباب القانون وشارعا

”تَوْتُورْكَ“ و”لَامِيْث“ المخصصان بمعامل الفخار والخزف والآنية الزجاجية ومصانع الآلات ومعامل البيرة وشوارعها والمدافع

هذا وجملة ما تشتمل عليه لندن من الأقسام حسب قانون الانتخاب الذي صدر في سنة ١٨٨٥ سبعة وعشرون قسمًا خلا قسم سيتي - المدينة - السالف ايضاحه ولجميعها حق انتخاب ٥٩ عضوًا في مجلس النواب منها اثنان عن سيتي خاصة وواحد عن دار العلوم

وقسم سيتي مستقل في حد ذاته له حدود معلومة جنوبها التيمس وله إدارة خاصة به لا تختلط بباقي إدارات العاصمة وله قوانين أساسية جار بموجبه العمل من القديم وامتيازات خاصة به وهو مقسم الى ٢٦ قسمًا يُدير شؤونُه حاكم يُعرف ”بامين المدينة“ ينتخب لهذا القصد كل عام ويشتمل هذا القسم بموجب تعداد سنة ١٨٨١ على ٦٤٩٣ عمارة يسكنها ٥٠٥٦٢ نسمة بعد ان كان سكانها ٧٤٩٣٣ نسمة في سنة ١٨٧١ و١١٠٤٤٨ نسمة في سنة ١٨٦١ وهم آخذون في التناقص كل سنة عن التي قبلها وذلك لأن العقارات في هذا القسم لكثرة قيمتها بالنسبة للمتجر تجعلها أصحابها مخازن للتجارة ومعال مكاتب للتجار عوضاً عن السكنى بها حتى يوجد في هذا القسم نحو من ٤٠٠٠ عمارة ليست متخذة للسكنى بل هي محال تجارة كما تقدم فهي تخلو ليلاً من الناس حتى اضطرت الحكومة الى ان تخفروها بثمانائة عسكري من البوليس - ويُباع القدم المربع في هذا القسم من الأرض التي يُراد بناؤها من ٢٠ جنيهاً الى ٧٠ جنيهاً انجليزياً

هذا ومتوسط درجة الحرارة في لوندرة ٩٤٥ فوق الصفر وتنزل هذه الدرجة في أشهر البرد مثل يناير الى ٣ تحت الصفر وتُصعد في أشهر الحر مثل يوليو

الى ١٧٤٨ فوق الصنمر من الترمومتر المئني
ويغلب على جوها الضباب الكثيف ويكثر في شهر نوفمبر ويستمر فيه
اياماً متوالية يشبه النهار فيها الليل ويفوقه في ظلامه
ويكثر فيها المطر وان كان خفيفاً حتى عدت الايام التي تطر السماء فيها
فبلغت ١٧٨ يوماً في السنة

ولقد زادت مدينة لندن في السعة بهذه الايام ضعف ما كانت عليه
من مدة خمسين عاماً فقد زاد طولها على ١٤ ميلاً انجليزياً من الشرق الى
الغرب وعرضها على ثمانية اميال من الشمال الى الجنوب حتى بلغت مساحتها ١٢٢
ميلاً مربعاً على أن زيادتها لا تقف عند حد وقد حسبوا أن مساحتها تعادل
مساحة باريس خمس مرات وأن بها من الشوارع الكبار ٧٨٠٠ ومجموع السكك
والطرق مع الشوارع المذكورة ٢٣٠٠٠ يبلغ طولها جميعاً ١٠٩٣٣ كيلو متر
وفيهما أكثر من مليون فانوس للاستصباح ويحترق في هذه الفوانيس يومياً ٨٠٠٠٠٠
متر مكعب من الغاز وفي المدينة ٦٦٢٠٠٠ عمارة منها ١٤٠٠ كنيسة و ٥٠٠ فندق
و ١٧٠٠ محل طعام وقهوة و ٧٥٠٠ محل ابيع البيرة والمشروبات الروحية وحُسبت
العوائد المتحصلة من الدور في سنة ١٨٨١ فبلغت ٢٨ مليوناً من الجنيهات الانجليزية
وعدد سكان لوندريه في سنة ١٨٠١ لم يكن الا ٨٦٤٠٣٥ نسمة وصار
١٢٢٧٥٩٠ في سنة ١٨٢١ ووصل في سنة ١٨٧١ الى ٣٢٥٤٢٦٠ نسمة وفي سنة
١٨٨١ بلغ عدد سكان لندن وحدها اي من دون أرباضها وضواحيها ٣٨١٤٥٧١
منهم نحو ٣٠٠٠ خياط و ٤٠٠٠ صانع أحذية و ٢٨٠٠ خباز و ٢٤٠٠ قصاب غير
ألف من الصناع والفلة بين رجال ونساء و ٣٠٠٠٠٠ خادم و ١٤١٧٧٠ فقير واذا

اضفنا الى أهاليها سكان الضواحي بلغ عدد الكل في ذلك التاريخ ٤٧٧٦٦٦١
نفساً وفيها الآن (سنة ١٨٨٩) أكثر من خمسة ملايين نسمة
ومن أغرب الغرائب وأعجب العجائب أن عدد الاسكتلنديين فيها أكثر
منهم في ايدمبورج وهي حاضرة بلادهم وفيها من الايرلنديين أكثر من في دبلين
وهي قاعدة جزيرتهم ومن الاسرائيليين أكثر من في فلسطين وهي مستقرهم ومن
الكاثوليكين أكثر من في رومة التي هي مركز الديانة النصرانية على المذهب
الكاثوليكي

وفي المدينة عدا السكك المتسعة التي على جانبيها العمارات العظيمة والمباني
المتقنة التي سبغها ذكر بعضها كثير من الميادين الكبيرة (سكويرز) من مسافة الى
أخرى مزينة بالزروع محلاة بالأشجار والمياه
وبها غير ذلك كثير من البساتين المتسعة ومحلات التنزه الفسيحة أجملها "سان
جيمس بارك" "وجرين بارك" "وهيد بارك" "وريجنتس بارك"
وبها على نهر التيمس أحد عشر جسراً فوق النهر لا يصل البرين للراجلين
والعربات والبضائع والوابورات كما ان بها طريقاً تحت النهر يتوصل بها من أحد
البرين الى الآخر

وبها من التيارات نجواثين وثلاثين وبها كثير من النوادي (كلوب) التي
يقصد من المجتمعين بها تسهيل العلاقات بين الناس وتوثيق روابط الاجتماع وهي
قصور شاهقة تفوق أحسن القصور وأنظمتها في الرونق والانتان بأوي إليها الاكابر
والأعظم ورجال الدولة والمال حتى ان من لا عائلة له يبيت بها ويعيش فيها بأرغد
عيش وأحسن حال وقد بلغ عدد اعضاء احد هذه النوادي "كنستيتوشنل

كلوب " ستة آلاف عضو وبلغ اعضاء آخرهـنـا "تُسـلـ لـيـرـال كلوب" ٦٥٠٠ عضو ومن شروطها ألا يُقبـلَ أحد فيها إلا بعد الاقتراع فإذا قُبـلَ بدفع رسم التحاقٍ يختلف مقداره بحسب لوائح النوادي من خمس ليرات الى أربعين ليره وهو في العادة ٢٥ جينها هذا فضلاً عن دفع راتب سنوي يختلف بين ثلاثة ليرات وخمس عشرة ليره

وبلندن من محلات الخير والاحسان ما لا ينقص عدده عن ألفي محل منها الاجزاخانات والاستباليات تُعالج فيها المرضى ويُعطون الأدوية مجاناً ومحلات ايواء العاجزين والمحتاجين والأرامل والأيتام وقد بلغ في سنة ١٨٨٥ ما جمع لمحلات الخير والاحسان المذكورة جميعها وما وصلها من العطايا والوصايا ٤٤٤٧٠٠٠ جنيه انجليزي ولا بدع في ذلك فإنه قد يبلغ ما يجتمع من الصدقات برسم هذه المحلات في يوم أحدٍ واحدٍ مخصوص بجميع كنائس لندن اربعون ألف جنيه انجليزي كما ان ٧٥٠ امرأة من ربّات الخير والاحسان يقفن في اطراف الطرقات والحارات لجمع المساعدة لهذه المحلات في ليلة الأحد المتقدم ذكره فيبلغ ما يجمعهن بالقليل نحو عشرة آلاف جنيه انجليزي

وبها كثيرٌ من الجمعيات ذات الثروة العظيمة التي تأسست لانتشار العلوم والمعارف والآداب والصنائع اولنشر التعليمات الدينية فمن الاولى الجمعية الملوكية "رُوبل سوسيتي" ودار المعارف الملوكية "رُوبل أكاديمي" والجمعية الاسيوية الملوكية "رُوبل ايسباتيك سوسيتي" والجمعية الجغرافية والجمعيات الطبية والجراحية والفلكية الى غير ذلك ومن التي جعلت لنشر التعليمات الدينية جمعية نشر التوراة وهذه تُوزع في انحاء المعمورة ما لا يحصى من نسخ التوراة مترجمة الى ١٤٠

لساناً كل جهة بحسبها

وبها كثير من الكتب غانات وأهملها "بريتش موزيوم" وكثير من محلات
المطالعة بالأجرة ومجلات إعاره الكتب لمطالعتها واعادتها نظير اشتراك في
الاسبوع او الشهر او السنة ويوجد في احدى هذه "لندن ليبريري" مائة
الف مجلد

وبها من صحف الاخبار اليومية ٦٨٠ جريدة ومن الصحف الدورية ٨٠٠
صحيفة وأشهر جرائد الصباح "التمس" وهو ليس متشبعاً لأحد الأحزاب
والديلي نيوز" وهي جريدة الأحرار "والديلي تلغراف" "والستاندرد" وهي
لسان حال المحافظين "والمورننج پوست" وهو لسان حال الحاشية الملوكية واشهر
جرائد المساء "بال مال غازت" "وسان جمس" "وايفن ستاندارد" "وجلوب"
"وايفن نيوز" "وايكو" وتصدر غير هذه جرائد ادبية وأخرى محلاة بالرسوم
الى غير ذلك من الجرائد العلمية والفنية مما لا يحتمل تفصيله هذا الكتاب

وبها من وسائل النقل ما يناسب اتساعها العظيم ففيها عربات الركوب
بعضها بعجلتين وهذه تسع شخصين لا غير وسائقها من الخلف وبقاياها باربع
عجلات وسائقها من الامام كلمتاد ونقدّر الاجرة فيها بحسب المسافة التي يقطعها
الراكب والمسافة المعتادة ميلان قيمتها شلن واحد - خمسة غروش - وفيها عربات
الأومنيبوس وهذه تشق المدينة من جميع الجهات ولها أكثر من مائة خط تختلف
اجرة الركوب فيها بحسب قصر المسافة وطولها وان كانت زهيدة على كل حال
وفيها عربات التراموى وهي التي تمشي بالخيل على قضبان من حديد فتسير في كل
خمس دقائق وفيها السكك الحديدية البخارية التي لا تحصى فتزمن تحت ارض

تحال السكن ومن فوقها وبجوارها وربما رأى الناظر ثلاث طرق او اربعاً مارة فوق بعضها من الحل الواحد كل منها يتجه الى وجهة في ارتفاعه المعلوم وفيها على الخصوص السكة الحديدية البخارية الدائرة بالمدينة "ميتر وپوليتن" فتسير تحت الارض في سراديب أو خنادق محفورة بها ويتفرع عنها فروع تتجه الى أطراف المدينة ولييان أهمية هذه السكة الحديدية ومنفعتها يكفي القول بانها تنقل في السنة الواحدة ٨١ مليوناً من الركاب او مليوناً ونصفاً في الاسبوع وأنه يمر من احدى جهاتها حيث تتفرع منها اربعة طرق ٨٣٥ قطاراً في كل يوم من ايام الاسبوع غير الاحد فانه يمر فيه أكثر من ذلك وفيها الواورات النهرية ولها ٤٨ محطة على التيمس وتسير طول اليوم بعضها في كل عشر دقائق وبعضها في كل ربع ساعة وبعضها في كل نصف ساعة وبعضها في أكثر من ذلك بحسب الاتجاهات الى النواحي

والأسواق والحوانيت بها كثيرة جداً بحيث تفوق الحصر والعد ويوجد فيها جميع الأصناف فتباع فيها الأسلحة ولوازم السياحة والمجوهرات والقلانس وأصناف السجائر والدخان والمأكولات والسكاكين والبلور والخزف وفراء الملابس والألدوانات - قفايز - والساعات والكتب والجلود وسائر اللوازم ومنها دكاكين المودة والازياء المستحدثة وآلات الموسيقى والمنظارات والورق ولوازم الكتابة والشماسي والمطريات والروائح العطرية والنفوطوغرافية والبسط والشاي وغير ذلك من الاشياء

وان حركة الذهاب والهي في تلك الأسواق لمن اعجب الأمور وأغربها فانك ترى النشاط منبثاً في سائر انحاءها وروح السعي منتشرة في كل ارجائها حتى إن

منظرها ليعد من أغرب الغرائب التي لا ينبغي للغريب أن يهمل التفرج عليه
 لاسيما في بكرة النهار فانها تكون غاصة بالقوم وهم يتعاونون للوازم وموتة اليوم
 وفي المدينة سوق عظيم للخضراوات والفاكهة والأزهار وبها سوق للسماك
 عظيم على ضفة نهر التيمس بجانب الجسر المعروف بجسر لندن وهو خايق بالازديار
 ولو أن الروائح المنبعثة فيه لاتحاي اعطار سوق الأزهار وتباع الأسماك بجمرد
 وصولها بالجملة لتجار يبيعونها حسب الطلب بعد ذلك وتجي إليه منها بطريق
 السكة الحديدية كمية عظيمة جدًا

ويوجد سوق في غاية التنظيم معد لبيع اللحوم وهو متصل بالمدينة وبسوق
 الماشية بسكك حديدية تسير تحت الأرض أما سوق الماشية المذكور فهو أكبر
 سوق في العالم كله قاطبة وبه مكاتب للاستقنات وبنوك ومخلات للبوستة
 والتلفراف وغير ذلك وعلى جوانبه زراي الأنعام على خط ممتد لانهاية له والنظام
 والانتظام مستمران فيه على الدوام

وهناك سوق كبير خاص بالخيول وهو مركز جميع الأعمال المختصة بالمسابقة

والرهان

ويستهلك بلندن في السنة ٤٠٠٠٠٠٠ ثور ومليون ونصف مليون رأس ضان
 و١٣٠٠٠٠٠ عجل و٢٥٠٠٠٠٠ خنزير وثمانية ملايين من الطيور والصيد و٤٠٠
 مليون رطل - ليبره - من السمك فضلاً عن ٥٠٠ مليون محار - وبتير -
 و١٢٠٠٠٠٠ سمكة من سرطان البحر - همار - وثلاثة ملايين سمك من النوع
 المسمى "سومون" ويستهلك بها ايضاً خمسون مليون رطل من اللحم الذي يشتري من
 القضاين ويشرب فيها ١٨٠ مليون ليتر من البورتر وهو نوع من البيرة القوية

٨ ملايين لتر من المشروبات الروحية و ٣١ مليون لتر من النبيذ وتبلغ كمية المياه التي تُوزَّع على البيوت من تسع كومانيات ١٥٠ مليون لتر ماء في اليوم — ويرد إليها في كل سنة أربعة ملايين طونولاطة فحم حجري بواسطة السفن وأربعة ملايين آخر بواسطة السكك الحديدية ويبلغ مجموع المصاريف التي ينفقها أهل لندن في كل عام مائتي مليون جنيه تقريباً ويبلغ عدد السفن التي تدخل مينائها كل عام عشرين ألفاً وتبلغ قيمة التجارة التي تصدر منها على نهر التيمس كل سنة مائة مليون جنيه

هذا والأعمال العظيمة والمباني الفخيمة الجاري انشاؤها في لندن بقصد تسهيل المرور ومراعاة النظائم الصحية تجري كلها تحت مناظرة مجلس مخصوص مركب من ٤٦ عضواً ولا يخفى كثرة المصاريف التي تستلزمها هذه الأعمال الجسيمة من انشاء شوارع وفتح طرق وتوسيع الحارات القديمة وغير ذلك وأعظم أعمال الطرق هو انشاء البالوعات التي ابتدئ فيها سنة ١٨٥٩ وانتهت في سنة ١٨٧٣ وبلغت مصاريفها ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه وقد كانت الاقدار قبل ذلك تُلقي في نهر التيمس فكان يتصاعد منها ما يضر بالصحة فإن مقدار ما كان يلقي منها يومياً في الجهة الشمالية ٣٠٠ ألف متر مكعب وفي الجهة الجنوبية ١٢٠ ألف متر مكعب أما الطريقة الحالية في ذلك فهي عبارة عن بلاليع عظيمة تنصب فيها بجان فرعية صغيرة ثم تسير بجذاء نهر التيمس مسافة ٢٢ كيلومتر فتصب في النهر على بعد من البلد بعد ان عرَّض عليها قبل وصولها اليه أعمال كثيرة لتنظيفها وإعدام العفونات التي فيها على أن مسألة البالوعات لم تنزل موضوعاً للبحث والنظر للتوصل الى حلها بكيفية نهائية وهذه الموجودة منها عبارة عن سراديب مبنية

بالآجر عرضها ثلاثة أمتار و٦٠ سنتيمتر وارتفاعها ثلاثة أمتار وهي مفتوحة عند مصبها ومجموع أطوالها ٨٥ ميلاً انجليزيًا عبارة عن ١٣٧ كيلومتر والأرصفة المعمولة على نهر التيمس ليست بأقل من البالوعات في الأهمية والجسامة والمتانة والضيخامة

أما توسيع الشوارع والحارات وقد ابتدئ فيه تحت مناظرة هذا المجلس من سنة ١٨٧٢ فكانت نتيجة افتتاح شوارع كثيرة وتوسيع حارات عديدة حتى صارت أنحاء جميع هذه المدينة متصلة ببعضها وكل شوارعها تنفذ إلى بعضها وتحت إدارة المجلس المذكور مصلحة إطفاء الحرائق وما يلزمها من الطلبات والأدوات والعُدَد ورجالها في غابة الانتظام يبلغ عددهم ٦٠٠ ويصرف على هذه المصلحة وحدها في كل عام مائة ألف جنيه

والتعليم الابتدائي في هذه المدينة موكول أمره إلى مجلس مركب من ٥٥ عضواً ينتخبهم سكان المدينة وقيمة المبالغ التي يصرفها هذا المجلس سنوياً تزيد على مليون جنيه وعدد الأطفال الذين يتعلمون تحت رعايته أربعمائة ألف تقريباً ونختم هذا الفصل بذكر عادة من عادات هذا البلد وهي استراحة يوم الأحد وذلك أنهم يتركون جميع الأعمال والتجارات ويفلقون الدكاكين ومحلات الطعام ومحلات الشرب طول نهار يوم الأحد المذكور

وهذه العادة مرعية كل الرعاية لا يجترئ أحد على الإخلال بها كبيراً كان أو صغيراً عظيماً أو حقيراً بل كلهم في ذلك شرع واحد وانختلفوا في المذاهب فبقى الحوانيت وجميع المحال مغلقة طول النهار في وسط المدينة - سيتي - وفتحت في غيره من الساعة الأولى بعد الظهر إلى الساعة الثالثة حتى إن أعمال البوستان في هذا

اليوم لا تكاد يشغل بها فلاحسن بالغريب ان يخرج للتنزه في ايام الاحاد ويقصد القلوات البعاد هذا والغريب لا يرد اذا طلب مأكلًا او رغب مشربًا في هذا اليوم الا نادراً ولكن يستحيل على الانجليزي أن ينال شيئاً من ذلك اثناء الاشتغال بالاحتفالات الدينية في هذا النهار

وكانت لم عادات قديمة وأخلاق عتيقة غير هذه العادة حصل تلاشي كثير منها وأعظم العادات الباقية عندهم الى الآن الابتاج بنصيب امين البلد الجديد فانهم يذهبون معه الى سراي الحاكم في موكب حافل يلحف اليمين عن وظيفته المستجدة وبعد ذلك يؤلم وليمة حافلة في مساء يوم ٩ نوفمبر احتفالاً باحتلاله هذا المنصب الجديد يدعوا اليها امراء القوم ورجال الحكومة



❖ الإقامة بلندن ❖

قد علم مما سبق ما عزمنا عليه من التفرج على البلد وما يمكن من ضواحيها صحبة أصحابنا الذين التقينا معهم فتوجهنا اول يوم من ايام الإقامة الى محل كوك ونقابلنا مع الدليل واتفقنا معه ان يحضر الينا بالعربة في صباح اليوم التالي وانصرف كل منا لحاله في ذلك اليوم فقضينا بعض مصالح من بنك كريدي ليونيه وتفرجت مع سيدي الوالد بالبلد حسب ما امكن ثم توجهت معه الى "بريتش موزيوم" المتحف البريطاني وسياأتي عليك بيانه ثم تفرجنا في اليوم التالي مع الدليل على ما امكن من محلات المدينة وتوجهنا في الليل للتفرج على "كريستل پاليس" قصر البلور وسياأتي بيانه وتفرجنا في اليوم الذي بعده على قسم آخر من المدينة وقضينا بعض لوازم وعدنا الى المتحف لاكمال التفرج وتفرجنا في الليل

على "محل مَدَامْ نُوسُو" وكانت تمت الإقامة بهذه البلدة ثلاثة ايام الأربعاء والخميس والجمعة ٢١ - ٢٢ - ٢٣ اغسطس سنة ٨٩ فبارحناها في صباح اليوم التالي - السبت ٢٤ اغسطس سنة ٨٩ - الى حيث تعلم بالفصل الآتي

واسمع الآن ما يُتلى عليك من مشاهداتنا بهذا البلد وما رأيناه فيها على سبيل الاختصار ولا اظنك بعده تحتاج الى تفصيل ما فيها من الطرق والشوارع وانتظامها وما بجوانبها من العمارات فإن هذا امر يكفيك فيه العلم بأن شوارعها متسعة منتظمة أرضها معمولة بالأخشاب او الأحجار بها حركة مستمرة لا تنقطع في الليل ولا في النهار وإن عماراتها غير ملتزم فيها شكل واحد من العلو وزيادة الارتفاع كدور باريس بل الغالب فيها أنها قليلة الارتفاع غير كثيرة الطبقات لتخللها متسع وتحيط بالبعيدة منها عن مركز المدينة بساتين وهذا هو الموجب لزيادة مساحة لندن جداً عن باريس والأفكان يكفي لسكانها اقل من المساحة التي هي عليها الآن وقد اصاب اصحاب لندن في ذلك فان المتسعات هي من مستلزمات الصحة لكثرة تخلل الهواء بين مساكنها ولأن تباعد المساكن عن بعضها بواسطة هذه المتسعات وقلة الطبقات التي يسكنها كثير موجب لقلة الاختلاط الذي ربما تسبب عنه فساد الأخلاق على ما لا يخفى من كثرة اجتماع الفتيان مع الفتيات وغير ذلك من التحاسد والاطلاع على الاسرار

(پريتش موزيوم) - المتحف البريطاني - وينقسم الى سبعة اقسام قسم المطبوعات وقسم ما كتب بخط اليد وقسم الرسومات والنصاوير وقسم الأنتيكات الشرقية وقسم الأنتيكات البريطانية والقرون الوسطى والمتعلقة بعادات الشعوب وقسم الأنتيكات اليونانية والرومانية وقسم المسكوكات والميداليات

وأول من تسبب في إيجاد هذا المتحف الجامع ورثة الطبيب "هنس سلون" المتوفي سنة ١٧٣٥ فإنهم عرضوا على الحكومة الكتب والمجموعات التي كان يمتلكها مورثهم بمبلغ عشرين ألف جنيه وكانت تساوي خمسين ألف جنيه لا أقل فقبلت منهم الحكومة ذلك وضمت الى ما أخذته ماتفرق في مواضيع أخرى وضعت الجميع في إحدى السرايات ثم ضم اليه مجموعة أنتيكات مصرية تبرع بها الملك جيورج الثالث في سنة ١٨٠١ أحضرتها جيوشه من مصر ثم الكتب التي أهداها جيورج الرابع سنة ١٨٢٣ وكان جمعها والده وبسبب كثرة توارد الهدايا استلزم الحال بناء محل كبير فتقرر تشييد المحل الذي به المتحف الآن وشرع فيه في سنة ١٨٢٣ الى أن تم في سنة ١٨٥٢ وهو غاية في العظم وجهته ذات جناحين امتدادها ١١٢ متراً أمامها سقيفة مرتفعة على عمد عظيمة تعلوها الرسوم والتماثيل.

ويدخل هذا المتحف خلائق لا تحصى تقصده من جميع الجهات وقد بلغ عدد من دخله في سنة ١٨٨٦-١٨٩٣ ٥٠٤٨٩٣ شخصاً مع أن بعض محلاته لا يمكن زيارتها إلا بتصريح خاص

وهو مركب من طبقتين كل واحدة منها تشتمل على قاعات حسب لزوم الأقسام السبعة السالف ذكرها

ويشتمل قسم المطبوعات على مليون ونصف من المجلدات ويزيد هذا العدد كل عام نحو ٣٠٠٠٠ مجلد

ويشتمل قسم ما هو مكتوب بخط اليد على غرائب وبدائع مرصوفة في عدة خزانات منها خزانات المكاتب المكتوبة بخط يد منشئها من أشهر رجال الانجليز مثل "لونيوز" صاحب المذهب البروتستانتي وكلوين وباكون واسحق نيوتن وغيرهم

ومرلبروج وروبنس وراسين وكورني ومؤليبر وفولتير وناپليون الاول ومنها خزنة
المكاتب التي انشأها ملوك الانجليز وكتبوها بخطوط أيديهم مثل ريشارد الثاني
وهنري الرابع وهنري الخامس وشارل الاول وكرومول والملكة الحالية حيث
يوجد امضاؤها منذ صغرها ومنها خزنة مكاتب رجال السياسة والقواد في الدولة
الانجليزية مثل ولسي وبيت ولسون وپلرستون ومنها خزنة كتب مشاهير
المؤلفين والموسيقيين مثل رشاردسون وجولد سميت وجونسون ومنها خزنة
الصكوك الأثرية والمكاتب التاريخية التي بخط أصحابها الى غير ذلك من
الخزانات والآثار

وفي وسط قاعة الكتابة الخطية هذه ما لا يحصى من الخطوط الأوروبية
والمشرقية مرتبة بحسب تواريخها ليستدل منها على كيفية تقدم الخطوط وتحسنها
تدريجياً حتى وصلت من حالتها الأولية الى حالتها الحالية

ويتبع القسمين المذكورين قاعتان متسعتان جليلتان تحتوي إحداهما على
الكتب التي أهداها جيورج الرابع كما تقدم وهي عبارة عن ثمانين الف مجلد
عظيمة الصنف والتجليد وتحتوي الأخرى على الكتب التي أوصى بها المتحف توماس
جروثيل وتشتمل على ٢٠٢٤٠ مجلداً

وأما باقي أقسام المتحف المخصصة بالآتيكات المشرقية واليونانية والرومانية
والمسكوكات والرسومات فتحتوي من بدائع الآثار ونفائس الأحجار على ما تحار
منه الأفكار بين رومانية ويونانية وآسيوية الى غير ذلك من مصنوعات الأمم
القديمة العهد المريقة في الحضارة والمجد ومن الآثار المصرية والآشورية والصينية
والهندية ومخلفات الأمم البائدة وتساوير القبائل والشعوب الحالية ومصوغات

الذهب والمبداليات ومصنوعات الزجاج وغير ذلك مما لا يحيط به الحصر ويضيق عن بيان الوصف وإنما يقدِّره العارفون به قدره ويؤقِّونه من الوصف والمدح حقاً ويكفي القول بأن أقسام هذا المتحف جمعت من الغرائب والنوادر ما عساه لم يجتمع في غيرها من البلدان وقد تكفلت مطولات الكتب بشرح هذه النفائس وتهد مشاهير السباح ببيانها حتى البيان ولنكتفٍ بما ذكرناه

وإنما نذكر بعض كلمات تتعلق بآنتيكات مصر لأنها تهنا أكثر من غيرها فنقول على سبيل الاختصار ونهاية الإيجاز

إن هذه الآنتيكات تشغل ثلاث قاعات من الطبقة الأرضية وثلاثاً من الطبقة العليا والجميع في غاية السعة وهي مرتبة في هذه الحلات بحسب ترتيبها التاريخي تنبئ عن ألفي سنة قبل الميلاد إلى ٦٤٠ سنة بعده

ويشتمل قسم من القاعة الجنوبية بالطبقة الأرضية على آثار كانت في زمن الرومانيين وقسم على آثار البطائسة وفي وسط هذه القاعة "حجر رشيد" المشهور الذي كان مفتاح اللغة الميروجليفيّة وهو من الصوان الأسود وعليه ثلاثة أنواع من الكتابة

وتشتمل القاعة الوسطية على بعض آثار زمن رمسيس الثاني الكبير منها تمثال رمسيس المذكور وصورة الملك سيتوس الأول مصنوعة من الخشب وتشتمل القاعة الشمالية على آثار من آثار العائلة الثامنة عشرة وقد بلغت مصر في زمنها منتهى المجد والرفعة ومن جملة ما فيها بالجهة اليمنى تمثال الإله هوروس مصنوعاً من الصوان الأسود وبالجهة اليسرى صورتان من صور الملك أمينوفيس الثالث ومما بها أيضاً صورة الملكة موتويا جالسة في فلك من الصوان هذا غير

الأنبيكات الصغيرة الموضوعة بالخزانات المحيطة بهذه القاعة
ثم يصعد من دهليز أمام هذه القاعات بسلم منغطة جدرانها بورق البردي
— بَابِيرُوسْ — المملوء بالكتابات الهيروغليفية حتى يتوصل الى قاعات
الطبقة العليا

الاولى منها محتوية على عدة خزانات في إحداها تمثال "المشتري" وفي أخرى
تمثال "ما" الحقيقة و"را" الشمس وفي غيرها تماثيل بعض المعبودين وبعض
الحيوانات المقدسة عندهم وبعض صور الملوك وكبار الموظفين مجسمة وفي غيرها
الملابس وما يلزم للزينة حتى بعض شعر مستعار فيدل على ان المصريين القدماء
كن يستعملن ذلك للزينة كما تستعمله النساء في هذه الأزمان
وفي بعض هذه الخزائن كثير من الخواتم والعقود والأطواق وصور
الجمالين مجسمة

والقاعة الثانية تشتمل على خزانات بها كثير من الآنية المعمولة من الرخام
الأيض والبرونز وغيرها منقوشة بالنقوش المتقنة وكثير من الأقمشة والعُلب
والملاعق والأسلحة والأدوات المختلفة والآلات المتنوعة وعدد الموسيقى وكثير
من الآنية من مدة البطالسة ومن زمن اليونان والرومان
والقاعة الثالثة بها كثير من الموميا — أجسام منخطة — وورق البردي
وأجسام الحيوانات المنخطة وغير ذلك من الاشياء

هذا وقد فاتني عند ذكر قسمي المطبوعات والمكتوبات بهذا المتحف ان
اذكر قاعة المطالعة مع انها أبهج وأبهى الحلل التابعة للتقسيم المذكورين. وها أنا
اذكرها الآن:

هي على شكل يضاوي عظيم شرع في بنائها سنة ١٨٥٥ وانتهت سنة ١٨٥٧ ولما قبة من الحديد والزجاج يبلغ قطرها ٤٣ متراً وارتفاعها ٣٢ متراً ويمكن ان يجلس فيها ٣٦٠ شخصاً يشتغلون بالقراءة والكتابة مع الراحة وفي وسط القاعة كرسي عالٍ يجلس عليه المغير وبقربه فهرست الكتب عبارة عن ٤٠٠ مجلد موضوعة على ست طاولات كبيرة حوالي المغير وأمامه اوراق الاستعارات بيض للكتب المطبوعة وخضر للكتب التي بخط اليد فيكتب الطالب بورقة الاستعارة اسم الكتاب المرغوب وفترته التي بالفهرست وفتره الكرسي الذي اختاره وفتره الطاولة التي يجلس أمامها ثم يضع الورقة في سبت مخصوص ويذهب الى مكانه فيعيثه المغير بالكتاب في الحال وفي هذه القاعة ما يزيد عن ٢٠٠٠٠ كتاب غير المينة بالفهرست وكلها قواميس وانسكلوبيديات وكتب توارخ وجغرافية وغير ذلك من الكتب التي يحتاج اليها على الدوام وهذه يمكن الانسان مراجعتها دون ان يطلب ذلك من مستخدمي الكتبخانة وفي الليل تضاء هذه القاعة بالنور الكهربائي - وفي سنة ١٨٥٨ التي افتتحت فيها هذه القاعة كان عدد المطالعين بها على التعاقب ١٩٠٤٠٠ وكان عدد الزائرين في تلك السنة ٥١٩٥٠٥ وعدد الكتب التي طلبت المطالعة فيها ٨٧٧٨٩٨ وفي سنة ١٨٨٦ بلغ عدد المطالعين والزائرين ١٧٦٨٩٣ - ولا يجوز الاشتغال في هذه القاعة الا لمن كان عمره ٢١ سنة فاكثر بشرط ان يقدم طلباً بذلك لرئيس عموم المتحف مبنياً به اسمه وصنفته ومحل اقامته وان يكون الواسطة له شخصاً يعرفه الرئيس المذكور وقد أردنا ان نفرج على قسم الكتب العربية ووجدنا انه من الاقسام التي يلزم للتفرج عليها تصريح مخصوص فاستحصلنا عليه من نفس المتحف بكل سهولة

حيث قابلنا الرئيس أحسن مقابلة واعطانا إياه ليومين اي لاكثر مما طلبناه فمجرد ما تفرسنا فينا من الملابس ان ذلك القسم يخصصنا اكثر من غيره ولكن كاد النهار ان يمضي وكنا نتوهم ان بحثنا في ذلك القسم يستغرق زمنا طويلا لما كنا نسمة بالاشاعة من ان هذا القسم العربي يحتوي من نفائس الكتب الشرقية وغرائبها على ما لم تحو عواصم الشرق على العموم فانصرفنا على ان نعود في اليوم التالي فلما عدنا وجدنا هذا القسم يضاهي مثيله في كتبخانة باريس من حيث عدم ترتيب الفهارس فيه على الوجه المرغوب وزاد على قسم باريس ان المغير فيه — وان كان غاية في الملاحظة وحسن التهذيب — لا يحسن اللغة الفرنسية ولا يتكلم بالعربية وان كان يفهمها قراءة على ما فهمناه منه وكنت أقصد التفرج على فهرست الكتب لعلني أعر على غرائب منها ويقصد سيدي الوالد العزيز كتباً معلومة ولكن حال بيننا وبين ذلك سوء الحظ اما التفرج على الفهرست فلم يفدنا المقصود لعدم انتظامه وتفرق أوراقه حتى ان كل جملة منها في درج كان يأتي لنا به المغير فلا نقف منه على حقيقة واما الكتب المخصصة التي كان يجب سيدي الوقوف عليها فلم ننتد اليها ايضاً لعدم فهم المغير ما نقصده وعدم فهمنا غالب ما هو مكتوب على أوراق الفهرست باللغة الانجليزية فضلاً عن عدم ترتيبها وانتظامها كما تقدم انما لاجل عدم ضياع الفرصة طلبنا بعض كتب دلتنا عليها بالصدفة بعض كتابة باللغة العربية في بعض الأوراق وأردنا ان نعلم مقدار الكتب العربية الموجودة في هذا المكان ففهمنا من المغير المذكور باللغة الفرنسية بعد الجهد ان عددها من أربعة آلاف الى خمسة آلاف كتاب

واني أتذكر من الكتب التي طلبناها كتابين "الصراح من الصحاح" وهو كتاب في اللغة العربية مترجمة بالفارسية تأليف جمال القرشي طبع بكلكتا في سنة ١٢٢٢ الموافقة سنة ١٨١٣ و"المقامات الاثني عشر" للاحمد بن محمد المعظم المولود بالري احدى مدن فارس عارض بها مقامات الحريري طبع باريس سنة ١٢٨١

وربما كان يمكننا الوقوف على كيفية ترتيب الفهارس بكثرة الممارسة مع هذا المغير المذهب والاستعانة به على ما نريده منها لو لم نرد صرف الوقت في التفرج على باقي المدينة مع قلته

هذا وقد رأيت ما سرني ونحن نتفرج على تلك الفهارس أمام هذا المغير وهو أنني وجدت تجاهه "المقامة الفكرية في المملكة الباطنية" تصنيف سيدي الوالد و"جغرافية مصر" تصنيفي فسألته كيف وصول هذين الكتابين الى هذه الكتبخانة وما السبب في وجودهما على مكتبته مع كونها بغير لغة البلاد فأجاب أنها اشترى من المحروسة من مدة على ذمة هذه الكتبخانة وأنه مشغل بمطالعتها وأنه فهم كثيراً منها فسألته بلطف عن بعض معانيها فوجدها فاهماً لذلك بل وجدها في تفهيم مقصوده منها أقدر عليه من تفهيمه لنا ما في الفهارس فأنساني ما خالج نفسي من السرور بسبب رؤية هذين الكتابين الأسف على ما فاتني من عدم الاهتمام بالفهارس إلى ما اردناه كما أنساني الفرح بتفهمه لي مقصوده من هذين الكتابين التأثر من عدم اقتداره على الكلام الذي كان يوقننا به على المرام

ثم إني تميت عند تفرجي على هذه الكتبخانة ان لو انتخبت حكومتنا بعض

من له خبرة بالكتب العربية وأرسلته الى كتبخانات اوروبا لانتقاء الكتب النافعة التي لم توجد عندنا ونسخها فإنه يترتب على ذلك فوائد جزيلة ومنافع عميمة جليلة لأبناء الوطن وقد أخبرني صاحبنا العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطي أنه لما أرسل من الأستانة الى اوروبا لمثل هذا الغرض وجد بكتبخاناتها كثيراً من الكتب العربية القديمة العهد العظيمة النفع المدومة الوجود في بلاد الشرق على العموم

(كنيسة القديس بولس الكاتدرائية) هي أنغم المباني التي تستوقف الأنظار وتحار عندها الأفكار قائمة على مرتفع يشاهد من بعيد وكان بمكانها في الأصل هيكل لعبادة بعض الآلهة في الأزمان الخالية ففي سنة ٦٠٣ بنى بعض الملوك فيه كنيسة استمرت الى سنة ١٦٦٦ فاحترقت بتمامها وبقي المحل خالياً تسع سنين حتى شُرع في وضع أساس هذه الكنيسة الحالية يوم ٢١ يونيو سنة ١٦٧٥ وانتهت في سنة ١٧١٠ بعد أن ضربت الدولة لأجل اتمامها ضريبة على معادن الفحم الحجري وبلغت نفقاتها نحو ٧٤٨ ألف جنيه

وهي على هيئة صليب تشابه كنيسة القديس بطرس في رومه وان كانت أصغر منها وبلغ طول صحنها ١٥٢ متراً وعرضه ٣٦ متراً وارتفاع قبتها من الداخل ٦٨ متراً ومن الخارج ١١١ متراً

وهي أكبر الكنائس بعد كنيسة القديس بطرس برومه كما تقدم وبعد كنيسة ميلانو الكاتدرائية والناظر اليها من قريب لا يتحقق جسامتها لإحاطة الأبنية بغالب أطرافها فلا يتحقق من ذلك إلا اذا كان بعيداً عنها ومنظر وجهتها من الخارج جميل جداً عرضها ٥٥ متراً وأمامها سقيفة محمولة

على اثني عشر عموداً من الرخام يصعد إليها بسلام له اثنا عشر درجة
وبمقدّمها بنيةٌ مثلثة بها صور كثير من القديسين نائمة في الحجر من صنع أحسن
الصناع وأشهرهم

أما من الداخل فهي خالية من النقوش والزخرفة كمادة البروتستانت في
كنائسهم وبها كثير من قبور مشاهير الإنجليز وقوادهم جرياً على عادتهم في دفن
المشاهير من موتاهم في الكنائس تعلو قبورهم فيها الصور والتأثيل فمن ذلك قبر
الأميرال رودني وبجوار قدميه تمثالاً لشخصين يحكي أحدهما للآخر حديث غزوات
الأميرال المذكور على قصد أن الحاكي هو النصر والحكي له هو التاريخ

ولا يمنع انسان من التفرج على ما بهذه الكنيسة من التحف والآثار في كل
وقت غير اوقات الصلاة ويعمل بها في كل سنة احتفالان عظيمان في شهري
مايو ويونيو أولهما لمساعدة أرامل القسس وأيتامهم والثاني لمساعدة المدارس المجانية
(سراي عموم البوستة) هي عبارة عن دار مشيدة يبلغ طولها ١٢٠ متراً بوسطها
قاعة طولها أربعة وعشرون متراً في عرض ١٨ وفي شمال هذه القاعة مكاتب
المراسلات التي يرسم الخارج عن لوندرة وفي جنوبها قلم المكاتب التي يرسم المدينة
ذاتها وبها قلم المكاتب المكتوب عليها "بوست رستانت" وهي مكاتب ليس عليها
بيان مقر الرسالة إليه لكن تبقى في البوستة الى ان يجيء صاحبها يسأل عنها وبهذه
السراي قلم المراسلات المرتجعة وبجانبه جدول يشتمل على عنوان اصحاب المكاتب
الذين لم يستدل عليهم وهناك صندوق التوفير المخصص بالبوستة وغير ذلك وهاك
بيان صادرات البوستة بأنحاء المملكة اعني انجلترا واسكتلاند وابرلاند

المراسلات — ٩٦٢ مليوناً في سنة ١٨٧٤ و ١٠١٩ مليوناً في سنة ١٨٧٦

١٤٥٩ مليوناً في سنة ١٨٨٦-٨٧

تذاكر البوستة - ٧٩ مليوناً في سنة ١٨٧٤ و ٩٣ في سنة ١٨٧٦ و ١٨٠ في

سنة ١٨٨٦-٨٧

الكتب والجرائد - ٢٥٩ مليوناً في سنة ١٨٧٤ و ٢٩٨ في سنة ١٨٧٦ و ٥٢٠

في سنة ١٨٨٦-٨٧

طرود البوستة - وهي من المستحدثات - ٣٢٨٦٠٠٠٠ في سنة ١٨٨٦-٨٧

اما المبالغ المرسلة بموجب حوالات على البوستة فهي باهظة جداً ولو ان التحويل لا يجوز ان يكون بأزيد من ١٠ جنيهات هذا فضلاً عن انتشار استعمال

الشيك وهو نوع من السفاتج عندهم وذلك ان مصلحة البوستة في سنة ١٨٨٢-٨٣

اعطت تحاويل يبلغ عددها ١٥٠٩٠٨٥٨ بمبلغ قدره ٢٧٥٩٧٨٨٣ جنيهًا

انكليزيًا فلما انشئت بونات البوستة قل استعمال الحوالات فصار عددها في سنة ١٨٨٦

٨٧-٩٧٦٢٥٦٢ حوالة فقط ولكنه في نظير ذلك كان عدد البونات المرسلة في

هذه السنة ٣١٦٠٨٧١١ بمبلغ قدره ١٢٩٥٩٠٠٠ جنيه انكليزي

ويبلغ عدد النقود المودعة الآن في صناديق التوفير الخاصة بالبوستة التي

انشئت في سنة ١٨٦١ - اربعة وخمسين مليون جنيه انكليزي

وقد كان صافي الايراد في مصلحة البوستة في سنة ١٨٨٦ - ٨٧

٢٥٩١٠٥٧ جنيهًا انكليزيًا

وبجانب مصلحة البوستة (مصلحة عموم التلغرافات) وهي عبارة عن عمارة

عظيمة ابتدئ فيها سنة ١٨٧٠ وتمت في سنة ١٨٧٣ وطول القاعة الكبيرة فيها

٩٠ مترًا وعرضها ٥٧ مترًا وتحتوي على ٥٠٠ جهاز تلغرافي وتحت أرض هذه

العارة يوجد ثلاث آلات بخارية قوة كل واحدة منها خمسون حصاناً وهي ترسل ما ورد اليها من التلغرافات في مكاتب الى مكاتب التلغراف بالمدينة في مواسير مفرغة من الهواء بواسطة الضغط على المكاتب المذكورة

وبلغ عدد التلغرافات الصادرة عن مصلحة عموم التلغرافات هذه في سنة ١٨٨٨ - ٨٩ - ٢٠٢٣٦٥٣٩ تلغرافاً برسم لوندرو ٥٧٧٦٥٣٤٧ تلغرافاً برسم باقي انحاء المملكة

(كْرِيسْتِن هُوسْبِتَال) بمعنى "مستشفى المسيح" وليس هو محلاً تُعالج به المرضى كما يفيدُهُ الاسم بل أصل انشائه بواسطة جمعية تَأَلَّفَتْ في عهد الملك إدوار السادس سنة ١٥٥٣ لأجل تربية اليتامى وأولاد الفقراء وتعليمهم وهو الآن لا يقتصر على ذلك بل هو مدرسة للأحداث مطلقاً يتعلم فيها ١٢٠٠ تلميذ وقد حافظت على العادات التي كانت في زمان انشائها حتى الملابس والأزياء التي كانت وقت ذاك من جوارب صفراء وسراويلات وجبب زرقاء

وايراد هذه المدرسة في السنة الواحدة سبعون ألف جنيه انكليزي ولا يُقبل فيها إلا الغلمان الذين ليس عمرهم أقل من سبع سنوات ولا أكثر من ٩ ويتمون دروسهم في السنة الخامسة عشرة من عمرهم ويخصص منهم البعض بالاشتغال بالتجارة والبعض بالمدارس الجامعة بالنسبة لاستعدادهم وآخرون بالرياضيات وكان لهذه المدرسة امتيازات كثيرة بقي بعضها الى الآن منها أن أولاد الملك كانوا يُقابلون في رحبتها يوم رأس السنة باحتفال عظيم وفي يوم الاثنين من عيد الفصح يذهب جميع التلامذة في موكب كبير الى دار البورصة وفي يوم الثلاثاء يذهبون الى اللورد أمين المدينة فيهدي الى كل واحد منهم شللاً مضروباً حديثاً ونجباء التلامذة

يخطبون في مواضع شتى بقاعة المدرسة الكبيرة يوم عيد القديس مانيو - متى -
وهو يوم ٢١ سبتمبر وقد نبغ بهذه المدرسة كثير من العلماء وتخرج بها جم غفير من
الفضلاء

(سجن نيوجيت) هو أكبر السجون في لندن وكان في الاصل معداً لحبس
الذين لا يدفعون ديونهم ثم خصص بالذين يرتكبون الجرائم ويقترفون الآثام
وطول وجهته الاصلية ٩٠ متراً وقد حول هذا السجن من الداخل الى حبوس
انفراد في سنة ١٨٥٨ فصاري سيع ١٩٢ مسجوناً وقد كانوا يشنقون الأشقياء المحكوم
عليهم بالموت أمام هذا السجن ثم بطل اشهار هذه العقوبة على رؤوس الاشهاد
وبالقرب من هذا السجن (محكمة الجرائم) وهي قسمان محكمة الجنايات ومحكمة
الجنج وجلساتها علنية ولكنه قد يتمذر في بعض الأحيان وجود محل يجلس فيه
الانسان بالنسبة لكثرة الازدحام

(مستشفى سان بارتلي) بالقرب من مستشفى المسج المتقدم وهو من أقدم
الحلات الخيرية التي تأسست سنة ١١٢٣ باوندره ومن أغناها وبنائها الذي هو
عليه الآن قد تم سنة ١٧٣٣ وشرع فيه قبل ذلك بثلاث سنوات وله مدخلان
كيران فوق أحدهما تمثال الملك هنري الثامن وبجانبه صورتا مريض ومقعدي
مجستين وفي داخل هذا المستشفى كنيسة صغيرة

وإيراده أربعون ألف جنيه في كل عام وفيه ٦٧٦ سريراً وعدد المرضى الذين
يعالجون فيه كل عام ٦٠٠٠ ويرسل الأطباء منه لعيادة ١٤٠٠٠٠ مريض في
منازلهم وإذا عرض للانسان أمر قبل فيه حالاً في اي ساعة كانت في الليل
أو النهار وعولج مجاناً وقد اشتغل بالمعالجة في هذا المستشفى من الأطباء من خلدوا

اسمه وابقوا ذكره دهر الداهرين فمنهم هارثي الذي اكتشف نواميس دورة الدم ومنهم أَيْرِثِي الجراح الشهير وغيرها من حذاق الأطباء ومشاهير الحكماء وهناك محل للتدريس ومتحف للتشريح والنبات وكتبخانة عظيمة جداً ومعمل كيمائي وغير ذلك

وبالقرب من هذا المستشفى (سوق اللحوم) ومكانه في الأصل كان ملعباً خارج سور المدينة وكان قتل المحكوم عليهم بالاعدام يحصل فيه ثم صار سوقاً لبيع البهائم والأنعام الى ان ضاق بها المكان فانتقلت الى مكان آخر سنة ١٨٥٥ وجعل هذا المكان سوقاً للحوم كما ذكرنا وكان الشروع في بنائه في سنة ١٨٦٢ والفراغ منه في سنة ١٨٦٨ وهو بناء أنيق وفي جوانبه الأربعة صروح أربعة وطوله ١٩٢ متراً وعرضه ٧٥ وارفعاه ٩ أمتار ومسطحه يقرب من ١٥٠٠٠ متر مربع وتحتة مخازن للسكة الحديد وهي متصلة بسكك المدينة الحديدية وفي وسط السوق بستان بديع به فسقية جميلة

ويجوار هذا السوق أسواق تجددت بعده منها (سوق الطيور) ومنها (سوق الفواكه) ومنها (سوق الخضروات) ومنها (سوق السمك)

ويقرب من هذه الأسواق المكان المسمى (نشار نر هاوس) وهو في الأصل دير ثم صار يتنقل من حالة الى حالة الى ان اشتراه بعضهم في سنة ١٦١١ وجعله مدرسة لتعليم ٤٠ طفلاً وتبكية لثمانين شيخاً هرماً من الذين عضهم الدهر بنابه دون ان يكون لهم يد في حصول الفقر الذي حل بهم

وايراد هذا المكان ٢٩ ألف جنيه كل عام وفي سنة ١٨٧٢ نقلت المدرسة الى مكان آخر لأسباب صحية واشترى مكانها طائفة تجار الخياطين وبنوا فيه

مدرسة بديعة

(دار بلدية المدينة) "جلذهُول" شيدت هذه الدار أولاً من سنة ١٤١١ الى سنة ١٤٣١ وخصصت بمجلسات مجلس البلدية ومجالس الطوائف ثم احترق معظمها في الحريق الهائل التي كانت في سنة ١٦٦٦ وأعيد بناؤها في سنة ١٧٨٩ ووجهتها على الطرز الفوطي بُنيت في ثلاث سنوات ابتداءً من سنة ١٨٦٥ وفوق بابها طراز المدينة وشارتها وعنوانها مكتوب بالقلم اللاتيني ترجمته "يامولانا أرشيدنا"

وبهذه الدار قاعة كبيرة طولها ٤٦ متراً وعرضها ١٥ متراً وارتفاعها ١٧ صُرف على ترميمها فقط ٣٠٠٠٠ جنيه في سنة ١٨٦٥ وهي معدة الآن للانتخابات والاجتماعات المختصة بالنظر في شؤون المدينة ولها سقف من الخشب في غاية البهاء والرونق وفي جميع أركانها تماثيل فاخرة لعظماء الرجال الذين نبغوا من الانجليز

وفي ٩ نوفمبر من كل سنة يعمل اللورد الذي تولى وظيفة أمين المدينة - لورد مير - وليمة فاخرة يدعو اليها رؤساء المصالح وارباب الحل والعقد ورجال الحكومة ويبلغ عدد الذين يحضرونها ألف مدعو وتكون عقب استلامه مقاليد هذه الوظيفة وفي هذه الولىمة يتلو الوزراء وغيرهم خطباً تتناولها جرائد العالم ويكون لها تأثير مهم في امر السياسة

ولم يبق من البناء الاول لهذه الدار الا طبقة تحت الأرض بها كثير من أعمدة الرخام الطيبة

وفي هذه الدار كنبخانة تحتوي على ستين الف مجلد بها الكتب والخرائط

والرسومات المتعلقة بلوندره واربابها وكثير من النفائس وبالطبقة الارضية منها متحف للآثار الرومانية العتيقة التي وُجِدت بلوندره وغير ذلك من التحف التي تركها كبار القوم من القرون المتوسطة فضلاً عما فيها من الدوايب المرصوفة التي بها كثير من خطوط مشاهير الانجليز مثل الشاعر شكسبير الشهير وكرمويل وولنجتون ونلسون وغيرهم

وبالقرب من هذه الدار (مدرسة جريشيم) أُضيفت الى اسم مؤسسها الذي شاد أركانها في سنة ١٥٧٩ وخصصها بتدريس الشرائع والحقوق واللاهوت والطب والبلاغة والهندسة والفلك والموسيقى وتسع قاعة الدراسة فيها ٥٠٠ طالب وكان في وصية مؤسسها أن الدروس تكون في وقت الزوال وباللغة اللاتينية ولكن القوم رأوا جواز الاخلال بهذا الشرط فصار التدريس بها في الساعة السادسة بعد الزوال وباللغة الانكليزية

(دار طائفة الصاغة) معولة على شكل أنيق جداً فيها سلم فاخر عليه صور كثير من الملوك وفي القاعة التي يجلس فيها لجنة الادارة محراب روماني عثروا عليه اثناء بناء هذه الدار وفيها ايضاً صورة اللورد أمين المدينة ميدلتون الذي هو أول من جلب الى لوندره الماء الصالح للشرب فانه حفر ترعة "نيوريفر كنال" وصورة الملكة فيكتوريا والبرنس البرت وتماثيل الملك جورج الثالث والرابع وغيليوم الرابع وكيلوپتره وغير ذلك وفي هذه الدار يعمل الجشني عن جميع مصوغات الذهب والفضة المصنوعة في انكلتره وتوضع عليها التمغة فيها

(كنيسة سانت ماري لي بُوو) وهي بالغة في البناء نهاية الاتقان وبيت الناقوس فيها يبلغ ارتفاعه ٧١ متراً وهو متوج بتنين طولهُ ثلاثة أمتار وجميع

الأولاد الذين يُولدون بالجُمُعات التي تُقرب من هذه الكنيسة بحيث يُسمع
 الناقوس في مكان ولادتهم يُعتبرون من أبناء مدينة لندن البلديين
 (بنك انكلترا) هذا البنك عبارة عن عمارة كبيرة طول وجهتها
 الجنوبية ١١١ متراً والغربية ١٣٤ متراً وبينها بيعة على هيئة معبد قديم
 وبداخل تلك العمارة ثمانُ رُجبات بها محلات عظيمة الاتساع جُمُعت
 مكاتب لعمال البنك ومحلات مشيدة خصصت لرجال إدارته ومساكن لسكنى
 مستخدميه كل ذلك بطبقة أرضية عالية البناء منعزلة عما يجاورها ليس بها نوافذ
 الى الخارج بل يصل الضوء الى محالها من رُجباتها التي بالداخل وتحت هذه الطبقة
 كهوف وقاعات ومساحة الأرض التي تشغلها هذه العمارة ستة عشر ألف متر
 مربع وجميع بنائها على حالة لا تتأثر بالحريق
 ومن قاعاتها قاعة الصرف وهي متسعة طولها ٢٤ متراً وعرضها ١٣ متراً
 وفوقها ساعة عجيبة الصنع فريدة في بابها وضعت في هذا المحل سنة ١٨١٢ تفرع
 منها قضبان من النحاس مجموع أطوالها ٢١٥ متراً تتصل بست عشرة ساعة موزعة
 في أنحاء العمارة فتُمشي بواسطتها هذه الساعات ومن أغرب ما في هذه القاعة
 ماكينة لإفراز الجنيهات متحركة البخار تفرز في الدقيقة الواحدة ٣٣ جنيهاً فما
 كان وزنه تماماً وضعت في ظرف مخصوص وما كان ناقصاً وضعت في آخر
 وتحت هذه القاعة كهف ممتلئ بخزائن حديدية جُمُعت لحفظ الأمانات التي
 يُودعها أحاد الناس بهذا البنك وأول من أسس هذا البنك رجل من
 الاسكتلانديين اسمه ويليام باترسُن في سنة ١٦٩١ وكان رأس المال فيه
 ١٢٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي وقد تضاعف هذا المبلغ الآن الى اثني عشر ضعفاً وعدد

المستخدمين بهذا البنك ٩٠٠ مرتباتهم من ٥٠ الى ١٢٠٠ جنيه ومجموع هذه المرتبات ٢١٠٠٠٠ جنيه ويوجد في خزائنه عادة سبائك من الذهب والفضة من ١٥ الى ٢٠ مليون جنيه وقراطيسه المتداولة تبلغ قيمتها من ٢٠ الى ٢٥ مليون جنيه ويقبض هذا البنك من الحكومة ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة نظير إدارته ديون المملكة التي تبلغ ٧٧٠ مليون جنيه ويشغل فيما عدا ذلك بجميع مهام البنوك من حطيطة وإقراض وغير ذلك وهو ملزم بشراء كل سبيكة ذهبية ترد إليه باعتبار قيمة الأوقية ٣ جنيهات و ١٧ شلناً و ٩ بنسات ومتوسط المبالغ المنصرفة منه والواردة إليه كل يوم مليوناً جنيه وهذا البنك قائم بأمره شركة مساهمة وهي أقدم شركة من هذا القبيل في لندن وقد منح امتيازاً ملكياً بأن يكون بنكاً عمومياً دون غيره في مدينة لندن واستمر ذلك الى سنة ١٨٣٤ فأنشئ غيره "بنك لوندريه" و"بنك ويستمينستير" الى غير ذلك وفي هذه الأيام ليس لغيره من البنوك ان يصدر اوراق المسكوكات التي يتعامل بها مثل النقود وعدد اوراق المسكوكات المذكورة التي تُطبع فيه كل يوم يبلغ ١٥ ألفاً وكثير منها تبلغ قيمته ألف جنيه بل منها ما قد تكون قيمته ٥٠ ألف جنيه بل مائة ألف وقيمة ما يدفعه البنك في كل سنة الى الحكومة في رسوم التمغة ينفي على ٧٠٠٠٠ جنيه وقد تبلغ خسائره كل سنة من جرّاء التزوير وما اشبه ذلك ٤٠٠٠٠ جنيه ثم ان اوراق المسكوكات التي ترد الى البنك لا تخرج منه ثانياً بل تُلقى كلها بلا استثناء ومنها ما لا يمكث في المعاملة يوماً واحداً اعني أن بعض الأوراق ترد للبنك في ذات يوم صرفها ولا تصرف ثانياً وهذه الأوراق تحفظ في مكان مخصوص مدة عشر سنوات لإبرازها أمام المحاكم عند اللزوم وفي نهاية هذه المدة

تُحرق وكية الأوراق التي تُحرق كل شهر عظيمة جداً بحيث إنها تملأ تنوراً ارتفاعه متر وخمسون سنتمتر وقطره ثلاثة أمتار وفي هذا البنك دفاتر بنك نوت تحتوي على امضاءات كثير من مشاهير الناس ومن الغرائب التي فيه ورقة من الأوراق التي تقوم مقام النقود قيمتها مليون جنيه ويخفر البنك ليلاً قره قول من العساكر ومعاملات هذا البنك فائقة جداً حتى ان مجموعها في سنة ١٨٨٧ بلغ ٦٠٧٧٠٩٧٠٠٠ جنيه

(البورصة) هي واقعة أمام البنك المتقدم ذكره وقد شيدت عمارتها الحالية من سنة ١٨٤٢ الى سنة ١٨٤٤ في المكان الذي كانت به البورصة التي قبلها المنشأة سنة ١٤٦٤ وبلغت مصاريف الحالية هذه اربعة ملايين ونصف مليون فرنك وطول وجهتها من جهة الشرق ٥٣ متراً ومن جهة الغرب ٥٧ متراً وطول جميعها ٩٤ متراً

ومدخلها مرتفع عن الأرض بتسع درجات أمامه اثنا عشر عموداً لطيفة الصنع وفوق هذه الأعمدة بنيةٌ مثلثة مشتملة على نقوش وقماثيل بالحجر تمثل التجارة وفي يدها حجة الامتيازات التي انفردت بها البورصة وعن يمينها صور تمثل اللورد أمين المدينة ورجال الإدارة البلدية ورجلاً من العرب وآخر من الهنود وغيره من اليونان وواحداً من الاتراك وعن يسارها صورة تجار من الانكليز ورجال من الصين وآخرين من العجم والزنوج وغير ذلك وتحت البنية كتابة منقوشة باللغة الانكليزية وهذا تعريبها "الله يرث الأرض ومن عليها"

وبداخل البورصة رحبة مربعة تحف بها ماش متسعة محمولة سقفا على عمد توصلها ببعض قناطر وفي وسط الرحبة تمثال الملكة فيكتوريا وفي زاويتيها

الشمالية الشرقية تمثل الملكة إصابات وفي زاويتها الجنوبية الشرقية تمثل الملك شارل الثاني وعلى جوانب القناطر صور شارات بلاد مختلفة من اوربا وامريكا وصور أشهر محاصيلها وفي شرقي البورصة برج ارتفاعه ٥٥ متراً وفيه ساعة دقاقة عظيمة

وبجهة البورصة من الشرق سلم يصعد فيه الى مكاتب شركة اللويد وهي مركز كل ما يختص بالملاحة والتجارة والتأمينات البحرية واخبار السفن من اي نوع كانت

وليس بلوندره هذه البورصة فقط بل بها برص كثيرة غيرها منها المخصص بتجارة الحبوب والمخصص بتجارة الفحوم وغير ذلك حتى ان القراطيس المالية العمومية وغيرها من الأوراق التجارية لها بورصة غير هذه ايضا

والميدان الواقع أمام البنك والبرصة هو ملتقى خطوط عربات الأومنيبوس في لوندره والغريب اذا رآه تعجب غاية العجب من كثرة الحركة فيه والازدحام وأمام البورصة تمثل ويلنجتون القائد الانجليزي الشهير بمجاراته مع نابليون الأول ممتطياً جواداً وبجانبه فسقية ماء لطيفة وفي جنوب البورصة الشرقي تمثل رولاندهيل للتوفي سنة ١٨٧٩ وهو الذي نظم مصالح البورصة وخفف اجراها تخفيفاً عظيماً وخلف البورصة تمثل بيبودي وقد اقيم تذكاراً لهذا الرجل الخير في سنة ١٨٧١ بواسطة اكتاب عمومي وكان من اغنياء التجار الامريكانيين وقد اقام مدة طويلة بلوندره وتبرع بمبالغ ثقرب من مليون جنيه لبناء عمارات لسكنى العملة بأجر رخيصة لانقاذهم ما كانوا يعانون قبل ذلك من الأجر الباهظة مع ضيق ذات يدهم ويبلغ عدد الساكنين في هذه العمارات ٢٠٠٠٠ شخص تقريباً وتدفع

كل عائلة ٤ شلنات وبنسين في كل اسبوع ولجميعهم الحق في الاستحمام بالحمامات
وغسل ملابسهم بحال الفسيل من غير مقابل وقد أسس ايضاً هذا الرجل محلات
خيرية كثيرة بأمرىكا وانفق عليها الأموال الطائلة رغبة في راحة الضعفاء وحباً في
فعل الخير ونفع النوع الانساني

(كوبري لوندريه) لم يكن بالمدينة كوبري غير هذا على نهر التيمس منذ مائة
سنة تقريباً وهو الآن أهم وأغنى ما استحدث بعده من المعابر والقناطر وقد كان للأمم
المتقدمة معابر من الخشب في مكانه ولكن مياه التيمس طفت عليها في اوقات
مختلفة فدمرتها وفي بعض الاحيان امتدت اليها السنة الحرائق فالتهمتها فلما كانت
سنة ١١٧٦ شرع الملك هنري الثاني في بناء قنطرة من الحجر ولكنها لم تتم الا في
عهد ابنه في حدود سنة ١٢٠٩ وأقيمت في وسطها بيعة برسم القديس توما وبنيت
الدور على حافتيها حتى صارت شبيهة بالطرق المعتادة وكان على كل من طرفيها
باب محصن بالاستحكامات وكانت الحكومة تشهر على شرفات هذه الأبواب
رؤوس المجرمين الذين اقترفوا الآثام الكبيرة وخانوا الوطن والدولة وقد هُدمت
هذه القنطرة في سنة ١٨٣٢ بعد ان انشئ الكوبري الحالي على بعد ٣٠ متراً منها
وتم من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٣١ وبلغت مصاريفه مليوني جنيه وطوله ٢٨٣
متراً وعرضه ٢٦ وهو مرتكز على خمس عيون نصف يضاوية من الصوان المعروف
بالجرانيت فتحة الوسطى منها تبلغ ٤٦ متراً وبمجازيه من الجانبين شمعانات
كبيرة ذوات فروع من البرونز الذي أصله من المدافع الفرنسية المأخوذة
من اسبانيا وقد قدروا أن عدد الاشخاص الذين يمرون كل يوم فوق هذا الكوبري
يزيد على مائة الف شخص وعدد العربات يزيد على ٢٥ ألفاً وينبغي للغريب ان

يتوجه الى هذا المكان لينظر النشاط العجيب ويرى الحركة العظيمة واشتداد الزحام وكثرة المرور حتى انه ينهر ما يراه ويستولي عليه الدهول والدهشة وأحسن الاوقات للتفرج على هذا الكوبري هو ما بين الساعة العاشرة قبل الظهر والساعة السادسة بعده ومع كثرة الازدحام لا يحصل فيه ارتباك لمهارة الشرطة وتسيير كل من المارة على نظام مخصوص فعربات الحمل لكونها تسير الهويئا تمر بجانبه وعربات الركوب تسير في الوسط منه وللمشاة ماش مخصوصة ذهاباً واياباً واذا قلب المار طرفه ذات اليمين او ذات الشمال او الى الخلف او الأمام في ايام الصحو او الضباب والشمس ساطعة او يسترها حجاب من السحاب لا يرى إلا ما هو كالفجوات من صواري السفن وفي الجهة العلوية من النهر يراه وقد تغطى سطحه بالزوارق

وبالقرب من هذا الكوبري عمود اذا صعد فوقه الانسان رأى معظم المدينة كأنها تضطرب وتموج واستجمع نظره حركة من الكوبري والميناء والمخازن البحرية وما حول جميع ذلك وارتفاع هذا العمود ٦١ متراً ويسمونه الأثر وقد أقيم في سنة ١٦٧٧ بعد ان تم العمل فيه مدة ست سنوات تذكراً للحريقة المائلة التي دمرت معظم لوندرد في سنة ١٦٦٦ فقد امتد لهيها على ٤٦٠ شارعا واحرق ٨٩ كنيسة وأربعة أبواب من أبواب المدينة و ١٣٢٠٠ منزل وبداخل هذا العمود سلم يصعد منه الى أعلاه عدد درجاته ٣٤٥ درجة فيصل الانسان الى مكان متسع به اناة مذهب ارتفاعه ١٣ متراً كأنما يخرج منه لب وبدائره سور من الحديد

(دار طائفة بائي السمك) هي بجانب الكوبري جدد بناؤها سنة ١٨٣١

لكن الطائفة المذكورة قديمة وهي من أغنى الطوائف في لوندريه ودائماً هي من حزب الأحرار كما ان طائفة التجار الخياطين لم تحول قط عن التشيع للمحافظين وفي أعلى سلم الدار تمثال أحد أمناء المدينة وقد كان عضواً بالطائفة وفيها غرائب كثيرة وذخائر تاريخية نفيسة من جعلتها بساط مما يعبر عنه عندهم ببساط الرحمة من ايام هنري الرابع وهو في غاية البهاء والجمال وكسبي مصنوع من قطعة خشب أصلها من احدى أساطين قنطرة لوندريه القديمة وقد مضى عليه الآن أكثر من ٦٥٠ سنة

(الكرك) وداره بالقرب من الدار المتقدمة بنيت من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨١٧ ولها وجهة بديدة على رصيف عظيم بشاطئ نهر التيمس طولها ١٤٨ متراً لها ثلاثة مداخل بجانب كل مدخل ستة عمد أوسط هذه المداخل بارز عن مجاوريه تعلوه خرجة بها ساعة كبيرة وفيه تؤخذ الرسوم على البضائع الداخلة في ميناء لوندريه ومقدار هذه الرسوم في السنة الواحدة أكثر من ١٢ مليون جنيه او ٣٠٠ مليون فرنك وهذا المبلغ يوازي جميع المتحصل من الكمارك في كل موالي انكلتريه ويوجد في مصلحة الكرك هذه أكثر من ٢٢٠٠ مستخدم والبضائع المضافة لجانب الديوان بسبب تهريبها تحفظ في مخزن منزلة وتباع في كل ثلاثة شهور ويبلغ الايراد المتحصل منها خمسة آلاف جنيه في السنة وبالكرك متحف خاص بجميع الآلات والجهيزات التي اخترعت لتهريب البضائع من الرسوم وغير ذلك

(بورصة الفحوم) وهي امام الكرك بنيت في سنة ١٨٤٩ على الطرز الطلياني ولها برج ارتفاعه ٣٢ متراً وداخلها مزينة برسوم جميلة كلها لها علاقة

بصناعة استخراج الفحم وأرضها مفروشة بخشب يبلغ عدد قطعه اربعين ألفاً ومقدار الفحم الذي تستهلكه لوندرة في كل عام ١٥٠ مليون قنطار (كوبري بلاك فرايارمن) وهو من الحديد تم عمله في سنة ١٨٦٩ وطوله ٣٨٧ متراً في عرض ٢٤ وله خمس عيون قائمة على أساطين من الصوان وطول فتحة العين الوسطى ٥٦ متراً واذا وقف الانسان على هذا الكوبري يرى مناظر بهجة ومن ضمن ما يشاهده كنيسة القديس بولس ذات القبة العجيبة ونُسب هذا الكوبري الى اسم دير قديم كان هناك

(رصيف فكتوريا) يُبتدأ هذا الرصيف من غربي الكوبري السابق ويمتد على الضفة اليسرى لنهر التيمس حتى يصل الى كوبري ويستمينستر وطوله أكثر من كيلومترين وقد استحدثت جميعه في مجرى النهر من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٧٠ وجعل به طريق من الوسط خاص بالعربات عرضه عشرون متراً وطريقان من الجانبين للمشاة عرض كل منهما ستة أمتار

ويكتنف هذا الكوبري من جهة النهر صفان من الاشجار وسور من حجر الصوان سمكه متران ونصف به فتحات على مسافات مختلفة ينزل منها الى جانب النهر حيث جعلت فيه محطات للسكة الحديدية المختصة بالمدينة وقد بلغت مصاريفه مليونين من الجنيهات الانكليزية وتحتة سراديب كثيرة منها ما هو لمواسير المياه والغاز ولأسلاك التلغراف ومنها ما هو للسكة الحديدية الخاصة بالمدينة كما مر وبطرح النهر في جوار هذا الرصيف بستان ظريف به تماثيل للكثير من مشاهير الانجليز

(مسلة كليوباتره) نقلت من الاسكندرية الى لندن وأقيمت بها في سنة

١٨٧٨ على رصيف فكتوريا السابق بيانه وقد كان المغفور له جتمكان محمد علي باشا أهداها الى انكلاتره منذ مدة طويلة ولكنها لم تؤخذ اليها الا في سنة ١٨٧٧ بواسطة مبلغ قدره ١٠٠٠٠٠ جنيه تبرع به الدكتور ايراسم ولسون أحد أغنياءهم لهذا الغرض وليست هذه مسألة كليوباتره الحقيقية الأصلية التي كانت قائمة بالاسكندرية ولكنها مسألة أخرى كانت منبسطة على الأرض بجانبها أما هي فقد ارسلت الى امريكا وأقيمت في الحديقة المركزية "بارك سأنترال" بمدينة نيويورك وكتاها واردتان من مدينة هيليوپوليس وهي عين شمس التي محلها الآن لمطرية فإنها كانت ملأى بالمسلات في جميع الجهات وهذه الموجودة بلندن بها كتابة على مدينة عين شمس تصفها بأنها "دار النقاء" وارتفاعها ٢٠ متراً و ٩٠ سانتيمتر وعرضها بجانب القاعة متران و ٤٤ سانتيمتر وارتفاع قاعدتها خمسة امتار ونصف ووزنها ١٨٢٥٤٠ كيلوجرام واما مسألة باريس فارتفاعها ٢٢ متراً و ٨٣ سانتيمتر ووزنها ٢٥٠٠٠٠ كيلوجرام

(دار جريدة التيمس) وهي من الأماكن الغريبة التي ينبغي مشاهدتها والتفرج عليها ولها وجهه جميلة جداً من الآجر وفوقها رسم رمزي يدل على الزمن وفي يده كتابان كتاب الحال وكتاب الماضي والمطبعة وراء مكاتب محرري الجريدة ولاجل زيارتها ينبغي تقديم طلب بالكتابة مشفوع بتوصية من أحد المعبرين والتصريح يعطى من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر الى قبل الطبعة الثانية للجريدة وينبغي الحضور في الساعة المعينة بالاضبط والأحرص صاحب التصريح من مشاهدة الماكينة الغريبة الكبيرة المنسوبة الى "ولتر" أثناء تشغيلها وهي أغرب ما في ذلك المكان فإنها تطبع يومياً ٧٠٠٠٠ نسخة من الجريدة وهي كما

لا يخفى أعظم وأنعم وأكبر جرائد الدنيا كلها وكان تأسيسها في سنة ١٧٨٨ وبتيسر لهذه الآلة ان تطبع في الساعة الواحدة ٢٠٠٠٠ نسخة من الجريدة وطول ملفّات الورق العظيمة التي تطبع منها هذه الآلة أربعة أميال انكليزية اعني ٦٤٣٧ متراً وهو طول بالغ في النهاية جداً ويستلزم الطبع بها في كل يوم من ٢٨ الى ٣٠ ملفاً ومن هذه الآلة تخرج الجريدة من الجهة الأخرى مطبوعة مطوية مجهزة وكذلك آلة جمع الحروف فإنها من الفرائب التي يحارفيها الطرف وتستحق المشاهدة وفي المطبعة رجل مخصوص بإرشاد الزائرين واعطائهم الايضاحات والتفصيلات الكافية الكافلة

(جمعية الكتاب المقدس) هي بجانب مطبعة التيمس الى جهة الشرق في دارتم بناؤها سنة ١٨٦٨ وقد تأسست هذه الجمعية في سنة ١٨٠٤ وهي توزع في كل سنة أكثر من أربعة ملايين من الكتاب المقدس بلغات مختلفة ولهجات متعددة يبلغ عددها على قول ٢٨٦ لغة وقد بلغ عدد المجلدات التي وزعتها هذه الجمعية منذ نشأتها ١١٦ مليون مجلد وتصرف في السنة الواحدة ما يزيد على ٢٥٠٠٠٠ ألف جنيه انجليزي

(برج لندن) - "ذي تَوَزْ" - وهو حصن قديم كانت الدولة أعدته في سالف الزمان سجنًا لأرباب الجرائم وهو عبارة عن مجموع عمارات مختلفة وبنائات غير منتظمة يحيط بها سور ذو شرفات وخندق عميق لا مياه فيه الآن وهو واقع على شاطئ نهر التيمس ويُظن انه كان في مكانه على عهد الرومانيين قلعة حصينة ولكن هذا البرج الحالي لا يتناهي في الاقدمية الا الى زمن غليوم الفاتح وهو الآن خزان للأسلحة ولا يزال القوم يصونونه ويحافظون عليه بصفة قلعة

من قلاع المدينة وشكله خمسة الزوايا غير منتظم والمساحة التي يشغلها تزيد على خمسة هيكتارات وله سوران فوقها الحصون والأبراج وبعد المستحكات من جهة نهر التيمس رصيف عرضه من خمسة وثلاثين الى اربعين متراً

ولهذا البرج أربعة أبواب أولها يسمى باب الحديد والثاني باب الماء والثالث باب الخائنين وكلها تفتح لجهة نهر التيمس والرابع باب الأسود وهو المدخل الأصلي لهذا البرج وعلى هذا الباب قلم التذاكر التي يرخص بها لحاملها زيارة مجموعات الأسلحة القديمة وجواهر التاج الملكي ويحفر هذا البرج من الداخل خفراء من قدماء العساكر يتسربلون بزي قديم كما كانت تتسربل العساكر مدة هنري الثامن

وعلى يسار الداخل من هذا الباب الأصلي مدفع من المدافع التركية اهداه الى الحكومة الانجليزية السلطان عبد المجيد خان سنة ١٨٥٧ فاذا استمر الداخل في طريقه سار على قنطرة مبنية من الحجر مرتكزة على برجين يعبر عليها خندقاً هناك فتوصله من حيث المدخل الأول الى حيث سور البرج الخارجي فيدخل من باب ثمة فيجد طريقاً دائراً بجوار هذا السور بتمامه من الداخل

فاذا مشى السائر من حيث دخل الى الأمام وصل بعد سير مسافة الى باب آخر من أبواب البرج المطلة على نهر التيمس وهو المسمى بباب الخائنين وكان مخصصاً بإدخال المسجونين وتجاه هذا الباب من الداخل باب يوصل الى رجة البرج الداخلة وفي وسطها الحصن الأبيض قائم على مرتفع من الأرض وهو أقدم ما بهذا البرج فقد بني في سنة ١٠٧٨ أيام غليوم الفاتح وهو عبارة عن شكل مربع ضلعان منه كل واحد منها ٣٥ متراً وضلعان آخران كل واحد منها ٣٩ متراً

وارتفاعه ٢٨ مترًا وسوره يبلغ سمك بعضه اربعة أمتار وسمك بعضه أربعة أمتار ونصفاً وفوق زواياه أبراج صغيرة وفي الطبقة الأولى من الطبقات العليا منه قاعتان مغلقتان الآن يقال إنهما كانتا محبساً لمؤلف الشهير "والترزالي" فصنف فيها تاريخ العالم وفي الطبقة الثانية بيعة عظيمة الصنع تُعد من نفائس العمارات النورماندية ويجوارها قاعة كبيرة تحتوي على كثير من الآلات والأسلحة مرصوفة على أوضاع لطيفة وفي الطبقة الثالثة "مجاميع الأسلحة القديمة" وصفت في قاعة معروفة بقاعة المجلس وهي التي تنازل فيها ريشار الثاني عن الملك ويجوارها قاعة بها تماثيل اثنين وعشرين شخصاً مجسمة لابسة ألبسة الأزمنة القديمة الحربية حسب ما كانت عليه على ترتيب توارينها من عهد إدوارد الاول ملك إنجلترا سنة ١٢٧٢- إلى عهد جاك الثاني سنة ١٦٨٨ وبدائر هذه القاعة دواليب صفت فيها كثير من الأسلحة القديمة التي اقتص بها بعض ملوك إنجلترا السالفين كما أن بها كثيراً من الآلات التي كانت تستعمل للتعذيب وكثيراً من الأسلحة الصينية والعجمية واليابانية والإفريقية وغيرها من الأسلحة التي كانت الأمم الحامية المختلفة على اختلاف هذه الأسلحة وأشكالها

وحوالي الحصن الأبيض هذا مجموعة من المدافع القديمة وبالقرب منه قشلاق كبير للمساكر معروف "بقشلاق وبانجتون" بُني سنة ١٨٤٥

هذا وجواهر التيجان الملوكية موضوعة الآن بدولاب متين من البلور في احد الأبراج الإثني عشر القائمة بالرجة الداخلة من البرج الكبير وجميع هذه الجواهر هي من عهد شارل الأول أما التي قبله فقد بيعت بعد قتله

ومن هذه التيجان "تاج سانت ادوار" وقد عمل برسم شارل الثاني واستعمله

من بعده من الملوك ومنها " تاج الملكة ويكتوريا " وقد عُمل في سنة ١٨٣٨ وهو من بدائع الصنائع ويشتمل على ٢٧٨٣ قطعة من الألماس وبأعلاه يا قوته عظيمة وقد قُدِّرَت قيمته بمبلغ ١١٩٠٠ جنيه ومنها " تاج الپرنس دُِه جال " وهو من الذهب بدون ألماس ومنها غير ذلك من التيجان النفيسة الملوكة مرصعة وغير مرصعة وقدرت قيمة هذه التيجان بثلاثة ملايين من الجنيهات وقد استعملت الاثنا عشر برجا المذكورة سجوناً ثم مخازن ثم دفترخانات وقد حصل بغالبها حوادث تاريخية فظيعة نذكر بعضها فنقول إنهم يقولون ان الملك ريشار الثالث أُمِرَ بقتل ابناء ادوارد الرابع في البرج الدموي وان الملكة الياصابات سجنَت اختها بيرج الناقوس قبل ان تتولى مقاليد الاحكام وإن " حنة - جين - جري " حُبِسَت في برج الآجر وان زوجها واباه واخوته سجنوا ببرج بوشان وان الدوك كلارانس أخا الملك ادوارد الرابع أغرقوه في برميل من نبيذ مالفوازي في برج بويروان هنري السادس قتل في برج ويكفيلد هذا وفي برج الملح يوجد رسم غريب لمنطقة فلك البروج صنعهُ رجل عالم يدعى ديريسر سجن به في سنة ١٥٦١ بتهمة السحر وبيرج بوشان المبني من سنة ١١٩٩ الى سنة ١٢١٦ طبةتان يصعد اليهما بسلم حلزوني وجدرانهُ كلها مغطاة بنقوش وكتابات رسمها المسجونون تُقصد بالفرجة للسائحين

وبزاوية البرج الشمالية الغربية كنيسة بجانبها مقبرة كان يُدفن بها من يُسجن في هذه الأبراج المدد المتطاولة فيموت شهيد الاستبداد بعيداً عن الأهل والخلان محاطاً بالأشجان والأحزان حتى قال احد المؤرخين من الانجليز " إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مَقْبَرَةٌ يَتَأَثَّرُ مِنْ رَوْيَتِهَا الْإِنْسَانُ مِثْلَ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ إِذَا تَذَكَّرَ مِنْ دَفْنِهَا وَمَا صَارَ

لم من الفضائل الناشئة عن الظلم والجور“
 (دار الضرب) وهي بجوار البرج المتقدم بها آلات عجبية تضرب الواحدة
 منها في الدقيقة الواحدة مائة قطعة وعشرًا من النقود وفي قاعة الانتظار دواليب
 بها غرائب من مصنوعات المسكوكات وقد بلغ عدد العملة المضروبة بدار الضرب
 هذه في عشر سنين من سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٨٩ - ٩٢١٧٦٧١ جنيهًا
 و ١٠٣٤٧٢٦٨ نصف جنيه و ١٥٢٨٠٨٤٨ نصف كورون و ١٦٩١٠٥١٤ فلورينو
 و ٤٠٦٢١٦٨٠ شلنًا وقيمة مجموع النقود التي ضربت فيها من سنة ١٨١٧ الى
 سنة ١٨٨٠ - ٢٤٦ مليونًا من الجنيهات الانجليزية

(الميناء ومخازن التجارة البحرية) إن ميناء لندن ومخازنها المتناهية في الكثرة
 والاتساع هي من أعظم الغرائب التي بهذه المدينة وذلك لأنها مركز التجارة
 الانكليزية المنتشرة في جميع أنحاء الدنيا وتمتد هذه الميناء سافة ستة أميال ونصف
 ميل مبتدأة من كوبري لندن السابق ييانه متجهة الى جهة الشرق

ويرد اليها في كل سنة عشرون ألف سفينة ويصدر عنها كل سنة بضائع
 قيمتها مائة مليون جنيه انجليزي ويرد اليها أصناف التجارات وسائر المحصولات
 من جميع البلاد وكل الأمم يرسلون سفنهم فتفرغ ما هو مشحون بها بالمخازن بدون
 دفع رسوم للكمرك عند التفريغ وتبقى البضائع بهذه المخازن الى ان يتصرف فيها
 ملاكها او تبقى بالسفن حال كونها في (الدوك) او خارجها

والدوك حياض في غاية الاتساع ممتدة على ضفتي نهر التيمس حُفرت في
 الأرض بجوار النهر تملأ بالمياه منه وتدخلها السفن المشحونة بالبضائع من مداخلها
 التي تلي النهر فتوسو على أرصفة متسعة بجوار المخازن

وهذه المخازن بها كهوف متسعة جداً تحت الأرض تخفظ فيها براميل النيبذ والزيت وما أشبه ومحلات فوق الأرض يُوضع فيها ما عدا ذلك مما يجلب الى كل من جميع الأنحاء وهي تشغل مسطحةً فسيحةً جداً يسع مدائن كبيرة ثم كل حوض من هذه الحياض مع ما حوله من الأرصفة والمخازن يشمله لفظ "دوك" ويتميز كلٌّ عن الآخر بما يضاف إليه

فمنها (دوك سانت كترينه) وقد أعد للتجارة في عام ١٨٢٨ ومسطحة عشرة هيكمارات وكان مكانه قبله ١٢٥٠ مسكناً يسكنها ١١٣٠٠ نسمة ويمكن دخول اللبارجة الكبيرة التي حملتها ٧٠٠ طن وخروجها منه بالسهولة ومخازنه تسع ١١٠٠٠٠ طن - والطن ألف كيلو جرام - وترسو في جانب منه البواخر الآتية من قارة أوروبا

ومنها (دوك لندن) وهو أهم ما بهذا الميناء وقد تم عمله عام ١٨٠٥ وبلغت مصاريفه أربعة ملايين من الجنيهات وهو يشغل مسطحة مقدارها ٤٨ هيكماراً أوله من جهة النهر أربعة مداخل وتسع حوضاته ثلثمائة سفينة كبيرة غير السفن الصغيرة وتسع مخازنه ٢٢٠٠٠٠ طن من البضائع وكوفه ٣٨٠٠٠٠ هيكمتولتر من البن ومخازن الدخان منه تشغل وحدها مساحة هيكمارين

وفي الصباح يجتمع عند باب هذا الدوك عدد عظيم من الخلائق لايحصيه إلا الله وكلهم ساعون لطلب الرزق من عرق جيئهم والذي يطلب فيه كل ذي قوة واقدار على العمل فترى هناك الكثير من جميع أصناف العالم ما بين أبيض وأسود وأسمر حتى أنه يعمل فيه في اليوم الواحد ثلاثة آلاف نفس هذا ورأس مال شركة دوك لندن ودوك سانت كترينه هذين ثلاثة عشر مليون جنيه انجليزي

وبجوارها فرن عظيم له مدخنة مرتفعة جدًا حتى سَمَاهَا العامة مدخنة الملكة وهو مُعدُّ لإحراق جميع البضائع المغشوشة أو التي أُلْفِتَتْها الحوادث البحرية وسوى هذين (دوك الهند الشرقية) و(دوك الهند الغربية) وكثير غيرهما متعددة الأسماء مستوفاة اللوازم ونُضَاء كلِّها بالكهرباء ثم إذا امعنت النظر إليها وما فيها من كثرة البضائع الواردة من المستعمرات الإنجليزية وأنحاء العالم أجمع كالشاي والبن والسكر والحبر والدخان والخمور والصناديق والبراميل والسماحير والبالات والجوالت والعُلب إلى غير ذلك من الأشياء المتراكمة التي لا نهاية لها في المدد رأيت ما يحير الفكر ويذهل العقل ويتجاوز حدود النعت ويتعاصي على الإحصاء ويستحيل على البيان ولكنه ينطق بلسان صدق عن جسامة التجارة واتساع نطاقها في هذه المدينة الكبرى بل العالم الأكبر بما لا يُقدَّر ولا يُقدَّر (تُونِيل التيمس) وهو سرداب مبني تحت النهر يوصل إلى كلِّ من ضفتيه بين الجهة الواقعة في جنوب دوك لندن والحلة المقابلة لها الواقعة على شاطئ نهر التيمس الشرقي

والسبب في إعماله تسهيل المواصلات بين ضفتي نهر التيمس في هذه الجهة وعدم مزحمة السفن الواردة إلى الميناء فإنه لو جعل في هذه الجهة المملوءة بالسفن كوبريات فوق النهر لتعطلت بسببها ولم يتيسر تفرغها بالسرعة ولهذا السبب عملوا سرداباً آخر لخصوص المشاة أمام برج لندن

أما الأول فقد ابتدئ في أعماله سنة ١٨٢٥ تحت أرض النهر بنجمة أمتار ولم يتم إلا في سنة ١٨٤٣ بعد عناء كبير حتى أوقف العمل فيه مراراً وكانت المياه تندفق فيه من النهر فتستلزم إعادة العمل وتُتِمَّت بعض العملة وقد بلغت

مصاريفه خمسة عشر مليون فرنك وثلثمائة وخمسين ألف فرنك وهو عبارة عن
مبشرين متجاورين عرض كل منها أربعة أمتار وعشرون سنتيمتر وارتفاع سقفها
أربعة أمتار وثمانون سنتي متر وطولها ٣٩٦ متراً وكان يُنزل الى هذا السرداب
بسلم مظلم ارتفاعه تسعة عشر متراً فكان من يسلكه قليلاً مع كون الأجرة
زهيدة وهي عبارة عن بنس واحد فلا يكفي ايراده للصرف عليه وخسرت الشركة
التي قامت بعمله حتى انها باعتته بستة ملايين فرنك لشركة سكة حديدية
اتخذته مجازاً لقطاراتها فصار يمر به في اليوم الواحد اربعون قطاراً

واما الثاني ويُعرف (بتونيل البرج) فقد ابتدئ فيه سنة ١٨٦٩ وانتهى
في سنة ١٨٧٠ وهو عبارة عن انبوبة عظيمة من الحديد طولها ٣٧٣ متراً وقطرها
متران وعشرون سنتي متر ويُنزل اليه في كل طرف بسلم حلزوني درجاته ٩٦
ولم يزد مصاريفه على ١٥٠٠٠٠ فرنك واجرة العبور نصف بنس

(الدفترخانة) شرع في بنائها من سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٦٦ على حالة
لا تَعْمَلُ فيها النيران لصيانة ما فيها من الأوراق وسجلات الدولة وفيها ١٤٢
غرفة طول الواحدة سبعة أمتار ونصف وعرضها ثلاثة امتار وستون سنتي متر
وارتفاعها اربعة امتار ونصف وكل ما فيها من أرض وسقف وأبواب وشبايك
من الحديد وكانت الأوراق قبل بنائها موضوعة في محال متفرقة فجمعت كلها في
هذه الدار ومن جملة ما فيها "دفتر عقارات انجلترا" وهو كتاب كبير في مجلدين
ضمين مكتوب في جلود غزلان منذ زمن غليوم الفاتح سنة ١٠٨٦ ويوجد بها
ايضاً الصك الذي تازل فيه ملك اسكوتلاندة عن ملكه ملك انكلترة ونسخة
عقد الصلح الذي حصل بين هنري الثامن وفرنسوا الاول وغير ذلك من الصكوك

والعقود المهمة في تاريخ الدولة والأمة

(دار المحاكم) بنيت من عام ١٨٧٤ الى عام ١٨٨٢ لجميع المحاكم البالغ عدد أنواعها تسعة عشرو هي سراي جميلة جداً صُرف في بنائها ٧٥٠٠٠٠ جنيه انجليزي وطول وجهتها ١٥٠ متراً وأعظم محلاتها الأيون الوسطى طوله ٧٣ متراً وعرضه ١٥ وارتفاعه أربعة وعشرون متراً ونصف متر معمولة ارضه بالفيسفساء (رحة ترافلجر) وهي من أحسن رحبات لندن تجتمع فيها الاجانب والغرباء من كل جانب يقصدها لذاتها بسبب اتساعها وحسن عماراتها وكثرة المارة فيها وسميت بذلك تخليداً لذكر الاميرال نلسون المشهور الذي مات موتاً مجيداً في واقعة ترافلجر البحرية بعد ان حارب فيها اسطول فرنساوية والاسپانيول وهزمها في ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٠٥ وقد كان هذا الظفر واسطة في منع اغارة نابليون على انكلتره بعد ان كان في نييه ان ينزل بها ويتملكها اذ صار من المستحيل عليه بعد انكمار عمارته البحرية مباشرة هذا المشروع وقد كان حشد لأجله في بولونيا جيشاً جراراً مركباً من ١٧٢٠٠٠ مقاتل من المشاة و ٩٠٠٠ فارس و ٢٤١٣ سفينة للنقل وهذا الذي جعل القوم ينظرون الى نلسون بعين الرضى ويعتبرونه منجي الوطن ومنقذ البلاد حتى انهم اقاموا له عموداً طوله ٤٤ متراً في وسط هذه الرحبة سنة ١٨٤٣ وهذا العمود من الصوان الصلد وفوقه تمثال نلسون ارتفاعه خمسة أمتار وقاعدته من البرونز وفيها صور بارزة تمثل واقعة ابي قبر المشهورة سنة ١٧٩٨ منها صورة نلسون هذا وقد شُجَّتْ رأسه ولم يرض هو بأن يُسِفَّهُ الجراح الذي كان مشغولاً بمعالجة جرح احد العساكر حيث قال له العبارة المشهورة عنه "حتى يأتيني الدور" وفي شرقي القاعدة صورة واقعة كوينهاج سنة ١٨٠١ وفيها نلسون

يُفْهِى على احد المدافع شروط الصلح التي منحها للدانباركيين بعد ان هزمهم
وفرق شملهم وفي غربي القاعدة صورة واقعة سان فنسان سنة ١٧٩٧ وفيها نلسون
مرسوم وهو يستلم سيف قائد الاسبانيول بعد هزيمتهم وفي جنوبها صورة واقعة
ترافلجر سنة ١٨٠٥ وفيها رسم نلسون وهو في حالة التزع وفي أسفل هذه القاعدة
كلمات مأثورة عنه صدرت منه حال الموت في واقعة ترافلجر المذكورة وهذه
ترجمتها "تعتمد انكلتريه على ان كل واحد من ابنائها يقوم بما فرض عليه"

وبالرجة في شرقي هذا العمود تمثال للجنرال غوردون وهو غوردون باشا الذي
مات قتيلًا في خدمة الحكومة المصرية بالخرطوم سنة ١٨٨٥

هذا وفي الجهة الشمالية من هذه الرحبة الرواق الاهلي وفي جهتها الغربية
مدرسة الطب ونادي الاتحاد وفي جهتها الشرقية كنيسة كبيرة ومن جهتها الجنوبية
بتفرع طريقان احدهما يسمى "ويتهول" يوصل الى سراي البرلمان والاخر يسمى
"نورثينز اوينيو" يوصل الى رصيف ويكتوريا الذي مر بيانه وبالزاوية
التي نشأت من الرحبة وهذا الطريق الآخر الفندق الشهير المسمى "جراند هوتيل"
العظيم الاتساع وعلى يسار هذا الطريق بعد هذا الفندق بقليل محل تياتر وامامه
الفندق الشهير "متروپول هوتيل"

وطريق ويتهول المذكور عن يمينه اماكن وزارات البحرية والخارجية
والخزينة العمومية والمهند وعن يساره محلات وزارات البوليس والتجارة وقصر
ويتهول ولا يزال يمتد بين ابنية فاخرة حتى يصل الى ميدان سراي البرلمان أو
سراي ويستمينستير وكنيستها

ومن الجهة الشمالية الغربية من رجة ترافلجر بتفرع طريق آخر في غاية

الاهمية وهو المسمى "بال مال" وبجانبه النوادي المعتبرة وسراي وزارة الحرية
وبآخره قصر سان چمس

وبوسط طريق بال مال هذا "رجبة واترلو" وفي وسطها عمودالدوك ديورك
وقد شيد بواسطة اكتباب عمومي من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٣٣ تخليداً لمجد
هذا الدوك وهو ثاني اولاد الملك جيورج الثالث وارتفاعه ٣٨ متراً وارتفاع صورة
الدوك القائمة فوقه أربعة امتار وربع متر

ويتفرع من رجبة واترلو هذه الشارع المسمى "ريجننت ستريت" وهو من
أحسن شوارع لندره ومحط رحال الأغنياء ومسكن الامراء والكبراء ومجمع محال
الأكل الفاخرة والقهواوي الزاهرة يند على مسافة نحو ميل من هذه الرجبة
ويتقاطع من هذا الشارع الطريق المسمى "أوكسفورد ستريت" وهو من
أطول طرق لندن ومن احسنها وضعاً وبهجة

وها نحن نريد ان نعود الى ذكر أهم ما استلفت انظارنا من هذه الشوارع
والرجبات وغيرها على حسب السير الذي سلكناه في هذا الفصل ولكن قبل ذلك
نذكر بعض كلمات عن محل رأينا في احد الشوارع فبادرت بذكره لما فيه ما
يُدح ويثنى عليه وهو محل (شركة إنقاذ الفرق) وقد تأسست سنة ١٨٢٤ وصار
لها الآن على شطوط انجلترا ٣٠٠ سفينة لانقاذ الفرق حتى تيسر لها في
سنة ١٨٨٠ إنقاذ ٢٦ سفينة و ٨٠٠ رجل ويكفي هذه الشركة فضلاً ومؤسسيها
فخاراً أنه حسب الأشخاص الذين أنقذتهم من الفرق من يوم وجودها فبلغوا
٣٤٠٠٠ نسمة وكل محطة جعلوها على الشطوط تبلغ مصاريفها ١٠٥٠ جنياً
ومصاريف مستخدميها كل سنة ٧٠ جنياً حتى بلغ مجموع المصاريف في سنة

١٨٨٨-٥٣٢٧٠ جنيهًا انجليزيًا

(قصر الصُّور الأُهلي) "نشل جلري" وهو من أحسن المتاحف الانجليزية بعد بريتش موزيوم بني من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٣٨ ثم في سنة ١٨٧٦ صار توسيمته كثيرًا وكذلك في سنة ١٨٨٥ وفي سنة ١٨٨٧ حتى بلغ طوله ١٤٠ مترًا وله وجهة جميلة جدًا وهو معد لحفظ الصور والرسومات ولم يكن به في أول امره إلا ٣٨ لوحة ثم صارت اللوحات تزداد فيه بالشراء وبالوصايا التي كانت تُوصي بها القوم له حتى بلغت المجاميع التي فيه الآن ١٢٠٠ تشغل ٢٢ غرفة وهذا المتحف مفيد جدًا بالنسبة لدرس فن الرسم والتصوير فإن به شيئًا كثيرًا من أعمال أساتذة هذه الصناعة الذين نبغوا بإيطاليا وغيرها

وغرفة كلها موزعة على جميع المذاهب في الرسم والتصوير وتحتوي كل واحدة منها على أعمال مذهب من مذاهب التصوير وكلها صور غربية وآثار عجيبة يحار فيها الطرف وتستغرق الوصف

(مدرسة الطب) بنيت سنة ١٨٢٥ وهي عمارة عظيمة نذكر بمناسبةها وان كانت بشارع آخر (مدرسة الجراحة) وقد بنيت عام ١٨٣٥ وفيها متحف عظيم أسسه رجل من الآحاد اسمه جون هونتز في سنة ١٧٨٧ ثم اشترته الحكومة بعد موته بمبلغ ١٥٠٠٠ جنيهه وجعته للمدرسة وكان فيه اذ ذاك ١٠٠٠٠ من المجهزات التشريحية وفيه الآن منها ٢٣٠٠٠ وهو قسمان الأول خاض بالفسولوجيا والثاني بالپاتولوجيا ويمتاز هذا المتحف بحسن انتساق الاشياء وكال ترتيبها وتما نظافتها ورعاية المحافظة عليها فيه

وفي هذه المدرسة عدا ذلك مكتبة فيها ٣٥ ألف مجلد

(متحف سوين) وهو بالقرب من هذه المدرسة عُرف باسم مؤسسه وفيه اشياء غريبة متنوعة جداً محفوظة بترتيب عجيب في ٢٤ حجرة غالبها صغير
 فأول قاعة يدخل اليها مزخرفة على الطراز الذي كان مستعملاً في مدينة
 بومبيه وفيها اشياء كثيرة واردة من حفائر هذه المدينة التي ردمها البركان ثم كثير
 من صور الهياكل القديمة معموله من الجبس وفيها تمثال سوين مؤسس هذا المكان
 مجسماً وبعدها غرفة مشحونة بأعمدة وتماثيل وعلى يمينها رواق الصور والرسوم وفيه
 على صفه ١٨٠ لوحة وغرفة أخرى مملأى بالتماثيل والقطع المنقوشة بالنحت وغير
 ذلك حتى إن الانسان لا يمر بينها الاً بقاية المشقة فاذا اجتازها وصل الى سرداب
 متسع فيه قبر زوجة من أسس هذا المكان وفي غرفة أخرى تابوت مصري قديم
 عُثر عليه سنة ١٨١٦ من جهة باب الملوك في صعيد مصر بالقرب من موقع مدينة
 طيبة القديمة وهذا التابوت من أغرب وأبدع ما في هذا المتحف وهو قطعة واحدة
 من الرخام طولها متران و ٨٠ سنتي متر وعرضها متر واحد و ١٠ سنتيمترات
 وعمقها ٨٠ سنتي متر وكله مملوء برقوم الهيروجليف من الداخل والخارج وهو
 شفاف بحيث اذا وُضع في داخله قنديل امكن رؤيته مع أن سمك جدرانه يبلغ
 ٦ سنتيمترات والرقوم الهيروجليفية التي به تتعلق بالملك سيطو الأول ابي الملك
 رمسيس الأكبر المعروف عند اليونان بسيزوستريس

وفي هذا المتحف سوى ما ذكر اشياء كثيرة وذخائر نفيسة من صور الهياكل
 والهياكل ومن الرسوم والتماثيل الى غير ذلك مما لا يسع المقام تفصيله وبه مجموعة
 كتب ثينة من أقدم الكتب المنسوخة بخط القلم معرضة للأنظار في الطبقة الاولى
 من الدار

(سوق الفواكه والأزهار والخضراوات) هو من أعظم الأسواق التي من هذا القبيل بل هو من أحسن أسواق الدنيا في ذلك خصوصاً قسم الأزهار منه فإنها تنعش الأرواح بروائحها الذكية وتبهج الانظار بمنظرها البهية وقد انشأ منذ سنة ١٦٥٦ وهو عبارة عن ثلاث ماشٍ متجاورة متسعة مستطيلة تمتد من الشرق الى الغرب

((قصر ويتهول)) هذا القصر كان متسع الأرجاء بعيد الأكناف يمتد على نهر التيمس الى داخل المدينة امتداداً عظيماً وقد كان في أول الأمر ملكاً للرئيس "هوبرت بورج" فأعطاه بلمحاته وكل ما يتعلق به للرهبان الدومينيكانيين فباعوه بعد ذلك الى رئيس اساقفة يورك فجعله مستقراً له ولبن يخلفه في هذه الوظيفة واستمر الحال على هذا المنوال حتى غضب الملك هنري الثامن على ندميه "الكاردينال ولزي" الذي كان رئيس اساقفة يورك فأضيف الى الأملاك الملكية وصار توسيعه كثيراً

وفي بعض السنين احترق منه قاعة الولائم فعزم الملك جاك الأول ان يشيد في مكانه قصراً يكون من أنجز القصور فلما ابتدأوا في البناء انتشبت الحرب الاهلية ولم يتم منه سوى قاعة الولائم ثم احترق ما بقي من القصر القديم سنة ١٦٩٧ ولم يبق سوى قاعة الولائم الجديدة وهي فاخرة جداً طولها ٣٤ متراً وعرضها ١٧ وارتماها ١٧ وسقفها مزدان بنقوش بدبعة ويسوم جميلة فلما جاء الملك جورج الأول حوّلها الى كنيسة ملوكية ولا تزال كذلك الى الآن نوزع فيها الملكة الصدقات على الفقراء والمساكين يوم خميس العهد من كل سنة

وإن لتاريخ هذا المكان تأثيراً على الإنسان لاتحدثه مشاهدة ما هو عليه

الآن فقد كان الكرد بنال وُلزي يقيم به الأفراح والمهرجانات التي لم ترمثلها عيون الزمان وفيه قبض على إليصابات بأمر من الملكة اختها وسيتت الى برج لندن وفيه أخذ الملك شارل الأول الى الشارع الذي قُتل فيه ومروا به من نقب احدثوه في الحائط

ولما اطفئت نار الثورة أقام في هذا المكان الملك شارل الثاني ومات فيه سنة ١٦٨٥ واستمر فيه بعده خلفاؤه حتى احترق في سنة ١٦٩٧ كما مر فنقل المقر الملوكي الى سراي سان جمس

وبعد هذا القصر على طريق ويتهول المتقدم (قصر إدارة البوليس) وبه مجموعة غربية في بابها مشتملة على اشياء كثيرة من التي استعملت في الجنابات ومن ثم سموها (المتحف الأسود)

ثم (سراي ديوان البحرية) ثم (سراي قائد عموم الجيش) ثم (سراي الخزينة العمومية) وطولها ٩٠ متراً بُنيت في عهد الملك جيورج الأول وبها محل إقامة الوزير الأول وأقلام نظارة المعارف العمومية ومجلس شوري الدولة وديوان التجارة

ثم (سراي الوزارات) وهي عبارة عن عدة أبنية جميلة متسعة جداً أنشئت من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٧٣ وبلغت مصاريفها خمسمائة ألف جنيه وبها وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات والهند

(سراي البرلمان) (ويقال له) (ويستمنستر) كان في محله قصر قديم بهذا الاسم ولكنه احترق في عام ١٨٣٤ وبني هذا مكانه سنة ١٨٤٠ وبقي يسمى باسمه كما يسمى باسم البرلمان ومسطح الأرض التي يشغلها الآن ٣٢٣٧٣ متراً

مربعاً وفيه إحدى عشرة رجة ومائة سلم في جهات مختلفة و ١١٠٠ حجرة وقد بلغت مصاريف انشائه ثمانين مليوناً من الفرنكات ومع هذا لم يتم احد اقسامه الى الآن

ووجهته الأصلية شرقية متجهة نحو نهر التيمس وطولها ٢٨٧ متراً وتنتهي في كل من طرفيها بمناح بارز وما بين الجناحين ينقسم الى ثلاثة أقسام متساوية تفصلها عن بعضها بروج صغيرة وبين نوافذ هذه الوجهة صُفٌّ مرصوفة عليها صور ملوك انجلترا مجسمة منذ غليوم الفاتح حتى الملكة ويكتوريا محاطة تلك الصور بشعار هؤلاء الملوك وبالنقوش البالغة حد النهاية في الزخرفة والالتقان

وبزاوية هذه الوجهة من جهة الشمال برج الساعة وارتفاعه ٩٨ متراً والساعة أربعة وجوه كل منها قطره سبعة أمتار وميقاتيها أحد علماء الفلك المشهورين ويعرف بها فضلاً عن معرفة الساعة اليوم والشهر والسنة وجرسها أكبر أجراس انجلترا بل من أكبر أجراس العالم يسمع رننه أهل قسم كبير من المدينة وزنته ٢٦٠ قنطاراً

وبزاوية الوجهة الجنوبية من جهة الغرب ” برج ويكتوريا “ وهو بناء عظيم مربع من أكبر أبراج الدنيا طول ضلعه ٢٣ متراً وارتفاعه ١٠٤ أمتار وفيه صُفَّة كبيرة بها صورة الملكة ويكتوريا مجسمة تحفها النقوش والرسوم ولذلك نُسب الى اسمها وهي تدخل من جهته الى السراي عند افتتاح المجالس النيابية واختتامها وبين البرجين برج متوسط ارتفاعه ٩٢ متراً

أما الوجهة الغربية وان كان طولها مقدار الشرقية التي على النهر إلا إنها مركبة من عدة أبنية على طرازات مختلفة

وظاهر هذه السراي كباطنها في الزينة والجمال وكما فيها يشعر بكمال ذوق منشئها وعلو قدرها وأن لها في الكون شأنًا يذكر ولا غرو في من أغفر العمارات المعمولة على الطراز القوطي وجديرة بأن يفخر الإنجليز بها

ويصعد إليها الزائرون من السلم الكبير على يسار برج ويكتوريا فيصلون الى ممر فسج يدخلون منه الى الغرفة التي تلبس فيها الملكة ملابسها الرسمية يوم حضورها لافتتاح البرلمان وجدرانها منقوشة بصور بديعة تمثل الفضائل والأدب والتقوى وعلو الهمة والإحسان

وبعد هذه الغرفة القاعة المعروفة بالقاعة الموكية أو قاعة ويكتوريا وطولها ٣٤ مترًا وتر الملكة منها باحتفال زائد الى مجلس البرلمان يوم افتتاحه وأرضها مبلطة بالفسيفساء البديع وجدرانها خصصت برسومات الوقائع المتعلقة بتاريخ إنجلترا وبجانب هذه القاعة غرفة تسمى غرفة البرنس وهي غاية في الرونق بها كثير من صور ملوك إنجلترا مجسمة وبها تمثال الملكة ويكتوريا جالسة على عرش الملكة وبكل من جانبيها مدخل يدخل منه الى قاعة مجلس اللوردات

وهذه القاعة في غاية الزينة والزخرفة معمولة على الطراز القوطي طولها ثلاثون مترًا وعرضها ١٤ مترًا وارتفاعها كذلك ويدخلها الضوء من اثني عشرة نافذة مرسوم عليها صور الملوك الذين حكموا إنجلترا منذ غليوم الفاتح وفي وسط القاعة مقعد من صوف أعد لجلوس الرئيس عليه وعلى مقربة منه مقاعد أعدت للوردات على شكل مدرج وفي الجنوب عرش الملكة على مرتفع وعلى يمينه مقعد البرنس ذو غال وأمام العرش شبه منبر يرتقي اليه من الوزراء من يخاطب اللوردات وفي جانب من هذا الحل أماكن جلوس مخبري الجرائد والمسموح لهم

بالدخول من الناس وعلى مقربة من العرش ذات اليمين وذات اليسار مقاعد السفراء وكبار الأمراء وفي صُفِّ بدائر القاعة ثمان عشرة صورة مجسمة وهي صور البارونات الذين أكرموا الملك جَانْ سَانْتِيَر على إصدار أول قانون أساسي لانجلترا وبجوار قاعة الأعيان رواق فسح معمولة أرضه بالفسيفساء والرخام وبه أربعة شمعدانات ارتفاع الواحد منها خمسة أمتار وبشرقيه محل للطعام ومحل للشراب ومحل الكتبخانة وبغربيه محل تُوضع فيه ثياب اللوردات وبشماله ممشى يوصل الى الرواق الوَسْطِي ومنه الى قاعة مجلس النواب

والرواق الوَسْطِي مثنى الزوايا قطره ثمانى عشر متراً وارتفاعه ٢٣ متراً مسقف بالحجر وبه عدة أبواب الى جهات مختلفة منها باب يُدخل منه الى دهليز موصل الى قاعة النواب وباب يُدخل منه الى قاعة مجلس اللوردات وباب يُدخل منه الى "قاعة الشعراء" سُميت بذلك لاشتغالها على كثير من الرسومات المستخرجة من تأليف أعظم شعرائهم

اما قاعة مجلس النواب فطولها ٢٣ متراً وعرضها ١٤ متراً وارتفاعها كذلك وزينت بأقل من زينة قاعة اللوردات ومحل جاوس الرئيس مرتفع جهة الشمال منها وأمامه مقاعد خصص ما على يمينه منها بالوزراء ووراءهم حزب الحكومة وما على يساره برؤساء أحزاب المعارضين ووراءهم احزابهم من النواب والقرب من الرئيس غرف خصصت بمخبري الجرائد والأجانب الذين يُصرَّح لهم بالدخول وفي الوسط طاولة يجلس اليها كتيبة المجلس ثم وراء ذلك رواق مُستعمل مخصص بالنساء مغطى بشبكة من حديد

وبداخل قاعة مجلس النواب غرفتان إحداها على يمين الرئيس والاخرى

على يساره يستعملان في تعيين عدد الأصوات كثرة وقلة اذا حصل شك في عددها فيدخل الأعضاء الذين من رأيهم "نعم" الى اليمنى والذين من رأيهم "لا" الى اليسرى ويُعدون في حال خروجهم فتبين نتيجة الاقتراع بالأغلبية من غير شبهة ويظهر عدد الأصوات بالضبط في كل رأي فيعملُ بالرأي الذي جمع أغلب الأصوات

هذا ومن أهم ما يتفرج عليه بهذه السراي (قاعة ويستمنستر) وهي ما بقي من سراي ويستمنستر القديمة وقد بنيت على الحالة التي هي عليها الآن سنة ١٣٩٨ وهي من اكبر القاعات التي لم يُحمل سقفها على عمد وطولها ٧٣ متراً وعرضها ٢١ متراً وارتفاعها ٢٨ متراً وصناعة الخشب بها تُعد من أبدع الصنائع وقد حصل بها كثير من الحوادث التاريخية فقد اجتمع فيها أولُ برلمانات انجلترا ومن عجيب الاتفاق ان الملك الذي بناها وهو ريشارد الثاني نودي فيها من النواب بسقوط حقوقه في الملك وقد احتفل فيها ملوك انجلترا الى جيورج الرابع باجراء رسوم لتوزيعهم واحتفل فيها ادوارد الثالث بجان الثاني ملك فرنسا وبداود ملك اسكتسيا أسيريه وفيها صدر الحكم بقتل الملك شارل الأول ومن عجائب المقدور ان كرمول تولى حكم البلاد في هذه القاعة ثم مالبث بعد ثمان سنين من توليته أن أخرجت جثته من قبره وكان تحت هذه القاعة وجراً قوم في الطين والوحل وعلقوا رأسه على رمح في هذه القاعة وبقيت معلقة ثلاثين سنة الى غير ذلك من الحوادث التاريخية الكثيرة التي لا يتحمل تفصيلها هذا المقام وآخر احتفال حصل فيها هو توزيع الملك جيورج الرابع هذا المجلس النيابية الإنجليزية تُتألف "من مجلس الأعيان" ومجلس النواب

أما "مجلس الأعيان" فاعضاؤه الآن ٥٠٠ منهم ٢٦ عضواً من الروحانيين وجميع أعضاء هذا المجلس متساوون في حقوق الاقتراع لكن يتميز بعضهم عن بعض في تقدم الواحد منهم على الآخر في الجلوس والاحتفالات كما هو مبين في لائحة خاصة بذلك

ومداولات هذا المجلس ومناقشاته تُعتبر سرية كمداولات مجلس النواب ومناقشاته أيضاً غير أن ذلك لا يمنع حضور الأجانب ومخبري الجرائد وأعضاء المجلس يكتبون في اتباع قانونه في هذا الشأن بتجاهلهم حضور هؤلاء الأجانب معهم كذلك النساء ممنوعات بمقتضى القانون من حضور مداولات هذه المجالس ومناقشاتها غير أن ذلك لا يمنع حضورهنّ بحجة جعلهنّ وراء شبكة من الحديد فكاننّ غير موجودات في المجلس

والورد رئيس مجلس اللوردات يجلس على مقعد من صوف كما تقدم إشارة الى أن غنى البلاد الانجليزية ورفاهيتها منشأه التجارة التي من لوازمها ذلك والمحل الذي يلي هذا المقعد الصوفي مباشرة لا يعتبر في عرفهم جزءاً من مجلس اللوردات حتى ان الرئيس لو أراد التكلم في موضوع نزل من هذا المقعد وجاوز الجزء القريب منه الى محل جلوس اللوردات حتى يمد داخل المجلس وعند ذلك يتكلم

وانتخاب أعضاء "مجلس النواب" يكون بواسطة أهالي المقاطعات والمدن والبلاد وثلاث مدارس جامعة وهي مدرسة اوكسفورد وكمبريدج ودوبلين ومن له الانتخاب لا بد ان يكون له مالك يختلف كثرة وقلة بحسب اختلاف الأمكنة ورئيس هذا المجلس يجلس تحت مظلة في آخر القاعة وليس له صوت في المجلس الا اذا انقسم الأعضاء الى قسمين متساويين فيرّجج رأي احدهما حين ذاك

وعادات مجالسهم النيابية منع الخطب المكتوبة فمن أرد ان يتكلم يقف حيث هو ويلقي الكلام على الأعضاء مخاطباً الرئيس مشافهة

(كوبري ويستمنستر) أعيد بناؤه من سنة ١٨٥٦ الى سنة ١٨٦٢ وطوله ٣٥٣ متراً وعرضه ٢٦ متراً وله ٧ عيون من الحديد مستندة على قواعد من الصوان وفتحة العين الوسطى ٣٧ متراً والآخر فتحة كل منها ٣٥ متراً وهذا الكوبري من أطرف واجمل كباري المدينة ويجواره على النهر من جهة رصيف ويكتوريا ومن الجهة الأخرى رصيف ألبرت

(كنيسة ويستمنستر) هي موضع دير قديم بناه أحد ملوك الساكسون على ما يقال في حدود سنة ٦١٦ باسم بطرس الحواري وسماه بالاسم المتقدم لوقوعه غربي المدينة الأصلية وقد انهدم فبنيت هذه الكنيسة مكانه وتمت على الحالة التي هي عليها الآن سنة ١٢٥٤

وقد أكثر الأغنياء من التبرعات على هذه الكنيسة حتى صارت من أغنى الكنائس ولكن صادرتها الدولة في أملاكها كباقي الكنائس والديور ومنعت عنها أمناء الديانة ثم رجعت عن ذلك وأعادت اليهم أمرها وسلطانهم عليها ومحل التعبد فيها مبني على هيئة صليب وبالجانب الغربي منه برجان في غاية البهاء والجمال وداخل هذا المعبد يعجب الناظرين لما هو عليه من جمال التناسب وحسن التناسق وتكامل الانتظام وبديع الزخرفة وبهاء الرنق وفيه أرغن عظيم عمل في عام ١٨٨٤ وبالمبد أكثر من عشرين شباكاً منقوش زجاجها بالرسوم والتصاوير

وبها قبور للعائلات الملوكة وكثير من أعظم القوم وامرائهم وقمائل كثيرة

ولذلك تنظر الانجليز هذه الكنيسة بعين التجلة والاحترام ويعتبرونها محرابهم
 الألهي المقدس بحيث لو دفن أحدهم فيها عدوا ذلك أكبر شرف واعظم فخار فمن
 ذلك قبور الوزير ويليام پت واللورد تَشْتَم وتتمثل الوزير پت المذكور في حال
 خطابه وتحت قدميه التبصر والشجاعة وبينهما انجلتره وعلى يمينه ويساره البر
 والبحر وتمثال اللورد بيكونسفيلد ثم بالمستون متحلياً بنشان الساق وتمثال الجنرال
 جون ما لَكَم وهو الذي بُت دعائم السلطنة الانجليزية في الهند ووسَّع نطاق أملاكها
 هناك وتمثال اللورد مانسفيلد أحد مشاهير قضاتهم وعلى يمينه العدالة وعلى يساره
 الحكمة وتمثال الاميرال جُون بالَشِنْ وكان قد غرق في بحر المانش مع ألف رجل
 في عام ١٧٤٤ وتمثال الطبيب شِمْبِرْلين نائماً في تابوت وعلى يمينه الصحة وعلى
 يساره صناعة الطب وقبر اسحق نيوتن ذلك الرياضي الطبيعي الفلكي المشهور
 المتوفى سنة ١٧٢٦ وقبر داروين الطبيعي صاحب المذهب المشهور المتوفى سنة ١٨٨٢
 وقبر الفلكي العظيم جون هِرْتِشِل المتوفى سنة ١٨٧١ وتمثال سِپنْسِر پَرْسِيْشِل رئيس
 ادارة المالية الذي مات مقتولاً في البرلمان سنة ١٨١٢ وذلك على هيئة رجل نائم
 تحفه القوة والصدق والاعتدال مع نقوش تصور الخيانة التي أوردته موارد الهلاك
 وقبر جُون هِنْتَر الجراح الغني شهرته عن البيان وتمثال لِيل الجيولوجي المشهور
 وتمثال شارل جاكيز فوكس الوزير الكبير الذي توفي سنة ١٨٠٦ يُصَوَّرُهُ وهو
 يقضي نخبه بين ذراعي الحرية وعلى ركبتيه ورجليه السِّلَم وتحت قدميه رجل من
 الأرقاء قد أطلق من قيود الاستعباد وبجانب هذا التمثال قبر هنري جرأتان
 المتوفى سنة ١٨٢٠ وهو من مصاقع الخطباء في ايرلانده وكبار رجال الدولة
 بها وتمثال اللورد هولاند من رجال الدولة المشهورين وتمثال جَمْس كُورْتُوِيل على هرم

من الرخام الأبيض أمامه كهف منه عليه نقوش تصور واقعة طولون الحربية التي توفي فيها وعلى اليمين صورة الفخار وعلى اليسار صورة انجلترا وتمثال الماجور جون أندري الذي قُتل في أمريكا بصفة جاسوس وإلى جانبه صورة انجلترا لابسة عليه شعار الحداد وقبر ليفنجستون رحالة افريقية الشهير الذي توفي سنة ١٨٧٣ وقبر شيفنسون المهندس الطائر الصيت وبجانبه قبور كثير من المهندسين المعماريين الذين شادوا الأبنية العظيمة وعملوا الأعمال الفخيمة وتمثال شيكسبير الشاعر الفيلسوف إلى غير ذلك من قبور وتمائيل كثير من الأعظم والأكابر والشعراء والعلماء والقسس وبنات وزوجات الملوك وغيرهم مما يطول شرحه ويستعصي على اللسان بيانها

وبهذه الكنيسة سوى المعبد المتقدم كثير من المصليات والبيع أهمها بيعة هنري السابع بُنيت سنة ١٥٠٢ وعلى أبوابها أزهار الورد تذكراً لاقتران هنري السابع هذا رأس عائلة تيودور بالصلابات بنت ادوارد الرابع وزعيمة بيت يورك وقد كان في هذا الاقتران اجتماع شمل اليتيم وانتهاء الحرب الشهيرة "بحرب الوردتين" وفي هذه البيعة كراسي من البلوط ذات صنع دقيق عجيب بها تصاوير ورسوم لطيفة كل كرسي منها مختص برجل من حاملي نشان باث "الحمام" حين يجتمعون في هذا المكان باحتفال عظيم وقبة هذه البيعة لطيفة جداً من حيث جمال عقودها وبها نقوشها ورسومها وبها قبور بعض مشاهير الملوك وتمائيل كثير من بنينهم وبناتهم وزخرفتها الفاتكة تُعد من أعجب العجائب وقصارى القول أن بهذه الكنيسة كما اشرنا إليه آنفاً بيعاً ومصليات كثيرة وكلها يوجد بها آثار لعظماء الرجال وقبور لبعض الكبراء مما يضيق عن استيفائها حجم هذا الكتاب

وبغيرها عمود يُعرف بعمود ويستمنستر طوله ١٩ متراً أُقيم في سنة ١٨٥٩
تذكّاراً لتلامذة مدرسة ويستمنستر الذين ماتوا في حرب القرم وفي الهند وبأسفله
أربعة أسود وفوق ذلك صورة مؤسس هذه الكنيسة وصورة الملكة إليصابات
مؤسسة المدرسة المذكورة وباعلاه صورة الملكة ويكتوريا

أما المدرسة المذكورة فقد اشئت في عام ١٥٦٠ وفيها أربعون تلميذاً
داخليّة ويسمّون تلامذة الملكة و ١١٠ تلامذة خارجيّة وقد نبغ بها كثير
من العلماء

وبشمال الكنيسة من جهة الغرب محل عظيم كان معدّاً في سالف الزمان
لحبس المجرمين والاشقياء بني في سنة ١٧١٩ وهو الآن مستشفى للرضى به
مائتا سرير

وبالقرب من هذه المدرسة المحل المسمى (رُوِيَالْ إِكُوِيرِيُون) وهو
عبارة عن عمارة من الآجر طوله ١٨٣ متراً فيها حياض كبيرة ملائى بمياه البحر
وأخرى بمياه النهر لاجل حفظ الأسماك وتربيتها بجملة معلومة توافق حرارة
البلاد المجاورة منها الاسماك وهناك بسايتين شتويّة وصيفيّة وتياتر ومحال ملاه
وغرف للمطالعة ورواق للصور والرسوم

(المدرسة الجامعة) المعروفة باسم " بُونِيْفَرَسِيْتِي كُوليج " وهي من المدارس
العالية كان انشاؤها عام ١٨٢٨ ويتعلم بها التلامذة من جميع المذاهب والأديان
وفي سنة ١٨٨١ ضم إليها ملحقات ولها قبة جميلة ويدخل إليها من باب معمول
على الطراز الكورنثي بجانبه عشرة أعمدة وهو في وسط وجهتها البالغ طولها ١٣١
متراً وفيها معمل كيمائي وغرف متسعة للتدريس العام وتُعلّم فيها العلوم الرياضية

والتاريخ الطبي واللغات القديمة والحديثة والآداب والتاريخ والحقوق والطب
وفيه مكتب صغير للأحداث الذين لا يتجاوز سنهم ١٦ سنة وبها ثلاثون استاذاً
والف وستمئة تلميذ ولها مستشفى أمامها وهو عبارة عن كليك القسم الطبي بها
يعالج فيه اساتذة هذا القسم في كل سنة نحو ١٩ ألف او ٢٠ ألف مريض

(بستان ريچننس پارك) هو من أعظم بساتين لوندرة ومسطحه يبلغ ١٨٩
هكتاراً وفيه بيوت كثيرة لأحد الناس ولثلاثة من الشركات فيه حدائق ناضرة
وهي شركة علم الحيوانات وشركة النباتات وشركة الرّماء

فاما حديقة الحيوانات فهي بالجهة الشمالية الشرقية وفيها حيوانات كثيرة منها
ما يختفي بالنهار في أوجرته ومضاجه وفي الماء اوفي داخل الآجام ولا يخرج الا
وقت الاكل فذلك كان أحسن وقت للتفرج عليها هو وقت اعطائها الغذاء وهي
انواع مختلفة كالبروش وثعالب الماء والطيور الجارحة والحيوانات الكاسرة وعجول
الماء والطيور الغطاسة والزواحف وغير ذلك من الطيور المجلوبة من استراليا
والهند وامريكا الجنوبية ويوجد منها مائتا نوع وفيها قصر للقردة وبجانبه محل
للخفاش وتجاهه مكان البجع وأمثاله والديوك الهندية بأصنافها والخنازير والطيور
المائية وأساد البحر والأيايل والضباع والذباب والدياب والذئاب والضباب
والجمال والبوم والبط وأصناف الحدائق وقط الزبد وغير ذلك من الحيوانات المجهولة
والمعروفة ما يفوق الوصف

وأما حديقة النباتات فبالجهة الجنوبية وهي روضة أنيقة يوجد فيها جميع النباتات
وتعرض فيها الأزهار بأصنافها في شهرى مايو ويونيو ثلاث مرات يجتمع فيها
الاعيان واهل التجمّل من ساكني المدينة والى جانب هذه الحديقة حديقة شركة

الرَّثَاءُ وَهِيَ الثَّالِثَةُ

(قصر سِنْتِ جِمْسَن) مَبْنِي بِالْأَجَرِّ بَنَاهُ هِنْرِي الثَّامِنُ سَنَةَ ١٥٣٢ وَزَادَ فِيهِ شَارْلُ الْأَوَّلُ زِيَادَةً عَظِيمَةً جَدًّا حِينَ احْرَقَتْ النَّيْرَانُ سَنَةَ ١٦٩٧ سِرَايَ وَيَتَهَوَّلُ وَصَارَ مِنْ جَبْتِيذٍ مَقْرًّا مُلُوكِيًّا وَلَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى تَوَلَّى الْمَلِكُ جُورْجُ الرَّابِعُ فَحَدَّثَتْ بِهِ حَرْبَةً اتْلَفَتْ كَامِلَ جَنَاحِهِ الشَّرْقِيِّ وَذَلِكَ فِي عَامِ ١٨٠٩ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَثَارِ الْقَصْرِ الْقَدِيمِ سِوَى الْبَابِ الْمُطْلِ عَلَى شَارِعِ سَانِ جِمْسَنَ وَالْبَيْعَةِ الْمُلُوكِيَّةِ وَغُرْفَةِ الْإِسْتِقْبَالِ الْقَدِيمَةِ

وَدَاخِلَ هَذَا الْقَصْرِ فِي ذَايَةِ الزَّخْرَفَةِ وَنَهَايَةِ الزَّيْنَةِ وَفِيهِ تَصَاوِيرٌ بَدِيعَةٌ وَمَا زَالَ الْقَوْمُ يَسْمُونُهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَقَرُّ الْمَلِكِ وَإِنْ كَانَتْ الْمَلِكَةُ تَرَكَّتْ السَّكْنَى بِهِ وَفِيهِ كَنِيسَةٌ يَسْمُونَهَا الْبَيْعَةَ الْمُلُوكِيَّةَ تَحْضُرُهَا الْمَلِكَةُ وَكِبَارُ الْأَعْيَانِ أحيانًا لِلصَّلَاةِ فِي أَيَّامِ الْأَحَادِ

وَكَانَتْ الْمَلِكَةُ وَيَكْتُورِيَا يُقَابِلُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ فِي هَذَا الْقَصْرِ إِلَى وَفَاةِ الْبِرْنَسِ زَوْجِهَا فَصَارَتْ بَعْدَ ذَلِكَ يُقَابِلُ الرِّجَالَ فِيهِ فَقَطْ وَيُقَابِلُ النِّسَاءَ فِي سِرَايِ بُوْكْنَهَامَ وَهَذَانِ الْإِسْتِقْبَالَانِ لَهَا شَأْنٌ كَبِيرٌ عِنْدَهُمْ وَلِهَذَا تُنَبِّئُ بِهِمَا الصَّحُفُ قَبْلَ مَوَاعِيدِهَا بِوَقْتِ فَتَحْضُرِ النِّسَاءِ مُتَجَمِّلاتٍ بِأَفْخَرِ الْمَلَابِسِ مُتَزِينَاتٍ بِأَجْمَلِ الْحُلَلِ وَتَأْتِي الرِّجَالَ لِابْسِينِ كَسَاوِي الشَّرِيفِ الرَّسْمِيَّةِ مُوشَاةٍ بِالْقَصَبِ وَالذَّهَبِ وَالْخَدَمُ مُتَزِينِينَ بِأَزْيَائِهِمُ الْخَاصَةِ بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ شُرَاطُ وَظَائِفُهُمْ وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ قَانِسَوَاتٌ مَخْصُوصَةٌ وَفِي أَرْجُلِهِمْ جَوَارِبُ مِنَ الْحَرِيرِ وَشُعُورُهُمْ مَحْمَلَةٌ بِالْپُودَرَةِ الْكَثِيرَةِ وَفِي أَيْدِيهِمْ بَاقَاتٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الرِّيحَاتِ وَالْأَزْهَارِ وَيَلْبَسُ سَائِقُو الْعَرَبَاتِ مَلَابِسَهُمُ الْمَعْرُوفَةَ وَتَرَى الْعَرَبَاتِ الْبَاهِرَةَ تَجْرُهَا الْجِيَادُ الْفَاخِرَةُ وَتَلْتَفُ الْأَقْدَامُ بِالْأَقْدَامِ

ونحار العقول من هذا الازدحام وتصدح موسيقى الحرس الفرسان تحت شبايك
الملكة بالنغمات الحسان ثم تأتي الجرائد في ثاني يوم على ذكر اسماء الغادات اللاتي
تشرفن بمقابلة الملكة فإذا تشرفت بملاقاتها احدى الغنيات كان لها بذلك الشرف
الباذخ ودخلت بسببه في عداد السيدات المعتبرات

(حديقة سنت جمس) نظَّمها على ما هي عليه الآن الملك جورج الرابع وفيها
الخائل الملتفة والازهار الكثيرة المستاطفة وبركة بديعة بها المياه لصفائها كأنها
مرآة من البلور تشقها الطيور فتزيناها بهاءً بالوانها التي تزوق النواظر وتسرخواطر
والخلاصة ان هذه الحديقة الانيقة من أبي رياض لوندرة الزاهرة وفيها قنطرة
عظيمة الصنعة توصل بين شارع سنت جمس والميدان المسمى "كرومين سكوير"
(قصر بوكنهام) فيه مقام الملكة وهو مشيد على الجانب الغربي من حديقة
سنت جمس وقائم على موضع سراي بوكنهام التي بناها في سنة ١٧٠٣ جون
شفيلد دوك بوكنهام ثم اشتراها الملك جورج الثالث وسكن بها سنة ١٧٦١ فلما
جاء خليفته جورج الرابع غير معالم البنيان الى ما هو عليه الآن وبقي القصر مع
ذلك خالياً الى سنة ١٨٣٧ فأختارته الملكة ويكتوريا لإقامتها به وطول وجهته
الشرقية المتجهة الى جنوب سنت جمس ١١٠ أمتار وبهذا القصر دهليز يحتوي
على عدة أعمدة من الرخام وينتهي الى رحبة بها قاعات الاستقبال فيدخل
الإنسان قاعة التماثيل المزينة بصور وتماثيل العائلة الموكية ورجال الدولة وبعد
ذلك قاعة المكتبة وهي مطلة على الحديقة وعلى شمال الدهليز سلم من الرخام
العجيب الصنعة سقفه منقوش بنقوش من صنع الرسام الشهير تاوولسن تدل على الصبح
والنهار والمساء والليل

وبالطبقة العليا من القصر في وسط الجانب الشرقي منها القاعة الخضراء التي طولها ١٥ متراً وارتفاعها عشرة أمتار ثم قاعة العرش الملوكي وطولها عشرون متراً مغطاة جدرانها بالحرائر مزركشة بالنقوش الذهبية وبجبهة السقف منها إفريز من الرخام به صور تمثل حرب الوردتين من صنع بيلي ثم القاعة الكبيرة التي هي قاعة الرقص في الجهة الجنوبية منه وطولها ٣٤ متراً وعرضها ١٨ متراً ثم قاعة الرسومات وطولها ٥٥ متراً وتحتوي على مجموعة ألواح رسومات وتساوير قليلة العدد لكنها عظيمة الأهمية ويمكن التفرج على هذه المجموعة في غيبة الملكة عن القصر بإذن من اللورد الموكل بالسراي

وخلف هذا انقصر بستان يحتوي على كشك مزين بالنقوش والتساوير البديعة التي عليها كبار الخذاق من الصانع وإلى جنوب القصر الاصطبلات الملوكية والعربه خانات وفيها نحو ٤٠ عربة لخدمة الملكة وفيها عربة للاحتفال مصنوعة صنماً عجيباً ومنقوشة نقشاً بالغاً نهاية الحسن وغاية الجمال وقد صُرف في اعمالها ٧٦٦٠ جنيهاً

(جربن پازك) حديقة بهجة يحدها قصر بوكنهام وحديقة من جهة الجنوب وشارع بيكادلي من جهة الشمال ويبلغ مسطحها ٤٨ هكتاراً (هيندپارك) بستان عظيم في غاية الاتساع على مقربة من الحديقة المتقدمة مساحته ١٥٨ هكتاراً غُرست أشجاره أيام هنري الثامن وكان قبل ذلك يُصطاد فيه الأيل والتيس البري ثم صار ميداناً للسباق وأقبل عليه القوم للرياضة وارتياح الخاطر ثم نقلت عليه الأيام حتى صار بلقماً يتبارز فيه المتخاصمون وأشهر مبارزة حصلت فيه مبارزة اللورد موهن مع الدوك هاملتون وقد سقط

الاثنان قتيلين في هذه المبارزة وكان ذلك عام ١٧١٢ ثم حُفرت فيه بحيرة كبيرة متسعة اتصلت بعد ذلك بنهر التيمس

وهذا البستان الآن محاط بدرايزين من الحديد يُفلق عند منتصف الليل وصار من أعظم منتزهات لندن وله أبواب كثيرة لدخول المشاة وتسعة أبواب أصلية لمرور العربات وبجانب أحدها قوس فخار عبارة عن عقد عجيب لباب غريب يحتوي على نقوش ورسوم في غاية الجمال وأرض هذا البستان كأنها مفروشة ببساط من سندس أخضر وفي كثير من جهاتها تجدد الأشجار ملتفة ببعضها على كيفية بديعة والجهة القريبة من البحيرة يجتمع للتنزه فيها أهل الثروة والجمال فتسبر في طريق منها العربات والمشاة وفي أخرى الفرسان فإذا كان الوقت صحوًا والجو معتدلًا رأيت هناك منظرًا شائقًا ورأيت في الجنوب عربات متواصلة وكلها فاخرة تجرها أحاسن الخيول وسائقوها متزينون بملابس لطيفة وفيها السيدات مشحات بأفخر الديباج متحليات بالطف الزينة ورأيت في الشمال الرجال والنساء ممتطين صهوة الجياد الأصائل متجملين بأحسن الثياب وجدير هذا المكان أن يدعى بستان التباهي والإعجاب

ومنظر هذا البستان في أيام الصيف لا يخلو عما يوجب ابتهاج النفس وانشراحها وذلك أنه قبل الساعة الثامنة من الصباح وبعد الساعة الثامنة من المساء يُرفع علم في أحد المواضع فيتهافت الصبيان على البحيرة التي تقدم ذكرها ويخلعون ثيابهم ثم يسبحون مدة من الزمان حتى إذا أنزل العلم تسارعوا إلى الخروج من الماء وبعد ذلك برقع ساعة لا ترمى لهم أثرًا في هذا المكان وفي الشتاء تجدد المياه في البحيرة المذكورة فيأتي جماعة من الناس ويلعبون

لُعبة معروفة عندهم وهي أنهم يلبسون قباقيب مخصوصة وينزلقون بها على وجه الجمد ويكون المتفرجون كثيرين جداً وحينئذ ترى اللاعبين ينهمكون في لعبتهم من غير ان يلبسهم شيء من الخوف وذلك لأن هناك جمعية اسمها الجمعية الانسانية ولها محل بجانب البحيرة وخدمة مخصوصون وآلات مستعدة لتخليص من يفرق من اللاعبين

وكثيراً ما تُعرض الجنود في فسيح هذا البستان بل كثيراً ما تجمهرت العامة فيه واكثروا اللفظ يُحسنون او يُقبحون تدبيراً سياسياً ما واكبر تظاهر حصل من هذا القبيل هو الذي وقع في عام ١٨٦٦ فإن الساخطين اقتلعوا من الدرايزين الحديد ٤٠٠ مترو جرحوا ٢٥٠ شرطياً جروحاً بليغة

وترى حول هذا البستان دور الاكابر والاعيان ولاخفاء ان هؤلاء القوم قد رزقوا من الثروة ما لا يحيط به الأعلام الغيوب وقد اعتاد اكثرهم على ان يقضوا معظم السنة في مزارعهم المتسعة التي يمتلكونها في أنحاء بريطانيا العظمى ولكن العائلات الكبيرة لتتخذ لها في لندن قصوراً اشاحها تسكنها مدة فصل مملوم وكثير من هذه القصور جدير بالزيارة لما حوته من الزخرف الفائق وما اشتملت عليه من أعمال الصناعة الغربية والنقش والتصوير اللطيف

(ألبرت موريال) هو أثر عظيم شيدته الانجليز تذكاراً لليرنس البرت زوج الملكة ويكتوريا المتوفى سنة ١٨٦١ وبلغ ما صرف عليه ثلاثة ملايين من الفرنكات تحصل نصفها باكتتاب من الأهالي طوعاً واختياراً

وهو بناء ارتفاعه ٥٣ متراً به قاعدة لها درجات من جميع الجهات مرسوم عليها ١٦٩ صورة من المرمر تمثل مشاهير الصناع في كل زمان فالموسيقيون في

الجنوب والرسّامون في الشرق والمعاربون في الشمال وصانعو التماثيل في الغرب وفي الأركان الأربعة صور الزراعة والصناعة والتجارة والعمارة وفوق هذه القاعدة تمثال الپرنس جالساً متحلياً بالملابس الخاصة بنشان الساق وارتفاع هذا التمثال الذي هو من البرونز المموه بالذهب يبلغ أربعة أمتار ونصفاً وفوقه قبة قائمة على أعمدة من الصوان وكل هذا الأثر مملوء بالتماثيل من المرمز والبرونز والأحجار الملونة والفسيفساء البديعة المصنوعة على صفحات الزجاج وارتفاع هذا البناء جميعه يبلغ ٥٣ متراً وفي أسفله تماثيل رمزية في الأركان الأربعة تصور أوروبا وآسيا وأفريقية وأمريكا

(المتحف الهندي) يحتوي هذا المتحف على كثير من النفائس الهندية وفي داخله رجة متسعة بها صور كثير من العماير الهندية مجسمة منها وجهة دار ووجهة حانوت ووجهة مسكن من مساكن أحمد آباد وبهذا المتحف صور من آلات الزراعة وغيرها وتماثيل كثيرة لمعبودات تلك البلاد ودواليب من الزجاج تشتمل على القنائم المأخوذة من برمانيا وخصوصاً ملابس التشریف التي كان يلبسها الملك ” تيبو “ وفي الطبقة العليا المنسوجات الهندية والأمتعة ومصنوعات الأخشاب وأصناف الأسلحة والخزف والجواهر والسجاجيد وغير ذلك من أصناف الديباج والأقمشة الثمينة والمصنوعات الغريبة وملابس الرجال والنساء وعُدَد الخيول والأغطية المزركشة والشماسي وسروج الفيلة ومصنوعات المعادن

(مقابر لوندرة) لا تستحق عناية كبيرة لأنّ الانجليز اعتادوا على دفن اكابرهم ومشاهيرهم في الكنائس المعتبرة ولكن مقبرة كنسِل جرين تستحق الذكر مع ذلك لأنّ لها منظرًا بديماً وقد انشئت في سنة ١٨٣٢ ومساحتها تبلغ ٢٤ هيكتاراً

وتحتوي على سبعين ألف قبر وغالب الآثار فيها عبارة عن حجارة كبيرة ساذجة
الآتي بالجهة العليا منها ففيها كثير من الآثار المتقنة النقش والتمثيل

(معمل البيره) وما هو جدير بالتنبيه عليه ويجمل بالسائح التوجه اليه من
حيث غرابته معملُ بيرة "بازكلي" و "بيركنز" وشركائهما وهومن أكبر المحلات
الصناعية التي بلندن والذي يجعله مستحقاً للزيارة والتفرج إنما هو حسن تنظيمه
وجال ترتيبه مع سعة وجسامته فإنه يشغل مسطحاً من الارض قدره خمسة
هكتارات ويشتمل على عدد كثير من العمارات والأبنية والدور ومخازن الجبوب
والرحبات والشوارع والحارات والعمارات وعند مدخله مكاتب تكتب فيها
الزوار اسماءهم ويدخل الانسان ومعه دليل يُطلعه على ما فيه من الغرائب والعجائب
وفي كل محل منه تشم رائحة البيره فتحدث نوعاً من التخدير خصوصاً في القاعات
التي يُبرد فيها هذا الشراب عقيب اصطناؤه فينبغي الاحتراس من شم الغاز الذي
يتصاعد منه في هذه القاعات

هذا والآلات والدنان والقزانات وغيرها من الأدوات التي بهذا الحل في
غاية الجسامة ونهاية العظم وزيادة الكثرة

واما مقدار ما يُصنع فيه من الشراب فشيء يفوق الحد والمد ويكفي في
معرفة كثرته العلم بان اصحاب هذا العمل يدفعون الى الحكومة من الضرائب مائة
وثمانين الف جنيه سنوياً ومرتب رئيس العملة الف جنيه سنوياً وباصطبلاته
١٥٠ حصاناً لنقل البيرة في العربات الى داخل المدينة

(مستشفى جاي) انشأه رجل اسمه جاي سنة ١٧٢١ ومن ثم نسب اليه
وكان يتجر في الكتب فحصل على ثروة عظيمة واموال جسيمة فبنى هذا الحل

وهو يشتمل على سبعمائة سرير وعشرة وإيراده السنوي أربعون ألف جنيه ويتيسر بذلك قبول خمسة آلاف مريض يعالجون فيه ومعالجة ثمانين ألفاً من المدينة في منازلهم بواسطة أطبائه

وفي رحبته تمثال مؤسسه من البرونز مجسماً وبكنيستته تمثال آخر من الرمر اعلاء لشأن هذا الرجل الخير وتأيداً لمجده

(متحف مادام توسو) عبارة عن بناء عظيم ذي طبةتين العليا منها مخصصة بتماثيل مشاهير الرجال والنساء من الشمع مجسمة لابسة ملابسها المعتادة موضوعة بمجسات هذه الطبقة يفصلها عن المتفرجين فاصل وبعضها معمول على الكراسي المعدة لاستراحة المتفرجين حتى إن الرائي يخال أنهم اشخاص من المتفرجين جالسين على هذه الكراسي فاذا انتظر هنيهة ولم يجد منهم حركة الحياة جسر على لمسهم فعرف أنهم تماثيل

وهذه التماثيل تجمع مشاهير الملوك وعائلاتهم وكبار السياسيين والعلماء والكتّاب وتمثل المجتمعات الشهيرة على هيئاتها التي كانت عليها

والطبقة السفلى خصصت قاعة منها بصور كبار المجرمين والأشقياء مجسمة وقاعة أخرى يعرض آثار تاريخية مثل ملابس نابليون الأول وعربة أخذها منه البروسيان كان يركبها يوم واقعة "واترلو" اشترتها صاحبة هذا المتحف بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه انجليزي وقاعة نصبت في وسطها الآلة المسماة جيليوتين التي قطعت بهارأس لويس السادس عشر ورأس امرأته الملكة ماري انطوانيت وقت الثورة الفرنسية وكان مسيرنا الى هذا المتحف ليلاً بالسكة الحديدية التي تحت الأرض من إحدى محطاتها القريبة من الفندق الذي كنا به

(قصر البلور) المسمى " كرسْتال پَاسِن " هو على مقربة من مدينة لندن يذهب اليه بالسكة الحديد يقوم برسمه قطار كل نصف ساعة وهذا القصر مصنوع جميعه من البلور والحديد قام بأمره مهندس المعرض العام الذي انعقد بلندن سنة ١٥٨١ فجمع أكثره من مواد ذلك المعرض حتى أتمه في سنة ١٨٥٤

وهو عبارة عن شكل مستطيل ذي جناحين طوله ٤٩٠ متراً تكسفه في بعض الجوانب محلات وجهه الشمال منه قد احترق بعضها في سنة ١٨٦٦ وجهه الوسط وجهه الجنوب منه جميل في كل منها رحة وطول رحة الوسط ١١٢ متراً وعرضها ٣٦ متراً وارتفاع سقفها ٥٣ متراً وطول رحة الجنوب ٩٥ متراً وعرضها ٢٢ متراً وارتفاع سقفها ٣٣ متراً وبجانب هذا القصر في كل من ذات اليمين وذات اليسار برج ارتفاعه ٨٦ متراً وقد بلغت مصاريف هذا القصر وبرجيه وبساتينه الواقع على الجهة الشرقية منه مع ثمن الأرض مليوناً ونصف مليون جنيه انجليزي عبارة عن سبعة وثلاثين مليوناً ونصف مليون من الفرنكات

وله مداخل متعددة يدخل اليه منها دخلنا من الذي على جهة الجنوب منه في طريق مغطاة بالزجاج طوطاً ٢٢٠ متراً وذلك لأن هذا المدخل تجاه المحطة التي نجئنا منها ولأن كتاب الدليل دللنا على ان ننظر القصر منه أحسن المناظر

وقد صدق اذ بدخولنا من الباب الى رحة الجنوب امتد نظرنا منها الى سائر أنحاء القصر وهو مصنوع من البلور والحديد كما مر أنطى بعضه نباتات الأزهار وفي جانبيه بغير الرجات محلات عدة في غاية التنظيم والبهاء مخصص بعضها بتمثيل أحاسن الأبنية عند الأقدمين وبعضها بعرض حاصلات الصنائع الأهلية على من يريد الشراء تحيط بهذه المحلات الصور المجسمة والتماثيل المنظمة على

أحسن وضع وأكمل اتساق يعلو ذلك جميعه قبة القصر البلورية التي لا تحجب منظر السماء وان حجبت تأثيرات الجو والهواء

وفي رجة الجنوب كثير من صور الملوك مجسمة منقولة من التماثيل الموجودة في سراي البرلمان وفي وسط هذه الرجة صورة الملكة المالكة الآن ممتطية جواداً وفيها بعدها الفسقية الشهيرة التي كانت بعرض سنة ١٨٥١ في جهة هندبارك ونقلت منه الى هنا تزينا النباتات المائية فتزيد بها بهجة وجالاً

ورجة الوسط في كل من جهاتها الأربع محل الأول من جهة الغرب محل الموسيقى وبوسطه أرغن مشتمل على ٤٥٦٨ أنبوبة يحرك ما ينفث فيها آلة لتجرك بالماء ويسع هذا المحل أربعة آلاف شخص وقبته قطرها ٦٦ متراً الثاني تجاه الأول وهو قاعة كبيرة بها مدرج "أنفتيانتر" شهيرة بما يلقى فيها كبار الأفاضل ومعتبرو الخطباء من المقالات الثالث من جهة الشمال وهو محل الأوبرا تمثل فيه الروايات ويسع الفتي نسمة الرابع من جهة الجنوب محل الأناشيد والغناء وهو قدر المحل الذي قبله تطرب الحضور فيه مشاهير المغنين وتسمع فيه أحسن القطع الموسيقية في أيام معلومة من كل اسبوع وكل من هذه المحال الثلاثة تعلو قبة كالاول والجميع تحت قبة القصر التي ذكرناها المرتفعة نحو عنان السماء

وبين رجة الوسط وجهة الشمال المحترق بعضها محلات أبنية الأقدمين من الجانبين كما ان واقعة محلات عرض المصنوعات الالهية واقعة بين رجة الوسط المذكورة ورجة الجنوب من الجانبين

وكل بناء من الأبنية المذكورة عبارة قائمة بذاتها بوجهة مخصوصة بها فوقها سقف يناسبها

فالعمارة المصرية تشتمل على اشياء كثيرة من تقليد آثار المصريين القدماء من ذلك تقليد عمد الكرنك وتقليد قسم من معبد بُني زمن البطالسة قبل الميلاد بثلاثمائة سنة وتقليد قبر عُثر عليه بجهة ابي سنبل من بلاد النوبة وعلى الجدران رسومات منقولة من معبد رمسيس الثالث بجهة طيبة وبمقابلها تمثيل محاصرة حصن ومحاربة حاصلة أمام ذلك الحصن في قديم الازمان ويلي العمارة السابقة عمارة يونانية ثم عمارة رومانية اشتملتا على كثير من تقليد آثار هاتين الامتين

ثم عمارة الحمراء وهي تقليد قسم من قصر الحمراء مقر الملوكة بغرناطة من بلاد الأندلس وهذا القسم عبارة عن رجة القصر وقاعات ملوكة بدائرها وهذه الرجة كانت تُعرف عندهم برجة السباع لأن بها سباعاً على فسقية نقل تقليدها مع سباعها في هذه العمارة ومن قاعاتها قاعة تسمى قاعة الحكم وقاعة تسمى قاعة ابن سراج

وتجاء هذه العمارات من الجانب الآخر عمارة من تقليد عمارات رومة القديمة ثم يليها عمارة من عمارات القرون الوسطى ثم عمارة من عمارات الأزمان التالية لها ثم عمارة من العمارات الإيطالية وبها تقليد كنيسة القديس بطرس الشهيرة بمجسمة ثم اذا انتهى المار من هذه العمارات وصل الى جهة الشمال وهي وان احترق بعضها كما سبق لكن بها رجة فسحة فيها فسقية عظيمة تزدان بالنباتات المائية المجلوبة اليها من البلاد القاصية

واذا مر المتفرج من الرجة الوسطية الى جهة الجنوب رأى بالمحال من الجانبين بدائع المصنوعات الاهلية من مصوغات وصيني وبلور وزجاج وكعب

وورق وأدوات كتابة وموسيقى ونسيج الى غير ذلك من المصنوعات المختلفة الاصناف
معرضة كما سبق للبيع

ثم فوق بعض محال القصر أماكن خصصت بالرسومات والتصاوير
وبهذا القصر غير ما ذكرناه من محلات الملاعب والملاهي ما لا يحصى وفيه
محال متعددة للمأكولات بحسب حال الآكلين في الثروة والبسرة بين
مرتفعة الأثمان وغيرها

وقد أكلنا من أحسن المأكول في أحسن المحلات ولم يخض الواحد منا على
تعدد أصناف ما أكل إلا نحو ست شلنات اعني ثلاثين غرشاً صاغاً
ثم بعد الأكل اخذنا نتفرج من خرّجة في القصر مطلة على بستانه الهادي
لوجهته الشرقية على النيران الصناعية المتخذة من البارود التي هي من ضمن ما يتفرج
عليه في هذا المساء

وهذا البستان معمول على الطراز الانجليزي واليطياني بمعنى انه كبير
المتسع المكسوة بالنبات الأخضر ومساحته تبلغ أكثر من ثمانين هيكثاراً
وانه ليحار الطرف في أحسن هذا البستان ويعجز اللسان والقلم عن وصف
ما فيه من الأشياء الحسنات وإن من أبهى ما فيه سوى المتسع الزينة
بالاخضرار والمظلات المكللة بالأزهار والأشجار وخضرتها والنباتات ونضرتها
أشكال الماء وتنوع هباته عند انطلاقه بالحياض في ارتفاعه وانخفاضه فإن ارتفاعه
يلغ خمسة وسبعين متراً إذا أطلق من الحياض المنحطة وخمسة وأربعين إذا
أطلق من الحياض المرتفعة ويبلغ مقدار ما ينطلق منه في الدقيقة الواحدة
٥٥٥ متراً مكعباً

وفي البستان كثير من التماثيل وعدد غير قليل من الأقباص المشتملة على القردة والطيور بأصنافها

ومنظر هذا البستان من الحُرْجَةِ التي تفرجنا منها على النيران الصناعية المتقدمة هو من أحسن المناظر لا يلاوه غير منظره من أحد البرجين المقامين على يمين القصر ويساره فإن الناظر إذا علاها يمتع نظره بما حوالي البستان من الفياض الى غاية البصر ومنتهاه فضلاً عن تمتعه بمنظر البستان



❖ السفر من لندن ❖

قد عرفت من الفصول المتقدمة مقدار هذه المدينة العظيمة بحسب الإمكان وقد أقمنا فيها ثلاثة أيام كاملات غير يوم الوصول ويوم السفر وهانحن على أهبة السفر منها اليوم قاصدين صوب المأمورية ولكننا أردنا التعرّيج على هولاندة لمشاركة بعض بلادها والتفرّج على مدينة لِيْدِن وكتبختانتها المشهورة بالآثار والكتب المشرقية وعزّمنّا على التوجه إليها من أبعد الطرق البحرية لنجتاز بحر المانش من جهة متسعة غير التي اتبعناها كما علمت عند مجيئنا لان البحر كلما كان متسعاً كان تسلط الأهوية فيه أقلّ منه في غيره واخترنا أن نساغر أولاً من لندن بطريق البر الى هَارْوِثْش ومنها بالبحر الى روتردام ومنها بالبر الى لاهاي ومن هذه الى لِيْدِن لنبيت بها ليلة بعد الإقامة فيها يوماً ثم نسير منها براً الى أمستردام فقمنا من لندن يوم السبت ٢٤ أغسطس سنة ٨٩ والساعة ٨ بعد الظهر بالسكة الحديدية من محطة "ليفربول ستريت" وسرنا حتى وصلنا هَارْوِثْش وهي أسكلة البحر المراد السفر منها بعد قيامنا بساعة وثلاثة ارباع ساعة

والحطة على مقربة من محل مرسى السفينة في هذه المدينة البالغ عدد سكانها ٧٥٠٠ نفس فركبنا السفينة إذ كانت مستعدة في الحال وإذا بها من السفن الكبيرة المعتاد سفرها في البحار العظيمة لا كالتّي جئنا فيها الى لندن وأذهبت منا كل صبر كما مرّ

فسرنا على بركة الله والساعة عشرة وثلاث وكان الجو هادئاً من الأهوبة والسماء صحواً ففاجأنا الجوع فأكلنا وشربنا وتمننا بلطف النسيم وأمضينا وهذا من الليل في مطالعة صحف الأخبار ومجازبة أطراف الحديث حتى جاء وقت النوم فنمنا بغاية الراحة الى ان أصبح الصباح

الوصول الى روتردام

رسا الوبور بنا في ميناء هذه البلدة التي هي من أعمال هولانده والساعة ثمانية وثلاث من صباح يوم الأحد ٢٥ أغسطس سنة ٨٩ فكانت المسافة من هاورز اش اليها عشر ساعات

وقبل ذكر التفرج فيها أذكر لك بعض ايضاحات على مملكة هولانده فأقول إن هذه المملكة تحتوي على ٤٣٩٠٨٥٧ من السكان وعاصمتها مدينة أمستردام ولكن ملكتها تسكن مدينة لاهاي فتأوي اليها الحكومة والمجالس النيابية بالتبعية لها

وهي تنقسم الى احد عشر اقليماً ويتبعها كثير من المستعمرات منها الجاوه وصوماترا وبورنيو وكوراسو وغيرها بحيث تبلغ سكان مستعمراتها ٢٨٠٠٠٠٠٠ من السكان

وقد عُدَّت بواخرها التجارية فبلغت سنة ١٨٨٣ ستًا وتسعين باخرة حملتها ٢٨٨٠٠٨ طونولات وسبعائة سفينة وواحدة شراعية حملتها ٥٨٧٤٧٣ طونولات وقد تدرت قيمة الواردات اليها في سنة ١٨٨٢ بمبلغ ٩٩٢١٠٨٠٠٠ فلورينو^(١) وقد تدرت قيمة الصادرات منها في السنة المذكورة بمبلغ ٧٥٢٠٦١٠٠٠ فلورينو

وجيشها مؤلف من ٦٥٠١٤ رجلًا غير الحرس الأهلي والجيش الاحتياطي أما جيش مستعمراتها فمؤلف من ٣٠٠٠٠ رجل ودونمنتها الحربية كانت في سنة ١٨٨٤ مؤلفة من ٢٣ مدرعة و٩٣ سفينة بخارية غيرها وعدد ملاحها ٦٨٠٠ نفس

ومدن هولانده تشقها الخلجان في جميع جهاتها كما تشق غير المدن من أرضها وفوقها القناطر والسكك التي بشواطئها تحمها الأشجار غالبًا وأكثر منازلها غير معتنى بزخرفة منظرة من الخارج ومبني بأجرٍ أسود مبيض ما بين أطرافه بالجص وتعدد طبقاته في المدن الكبيرة الى ست طبقات وان كانت قليلة الارتفاع

وجميع نواقيس كنائسها تقرع في كل ربع ساعة بحيث يتضرر من ذلك من لم يتعود عليها في أول الأمر

ومساكنها في غاية النظافة لأنها تفصل أرضها وسقفها وجدرانها وشبابيكها من الداخل والخارج وتمسح مرة بالأقل كل اسبوع وشملت النظافة شوارعها وحاراتها حتى عُدَّت هذه البلاد أنظف بلاد العالم اجمع

(١) الفلورينو يساوي ثمانية غروش و٢ بارات بالعملة الصاغ كما تقدم في غير هذا الحل

وأرض هولانده منخفضة عن باقي القارة الأوروپية حتى سُبيت بما ترجمته
 "البلاد المنحطة" ومن ثم كانت أعمال الجسور والسدود معتنى بها عندهم كل
 الاعتناء لدرء غوائل البحار واثقاء أخطار الأنهار فيصرفون في انشاء المصاريف
 العظيمة وفي ترميمها والمحافظة عليها كل سنة من خمسة ملايين الى سبعة ملايين
 من الفلورينات

والخلجان كثيرة في هذه البلاد كما مر فتستعمل أولاً للواصلات فإن
 كل جهة تتصل بجميع الجهات المجاورة لها بواسطة وثانياً لصرف المياه المستغنى
 عنها فتكون مصارف وثالثاً لان تكون حدوداً بين الأطنان والعقارات والمساكن
 فتعيط بالملك لتجده عن غيره كما يحاط في بلاد غير هذه بسياج من الحطب أو
 الجدران

وغاب الخلبان فيها عرضها نحو عشرين متراً وعمقها نحو مترين وقد تكون
 أرض مجرى الخليج مرتفعة عن سطح الأرض المجاورة له في بعض الاحوال
 وأعظم خلبان هذه البلاد خليج الشمال فإن طوله أكثر من ٨٠ كيلومتر وعرضه
 ٣٦ متراً وعمقه من ستة الى سبعة امتار

هذا وقسم كبير جداً من هذه البلاد كان في الأصل مستنقعات وبحيرات
 فصار إخراج الماء منه وتخفيفه بواسطة سدّين بينه وبين الجهة التي يرد الماء منها
 اليه ثم بإخراج الماء منه بالآلات رافعة تصبه في البحر او في خلبان يصل بواسطة
 اليه وأرض هذه المستنقعات والبحيرات خصوصاً القريب منها الى البحر متى أُخرج
 منها الماء الملح وأزيلت منها حشائش البحر واعتني في زراعتها تكون من أجود
 الأرض وأخصبها

وقد عزم القوم اليوم على تخفيف "زُونْدِرْزِي" وهو خليج كبير جداً من البحر الملح داخل في البلاد جهة شمالها من الغرب فمتى صار صالحاً للزراعة زادت هولانده بسببه اقلياً جديداً مساحته ١٧٦٠٠٠ هكتار وقد قدروا مصاريف هذا العمل بمبلغ ١٢٠ مليون فلورينو اعني ٢٥٢ مليوناً من الفرنكات فيا للهـم ويا للرجال

ويا ليت أهل بلادنا يهتمون عشر معشار هؤلاء القوم في ما يقود عليهم بالمنافع الجمة من اشتغالهم في اصلاح ارضهم مع خصوبتها وعذوبة مياهها وكثرتها حتى كانوا يحوزون بذلك الخير الكثير والنفع الغزير وليس ذلك عليهم بمستصعب اذا حصل التعاون عليه بشركات كما تصنع أهل هذه البلاد وهو من التعاون على البر والتقوى الذي أمر به الشرع واستحسنه العقل وظهرت ثمراته للحس والعيان وقام عليه واضح البرهان

واذ قد عرفت هذه البلاد بوجه ما وفهت هم رجالها الساعين في خير أنفسهم المجدين في توسيع نطاق ثروتهم وعلمت أنهم قد اخذوا من البحر الملح بالرغم عنه ما سمعت وهم مُحَفَظُونَ عليه من غدره مُحَدِّقُونَ العيون اليه خوفاً من وخيم امره وادركت ان بلادهم أنظف البلاد وأن أرضهم صارت من أخصب الأرض بسبب همهم العالية ودريت استيلاء اهلبا مع هذه الأتخاب في بلادهم وقلة عددهم على كثير من المستعمرات مع إصلاحها والقيام بمصالحها البالغ عدد سكان هذه المستعمرات أكثر من ستة اضعاف الهولانديين فحينئذ سر معي حتى تنفرج على روتردام التي وصلناها الآن قبل قيام الوابور بنا الى حيث نقصد بعدها من البلاد

مدينة روتردام هذه يبلغ سكانها ١٩٠٥٠٠ نسمة وهي ثانية مدن المملكة في التجر قائمة على الضفة اليمنى من نهر "موز" حيث يصب فيه نهر "روت" ومن ثم سميت روتردام اي "سد الروت" وهي تبعد بنحو خمس ساعات عن بحر الشمال ويخترقها كثير من الخلجان العميقة المتسعة بحيث يتيسر بواسطتها لأكبر السفن أن ترسو داخل المدينة بجوار مخازنها وحوائيتها ومنازلها وقد ترتفع مياه هذه الخلجان بحسب المد والاهوية زيادة عن ارتفاعها المعتاد من متر ونصف الى مترين ونصف

ويُتوصل من جهة الى اخرى في المدينة بواسطة العبور على كوبريات مختلفة الاشكال والهيئات مقامة على هذه الخلجان تفتح لمرور السفن كلما اقتضى الحال ذلك

ويدخل ميناء روتردام نحو اربعة آلاف سفينة في السنة واكثر ما يجلب اليها البن والسكر والأرز والدخان والشاي والحبوب

ويوجد بضواحي المدينة معامل مهمة لعمل السفن وفابريكات للسكر ولتقطير المشروبات الروحية وعمل الدخان وتجهيزه ومعامل لصنع الماكينات شهيرة باوروبا وام محطات السكة الحديدية فيها محطة البورصة وهي في وسط المدينة قائمة على معبر شهير غالبه من الحديد اتساع كل من حناياه ستة عشر متراً

وبجوار هذه المحطة البورصة وهي بناء قديم عظيم عمل في سنة ١٧٢٢ بداخله رجة متسعة نكتنفها مماش مرتفع سقفها على حنايا تحملها عمد

وبقرب هذه البورصة من جهة الغرب محل البورصة والتلغراف ثم سوق كبير لبيع السمك يدخل اليه من ميدان البورصة الذي هو اكبر ميادين المدينة

ومن اشهر ميادين هذه المدينة الميدان المعروف بالسوق الكبير وغالبه فوق
قنطرة وفيه تمثال يمثل أحد رجالهم الشهيرين ممسكاً بيده كتاباً وتعتقد العامة
أنه يقلب كل ليلة ورقة منه اذا دق جرس المدينة الكبير دقة نصف الليل
وبشمال هذا السوق السوق المسمى "هو جسترات" اي الطريق المرتفع
وهو أكثر جهات المدينة حركة

وبالمدينة متحف للرسم والتصوير يحتوي على كثير من النفائس ومتحف
للفرش القديمة والأواني والأدوات المصنوعة من البلور والصيني والأسلحة
وحديقة للحيوانات فيها من الطيور غريبها ومن الحيوانات المفترسة عجيبها وكنيسة
قديمة مبنية بالآجر سنة ١٤٧٧

وأعظم منتزهاتها الحديقة الواقعة في غربيها على شاطئ نهر موز والرصيف
المتد على النهر بعدها المسمى "ده بومبيس" ومعناه رصيف الأشجار الصغيرة
نسبة الى ما غرس فيه ويوجد عند هذا الرصيف دائماً مئات من الواحورات للسفر
الى باقي بلاد هولانده والى بلاد بروسيا وفرنسا وانجلترا والروسية وسواحل البحر
الأيض المتوسط مما يزيد هذا الرصيف بهجة ولطفاً

وفي متبى هذا الرصيف كوبريان يمتدان منه على النهر ويمران على جزيرة
في وسطه الى ضفة النهر الأخرى أحدهما يمر السكة الحديدية وقد عمل في سنة
١٨٧٧ ويرتكز على تسعة عمد وثانيها معد للمارة والعربات وقد عمل في سنة
١٨٧٨ ولا يرتكز إلا على أربعة عمد مع أن طوله ٨٥٠ متراً

ومما يستحق الذكر بهذه البلد معامل شركة بحرية تصنع السفن المطلوبة لها
وما يلزمها من الماكينات فيعمل فيها أكثر من ألف صانع

فلما دخلنا هذه المدينة وتفرجنا فيها أكثر من ساعتين ونصف راكبين عربية
 قصدنا المحطة بعد ذلك وركبنا منها وابور البر قاصدين ليدن. فقام بنا والساعة ١١
 و٣٢ دقيقة قبل الظهر وذلك بعد وصولنا الى روتردام بأكثر من ثلاث ساعات
 وبعد مسير نصف ساعة وصلنا لاهي ولم يقف الوابور عندها غير ثلاث
 دقائق وهي محل إقامة ملكة هذه البلاد وحكومتها وعجالتها النيابية وإن كانت
 العاصمة أمستردام كما مرّ وعدد سكان لاهي هذه ١٤٢٣٦٠٠ نسمة وتبعد عن بحر
 الشمال بنحو أربعة كيلومتر وهي أقل حركة من مشاهير مدن هولانده في التجارة
 والصناعة ولكن ما بها من الطرق المنتظمة والميادين المتسعة والمنزهات الفسيحة
 والمباني العظيمة جعلها من أحسن مدن أوروبا
 ثم استمر بنا السير الى أن وصلنا مدينة ليدن بعد الظهر بأربعة وعشرين
 دقيقة من يوم الأحد ٢٥ أغسطس سنة ٨٩ فكانت مسافة السير من لاهي اليها
 سبع عشرة دقيقة

الوصول الى ليدن

وبجرد وصولنا ركبنا عربية واخذنا ما يلزم الليل من الملابس أما باقي الأمتعة فتركناها
 بالمحطة وقصدنا أحسن فنادق المدينة المعروف لنا من كتاب الدليل فوصلناه وهو
 وإن كان لا يماثل الفنادق التي رأيناها قبله في العواضم الكبيرة لا من حيث
 الاتساع ولا من حيث الزخرفة والزينة خارجاً وداخلاً إلا إنه لا ينقص عنها في
 شيء من حيث الخدمة والنظافة ولا من حيث جودة المأكل كما اتضح لنا
 من طعام الغداء وإن كان أقل مما في تلك من حيث التعدد وكثرة الألوان

واول شيء سألنا عنه من صاحب الفندق كتيبخانه المدينة فأخبرنا أنها
 مغلقة في أيام الأحاد دائماً ولما رأى منا التكدر من ذلك وفهم مما كتبناه في
 دفتره بمقتضى الأصول المتبعة في جميع الفنادق من بيان الأسماء واللقاب
 والوظائف والبلاد الأصلية والجهات المقصودة أننا لم نسأل على تلك الكتيبخانه
 إلا للتفرج عليها قبل توجهنا الى المؤتمر وقد قرب وقت انعقاده تفكر ذلك الرجل
 الذكي في الحال أنه لو أخبر السيود مجوبة الاستاذ الشهير في هذا البلد بمعرفة
 المشرقيات بمحضورنا وبما نقصده من التفرج على الكتيبخانه العمومية لامكنه أن
 يسهل لنا ذلك فأرسل اليه في الوقت من أخبره بالأمر فما فرغنا من تعاطي
 الطعام حتى جاء يبشرنا أنه أخبر هذا البروفسور بفرضنا وأنه وعده بأن يحضر
 مفتاح الكتيبخانه ويفتحها لنا وأنه ينتظرنا ليكون معنا حال التفرج في الساعة
 الثالثة بعد الظهر وكان الوقت قرب من ذلك فها شربنا القهوة واسترحنا قليلاً حتى
 أحضر لنا صاحب الفندق من يدنا فسرنا معه الى حيث ينتظرنا البروفسور
 مارين من شوارع البلدة وهي مبلطة بالآجر الأحمر نكتنفها الخلعان من كل
 الجوانب توصلها الى بعضها القناطر العديدة والباس نكتاثر حولنا ويهرعون اليها
 من كل فج بفاية الإسراع حتى يحيطوا بنا للتفرج على هيئتنا المشرقية الغير المعمودة
 عندهم فإنهم بعد بلدهم عن البحر وكونها غير تجارية يندر ورود الأجانب اليها
 خصوصاً الشرقيين المتزيين بالزي الشرقي من قفطان وعمامة وكان ذلك زي
 اثنين من رفقاتنا ومن طربوش وكان زي الباقيين

والذي يظهر من تكاثرهم علينا وانبياتهم من هيئاتنا أن القوم كأنهم لم يروا
 أحداً بالزي الشرقي عندهم قبلنا حتى وقت المؤتمر السادس الذي انعقد بهذا البلد

للمستشرقين في سنة ١٨٨٣

وان كانوا ملتزمين حالة الأدب الكامل والسكون التام تاركين لنا مكاناً نمشي فيه ولم يبد لنا من هيئاتهم ما يدل على عدم الاعتبار او الاستهزاء لكن حصل لنا مع ذلك من تكاثرهم علينا وإحداقهم بنا واستمرار شخوص أبصارهم اليها مضايقة لا مزيد عليها حتى كنا نسأل الدليل مراراً هل قرب المكان الذي نقصده الى أن قابلنا الأستاذ ذه جوية وقد حضر لمقابلتنا من حيث كان ينتظرنا لانه استبطأنا فلم علينا مع البشاشة والترحاب كأن له بنا معرفة سابقة ومحبة قديمة وقد توسم مضايقتنا من يحيط بنا فأخذ يعتذر لنا عنهم ويحمل ذلك منهم على غرابة الأمر عندهم وانهم لم يروا هذا الزي منذ خلقوا الى الآن وطلب منهم ان يبتعدوا عنا ما أمكن مفهما إياهم تأثرنا منهم وهم على هذه الحالة فلبوا طلبه في الحال وابتعدوا وصرنا ولكن ما لبثنا ان قرب منا غيرهم وعاد الحال الى ما كان فكلمنا ابتعد فريق بأشارته تلاه فريق آخر الى ان وصلنا الى المكتبة ففتحها لنا هذا الأستاذ ودخلناها جميعاً وهي بالمدرسة الجامعة الشهيرة في هذه البلدة

ومن الحديث المأثور عند أهل هذه البلد أن احد امراءها المتقدمين مكافأة لأهلها على مقاومتهم اشد المقاومة هجمات الإِسْپَانِيُول عليها في سنة ١٥٧٤ خيرهم بين أمرين بين ان يعفيهم من الضرائب على الاطلاق مدة سنين معلومة وبين تأسيس مدرسة جامعة لم في نظير صبرهم وإقدامهم ومدافعتهم العدو عن وطنهم فاختراروا الثاني دون الاول فأسس لم هذه المدرسة

ومها كان الأمر في صحة هذا الحديث فإنه من الثابت ان هذه المدرسة الجامعة شرع في بنائها سنة ١٥٧٥ وما تمت وابتدئ في دروسها حتى أخذت توارد

اليها الناس من سائر الجهات وعم صيتها وانتشرت شهرتها في اوربا جميعا وجاء اليها
أحسن علماء تلك الأعصر فدرسوا فيها ونبغ فيها جم غفير من العلماء المشاهير وهي
باقية الى الآن على شهرتها العتيقة خصوصا في الطب والعلوم الادبية ففيها من
الأساتذة ستة واربعون ومن الطلبة نحو الثمانمائة وكثير من الأساتذة المقررين بها
يدرسون في منازلهم ولا يدرس بقاعة التدريس فيها الا القليل منهم ويجدران
هذه القاعة صور جميع أساتذة المدرسة منذ انشئت الى الآن

والكتبخانة التي بهذه المدرسة أقدم كتبخانات هولانده واجمعها لتكتب
وتشتمل على ٣٠٠٠٠٠ مجلد مطبوع و ٥٦٠٠ كتاب بخط اليد أغلبها من الكتب
 النفيسة والآثار العتيقة منها كثير من الكتب العربية النادرة بالخطوط القديمة
والحديثة وكثير من كتب الجاه وغيرها من الجهات الشرقية

وبعد ان مكثنا مدة من الزمان بهذه الكتبخانة ومعنا البروفسور دة جوية
وتفرجنا على ما بها خرجنا منها فدعانا الى منزله لشرب السجارة فتوجهنا معه اليه
فأجلسنا في كتبخانته وهي حسنة الترتيب والوضع وتحادثنا معه في أعماله العلمية
وتصحيحاته في الكتب التي تطبع عند بريل وغيره وكنت اتكلم معه باللغة
الفرنساوية وأنرجم منه لسيدي الوالد ومن معنا بالعربية ومنهم اليه بالفرنساوية وهو
يُجيد التكلم بها ولا يتكلم بالعربية مع أنه يُحسن كتابتها وقراءتها وله تديقات فيها
شأنه في ذلك شأن أغلب المشتغلين باللغات الشرقية حيث يتعلمونها قراءة وكتابة
لا تكلموا وذلك بسبب عدم مخالطتهم لمن يتكلم بالعربية حتى اخبرنا أحدهم في المؤتمر
وهو من المشهورين بالاشتغال بالعلوم العربية انه لم يسمع من يتكلم بها قبلنا وكان
بعتذرنا الفاضل دة جوية هذا في عدم قدرته على التكلم بها بعدم اجتماعه على

من يتكلم بها من أهلها

وقد رأيت للاستاذ د.ه جوية هذا كتابات كثيرة تدل على تضلعه في فهم
المعاني العربية أنذكر منها ما قاله وطبع في آخر كتاب "عجائب الهند" بخصوص
جزيرة "واق واق" التي ذكرت كثيراً في هذا الكتاب وملخص ذلك أنه قد
زعم المخرفين القائلين ان اسم تلك الجزيرة سببه شجر بها يثمر ثمراً على شكل طير ينادي
بما هذا الاسم صوته فذكر نصر المولف العربي الذي أتى بهذه الخرافة وأردفه بنصوص
كثيرة لمؤلفين وجدوا في اجيال مختلفة مفندة هذا الزعم ثم أخذ يستدل من
كتبهم على موقع هذه الجزيرة الجغرافي حتى أثبت أنها جزيرة اليابان وأيد ذلك
كله بان ذكر ان اسم هذه الجزيرة اعني جزيرة اليابان في لغة من لغات أهلها
"واق واق" فكان ما ذكره قاطعاً للنزاع وقد أراني مراسلات له من المفارقات
مع احد تلامذته سماه لي وهو الآن مقيم بيطرسبورغ سلك فيها مسلك المرحوم
الشيخ حسن الآلاتي الشهير بكتاباتهِ في المفارقات

وبعد مجاذبة أطراف الحديث معه والائتناس به خرجنا من منزله وهو معنا
فاصدين مطبعة بريل المشهورة بالمطبوعات العربية وكان قد أرسل الى رئيسها
أن يفتحها وينتظرنا فيها فإنها كانت مغفلة بسبب يوم الأحد فدخناها وقابلنا
صاحبها بالبشر والسرور وتفرجنا على المخازن وآلات الطبع والكتب العربية
النفيسة واشترينا منها الجزء الحادي والعشرين من كتاب الأغاني ولم تكن نعلمه
قبل وأهدى إلينا هذا الرئيس كتاب فهرست المطبوعات العربية عنده وقد
احتوى على كثير من الكتب العربية النادرة الوجود يبلادنا ولم يطبع منها شيء
عندنا الى الآن

ثم ودّعنا صاحبنا البروفسور وصاحب المطبعة بعد أن أخبرنا بعزمها على حضور المؤتمر وانصرفنا راكبين غربة للتخلص مما شاهدناه قبل وكنا أغلقنا نوافذ المطبعة المطالة على الطريق لاحتجاب العالم عنا فسرنا بالعربة نتفرج في شوارع البلدة حتى وصلنا الفندق وكان ذلك بعد الغروب فبتنا به الى صباح اليوم الثاني فركبنا غربة الى المحطة وقمنا من روتردام والساعة سبعة و١٨ دقيقة صباحاً من يوم الاثنين ٢٦ اغسطس سنة ٨٩ قاصدين أمستردام وكولونيا
وها أنا أصف لك مدينة ليندن

هي من أقدم مدن هولانده عدد سكانها ٤٥٥٠٠ وان كانت تسع أكثر من ذلك ويحترقها نهر رين العتيق ويتشعب فيها تشعبات عديدة تكون خلجاناً وقد رأت أوقات شدة لا مزيد عليها أعظمها من الإِسْپانيول من أكتوبر سنة ١٧٧٣ الى مارس سنة ١٧٧٤ كما أنها رأت من أوقات الهناء والصفاء أيام حظها في الصناعة ما لا مزيد عليه

وأقدم بناء في هذا البلد هو القصر القديم القائم على أكمة في وسطه ويوجد غيره في ضواحي البلد كنيسة قديمة بنيت في القرن الخامس عشر من الميلاد وأعظم شوارعها الشارع المسيحي "برُندِسْتِرَات" ومعناه "الشارع المتسع" ويحترقها من أولها الى آخرها وبه ديوان بلدية المدينة ومتحف الآثار القديمة ويشتمل هذا المتحف على إحدى عشرة قاعة مملوءة بنقائس الآثار القديمة من يونانية ورومانية ومعبودات هندية وآثار مصرية من الموميات والتوابيت والأحجار المكتوبة بالكتابة الميروجليفية ذات اللون البهيج كأنما عُمِلت الآن مع أنها من قبل المسيح بأزمان كثيرة ومن الطيور والحيوانات المصبرة والحلي وأدوات

الزينة والصور الصغيرة المصنوعة من الحجر والخشب ومن أوراق البردي المكتوبة
والآلات والآلات المصنوعة من البرونز والنحاس فيحق لهذا المتحف ان يباهي
أحسن المتاحف الأوربية

وبهذا البلد متحف للتاريخ الطبيعى شهير بما حواه من الاشياء الصينية
واليابانية وغيرها المجلوبة من بلاد العرب ومن بلاد الهند الشرقية
وبالمدينة حديقة للنباتات جلبت اليها سائر النباتات من الأقطار البعيدة
كبلاد الهند وغيرها وجعل في محال مغطاة بالزجاج ما يحتاج منها لحرارة أكثر
من حرارة هذا الاقليم الطبيعية فنرس فيها شجر القرفة والكيما والبن والقطن
والكافور وكثير من أشجار النخل وغير ذلك من الأشجار الغريبة عن هذه البلاد
وبجانب حديقة النباتات الرصدخانة الغنية بشهرتها عن الذكر
ويوجد بالبلدة غير ذلك دار آثار تدعى "بالمتحف البلدى" تحتوي على جميع
الآثار البلدية العتيقة

وفي المدينة الاستشفيات المنتظمة وفضلاً عن مدرستها الجامعة التي سبق
ذكرها توجد بها مدرسة للبحرية ومدارس غيرها كثيرة



❖ الوصول الى امستردام ❖

بعد خروجنا من ليدن في صبيحة هذا اليوم كما مرّ وصلنا امستردام والساعة
ثمانية ونصف اي بعد مسير ساعة واحدة واثنى عشرة دقيقة فقط فتركنا أمتعتنا
بالمحطة وركبنا عربة وأخذنا نجول في شوارعها وأطرافها أكثر من ساعة ونصف
وهي عاصمة بلاد هولانده وان لم تكن مقر حكومتها كما سبق فائمة على فرضة

صغيرة من خليج "زوبدرزي" اسمها "إي" عند مصب نهر "أمستل" وعدد سكانها ٣٧٨٧٠٠ نسمة وتبلغ بضواحيها ٤٠٠٠٠٠ نسمة وتجارتها كانت من أعظم متاجر العالم في القرن السابع عشر والثامن عشر ولا تزال مهمة جداً فقد بلغت السفن مبنائها سنة ١٨٨٢ م ١٧٠٢ حمولتها ٩٠٠٠٠٠ طن وهي من أهم المراكز التجارية بأوروبا بالنسبة للحبوب والفلال والحاصلات الزراعية التي تجلب إليها من مستعمراتها في الهند خصوصاً الدخان والبن الوارد من جاوه والسكر والأرز والروائح العطرية والصناعة فيها مهمة أيضاً إذ بها شيء كثير من فابريكات السكر ومعامل الدخان والسجائر ومصانع الألماس ونحته ومحلات صنع الكافور ومعامل الماكينات والآلات وصنع الشموع وغيرها

ويحترقها كثير من الخلجان في جميع أنحاء فتقسمها إلى ٩٠ جزيرة تتصل ببعضها بواسطة ٣٠٠ قنطرة وعمق هذه الخلجان المشغول بالماء من متر إلى متر وثلاث ومثل ذلك من الطين والوحل تحته وتنصرف مياهها في بحر الشمال بواسطة خليج يصب في نرعة موصلة إلى هذا البحر تسمى "كنال بحر الشمال" ثم تعبد مياهها مراعاة للصحة بعد رفع أحوالها بواسطة كراكات

ومنازلها مرتفعة لكنها ضيقة غالباً مبنية بالآجر الأحمر وهيئتها الخارجية ساذجة وقسم البلدة القديم يمتاز عن الجديد بضيق سككها وكونها أقل اعتدالاً وانتظاماً من سكك القسم الجديد منها

وهذه المدينة بأسرها قائمة عماراتها على أوتاد غليظة من خشب تختلف في الطول من أربعة أمتار إلى ستة

وذلك لأن أرضها الفوقية عبارة عن أحوال ورمال غير ثابتة فاحتيج إلى

هذه الأوتاد لتوصل الى الأرض الثابتة الصلبة ليعتمد البناء عليها ويكون بذلك متيناً وإن استلزم ذلك كثرة المصاريف فإن ما يصرف على ما تحت الأرض في العمارات النصف من مصاريف العماره كلها وهذا فضلاً عما في هذه الأخشاب من الأخطار فإن باختلال بعضها في سنة ١٨٢٢ حصل وقوع مخزن عظيم من مخازن الغلال الى الماء وتلف جميع ما كان فيه مع ان هذه الأوتاد عرضة لحيوانات صغيرة جداً تأكلها من الأسفل فتعرض مساكن المدينة الى اخطار عظيمة لا تقل عن الأخطار التي تهددها من جهة البحر وهجانه لانخفاضها عنه ولهذا أقيمت السدود المحكمة وجعل لها القناطر الضخمة والخُلجان المهمة والمهمة مبدولة دائماً في التحفظ عليها حتى ان ما يصرف للتحفظ على هذه السدود والقناطر والخُلجان مبلغ ألف فلورينو كل يوم من الأيام

ومينا هذه المدينة هو فرضة "إي" القائمة هي عليها وقد تغيرت معالمها من سنة ١٨٧٢ فبنيت فيها الأرصفة الجسيمة والسدود المحكمة وصارت من أعظم الميناء التجارية الأوربية وفي هذه الميناء أنشئت جزيرة صناعية أقيمت فيها المحطة المركزية للسكك الحديدية ويكتنف هذه الجزيرة جزيرتان صناعيتان وجعلت الجهات الشمالية من هذه الجزر الثلاثة رصيفاً متسعاً ترسو اليه السفن المخصصة بمواني هولانده ومواني انجلترا بخلاف السفن الكبيرة المعدة لمواني الهند وامريكا فانها ترسو على أرصفة بعيدة عن هذا بقليل وبقرى هذه الأرصفة الأرصفة الميأة لمرسى سفن الحكومة الحربية

وما يصرفه الأهليون والحكومة والشركات التجارية في هذه الاعمال النافعة المهمة وما ينفقونه من النفقات توصلوا الى انتفاع بلدهم هذا بالاستكشافات

لستجدة النافعة التي تظهر في عالم الموجودات العلمية جدير أن يزيد في شأن
ولاء القوم ويخلد لهم في تاريخ المهمة أحسن الذكر

وقد لاحظ القوم بُعد المسافة والمخاوف في طريق الوصول الى هذه
ماصمة ومنها بجرأ بواسطة خليج زويدريزي وأرادوا قرب الوصول وإزالة
غاف فأنشأوا كنالاً من سنة ١٨١٩ الى سنة ١٨٢٥ وصرفوا عليه ثمانية ملايين
لورينو وجعلوا اتساعه من ٣٥ متراً الى ٤٠ متراً وعمقه أكثر من ستة أمتار
هو يخترق هولانده الشمالية كلها متجهاً نحو الشمال حتى يصب عند مدينة
أندز الواقعة على مدخل خليج زويدريزي من بحر الشمال ومن ثم سمي هذا
كنال "نورد هولاندش كنال" اي كنال الشمال

ثم رأوا بعد ذلك ان هذا الكنال غير كاف بالنسبة لاحتياجات الملاحة
بحارية واتساعها يوماً بعد يوم فعمزموا في سنة ١٨٦٢ على توصيل أمستردام بالبحر
من أقرب طريق وأخذوا في سنة ١٨٦٥ في حفر كنال آخر فلم يأت أول نوفمبر
سنة ١٨٧٦ الا وقد تمّ وسموه "كنال بحر الشمال" لأنه وصل أمستردام الى
الشمال وطول هذا الكنال ٢٥ كيلومتر وعرضه من ٦٠ متراً الى ١٠٠ متر
سب اختلاف المواضع (كنال السويس عندنا عرضه من ٨٠ متراً الى
١٠ متر) وعمقه من ٧ أمتار الى ٨ وارتفاع المياه فيه أقل من ارتفاع المياه
ستردام بخمسين سنتيمتر وقد جعل في مدخل هذا الكنال ثلاثة أهوسة تمنع
دلمات الأمواج عن أحدها عرضه ٢٢ متراً والآخرا عرض كل واحد منها
بد عشر متراً وجعل أمامه من جهة البحر أرصفة من الأحجار ممتدة الى مسافة
١٤٠ متر لدفع طفيان البحر عنه وبني في مدخله فاناران وقد بلغت مصاريف

هذا الكنال ٣٥ مليوناً من الفلورينو اخضت منها مدينة أمستردام بسية وتحصل عشرة ملايين من بيع الأرض التي على حافتيه ومدخله واخضت الحكومة بياقي المبلغ

هذا وأهم ميادين هذه المدينة الميدان المسمى "دَام" وهو في وسطها متسع جداً وبجوانبه البورصة والكنيسة الجديدة والسراي الملوكة وتفرع منه السكك المهمة والشوارع الأكثر حركة وبه أهم مواقف عربات الترامواي وبالقرب منه محطة بحرية للأبورات التي تذهب الى المينا

أما البورصة فبناء عظيم بُني من عهد غير بعيد فإنه تم في سنة ١٨٤٥ وأقيم على ٣٤٦٩ وِتْدًا ويشتمل داخله على رجة مسقنة بالزجاج تُحدَق بها مماشيد مرفوعة السقف على عمد عظيمة وهذه البورصة جديرة بانفراج عليها خصوصاً في أوقات الأشغال بالأعمال التجارية فيها ومن المأدة ان يترك هذا المحل للأطفال حديثي السن يلعبون فيه اسبوعاً في كل عام من شهر أغسطس أوسبتمبر وسبب ذلك على ما يحكى ان الأطفال اكتشفوا في سنة ١٦٢٢ على مكيدة للإسبانيول كانوا يريدون بها إحراق البورصة وانبنى على اكتشافهم المكيدة عدم تمكن العدو من اجرائها فكفثوا بذلك كل سنة

وأما الكنيسة الجديدة المذكورة فمن أحاسن مباني هولانده الدينية وأما السراي الملوكة فكانت داراً للبلدية المدينة وقد ابتدئ في بنائها سنة ١٦٤٨ وتمت سنة ١٦٥٥ وهي قائمة على ١٣٩٥٦ وِتْدًا وطولها ٨٠ متراً وعرضها ٦٣ متراً وارتفاعها ٣٣ وارتفاع برجها ٥١ متراً وقد أهدتها المدينة سنة ١٨٠٧ الى لويس بوناپارت ملك هولانده وجعلها مقراً للملك وهي مزينة

من الداخل والخارج بأحسن النقوش وأجمل الرسومات والصور
ومن جنوب هذا الميدان يتفرع شارع "كلفرسترات" وهو من أهم شوارع
البلدة تحفه الدكاكين المزخرفة والفنادق العالية والقهوي المنتظمة وحركة المارة
فيه لا مزيد عليها خصوصاً في الليل لا متناهي سيرا عربات ليلاً فيه
ومدرسة هذه المدينة الجامعة تشمل على خمسين استاذاً وستائة طالب وهي
في غاية الاستعداد خصوصاً بالنسبة للعلوم الطبيعية فإن معامل الكيمياء والطبيعة
وحديقة النباتات معنى بها كل الاعتناء فيها وكتبخانه هذه المدرسة شهيرة في
بها لما احتوت عليه من نفائس الكتب وغرائبها وفيها نحو مائة ألف مجلد
ولأهل هذا البلد اعتناء لا مزيد عليه بفن الرسم والتصوير فإنهم لم يكتفوا بما
في متحف المدينة العمومي من غرائب الرسومات ونفائس التصوير التي رسمها أشهر
أساتذة الهولانديين وغيرهم بل حصل بعض الأحاد منهم على مجموعات عديمة النظير
فأهداها إلى المدينة مثل "فودور" فإنه أهدى إلى المدينة مجموعة عظيمة صرف
في جمعها مبالغ وافرة وأهداها فوق ذلك ما لا كثيراً تبنى به محلاً لوضعها وتستغل
من باقيه إيراداً للصرف عليها فبنته وسمته "متحف فودور" وبعضهم أبقى ما
حصل عليه من المجموعات في عائلته يتوارثونها بعده جيلاً بعد جيل مع المحافظة
عليها مثل مجموعة "سيكس" التي في داره على ذمة ورثته من سنة ١٦٩١ إنما لم
يكن في هذه الطريقة ما في الطريقة الأولى من الإبقاء فإن أحد الشركاء في
مجموعة سيكس هذه باع نصيبه منها في سنة ١٨٧٧ وهو وإن كان استحصل من هذا
البيع على مبلغ ٣١٧٥٠٠٠ فرنك إلا أن المجموعة حرمت هذا الجزء الذي باعه
ومتحف المدينة العمومي السالف الذكر قائم على ١١٠٠٠ متر مربع ومحاط

يستأن يمدق به درابزين من الحديد ويشتمل فضلاً عن الرسومات والتصاوير
المجسمة وغير المجسمة على كثير من الآثار النفيسة التي كانت قبل بنائه — من
سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨٥ — متفرقة في متاحف متعددة وجهات مختلفة وعلى
كثير من الآثار العتيقة المتعلقة بالصنائع في بلاد هولانده من قديم التاريخ الى حديثه
مما يطول في شرحه المقال ولا يتيسر استيفاؤه في مثل هذه المجالة على كل حال
وما ينبغي ان يعرف ان بهذه البلد حديقة للنباتات وحديقة للحيوانات
وكثيراً من المنزهات كما ان بها مخزناً بحرياً لإبداع البضائع من قبيل محلات
”الدوك“ التي مر ذكرها بلندن تطله أكبر السفن البحرية ويحتوي على ما لا يحصى
من البضائع الهندية وغيرها ثم ان هذه المدينة مشهورة بكثرة الشركات الخيرية فيها
حتى ان عددها بلغ اكثر من مائة تعمل لاحتياجات المرضى والشيخوخ والأيتام
والأرامل والمجانين وعدي البصر وغير ذلك ومن أعظم هذه الشركات الشركة
المسماة ”شركة المنفعة العامة“ ويقصد بها تعليم طبقة الفقراء من الناس وتخليتهم
بحسن الأخلاق والأداب وهي منتشرة في جميع مدن المملكة بل وفي غالب
مستعمراتها ويبلغ عدد اعضاءها ١٧٤٠٠ نفس يدفع كل واحد منهم من ٥ فلورين
الى ٢٥ في السنة ومجلس ادارتها بأمستردام وهو مؤلف من عشرة مديرين ومن
كاتب سرعام ويجتمع أعضاؤها بهذه المدينة مرة في كل سنة بيئة جمعية عمومية في
ثاني ثلاثاء من شهر أغسطس وقد أتت هذه الشركة بفوائد جمة منها تحسين حالة
التعليم بنشر الكتب المدرسية اللاتقة بالتلامذة والأساتذة وبتشكيل كتب خانات
عمومية أهلية وبانشاء مدارس صناعية للفقراء ومدارس للتعليم في أيام الأحاد
وبتنظيم حال أبنية المدارس القديمة وبتشكيل جمعيات للقراءة والمطالعة ومنها

تشكيل جمعيات للاقتصاد وصناديق للتوفير ومنها اعطاء مكافآت على أفعال
المخاطرة بالنفس في سبيل انقاذ الغير من التهلكة وعلى أعمال الهمة والمروءة

✽ الوصول الى كولونيا ✽

قمنا من أمستردام والساعة عشرة وربع صباحاً من يوم الاثنين الموافق ٢٦
أغسطس سنة ٨٩ فوصلنا كولونيا والساعة أربعة و٤٠ دقيقة بعد الظهر بعد ان
سرنا نحو ست ساعات ونصف ساعة ومررنا على أودية نضرة ورياض خضرة
وبلدان عامرة وانحاء زاهرة

وكولونيا هذه مدينة قديمة جداً تبلغ سكانها ١٦١٢٠٠ نسمة وهي سادسة
مدن الإمبراطورية الألمانية انشاعاً وإن كانت من أعظمها أهمية حرية قائمة على
الضفة اليسرى من نهر "رين" تشبه نصف دائرة متسعة ويقابلها على الضفة الثانية
من النهر بلدة "دويتسن" وتبلغ سكانها ١٧٠٠٠ نسمة وتصلان بكبر بين ممتدين
على النهر احدهما للمشاة وهو غير ثابت مؤلف من سفن والثاني ثابت معمول من
الحديد لمرور قطارات السكك الحديدية والمشاة والراكبين من الناس طوله
٤١٢ متراً

وأهم محل يتفرج عليه فيها ويتوارد اليه السياح كنيسة الكاندرائية فبمجرد
وصولنا الى المدينة نزلنا بالفندق المسمى "هوتيل هولاند" ومعناه فندق هولانده
على مقربة من النهر وتركنا الامتعة به وركبنا عربة للتفرج على هذه الكنيسة وباقي
المدينة

وقد شرع في بناء الكنيسة المذكورة سنة ١٢٤٨ ولم يتم محرابها الا في سنة

١٣٢٢ واستمر العمل الهولندي فيها الى ان تعطل بالكلية في القرن السادس عشر ولم يرجع اليه الا في سنة ١٨١٧ واستمر من ذلك الوقت الى سنة ١٨٤٨ فتم البناء على الحالة التي هو عليها الآن متسع الوضع جميل الصنع مرتفع القباب محلاة جدرانها داخلاً وخارجاً بتماثيل القديسين وصور المعتقدين من أحسن رسم حذاق الرسامين يكتنفها من الجانبين برجان عظيمي الارتفاع لا يعادلها في العلو برج من أبراج كنائس الدنيا بأسرها اذ يبلغ ارتفاع الواحد منها ١٥٩ متراً

وأعظم شوارع هذه المدينة الشارع المسمى "هوخسترأسه" حيث تحفه الدكاكين العظيمة والعمارات النظمية وأعظم ميادينها الميدان المسمى "نوي مارك" ومعناه السوق الجديد وباحد جوانبه كنيسة الحواريين وهي من أبنية القرن الثالث عشر الميلاد ذات ثلاثة بروج وقبة عظيمة

وبهذا البلد فضلاً عن ذلك كثير من الكنائس الشهيرة ومنحف يشتمل على جم غفير من الآثار العتيقة وعلى رسومات من عمل رسامي كولونيا الشهيرين وديوان البلدية فيها من الأبنية المشهورة وبها حديقة للنباتات وحديقة للحيوانات وأعظم التماثيل التي بميادينها ثلاثة احدها صورة فريدريك غليوم الثالث راجباً جواداً تحفه رجال الدولة والقواد والآخران في مكان آخر احدهما صورة الپرنس بسمارك والثاني صورة المارشال ملتك رجال السياسة والحرب

وبهذه البلدة صنائع كثيرة أخصها صناعة الأقمشة من الحرير والقطن وصناعة الدانتيلات وصناعة الخزف والصيني باصنافها واشهر صنائنها وأرفعها صنائنها صناعة الروائح العطرية اللطيفة المعروفة "بماء كولونيا" - ماء الملكة - وقد اخترعها في القرن السابع عشر "حنا ماري فارينا" ويوجد منها كثير في جميع المخازن والخوانيت

وخصوصاً في الفنادق التي هي محال تردد الأجانب ويبيع منها مبلغ جسيم في
سائر انحاء الدنيا

وسكك هذه المدينة وطرقها مع ما أدخل فيها من الإصلاح والتنظيم لا
يزال أكثرها كثير الأعوجاج وما ذلك إلا لبقاء كثير منها على قدمه

ومنظر النهر فيها يأخذ بالالباب ويورث العجب العجائب فلو انت وقفت
على احد الكوبرين ونظرت الى هذا النهر واتساعه ورأيت الواورات البخارية
منتشرة فيه مع الكثرة التي لا تدخل تحت العد متوجهة من الغرب الى الشرق
ومن الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال ومن الشمال الى الجنوب وعلمت
قلة اجرة النزول فيها واقبال العموم عليها لذلك وتسهيلها الوصول من المدينة الى
الضواحي ومنها الى المدينة وريح الشركات القائمة بأمرها مع هذا لذكرت وقوفك
على كوبري قصر النيل وتوجه نظرك الى مرأى النهر الحسن نحو اليمين واليسار
الى ما لا يحُدُّ البصر مع كونه خالياً من أمثال ما رأيت بهذه الجهة اللهم إلا واورات
كوك الراسية هنالك وانت تعلم أنها ليست للأهلين وانها لم تكن معمولة لسهولة
الوصول من المدينة الى الضواحي ولا منها الى المدينة ولتمنيت انتشار أمر الشركات
في بلادنا فانها سبب الخيرات ومصدر التيسيرات ومعدن البركات

هذا وبعد ان تفرجنا على ما تيسر لنا التفرج عليه بهذه المدينة عدنا الى الفندق
وتعطينا طعام العشاء فوجدنا الطعام نظيفاً متقن الصنع واعجبنا انتظام المحل وترتيبه
وفي المساء أراد بعض الرفاق شراء جوارب من الصوف لانقاء البرد
الذي أخذنا نستشعره فخرجت معه الى السوق وما وصلنا الى منتصف الطريق
حتى أحاط بنا القوم من كل جانب يتفرجون على ملابس الرفيق وطربوشي

ويتأملون كل التأمل ويستغربون كل الاستغراب حتى سُدَّت الطرقات
وتعطلت العربات وهال امر الزحام البوليس فأتى مسرعاً من اماكن عديدة حتى
وصل اليها والناس محدقون بنا يسرون حيث نسير ففرقهم عنا كل التفرق ولكن
ما لبثنا ان جاءنا بعدهم أكثر ممن كانوا وصاروا كلما تفرق جمع تلاه آخر حتى
سلم الله ووصلنا لأول دكان توسمنا ان فيها ما نطلبه فدخلناها وقد أحق بها
الناس واشترينا منها ما أردناه بالإشارة لعدم وجود من يتكلم بالفرنساوية فيها
ونحن لا نتكلم بالالمانية وذلك ان اثرتنا الى الجوارب وكانت البائعات من
النساء ففهمنا اشارتنا فأحضرت احدهن الينا جوارب من القطن فافهمناها
بالاشارة الى قميص من الصوف اتنا نريد جوارب من صنف هذا فأحضرت
جوارب من الصوف الرقيق وكنا نرغب التخين فأثرتنا اليها بما يفهم ذلك
فأحضرت لنا كل هذا والناس حول الدكان يتفرجون علينا والنسوة البائعات
محيطة بنا فيه يتفرجن ايضاً ونعمت المتفرجات فإن جمال الألمانية يهر الناظر
وبعد ان اخترنا ما اعجبنا احببنا ان نعرف الثمن فلم نجد طريقاً الى ذلك الا ان
نضيق نفوداً كثيرة امام البائعة لتأخذ منها ما تريد فأخذت منها قدر الثمن اللازم
وقد فهمنا نحن بعد الحساب بيننا انها لم تأخذ الا الثمن المناسب ثم انصرفنا
وارعنا في المسير الى الفندق اذ كنا عارفين به بخلاف مجيئنا للشراء فإننا كنا
نبعث عن الدكان التي نطلبها فكنا نمشي الموبنا

وقد عرفت في فسحتي بالنهر ووابوراتي في صباح اليوم التالي ان سبب
الزحام في امس اليوم كانت ملابس رفيقي فاني لم أر اليوم ما رأيت البارحة
من الازدحام الجسيم

من كولونيا الى كوينهاج *

فمننا من كولونيا برّا والساعة واحدة وعشر دقائق بعد الظهر من يوم الثلاثاء ٢٧ اغسطس سنة ٨٩ قاصدين مدينة هامبورج لنبيت بها فمررنا على محطة دويتسن وهي التي سبق ذكرها في الفصل المتقدم بأنها امام كولونيا على الضفة الثانية من نهر رين ثم محطة أوبزهاوسن (وسكانها تبلغ نحو ٢٠٠٠٠ نسمة وبجوارها معادن حديد مهمة) ثم محطة مونستر وعدد سكانها ٤٤٠٠٠ نسمة (وهي عاصمة اقليم وستفاليا على نهر صغير وقد حافظت على هيئتها في القرون الوسطى وعلى ما فيها من الأبنية القديمة والكنائس المهمة خصوصاً في ميدانها المعروف باليدان الكبير) ثم محطة أشنبروك (وعدد سكانها ٣٥٠٠٠ نسمة وقد اسسها شارلمان سنة ٧٨٣ على قول) ثم محطة بريمن (وعدد سكانها ١١٨٦٠٠ نسمة وهي اهم مدن بلاد المانيا الشمالية في الشجر بعد هامبورج قائمة على ضفتي نهر ويسبر فقسمها القديم على الضفة اليمى والجديد على الضفة اليسرى والعمارات القديمة الموجودة في الاول تشهد بعظم المدينة في القرون الوسطى ولطافة مباني الثاني وانقانها وتشيدتها تشهد بعلو مقام هذه البلد بين المدن الشهيرة اليوم باوروبا) ثم محطة هارزبورج (وعدد سكانها ٢٢٣٠٠ نسمة على ذراع نهر إلب الأيسر ذات تجارة كبيرة بحرية) ثم وصلنا بعد ذلك مدينة هامبورج والساعة ٩ و٤٥ دقيقة اي بعد مسيرنا من كولونيا بنحو ثمان ساعات ونصف ساعة

ولكنّا لم نبت بهذه المدينة كما كنا عقدنا النية تعجيلاً للوصول الى محل المأمورية فسرنا منها في الساعة العاشرة افرنجية اي بعد وصولنا اليها بربع ساعة

واني مع ذلك نظراً لأهمية هذه البلد أذكر بعض تعليقات عليها من كتاب الدليل حيث قال ما ملخصه:

إن هامبورج من أهم مدن المانيا واعظم مدن اوروبا وتجارة بعد لندن وليفرهول وعدد سكانها يبلغ ٥١٠٦٠٠ نسمة بمن في ضواحيها ووضعها على نهر إلب حيث تُصعد إليها في وقت المد السفن الكبيرة التي تحتاج الى ستة أمتار في الماء جعلها الوسطة في التجارة بين انحاء البلاد المختلفة وبين جميع المدن التي يصلها هذا النهر أو توصلها به السكك الحديدية

وهي مؤلفة من بلدة عتيقة وبلدة جديدة وضواحٍ ويمجري بها نهران آخران "ألستر" و"بيل" يتصلان بنهر إلب بواسطة فروع وخبجان تخترق المدينة من جهات عدة

ومما يدل على سعة تجارة هذه البلد وأهميتها وعظمتها ميناؤها التسعة مع ما تشتمل عليه من الأحواض والمخازن والأرصعة والأعمال الصناعية العظيمة حتى ان جزءاً من هذه الميناء يزيد عن مساحة البلدة بأكملها وقد بلغ عدد سفنها في سنة ١٨٨٧ م ٢٠٥ سفن بخارية حمولتها ٢٨٥٤٦٢ طناً ونحو ٣٠٠ سفينة شراعية وبلغت قيمة البضائع التي وردت إليها في سنة ١٨٨٥ ما قيمته ٢١٤٧٠٠٠٠٠٠ مارك^(١) وأهم أصناف التجارة فيها البن والسكر والمشروبات الروحية والمواد الصناعية والنبذ والحديد والحبوب والزبدة والجلود وأدوات الزينة والزخرفة والخمسة الأخيرة من هذه الأصناف أهم مما قبلها خصوصاً بالنسبة للصادر عنها وقد ركب البحر من مينائها في سنة ١٨٨٦ م ٨٨٦٣٣ مهاجراً لأقسام الدنيا المختلفة

(١) المارك يساوي اربعة غروش و٢٥ فضة بالعملة الصاغ

ومن وقف يمينها رأى منظرًا بهجًا كأنه ينظر الى غابة ملتفة بالأشجار من
كثرة صواري السفن تعلوها الاعلام المختلفة على اتساع النهر البالغ من سبعة كيلو
مترات الى ثمانية

ومركز تجارة المدينة البورصة وتجتمع فيها من الساعة ١ الى الساعة ٣ بعد
الظهر نحو الخمسة آلاف شخص يشتغلون بالتجـر
وأحسن مواقعها الداخلية جهتها المسماة "بينن أستر" ومعناه أستر الداخلي
وهو عبارة عن بحيرة ممتدة من نهر أستر محيطها ١٧٥٠ مترًا يحدق بها من جهاتها
الثلاثة أبهى دور المدينة رونقًا وجمالًا وأبهة وجلالًا ويتصل بها من جهتها
الرابعة "أوسن أستر" ومعناه أستر الخارجي وهو بحيرة ممتدة من النهر المذكور
ايضاً إلا إنها اوسع من تلك بأضعاف يفصل بينها أسوار المدينة القديمة وقد تحول
موضع هذه الأسوار الى حدائق وبساتين مزخرفة بأحسن الأزهار والرياحين
هذا فضلاً عما يميز بالبحيرتين من السفن البخارية والشرعية التي لا تحصى
وبالمدينة كثير من الحدائق النباتية والحيوانية والمتاحف العدمية والخصوصية
هذا وبعد مسيرنا من هامبورج هذه بعض دقائق مررنا على مدينة ألتونا
فوقف الواور عندها قليلاً

وهي مدينة تجارية صناعية زاهية زاهرة على الضفة اليمنى من نهر إلب
نحيط بها البساتين والقصور اللطيفة من كل جهاتها وسكانها ١٠٤٧١٩ نسمة
ثم فارقناها الى كيل لكن تركنا العربات التي كنا راكيبها وركبنا في قطار
آخر فوصلناها والساعة ١٢ و٤٧ دقيقة بعد نصف الليل اي بعد مسافة ساعتين
و ١٨ دقيقة من مسيرنا من هامبورج

وكيل هذه سكانها تبلغ ٥١٧٠٠ نسمة وهي آخذة كل يوم في الازدياد والنمو إذ أنها من أحسن ثغور أوروبا وأهم ميناء المانية حربية وبها مركز قائد محطة الباطيك البحرية وقد عملت الحكومة فيها استحكامات مهمة للغاية وبنت فيها معامل للسفن ومخازن كبيرة للتجارة البحرية - دوك - تحيط بها الأرصفة فتأتي السفن والبضائع إليها

وبوصلنا الى كيل هذه كنا نظن أننا سنستمر في السير براً نحو الشمال قبل ركوب البحر لكننا وجدنا جميع من بالوابور نزلوا منه وأخذوا أمتعتهم وانجهوا نحو الشرق فسألناهم عن الطريق الذي يقصدونه فافهم كلامنا احدث ولم نفهم كلام أحدهم فسألنا من بالمحطة من رجالها فكان الحال كذلك فأعلمنا ان نذكر لهم اسم البلدة التي تقصدها ونستفهم منهم بالاشارة عما اذا كان الطريق الذي أمامنا يوصل إليها ولفظنا بلفظ "كوبنهاج" وحيث ان اسماء الأعلام لا تتغير فهم منا القوم لم يقصدناه وأشاروا اليها ان الطريق الذي هم سالكوه يوصل إليها وان تتبعهم فاتبعناهم وأخذنا نعدو وراءهم ولم نجد من يحمل شططاتنا كأن المحطة ليس بها همالون أو أخذهم من سبق فحماناها بانفسنا اتباعاً لمن رأيناهم فعلوا ذلك من الذين كانوا بالوابور فأما من كان منا متاعه خفيفاً كما ينبغي ان يكون في الاسفار لاسيما الطويلة مثل هذه فإنه حملة بسهولة وعداً وأما من كانت حملته ثقيلة فإنه تملل، وتضجر ولم يمكنه العدو فخشية انقطاعه عنا في الطريق اخذنا منه بعض المتاع ومع ذلك ثقل عليه ما بقي ولم يطق حملة فان المسافة طويلة وحملته ثقيلة وقد سبب القوم كثيراً فكنا نراهم على مد البصر وهم يهرولون والى وابور البحر يتسابقون أمل الحصول على غرف فيه بها يبيتون لأن غرفه لا تكفي سائر المسافرين كما علمنا

ذلك بعد فتضرر رفيقنا من ثقل الحملة واضرره تضررنا وتضرر كثيراً واضجره
تضررنا والتي بحمله لما لم يقم بحمله وصرخ مستصرخاً وصاح مستوقفاً فوقنا وأخذنا
بيده وشجعناه على ما بنا من تعب المدو ومشقة الحمل الى ان هون الله علينا
ووصلنا الى البحر

فوجدنا الغرف أخذها من سبق فقمنا بالصلاة وجلسنا حيث انتهى بنا المجلس
وقد سرنا فيها ما وجدناه بها من لطائف المأكول والمشرب فأكلنا ما اشتيناه
وشرينا واسترحنا وحمدنا الله وفننا وقد سار بنا الوابور منذ نزله

فما استيقظنا في الساعة السابعة صباحاً الا وقد رسا الوابور بمينا كورسير
وكانت مسافة سيرنا من كيل اليها خمس ساعات ونصفاً

وكورسير هذه بلدة لطيفة من اعمال الدانمارك سكانها ٣٠٠٠ نسمة ومحطة
السكة الحديدية بها قرية من مرسى الوابورات جداً ومدخل مينائها ذو منظر بهج
فركبنا وابور البر بعد ان انتظرنا وقت قيامه قليلاً وأجلنا الطرف في محاسن
ومنازه هذه البلد الصغيرة اللطيفة وسار بنا في جزيرة سيلاند اكبر جزر الدانمارك
منجماً نحو كوبنهاج عاصمتها حتى وصلناها في ساعتين وثلاث ساعة وكان جميع سفرنا
من كولونيا حيث قمنا بعد ظهر الثلاثاء بساعة وعشر دقائق كما مر الى كوبنهاج
حيث وصلناها والساعة عشرة ونصف قبل الظهر من يوم الاربعاء ٢٨ اغسطس
سنة ٨٩ اثنين وعشرين ساعة وثلاثاً



❖ كوينهاج ❖

هي عاصمة الدانيمارك على درجة ٥٥ ونصف تقريباً من العرض الشمالي قائم بعضها على الطرف الشرقي من شمال جزيرة سيلاند وبعضها على الطرف المقابل من جزيرة أماجر وفصل بينهما بوغاز ضيق من بحر سوند هو ميناء المدينة ومجتمع السفن التي ترسو عليها ويبلغ عدد سكانها بضواحيها ٢٧٣٣٢٣ نسمة

وقد تأسست في القرن الثاني عشر للميلاد في موضع قرية حقيرة كانت هنالك لبعض الصيادين ولا زالت تنمو حتى اتخذها الملك كرسنوف مقرّاً للملك سنة ١٤٤٣ واستمر في تحسينها من أتي بعده الى زمن الملك كرسنيان الرابع فإنه انشأ فيها القسم القائم على طرف جزيرة أماجر كما مرّ وسمي كرسنيانسافن نسبة له واقام فيها العمارات الشهيرة وشيد فيها المحال العديدة وذلك من سنة ١٥٨٨ الى سنة ١٦٤٨ واخذ بعده التحسين مطرداً فيها والتنظيم ملازماً لها حتى وصلت الى ما هي عليه الآن من النجاح والغنى وصارت مركز ثروة المملكة ومقر تجارتها ودل الاحصاء على أن لأهلها ٤٥٧ سفينة تجارية منها ١٥٧ بحارية فتتقل تجارتها الى البلاد البعيدة مثل الحبوب والجلود والصوف والزيت والسمن وغيرها كما انها تنقل حاصلاتها الصناعية ايضاً مثل المصنوعات الخزفية والفخارية والمكينات البخارية ومصنوعات الورق وغير ذلك

وقد نزلنا في فندق "كُونجِن أَف دَانِمَرْك" اي فندق ملك الدانيمارك وهو من أعلى الفنادق وأشهرها بهذا البلد في أحسن بقعة من بقاع المدينة وبعد ان استرحنا برهة وتناولنا الطعام ركبنا عربة وخرجنا للتفرج في المدينة ومشاهدة محلاتها وسككها وعماراتها

فوجدناها يتخلل بعض جهاتها خلجان متفرعة من البحر تكتنفها الأرصفة
العظيمة بجانيها وتعلوها القناطر المحكمة وقد اتخذت كل جهة متسعة من هذه
الخلجان بمثابة ميناء تدخل السفن اليها وترسو بالبضائع عليها
ورأينا الميناء وأرصفتها والدكاكين القائمة على هذه الأرصفة في حركة عظيمة
تدل على اتساع التجارة ورواج سوق الأخذ والعطاء في هذه المدينة
وتوجهنا بعد ذلك نحو وسط المدينة فوصلنا الى المحل المسمى "لُونجِنْسُ نُوتُورِي"
ومعناه 'سوق الملك الجديد' وهو ميدان عظيم في وسطه صورة كرستيان الخامس
على حصان مجسمته ويتفرع منه ثلاثة عشر شارعاً منها الشارع المسمى "أُوسْتِرْجَادِه"
وهو أكثر شوارع البلد حركةً

وعلى يمين هذا الميدان المحل المعروف بقصر شارلُوتِ بُرْج وهو مقر أكاديمية
الفنون المستظرفة منذ سنة ١٧٥٤

وبجنوبه التياتر الأهلي وهو بناء عظيم يسع ١٧٠٠ نسمة على يمين الداخل
فيه تمثال أشهر شعرائهم مصنوعاً من البرونز وعلى يساره تمثال أشهر كتابهم كذلك
وبالقرب من هذا التياتر البنك الأهلي على مقربة من القنطرة الموصلة الى
جهة "قصر كرستيانس بُرْج" وبينهما ميدان في وسطه صورة الوطني الشهير بُول
مجسمته من البرونز ووجهه هذا الميدان عبارة عن فندق ملك الدانيمارك الذي
نزلنا به وفندق آخر

وقصر كرستيانس بُرْج هذا اشبه بقسم من أقسام المدينة قائم بذاته في وسط
جزيرة وقد احترق غير مرة وآخر حريقه سنة ١٨٨٤ ولم يبق إلا بعض أقسام منه
والعزم معقود على تجديده ثانياً ويوجد أمامه صورة الملك فريدريك السابع على

جواد وهو الذي منح الدانيمرك القانون الأساسي وتحيط بصورته هذه جملة صور
مجسمة تمثل القوة والحكمة والصحة والعدالة وكان هذا القصر قصر المجالس النيابية
والجلس العالي قبل ان يحترق

وبجواره "الكتبخانة الملوكية" وقد أسسها كريستيان الثالث في أواسط القرن
السادس عشر وهي معدودة من أعظم كتبخانات أوروبا وتحتوي على ٥٥٠٠٠٠
مجلد منها عشرون ألفاً بخط اليد

وعلى شرقي هذا القصر بالمينا "البورصة" وقد تجددت حديثاً وأصل بنائها
من سنة ١٦١٩ الى ١٦٤٠ وهي ذات برج ارتفاعه ٤٧ متراً وفي وسطها قاعة
المعاملات التجارية وحواليها حوانيت للتجارة المهمة وفوقها محلات أكبر البنوك
وأشهرها وأعظم شركات السيكورته وغيرها

ووراء البورصة كوبري عظيم يوصل الى قسم المدينة المسمى كريستيانهافن
القائم بالضفة الثانية من البوغاز على جزيرة أماجر كما تقدم ومن هذا الكوبري
يرى الانسان برج الكنيسة المعروفة "بكنيسة المخلص" الشهير ذلك البرج بالارتفاع
وحسن الهيئة وله سلم من الخارج ذودرابزين من الحديد يشتمل على ٣٩٧ درجة
يصعد فيه الى ذروته حيث صورة المخلص اي المسيح عليه السلام مجسمة ويمتد
الظر من هذه الذروة الى شاطئ بلاد السويد

وبالشمال الغربي من قصر كريستيانسبورج دار التحف المعروفة "بمتحف
نورفالدين" وقد بنيت من سنة ١٨٣٩ الى سنة ١٨٤٨ لحفظ آثار هذا الرجل
الذي اشتهر من اهالي هذه البلاد في فن الحفر والنقش في الحجر والتصوير فيه
وتخليد ذكره وجعل قبره في وسط آثاره فيها ووجهتها ذات عمد متقنة بملوما

شكل مثلث من الحجر صَوَّرَ فِيهِ تَمثال الظفر والنصر نائِثًا فِي البناءِ نَقْلًا عَن
أَحَدِ التَّائِيلِ الَّتِي عَمَلَهَا فِي هَذَا الْمَعْنَى كَمَا أَنَّ وَجْهَاتِ البناءِ مُزَيَّنَةٌ بِالرُّسُومِ النَّائِثَةِ
الَّتِي تَمَثِّلُ اسْتِقْبَالَ الْأَهَالِي لَهُ وَاحْتِفَالَهُ بِهِ أَيَّامَ عَوْدَتِهِ مِنْ إِيْطَالِيَا أُخْرَى مَرَّةً لَهُ

سنة ١٨٣٨

عَلَى أَنَّهُ فِي أَبْتَدَاءِ أَمْرِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ كَانَ حَقِيرًا فَقِيرَ الْأَبِ يَعْمَلُ فِي عِمَارَةِ
السُّفُنِ بِمَعَامِلِ مِينَاءِ كُوبِنَهَاجِ هَذِهِ مَعَ أَبِيهِ حَتَّى بَلَغَ سِنَ الْإِحْدَى عَشْرَةِ فَدَخَلَ
فِي مَدْرَسَةِ النَّقْشِ وَالْخَمْرِ وَالتَّصْوِيرِ - سَكُلْتُوزْ - وَتَحَصَّلَ بِجَدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ فِي
سَنَةِ ١٧٩٣ عَلَى أَعْظَمِ مَكافَأَةٍ تُعْطَى لِلْمَاهِرِينَ وَمِنْ لُؤْازِمِهَا أَنَّ الَّذِي بِنَالِهَا يَكُونُ
لَهُ حَقُّ السِّيَاحَةِ فِي بِلَادِ إِيْطَالِيَا عَلَى مَصَارِيْفِ الْحُكُومَةِ لِإِنْفَاقِ الْفَنِّ الَّذِي أُعْطِيَ
الْمَكافَأَةَ لِأَجْلِهِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسَافِرْ إِلَيْهَا حَالًا بَلْ بَقِيَ ثَلَاثَ سِنِينَ بَعْدَهَا يَدَاوِمُ
الِاسْتِغْثَالَ بِعَمَلِ تَصَاوِيرِ الْإِشْخَاصِ مَجْسُومَةً وَعَمَلِ التَّائِيلِ نَائِثَةً فِي الْحَجَرِ
- بَارُونِيَفْ - وَالْبِنَاءِ حَتَّى أُنْجِرَ إِلَى إِيْطَالِيَا سَنَةَ ١٧٩٦ فَوَصَلَهَا بَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ
وَأَخَذَ يَجْتَهِدُ لِلْوُصُولِ إِلَى الْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ بِكُلِّ ثَبَاتٍ وَنَشَاطٍ غَيْرِ مَبَالٍ بِالْمَصَاعِبِ
وَلَا مُلْتَفَتٍ إِلَى الْمَتَاعِبِ وَلَمْ تَنْتَهِ عَزَمَتُهُ مَعَاكِسَةُ الزَّمَنِ وَلَمْ تَتَبَطَّ هِمَّتُهُ طَوَارِيْ
الْمَحْنِ وَلَا غُرُوْأَنَّ عَلَى مَقْصُودِهِ حَصَلَ "فَكَلَّ مِنْ سَارِ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ" وَقَدْ قَبِضَ
اللَّهُ لَهُ فِي سَنَةِ ١٨٠٣ تُوْمَاسُ هُوِيَّةٍ أَحَدِ اغْنِيَاءِ الْإِنْجِلِيزِ فَأَوْصَاهُ عَلَى عَمَلِ
صُورَةٍ فَأَمْعَجَتُهُ فَأَوْصَاهُ عَلَى غَيْرِهَا وَاسْتَمَرَّ مُقِيمًا فِي إِيْطَالِيَا وَبَلَغَتْ الشُّهُرَةُ مِنْهُ أَنَّ
عَدَّةَ الْعُلَمَاءِ أَعْظَمَ اسْتَاذَ فِي هَذَا الْفَنِّ - سَكُلْتُوزْ - بِأُورُوبَا وَأَهَمُّ أَعْمَالِهِ وَأَشْهَرُهَا
هِيَ الَّتِي عَمَلَهَا مِنْ سَنَةِ ١٨٠٣ إِلَى سَنَةِ ١٨١٩ ثُمَّ عَادَ إِلَى بِلَدِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ
وَاشْتَغَلَ فِيهَا بِعَمَلِ التَّائِيلِ الدِّيْنِيَّةِ بِالْكِنَائِثِ وَأَنْكَبَ عَلَيْهِ الْعِظَمَاءُ يَطْلُبُونَ صُورَهُمْ

منه مجسمة بالنظر لشهرته وصيته ثم سافر ثانية الى رومة فقابلهُ عظماءُها بكل
تَكرِيمٍ وتعظيمٍ ومكث بها سنين حتى بلغ الهرم فعاد الى وطنه سنة ١٨٣٨ ولكنه
اعتزل العمل ولزم الراحة الى ان بلغ الأجل المحدود تاركاً نحو نصف الألف من
آثاره المشهورة

وانما اتينا على هذه التفاصيل لبيان وصول هذا الرجل من درجة الآحاد
الى تلك الرتبة الرفيعة التي وصل اليها بثارته على العمل بالجد والاجتهاد
وقد عرف مواطنوه قدره أيام حياته وبعد مماته أما أيام حياته فلا قبالم عليه
وحرصهم على اقتناء أعماله وأما بعد مماته فلما شادوا له من هذه الدار التي نحن
بصددها فإنهم بنوها بمخصوصه مركبة من طبقتين ذات قاعات عدة تزيد عن
الأربعين بها جميع آثاره تحيط برحبة وفي وسط هذه الرحبة قبر هذا الأستاذ
ولا عجب ان تقدمت وبلغت أكبر درجات الثروة بلاد عرف أهلها قدر
علمائهم وفضلائهم ولا بدع أن تبادت على الانحطاط بلاد اتبع أهلها ضد هذا
فلم يجد المؤلف من يشتري تأليفه ولا من يكافئه ولم يجد الصانع الماهر من يبدل
القليل من المال في اقتناء بدائع صنعتِه ومساعدته على ذلك
ولا شك أن أهل بلادنا لم غاية الاستعداد والقابلية للمعارف والآداب
والسنائع والأمل وطيد والرجاء أكيد أنهم بمشيئته تعالى سيبلغون الغاية القصوى
في التقدم والنجاح ما داموا مرموقين برعاية ولي الأمر حفظه الله مشمولين بسامي
هم وموجهة أنظاره العالية نحو تشييد اركان العلم والحث على انتشاره والعناية
بالمتحقيقين من ابناء الوطن مكافأة لهم وتنشيطاً لغيرهم

هذا وبالجنوب الغربي من قصر كرسنیا أسبورج المتقدم ذكره السراي المعروفة

”سراي البرنس“ وكانت سكناً فيما مضى لولي العهد وفيها الآن :

أولاً : متحف انتيكات الشمال وقد جمع سنة ١٨٠٧ واستمرّ التوسع فيه حتى صار أكبر متاحف الدنيا التي من نوعه بعد متحف استكهلم وهو مهم جداً بالنسبة لمن يريد معرفة التمدن في البلاد الاسكندنافية بالازمان العتيقة ويشتمل على ٤٠٠٠٠ أثر فيحتوي على الأسلحة والأدوات والآلات اللازمة في الصنائع وفي المنازل وعلى مواد الصيد في البر وعلى كثير من توابيت الأموات في تلك العصور الحالية وعلى اشياء كثيرة غيرها

ثانياً متحف خصوصيات الشعوب وأخلاقهم وعاداتهم وهو مقسم الى خمس وثلاثين قاعة بحسب الأزمان والبلاد فمنها المخصص بالازمان القديمة من آثار أوروبية وأسيوية وأفريقية وأميريكية ومنها المخصص بالازمان المتأخرة من آثار الأمم الذين لا يزالون على الحالة الأصلية من عوائدهم في المعتقدات والملابس والأسلحة والأدوات والآلات والفنون والصنائع

ثالثاً متحف الأنتيكات الغير الشمالية من مصرية وآشورية وفينيقية ويونانية ورومانية وهو قليل الأهمية بالنسبة لما رأيناه من نوعه في غير هذه البلد

رابعاً متحف المسكوكات والمداليات ويحتوي على ثلاثين ألفاً منها

ثم بالشمال الغربي من سراي البرنس المتقدمة الطريق المسمى ”رأدوستراده“ ومنه يتوصل الى الجهة المعروفة بالسوق الجديد والجهة المعروفة بالسوق القديم ومن هذا يتفرع شارع ”نوجاده“ وهو كثير الحركة ومن أعظم الشوارع أهمية واعتباراً ينتهي الى ميدان ”كوننجنس نوتورف“

وهذا الميدان سراي الحاكم وبلدية المدينة وعلى مقربة منه الكنيسة

الكاتدرائية بُنيت حديثاً مكان كنيسة احرقتها قنابل الانجليز مذ ضربوا هذه المدينة وهي على السذاجة من الداخل ليست مزينة بالنقوش سوى مارسمه تُورفالدسن الذي مرَّ ذكره لها وهو في رومة وحفر بعضه بنفسه من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٢٧ عند عودته من رومة

والمدرسة الجامعة قائمة على الجهة الشمالية من هذه الكنيسة وقد بنيت من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٨٣٦ بعد احتراق مدرسة قبلها بنيران القنابل الانجليزية سنة ١٨٠٧ واول من أسس هذه المدرسة بكونهاج كرستيان الاول سنة ١٤٧٩ عقب سياحة ساحها في ايطاليا وتنقسم الى خمس مدارس اساتذتها سبعون وتلامذتها ١٢٠٠

وكتبخانه هذه المدرسة الجامعة تحتوي على أكثر من مائتي الف مجلد منها اربعة آلاف مجلد مكتوبة بخط اليد من نفائس كتب الهند والعجم القديمة وما يستحق الذكر بهذه البلد الكنيسة المعروفة بكنيسة التثليث بالنظر لبرجها المسمى بالبرج المستدير فان قطره خمسة عشر متراً وارتفاعه ٣٦ متراً فيتمتع الصاعد فوقه برؤية سائر جهات المدينة وضواحيها وبحر الشوند جميعه وميناء السويد وسواحلها

وما ينبغي ان يذكر هو ان طريق "فالدجاده" يفصل المدينة القديمة عن المدينة التي استحدثت مكان الأسوار القديمة حتى صارت مدينة علياء وجنة فيحاء بشوارعها النظرة ومنزهاتها العطرة ومتسعاتها الخضرة وهي ذات اربعة اضلاع تحيط بها الأبنية المزخرفة من جوانبها الأربع على اشكال تروق الناظر وتسر الخاطر

وعلى هذا الطريق "قصر رُزنبُرج" وهو بناء متسع محاط بأبراج اعلاها ارتفاعه ١٠٠ متر بناء كرسنيان الرابع سنة ١٦٠٤ فسكنه وسكن به خلفاؤه من بعده وصار كل منهم يجمع اليه ما يناسب زمنه من الفرش وأدوات الزينة والزخرفة والأسلحة والملابس حتى صار يحتوي الآن على احسن المجموعات المتعلقة بالزينة والرونق من المصنوعات الوطنية وهو من ابهى ما يتفرج عليه وبمدينته صورة كرسنيان الرابع مجسمة من عمل ثورفالديسن

واذ أقبل الليل وطال الامد في هذا التفرج واحتجنا الى تناول الطعام عدنا الى الفندق عازمين على الخروج ليلاً للتفرج على حال المدينة فيه وللتوجه الى منزله اسمه "تيفولي" أعلمنا به بعض من عرفناه في هذه المدينة لكن لم يتيسر لنا ذلك بعد لأنه فاجأنا المطر بغتة بكثرة واشتد البرد معه حتى بلغت درجته بالفندق ١٢ فوق الصفر ولم نر بباريس وصوله الى هذا الحد

فنزلت الى القهوة التي تحت الفندق المسماة بالقهوة الويانية نسبة الى ويانه وإدارتها لصاحب الفندق وهي في غاية الانتظام على الطراز الفرنسي فيها جرائد العالم الشهيرة فقرأت منها بعض الصحف الفرنسية

وانتهزت فرصة قلة المطر فركبت عربة الترامواي وهي مارة أمام القهوة وسرت بها الى حيث انتهى في آخر المدينة وعدت بها ثانياً فحصل بذلك التمتع بروية هذه المدينة الزاهرة ليلاً وتركنا تيفولي الى العودة ان تيسر

وفي الصباح ركبنا عربة وقصدنا نحو الساحة المسماة "جرُونفنج" ومعناه ساحة القلعة وهي من أعظم المنتزهات والطفها بهذه البلدة يشرف المتفرج منها على بواغز سوند فيرى السفن الراسية في مدخل الميناء فينهر من جسامتها وكثرتها

وسرنا بعد ذلك في بعض أطراف البلدة وما قرب من المحلات الخارجة عنها قليلاً من ضواحيها وهي في غاية الجمال والبهاء والرونق والازدهاء حتى قرب وقت قيام الوابور الذي يسافر من هذه العاصمة الى مدينة مالمو ميناء السويد فعدنا الى الفندق وتحاسبنا مع صاحبه وتركناه قاصدين المسير الى السويد

﴿ من كوبنهاج الى مالمو ﴾

قمنا من كوبنهاج في يوم الخميس ٢٩ اغسطس سنة ٨٩ والساعة ١١ و١٥ دقيقة قبل الظهر في واپور البحر بقصد ثغر مالمو واخترنا هذا الوابور دون سواء وان كان يقوم من كوبنهاج الى هذا الثغر واپورات عدة في اوقات كثيرة من النهار لانه يصل حسب التعريفة الى مالمو قبل قيام واپور البر منها بوقت كافٍ ييسر لنا معه التفرج في ذلك الثغر ثم نركب واپور البر بعض النهار وطول الليل فنصل الى استكهلم مقر المأمورية في صباح اليوم التالي ومالمو هذه أقرب اسكنة من أساكل السويد الى كوبنهاج يفصلها بوغاز سونذ على مسافة نحو عشرين كيلومتراً بحيث يرى من في برّ منها كل من في البر الآخر بالانظارة اذا كان الجو صافياً والهواء هادياً

والوابورات التي نزلنا بأحدها ترسو بلصق الأرصفة في الميناء بحيث يصل المسافرين اليها بغير واسطة زوارق وهي تشبه في الحجم واپورات النيل ذات طبقتين يجد الانسان في احدهما محلاً متسعاً فيه مائدة عليها أحسن المأكّل وانظفها فيأكل ما يشتهي من الأطعمة بدون احتياج الى خادم يخدمه لأن الأطباق المعدة للاكل بها مرصوفة حول المائدة والأطباق المشتملة على ما يؤكل

مرصوفة في وسطها فيجلس الإنسان الى المائدة اذا وجد متسعاً والّا أخذ ما يريد من الأطباق وجلس أينما يريد وهذه الطريقة مسلوكة في وابورات هذه الجهة وجميع جهات السويد والنرويج كما رأيناهُ بعد فاكلنا مَرِيّاً وشربنا هنياً بعد أن سرنا من كوبنهاج وتفرجنا على مدخل مينائها وكيفية شكلها وبنائها ولما اتمنا الأكل ودفعنا ثمنه عن كل واحد منّا كوروناً ونصفاً^(١) طلعنا على سطح الوابور للتمتع بمنظر البحر وما لبثنا ان قاربنا مآلوا فوصلناها بعد مسير ساعة وربع ساعة من قيامنا

وقد اطلعنا في صالة الأكل على اعلان مطبوع بالفرنساوية والانجليزية والالمانية ترجمة عنوانه " الى حضرات اعضاء مؤتمر المستشرقين باستكم" ومضمونه ان المسيو هانديراند مدير الآثار العتيقة بالسويد والنرويج مستعد للقيام بجميع ما يلزم الأعضاء في ثغر مالمو من الخدم والتسييلات وهو ينتظرهم به لهذا الغرض عند عودته من معرض باريس فمن شاءهُ لذلك فليسال عنه من المحطة فعزمننا على مقابلته



❖ الوصول الى مالمو ❖

مالمو هذه سكانها ٤٤٥٠٠ نسمة وهي رأس اقليم سكانيا من بلاد السويد المشهور بالخصوبة وكثرة الحبوب من الحاصلات الزراعية وهي شهيرة بالتجارة وبها معامل تصنع كثيراً من الاشياء أخصها الألدوان - القفاز - وليست شهرتها بالتجارة حديثة بل هي كذلك من زمن القرون الوسطى فانها اشتهرت بها خصوصاً في السمك المسمى "هَارَان" وكان يصيدهُ من جهاتها عالم لا يحصى ولكنها انحطت

(١) الكورون يساوي خمسة غروش و ١٦ فضة بالعملة الصاغ

بعد تلك الأزمان بسبب نقص صيد الأسماك المذكورة وتحول التجارة عنها الى مدينة كوبنهاج حتى تنازل عدد سكانها في أواخر القرن السابع عشر الى أقل من ألفي نسمة إلا إنها أخذت في النمو من أواخر القرن الثامن عشر حتى بلغت الى ما هي عليه الآن من الاتساع والعمران

ومينائها واقعة بجهة الشمال منها وهي في غاية الانتظام ترسو السفن على أرصفتها العظيمة القريبة من محطة السكة الحديدية

وبوصولنا الى البر قابلنا احد محرري الجرائد فاحتفل بنا لما رآه من هيئتنا المشرقية التي علم منها ما نحن بصدد من قصد المؤتمر وساعدنا في اجراءات الكمرك ولم تفتح صناديقنا وتوجه معنا حتى سلمناها بمحطة السكة الحديد وأخذنا بوليصة بها الى استكم وسألناه عن السيوهلدبراند فأخبرنا انه لم يحضر من باريس الى الآن وقال اني مستعد لسائر الخدم التي نحتاجون اليها واخذ منا تذاكر عضوية المؤتمر التي كنا اشترينا الواحدة منها من مصر بعشرين فرنكاً ولحاملها حق النزول بالسكة الحديد من مالوا الى استكم بنصف الأجرة المعتادة فضلاً عما يكون له بواسطتها من حقوق العضوية وامتيازاتها في المؤتمر وقدمها لناظر المحطة فقص منها جزءاً وسلمه الباقي واعطاه تذاكر الوابور بنصف الأجرة لنا

واذ كان باقياً على قيام الوابور من المحطة نحو الساعتين ذكّرنا هذا المحرر المذهب في التفرج على المدينة ومشاهدة ما فيها في هذه المسافة فقلنا له ذلك ما كنا أردناه من قبل وسرنا معه من الشمال الى الجنوب قليلاً فوصلنا ميداناً عظيماً هو ميدان البلد الكبير على جهة منه دار بلدية المدينة وعلى جهة اخرى قصر المحافظة وكلاهما من الحسن بمكان

وسرنا بعد ذلك نتفرج بالطرقات وهي منتظمة نظيفة معتدلة متسعة وعماراتها
حسنة مرتفعة وفي الاثناء كنا تتجاذب أطراف الحديث مستفهمين منه عن بعض
ما يهمننا من الأشياء حتى دنا وقت السفر فعدنا الى المحطة وودعناه وقام بنا وابور
سكة الحديد والساعة ٢ و ٤٠ دقيقة بعض الظهر من يوم الخميس ٢٩ اغسطس
سنة ١٨٨٩

وها أنا اذكر قبل ذكر الوصول الى استكملم وما شاهدناه في الطريق اليها
بعض اجماليات على السويد والنرويج فأقول



❖ اجماليات على السويد والنرويج ❖

بلاد السويد والنرويج واقعة في شبه جزيرة اسكنديناويا الذي هو اكبر شبه
جزائر اوروبا ويشتمل على السويد في شرقيه وعلى النرويج في غربيه وعلى قسم
من روسيا في الشمال الشرقي منه وهو بين ٧١ درجة و ١٠ دقائق و ٥٥ درجة
و ٢٠ دقيقة من العرض الشمالي وبين درجتين و ٤٥ دقيقة و ٢٨ درجة و ١٥
دقيقة من الطول الشرقي لباريس فيمتد بمقتضى ذلك على ١٦ درجة من درجات
العرض وعلى ٢٦ درجة من درجات الطول أما عرضه فيختلف بين ٤٢٠ و ٧٠٠
كيلومتر ومسطحة ٧٥٩٠٠٠ كيلومتر مربع وطول سواحلها ٣٣٠٠ كيلومتر منها
الفان للنرويج ويتخلل هذه السواحل عدة خلجان تدخل أرضها على أبعاد طويلة
بحيث لو قيس امتداد السواحل باعتبار هذه الخلجان وشواطئها فيه لبلغ أكثر من
ضعف الطول الذي ذكرناه

ويحد مملكتي السويد والنرويج شمالا الاوقيانوس الشمالي وشرقا روسيا

وخليج بوثيا وبحر بالطيق وجنوباً بحر بالطيق المذكور وبوغاز كاتيجات
وسكاجرراك وغرباً البحر الشمالي والأوقيانوس الاطلانطيقي
وفصلهما عن بعضها سلسلة الجبال الاسكندنافية وطريق عريض يمتد في
الجبال المذكورة

وبهذه البلاد غير السلسلة المذكورة كثير من الجبال ترتفع على سواحل
النرويج بصفة تكاد ان تكون عمودية ثم تنخفض من جهة السويد تدريجياً ويتخللها
في جهاتها اودية كثيرة ومرتفعات عظيمة وصخور عديدة بحيث شَبَّها بعضهم
بموجة من أمواج البحر كبيرة تحجرت وهي تُرْغِي وتُرْبِد

والقسم الشمالي من هذه البلاد كثير الصخور جباله قفرة تُغشاها الثلوج
ولا ينبت فيها الا أشجار قليلة من الصنوبر ولا تنمو كثيراً ويتخلل هذا القسم
بميرات وأجام هائلة أما القسم الجنوبي وإن كثرت فيه الأجام لكن تكثرت فيه
المزروعات ايضاً وهو معتدل وخصب بالنسبة الى الأول

ونظراً الى وضع الجبال الطبيعي السالف يبانهُ تكون مياه الأنهر في جهة
الغرب شديدة التيار سريعة الانزلاق بخلاف مياه الجهة الشرقية فانها ليست
كذلك بل تكون على هيئة بميرات مستطيلة الشكل تتصل ببعضها احياناً بشلالات
يختلف ارتفاع انصباب الماء منها بحسب اختلاف الأمكنة

والسبب في كثرة عدد البميرات في هذه البلاد كثرة الأمطار وعدم كفاية
حرارة الشمس في تبخير جزء كبير منها ووضع الأرض نفسها على هيئة سطوح
مُحْفَرَةٍ في بعض جهاتها فلا تنصرف منها المياه الى جهة أخرى وعدم قابلية الأرض
بطبيعتها لكثرة ترشح المياه

وسواحل هذه البلاد يتخلل سائر جهاتها خابجان صغيرة ضيقة لا يقل عمق المياه فيها غالباً عن نحو ١٢٥٠ متراً وتنتهي بشعبات وتفرعات عديدة الى جهة البحر

ويوجد على السواحل المذكورة بينها وبين البحر جزر صغيرة وصخور في البحر عديدة تجعل الملاحة في تلك الشطوط على أخطار ومخاوف ولكنها كثيرة النفع في أزمان الرياح البحرية والزوايا حيث تلتجئ السفن الى هذه الخلجان فتحمي فيها بواسطة منع الصخور والجزر غوائل البحر عنها

وكبار هذه الجزائر تكون الى جهة القطب وجميعها كثيرة الجبال غريبة الهيئة ذات اشكال عجيبه صنعتها يد القدرة صنعاً لا يقدر عليه إلا الله تعالى فأحداها كأنما هو قصر هائل وأخرى تسمى "نورجُو" تمر بجوارها السفن فيراها الناظر صخرة بها مغارة على ارتفاع ١٢٥ متراً عن سطح البحر نافذة الى الجهة الأخرى طولها ١٦٣ متراً وارتفاعها من ١٩ الى ٦٢ متراً وعرضها من ١١ الى ١٧ متراً الى غير ذلك من الجزر ذات الأشكال البديعة والهيئات الغريبة

وهذه الخلجان والجزر التي على شاطئ بلاد الترويح أكثر البلاد المذكورة حركة بالنظر لمساعدة الصيد فيها على أسباب المعيشة حيث يوجد على القرب من جزر "لوفوتن" كثيب يكثرفيه السمك المشهور بالحوت "مورو" فيذهب لأجل صيده خصوصاً في أيام الشتاء لأنه يكثُر فيها كثير من الصيادين يزيد عددهم على ٢٥٠٠٠ راكبين نحو ٦٠٠٠ سفينة من السفن الكبيرة ويشغل في أعمال هذا السمك وتجهيزاته نحو ١٠٠٠٠٠ نفس اي ١٠٠ من سكان نوريج جميعهم ويتحصل منه ما قيمته من ٥٥ الى ٦٠ مليون فرنك في السنة ويوجد في تلك

الجهات سوى هذا أصناف من السمك كثيرة وإن كانت أقل منه أهمية منها السرطان البحري المسمى "همار" ويصدر منه في السنة الواحدة بقيمة مليون ونصف من الفرنكات إلى انكلا ترا وحدها وما يصاد عندهم أيضاً المحار بأصنافه أما السمك المسمى "صومون" فيصاد من كثير من الأنهر والبحيرات الداخلة في البلاد على دمة ملتزمين يلتزمون من الحكومة وهو هذه البلاد بارد نظراً لموضعها من الشمال ولكن درجة البرد فيها ليست على صفة واحدة فإنه يكثر في جهة الشرق والوسط زيادة عن جهة الغرب على سواحل الأطلانطيق بسبب تيار الخليج الذي هناك ولذلك لا تتجمد المياه في الخلقان الصغيرة التي على ذلك البحر بسواحل الترويج الأفي في آخرها من جهة القارة بخلاف الجهات المضامية لها في العرض من بلاد سيديريا فإنها تكاد أن لا تسكن وبخلاف البلاد المقابلة لها في شمال امريكا فإنها بسبب البرودة تلفت فيها إرسالاً فرنكلن العالم الشهير حتى لو نظرنا إلى استكم الواقعة في جهة الشرق وقارناً بين درجة الحرارة فيها وفي "سكودسناس" الواقعة في جهة الغرب ببلاد الترويج على ارتفاع استكم لوجدنا أن درجة الحرارة في سكودسناس متوسطها ١٥ فوق الصفر في شهر يناير و١٣ في شهر يوليو فيكون الفرق بين المتوسطين ٥، ١١ أما استكم فإن درجة الحرارة فيها متوسطها ٤ تحت الصفر في يناير و١٧، ٥ فوق الصفر في يوليو فيكون الفرق بين المتوسطين ٢١، ٥ على أن الفرق أكبر من ذلك في جهة الشمال من السويد فناحية بوكوك مثلاً متوسط الحرارة فيها ٦، ١ تحت الصفر سائر السنة ولكن الدرجة فيها ١٦ تحت الصفر في يناير و١٤، ٤ فوق الصفر في يوليو فيكون الفرق ٣٠، ٤ والحاصل أن درجة الحرارة تختلف في هذه البلاد باختلاف الجهات فهي

غاية في البرودة من جهة بحر البلطيق وقل منها على سواحل النرويج
والجهة الشمالية منها تستديم فيها الشمس مشرقة شهرين ونصفاً صيفاً لا تغرب
وتستديم شهرين ونصفاً شتاءً لا تشرق ويبقى الشتاء فيها تسعة اشهر فلا فصل
ربيع فيها

وكثرة الأمطار وقلتها في هذه البلاد انما هي بحسب درجة الحرارة فيها فهي
في داخل النرويج اقل منها على الشواطىء واكثرها في السويد في الجهة الواقعة
بين جفلة وجوتبورج وقل الاشهر امطاراً شهر مارس واكثرها شهر أغسطس
خصوصاً في جهة الشمال فينتج من هذا ان انساب الأوقات لزيرة السويد وشرقي
النرويج هو شهر يونيو وشهر يوليو

هذا والزراعة في هذه البلاد لا يمكن ان تكون احسن ولا اكثر ما هي عليه
فيها بالنظر الى قلة الحرارة بها على ان زراعتها خير من زراعة غيرها من البلاد
الواقعة على منطقتها والغابات فيها متسعة حتى تبلغ مساحتها اكثر من ٦٦٠٠٠
كيلومتر مربع ويتحصل من اشجار الصنوبر والراتينج فيها مقدار وافر من الخشب
ويصدر جانب عظيم الى الخارج منه ومن اخشاب البلوط والزان والدردار
وشجر السندر

وفي هذه البلاد كثير من اشجار الفاكهة فالتفاح منها يوجد الى درجة ٦٥
والبرقوق الى درجة ٦٤ والكرز الى درجة ٦٦ من درجات العرض اما اشجار
الكشمش - غنب الذئب - والشليك والتوت الشوكي فتنبت في جميع جهات
هذه البلاد حتى يرى منها بجهة الرأس الشمالي

وينبت فيها الحنطة الى درجة ٦٤,٥ والشعير الى درجة ٧٠ وليس ببلاد

النرويج من أرض الحراثة أكثر من ٢٧٥٠ كيلومتراً ويوجد بالسويد نحو عشرة أضعاف هذا القدر

وينبت في جهة الشمال من هذين الجهتين من غير استنبات نبات مخصوص يسمى عندهم "أكسيريارينيفورميس" يستعمل عدة استعمالات منها خلطه مع الدقيق ويعمل منها نوع من الخبز يسمى "فلادبرود" وهذا النوع يعمل في البلاد الجنوبية من الحنطة والشعير مضافاً عليهما دقيق البطاطس أو دقيق البسلة

ومن الغريب أن الشعير ينمو وينضج بهذه الجهات على درجة سبعين من العرض الشمالي في تسعين يوماً كنضجه في بلاد فرنسا وبلاد مصر ولعل السبب في ذلك طول النهار في بعض أشهر السنة ببلاد الشمال فتستمر الحرارة والضوء فيها زمناً يعادل في التأثير على النبات تأثير درجة الحرارة في غير هذه الجهات ولكن لا بد من تطبيع الحبوب وتعودها في هذه البلاد فلا يصح فيها من أول وهلة الشعير المجلوب من بلاد أشد منها في الحرارة

وما يلاحظ في هذه البلاد أن أوراق الأشجار أكبر في جهة الشمال منها في جهة الجنوب وما ذلك أيضاً إلا من تأثير كثرة الضوء لطول النهار

ومن حيواناتها ذوات الأربع الذئب والأسمر والذئب والثعلب والوعل والسمور والأرنب والرنة وهو عند أهل الشمال بمنزلة الجمل عند غيرهم

ومن طيورها النسر والبازي والجمع والبط والأوز وتكثر الطيور الشاطئية على ساحل البaltic وخليج بوشنيا

وأهلها الآن كثير ولا اعتناء بتربية الحيوانات الأهلية كالأغنام والخيل وقد احضروا في بلادهم كثيراً من الحيوانات الأجنبية

ومن معادنها النحاس والرصاص والحديد وليس له مثيل في حديد العالم
أجمع والتوتيا والفضة والذهب والكوبلت والنيكل والمنغنيا
واهل هذه البلاد أشداء ذوو شجاعة وبأس لا يهابون الحرب كرام أمناء
أولو حشمة وبشاشة وهم يشربون البيرة — الجمعة — أكثر من غيرها من المشروبات
وأكثر طعام الفلاحين منهم اللبن والجبن والسمك وفي بعض الأماكن اللحم وخبز
الحنطة ويغلب عليهم شقرة الألوان واصفرار الشعور وتوسط القامة وشدة حب
أوطانهم والتعليم عندهم معنى به ومنتشر للغاية

ويقال إن قبائل يدعون الإسكنديناوية فتحوا هذه البلاد وقهروا العشائر
الغينية الذين كانوا مستوطنين بها وسكانها الآن من نسلهم وكانوا تحت حكم
الدانيمرك في الجبل الرابع عشر فقام "غسطاو وأزا" وحرر السويد من تلك
العبودية فاختره اهل البلاد ملكاً عليهم وظهر بها في اول الجبل الثامن عشر الملك
كارلوس الثاني عشر وكان من أشهر أبطال العالم افتتح فتوحات عظيمة وفعل
أفعالا بكل اللسان عن وصفها لكن قهره الروسيون اخيراً بعد ما فتح كثيراً من
بلادهم واما النرويج فكانت تابعة لولاية الدانيمرك ثم أضيفت الى مملكة السويد
من سنة ١٨١٤

ولا تزال الجهتان الى اليوم منضمتين لبعضهما تحت سلطة ملك واحد ولكن
لكلٍ منهما مجالس نيائية ووزارة وجيش وعساكر بحرية وميزانية وسياسة قائمة بذاتها
منفصلة تمام الانفصال عن الاخرى حتى منعت القوانين ان يقيم جيش سويدي
في النرويج او نرويجي في السويد مهما كانت الحالة
والحكومة في كلٍ منهما ملكية مقيدة شوروية يقوم بتنظيم القوانين في كل

واحدة منها مجلسان يُعَيَّنان بالانتخاب
وعاصمة السويد استكهلم وعاصمة النرويج كرسديانيا ويقع الملك في اولاهما
وينوب عنه في الثانية احد اولاده.

ولغة كل من الجهتين تخالف الاخرى وكل منهما يقرب الى الالمانية اكثر
من غيرها إن كان البعد يسمى قرباً والأجنبي الذي يتجول فيها يكفيه معرفة
اللغة الفرنسية لوجود من يعرفها في المدن الكبيرة من متنوري القوم حتى كانت
لغة المحاطبات الرسمية

وقد بلغ عدد سكان السويد في الاحصاء الذي حصل اخيراً في سنة ١٨٨٤
٤٦٤٤٤٤٨ نسمة وبلغ عدد اهالي النرويج في الاحصاء المذكور ١٩١٣١٠٠
نسمة

وطرق المواصلات كثيرة متنوعة في هذه البلاد فمنها الواورات البحرية
لأسفار شطوطها والسفر منها الى بلاد أخرى والواورات النهرية في البحيرات
والانهار الكثيرة جداً ومنها واورات السكك الحديدية متجهة من الشمال الى
الجنوب ومن الشرق الى الغرب ومن كل جهة من هذه الجهات الى الجهات
الاخرى ومنها العربات التي تسير بالخيول في الجهات التي لم تصلها السكك
الحديدية وهي على صنوف مختلفة وأشكال متعددة لتفاوت اتساعاً وضغراً وكبراً
كما تختلف في عدد الخيول التي تقودها سواء كان لها سائق او لم يكن بل ساقها
المسافر نفسه

وحيث فرغنا من ذكر هذه الاجاليات التي نَعُدُّها ضرورية لمعرفة ما نحن
قادمون عليه من البلاد فلنستمر في السير الى استكهلم واملنا ان بلاقنا بمحظتها صاحبنا

الذي وعدنا بذلك حتى نكون في هذه البادية كما نكون في بلدتنا الأصلية وأحسن على ما فهمناه منه وقد أرسلنا إليه تلغرافاً من كوينهاج يبيد حضورنا لاستكمال بيناً فيه اليوم والساعة وكان سبق منّا كتاب حررناه إليه من إحدى مدن إيطاليا ردّاً لخطاب وصلنا منه قبيل قيامنا من مصر سيأتي الاماع إليه



❖ من مالمو الى استكهلم ❖

سرنا من مالمو والساعة ٢ و ٤٠ دقيقة بعد الظهر من يوم الخميس كما مرّ فصار الوابور قليلاً بمحاذاة خليج سُونْد ونحن نتظر من مرتفعاته البحر ثم انثنى نحو الشرق فمرّ بمحطة أَكَّازِب حيث مدرسة الزراعة الشهيرة المسماة مدرسة "أَلْتَرَب" ونعمت الجهة التي انتخبت لهذه المدرسة الزراعية فان أرضها بخال الماشي فيها انه سائر في وسط حديقة غناء اعتنى صاحبها في تنظيمها وتحسينها فألقن وأبدع وأحسن

ولا زلنا مارتين بها حتى عبرنا نهر "هُوِيَة" ذي الماء النير ووصلنا مدينة "لُونْد" بعد ان سرنا نصف ساعة من مالمو اليها ولُونْد هذه بلدة اشتهرت بالمدرسة الجامعة المنسوبة اليها من قديم الأزمان يبلغ عدد سكانها الآن ١٤٨٠٠ نسمة وفي السابق بلغ عددهم مائتي ألف نسمة على ما يقال

وهي وان لم تنزل بها أَصْفَهَا بعض الوصف لشهرتها بالنسبة لمدرستها ولنزول أحد اساتذة هذه المدرسة البروفسور "تَجْنَر" عند محطتها معنا بالوابور واهُ لقي

غاية اللطف والذكاء وقد نفعنا كثيراً في هذه الطريق وفي طول مدة الإقامة باستكمال كما سيجيء

على ابن هذه البلدة على لطفها ليست كبيرة فلا يحتاج وصفها الى تطويل وذلك ان الانسان اذا نزل من محطة السكة الحديد واتجه نحو الشرق وصل في بعض دقائق الى " الميدان الكبير " وهو اكبر ميادين المدينة فيجد على هذا الميدان الكنيسة الكاندرائية وهي ألطف أبنية أسكندناوية وأجملها في رأي البعض أقيمت الشعائر فيها منذ سنة ١١٤٥ يكتنف وجهتها من الجانبين برجان عظيمان تتخللهما النقوش اللطيفة متسعة من الداخل طولها ٦١ وعرضها ٣٦ وارتفاعها ٢١ متراً

وفي شمال هذه الكنيسة منتزه عمومي تحيط به الاشجار العظيمة من سائر الجوانب وفي وسطه المدرسة الجامعة السالف الاشارة اليها وقد أسست منذ سنة ١٦٦٨ وتشتمل على بناءين منفصلين احدهما المدرسة القديمة والآخر المدرسة الجامعة الجديدة ويتردد على هذه المدرسة من الطلبة نحو ٨٠٠ طالب وبها متحف شهير للاشياء التاريخية

وشرقي هذا المنتزه على نحو الشمال الشرقي من الكنيسة تمثال البروفسور تيجنر مجسماً وتحتفل الطلبة بيوم دخوله في هذه المدرسة وهو يوم ٤ سبتمبر من كل سنة احتفالاً يليق بمقامه

وذلك ان تيجنر هذا نشأ في هذه المدرسة وصار شاعراً معدوداً ذا تأليف محبوبة (ولد سنة ١٧٨٢ وتوفي سنة ١٨٤٦) فأقاموا له هذا التمثال تخليداً لذكوره ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا الدار التي سكنها مدة اقامته بهذا البلد من سنة ١٨١٣

الى سنة ١٨٢٦ من محلات الآثار المعدودة حيث ألف فيها تآليفه الشعرية الشهيرة ووضعوا عليها لوحة بها كتابة تدل على ذلك وهي على الطريق الموصل من محطة السكة الحديد الى الميدان الكبير

وبهذه المدينة بعض المتاحف الحيوانية والحدائق النباتية للوازم الدراسة فضلاً عما يمدق بهذه البلد من البساتين المنظمة والمتنزهات العظيمة وينكشف للرائي من احدها بجهة الشمال الشرقي من المدينة بوغاز سوند ومدينة مالمو ويمتد النظر منه حتى يرى ابراج مدينة كوپنهاج فينتج بعظم هذه المناظر ولطفها خصوصاً اذا صادف وقت غروب الشمس وتأثير أشعتها على تلك الجهات الباقية غاية البهاء وقد سبق أنه نزل معنا من لوند هذه البروفسور تيجنز ونظن انه لكثرة من كان يحيط به في اللحظة حين مبارحته المدينة من المحتفلين به والمجتمعين لوداعه من نسل تجنر ذلك الذي تقدم ذكر تمثاله والاماع ببعض اثاره وهو شاب ايض اللون خفيف الروح لطيف الخلق والخلق لا يتجاوز سنه الاربعين تصحبه امرأة مسنة علمنا أنها والدته يريد ان يوصلها الى بلد معلومة تنزل بها ويستمر هوفي السير الى استكهلم لحضور المؤتمر ومجتمعاته

وقد حضر الينا بالعربة التي نحن بها اثناء الطريق اذ علم من ملابسنا اننا نقصد المؤتمر فعرّفنا بنفسه وبقصده وعرض علينا باللطف وكال الظارف ان يقوم بما يلزمنا من الخدمة في الطريق وصار يجلس معنا مرة ومرة مع والدته حتى اذا أنزلها بالمحطة التي نقصدها اقتصر على جلوسه معنا واشتغاله بأمرنا

وصرنا اثناء الطريق تتبادل الحديث معه باللغة الفرنسية على ما نراه من المواضع وما نشاهده من المناظر وما نبصره من النباتات والمياه وما نلحظه احياناً

من صلابة الصخور والأحجار وعدم إنباتها مع احاطتها بالنبات الزمردى من كل جانب دون أن يُكسِّي جسمها الصخري بشيء منه

وانجربنا البحث الى ما أجهد أنفسهم به هؤلاء القوم من التقلب على المستصعبات وقطع العقبات في سبيل انشاء هذه السكك الحديدية اذ لا ينفى ما تستلزم في هاته البلاد الحجرية من الصعوبة والعناء وصرف طائل المال فانهم قد يضطرون الى قطع الجبل المرتفع مسافات طويلة بالألغام لاعتدال الطريق وقد يُقيمون الجسور العظيمة من التراب والأحجار في اواسط البحيرات العديدة على مسافات طويلة لوضع الخطوط الحديدية عليها هذا فضلاً عما يقيمونه من الكوبريات على الأنهار والهويّات والمنخفضات مع ما يلزمها من اعمال البناء

وقد مررنا بعد مفارقتنا لوند بأكمة مرتفعة عليها شكل هرمي صار تشييده تخليداً لذكر الصلح الذي حصل بين السويديين والدانماركيين بعد حرب لوند ثم على محطة إسلوف بالطرف الجنوبي من غابات اسكونيا وعندها نتفرع السكك الحديدية الى جهة الجنوب والغرب والشرق

ثم على غابات لطيفة من شجر الزان الى ان وصلنا على محطة "هسلهم" على الجهة الغربية من بحيرة "فنج" ويتفرع منها فرع بحيرة "هلسنجبورج" نحو الغرب وآخر لجهة "كرستيانستاد" نحو الشرق

ثم مررنا بعد ذلك بحيرة مملوءة بالغابات والصخور تسمى عندهم "سكوج" ومعناه "الغابة" مشهورة في الاشعار الالهية ببلادهم كما ان "لند" معناها الفياض واستمر السير بعد هذه الجهة على جهات كثيرة بين نجود واغوار وجزر في وسط بحيرات واكبات في وسط غابات ومستبحرات ومستنقعات نتخللها ارض

مزدرة ومراعٍ متسعة أُقيمت في وسطها مساكن منقوشة باللون الأحمر غطت
سقفها الحشائش وكنائس صغيرة ومعامل وطواحين تدار بالماء على سواحل
البحيرات التي بها تيار والوابور يقف على محطات بين منخفضات ومرتفعات
حتى وصلنا الى محطة "نيسيو" ويتفرع منها فروع كثيرة لعدة جهات وكانت
الساعة ٩ و ٣٧ دقيقة بعد الظهر اي بعد مسير نحو سبع ساعات

وكان قد بلغ الجوع منّا حده قبل وصولنا الى هذه المحطة وفهم ذلك صاحبنا
الپروفيسور فدلنا في اثناء الطريق على من اشترينا منه بعض بسكويت ولقيات
منتظرين الوصول الى هذا المحل حيث يوجد به من الطعام ما تشبهه الأنف
ونزل معنا هذا الصاحب الى قاعة الاكل بالمحطة بعد ان أفهمنا ان الوابور يقف
بها عشرين دقيقة وأن لا حاجة للاستعجال واذا هي محل مستطيل في غاية
الاتساع بوسطه مائدة ممتدة آخذة جزءاً عظيماً من طوله ملأى بالماكل الفاخرة
من لحوم مشوية وغير مشوية من ضأن وطير وسمك وألوان من الأَطعمة بين
سخنة وباردة وحلواء يحيط بها أطباق صغيرة يأخذ فيها الانسان ما يلذ له منها
ويجلس على هذه المائدة إن أراد اذا وجد متسعاً او على موائد غيرها بدائر المحل أو
يقف بأي محل يتكلم مع رفيق وهو يأكل واذا أراد طعاماً آخر أحضره بنفسه
لنفسه فانه لا خادم ولا مراقب ثمه فمن أراد شرب بعض المسكرات لا يجد الا
البيرة فيفتح من القناني ما يريد اما اللبن والشاي فيجد منها على مائدة مخصوصة
كثيراً فاذا اكل وشرب خرج من هذا المحل من غير أن يعارضه احد من الناس
وتوجه من تلقاء نفسه الى صاحب المحل حيث هوفي محل خارج لا يرى الا كلين
ولا يعرف ما اذا اكلوا فيخبره الانسان بما أكل أو شرب بالأمانة سواء أكل

أكلة كاملة او شرب قدح شاي او لبن او بيرة فان اخبر انه اكل اكلة كاملة أخذ منه عن اكلته كوروناً ونصفاً وان أخبر انه شرب قدحاً من الشاي او اللبن او البيرة أخذ منه ثمنه فقط ولما خرجنا الى صاحبة هذا المحل اخبرها صاحبنا اننا اكلنا اكلة كاملة واعطيتها قطعة من العملة فاعطتني باقيا الآ كوروناً ونصفاً فتمتعنا من ذلك اكلة ما أخذت بالنسبة الى ما اكلنا وكنا أربعة فأخبرها صاحبنا ان الآكلين أربعة فاعتذرت عن غلطها بأنها ظنت أن الآكل واحد واخذت الباقي متشكرة أما صاحبنا اليه وفسور فكان شرب قدحاً من اللبن والشاي فقط فأعطاها ثمنه ليس الآ مع أنه كان معنا داخل المحل

فانظر الى هذه الأمانة وهذا الائتمان ولعمري لو اتبعت طريقة هذا المحل في غير هذه البلاد لما استمر اسايغ حتى يغلق فان الناس يكونون بين من يكذب وبين من يهرب ولكن أثبت مروءة هؤلاء القوم الآ الأمانة فأصحاب أمثال هذا المحل في راحة بال واطمئنان خاطر لا يخشون خيانه ولا خسائر

وبعد ان عدنا الى الوابور اخذنا تنذا كرمع صاحبنا في هذا الشأن ونطيل التعجب منه فأخذ يعرّفنا حال الأمانة عندهم واستحالة السرقة ببلادهم لأنهم يستحقونها ويعدونها من العيوب العظيمة فلا يقدمون عليها أصلاً حتى اخبرنا أنه لا يغلق على دراهمه باباً ولا على ما في منزله من الاثاث وان غيره كذلك

وساقنا الحديث في أمانة اهل هذه البلاد الى ان سألناه عما رأيناه بكتاب الدليل من ان السائح في نواحيها اذا الزم له شيء وعجز عن نفقه ثمنه لعدم معرفته بلغة اهلها اخذ هذا الشيء من يبيعه فلاحاً او تاجرأ واعطاه كيسته فيأخذ البائع منها قدر الثمن لا غير فاخبرنا بصحة ما ذكره ذلك الكتاب ولعمري ان هذا

لغاية ما يفتخر به

وقد اشرنا الى صاحبنا أننا نريد قهوة فطلب من أحد خدام قهوة المحطة ان يأتيها بقهوة فاحضرها في صينية بها فناجيل بقدر عددنا وما أخذنا في الشرب حتى سار الوابور وبقيت عندنا أواني القهوة ولم ندفع ثمنها الى ان وصلنا الى المحطة التالية فحضر خادم قهوتها وأخذ الأواني والثلث ونعمت العادة

وكان آن وقت النوم ورأى صاحبنا منا ارادة ذلك فأخذ يرينا أن المجالس التي نحن عليها تمثّل فتزيد الى ان تلتقي بالمجالس المقابلة لها حتى يتكوّن من الجهتين سرير عظيم يسع من ينام

هذا وان اتعب المسافر طول جلوسه في محل واحد فإن له أن ينتقل ويتمشى من أول القطار الى آخره وذلك لأن العربات فيه على الطراز المستطيل المستعمل عندنا في بعض القطارات بجوار غرف الجلوس فيها ممشى طويل ممتد من عربة الى أخرى حتى يصل الانسان بواسطته من اول القطار الى آخره بدون أن يؤذي احداً فإن كل غرفة من العربة مغلقة بابها على من فيها وبدون ان يتأذى هومن البرد او المطر فإن الممشى مغطاة مغلقة نوافذها فلا يتأثر من فيها يبرد ولا مطر ولا هواء وهذا كله فضلاً عن انقار العربات وحسن هيئتها ورونق فرشها وانتظام محلات الأدب بها مع سهولة الوصول اليها مما جعل هذه العربات تماثل عربات أحسن البلاد التي سرنا بها الى الآن

ولا شك أن هذا الطراز في العربات أحسن طراز لا سيما في الأسفار الطويلة بخلاف الطريقة التي تكون فيها العربات منفصلات كل واحدة منها مقسمة الى عدة عيون منفصل كل منها عن الأخرى تفتح أبوابها على الرصيف من

الجهتين كالمستعملة عندنا غالباً فإنها لا توافق حالة البرد لأنه مجرد خروج الشخص منها وفتح الباب يدخل الهواء العربية فيملأها ولا يخفى تضرر الرفاق من ذلك ولأن الإنسان لا يتأقن له المشي فيها ولا الانتقال اثناء سير الوابور منها الى عربات أخرى الالتقاء بمعارف او للفسحة أو لداعٍ آخر الأعداء الوقوف بالمحطات وقد يضطر مع ذلك لأن يبقى ما بين المحطة التي نزل منها الى المحطة التالية لما عند صاحبه الذي سار اليه لعدم طول مكث الوابور بالمحطات وقد لا يكون بعرضه محل خال وقد يكون المطلوب للتنقل لا يستلزم طول مسافة ويكون بين المحطتين مسافة طويلة ولأن محلات الأدب فيها قد لا توجد أو توجد مع المشقة في الذهاب اليها والاياب منها والمكث عندها كما في القطارات الفرنسية فان العربية المخصصة بذلك فيها مجاورة للعربية الموضوعية بها الأمتعة وهي التي يليها الوابور ولا يتأقن الذهاب اليها الا عند الوقوف بإحدى المحطات فإذا دخلها الإنسان اضطر الى المكث بها حتى يقف الوابور ثانياً والسبب في ذلك أن مدة وقوف الوابور بالمحطة لا تسع الذهاب اليها والدخول فيها وقضاء الحاجة والعودة منها الى المحل الاصلي نعم يجد القاصد أمام المحل المهود مكاناً مفروشاً بفرش حسن وربما وجد به رفاقاً اضطرهم الى البقاء فيه ما اضطره لكن لا يخفى ان المكث في مثل هذا المحل غير مستحسن ولو قصرت المدة

وأحسن العربات المنفصلة ما رأيناه منها في ايطاليا او السويسره وهوان الواحدة منها وان كانت منفصلة عن غيرها الا إن غرفها متصل بعضها ببعض ويوجد في احداها المحل المهود بدون المشقة السابقة

وأحسن العربات كلها راحة ما يسمى " واجون لي " ومعناه عربية سرير

فإن الإنسان له بها نهاراً محل متسع يُفرش عليه فراشٌ ليلاً فيكون سرير النوم كما نأه في داره وذلك متيسر في جميع قطارات الأسفار البعيدة لكن بزيادة على الأجرة المعتادة

هذا وقد فعلنا كما أعلمناه صاحبنا البروفسور تجنر من تمديد ما كنا جالسين عليه واتصاله بما قابله فكان كما قال وكان معنا عباءة ومنسوج من الصوف يسمى "كوفر بيبي" وهو كثير النفع في الأسفار يوضع على الأرجل فيدفن بها وجهه في الأصل لذلك كما هو ترجمة اسمه وإن كان ينفع لغير ذلك مثل أن يتغطى به الإنسان وقت البرد ليلاً في مثل هذه الأسفار وفي فادق لم يكن بها الغطاء كافياً إلى غير ذلك ما ينبغي أن يستصحبه الإنسان له وثمنه مع ذلك غير كثير فإنه يكون من عشرة فرنكات إلى مائة فرنك فأكثر بحسب اختلاف أصنافه فاخذه سيدي الوالد واختصصت بالعباءة كالمعتاد وتغطينا ونمنا مع الراحة ولولا الليل وظلامه والنوم وأحكامه لمتنعنا بالمناظر الحسان المهدقة بنا من كل مكان فانا إذا ذاك كنا سائرين في أرض من أخصب أرض السويد وأحسنها منظرًا يحدها من جهة الغرب بحيرة "فتر" ومن جهة الشرق بمر البلطيق وتغلها الأنهر والبحيرات الكثيرة والشلالات العظيمة الكبيرة ثم لم نفق من النوم إلا بعض دقائق وإذا قد وقف بنا الوابور على محطة "نوكو بنج" وهي بلدة متسعة على ما ذكر في كتب الأدلة تتعلق بها وقائع حربية مشهورة في تاريخ السويد يبلغ سكانها أكثر من ١١ ألف نسمة ولكننا مع ذلك لم نميز منها شيئاً وما لبثنا أن بارحنا الوابور وعدنا إلى النوم

وما استيقظنا ثانياً إلا وقد وصلنا إلى "نور كوپنج" البلدة العظيمة الأهمية

الشهيرة في السويد بالتجارة والصنائع ومعامل الجوخ والصوف والقطن ومعامل السفن الحربية والتجارية حتى سميت "منشستر السويد" البالغ عدد سكانها ٢٨٥٠٠ نسمة يخترقها نهر "موتالا" حيث مصبهُ خليج "بريفك" الممد من بحر البلطيق فاهميتها ناشئة من اتصالها بهذا البحر واختراقها بذلك النهر ففارقناها واستمر بنا السير حتى وصلنا محطة "كترنهم" وقد طلع الفجر فبهرت أمانظر البحيرات وكثرتها والزروع ونضرتها والمساكن وبهجتها وكلما تقدمنا بعد ذلك وتقدم النهار وانتشرت أشعة الشمس زادت المناظر بهجة وحسنا حتى وصلنا مدينة "سودر تسليج" الزاهرة ومتعنا الطرف بما يحيط بها من الرائي الباهرة وما تشتمل عليه من القصور الفاخرة التي يسكنها اغنياء استكمل في غير فصل الشتاء وما لبثنا أن تجاوزناها سائرنا الى ان مررنا بمنفذ في الجبل طوله ٢٧٧ متراً ثم اجتزنا بحيرة "أرسنا فيك" على جسر ممتد عليها طوله ٢٧٠ متراً وعن يساره بحيرة "ميلار" الشهيرة ثم مررنا بمحطة استكمل الجنوبية القديمة دون ان نقف بها بل سارنا الوابور بعد ذلك في منفذ تحت الأرض طوله ٤١٧ متراً ثم على كوبري من الحديد ممتد على بحيرة "ميلار" طوله ٢٢٢ متراً واصل الى جزيرتي "ستادين" و"ريدأرهلين" في وسط البحيرة وعليهما جزء من المدينة ثم منها على كوبري آخر من الحديد طوله ٢٤٧ متراً ماراً بالبحيرة ايضاً حتى وصلنا الى محطة استكمل المركزية والساعة سبعة وخمس دقائق صباحاً من يوم الجمعة ٣٠ أغسطس سنة ٨٩ بعد ان سرنا من مالمو اليها أكثر من ست عشرة ساعة قطع الوابور فيها ٦١٦ كيلومتر

فلما نزلنا من الوابور لم نجد بالمحطة صاحبنا الذي كنا نظن أنه ينتظرنا بها عند حضورنا ولا أحداً من قبله ولم نعلم هل حجز لنا غرقاً في أحد الفنادق مع أنه

وعدنا وهو بمصر أنه يُرسل من ينتظرنا في حدود السويد وأن يكون دليلنا بها فضلاً
عن الانتظار بمحطة استكم وأنهُ يُرسل إلينا بمصر قبل مبارحتنا لها وبعد سفره منها
بمسافة قليلة الخرائط وكتب الأدلة التي تلزمنا في جميع سياحتنا وأخذ بذلك
مذكرة فلم يصلنا شيء مما وعدنا به اللهم إلا كتاباً عربي العبارة تاريخه ٢٥ يونيو
سنة ١٨٨٩ موجوداً عندي إلى الآن أرسله إلى سيدي الوالد طلب فيه أن
يتوسط له في منحة من الجنب العالي فقام سيدي لدى سموه بالتوسط فيها
فأجاب سموه ووعد بإنجاز ذلك لهذا الصاحب في المستقبل فكتب سيدي الوالد
إليه ونحن في أثناء السفر بإحدى مدن إيطاليا كتاباً أخبره فيه بما ذكر وما كنا
نظن أن ذلك يوجب حنقاً وغيظاً مع ما كان يظهره لنا من خالص الود والحبّة
ولكن عوّضنا الله بدهُ صاحبنا الفاضل البروفسور تخيرفانه فضلاً عن نفسه
لنا في الطريق كما تقدم هوّن علينا الأمر بلطف محادثته وحسن مؤانسته وصحبنا
إلى المدينة وأنزلنا "بجراند أوتيل" أحسن فندق فيها وصار يتردد إلينا ويدلنا
على أهم مواضع المدينة وأماكن الآثار ومحال التفرّج والانتزه ويخرج معنا ويصحبنا في
ذلك وقد تجدد لنا أصحاب آخرون من أفاضل أعضاء هذا المؤتمر كانوا كثيري
التردد إلينا والاحتفال بأمرنا والدلالة على ما يسرنا والحرص على مصاحبتنا أثناء
مجمعات المؤتمر وخلال ولائمه واحتفالاته ليلاً ونهاراً باستكم وغيرها من بلاد
السويد والنرويج التي ذهبنا إليها

وكان الأولى من هؤلاء جميعاً صاحبنا القديم نظراً إلى ما كان بيننا بمصر
من اتود وسابق العشرة والتردد

وقد تذكرتُ حال هذا الصاحب عند كتابتي هذا الموضع وقارنت سابق

أقواله بلاحق أفعاله وما أملتُه فيه بما رأيتهُ منه وقابلتُ عودهُ بخلفها وعمودهُ
بحفَرها فعاد لي التأثير القديم ورأيتُ القلم جَنَحَ إلى التفصيل والإطناب والتطويل
والاستيعاب فامسكتُ عنانهُ خشيةً أن يَنبَعِرَ إلى ما لا يستطاب وقلتُ ليس هذا
بأول صاحب فيه الأمل خاب



وصف مدينة استنكلم

قد خصصتُ هذا الفصل بوصف مدينة استنكلم وما اشتملت عليه لا باعتبار
تفرقه على أيام اقامتنا بها لان ذلك أجمعُ للذهن ولتفرغ بعدهُ لذكر المؤتمر
ومقابلاته واجتماعاته وجميع متعلقاته ان شاء الله تعالى

استنكلم عاصمة بلاد السويد وهي مدينة يسكنها ٢١٥٠٠٠ نسمة واقعة على
٣٤° - ٢١° - ٥٩' من العرض الشمالي وعلى ١٩° - ٤٣° - ١٥' من طول شرقي
باريس قائمة على مصب بحيرة "ميلار" - العذبة الماء - في خليج عميق من خلجان
بحر البلطيق يسمي "سَانِسِيُون" ومعناه البحيرة الملحمة وهو للمدينة بمثابة ميناء
عظيمة وان كانت تغطيه الثلوج مسافة اربعة أشهر او خمسة في السنة

وبناؤها قائم على جزر وسهول ومرتفعات تجمل منظرها غريباً عجيباً بحيث
يصح تشبيهها بمدينة وينيسيا او جنوة أو غيرها من مدن اوربا الجنوبية الشهيرة
بالمياه والمناظر اللطيفة

وتقسم الى ستة أقسام

الاول القسم المسمى "سِتَادِن" اسي المدينة القديمة وهو قائم على أكبر جزر
بحيرة ميلار يتوسطها وبه القصر الملوكي ويتبعه جزيرتان احدهما جهة الشمال منه

واسمها "رِيدَار هَلْمَن" والآخرى جهة الغرب منه واسمها "هَلْجِنْسَهَامِن" وهذا القسم أهم بقعة في المدينة بالنسبة للتجارة

الثاني قسم "نُوزْمَلَم" وهو شمالي المدينة والبحيرة ويتبعه جزيرة "بَلَاذِيَهُولِن" وهو أجمل أقسام المدينة وانظّمها وبه الشوارع التسعة والميادين الفسيحة والمحطة المركزية التي نزلنا بها والفنادق المعتمدة

الثالث قسم "أُوسْتَرْمَلَم" وهو شرقي القسم الثاني ومثابه له في الانتظام واتساع الشوارع

الرابع قسم "كُونْجِنْسَهَلَم" وهو غربي القسم الثاني وفيه كثير من المعامل والمصانع والمستشفيات

الخامس قسم "سُودِرْمَلَم" أي الناحية الجنوبية فإنه جنوبي البحيرة والمدينة وهو أكبر الأقسام اتساعاً وإن كان أقل أهمية من باقي الأقسام

السادس قسم "سَالْسِيُو إِرْنِه" أي قسم جزر البحيرة الملحّة ويشتمل على جزر "سِكِيْسَهَلْمِن" و"كَسْتَهَلْمِن" و"دِيُورْجَارْدِسْتَادِن" ويتصل بها جزيرة "بَكْهَلْمِن"

وأقسام المدينة يتوصل من بعضها إلى بعض بكوبريات أهمها الكوبرية المعروف بكوبري القناطر وهو يوصل من قسم "سْتَادِن" إلى قسم "سُودِرْمَلَم" ثم كوبري "نُوزْبُرُو" أي القنطرة الشمالية وهو يوصل من قسم ستادن المذكور إلى قسم نورملم ثم كوبري "أُوزَا" وهو يوصل بين هذين القسمين أيضاً من جهة أخرى

ولنتكلم على هذه الأقسام مبتدئين بقسم "سْتَادِن" ثم نأتي بعده على أقسام

الشمال الثلاثة ثم قسم الجنوب ثم قسم جزر البحيرة المحلة
(قسم ستادين) يتوصل الى هذا القسم من كان بالاقسام الشمالية التي بها
الفندق الذي نزلنا فيه بواسطة الكوبري المسمى "نوزبرو" الممتد على أحد محال
انصباب بحيرة "ميلار" بخليج "سَلَسِيُون" وهو مبني من الحجر الصوان فوق
عمد منه به سبع قناطر مشغولة جهته الغربية بدكاكين يُباع فيها كثير من الاشياء
وجهته الشرقية بحديقة ويقصده الناس فيرون أحسن مناظر استكمل حركة وتجارة
وظرفاً ونضارة

وبالجهة الشرقية من هذا القسم رصيف مبني بالحجر الصوان في غاية العظم
والمثانة ترسو عليه المراكب التجارية

وتجاه هذا الكوبري القصر الملوكي في الزاوية البحرية الشرقية من الجزيرة على
مرتفع من الصخر وقد ابتدئ في بئائه سنة ١٦٩٧ ولم يتم الا في سنة ١٧٥٣ بعد
ان تعطل العمل فيه زمناً لمناسبة بعض الحروب ويشتمل على طبقة أرضية وعلى
ثلاث طبقات أعلى منها وشكله مستطيل طوله ١٢٣ متراً وعرضه ١١٦ متراً
في وسطه رجة متسعة مربعة تقريباً وسقفه غير محدبة فلا تظهر للرأي من الخارج
ولو جهته الشمالية والجنوبية جناحان طالت بهما هاتان الوجهتان حتى قارب
طولها بسبب هذين الجناحين ضعف الأصل ويصعد الى وجهة هذا القصر
الشمالية من جهة الكوبري بمنحدر متقن الصنع يسمى "مطلع الأسدين" نظراً
الى صورتى أسدين مجسمتين موضوعتين في أول هذا المطلع من صنع أحسن
المصوتين الوطنيين وللقصر مدخلان غير هذا أحدهما من جهة الغرب وهو مدخله
الأصلي والثاني من جهة الجنوب

وأحسن محلاته "قاعات المواسم والاحتفالات" وهي في الطبقة الثانية منه
فمنها قاعة "ضباط الحرس" منقوشة بأحسن النقوش وصور الأسلحة المختلفة ومنها
"قاعة الرقص والموسيقى" "قاعة الاستقبال" "القاعة الحمراء" وسقوف جميعها
وجدرانها فيها رسوم وقائع تاريخية متعلقة بالبلاد ومنها "القاعة الكبيرة" وطولها ٤٨
متراً وعرضها سبعة أمتار "قاعة الاحتفالات" وطولها ٤١ متراً وعرضها ٣٥ متراً
وهما منقوشتان بأحسن النقوش والصور ويكثر فيهما التذهيب والزخرفة

وفي الطبقة الأولى "قاعة سيرافين" نسبة الى أرقى النياشين السويدية
وأعلامها (وهي التي قدم واحداً منها في ١٩ ابريل سنة ١٨٩١ الموافق ١٠ رمضان
سنة ١٣٠٨ صاحب المقام السامي ولي عهد الحكومة السويدية وهو بمصر الى
المغفور له الجناب العالي الحديوي محمد توفيق الأول) وفي هذه الطبقة ايضاً قاعة
"المجالس الشورية" وهي التي يفتتح فيها الملك المجالس المذكورة ثم "قاعات
سكنى الملك اسكار الثاني المظّم" و"بجوارها" قاعات سكنى الملكة قريبتة" وفيها
ايضاً من الجهة الشرقية محلات سكن صاحب المقام السامي ولي العهد وقاعات
سكن حرمه المحترم وبجنوب رحبة السراي كنيسة القصر

وتجاه وجهه القصر الجنوبية ميدان واصل الى البحيرة بانحدار أُقيمت فيه
مسلة ارتفاعها ثلاثون متراً تذكراً للوفاء الذي لقيه الملك غوستاو الثالث من
اهالي استكهلم في حروب فنلاند من ١٧٨٨ الى ١٧٩٠ حين انحراف أشرفها عنه
وانتصارهم لأعدائه وقد أقام هؤلاء الأهالي للمكرم هذا في مقابلة ذلك تنالاً
مجسماً على الميناء

وغربي هذا الميدان "الكنيسة الكبيرة" - انشئت سنة ١٢٦٤ - وتحتوي

على نقوش نفيسة وأعمال بديعة بالفضة والعاج والأبنوس وعلى شمعدان ذي
سبعة فروع من النحاس أهدها إليها بعض الملوك في القرن الرابع عشر ولوحتين
كبيرتين من الرسم تمثل إحداهما يوم الحشر والحساب
فإذا مشى الانسان من هذا الميدان قليلاً وصل الى "الميدان الكبير" وهو
واقع في منتصف هذا القسم وأعلى محل فيه وبأحدى جوانبه محل البورصة وقد
بنيت من سنة ١٧٦٧ الى سنة ١٧٧٦

وقد حصلت في هذا الميدان حوادث كثيرة سفكت فيها الدماء وقتل في
أحداها الملك "مانوس لادولاس" سنة ١٨٢٠ ثلاثة من عائلته وأبشعها الحادثة
الشهيرة "بجمام الدم" فان كرستيان الثاني ملك الدانمارك قتل فيها في يومي ١٠
و ١١ نوفمبر سنة ١٥٢٠ خلقاً لا تحصى طمعاً في تثبيت سلطته على بلاد السويد
ولكن ما لبث ان حبط سعيه وزال ملكه عن هذه البلاد وخلف غستاو وازا
ملكها من يده سنة ١٥٢٣ لنفسه ولعائلته بعده

وفي الجهة الغربية الشمالية من هذا القسم "ميدان ريذارهوست" قائم به
تمثال غوستاو وازا مخلص هذه البلاد من أيدي الدانماركيين أقامه له الأشراف
عام ١٧٧٣ المئتين وخمسين عاماً من حين تخليصه البلاد من الدانماركيين
وعلى هذا الميدان "سراي ريذارهوست" المعروفة أيضاً بسراي الأشراف
— بنيت من سنة ١٦٤٨ الى سنة ١٦٧٠ — وفي الطبقة العليا منها قاعة الأشراف
كان يجتمع فيها مجلسهم النيابي الى سنة ١٨٦٦ محلي جميع جوانبها بشعائهم وفي
الطبقة الأرضية قاعة كبيرة مثلها فيها صور الماريشالات الذين كانوا من أعضاء
المجلس النيابي من سنة ١٦٢٧ الى سنة ١٨٦٥

وهذه السراي هي التي تخصصت بمقد جلسات المؤتمر فيها عام حضورنا به
وسياتي تمام الكلام عليها عند ذكر انعقاد المؤتمر وتجمعاته

وفي منتهى هذا الميدان كوبري يوصل الى جزيرة "ريدآز هلم" الصغيرة
واشهر ما بهذه الجزيرة كنيسة ريدآز هلم ولها برج عال يبلغ ارتفاعه تسعين
متراً وقد جعلت منذ زمن مقبرة للملوك السويد وعظماهم ومجدرانها نقوش شعائر
الذين حازوا نياشين "سيرافين" من اهل هذه الديار في حياتهم

وبها ايضاً سراي المجالس النيابية وسراي المجلس العالي السويدي فاذا جاوز
الانسان هذه الجزيرة الى الكوبري الممتد منها الى جهة الشمال وتعداه وجد جزيرة
صغيرة أعدت بها مدرسة لتعليم السباحة من طرف البلدية منذ عهد قريب سياتي
الكلام عليها في فصل مخصوص

(الأقسام الشمالية) وهي ثلاثة كما تقدم قسم الشمال الوسطي وشرقيته وغربيته
ولنبداً الكلام فيها بالفندق الذي نزلناه بانقسم الوسطي

وهو على رصيف متسع تجاه القصر الملوكي يفصل بينهما قسم من البحيرة
الملحة بناه رجل فرنساوي اسمه كاذبيه بترغيب الملك له وتشجيعه عليه وقد
اعتنى في تشييده كل الاعتناء فجاء ماثلاً لآ حاسن فنادق أوروبا المدودة من
الدرجة الأولى وسماه "جراند اوتيل" وجعله ذا خمس طبقات بعد الطبقة
الأرضية ويشتمل على مائتين وخمسين حجرة وعلى نحو عشر صالونات للمسافرين
الأعظم وخمس للأكل والمجتمعات والمواسم والولائم يسع الواحد من هذه نحو
مائتي نفس وفيه كثير من المُرقيات ومحلات المطالعة والاستراحة وحمامات
متعددة ومحل قهوة ومحل للجرائد من سائر جهات العالم وبه الحلاقون كل ذلك

بغاية الزخرفة فالصالونات المخصصة بعطاء المسافرين والعمومية مزينة مذهبة مفروشة بأبهى الفرش وأغلاها وأبهج البسط وأعلاها وجميع محلاته مروقة متقنة الطلاء فكأنما هو قصر ملوكي وقد صرف عليه منشئه مبالغ طائلة فقد بلغت مصاريف البناء والفرش واللوازم ثلاثة ملايين من الكورونات وبلغت أثاث أدوات المائدة وما يتعلق بها مليونين فبلغ الجميع خمسة ملايين فإن قيل إن في الرواية بعض غلو قلنا انه ليس بعجيب ان يُصرف هذا المبلغ في شؤون محل وشراء أرضه وإنشائه معدّ لان يسع القدر الوافر جداً من الناس مع ما يلزم لهم من الاستعدادات مستضاء جميعه بأنوار الغاز ووجهته قد وُضعت فيها المواسير من سائر جهاتها من الأسفل الى الأعلى لتستضاء بها متى استلزم الحال ذلك فتصيرها كرابعة النهار وتسطع على ما جاورها من البحور والأبهار مستعديّة لنزول الملوك والامراء والعظماء واتقان صنعه والاعتناء بشأه وكثرة خدمه وجعله في أحسن موضع من المدينة تضاهي هيئته في الحسن والجمال هيئة القصر الملوكي القائم أمامه بل تزيد لولا ما يتصوره الخيال في ذلك القصر من الأبهة والجلال وإذا مشى الانسان على الرصيف المذكور متجهاً نحو الغرب مر بمنزله على البحيرة معروف "بجديقة السلطان" في قسمه الذي من جهة الميناء صورة كارلوس لثاني عشر مجسمة وفي قسمه الآخر صورة كارلوس الثالث عشر وهو أحب ملوك لسويديين اليهم وبوسطه فسقية عظيمة

وإذا تخطى هذا المنزه وسار قليلاً على الرصيف وصل الى "ميدان غستاو أدلف" وهو أمام القنطرة الشمالية التي سبق ذكرها وسمي بذلك نسبة الى الملك ستاو أدلف لقيام تمثاله فيه سنة ١٧٩٦ ويجتمع بهذا الميدان في اليوم السادس

من شهر نوفمبر كل سنة الذي هو يوم وفاته جموع كثيرة يشدون الأناشيد الوطنية ومنها نشيده الذي ألفه أيام حرب له مشهور

وعلى يمين هذا الميدان قصر يعرف "بقصر ولي العهد" وقد بني من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٧٩٣ وعلى شماله فندق ريدربرج وهو لصاحب الفندق الذي نزلنا به أيضاً معدود من أحسن فنادق البلدة وعلى يمينه التياتر الكبير بناء الملك غستاو الثالث من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٨٢ وكان محباً للأدب وأعماله معتنياً بشأنه محط رجال الادباء والشعراء والعظماء ومطعم انظار المشتغلين بفن الموسيقى والانشيد فتقدمت في زمنه الادبيات السويدية تقدماً عظيماً

ويتفرع من ميدان غوستاوا دلف هذا طريق "فريد سنجاتن" ومعناه طريق الصلح وهو كثير الحركة توجد به اكاديمية الفنون المستظرفة ومحل البوستان العمومي

ويتفرع من الميدان والطريق المذكورين كبار طرق استكمل واكثرها اتساعاً ونظاماً اخضا "دروتنجاتن" طريق الملكة "وريجر نيججاتن" طريق نائب الملكة

وعلى طريق الملكة هذا بعد مجاوزة أوله ببعض دقائق "المتحف الشمالي" والمقصود منه معرفة احوال الشعوب في الشمال من سويديين ونورويجيين وعواندهم وطبائعهم كيف كانت في الأزمان الغابرة وكيف كانت فيها ملاسهم وآلات زراعتهم وصناعاتهم وأسلحتهم وهو وإن كان حديث الانشاء لأنه انشئ في سنة ١٨٧٣ لكنه اجتمع فيه من الاشياء ما لم يتيسر بغيره في أزمان طويلة وهو كل يوم مع ذلك في ازدياد حتى إنه زيد على محلاته الأولى أماكن أخر كثيرة

ويحتوي هذا المتحف على كثير من القاءات رُصت فيها الاشياء بحسب كل صنف من الملابس والأدوات والآلات والأسلحة والفروشات كل مع مثله وبحسب التواريخ حيث رُوعي في ترتيبها أن يكون الشيء مع معاصره في التاريخ وبحسب البلد والإقليم ففُصِّلَت فيه الاشياء المتعلقة ببلد أو إقليم عن غيرها فباله من متحف بديع جمع فأوعى وباله من منبى يخبر الانسان من أهل هذه البلاد كيف كان أهلُه يصنعون في الأزمان الحالية وكيف كانوا يتعيشون وكيف كانوا يلبسون وكيف ترقى بهم الحال الى ما وصلوا اليه في المآل ولا شك انه اذا قارن الحال بالماضي يظهر له الفرق ويعجبه حاله وَيَنعَمُ بالله ولكنهُ وقد علم ان الجد في السبي واسطة النجاح يجتهد في العمل الى بلوغ الأمل ويَحْتِثُ نفسه على الاستمرار في التقدم الى الأمام حتى ينال من السعادة أوفاهها ومن الثروة أفصاها ومن المعيشة أهنأها ومن الأمانى أرقاها

وعلى هذا الطريق ايضاً سراي أكاديمية العلوم وقد تأسست سنة ١٧٤١ وكان اول رئيس لها دة لينة النباقي الشهير وعدد اعضائها الآن ١٧٥ عضواً منهم ١٠٠ سويديون ونرويجيون

وبتتبي هذا الطريق بحمل الرصدخانة وهو على مرتفع يرى الرائي منه أحسن المناظر

وبهذه الجهات البستان الشهير باسم "همل جبرذن" انشئ في القرن السابع عشر ويحتوي على كثير من الاشجار اللطيفة

وفي القسم الجنوبي من هذا البستان "الكتبخانة الاهلية" وقد بُنيت من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٦ وتحتوي على أكثر من مائتي الف مجلد منها ثمانية آلاف

يخيط اليد وفي هذه كثير من الفرائب والكتب النادرة منها نسخة تورا باللاتينية
عليها هواش بخط لوتير صاحب مذهب البروتستانت المشهور

هذا وبشرقي الفندق الذي نزلنا به "تسيونال موزيت" — المتحف
الأهلي — وقد بني من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٦٥ وهونالا مرتفع منقن له وجهة
عالية يشتمل على طبقة أرضية بها "المتحف التاريخي" "ومتحف الميداليات"
وعلى طبقة أعلى منها بها "متحف الصناعات" "ومتحف الصور المجسمة" وعلى
طبقة ثانية بها "متحف الرسومات والتصاوير"

وأول ما يستوقف النظر بالطبقة الأرضية ثلاث صور مجسمة كبيرة في
الدعبلز تمثل معبودات اهل الشمال الثلاثة في الأزمان القديمة وهي "أودين"
و"تور" و"فريز"

ومجموعة "المتحف التاريخي" ابتدئ في جمعها في القرن السابع عشر ولكنها
ريدت كثيراً في هذه الايام بهمة السيوهلدبراند رئيس المتحف الملوكي وهو
الذي ذكرنا إعلان انتظاره لأعضاء المؤتمر بغير مألوم عند وصولنا اليه وتشتمل
هذه المجموعة على جميع الآثار العتيقة التي عثر عليها بالسويد من الأسلحة وأدوات
المهرجان والزينة والأدوات المنزلية وهي من أجمع المجموعات التي من هذا القبيل
ويحتوي "متحف مصنوعات الفخار والصيني" على ٤٥٠٠ مصنوع من
صنيع أشهر الصانع في سائر الأمكنة والبلدان كالصين والهند واليابان والبندقية
وفرنسا والنمسا والروسيا والمانيا الى غير ذلك من البلاد على اختلاف الأزمان
ويشتمل متحف الصور المجسمة من الحجر والبرونز او غيرها من المعادن
على عجائب الفرائب

و"متحف الرسومات والتصاوير" به أكثر من ١٣٠٠ لوحة من صنع أعظم الرسّامين من بلاد السويد وغيرها قديمهم وحديثهم

هذا وفي الرحلة التي أمام المتحف صورة شخصين مجسمة من البرونز تمثل "المبارزة بالسكين" جديرة بأن يُفرج عليها وهي تعبر عن شخصين يتبارزان بالسكين على الطريقة التي كانت متبعة عند الأمم الاسكندنافية من أهل هذه البلاد قديماً وذلك أن يربط المتخاصمان برباط من الجلد بحيث يكون صدر كل منهما لصدر خصمه وتعطي لكل منهما سكين قصيرة يمسكها بيده اليمنى ويضرب بها خصمه كيف شاء حتى ينتهي الحال بموت أحدهما لا محالة أو بموت كليّ منها وقد رُسمت على جوانب القاعدة التي جعلت عليها صورة المتخاصمين صوراً ثالثة في الحجر رمزاً الى سبب المبارزة وما يترتب عليها تمثل واحدة منها السكر فإنه يذهب العقل وواحدة الفيرة المتسببة عن الحب وواحدة حزن امرأة القتيل وأهله

(قسم الجنوب) - وموقعه بالأرض القارة من جنوب جزيرة ستادن يتصل منها اليه بكوبرين من الحديد قائمين على ملتقى بحيرة ميلار بالبحيرة الملحة ويمتاز عن غيره من أقسام المدينة بارتفاع سككه بمناسبة علو أرضه عن باقي المدينة حتى إنه يصعد من شاطئ البحيرة اليه بالتدريج مسافة

ولا جُل ان يسهل الصعود اليه انشأوا عام ١٨٨٣ برجاً من الحديد "هيسن" على شاطئ البحيرة ارتفاعه مساوٍ لارتفاع أرض القسم عن الشاطئ جعلوا بدخله مرفقاً يتحرك بالبخار يوصل الى سطح البرج في نصف دقيقة بأجرة قد هاه أوز^(١) في الصعود وثلاثة في الهبوط فيجد الانسان به محلاً للأكل

(١) الاور هو جزء من عشرين من الكورون

والراحة ان أراد ويتوصل من هذا السطح بكوبري من الحديد امتداده ١٥٠
متراً الى مستوى القسم بميدان "مُوزِيَاكِيَّة" وهو أكبر ميادينِه بأحد جَوَانِبِه
مدخل حديقة "مُوزِيَاكِيَّة" وهي محل تنزه وتفرج مشهور

وقد صحبنا الى هذا القسم صاعدين بهذا المُرْفِي صاحبنا المسيو هيدن في
يوم من الأيام وتفرجنا بدلالته على هذه الحديقة الفناء

وهو شاب من اهل السويد يبلغُ عمرهُ نحو خمس وعشرين سنة أحب
السياحة في بلاد المشرق ورغب في اهلها حتى ساح في بلاد الهند وتركستان والبصرة
وبغداد وغيرها من بلاد آسيا الوسطى مع ما في السياحة في هذه البلاد من
الصعوبة والمشقة وكب رحلة في سياحاته وتعلم في أثناء أسفاره لغة الترك
الأصلية التي يتكلم بها اهل أذربيجان وغيرها من هذه البلاد القاصية وهي غير
محملة بما دخل في اللغة العثمانية الحديثة من الألفاظ العربية والفارسية وغيرها حتى
إنه ينطق بها كما ينطق أصحابها من التفخيم والمهيئة وقد تعرف بنا منذ حضورنا الى
استكم بمنااسبة عضويته في المؤتمر فكان من ضمن من يفرجنا على المدينة وضواحيها
أوقات الفراغ من أعمال المؤتمر واجتماعاته الرسمية وغير الرسمية مع اللطف وكمال
الانسانية احتفالاً بشأننا لاسيما مع حبه للشرقين وولوعه بمعرفة لغاتهم وآدابهم
وقد كان يحتفل بنا سواء أفاضلُ اعضاء هذا المؤتمر وأعاضهم كما اشرنا الى ذلك
آنفاً وسيجيء له بعض تفصيل

وقد رأينا ونحن بسطح البرج وبمجدبة موزيائية المذكورة مناظر استكم
وضواحيها وأرباضها على هيئة لانساها للطفها وبهجتها وحسن رونقها وكانت
البحيرة الملحة "سَالْسِيُون" يمتد منا والبحيرة العذبة "ميلار" يسرة فكنا نبتج

بمرآها وما فيها من الجزر الكبيرة والصغيرة والسفن البخارية والشرعية كذلك ما بين سفن راسية ووابورات صغيرة تنقل الركاب والاشياء من طرف الى آخر ومن جهة الى غيرها من جهات المدينة وضواحيها مما تحار منه العقول وتنبر منه النواظر ويشهد لأهل هذه العاصمة بعلوم المهمة وحسن القيام بمهام السعي في أمر المعاش واكتساب الثروة والغنى

وبمناسبة ذكر النقل بهذه السفن نتعرض الى ذكر وسائل النقل بهذه المدينة وهي العربات على اختلاف اصنافها فتسير في المدينة وضواحيها بالخيال او البخار ودفع اجرة الراكب فيها مما يستغرب ويتعجب منه فإنها اما ان يكون له موظف لاستلام الاجرة فيتقدم امام الراكب ويقدم اليه صندوقاً بيده مغلقاً مثقوباً من أعلاه بقدر ما يسع قطع النقود فيضع الراكب أجرته بالصندوق في ذلك الثقب من غير مراقبة عليه واما ان لا يكون له موظف لذلك فهذه موضوع بجانب بابها صندوق مغلق مثقوب كالاول فيضع الراكب أجرته به بدون مطالبة ولا مراقبة واذا اراد صرف نقد لدفع الأجرة منه أعطاه للموظف او السائق حسب الحالتين المذكورتين فيعطيه ما صرفه به من النقود جميعها في ورقة محتومة فيفضها الراكب ويضع منها الأجرة بالصندوق بنفسه وعلى كل حال كان يمكنه أن لا يضع شيئاً او يضع أقل من الأجرة حيث لا رقيب عليه ولكن المروءة وعلوم المهمة وشرف النفس تمنعه من الخيانة وهذا نظير ما ذكرناه فيما سبق يا حدى الهطات في الطريق من أمر ترك الطعام لمن يأكل بدون مراقبة عليه مع دفع ثمن ما أكل او شرب بحسب إخباره صاحب الطعام فيا عجباً لأمانة اهل هذه البلاد واثمانهم

ومن وسائل النقل أيضاً الوابورات فمنها المخصصة بالنقل في داخل المدينة

من شمالها الى جنوبها ومنها الى الجزر وبالعكس كل هذه الصغيرة ومنها المخصصة بالنقل من المدينة الى ضواحيها على شواطئ البحيرة العذبة او البحيرة الملحة وهذه كبيرة بالنسبة الى الأولى ومنها المخصصة بالنقل الى سواحل المملكة وغيرها من البلاد الأجنبية وهي اكبر من الأولى وإن اختلفت في نوعها كبراً او صغراً حسب المزوم

(قسم جزر البحيرة الملحة) ويشتمل على جزيرة "سكيسنهلين" وأهم ما بها دار للعساكر الطوبجية وهي بناء مشيد يحيط به اربعة بروج ومدرسة للحرية وقد وضع امامها حجر تذكاراً للارسالية التي اجتاز بها العالم الشهير "البروفسور نور دنشلد" من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٨٠ البحر المتجمد الشمالي في السفينة المسماة "ويجا" وعلى جزيرة "كستلهلين" وتصل بالسابقة بكوبري من الخشب وتُقصَد بالتنزه لجمال مناظرها وما جاورها

وعلى قسم "ديور جيردن ستادين" من جزيرة "ديور جيردن" في جهة الغرب منها وهو جزء المدينة الذي لم يزل باقياً على بناءه بالأخشاب وعلى جزيرة "بكلين" وهي جزيرة صغيرة بالقرب من هذا الجزء بها معامل كثيرة لصنع القطران

هذا وسكان هذه العاصمة لم ميل كبير الى اكتساب العلوم والمعارف وقد شيدوا كثيراً من المكاتب والمدارس وسعوا في تأليف جملة جمعيات علمية منها جمعية المعارف وجمعية الفنون المستظرفة واكاديمية الثانية عشر السويدية الشهيرة التي من ضمن اعضائها صاحبنا الفاضل البروفسور تينز الذي تقدم ذكره مقابلتنا به بالسكة الحديد ومنها مدارس للمعارف والطب والمساحة والتجارة والتصوير حتى

على ذكر بعض فقرات من هذا البروجرام حسب اللزوم
فوجدنا عمل السكرتارية هذا قاعة متسعة جداً فيها كثير من الكتب
وبعض أعضاء المؤتمر الذين سبقونا فقابلونا جميعاً بالترحيب والاحتفاء وعرفنا بهم
أول من تعرف بنا من كتبة السر وهو رجل لطيف الأخلاق يعرف العربية
وأرانا ثلاثة دفاتر للكتابة فيها

أولها دفتر الاسماء فكتب كل منا فيه اسمه وبلده ومحل اقامته باستكمالهم
وثانيها دفتر قيد الكتب التي تقدم لسمو الملك اسكار الثاني بمناسبة انعقاد
هذا المؤتمر من المؤلفات الجديدة وغيرها طبقاً للوجه الحادي عشر من البروجرام
وقد كنت أحضرت معي نسخة من كتابي "جغرافية مصر" الذي ألفته سنة ١٨٧٩
لأهدائه لسمو الملك فوجدت حضرة الكونت ده لاندبرج أهدى عني نسخة منه
كنت أهديتها اليه قبل مبارحته مصر فأهديت اليه النسخة التي كنت أرغب
تقديمها بدل ما أهدى عني وشكرته على ذلك^(١)

(١) وقد ورد لي بعد من جناب رئيس سكرتارية سمو الملك كتاب بتاريخ
٧ سبتمبر سنة ١٨٨٩ ملعن بقبول سموه لمؤلفي المذكور ونشكرو لي على اهدائهم وهذا تعريبه
"سيدي

"انه بناء على امر جلالة الملك أنشرف باحاطة جنابكم علماً بوصول مؤلفكم الذي
تنضلم باهدائهم الى جنابه الملوكي بصفة كونهم حامي حتى مؤتمر المستشرقين الثامن الدولي
ورئيس شرف له وقد كلفت من حضرتهم النخبة باطلاعكم جزيل محبتهم ومزيد مسرتهم من
نلك الهدية النفيسة التي قدمتموها الى سدتهم العلية وحضرتهم الملوكية

وتنصلوا يا سيدي بقبول فاتق احترامي واكيد اعتباري لحضرتكم
الامضا
رئيس سكرتارية
جلالة الملك
ده سنسج

ثالثها دفتر لبيان المواضيع التي يُريد عرضها الاعضاء على المؤتمر ليكون لم
حق التقدم في العرض على من كتب بعدهم ما عزم على عرضه
فكتب سيدي الوالد كتابه المسمى "بجمالة البيان في شرح ديوان حسّان"
وكتابته المسمى "الكلام على حال التعليم الجاري الآن بمصر في المكاتب والمدارس
والجامع الأزهر"

وكتبت رسالتي المعنونة "نبذة في إبطال رأي القائلين بتعويض اللغة
العربية الصحيحة باللغة العامية في الكتب والكتابة"
وكتب حضرة الشيخ حمزة فتح الله رسالته المسماة "ياكورة الكلام على النساء
في الإسلام"

وكتب حضرة محمود افندي عمر كتابه المسمى "أمثال المتكلمين من
عوام المصريين"

وبعد المحادثة والمؤانسة مع من لقينا من الأعضاء وغيرهم والتفرج على محال
السراي ومعرفة المعد فيها لافتتاح المؤتمر وجلساته العمومية قصدنا العودة الى
الفندق فقابلنا حضرة الكونت دة لاندرج وأخبرنا أن سمو الملك سيشرّف محل
السكرتارية بسراي المؤتمر في هذا اليوم الساعة ٣ بعد الظهر ويرغب ان يتعرّف بنا
بهذه المناسبة قبل مقابلتنا المقابلة الرسمية في اليوم التالي وطلب منا حضرة بناء
على ذلك ان نكون بمحل المؤتمر في الساعة التي عينها لنحظى بشرف التعرف بسمو
ملك تلك البلاد فانصرفنا الى الفندق على ان نتغدى ونستريح ونعود قبل الوقت
الذي تعين



﴿ أَوَّلُ مُقَابَلَةِ سَمُو الْمَلِكِ الْمُقَابَلَةِ الْغَيْرِ الرَّسْمِيَّةِ ﴾

قصدا سراي المؤتمر قبل الوقت المعين للمقابلة فوجدنا بها حضرة الكونت دهلاندبرج فأعاد نفرجنا على القاعة المعدة لافتتاح المؤتمر وانعقاد جلساته العمومية وهي مستطيلة مرتفعة السقف جدرانها ملأى بشعائر الامراء السويديين رَسَمًا عليها تسع نحو ستمائة نفس يُدخل اليها من باب في وسطها وفي صدرها مرتفع بنحو أربع درجات يتوسطه سرير الملك وعن يمينه ويساره ومن خلفه كراسي معدة لأعضاء عائلته ووزراء حكومته وسفراء الدول لدى عظمتهم وأمامهم ترائيزة كبيرة عليها ما وسعته من الكتب التي قُدِّمَت اليه بمناسبة المؤتمر وبجانبيها الأيمن ملاصقة كرسياً رئيس المؤتمر وكاتب اسراره وبالأبعد عنها يميناً ويساراً كراسي قليلة أخبرنا حضرة الكونت ان التي على اليمين منها خصصت لمجلس وفد جلالة الخليفة الأعظم ووفد العجم وان التي على اليسار منها خصصت لمجلس الوفد المصري

وبلي هذا المرتفع من جهة اليسار مرتفع اقل منه علواً منفصل عنه وعن باقي القاعة مما يليه بحاجز خصص هذا بمندوبي الحكومات الرسميين لدى المؤتمر ومندوبي بعض المدارس الجامعة

وما عدا هذين المرتفعين من القاعة يجلس به باقي أعضاء المؤتمر وقد خصص بالنساء فيها محل مرتفع يشرف على الجالسين ويصعدُ اليه بسلم من خارجها يسمي نحو مائة وخمسين

وقد أعطى حضرة الكونت كل واحدٍ منا علامة العضوية في المؤتمر وهي

شبه وردة من قماش لأمع ملوثة بالالوان التي في علمي السويد والنرويج مثبتة في زري يجعل في عروة السترة فوضع كل مناعلامته في الموضع المعد لها ثم نزلنا الى قاعة السكرتارية فوجدنا بها كثيراً من الأعضاء مشغولين بكتابة اسماءهم وما يريدون من الاستعلامات وغيرها ووقع بصرنا على واحد من بين الحاضرين لابس طربوشاً طويل القامة كامل الجسم كث اللحية اسودها رحب الصدر عظيم الوجه فأحدنا نحوه النظر فرأيناه محققاً نظره اليانا كذلك فاذا بنا كأن قوة جذبنا اليه وجذبتنا اليانا فتسارع كل منا الى الآخر وتصافحنا تصافح احباب طالت غيبة بعضهم عن بعض وقد تفرس فينا اننا مندوبو مصر وتفرسنا فيه لميتيه أنه مندوب جلالة سلطاننا المعظم وعرف كل منا صاحبه واذا هو العالم الفاضل المحرر الشهير صاحب السعادة احمد مدحت افندي رئيس تحرير جريدة "ترجمان حقيقت" وصاحب التأليف المشهورة فأعدنا المصافحة وأخذنا باطراف الأحاديث بيننا وكنا متجهين الى باب القاعة واذا بداخل طويل القامة ذي لحية كثيرة الشيب حسن الطلعة تلوح عليه سيمي المية والوقار لابس البسة ملكية بإحدى يديه عصا وبالأخرى قبعة ورائه رجال لابسون ملابس ملكية ايضاً ففهمنا من احتفال القوم به أنه الملك اسكار الثاني قد حضر كما اخبرنا حضرة الكونت وكان يصافح باليد بعض من بمره فلما انتهى اليانا وكان صاحب العطفوة مدحت افندي أولنا من جهته قدمه لسموه حضرة الكونت فصافحه باليد ومنحه تلفاته العالية والتهنئات السامية ثم قدمنا الكونت الى سموه يقدمنا سيدي الوالد فصافحه واخذ يخاطبه ممسكاً بيده طول المخاطبة مسافة طويلة سأل في اثناها عن صيغة الجنب العالي

الخدوي الانغم قائلاً كلما ذكره "مُونْ أُمِّي لُو كِيدِيُو" اي حبيبي الخديوي
وفي خلال محادثه لسيدي الوالد صافحني بيده الاخرى وطلب مني ان اكون
ترجمانه لسيدي الوالد وان أعيد الاستفسار منه عن صحة مولانا الخديوي ووضح
تشكره على ارسال الوفد المصري ومزيد سروره من جعل سيدي الوالد رئيسه
فشكره سيدي الوالد على التفاته وتعطفاته وبلغه من مولانا الخديوي تسليماته
وتحياته فافهمته ما قال فتلقاه بمزيد البشر كل ذلك بغاية البشاشة وكمال الملاطفة
وحسن الرعاية حتى إنه كان يستفسر من سيدي عن حال رحلته وبنزله
للاستفهام عن حالته واختتم حديثه بأنه سيقابلنا في الغد لمقابلة الرسمية وودّعنا
قائلاً "أورؤوفوار" اي ان شاء الله نتلاقى وصافح بعدنا رفيقنا حضرة الشيخ حمزه
فتح الله وحضرة محمود افندي عمر ثم خرج وما لبثنا ان خرجنا بعده
اما سيدي الوالد فتوجه مع حضرة الكونت لمقابلة جناب ناظر الخارجية
وهو رئيس مجلس الوزراء ثم عادا الى الفندق فأسرع جناب ذلك الرئيس برد
الزيارة اليه به

واما انا فخرجت للتفرج في انحاء المدينة مع أحد من تعرفت بهم اليوم من
العلماء المستشرقين ولما قرب الغروب عدت الى الفندق فأخبرني سيدي بزيارة
رئيس الوزراء وبما لقي منه من لطف السجايا ولين الجانب وكمال الاعتبار ولا
يُستغرب ذلك من أهل هذه البلاد حسب ما رأيته من الاحتفال والبشاشة
والتكريم والتعظيم لشأننا من جميعهم خصوصاً ما رأيته من سمو ملكهم الجليل
من الملاطفة والتعطف والالتفات في مقابلته لنا هذا اليوم
ثم جاء وقت العشاء فخرجنا الى قاعة المائدة فوجدنا بها محلاً معداً لنا

فجلسنا فيه ومعنا باقي وفدنا وجلس معنا فيه حضرة الفاضل مدحت افندي وحضرة الكونت واثنان من أفاضل العلماء المستشرقين عرفنا بهما حضرة الكونت الموما اليه وهما حضرة البروفسور جلدتسيير الأستاذ بمدرسة بودابست الجامعة في عاصمة هكاريان كما هو واحد أعضاء أكاديمية العلوم الهنكارية وحضرة البروفسور أوجست مولر معلم الألسنة المشرقية بدار المعارف بكونكسبرج من أعمال المانيا

اما الاول منها وهو البروفسور جلدتسيير فإنه يحسن التكلم بالعربية وهو أفصح من رأياه يتكلم بها من العلماء المستشرقين ولا غرابة في ذلك فإنه أخبرنا أنه أخذ العلوم العربية عن علماء الجامع الازهري حتى تلقب بالازهري وعلى ما اظن انه أخبرنا ان من ضمن مشايخه بالازهر حضرة العلامة الفاضل الجيهذ الكامل الشيخ محمد الأشموني وهو مذهب الى الغاية حسن الاخلاق ربما لا يتجاوز سنه الاربعين على ما يظهر وهو متوسط القامة ذولحية بها بعض شعرات بيض واضع نظارة دائماً على عينيه معلقة في سلسلة من الذهب دقيقة وقد حضر بهذا المؤتمر مندوباً من قبل حكومة النمسا

واما الثاني اي البروفسور أوجست مولر فهو أسود اللحية واسع الجبهة ويظهر أنه يعادل الاول في السن ولكن لا يفصح بالعربية مثله إلا إنه يحسن كتابتها وقد كتب الي في ورقة زيارة تحت اسمه بالعربية ما لفظه "المعروف بابن الطحان" فلملح كان بمصر لتلقي العلوم العربية كصاحبه المتقدم الذكر فسي نفسه بابن الطحان ويمكن ان يكون هذا اللفظ ترجمة اسمه الحقيقي ثم هما متلازمان في الصعوبة لا يكاد أحدهما يفارق الآخر

فتجاذبنا مسافة الاكل كلها ومسافة بعدها مع هؤلاء الأفاضل أطراف الحديث في مواضع كثيرة حتى انجرَّ الكلام الى المقارنة بين المشرق والمغرب والشرقيين والغربيين وطال البحث في ذلك

هذا وكنا قرأنا في الجرائد ونحن بمصر ان حضرة الفاضل العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي تعيّن مع حضرة صاحب العطفة مدحت افندي مندوباً من قبل الجناب السلطاني فلما لنا به من سابق الصحبة وارتباط الالفه سألنا عنه حضرة الموما اليه فأفادنا أنه بارح دار الخلافة الى باريس في مأمورية وترك حضرة الشيخ بالاستانة وأنه يمكن ان يحضر هنا قريباً

ثم بعد ذلك انصرف كل منا الى محله وصرنا نتردد منذ هذا الوقت الى هؤلاء الأفاضل وهم يترددون الينا ونزورهم ويزوروننا حتى انتهاء المؤتمر



﴿ مقابلة الملك المقابلة الرسمية ﴾

لما كان الميعاد المحدد لهذه المقابلة الساعة الثانية بعد الظهر في يوم السبت ٣١ اغسطس سنة ٨٩ التالي ليوم قدومنا اجتمعنا قبله بقليل نحن ورفيقانا في الوفد بصالوننا في الفندق لا بسين ملابسنا الرسمية فحضر عندنا حضرة صاحب العطفة مدحت افندي ثم أتى حضرة الكونت ده لاندبرج وكانا لا بسين ملابسهما الرسمية ايضاً فاخبرنا حضرة الكونت بحضور عربات السراي الملوكة لتوصلنا اليها وهذه السراي وان كانت أمام الفندق لا يفصل بينها إلا الميناء كما ذكرناه في وصف مدينة استكهولم لكن يلزم للوصول من الفندق اليها الاتجاه الى جهة

اليمن مسافة الى أن يصل الانسان الى الكوبري الموصل الى جزيرة سنادرين ثم ينشئ بعد العبور عليه الى جهة اليسار حتى يصل الى مدخل هذه السراي فركب سيدي الوالد وحضرة مدحت افندي في صدر العربة الأولى وامامها الكونت ده لاندبرج وركب معي في العربة الثانية حضرة الشيخ حمزه ومحمود افندي عمر وسرنا جميعاً بين اناس مصطفين من الجانبين يزيد عددهم عن عشرة آلاف جميعهم يحميننا الرجال برفع القبة والنساء بإشارات التحيات مع إظهار البشاشة والبشر كل ذلك ورجال البوليس منتشرون بالطريق يحموننا ايضاً ونحن نرد تحيات الجميع بالإشارة حتى وصلنا الى السراي فقابلنا أولاً بعض الياوران ثم بعض رجال التشريفات ثم رئيس التشريفات في قاعة الاستقبال الكبرى وكلمهم بلباسهم الرسمي ونياسينهم وما منهم احداً قابلنا بالتعظيم والتكريم وبعد ان انتظرنا بعض دقائق بهذه القاعة أمام المحل الذي فيه الملك مستعداً لملاقاتنا (والسري في هذا الانتظار على ما يخاطر بالبال إفادة القادم مهلة الراحة وإزالة الدهشة حتى يكون اللقاء على أتم ما يكون من التأهب) اتى رئيس التشريفات واخبرنا بما كان اخبرنا به الكونت ده لاندبرج أولاً من ان سمو الملك سيقابل حضرة مدحت افندي على انفراده ثم يقابل الوفد المصري بعده فتوجه حضرة مدحت افندي معاً للمقابلة وبقينا ننتظر ورجال الحاشية الملوكية يؤانسونا حتى خرج مدحت افندي فدخلنا ومعنا الكونت ده لاندبرج فوجدنا جلالة الملك واقفاً مستعداً لمقابلتنا لباساً ملابساً الرسمي متعلماً بالنشان العثماني من الدرجة الأولى فصاغ السيد الوالد باليد وصاغنا كذلك فسلم اليه سيدي الوالد المحرر الخديوي الكريم المرسل برسم سموه وخاطبه بالخطاب الآتي نصه:

❖ مولاي ❖

” أقدم لجلال مقامك الرفيع الشأن تحايا التعظيم والإجلال والثناء الفائق من لدن مولاي خديومصر المعظم مؤيداً ذلك بتقديم محرر سموه المنطوي على خالص المودة المتضمن تعيني وتعيين رفاقي المائلين بين يدي عظمتكم للحضور في المؤتمر العمومي العلمي الذي توجهت خواطركم الملوكية الى انعقاده في هذه المملكة العامرة لما يترتب عليه من الفوائد المهمة لنشر العلم وتقدمه واتحاده باشتراك القريب والبعيد والشرقي والغربي فيه ولم يكن ذلك ليتأتى إلا بتوجيه همه الملوك اليه فلك يا مولاي الفضل الجزيل على ذلك المسعى الجميل وأختم قولي بتقديم واجبات تشكراتي لما نلت من لطف الرعاية الملوكية لاسيما في هذا الموقف النبيل لازال موقف إجلال ومتنى كال

فبعد ان ترجم حضرة الكونت الى جنبه العالي مقالة سيدي الوالد أجا ب سموه بما يفيد اظهار الامنونة والسروية من قدوم هذا الوفد المصري للحضور بمؤتمر المستشرقين من قبل حكومة الجنب العالي الخديوي متشكراً من ذلك الجنب العالي على اعتنائه بإرسال الوفد المصري وجعله تحت رياسة سيدي الوالد وعلى ما أهده من الكتب التي ارسلها الى سموه وقد قدم سيدي الوالد اليه فهرست هذه الكتب الهداة مكتوباً بخط أحسن خطاطي نظارة المعارف مشتملاً على اسماء الكتب وما ألفت فيه واسماء مؤلفيها وهي ١٤١ مجلداً من نفائس الكتب العربية في فنون شتى قد اعتني في تجليدها وتذهيبها وقد سبق ارسالها الى حضرة الكونت على يد قنصل السويد والنرويج بالاسكندرية كتمريفة لنا قبل سفره ثم أخبرنا عند قدومنا استكملم بوصولها اليه على التام

وبعد المكث معه هنيئةً كرر فيها سموه السؤال عن خال مولانا الخديوي
المُعظم وتَنَزَّل الى ملاطفتنا انصرفنا وقبولنا بمثل ما قبولنا به أولاً من الاحتفاء
والاحتفال وركبنا العربات الرسمية والجموع تحمينا الى ان وصلنا الفندق بمتدحين
سمو الملك شاكرين حسن تعطفاته مسرورين مما لاقيناه من حاشيته ممنونين مما حيتنا
به تلك الجموع في الذهاب والاياب

ولا غرابة في ذلك من هذا الملك العظيم المتأسي به حاشيته وأهل بلده اذ
الناس على دين ملوكهم فانه قد تربى في مهد الفضل وتغذى بلبان العرفان وصرف
نفيس عمره في تحصيل العلم حتى سما ذكره وارفع صيته بين الملوك وقد ولد
سنة ١٨٢٩ ومن حين جلس على أريكة الملك وهو مجتهد في تشييد أمر العلم
وانتشار المعارف يلاذه حتى صارت تباهي أحسن الممالك وأكبرها في التقدم والمعلومات
واشتهر بين العلماء بتأليفه وسابق المصنفين بتصانيفه والشعراء الوطنيين بأشعاره
وأناشيده حتى ترجمت مؤلفاته الى كثير من اللغات وتسارعت الجمعيات العلمية
والنوادي الأدبية الى اثباته في عداد أعضاء الشرف منها

ولا شك أن من كانت هذه أوصافه ومزاياه حسنت معاملاته وكرمت
أخلاقه واتجهت أفكاره الى نفع رعاياه وتوجهت رغباته الى جلب ما فيه الصالح
لبلاذه كما هو حال هذا الملك ولذا صار معظماً عند الجميع محبوباً لأحزاب
الملكتين على السواء

هذا وبعد أن عدنا الى الفندق واستبدلنا ملابسنا الرسمية بالملابس المعتادة
خرجنا للتفرج بالمدينة ثم عدنا في المساء وبتنا ومازلنا بعد ذلك في تفرج واشتغال
بما يلزم حتى كانت الساعة السابعة بعد الظهر من اليوم التالي يوم الأحد أول

سپتمبر سنه ١٩٩٠ المخصصة باجتماع اعضاء المؤتمر اجتماعاً وُذِيّاً بقاعات فندق جراند اوتيل الذي نحن به لتعارف فتوجهنا الى هذا المجتمع لهذا الغرض



❖ الاجتماع الودي ❖

جعل هذا الاجتماع كما قلنا لتعارف اعضاء المؤتمر بعضهم ببعض قبل اجتماعهم الرسمي في اليوم التالي فتوجه البعض كما توجهنا بصفة ودية وملابس غير رسمية الى قاعات من الفندق أُعدت لذلك وهي قاعة وسطية وأربع قاعات بجانبها في غاية الاتساع بحيث يسع نحو ثمانمائة نفس

وأعضاء المؤتمر ينقسمون الى اعضاء رسميين مندوبين من قبل حكومات او مدارس جامعة كبرى او جمعيات علمية شهيرة والى اعضاء غير رسميين وإلى ضيوف الملك

اما ضيوف الملك فمنهم وفد العجم ورئيسه حضرة محسن خان معين الملك وكان سفير الشاه لدى الخليفة الأعظم بالاستانة واعضاؤه حضرة الفاضل نجف علي خان وكان مأمور الشاه السياسي بالقطار المصري ونيروز خان وحسن خان كاتباً سر سفارة العجم بالاستانة ومنهم بعض علماء من اوريا بصفة أجاب الملك الخاصين

واما الاعضاء الرسميون فاثنتان عن جلالة الخليفة الأعظم وهما حضرة الفاضل مدحت افندي وحضرة الاستاذ العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي وتسعة عن حكومة أوستريا هنكاريًا وواحد عن حكومة باد وثلاثة عن بافاريا واثنتان عن

بُوسنه وهرسك وواحد عن البريزيل واثنان عن مملكة الدانيمرك واثنان عن فرنسا
واثنان عن حكومة الهند وثلاثة عن ايطاليا وواحد عن اليابان واربعة عن
هولانده وواحد عن البرتغال وواحد عن رومانيا واثنان عن روسيا وواحد عن
مملكة ساكس وواحد عن مملكة سيام هذا فضلاً عن مندوبي حكومة مصر الأربعة
وأما مندوبو المدارس الجامعة الكبرى فسته من ألمانيا وخمسة من أستراليا
هنكاري واثنان من بافاريا واثنان من الدانيمرك واثنان من الممالك المتحدة بأميركا
وواحد من فنلاند وستة من بريطانيا الكبرى وواحد من الهند وواحد من
ايطاليا واثنان من روسيا وواحد من القزان واثنان من السويد

وأما مندوبو الجمعيات العلمية فتلاثة من ألمانيا وخمسة من أستراليا هنكاري
وواحد من بلجيكا واثنان من الصين وواحد من الولايات المتحدة بأمريكا وواحد
من فنلاند وأربعة من فرنسا وعشرة من بريطانيا وواحد من الهند وثلاثة من
ايطاليا وأربعة من هولانده والهند التابعة لها وواحد من روسيا

ومجموع الاعضاء الذين صار الاكتاب منهم بالاشتراك في هذا المؤتمر
٦٤٦ عضواً منهم السويديون والنرويجيون حسب ما اتضح كل ذلك من
المطبوعات التي وزعت علينا ببيان أعضاء المؤتمر عند وصولنا هذا المجتمع في
هذه الليلة

فاذا استنزلنا من هذا العدد الأعضاء النرويجيين وعددهم كما يتضح من
المطبوعات المذكورة آنفاً ثلاثة واربعون وفرضنا ان الذين اكتبوا بعضوية المؤتمر
ولم يحضروا ومن ذلك بعض الجمعيات العلمية وعددهم من ٥٠ الى ١٠٠ كان
عدد الحاضرين في مجتمع هذا المساء من ٥٠٠ الى ٥٥٠ عضواً

وفي المطبوعات التي أخذناها عند الدخول النسخة الأولى من "يومية اخبار المؤتمر" بين فيها ما سيصير اجراؤه في احتفال غد بغاية الايضاح وكل يوم يُعطى للأعضاء نسخة بما سيصير في اليوم التالي محررة بقلم سكرتارية المؤتمر وكتب في هذه النسخة الأولى أن افتتاح المؤتمر سيكون غداً ثاني سبتمبر سنة ١٨٨٩ بسراي "ريدآر هوست" وأن الصعود الى قاعة الافتتاح وهي المعروفة "بقاعة الشعائر" يكون من السلم الكبير والدخول اليها من الباب الذي بالجهة اليمنى وأن أعضاء المؤتمر مرجو حضورهم الى هذه القاعة والجلوس بمحلاتهم المعدة لهم فيها قبل الساعة ١١ و ٤٥ دقيقة ليكونوا مستعدين لحضور سمو الملك وأنه لا يقدم الى سموه إلا الاعضاء المندوبون من قبل الحكومات الأجنبية ومن يفضل بقبوله من غيرهم وأنه ليس لاحد ان يتكلم في هذه الحفلة غير الذين تقرر بالسكرتارية انهم يتكلمون اذ زمن هذه الحفلة محدود ولا يتأتى إطالته زيادة عن اللازم وأن قسماً من الكتب الهداة الى سمو الملك قد وُضع على الطاولة الموجودة أمام سموه الجالس عليها رئيس المؤتمر وكتب اسراره وبقاياها وُضع في قاعة القسم الثاني من الفصل الأول مع غيره من الهدايا إذ قاعة الافتتاح لا تسع ان توضع فيها جميعها وأنه بعد انقضاء الحفلة ومبارحة سموه الجلسة يتوزع الاعضاء على القاعات المنفصلة بالفصول التي اختصوا بها لانتخاب الرؤساء والوكلاء وكتاب الأسرار لكل فصل ما عدا أعضاء الفصل الرابع والفصل الخامس فإنهم لعدم وجود محلات كافية مع قلتهم يقفون بقاعة الاحتفال فينتخبون فيها من ينتخبون وأنه وضعت كتابات على كل محل لبيان ما خصص به من الفصول وان مخبري الجرائد يقفون عند حفلة الافتتاح بنوافذ القاعة ويكون المخبرون الأجنيبون

وراء السفراء والمخبرون السويديون وراء مندوبي الحكومات الأجنبية وأن
أعضاء المؤتمر مزجوا منهم كل الرجاء ان يستدبوا واضعين الوردة التي اعطيت
لمم بالوان علمي السويد والترويج في صدورهم ولا يفي عنها التزيي بملاسم الرسمية
ونياشينهم اذ صدرت التنبيهات الشديدة على سائر المستخدمين بان لا يدخلوا
من لم يكن حاملاً لهذه العلامة وأن أعضاء المؤتمر من أجانب وسويديين هم
ونسائهم يدعواهم سمو الملك الى الحضور بالاحتفال الذي سيجعل اكراماً لم بقصر
”دروتنجهم“ الملكي في مساء يوم الاثنين ٢ سبتمبر سنة ١٨٨٩ فيركبون لذلك
في وابورات ثلاثة ”تيسان“ ”وفيكتويا“ ”وفكسهم“ تنتظرهم على رصيف جزيرة
”ريدازهم“ فتسير بهم في الساعة السادسة مساءً نحو ثلاثة ارباع ساعة حتى
نصل بهم الى القصر المذكور وتعود بهم نحو الساعة تسعة ونصف الى حيث أحضرهم
وأن الرجال في احتفال الافتتاح يكونون بكساوي التشرّف والنياشين ويكونون
ايضاً كذلك في احتفال دروتنجهم ونسائهم في هذا الاحتفال الاخير يكن
بالملايس المعتادة ويلبسن القبة

هذا ما جاء في يومية اخبار المؤتمر عن اجراءات اليوم التالي وستستمر على
الظهور لكل يوم يومية حتى ينتهي المؤتمر وينفض مراعاة لضبط الأعمال واعلانها
لعموم الأعضاء قبل الوقت بمسافة تسع استحضارهم لها واستعدادهم لما يطلب منهم
اجراؤه وهي محررة باللغة الفرنسية

وبعد ما العتاما جاء بهذه اليومية واطلاعا على جدول أسماء أعضاء المؤتمر دخلنا
الى حيث الاعضاء مجتمعون فوجدناهم متفرقين في قاعات الاستقبال يتحدث
كل منهم مع آخر ويتعارفون ببعض بمبادلة أوراق الزيارة المكتوب عليها اسماءهم

وبجرد دخولنا رأينا منهم اقبالا علينا واتجاها لجهتنا واعتناء بشأنا واحتفاء واحتفالا بنا وصار من نعرفه منهم يعرفنا بمن لم نعرفه ويعرفه بنا حتى تكاثرت اصحابنا وتعددت معارفنا

وقد وجدنا بهذه الحفلة صاحبين الذين أكلا معنا أمس وهما البروفسور جلد نسير "الازهري" والبروفسور مولر "بن الطحان" وصاحبنا هيدن الشاب الذي تعلم لغة الترك في السياحة بآسيا الوسطى مع ما في السياحة بتلك البلاد من مشاق السفر ومخاوفه وعدم دوام تيسر الركائب وعدم انتظام محلات النوم وعدم الاستعداد في الاكل وقد سبق لنا الثناء على هذا الشاب وذكرنا انه كثيراً ما صاحبنا في استكمال وضواحيها

فساعدنا هؤلاء الصاحب ايضا على التعرف باعضاء المؤتمر فعرفنا منهم عدداً عظيماً ودامت الصلوة واستمرت روابط الألفة مع بعض من عرفناهم في هذا المساء وبعده من ساعد ليان بعضهم فصلاً مخصوصاً بعد هذا تحت عنوان "من تعرفنا بهم في المؤتمر"

واقصر الآن على ذكر ما أدهشني وأعجبي من اجتماع هذه الخلائق وقد بلغ عددهم ٥٥٠ نسمة كما تقدم يوجون في هذه القاعات ويتنقلون من قاعة الى أخرى ومن محل الى آخر وكأس حديثهم دائر بينهم مع كونهم وافدين من أطراف الدنيا مشرقها ومغربها وجنوبها وشمالها وفيهم من سائر اصناف العالم أيضهم وأسمرهم على اختلاف مذاهبهم واعتقاداتهم بين مسلمين ومسيحيين ويهود ومجوس وعبداء أوثان وعلى اختلاف ملابسهم فالهندي لابس ملابس بيضاء من أولها الى آخرها حتى القلنسوة حسب الشكل المخصوص بطائفته والعجمي متزي بقلنسوة

سوداء والتركي والمصري بطربوش أحمر والأزهري من المصريين بقفطان وجبة
وفرجية وعمامة والقيس بلباس مذهبه والعربي الجزائري بلباس صوف بيضاء
على الشكل البدوي والجركسي بقلنسوة مخصوصة وسترة ذات فتحات بارزة في
صدرها معدة لوضع الأسلحة والبارود وعلى اختلاف اللغات وتعددها بين عربي
وتركي وفارسي وچركسي ويوناني وهندي ومالي وباباني وعبراني وفرنساوي
وانجليزي والمالي وطلاياني وسويدي ونرويجي الى غير ذلك

وأخص من هؤلاء الأقوام المشتغلين باللغات العربية فقد بالغوا في أكرامنا
والاحتراف بنا وكثيراً ما أخبرونا بإسلامهم وبمعتقداتهم الشنية حتى "إن أحد
اصحابنا" حين عرفنا بأحدهم قال "هذا مسلم قح" وهم لازمونا وسيدي الوالد
وصاروا يقدمون اليه من يحبون ان يتعرف به ويتبادل أوراق الزيارة الآ ان
النساء كن لا يكنفن في الغالب بهذه الأوراق المطبوعة بل يطلبن من السيد
الوالد ان يكتب اسمه بخطه في مذكراتهن ليبقى ذلك أثراً له عندهن وتذكيراً لهن
ولما جاء وقت تعاطي الطعام وكان نصف الليل بالنام فتجت أبواب قاعة
كبيرة فيها موائد متعددة على الطراز الوطني في هذه البلاد أعني ان المآكل
مرصوفة في وسطها على طولها في اطباق مناسبة لها في الكبر والصغر تحيط بها
اطباق صغيرة معدة للاكل فيها وملاعق وسكاكين وشوك وسائر لوازم الاكل
فالآكل يأخذ ما يستحسن ويختار لنفسه ما يحلو ويأكل ايما يريد على الموائد
الوسطية ان وجد فسحة او على إحدى الموائد الموضوعة في جوانب القاعة ان
وجد سعة او واقفاً يتحدث ويتسامر مع من يريد وكيفما يريد فان فرغ صنف
اخذ غيره وهكذا حتى يكفني والمآكل التي أعدت في هذه الليلة أعدّها

منظمو المؤتمر على نفقاتهم إكراماً للأعضاء وهي من قبيل ما يسمى "بالاطعمة الخفيفة" فإنها كانت تشتمل على مأكولات باردة من لحم الضأن والطيور والدجاج وعلى حلوات وبعض مشروبات خفيفة ليس إلا

فأجهد العلماء المستشرقون انفسهم وأفرغوا جهدهم في خدمة سيدي الوالد فمنهم من أوسع له محلاً يجلس فيه ومنهم من كان يسأله عما يريد فيحضره اليه ومنهم من كان يسأله عما يرغب ان يشرب من المياه المعدنية أو العادية فإنهم تحاشوا شرب غير ذلك إجلالاً له وجلسوا بجانبه وبجانبا نأكل وتسامر فيما يكون في الغد بحفلة الافتتاح وبعدها وفيما يكون في الاجتماع بالفصول والحديث ذو شجون فكنا ننقل من موضوع الى غيره وكل ذلك مما يدل على شدة رغبة هؤلاء الأفاضل في خدمتنا والتفضل بمساعدتنا وما يشف عن رغبتهم في استماع التكلم بالعربية واجتهادهم في ان يتكلموا بها واجتهادهم انفسهم في تفهيم مقصودهم منها فمنهم من كان يصل الى فهم ما يلقي اليه بتأنٍ كامل ولفظ واضح ومنهم من كان يرغب في ان يفيد ما في ضميره بالعربية فلا تمكنه عجمته منه وليس ذلك بغريب فقد أخبرنا بعضهم اننا أول من سمعه يتكلم بالعربية أما من جاء منهم الى بلادنا ومكث بها زمناً مثل البروفسور جلدتسير ومثل الاستاذ شيفر رئيس مدرسة الألسنة الشرقية بباريس فكان كلٌ منهم يتكلم بالعربية ويحسن النطق بها وفهما وتفهيمها وكنت اترجم لمن لا يفهما تكلماً ونطقاً ولمن يفهما ولا يتكلم حتى انتهى قسم كبير من الليل ولم ينتهِ الكلام فودعنا صحبنا وتفرق كلٌ الى مضجعه



✽ من تعرّفنا بهم في المؤتمر ✽

نقدم الكلام في أننا تعرّفنا بحضرة الفاضل احمد مدحت افندي مندوب السلطنة السنية العثمانية بهذا المؤتمر وهو مدير المطبعة العامرة بالاستانة ومن أعضاء مجلس الصحة والكورتيينات وباشكابه ورئيس تحرير جريدة "ترجمان حقيقت" وحائز لرتبة بالا الرفيعة ومن مشاهير المؤلفين العثمانيين وأعظم محب لوطنه وساع في ادلاء شأنه وكذلك في أننا تعرّفنا بالپروفيسور جلدتسيير "الأزهرى" والپروفيسور أوجست مولر "بن الطحان" وبالشاب هيدرين واذا ذكرنا غيرهم ممن صار الاجتماع معهم والتعرف بهم في مجتمعات المؤتمر حسب ما اذكر

فمن عرفناه وفد العجم ورئيسه محسن معين الملك خان وكان سفير العجم في الاستانة وهو رجل مهذب عالم عارف بالسياسة ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الجسم يعرف بعض اللغات الأجنبية وأعضاؤه حضرة الفاضل الجنرال نجف علي خان وكان معتمد دولة إيران السياسي لدى حكومة الجتاب الحديوي المعظم وهو معروف بالفضل وسعة الاطلاع وحضرنا حسن خان ونبروز خان من كتبة السفارة العجم بالأستانة وقد سبق ان هذا الوفد الرسمي من ضيوف ملك السويد أعني ان مصاريف إقامتهم على حساب سموه وان كانوا نازلين بإحدى جهات الفندق الذي نحن به

ومن عرفناه وفد فرنسا وهو مؤلف من جناب المسيو شفر أحد أعضاء المجتمع العلمي الفرنسي ورئيس مدرسة الألسنة الشرقية بپاريس وهو يحسن التكلم بالعربية والتركية وقد سبقت له الإقامة بمصر مدة بصفة مترجم بالانفصلانو

الجزائرية الفرنسية فيها زمن جنتم كان محمد علي باشا وبده كما انه أقام مدة في بلاد الدولة العلية وعرفنا مع هذا الفاضل ابنه ومن السيواؤينز أحد أعضاء المجتمع العلمي أيضاً وأحد أساتذة المدرسة الشهيرة "بكوليج ده فرانس" وهو يعرف اللغة التركية أيضاً وإن كان تكلمه بها أقل من رفيقه الموما إليه

ومن عرفناه وافد الجزائر وهو حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ شعيب بن عبد الله قاضي نلمسان سنة نحو الستين وربما زاد ملابسه من الصوف الأبيض كما هو الحال في لبس المغاربة هو والشيخ بشير كاتب محكمته وقد أتى معه ليكون ترجماناً له ومن عرفناه وقد بوسنة وهرسك وهو مؤلف من خلوصي افندي محاسبجي الأوقاف ومن الدكتور كرسنيريك

ومن عرفناه جناب البارون ده كريسز أحد وافدي النمسا من أعضاء المجتمع العلمي بها وكان وزير ديوان التجارة هناك وقبل ذلك كان من أعضاء صندوق الدين العمومي بالقطر المصري وهو مذهب الأخلاق الى الغاية ويحسن التكلم باللغة العربية وقد بلغنا انه توفي بيلده بعد انقضاء المؤتمر بقليل

ومن اجتمعنا معه جناب البروفسور بروكش باشا من وافدي المانيا الشهير بمعرفة اللغات المصرية وكنا نعرفه بمصر مذ كان ناظر مدرسة اللغات القديمة بها وقد أقام فيها زمناً طويلاً ويحسن التكلم بالعربية وغيرها من اللغات الشرقية كالتركية والفارسية

ومن عرفناه حضرة البروفسور مكس مؤلر من اساتذة مدرسة دار العلوم في اكسفورد من اعمال انجلترا وهو مشهور في أوروبا وغيرها باستكشافاته العلمية وتعمقه في معرفة السنة الهند والصين يبلغ من العمر نحو الستين سنة أبيض اللون

مُشَرَّبٌ بِجَمْرَةِ لَحِينُهُ وَشَارِبَاهُ مَحْلُوقَةُ الْأَمَّا جَاوِرُ الْأُذُنِ تَصَحُّبُهُ امْرَأَتُهُ وَهِيَ تَدْرِفُ
اللُّغَةَ الْأَلْمَانِيَّةَ وَالْفَرَنْسَاوِيَّةَ فَضْلاً عَنِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ

وَمِنْ عَرَفْنَاهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ الرُّوسِيِّينَ الْأُسْتَاذَ كُونُوَالَ مَدِيرَ كَتِيبْخَانَةِ دَارِ
الْمَعَارِفِ بِقَازَانَ وَهُوَ شَيْخٌ هَرَمٌ يَبْلُغُ عَمْرُهُ نَحْوَ الثَّمَانِينَ تَصَحُّبُهُ ابْنَتُهُ مَدَامُ كَرَهُ لِلنَّبَزِجِ
لِمُسَاعَدَتِهِ عَلَى السَّفَرِ وَمَعَاوَنَتِهِ فِيهِ وَسَيِّدَةً مِنَ الرُّوسِيَّاتِ مَتَوَطَّنَةٌ بِيَلَادِ الْقَازَانَ
اسْمُهَا الَّذِي اشتهرت بِهِ فِي الْمُؤْتَمَرِ الْكِنَارِ وَالْحَقِيقِيِّ لِبْنَةِ دُفٍّ أَمَّا الشَّيْخُ الْمَرْمُ كُونُوَالَ
أَوْ "يُوسُفُ كُونُوَالَ" كَمَا كَتَبَ ذَلِكَ بِيَدِهِ فِي وَرْقَةٍ أَعْطَانِي أَبَاهَا تَذْكَاراً بِاسْمِهِ
فَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَنْ رَأَيْنَاهُ مُحِبِّاً لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَمُتَجَمِّراً فِي الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَلَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَةٌ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ فَضْلاً عَنْ مَعْرِفَتِهِ كَثِيراً مِنَ اللُّغَاتِ
الْأُورُوبِيَّةِ كَالْفَرَنْسَاوِيَّةِ وَالْأَلْمَانِيَّةِ زِيَادَةً عَلَى لِقْنَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ الرُّوسِيَّةِ وَلَهُ تِلْمِذَةٌ
كَثِيرُونَ فِي مَدَنِ الرُّوسِيَا وَفِي مَدَارِسِهَا الْجَامِعَةِ الْكُبْرَى وَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ طُبِعَ وَصَحِّحَ
كَثِيرٌ مِنْ كُتُبِ الْعُقَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ بِيَلَادِ التَّتَارِ وَأَنَّهُ كَثِيرُ الْاِخْتِلَاطِ بِعُلَمَائِهِمْ
مَشْغُوفٌ بِصَاحِبَتِهِمْ حَتَّى إِنْ حُسِّنَ الظَّنُّ فِي عَقِيدَتِهِ لَا يَتَخَذُ فِيهِ إِثْنَانٍ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ
وَأَمَّا ابْنَتُهُ مَدَامُ كَرَهُ لِلنَّبَزِجِ وَيَبْلُغُ سِنُهَا نَحْوَ الْخَمْسِينَ فَهِيَ طَوِيلَةُ الْقَامَةِ سَمْرَاءُ
الْوَلْوَلِ لَا تَعْرِفُ غَيْرَ لِقْنَتِهَا وَبَعْضُ الْفَرَنْسَاوِيَّةِ وَقَدْ أَتَتْ لِمُسَاعَدَتِهِ وَخِدْمَتِهِ فِي السَّفَرِ
كَمَا أَسْلَفْنَاهُ تَارِكَةً أَوْلَادَهَا عِنْدَ زَوْجِهَا

وَقَدْ صَاحَبَ سَيِّدِي الْوَالِدَ هَذَا الشَّيْخَ وَكَلَّمَا طَالَتِ الصَّبْعَةُ رَافَهُ حَدِيثُهُ
وَأَعْجَبْنَاهُ دِمَائَتَهُ اخْلَاقَهُ وَظَهَرَ لَهُ حُسْنُ اعْتِقَادِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ ذَاتَ يَوْمٍ عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ
عِبَادِ الطَّنْطَاوِيِّ مِنْ أَعْظَمِ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ الْمُتَجَرِّبِينَ فِي عُلُومِ الْأَدَبِ صَاحِبِ التَّالِيفِ
الْعَدِيدَةِ وَالشَّعْرِ الرَّفِيقِ وَكَانَ تَوَجَّهُ إِلَى بِلَادِ الرُّوسِيَا وَأَقَامَ بِهَا هَلْ هُوَ حَيٌّ أَوْ مَيِّتٌ

وهل أعقب ذريةً أو لم يعقب فأخبره الشيخ كوتوال كما قيده وقت ذاك في ورقة محفوظة عندي أن الشيخ محمد كان بالمدرسة الكبرى وديوان الخارجية بساب بطرسبورج معظماً غاية التعظيم محترماً الى النهاية مرتباً له معاش عظيم وكان له ولد وزوجة وأنه مات في سنة ١٨٦٢ على ما يتذكر ومات بعده زوجته وكانت من مصر علوية وبعدها توفي ولده وكان اسمه أحمد على ما يظن وان الشيخ محمد الموما اليه دفن في بطرسبورج حيث قبور المسلمين بها وقبره معلوم هناك وكذلك قبر زوجته وابنه وأما مدام كلنار او مدام "أولجاده ليه دفن" فروسية من عائلة غنية ولها أملاك متسعة في قازان كانت تستعمل فيها كثيراً من العملة التتارين فعرفت منهم بعض كلمات رغبتها في تعلم التركي فتعلمته وأحبت أهلها حباً شديداً وتعلمت ما يدخل فيه من العربي والفارسي وهي تعرف مع ذلك زيادة عن لغتها الأصلية الروسية اللغة الانجليزية والالمانية والرومية والفرنساوية وتجيد فن الرسم والتصوير مع ان سنها على ما يظهر لا يجاوز الاربعين وقد اخبرتنا أنها لشغفها بحجة العثمانيين تلبس في القازان ملابسهم وتلبس أولادها الطرايش وهي في غاية الاطلاع وفرط الذكاء ذات رقة وملاطفة وكثيراً ما تحدثنا معها في عوائد الشرق والشرقيين وقد طلبت من سيدي الوالد ان يكتب لها ابياتاً يذكر فيها اسمها فأنشأ لها ابياتاً كتبها لها بخطه ضاعت مني صورتها وعندي من آثار هذه المحترمة المحبة للشرق وأهلها ورقة بها صورتها وتحت الصورة كتبت بخطها بالعربي هذه الكلمات :

"لجناب الحضرة عبد الله فكري باشا في ١٦ محرم سنة ١٣٠٧ تذكاراً من

مخلصك

"كلنار ليه دفن"

ومن عرفناه حضرة الكونت أنجلودي جوبرناتس الأستاذ بدار المعارف العليا بفلورانس وإفد حكومة إيطاليا بهذا المؤتمر وهو زيادة عن تطلعه في العلوم الشرقية خطيب بلفته بليغ تأخذ الفاظه بالالباب لزيادة رقتها ووفور انسجامها وحسن إلقاءها

ومن اجتمعنا به صاحبنا الدكتور د. جوبه الأستاذ بدار معارف ليندن وقد سبقت لنا ملاقاته بالمدينة المذكورة كما تقدم وقد حضر معه الى المؤتمر أحد اصحاب مطبعة بريل التي مر ذكرها بلندن

ومن عرفناه المسيودير نهم رئيس هذا المؤتمر عن السويد وهو رجل لطيف الأخلاق مشهور في بلاده بسعة المعارف والاطلاع متوسط القامة بليته شيب يتكلم بالفرنساوية وقد كان من الوزراء وهو وقت المؤتمر رئيس دار المعارف بأيسالاً ورئيس المجتمع العلمي الزراعي

ومن عرفناه المسيو هلدبراند وهو رئيس متاحف المملكة الأثرية كثير التضلع في التاريخ وآثاره

ومن عرفناه المسيودة بيلجر من وفدي ألمانيا وهو شاب كثير المعارف والتعجب الى الشرقيين بسبب خدمته بقنصلات ألمانيا في سلانيك وسياحته في البلاد العثمانية وقد تودد إلينا كثيراً وانتظرنا في برلين فتفرجنا معه عليها في العودة كما سيأتي الكلام عليه

ومن عرفناه شاب من الانجليز سكن مصر مدة اسمه المستر ليون غاب عني لقبه المميز له ولم أعر على ورقة زيارته في أوراق الزيارات التي عندي ولكن لم أنس ما عرضه على أحد اقسام المؤتمر ما زعمه نافعاً لدفع الصعوبة التي يجدها

الأجانب في تعلم العربية من جهة عدم الشكل في حروفها وذلك ان تُستبدل الحروف العربية بحروف أجنبية ويستبدل شكلها بحروف أجنبية تدل على الشكل بحيث إن الباء مثلاً يوضع بدلها الحرف الذي يقوم مقامها في الحروف الفرنجية ثم يوضع بعدهما بدل على الشكل من الحروف فيكتب للدلالة على الضمة ٥ وللدلالة على الفتحة A وعلى الكسرة i أما الحروف العربية التي لا يوجد لها نظير في اللغات الأجنبية فيشار إليها بحرف يفارها أو يماثلها من حروف اللغة الأجنبية ويوضع تحته علامة تميزه عن أصله الموضوع له فالثاء مثلاً يشار إليها بحرف التاء تحته نقطة مثلاً وكذلك الحاء والخاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف يشار إليها بما يقارها أو يماثلها ويجعل تحته العلامة المميزة لها عن أصلها الموضوع في له وهو يُرِبدان تسير هذه الطريقة التي اخترعها بالنسبة لسائر اللغات التي تُكتب بالحروف العربية كالفارسية والتركية وقد عثرت في الأوراق على مذكرته التي قدمها إلى المؤتمر بهذا الصدد ممضياً عليها باسم ليون والغالب على الظن أنه من الأغنياء الذين لا شيء يشغلهم في نقضي أوقاتهم فيتخذون التسريح لقضاء العمر فتعرض لهم في سياحاتهم أفكار قد تكون نافعة وقد تكون مثل هذه الفكرة وممن عرفناه البروفسور أدلبرت ماركس الأستاذ في دار معارف هدايرج من أعمال المانيا

وممن عرفناه جناب الفاضل الأستاذ لينتز رئيس المدرسة الشرقية سابقاً في لاهور من أعمال الهند والآن هو رئيس المدرسة والمتحف الشرقيين في ووكين بقرب لندن ومعه ابنه شاب فاضل

وهذا الدكتور الشهير يعرف خمسة وعشرين لساناً ويتكلم بها وقد

اشتهر بمحبته للمسلمين والذب عنهم والتعرض لإزالة ما داخل أفكار بعض الأوربيين على غير حقٍ من جهتهم وله في ذلك آثار مشهورة وأفعال مبرورة منها الجامع الذي قام بتشيدِهِ خدمة للمسلمين بويكين بالقرب من لندن بمصاريف جمعها من المسلمين ومن احبابه الانجليز أَرانا رسمهُ فاذا هو متسع بهج وهو على نية الاستمرار في هذا السير والحث على تشيد غير هذا الجامع في غير هذه المدينة مع ترتيب دروس اسلامية في الجوامع التي ينشئها ومنها انشاء جريدة عربية سماها "الحقائق" أهدانا الجزء الصادر منها في يولييه سنة ١٨٨٩ وتد جاء فيه تحت اسم الجريدة انها "مجلة علمية ادبية تصدر مرة كل ثلاثة اشهر من مركز إدارة انشائها وويكين من اعمال بلاد الانجليز من دار الشرفاء المشرقين لترويج العلوم المشرقية" واذكر منها رسالة بجروفا انشأها هذا الفاضل وهي



❖ الإسلام ومدارسهم ❖

"لحضرة العالم العلامة الدكتور لينتر المشهور"

"وُقِّتْ بما ندر ان يكون لمسيحي بان قد درست العربية في مدرسة جامع من جوامع الأستانة قبل الحروب الروسية التي اضطرت نارها من سنة ١٨٥٤ الى ١٨٥٦ وبعدها ايضاً

"ثم كان لي بعد ذلك أن أناظر مئات من مدارس اسلام الهند — وما قصدت في كتابة هذه المقالة أن اذكر التقارير المسببة التفصيل التي قد رفعتها اليّ ألوف منها وإنما اظهاراً للحق ودفعاً للزور ودراً للغرور ولإقامة الحجة على الذين وهِموا فقالوا إنها قد اصبحت بيوت الاثم لا بيوت العلم الى غير ذلك مما رشقوها

صيانة عرضهم والمحافظة على شرفهم ويكرمون الأرملة الثقية إكراماً لا ثقتاً
ويتخذونها لهم مثلاً حسناً وقدوة صالحة وهم ينظرون الى الحيوانات بعين الخنو
والشفقة ويتقون الله بسلامة القلب وخلوص النية وتقواة الضمير وقد كان الأولى
بدعاة الدين المسيحي ان يسعوا في ان يوفقوا بينهم وبين النصارى وان لا يلقوا
التنافر والتباغض بين الأمتين بالجدال الذي لا فائدة منه . واني ارى انه من
الواجب على الحكومة اذا شاءت المحافظة على السلم والسكينة ان تجعل الدين من
أعظم الأمور المهمة لنجاحها وتأيد كلمتها وتوطيد سلطتها اذ السياسة وحدها
لا تمكنها ما فيه ترغب واليه تميل وانما يرتاح خاطرها وثقر عينيها عندما تسعى في
رفع أعلام دين رعاياها بسعيها في إحكام سياستها وتعزيز قوتها اذ الحكومة والدين
توأمين ولا نجاح بلا دين كامة بلا شرف وبلا شهامة صار بها الحال الى الخراب
العام . وقد برهن لنا الاختبار ان معاضدة المسلمين ليست بذات اهمية من
جهة الدين فقط بل من جهة السياسة ايضاً فان معاضدتنا للدولة العلية العثمانية
قد عادت علينا بعميم النفع وجيل النجاح — واني لأنصح للحكومة ان تبذل
الجهد في تهذيب ابناء مسلمي الهند وتعليمهم الفنون الحربية وان تمنحهم حقوقاً
ذات شأن في الجندية فان في ذلك تعزيزاً لسلطتها وثبيتاً لوطأتها فان قوتها
العسكرية تصير أضعاف ما هي عليه الآن فتمكن من توطيد مالها من
النجاح والفلاح

”وما تجاسرت على تأليف هذه الرسالة الا بعد ان اختبرت واطلعت على افكار
كثيرين من رجال الحزم والذكاء من نخبة المسيحيين الذين قد بحثوا عن
خفيات المشاكل ودقيق المسائل البعث العميق فكان لم ان يعرفوا غوامض

الامور وكنه مكنونات السياسة اذ قد ادبهم الدهر وحنكتهم الأيام والله الموفق الى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل اه

❖ افتتاح المؤتمر ❖

نقدم أن افتتاح المؤتمر سيكون وقت الظهر من يوم الاثنين ٢ سبتمبر سنة ١٨٨٩ وأن الحضور اليه يكون بالملابس الرسمية

فقبل الوقت أحضرنا عربتان ركب في أحدهما حضرة مدحت افندي وسيدي الوالد وركبنا نحن الثلاثة باقي الوفد المصري في الأخرى وقصدنا سراي "ريدأزهوست" مارين بين ألوف من الخلائق مصطفىين على جانبي الطريق بغاية الانتظام والاحتشام مع التعظيم للمارة والاكرام حتى وصلنا ميدان "وازا" الذي تشرف عليه السراي فوجدنا الازدحام أشد والعالم لا يحصى لم عد بحيث لا يتيسر المرور من غير الحل الذي خصصه البوليس بمرور الأعضاء وهم يتواردون أفواجا ويتوافدون فرادى وأزواجا مشاة وركبانا ظرافات ووحدا

ووجهة السراي مزينة بأعلام الأمم المختلفة تتحقق من جميع الجهات مغطاة بالرياحين والأزهار مرسوم بأعلى هذه الوجهة صورة الأهرام وأبي الهول إشارة الى مصر وتعظيما لأمرها يحيط بها غيرها من رسوم التماثيل المشهورة في الهند والصين والبلاد النائية والممالك القاصية

والسلم الذي يصعد فيه الى قاعة الافتتاح مصطفى عليه العسكر لا بسين أحسن ملابسهم متعلمين بأجود أسلحتهم منتخبين من طوال الرجال ذوي الهيئة والشهامة يسلمون على الأعضاء السلام العسكري للتعظيم والاحترام

فصعدنا فيه حتى وصلنا الى تلك القاعة وقد سَبَقْنَا اليها كثير من الأعضاء
ثم جلسنا بالحل المد لنا وما زالت الاعضاء تتوارد والسفراء تتوافد والامراء العظام
واكابر المملكة الفخام حتى غص المكان وبلغ عدد من به من الأعضاء وغيرهم من
السفراء وعظماء المملكة نحو ستمائة نسمة غير النساء المتفرجات وهن جالسات
بالمرتفع الذي وصفناه آنفاً فكان المنظر بهجاً لاتساع الحل وزينته وزخرفته وتحلي
من به بالملابس الرسمية على اختلافها مزركشة بالقصب مجملّة بالذهب تعلو
صدورهم نياشين الفخار ويلوح عليهم سمات الهيبة والوقار

وبينا الحاضرون على هذا الحال من السرور والابتهاج بهذا الاجتماع
والساعة اثنتا عشرة اذ صدحت الموسيقى عند باب السراي ونادى مناد بهذا الناد
الملك آت فقام الناس للتعظيم واتجهت الأنظار الى ذلك القادم الكريم فدخل
متحلياً بلباسه الرسمية متجلاً بنياشينه الملوكية يقفوه ولي عهده ويتبعها رجال
معيته الكرام ووزراؤه العظام لابسين الملابس الرسمية وأخذ الملك يتقدم شيئاً
فشيئاً ماسكاً قبعة يده مشيراً بالسلام على الحاضرين طلق الوجه مبتسماً حتى
وصل الى درج المرتفع ثم الى سريره المدله بعد ان صاح المندوب العثماني
ومندوب شاه العجم واثني الى جهتنا فصاح سيدي الوالد وصالحنا بعده وجلس
على السرير لحظة ريثما استراح ثم قام فقام القوم لقيامه فخطب بالفرنساوية بصوت
مرتفع خطبة ملخص ترجمتها لفظه:

”يا حضرات اعضاء المؤتمر

”لقد حصل لي مزيد السرور حينما اجاب مؤتمر العلوم الشرقية مذكاًن مجتمعاً
بويانه دعوتي للاجتماع هذه المرة في عاصمة بلادي وزاد سروري اليوم اذ رأيت

اجتماع العلماء المشرقين والمستشرقين الأفاضل حاصلًا بالفعل على هذه الهيئة الواجب تبجيلها واحترامها وتعظيمها وتكريمها

”وانكم قد أتيتم يا حضرات الأفاضل من بلادكم البعيدة وقطعتم المسافات الطويلة تاركين اقطاركم المشمسة لتنثروا أشعة المعارف وتنبثوا منها التالد والطارف في هذه البلاد المكدودة من الممالك المتحلية بالآداب من قديم الزمان

”ولا غرو في ذلك فأنوار المعارف المنتشرة في هذا العصر ثمار أفكاركم ومنشآت اعمالكم ونتيجة معاناتكم ومكافحاتكم فأنتم مبددو جيوش ظلمات الجهل بما تحملونه من أسلحة العرفان والفضل وأنتم الأحق بما خاطب به نابليون عسكره قائلًا ”إن اربعين عصرًا انتباهي بأعمالكم“ فإنكم بتأسيساتكم العلمية وأبحاثكم الاستكشافية في هذه الايام أمطمت اللثام عما اكتتته تلك العصور الخالية في اعماقها من المحبثات والأسرار

”وقد دلّت التواريخ الشرقية في رواياتها العديدة على ما كانت تبذله الملوك في سبيل العلم والعلماء من المال تشجيعًا وترغيبًا حتى إن النعمان كان يملأ فم النابغة الشاعر الشهير باللؤلؤ والمأمون كان يميز على البيت الواحد من الشعر الجيد بألوف من الدنانير ونحن ملوك هذا العصر وان كنا لا نتقدمكم تلك الآلات العظيمة والدنانير الجسيمة لكن نعوضكم عنها محض محبتنا وكامل مودتنا ونعصدهم حسب طاقتنا في اعمالكم النافعة للجنس البشري السائرة به نحو الإيسعاد والتقدم الدائم ونقتدي بالخلفاء والملوك الأقدمين في ان نشد أزر العلماء ونقتفي أثر الحكماء في استكشافاتهم العلمية فتمسك بجبالها وتعلق بأذيالها ونرغب في اقتنائها ونشوق الى انتشارها فانا نجد فيما تعثرون عليه من كنوز الآثار ما ينبئنا

عما خلا من الأعصار

وإنّا وإن لم نتمكن في هذا القرن التاسع عشر يا حضرات أفاضل الشرق
واوروبا وأمريكا من أن نوّدي لكم الضيافة على وجهها كما كانت توّدي اليكم
لوجئتم هذه الديار قبل الآن بألف سنة لكننا نعوضكم عنها التمتع بمنظر ما حوته
بلادنا هذه من جبالها المرتفعة وبحيراتها المتسعة وخليجائها وأنهارها وعظم أشجارها
ونضرة أزهارها وغرائبها الطبيعية وبدائعها الخلقية وإني أوّل أنه بعد مشاهدتكم
بلادنا وهيباتها ووقوفكم على مما سن صفاتها يبقى لما في ألسنتكم الذكر الجميل
وينطبق لما في مفكرتكم وقع جليل لا تنسيه كرور الأيام والعصور ومرور الأزمان
والدهور

”وإني أرجو لكم كمال التوفيق في المذكرات التي تدور عليها أبحاثكم في هذا
المؤتمر مؤدياً واجب الترحيب والتأهيل على تشریفكم هذه البلاد معلناً بافتتاح
المؤتمر الثامن للعلوم الشرقية“

فلما فرغ الملك من خطبته أكثر الحاضرون من التصفيق استحساناً وتشكراً
ثم جلس وجلسوا

فقام السيد دبرنهم رئيس المؤتمر عن السويد وألقى مقالة بالفرنساوية
وجه فيها الكلام الى سمو الملك وأعضاء المؤتمر ملخصها :

”ان بلاد السويد والنرويج كانت علماءها مشغولة قديماً في مكائنها المدرسية
ومجتمعاتها العلمية بالعلوم الطبيعية والرياضية أكثر من غيرها ولم تجد الرغبة في
تعلّم اللّسن والعلوم الشرقية إلا من نحو عشر سنين فجدوا فيها ومن جد وجد
وهانحن نترجى ان تزداد نجاحاً ونصيب فلاحاً وتكثر الرغبة فيها لدى الخاص

والعام بانعقاد هذا المؤتمر في بلادنا واشراق علوم الشرق بأرضنا وأن الاهالي جميعهم صغيرهم وكبيرهم يشكرون لوفود حضرات الاعضاء الفضلاء الى هذه الانحاء ويعتدون انعقاد المؤتمر في عاصمتي بلديهم من اكبر الحظ والسعد لديهم
ثم قام بعد هذا الخطيب حضرة الكونت ده لاندبرج وتلا خطبة بالفرنساوية
خاطب بها سمو الملك واعضاء المؤتمر عربنا منها ما يأتي قال :

”مولاي إني لأعجز عن ذكر ما خالج قلبي من السرة والحبور لرؤية تحقق آمال السنين الطوال كيف لا وعلماء الشرق والغرب قد اجتمعوا في عاصمة المملكة الاسكندرية وقد اصبح الشرق الذي هو مهد علوم آبائنا متعشاً بنشأة جديدة بناء على ما صرفه ملوكه من العناية وقد هرع علماء الشرق من اقاليم مختلفة طبقاً لأوامر مواليتهم الى هذا الاحتفال الذي يعد عيداً من اعياد العلم فكان ذلك جالباً لتمكين العلاقات بين الشعوب التي فُرقت بينهم المسافات الطوال والعوائد المتباعدة وقد حضر الكثير من المشتغلين بالعلوم الشرقية من علماء أوروبا لتبادل افكارهم مع علماء الشرق خدمة للمعارف وتقوية لصلات المودة فيما بينهم
”وقد ساحت في بلاد الشرق منذ اربعين سنة جلالة الملك الأمر بانتظام هذه الجمعية باحثاً كما هو دأبه الآن عما طاب من جليل الآثار فشفقته حباً ببلاد الشرق التي لا يعدم المتجول فيها فوائد جمّة من اجل فوائد تاريخ الازمان الغابرة وهو من عهد ان تبوأ اريكة الملك لا يزال ميّالاً الى ما احبه في عنقوان شبابه وقد افتتح علماء هذا الزمن الفتوحات العلمية الجمّة فاصبح طريق تاريخ الشرق معلوماً مسلوكة بعد ان كان مجهولاً متروكاً واستمر جلالة الملك بعد جلوسه على سرير الملك كما كان في اثناء شبابه متبعاً تقدم العلم الشرقي رغماً عن اشتغاله بهام

حكومته وقد قال احباؤنا سكان وادي النهر المقدس "إن من ذاق ماء النيل لا يسلوهُ فلا بد له من الرجوع الى مصر" وهذا المثل يصدق على العلماء فإن من ذاق منهم لذة البحث وحلاوة العلوم الشرقية كان كمن يطرق طريقاً لا يجب الخروج منه وللشرق محاسن لا تشوق عامة الناس فقط بل تأخذ بالآباب ملوك الأرض وأقيالها ولذا نرون جلالة الملك مشتركاً معنا في البحث عن العلوم الشرقية وهو لم يجمعنا في عاصمتي بملكته الأليهن على أنه لا يزال مستثيراً بأنوار الشرق "نعم أيها السادة إن هذا المؤتمر لم ينتظم الا لشموله بعالي أنظار جلالة الملك اسكار وجعله تحت ظل حمايته وقد صرّح لي جلالتُهُ منذ سنين برغبته في استقبال العلماء المستشرقين ثم أمرني بان أبلغَ رغبته في ذلك الى مؤتمر ويانه ولا يخفاكم ما كان من تلبية دعوتِهِ الملوكية بمزيد السرور وهذه الجمعية الشهيرة برهان على ما قوبلت به تلك الدعوة من حُسن الاجابة والمبادرة اليها

"مولاي - إني لما كلّفت من قبل جلالتكم بتأليف هذا المؤتمر بناءً على ما قوّضه إليكم مؤتمر ويانه قد اشتغلت بذلك تحت أنظاركم العالية ومددكم الذي لا يحد وعين عنايتكم التي لا تنام وتلقيت من جلالتكم الأوامر والتعليقات التي يقتضيها الحال وقد تفضلتم كرمًا منكم ذكرني مكارم الخلفاء بتحقيق أقصى أمنيّتي التي هي تقديم زملائي الغربيين والشرقيين بين يدي ملك وطني المعظم فاسمح لي ايها الملك الجليل أن اقدم لذاتكم التقدمة جزيل الشكر في حضرة مندوبي الشعوب المختلفة عوائداً وأدياناً وإن صدقَ ولائي لوطني وحسن إخلاصي للملكي بقضيان عليّ بان أكون نافعا لما مدة حياتي ولهذا قبلت خدمة العلم متطوعاً واني لا أفخر اليوم بروية أهله بقدمون أمام كرسي جلالتكم عبارات

الشكر ويتقربون اليكم بصفاء الاخلاص

”سادتي — كان من اللازم مراعاةً للعادة المتبعة في المؤتمرات السابقة ان اكلّمكم في شأن علماء السويد المستشرقين ولكنني أعافىكم من ذلك لأنّه لا يحسن بالإنسان ان يتكلّم عن نفسه ولأنّ احد ابناء وطني كفاني مؤنة ذلك بما كتبه أخيراً في هذا الموضوع بإحدى المجلّات السويدية وإني مع ذلك لا أرى بُدّاً من ان استاذنكم في التكلّم عن مؤتمرنّا وعنكم فاقول إنّ عامة الناس لا يفرقون في المعنى بين كلمتي الشرق والمستشرق وقد انتدبت يوماً للتكلّم في موضوع شرقي فتعرض لي شخص حسنّ الملبس وسألني أين موقع الشرق من الدنيا وقد كان أحد الساسة الأجانب يظن ان المستشرقين كناية عن عصّات منجمعة لفتح الشرق ولا شك أنّ كلام هذا السياسي الساذج في جهائمه لا يخلو عن بعض صحة لأنّنا باحضرات السادة لم نخرج عن كوننا عصبة مؤلفة لحل مسألة الشرق العظمى فإنّنا بما لدينا من عدد الحرب الهائلة نهدم قلاع الأفكار الفاسدة والغلطات الكاسدة حجراً حجراً ولأنّنا نبعث بأحكام الانتقاد ودقته نوراً يصل الى أقاصي تاريخ البشر وقد تكلم جلالة الملك عن ميدان حربنا هذه بما ينطبق على الحق وذلك الميدان مفتوح لجميع الناس ونحن نحارب في صفوف الشرقيين لمصلحة الشرق مسجّلين في صفحات التاريخ الذي نحن قائمون بتحريره أصوله وتمدنه وعظمته ومسرّاته وأحزانه فكيف لا يكون الشرقيون حلفاءنا في تلك الحرب وكيف لا يمدّون الينا يد المساعدة لكشف الغطاء عما لاتصل اليه انظارنا ونحن لانفادي أحداً ولا نتكلم في شأن الأديان بالاعتراض عليها ولكننا نُحِبُّ بنور العلم أينما سطع ولا نتعرض لمعتقد خشية أن يتناول ذلك طرفاً من تلك الحقائق التي نبعث عنها في الشرق

”هذا والعلم معظمٌ في الشرق كما هو محترمٌ في أوروبا فإن العلماء عند المسلمين موعودون بالأجر في الدار الأخرى كما جاء ذلك في القرآن
 ”ثم معلوم أن المسلمين والنصارى صلّوا معاً في جامع الأمويين بدمشق مدة سبعين عاماً وأن النصارى كانوا مقبولين في جميع الوظائف وقد قضى دين الاسلام بقبول الإسلام منهم او بدفعهم الجزية ولم يُعهد بالأزمنة المتأخرة من التسامح بقدر ما كان في تلك الأزمان وهذه الحروب الصليبية الناشئة عن الجنون وفساد العقل والفساوة قد جمعت بين محبي المخاطرة وارتكاب الأهوال وبين الجهّال والمتدينين الذين أضربوا بصلات الغرب مع الشرق وأحدثوا التنافر السياسي الذي لا يزال شيء منه الى الآن والمسلمون ليسوا أكثر تعصباً من النصارى فإنني عايش بين ظهرانيهم منذ ١٧ سنة ولم أجد منهم الا كل محبة ولطافة وشأنهم في عدم التعصب حد السير بولوز سفير بريطانيا في القسطنطينية الى ما كتبه الى اللورد روسل بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٨٦٤ حيث قال ضمن كتابه ”وفي الحقيقة فإنني لا يمكنني الا الإذعان بروح التسامح وعدم التعصب اللذين يبديهما الدين الحاكم قبل البروتستانت فإن ذلك التسامح وعدم التعصب يندرج وجودهما حتى في الممالك النصرانية“

”واني اناشد النصارى بذمتهم بأن يقولوا الحق فيعترفوا بأنهم ظالما. نسوا ما قاله المسيح من جهة الأمر بالمساواة والتعجاب
 ”وقد اخطأ من زعم أن الاسلام يمنع التقدم الجديد اذ بنى حكمه على آراء بعض علمائه فإن الإسلام الحقيقي يبعد عن تشدّد هؤلاء العلماء بُعد النصرانية عن تعاليم قسّس القرون الوسطى

” ويرغب بعض الناس تغيير كل شيء في الشرق حسب افكارنا في طرفه عين غير مفكر أن الشعوب اعتادت على ما يرغب تغييره منذ آلاف من السنين فهذه تركيًّا الجديدة قد أدخلت اصلاحات في بلادها وهذه مصر التي يُقدَّرُ بها التاريخ محكومة بقوانيننا فبالا يجب علينا ان نحالف تلك الأمم عوضاً عن مناواتها ولست أوجه ما أقول الى علماء السياسة ولا الى السياسيين ولكن أخطبكم به ايها السادة فإن بيدكم الطريقة التي يكون بها ارتباط الشرق والغرب ألا وهي طريقة العلم وهي تجذب الشرقيين اليها للاشتراك معنا في عمل واحد ومساعدتنا في أبحاثنا وباستشارتهم والانتفاع بهم تُزال العقبات الكثيرة التي تمنعنا عن نيل المقصود فتكون أعمالنا سهلة نافعة وقد وجد مستشرقو الانجليز بالمند زملاء فضلاء من أهالي تلك البلاد فينبغي ان نقفوا أثرهم وليس ملوك الشرق مبغضين لما ندرسه فان أبحاثنا لا تعود على بلادهم إلا بالفخر فهذا جلالة السلطان وهذا شاء العجم وهذا خديوي مصر قد اثبتوا لنا ذلك بإرسالهم الى هذا الموسم العلمي خلاصة علمائهم وبرهنوا بذلك على أنهم ورثة الخلفاء والامراء الذين كان دأبهم من قديم الزمان حماية العلم والآداب ولا شك أن عناية الملوك والامراء قدوة تقتدي بها الشعوب فمتى نظر ملوك الشرق الى احباب الشرق بعين العناية كان ذلك مؤدياً الى نجاح مشروعاتنا

” وإن مؤتمراتنا نحن معاصر المستشرقين لا تشابه المؤتمرات الأخرى ولذا كانت أعمالنا لا تُضاهى بغيرها من الأعمال فان قصدنا البحث عن أقدم بلاد الدنيا الخارجة كلها عن حدود أوروبا ومشتلة على عدد عديد من الشعوب المختلفة ولذا كان علمنا حقيقاً بأن يسمي أجنبياً وحيث كنا لا نختلط مع هؤلاء الشعوب

الآ فيما ندر كان ذلك ياجئنا الى التنقيح عما نحن بصددِه في نقوشهم وكتيبهم ولا كان كل تمدن من تمدن تلك الشعوب مخالفاً لتمدنا وصعب الفهم كان من اللازم الذهاب الى الشرق للاطلاع على ما بقي من آثاره كي يسهل بذلك فهم ما يستصعب منه“

ثم أطل الشرح في ذكر الشرق والمستشرقين الى أن قال :

”إن جلالة الملك أسكار قد أمر في ٨ يناير سنة ١٨٨٦ بإنشاء جازتي شرف ليكافي بهما من يؤلف أحسن تأليف في موضوعين مهمين أولهما تاريخ اللغات السامية وثانيهما تاريخ حالة تمدن العرب قبل الاسلام ولم يعزب عن جلالة الملك صعوبة الخوض في مسائل مثل هذه وكانت اللجنة التي ألفتها جلالتهم للنظر فيما يقدم من التأليف في هذين الموضوعين قليلة الأمل في تأدية وظيفتها فإن اول الموضوعين المطلوب التأليف فيه صعب جداً لأن حالة معلومات الإنسان الآن وقلة كفاءته لا تسمحان له بأن يحيط بجميع اللغات السامية فمن ذا الذي يمكنه ان يحيط كل الإحاطة باللغة العربية والعبرانية والسريانية والحبشية ويحيط بما كان للأشوريين من العلم والتمدن وما كان لتلك الملل المتقدم ذكرها من الآداب ان ذلك ليكاد يستحيل وجوده في شخص واحد فالمستشرقون من العلماء لم يخطروا بأنفسهم في سبيل تأليف تاريخ اللغات السامية وقد قال أستاذ مدينة ستراسبورج نفسه إنه ليس في وسعه ان يشرع في تأليف مثل هذا أمّا الموضوع الثاني فربما كان أسهل من الأول ولكن الأسانيد فيه عديمة الوجود نعم إنه قد يمكن تأليف التاريخ بطريق التقريب بالاستنباط مما بقي من أشعار وتأليف الأقدمين ولكن المستعربين من العلماء يفضلون الانتظار حتى تنتشر التأليف الموجودة بمخزائن كتب أوروبا

والشرق ومن ثم كانت اللجنة آسفة على أن لم يتقدم لها أي مؤلف أوروبي من المستشرقين في الموضوعين الآنفين الذكر أما العرب فقد كانوا أكثر إنتاجاً إذا ألفوا ستة تأليف بلسانهم وأرسلوها الى اللجنة ومن ضمن تلك التأليف تأليف واحد جدير باستلقات نظر اللجنة عنوانه "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب" ألفه الشيخ محمود شكري افندي الألوسي من بغداد وهو وان لم يكن مستوفي الشروط التي اشترطتها اللجنة إلا إنه كثير المزايا حتى استحق ان يعرض شأنه الى جلالة الملك أما باقي التأليف فكانت عبارة عن مجموعات عديمة الجدوى مستنبطة من كتب من الدرجة الثانية والثالثة وكانت كلها خالية بالكلية من أفكار وانتقادات مؤلفيها وكان البعض منها مشوباً بمسائل دينية لا محل لها في مواضع سابقة على الإسلام وذلك هو الذي ألجأ اللجنة الى الصفح عن ذكرها والذي يدل على اعتبار أوروبا لكل عمل خالٍ من الأفكار الدينية يقوم به علماء الشرق هو ما أمر به جلالة الملك من منح مؤلف "بلوغ الأرب" الميدالية الذهبية المدة للفنون والعلوم ليجعلها على صدره معلقة في شريط وأزاً وترسل تلك الميدالية الى الشيخ الألوسي بواسطة سفير مملكتي السويد والنرويج ولم يُضَيَّعَ جلالة الملك فرصة هذا الموسم العلمي بدون أن يبرهن على حسن التفاته وشدة ميله الى علم الشرق فإن جلالتة لما لم يتقدم مؤلف ما الى اللجنة وجه أنظاره الى مؤلفات ألف ونشرت وهي في المواد المتعلقة بالمواضع التي عُرِضَ التأليف فيها على العلماء فأنهم بالميداليتين الذهبيتين الى اثنين من أشهر العلماء خدما اللغات السامية بما نشره من التأليف فأول هذين العالمين هو "تيودور نولدك" المدرس بمدرسة ستراسبورج الغني عن المدح الذي كل تأليف من تأليفه يُعد من جليل المؤلفات ولكنه لسوء الحظ لم

يمكنه ان يحضر هذا المؤتمر لموانع صحيّة وكان يود جلالة الملك ان يسلمه الميدالية في حضرته ايها السادة العارفون فضل استاذنا وصديقنا هذا واني مكلف من قبل جلالته بان أؤدي الى المسيو نولدتيك شعائر احترامه له وأسفه من عدم حضوره بهذا المؤتمر

”وقد كنت بدمشق منذ سبع عشرة سنة فصادفت بها شاباً هنكاريّاً عالماً كثير التواضع اسمه الياس جولدتسيير يحسن التكلم بالعربيّة وكان يمجده الإنسان في الأسواق والخوانيت والقهاوي وفي كافة الأتحاء وكان هذا الشاب العالم تلميذاً لشيخنا الطيب الذكر بمدينة ليبريج وقد حذا حذو أستاذه وفتح أبواباً جديدة لمعرفة دين الإسلام وآدابه وأفته وكان يُحب العربيّة حبّاً شديداً فنُبع فيها الى درجة عظيمة وكان أول من اهتدي الى معرفة أسرار الاسلام وهو الآن مقيم في مدينة بودابست في حارة هوللووتسا الصغيرة وقد أرسل اليها جملة مؤلفات جليلة القدر من تأليفه ونشر في هذه الأيام مؤلفاً جديداً محكم التحرير في العرب قبل الاسلام وهذا العالم الجزيل الفضل الواقف على نظمات العرب هو الذي أنعم عليه جلالة الملك بالميدالية الذهبية الثانية وانكم ايها السادة تعرفون حياة المسيو جولدتسيير ومقامه وتعرفون أن من يقصد مؤلفاته يجد فيها شذور الذهب الايريز وغاية القول ان طبع هذا العالم المفطور على الصدق والإخلاص واعتدال مشربه في الانتقاد اكسباه أصدقاء مخلصين في وطنه وفي جميع البلاد التي تحترم العلم - وإني ارجو المسيو جولدتسيير ان يتقدم ليستلم الجائزة المنعم بها عليه من يد جلالة الملك الشريفة

”وإني اختتم ذكر محبي العلم باسم الامير الشرقي الغزير المعارف محب علم

بلادهِ وافتها الذي أراد أَن يثبت لكم أَنه يقدر خدمات علماء أوروبا للعلوم الشرقية حق قدرها الأ وهو سمو خديو مصر مُحَمَّدُ توفيق المعظم فإنه أَنعم على الأستاذ دُهْجُويَّة بالنيابة عن جلالة الخليفة الأعظم بالنشان المجيدي من الدرجة الثانية مكافأة له على تآليفه التي نشرها في تاريخ العرب وجغرافية بلادهم وإذعاناً بما صرفه من المهمة في نشر تآليف الطبري وإني أرجو المسيو دُهْجُويَّة بأن يتقدم ليستلم من يد جلالة الملك النشان والأمر السامي بمنحه إليه

”وإني أيها السادة لم أذكر إلى الآن سوى المؤلفين على أنني لا يمكنني أن أنسى فضل من يعمون فوائد المؤلفات بطبعها ونشرها بين الناس فإننا معشر المستشرقين يجب علينا أن نقر لهم كل الإقرار بجميل خدماتهم ومن يستحق الذكر من بينهم بيت ”بريل“ بمدينة ليدن الذي تأسست باسمه المطبعة الشهيرة تحت رئاسة الموسيو فان أورديت والموسيو دُستو بلار وهي مفتوحة الأبواب للمستشرقين فلا ترد لهم طلباً غير مهتمة بسوى خدمة العلم مقدمة صالحه على منافعها الخصوصية وإن لها على المستعربين من بين باقي العلماء اليد الطولى التي تستوجب خالص الشكر والثناء فإنها بعناية المسيو دُهْجُويَّة قد نشرت من كبار المؤلفين مؤلفاً مشتملاً على عشرين مجلدًا للطبري غير واثقة بالحصول على ما انفقته في سبيل نشرها وذلك ما دعا إلى الإتيان على المسيو فان أورديت بالنشان المجيدي من الدرجة الثالثة من لدن سمو الخديوي الساهر على مكافأة من يقدمون خدمة إلى مملكة جلالة الخليفة الأعظم وإني أهني حضرة المسيو الموما إليه بهذا الانعام وأرجوه أن يتقدم ليستلم من يد جلالة الملك الفخيم ذلك النشان والأمر السامي المؤذن بمنحه إليه“

ثم تلاه حضرة الفاضل محسن خان سفير سمو شاه العجم بالاستانة العلية
ومندوبه بهذا المؤتمر وتلا مقالة بالفارسية من انشائه ضمنها شكر سمو اسكار الثاني
على عنايته بالمعلومات الشرقية وتخلص فيها الى ذكر آداب الشرقيين وسعة علومهم
ومعارفهم فصفق له الحضور استحساناً كما صفقوا لمن سبقه من الخطباء وأثنى عليه
سمو الملك

ثم تلاه مندوب الحضرة السلطانية جناب الفاضل مدحت افندي فألقى
باللغة التركية مقالة بليغة يخاطب بها سمو الملك ملخصها :
” حشمتينها (ياملجاً الحشمة والاحترام)

” إن متبوعي الأعظم وسلطاني الانغم صاحب الشوكة الغازي عبد الحميد
خان حامي حمى المعارف العثمانية القائم بشعائر العلوم الملية تلقى بكمال المحظوظية
طلب سموكم اشتراك السلطنة السنية العثمانية في أعمال المؤتمر الثامن الذي تقرر
اجتماعه للمستشرقين بعاصمة بلاد سموكم وقد أعلى — ادام الله ملكه — شرف
أحقر عبيده هذا وزاد قدر عاجزيتيه بانتخابه لحضور هذا المؤتمر وعده من
المنسوبين الى المعارف بيلاده المحروسة

وإن انتخاي لهذه الامورية من مليكي العلي الشأن أعده في ذاته من حسن
الطالع ومزيد الإسماعد ويزيد عندي هذه المحظوظية ويعلى شأنها كونه وسيلة لي
في أن أعرض أسنى التبجيل والتعظيم بذاتي على سمو أسكار الثاني ملك
السويد والترويح المعظم أمير العلماء وعالم الأمراء الذي زين تاريخ العلوم والفنون
بما وهبه من حمايته ومنحها من عنايته
” يا عالي الجنب ”

”إن من حضر هذا المؤتمر من سائر انحاء العالم ووُجد في هذا الجمع الحافل من العلماء والفضلاء يشاركوني في المخطوطة بالحضور لدى سدتكم ويضيء ضميره ما يُضيء قلبي من السرور والحبور بالمثل بين يدي عظمةكم وإن هذا القرن التاسع عشر لجدير بان تحمده الأعمار الخالية والأزمان الماضية لما شبل العلم والعلماء فيه من رعاية الملوك لها وعناية السلاطين بهما وقد يتيسر لأهل العلم وأصحاب الفضل ان يجتمعوا اخواناً حول منصة المباحثة يتذكرون فيما يُعلي شأن الانسان ويوجب سعادته“

”وليس من المتصور ان فرداً من أفراد العالم لا يقدر هذه النعمة حق قدرها او يتأخر عن القيام بواجب شكرها“

”فمن أجل ذلك أرى من وظائف المقدسة الابتغال الى الحق جلّت قدرته وعلت كلمته ان يُطيل بقاء جميع الملوك المحامين للمعارف المشوقين لأربابها وان يمنح سموهم من بينهم كمال الصحة وطول العمر ودوام العافية كما أرحو أن جميع أبناء النوع الإنساني يشاركونني في هذا الدعاء ويعترفون معي بقدر هذه النعمة وحقبة ذلك الثناء ويتحدون معي في التأمين — آمين“

فلما فرغ من خطبته صفق القوم استخساناً وتشكروا له وأثنى عليه جلالة الملك ثم قام بعده سيدي الوالد وانشد قصيدته هذه :

اليومَ أسفرَ للعلوم نهارُ	وبدت لشمس سمائها أنوارُ
وزهد فنون العلم وازدهرت بها	أفنانها وتناسقت أنوارُ
وغدت لأرباب المعارف دولةٌ	غراء صاحب ملكها أسكارُ
أسكارُ الثاني الذي اعترف له ١١	أقطار وارتفعت به الأقدارُ

وَرَعَى حَقوقَ العلمِ يُعْلِي قَدْرَهُ
وَدَعَا لَهُ الْفَضْلَاءَ دَعْوَةَ نَاصِرٍ
هِيَ دَعْوَةٌ طُنَّتْ بِأَذَانِ الْعُلَمَاءِ
عَرَفَتْ بِقِيَمَتِهَا الْبِلَادُ وَأَهْلُهَا
أَمْرُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعَارَهُ
فَسَرَى بِهِ فِي مِصْرَ مِنْ تَوْفِيقِهِ
وَإِذَا الْمَلِكُ أَرَادَ يُنْجِجَ مَقْصِدًا
مَوْلَى لَهُ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ يَدٌ
وَأَعَانَ كُلَّ زَعِيمٍ مَمْلَكَةٍ لَهُ
يَحْدُو إِلَى أَرْضِ السُّوَيْدِ أَمَانًا
مُسْتَظْهِرِينَ بِدَعْوَةِ الْمَلِكِ الَّتِي
فَتَسَارِعَ الْعُلَمَاءُ تَلِيَّةً لَهُ
يَقْتَادُهُمْ صَيْتٌ يَشُوقُ سَمَاعَهُ
سَمِعُوا بِشَهْرَتِهِ وَصِيتِ ثَنَائِهِ
وَسَمَاءِهِمْ فِي أُنْتَحَاكُمُ بِأَمْرِهِ
جَمَعَتْهُ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا
أَلْقَتْ بِأَفْلَاحِ الْكِبُودِ إِلَيْهِ مِنْ
نَادٍ بِهِ احْتِفَالُ الْأَفَاضِلِ حِفْلَةً
جُمِعَتْ لثَامِنٍ مَرَّةٍ مَعْدُودَةٍ
جَمَعْتُمْ الْأَقْدَارَ جَمْعَ سَلَامَةٍ

فَمَا يَهْتَمُّ لَهُ مِقْدَارُ
لِلْعِلْمِ فَهُوَ بِهِمْ لَهُ أَنْصَارُ
وَتَنَاقَلَتْ أَخْبَارَهَا السُّمَارُ
وَمُلُوكَهَا وَتَسَامَعُ الْأَفْطَارُ
نَظَرًا وَأَنْظَارُ الْكِبَارِ كِبَارُ
نُورٌ وَمِنْ بَرَكَاتِهِ أَسْرَارُ
نَالَتْهُ مِنْ تَوْفِيقِهِ آثَارُ
وَلِكُلِّ مَوْجِعٍ مَقْصِدُ أَنْظَارُ
بَشُورُنَ أَهْلِ بِلَادِهِ اسْتَبْصَارُ
مِنْ قَوْمِهِ أَمْثَالُ أَخْيَارُ
عَمَّتْ وَمَا لِسَمَاعِهَا إِنْكَارُ
بِالطَّوْعِ تَسْبِيحُهُمْ لَهُ الْأَخْبَارُ
وَيَسُوقُهُمْ شَوْقٌ إِلَيْهِ مِثَارُ
سَمِعُوا يَذْكُرُهُمْ بِهِ التَّكْرَارُ
نَادٍ تَشَاخُصُ دُونَهُ الْأَبْصَارُ
وَجَنُوبُهَا وَشَمَالُهَا الْأَقْدَارُ
إِبْنَائُهَا فِي حُبِّهِ الْأَمْصَارُ
بِحَدِيثِهَا لِنَقْدَامِ الْأَعْصَارُ
فِي الدَّهْرِ لَا يَنْسَى لَهَا تَذْكَارُ
وَاللَّهُ فِي أَقْدَارِهِ مَحْتَارُ

متألفين بعيدهم بقريهم والفضل أقرب وُصلة تُشارُ
من كل فياض التريجة وِردهُ عذبٌ وبجر علومه زخارُ
تندفق الافكار نحو يراعه فيفيضُ من أنبويه تيارُ
من كل معني شفاء عنه لفظه كالخمرِ ثم بها الزجاجُ تُدارُ
ومؤزّر بالفضل مشتمل به منه شعارُ زانه ودثارُ
حبرٌ إذا ولي البراغِ بنانهُ زان الطروس بوشيا الأحبارُ
ويعوص أعماق المباحث باحثاً عن كشف كل فريدة تُختارُ
دُررٌ يروق الطرف منها رونقُ بهج تحار بوصفه الأفكارُ
لذوي المفاخر من حلاها زينةُ تبقى ولا يبلى لمن فخارُ
لا زال ملكُ الفضل معموراً لذرى بذويه ممدوداً له الأعمارُ

فصنف القوم وابتهج العارفون باللغة العربية والفنون الأدبية وتشكره سمو
الملك وأثنى عليه الأعضاء وطلب منه كاتب المؤتمر نسخة من القصيدة وطلبها كثير
سواه وقد نسخوا منها عدة نسخ بعد الحفلة منهم حضرة الفاضل الجنرال نجف علي
خان مندوب سمو الشاه لدى سمو خديوي مصر ووافده لدى المؤتمر قد كتب
نسخة منها لنفسه ونسخة لرئيس وفد العجم والظاهر أنه أرسل صورتها لجريدة
"أختر" التي تطبع بالفارسية في الاستانة فاننا وجدناها بعد عودتنا الى مصر
مطبوعة في عدد هذه الجريدة الصادر بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٣٠٧ الموافق ١٦

سبتمبر سنة ١٨٨٩

ثم قام بعد سيدي الوالد حضرة الكونت ده لاندبرج وتلا خطبة عربية جواباً
لصاحب العطفة مدحت افندي مندوب جلالة الخليفة الأعظم ولسيدي الوالد

مندوب سمو الخديوي الافخم وهي هذه :

” مضت القرون المتوالية وحمى المعارف ملحوظ بعنايات الخلفاء اذ كانوا يستجلبون رجالها الى نواديهم بما يبذلون لهم من واسع النفقات وما يسنون من الجوائز حتى تكاثرت وفود العلماء على ساحاتهم وازدحمت أفواج الأدباء بأبوابهم مما كان باعثاً لهم الطالبين على النشاط حتى عمت الفائدة وانتشرت المنفعة . هذا المفضل الضبي والأصمعي وأبو عبيدة وأضرابهم ممن تقدمهم أو تأخروا في الزمان عنهم لولا تلك الجوائز الماثلة التي حصلوا عليها من المهدي والرشد وغيرها ما وصلت العلوم الماثورة عنهم الى ما نراها عليه اليوم من انتشارها بين الخافقين وفي جمع المأمون للعلماء ومناظرته إياهم المرة بعد الأخرى في عدة من أنواع العلوم العالية ما يكفي حجة لأن العلم كان اذ ذاك تحت حماية الخلفاء ونحن الآن في عصر لا جرم يذكرنا بذلك الزمن المبارك فهذا سلطان الوقت صاحب الجلالة عبد الحميد الثاني لا يزال ييدي من غيرته على المعارف ما يجعل أيامه بالأيام الماضية أشبه فلقد أرسل الى مجتمعتنا هذا حضرة الفاضل مدحت افندي الجامع في كتابته بين حسن السبك وقوة المعنى ولا ريب ان في انتخاب مثله لهذا المجتمع حجة دامغة على معرفة الباعث برجال الأهلية واللياقة وهذه أول مرة أرسل فيها من قبل الحضرة السلطانية العالية لأجل اللغة التركية رجل تركي بحت حر الفكر والقول فهو نخبة الترك علماً بفضل المرسل وتكرمة للمرسل اليه فنحن نشكر جلالة السلطان الاعظم على هذه العناية الفاضلة راجين ان يدوم اتحادنا مع جلالتهم في المقاصد الخيرية لاننا لا ننسى الا لما يسعى اليه من نفع الشرق واهليه قائلين جميعاً بوحدانية رب العالمين

”وحبذا لو ان جلالتُه جعل المعارف في الشرق تحت حمايته السلطانية فان له يدًا لا تلو عليها يد والعلم متي حفظ جانبه اشتدت رغبة الطالبين فيه وهذا مما يوجب انتشاره بين أفراد الرعية التي ترى يقينًا ان جلالتُه لها أب شفق يسره ان يجد ابنائه كلهم راتعين في بُجوحة الكمالات الانسانية على ان جنابه الأعظم أنبه في مثل هذا من أن يُنبه فإنه بالحقائق اعلم من كل عليم ثم اني أوجه الآن خطابي الى صاحب السعادة العلامة الشير الفاضل عبد الله فكري باشا رئيس الوفد المصري ووزير المعارف بمصر سابقًا فكلنا يعلم ان مصر من أقدم الممالك في المدينة وآثارها أعيان تشهد بفضلها القديم ولها فخر الأُسقية على أكثر بلدان المعمورة فيجب علينا الآن بنخسها اليوم حقها ولا نسقطها عن منصبها الكمالى فلقد اصبحت على تقهر البلاد الشرقية منبع المعارف ومظهر الآداب ولا سيما منذ استولت العائلة العلوية على عرش الحكم فيها فهذه علوم اللغة والنحو والفقه في مصر لا تزال تقرأ بها العيون وتطيب النفوس على فقدانها او جزء عظيم منها فيما عداها من الأقطار وتلك مدرستها الكبرى الجامعة المعروفة بالأزهر أشهر مدارس الشرق فاطبة فلذلك ما برح وفود الطلاب اليها من كل حدب من شاسع النواحي ينسلون حتى من مكة والمدينة الشريفتين وذلك لكمال معدات العلوم فيها ولا خفاء ان صاحب السمو الخديوي العظم هو الحامي لما الغيور عليها المعني بتكثير وسائلها في بلاده ما أمكن فهو أيده الله بفضل لا يجد طريقًا لتقدم المعارف في مصر الا مهدها للطالبين فانتهمجوها صراطًا مستقيمًا لا يلعق مجنازه عثور كما هو رغبة الحضرة العلية السلطانية

”وان عاصمة مصر وهي القاهرة لا شك ان لها من اسمها نصيبًا فترجو لها دوام

التقدم حتى تكون قاهرةً بعلومها لما دونها من البلاد ومثل هذا القهر لا يعاب فإن الغاية منه حَسَنَةٌ ورب متعقب ينكر علينا معاشر الأوروبيين عنايتنا بالمعارف الشرقية والآداب الإسلامية زاعماً ان لنا في ذلك غايةً سيئة معاذ الله فإنما مقصدنا الحقيقي أنما هو إيقاف الغربيين على كنه ما في الشرق مما لا يزال مجهولاً لديهم لكيلا يغتروا بظواهر ما في بعض الكتب التي أُلفت في احوال الشرق على عدم رؤية مؤلفيها إياه ومع ذلك فإن طلب العلم مندوب إليه قال الله تعالى "وقل رب زدني علماً" وفي الحديث الشريف "العلماء أمانة الله على خلقه" فنحن نضرع الى الله تعالى ان يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وان يصل مقاصدنا بالنجاح فهو نعم المعين

ثم خطب المسيو "شيفر" وافد فرنسا بالفرنساوية ثم الكونت "أنتيلو ده جوبرناتس" وافد ايطاليا بالاطالية ثم خطب عالم انجليزي بالانجليزية ثم ياباني باليابانية ثم راهب هندي بالهندية ثم وثم الى ان انتهى جميع الخطباء من استقر عليهم الرأي بالأمس والجميع يصفق للخطيب عقب خطبته والملك يشكره على حسن مقالته حتى انقضت الحلقة والساعة ١٠ و٢ دقائق بعد الظهر وانصرف الملك بعد ان صافح بعض الأعضاء ومنهم الوفد المصري فتوجه الأعضاء الى المحال المخصصة بانعقاد الفصول لانتخاب رؤسائها وكتبة اسرارها وتوجهنا نحن الى قاعة الفصل الأول من القسم الأول المخصص بلغات الأمم الإسلامية وآدابها فإنه اللائق بنا والمناسب لنا من بين سائر فصول المؤتمر التي سيأتي الكلام عليها وهناك عرض حضرة الكونت ده لاندبرج ان لاتكون الرئاسة منحصرة في شخص واحد لعدم توهم التمايز وان تكون دائرة بين عدة اشخاص بالتناوب وهم المسيو

دُهُ كَرِيمَ وافد النمسا والمسيو شيفِرَ وافد فرنسا والمسيو ده جُوبَة وافد هولانده
ويظهر ان هذا العرض كان على سابقة اتفاق بين الكونت وباقي الأعضاء بدليل
اقرارهم على هذا المقترح بدون مناقشة وهكذا كان الحال في الانتخاب بالنسبة لغير
هذا القسم من الأقسام والفصول على ما نفي

ثم دار الحديث بعد هذا الانتخاب وبعد تعيين كاتب سر الفصل في معرفة
ما إذا كنا نبدأ في العمل اليوم من الساعة ٣ الى الساعة ٥ بعد الظهر كالمقرر في
الپروجرام المطبوع أو لا نبدأ فأنخط الراي بعد مداولة على مارآه الاستاذ
جاندِيسِير من ان لا بُدَاءة في هذا القسم اليوم وان يكون بدء العمل في اليوم
التالي فعدا الى الفندق لتغيير ملابسنا الرسمية واستبدالها بالملابس المعتادة ابتغاء
الاستراحة حتى يأتي وقت لبسها ثانية عند التوجه الى دعوة الملك بقصر
دُرُوتِنجِهْم حيث تسير الوابورات من المينا اليه والساعة ٦ بعد الظهر من هذا النهار
وما لبثنا ان عدنا الى الملابس الرسمية وركبنا العربات قاصدين رصيف
ريدارهلم فوجدنا الوابورات في انتظارنا وركبناها وأقلعت بنا سائرة في بحيرة ميلار
قاصدة ذلك القصر في الساعة المعينه



❖ دعوة الملك ❖

بقصر مصيفه في دُرُوتِنجِهْم

يتوصل الى هذا القصر بطريق البر بالعربات وبطريق البحيرة بالوابورات
ونقوم عدة مرات في اليوم من الحبل الذي نزلنا منه فتصل الى موقع هذا المصيف
في نحو ثلاثة أرباع ساعة فقط بأجرة نصف كورون

اما نحن اعضاء المؤتمر فقد ركبنا الواورات الملوكة التي كانت في انتظارنا وسارت بنا تخر في بحيرة ميلار تمتع النظر بما على شاطئها من الأشجار والأزهار وبما بها من الجزائر اللطيفة والمناظر الظرفية وهذه البحيرة ملاءى بالجزر لا تخلو جهة منها من جزيرة صغيرة او كبيرة فصرنا نُسرحُ الطرف فيها أماماً وخلفاً وذات اليمين وذات الشمال بما اشتملت عليه من الرونق والبهاء وما كسبت به فطرة من كمال الازدهاء وما حوته من محلات مصيف الأغنياء ومنزهات الامراء والعطاء حتى جاووزنا فرع هذه البحيرة الذي يتجه نحو أنيسال واستمر بنا المسير الى الأمام ننتقل من جزيرة الى جزيرة والشواطىء ملاءى بالأهالي يحيوننا بالاشارة والعبارة رافعين أصواتهم وقبعاتهم ومناديلهم إشارة الى الفرح بالاستقبال وأمارة على السرور والابتهاال حتى وصلنا الى جزيرة "لوفون" احدى هاتى الجزر القائم عليها قصر درُوتنجهلم

وهو بناء رفيع ذو طبقتين وجهته متجهة نحو البحيرة بينهما ميدان فسح ووراء القصر حديقة متسعة متقنة النظام تناظر أحسن منزهات أوروبا المشهورة فى البهجة وحسن الرونق والإحكام

وقد تأسس هذا القصر فى أواخر القرن السادس عشر بأمر الملكة "كاترينه ياجلُون" واحترق بعد ذلك فأعيد انشاؤه بعد مائة عام ووجه الملوك منذ ذلك الحين أنظارهم اليه فزينوه بديع الرسومات وجميل الصور وحسنوا فيه حديقة وطرقاتها وسككها وسائر جهاتها حتى بنى أحدُهم أدولف فريدريك سنة ١٧٧٠ فى هذه الحديقة بناء لطيفاً على هيئة معابد الصينيين وزينه بديع آثارهم ومنتخبات تحفهم وأراد أن يهدي هذا البناء الى قريته يوم عيد ميلادها ولكن أسر ذلك فى

نفسه ولم يُبده لآحد ليكون اهداؤه لها مفاجأة على غير سابقة انتظار منها ليزيد بذلك سرورها ويتم به حبورها

ويشتمل القصر المتقدم على كثير من المحلات في طبقتين أهمها في الطبقة الأولى دهليز فسج مزخرف موصل الى اربع قاعات متسعة يتوصل بياب من كلٍ منها الى الأخرى وهي قاعات المقابلات الرسمية والاحتفالات التشريفية وجميع محالهِ منورة بما لا يحصى من المضيئات وكذلك ميدانه وحديقته مزينان بأحسن الزينة منوران بألبحج أنوار الكهرباء

وقد قابلنا حال وصولنا رجال تشريفات الملك فصعدوا معنا الى القاعات التي ذكرناها وأخذنا نثني فيها ونتمتع الطرف بما حوته من الصور والرسومات التي تمثل وقائع السويديين الحرية برأ وبجراً مع الروسيين والألمانيين والفرنساويين الى ان انتقلنا الى أحسن هذه القاعات إنقانا وأكثرها زخرفة واعظمها اتساعاً وقد رُسم فيها صورُ من ملك أوروبا من الملوك قبل اربعين سنة ومنها صورة السلطان المعظم المرحوم عبد المجيد خان والد الخليفة الأعظم الحالي مولانا السلطان عبد الحميد خان فجعلنا نتفرج على صور هؤلاء الملوك ونأتس بمن لقيناه من الأساندة المستشرقين وتحدث معهم حسب مقتضيات الأحوال فتارة في زينة هذا القصر واستمداده وأخرى فيما ينجر اليه الحديث بالمناسبة من اخبار المتقدمين الغربيين والشرقيين والجنوبيين والشماليين ومسامرة هؤلاء الأفاضل لا يملها السمع ولا يكل منها اللسان وملاطفتهم لا يستطيع وصفها إلا انسان

وبينما نحن في هذا الاتناس نتفرج على الزينة التي أعدت بمجديقة السراي وميدانها والتي أعدها الأهلون بالوابورات الصغيرة التي أكثروها وركبوها ورسوا

بها في أطراف البحيرة أمام القصر على مد البصر وهي مئات وأكثر من مئات وإذا
بالمملك رسا بوابور صغير على الساحل — ويجرد نزوله الى البر اشتعلت الصواريخ
التي أعدت في ميدان القصر وتبعها ما أعدّه الأهلون في وابوراتهم من ألعاب
البارود حتى كان المنظر بالغاً في العظم ما لا يوصف والأهالي تصبح بما معناه
”يعيش الملك يعيش“ قائلة ”هورآه“ اربع مرات على حسب عادة البلاد مما
يسمع ضوضاؤه من مسافات بعيدة ومما يؤكد ما لهذا الملك الفاضل في قلوب
رعاياه من الحب والمكانة وأخذت الموسيقى الملوكية وكانت على باب القصر في
اداء السلام ولكنها لم تطل ليتمكن الملك من تحية ضيوفه فصار يحيي الجميع بيشاشة
وجه ويصافح البعض ويزيد على ذلك بعض كلمات لمزيد الإكرام حتى وصل
الينا فصافحنا مبتدئاً بالسيد الوالد ملتفتاً اليه كل الالتفات حتى خاطبه بما لفظه
”فانظريه كثير“ مردفاً ذلك بالاستفسار منه عما يقول فيما يراه وعن أحوال
صحته واقامته وراحته في هذه الديار فشكر سيدي الوالد سموه على التفاته اليه
بما يليق بعالي مقامه من واجبات الشكر والتعظيم وقد تشرفت بانقيام بترجمة ما دار
بينهما من الخطاب الملوكي والجواب التشكري اتباعاً لما اشار اليه الملك به في أول

مقابلة من ان أكون الترجمان بين سموه وبين سيدي العزيز

واستمر سموه بعد الفراغ من تحيئتنا يحيي من لقيه من ضيوفه نساءً ورجالاً
وسمح بان تقدم اليه الاعضاء الغير الرسميين الذين لم يقدموا اليه الى الآن فقالوا
شرف المثول بين يديه وحصلوا على التفاته ودام هذا الحال نحو ساعة والموسيقى
الملوكية تصدح بأحسن الانغام حتى أعدت موائد الطعام

فأخذ الملك في النزول الى الطبقة الأرضية من القصر وتبعه الضيوف والامراء

البالغ عددهم نحو سبعمائة نفس وفيهم من النساء نحو مائتي نفس حتى دخلوا قاعات الأكل وهي تحت القاعات العلوية على اتساعها والاطعمة مرصوفة على موائد في وسطها حسب عوائد البلاد يأخذ منها الانسان ما أراد ليتعاطاه في اي موضع شاء غير ملتزم في ذلك ترتيب الأطعمة ولا ملزم به.

فأخذ الملك يأكل والضيوف كل على حسب راحته وما يشتهي وأحاط بسيدي الوالد جماعة من فضلاء الاصحاب التزموا خدمته في الطعام ومسامرته في الكلام وأخذنا نحن تارة نأكل وتارة نخدم من نساء هؤلاء الفضلاء زوجة هذا وأخرى زوجة ذاك فتناول هذه صنفاً تشتهي وتناول تلك شيئاً تبتغيه وذلك من أعظم مراتب الشرف عند الغربيين فهم يوجبون خدمة النساء وتعظيمهن وأداء ما يوجب راحتهن لأن الرجل يقوى بطبيعته على ما لا تقوى عليه المرأة من مشاق الأعمال ولما كانت عوائدهم ظهور النساء في مجامع الرجال التزموا خدمتهن والقيام بمعاونتهن وملاطفتهن.

على أن تلك الأميرات عالمات فاضلات وكل من حواه هذا المحل من النساء في هذا المساء كن لباسات ملابس في غاية الاحتشام مغطاة صدورهن إلى الرقبة مستورة أيدين بعيدات عما يكن عليه في جمعيات الرقص والمخامرة وما شابهها فإنهن يكن فيها مكشوفات الصدور والأيدي وبعض الظهور الى حالة لا يسغسغن منها من كان على غير هذه العوائد وكن بهيئتهن الكمالية في هذه الليلة حيث يتباحثن في العلم مع العلماء ويتجادبن حديث الفضل مع الفضلاء بعيدات عن هيئتهن في ليالي الرقص والمخامرة حيث يلتف الذراع على الذراع ويقترب الصدر من الصدر والوجه من الوجه ويدور الحديث المناسب لهذه الهيئة الموافق

لمقام هذه المخاصرة اثناء الرقص وحالته والطرب ومزاجته .
هذا وقد كان الملك في اثناء الطعام يشرب على صحة الملوك الذين أرسلوا
الوفود الى المؤتمر وكلما شرب على صحة ملك صدحت الموسيقى بسلام ذلك
الملك وهكذا لما شرب سموه على صحة الخديوي المعظم صدحت الموسيقى بالسلام
الخديوي

ولما فرغ الملك من الشرب على صحة من تقدم أراد أن يشرب على صحة
جميع أعضاء المؤتمر جملة فرفع القدر وأشار بالاصفاء وقال :
” يا حضرات أعضاء المؤتمر الكرام

”إنني وإن كنت وجدت نفسي كثيراً والله الحمد مذعشت في أوقات
سعادة وهناء إلا أنني لم أجد نفسي قط في حالة أسعد من التي أنا عليها الآن إذ
لا سعادة تعادل حظ الوجود في مجتمع مثل مجتمعكم انتم يا خلاصة العرفان .
وباثرة فضيلة الإنسان

” فقياماً بشكر هذه النعمة ووفاء بالواجب لميستمكم الجديرة بالاحترام
والإعظام أشرب هذا الكأس ”

ثم شرب فصاح الجميع بالدعاء قائلين ما معناه ” ليعش الملك ” مراراً
وأردفوها ” هوراه ” أربع مرات حسب لغة البلاد كما تقدم وقصد وفد من أكبر
الأعضاء سناً في الحال صوب الملك نيابة عن جميع الأعضاء وفي يدهم الأقداح
فلما قربوا منه رفعوها فوق رؤوسهم مكررين الدعوات ووافقهم باقي الأعضاء حتى
إذا فرغوا من الدعاء بالمرّة الرابعة شرب الجميع الكأس على صحة الملك وكانت
الساعة تسعاً ونصفاً وقد آن وقت الانصراف فخرجوا جميعاً وركبوا الواهورات

التي كانت لا تزال في انتظارهم وسرنا عائدتين الى استكملم
وكانت الشواطىء جميعها من القصر الى المدينة ملاءى بالاهالي واقفين
وبأيديهم المضيئات البارودية تسطع بسائر الألوان يحيئون اعضاء المؤتمر ويصيحون
بما معناه "يعيش اعضاء المؤتمر" متبئين ذاك بقولهم هوراه أربع مرات معيدين
ذلك كلما صاح واحد منهم بذلك أو صاح من بالوابورات بمعنى يعيش السويديون
و يعيش الملك او غير ذلك

وكانت الزينات تتبعها الزينات في القصور القائمة على الجزر التي في ممرنا
وفي الأشجار بأشكال تدهش الأبواب حتى صوراً اقدم برج ايفل بالبارود الملون
فكان يخيل للرأي أنه ذلك البرج في ليالي زيتها وصور بعضهم بعض رايات
الدول بالقناديل وبالبارود ذي الألوان فيحسب الرأي انه يرى راية الدولة المعهودة
له في غاية الوضوح وما زال الوابور يسير الهوينا والاهالي يتبع فرحاً وسروراً
والمصاييح تسطع نوراً حتى وصلنا في أكثر من ساعة الى الرصيف الذي نزلنا منه
والمدينة كلما قاربناها تبتنا زيتها الباهية وأنوارها الزاهية والاهالي في انتظارنا
على غاية الازدحام يبلغ عددهم الألوف المؤلفة وفي أيديهم المصاييح المنورة بالبارود
الملون تسطع أشعتها على مسافات بعيدة وهم مع هذه الكثرة في غاية الانتظام
موسعين للاعضاء طريقاً فسيحة يرون فيها من الرصيف الى الشوارع قترام مجانيبي
هذه الطريق مصطفين كأنهم بنیان مرصوص لا يبدون مزاحمة ولا يبدو منهم غير
شارات الترحيب بالاعضاء والاحتفال بهم صائحين "فليعيش المؤتمر فلتعيش
اعضاؤه"

ولم تكن زينة المدينة من الداخل في هذه الليلة ابتهاجاً بافتتاح المؤتمر بأقل

من زينة الخارج فكنا نرى الدور العالية والقصور المشيدة على تعدد طبقاتها وشدة ارتفاعها منارة بأزهي ما يكون وأبهي ما يتصوره المتقن المتفنن في فنون الزينة والزخرفة والتنظيم

فتفرجنا بالمدينة ومتعنا الطرف بهذه المناظر المدهشة والأنوار المنمشة والناس يحتفلون بنا ويكررون تعظيمنا ونحن نظرهم علامات السرور على هذه اللطاف حتى عدنا إلى الفندق فوجدنا وجهته الطويلة العريضة العظيمة الارتفاع مزينة من أولها إلى آخرها بأنوار الغاز على أشكال بديعة وأفانين غريبة بواسطة أنابيب متفرعة في سائر جهات الوجهة موضوعة بطريقة متينة تدل على أنها وضعت مع البناء فدخلنا الفندق وأردنا قبل النوم أن نتفرج على الزينة فنظرنا من خرجة الصالون المطل على الوجهة زينة الميناء وأنوارها الساطعة وقدر مد البصر وابورات على سطح البحيرة تطلوها الرايات متنية في الأضواء المنبعثة أشعتها منها والميدان والرصيف الواقعين أمام الفندق مزدحمين بالأهالي ينتظرون عودة من بقي من الأعضاء ليؤدوا له واجبات الترحيب والإكرام وقد لحونا بطربوشينا في الخرجة فصاحوا هورا وتبعهم غيرهم وأعادوا ذلك مرارا ونحن نكرر الشكر لهم حتى دخلنا وقد مضى قسم كبير من الليل



❖ بعض تفصيلات ❖

في

تقسيمات المؤتمر وأعماله

ينقسم المؤتمر بالنسبة لأعماله الى خمسة اقسام
القسم الأول قسم الألسنة الإسلامية والسامية نسبة الى سام بن نوح وفيه
فصلان الفصل الأول يختص بلغات أهل الإسلام وآدابهم والفصل الثاني
يختص باللغات السامية غير العربية

القسم الثاني قسم الألسنة الآرية أي السنة الآريين وهم أمم أصلهم من
بلاد الهند ومن نسلهم أهل أوروبا الحاليون

القسم الثالث قسم اللسان الأفريقية ومنها اللسان المصري القديم

القسم الرابع قسم آسيا الوسطى والشرق الأقصى

القسم الخامس قسم ماليزيا وبولينزيا

وقد جعلت رئاسة الفصل الأول من القسم الأول للبارون ديه كريبز
والمسيو شيفر والمسيو ديه جوية بالتناوبة بينهم وعين لكتابة السرفيه المسيو مكس
برنخيم

وجعلت رئاسة الفصل الثاني منه للمسيو فيز وجعل له نائبان المسيو
كولسن والمسيو أوتيز على التعاقب بينهما وعين لكتابة السرفيه المسيو نولاندز
والمسيو بنين

وجعلت رئاسة الشرف في القسم الثاني لحضرة محسن معين الملك خان

وافد العجم ورئاسة العمل فيه الميسومكس مؤلّز والمسيو ويبيز والمسيو شيجل
على التناوب بينهم وعين لكتابة السر فيه المسيو لثمن والمسيو يوهانسون

وجعلت رئاسة القسم الثالث لسعادة بروكش باشا

وجعلت رئاسة القسم الرابع والخامس للمسيو شيجل وجعل له نائبان وهما
المسيو كوست والمسيو كوردييه وعين لكتابة السر فيها كل من المسيو بول
والمسيو ستوايه ثم انفصل القسم الخامس وجعل المسيو كزن رئيساً له والمسيو
كوست نائباً للرئيس والمسيو ستولب كاتباً للسر فيه

واللغات الرسمية التي لا يجوز استعمال غيرها في جلسات المؤتمر العمومية
وهي التي تجتمع فيها جميع أعضاء سائر الأقسام هي الفرنسية والنمساوية والانجليزية
والطليانية واللاتينية واللغات الشرقية وأما في جلسات الأقسام فالرئيس ان يقبل
وغير اللغات المذكورة

هذا وتعدد اللغات في هذا المؤتمر وعدم تكلم أعضائه في ما يخص كل لغة
بلسان أهل تلك اللغة جعل الكثير من الأعضاء لا يفهمون ما يلقيه العلماء فيه
من الكلام والمقالات فهؤلاء من علماء أوروبا الذين تكلموا في العربية وفي
الحديث وأصوله وفي التاريخ وتاريخه التي استتبعوها منه وغير ذلك من متعلقات
العرب وآدابهم لم يتيسر لنا معشر الوافدين المصريين ان نفق حق الوقوف على
أبحاثهم في مواضعها حتى نتمكن من مناقشتهم في نفس الجلسات ومبادلة الأفكار
مهم في شأن ما ألقوه فإن غالبهم تكلم بلغاتهم الأوروبية الغير المألوفة لنا ولم
يتكلم واحد منهم في الجلسات بالعربية في تعبير ما أرادوه فلو اقتصرنا على حضور
الجلسات ولم نصطحب مع من اصطحبنا منهم صعبة خصوصية لما يتيسر لنا ان نفهم

بعض ما عرضوه ولما تمكنا من مبادلة افكارنا معهم بشأنه وابداء ملحوظاتنا
وأرائنا لم فيه

فكان الواجب أن يكون الكلام بلسان القوم الذين يتكلم الباحث في لغتهم
فيكون بالعربية إذا كان كلامه يختص بلغة العرب او بالحديث وبالتركية اذا كان
كلامه يختص بلغة الأتراك قديمة وهي لغة جيغتاي أو حديثة وهكذا

والأ فكيف ينسني لأرباب الفصل الأول من القسم الأول مثلاً الذي كنا
من اعضائه ان يفهموا الباحث التي ألفت في اثنائه المتعلقة بلغة أهل الإسلام
وأدابهم وقد ألفت بلغات مختلفة غير العربية بعضها بالفرنساوية وبعضها بالانجليزية
وبعضها بالنمساوية وبعضها بالاطليانية الى غير ذلك من اللغات الأوروبية فهلا
كان الأجدر أن يكون الكلام بلغة العرب التي جرى البحث فيها فالواجب أن
يعتبر هذا في المؤتمرات المستقبلية

وبمناسبة ذكر المؤتمرات أذكر تواريخ المؤتمرات الماضية قبل هذا ومحللات
اجتماعها:

فالمؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣

و " الثاني بلندن سنة ١٨٧٤

و " الثالث بسان بطرسبورغ سنة ١٨٧٦

و " الرابع بفلورانس سنة ١٨٧٨

و " الخامس ببرلين سنة ١٨٨١

و " السادس ببلين سنة ١٨٨٣

و " السابع بويانا سنة ١٨٨٦

هذا وقد نقرر ان تكون جلسات هذا المؤتمر في الأقسام بمجال مخصوصة غير قاعة الافتتاح وأن جلساته العمومية تكون بالقاعة المذكورة وتجتمع فيها اعضاء جميع الأقسام وهي ثلاثة جلسة الافتتاح وجلسة الاختتام وجلسة بينها وتقرر أنه لا يزيد الكلام من المصوفي هذه الجلسات على عشرين دقيقة

على ان الكلام في الجلسات العمومية او الخصوصية لا يكون إلا بعد أن يُقيد طالب الكلام رغبته في ذلك بسكرتارية المؤتمر ويُنَمِّن الموضوع الذي يريد أن يبحث فيه وليس له أن يتكلم مع ذلك عمومية كانت الجلسات او خصوصية الأعلى حسب الترتيب الذي قيد طلبه فيه بحيث لا يتقدم على غيره في ذلك

وقد وزَّع على الاعضاء قوائم طبع فيها جميع المواضيع على حسب الترتيب الذي قيدوا طلبهم فيه وجعل فيها باب لكل قسم ذكر فيه اسماء طالبي التكلم على حسب ترتيبهم وتبين أمام اسم كل منهم الموضوع الذي يرغب البحث فيه فبلغت المواضيع في الفصل الأول من القسم الأول ٢٤ وفي الفصل الثاني منه ٢٦ وفي القسم الثاني ٢٢ وفي الثالث ١٩ وفي الرابع ١١ وفي الخامس أربعة

وبمناسبة ذكر عدد المواضيع اذكر ما تيسر من المواضيع التي خطب فيها الاعضاء باقسام المؤتمر على سبيل الإجمال بدون ان أتعرض للتفصيل والاحاطة وذلك لأن الاحاطة بهذه المواضيع المتعددة في اللغات المتنوعة والآداب المختلفة تكاد ان تكون مستحيلة يعجز عنها كبار العلماء على ان كاتب اسرار المؤتمر نفسه تهمد رسمياً ان يطبع تفاصيل أعماله مستمعين في ذلك بالأفاضل الذين يمجثوا فيه وخطبوا في مواضيعه فإنه طلب من كل واحد من اعضاء المؤتمر بحث في موضوع أن يُعطي السكرتارية ملخص ذلك الموضوع بالكتابة وليس عندي

في بيان المواضيع غير مذكورة مختصرة جداً ولم يكن حضوري في غير الفصل الاول من القسم الاول الا متفرجاً ومع ذلك لم يمكنني ان أحيط بتفاصيل ما ألقى به لما مر من ان غالب التكلم فيه كان بغير اللغات التي أعرفها فمن أراد زيادة الوقوف على المواضيع ومعرفة التفاصيل فليتنظر الكتاب الذي وعد به حضرة سكرتير المؤتمر

وهذا ذكر ما وعدنا به اجمالاً وهو انه تكلم في الفصل الاول كثير من الأعضاء ومنهم الوفد المصري وسأتي الكلام فيه فخطب المسيو موللر خطبة تكلم فيها على تاريخ الحكماء لابن القفطي وألقى المسيو إيتيه مقالة تكلم فيها على معجم الأدباء لياقوت وعلى فهرست اعتنى بجمعه والتزم فيه ذكر جميع المؤلفات العربية التي بخط اليد وخطب المسيو هومل في أصل اشتقاق كلمة رونق وتكلم الأستاذ ليتنز على الجامع الذي سمي في بنائه ببلاد الانجيز وعرض على الأعضاء رسومات مأخوذة بالفظوغرافيا عن بعض محلات ذلك الجامع وقرأ المسيو جلدتسير ما كتبه على أصول الحديث وما كتبه صاحبه المسيو شرينز على انتشار مذهب الأشعرية وتلا حضرة الفاضل الشيخ شعيب بن عبد الله قاضي تلمسان ووافد الجزائر قصيدة من نظمته في مدح سمو الملك أسكار الثاني صاحب السويد والنرويج ومدح المؤتمر وخطب المسيو ذريعة في انه ينبغي طبع أشعار الشاعر التركي الشهير المدعو باقي وألقى المسيو جرونيزت مقالة في كيفية الكلمات المركبة في اللغة العربية وأبدى المسيو ليت ملحوظات على كتاب عجائب الهند الذي طبعه اخوان بريل في لندن وخطب البروفسور كارلو كريستو منكادا الطلياني خطبة في فلاسفة العرب الذين كانوا مع فردريكو الثاني في صقلية وتكلم

المسيو هـايدِرَ اَند على المسكوكات الشرقية القديمة التي عثر عليها ييلاد السويد وخطب
الخواجه جرجس بَلِطُ خطبة في لسان العرب
وتكلم كثيرون في فصل اللغات السامية فخطب منهم المسيو أُوَيَزَ خطبة
تتعلق بالعلوم الفلكية عند الكلدانيين وتفسير عبارات كثيرة من عباراتهم في
الفلك والتنجيم وتكلم المسيو سِيَمُنْسِن على بعض كتابات مكتوبة بلغة تَدْرُهي
الآن بمنح كونهاج وخطب المسيو مُونْتِيَه خطبة في ما يمتقده بنوسام في الحياة
الآخرة وكيف وصل اليهم هذا الاعتقاد وفي اي وقت وألقى المسيو هَلِيْثِي مقالة
في "سيروس" أحد ملوك الفرس وأملاكه بحسب ما استنتج من الكتابات
القديمة التي استخرجت من بابلون ومن التوراة وألقى مقالة ثانية في أداة التعريف
في اللغات السامية ومقالة ثالثة في حالة فلسطين قبل سفر الخروج وخطب غير
هؤلاء في غير ذلك

وتكلم كثيرون في القسم الثاني اي قسم الألسنة الآرية فخطب البروفسور
جُوِبِرْ نَاتِس في بعض المعبودين عند الهنود فتكلم على معبودهم "إندرا" وعلى معبودهم
"جانيسا" وأطلع الأعضاء على رسومات مستخرجة من جهات كشمير استدل
منها على وجود معبود بذلك الجهة غير هذين وتكلم المسيو هـايدِرَ اَند على الأصل
في لغات السامانيين ومعناها وتكلم المسيو بُوَرْ جِيس على تقدم الاستكشافات
التاريخية في بلاد الهند وخطب المسيو كَارْلُو بِيْتَش في طرق البيانات الوثنية
ومذاهبها وما يتعلق بمعبوداتها وآلهتها والاستاذ لِيْتِنز في لغة هُنْزَه واهلها والبروفسور
مُخْبِرْ تكلم عن حرف اللام في اللغات الهندية الأوروبية وألقى المسيو كَارْلُو لِيْد
مقالة في لغات آسيا الصغرى الآرية وخطب غيرهم في لغة البراهمة وتكلم غيرهم

في غير ذلك

وتكلم كثيرون في القسم الثالث أي قسم اللسنة الافريقية فخطب المسيو بُورُ جَارُ في كيفية النطق بالكلمات المصرية القديمة وتكلم المسيو بِل في مقالة بملاحظات له على بعض الإشارات والرموز الهيروغليفية وفي أخرى على الكتابات الهيروغليفية الواقعة على الآثار التي بمنح استكمل وفي مقالة أخرى بملاحظات عمومية متعلقة بالقاموس الهيروجليفي وبالكيفية التي يجب ان يكون عليها هذا القاموس بالنسبة لحالة العلم الآن باللغة المصرية العتيقة وفي مقالة غيرها على سيرة المستشرق السويدي أوكِرِبِلادُ الشهير وتآليفه وخطب بروكش باشا خطبة بين فيها كيفية استكشافه طريقة المقاييس عند قدماء المصريين وفصلها وقارنها بالطرق التي كانت توجد عند غير المصريين من الأمم القديمة وتكلم المسيو ديدِه كِنْد في الجيش الذي جرّده أحد الفراعنة على يهوذا وقدم المسيو كُوسْت رسالة كتبها السيدة ادواردس بخصوص الاستكشافات التي استكشفها فلندري تري بالفيوم وتكلم بعد ذلك المسيو سايس على بعض آثار جهات الفيوم ثم تكلم بعدهُ السنيور ماروتشي على نتيجة أبحاثه في الكتابات والآثار الهيروغليفية الموجودة بكتبخانة الفاتيكان برومة وأعلن تصميم حضرة البابا على طبع جميع هذه الآثار المصرية ونشرها ثم تكلمت السيدة هربرت على بعض آثار الفيوم وقال السنيور سيكيا پارلي مقالة تكلم فيها على كتابة في زمن أمونفيس الأول هو أول من عثر عليها وقدم المسيو أميلينو تقريراً في حالة المعابد المصرية القديمة مرفوعاً من جران بك الى ناظر الاشغال العمومية بمصر في سنة ١٨٨٨ وقرأ رسالة حررها المسيو ماسييرو برسم المؤتمر في كتابة هيروغليفية وجدها بوادي الحمامات ثم ألقى

مقالة في الأشعار والأديبات القبطية وتكلم غيرهم في غير ذلك
وتكلم كثيرون في القسم الرابع أي قسم آسيا الوسطى والشرق الأقصى
فخطب المسيو بول بول خطبة في كيفية كتابة الكلمات الصينية وكتب المسيو
هارتس في الفلسفة عند الصينيين وكتب المسيو إينوييه على اختلاف الفلاسفة
الصينيين بالنسبة لطبيعة الإنسان والمسيوليون فبرز على الصنائع التي تحررها
الديانة البوذية وخطب جناب أمير خان بنتس في انتشار اللغة الجغتائية في
الخمس القرون الأخيرة وقدم المسيو "دابة" رسالة كتبها في العوائد التي تستوليها
الحكومة على الأرض في الصين وقدم غيرهم خطابات ومسابيل وخطبوا خطباً غير هذه
وتكلم كثير في القسم الخامس أي قسم ماليزيا وبولينيزيا فتقدم المسيو
كارولنس فيلدر رسالة في السنة أستراليا وتكلم البروفسور فان دير ليت على كتاب
عجائب الهند وأتى براهين يريد أن يثبت بها أن الحكايات التي احتوى عليها
ذلك الكتاب على لسان سياح العرب والعجم ليست من قبيل الخرافات بل هي
حقيقة وكتب المسيو أرسيد مار في لغة الجاوه وفي لغة ماليزيا وقدم قاموساً بلغات
ماليزيا ومدغشقر وكتب غيره وخطب في غير ذلك

هذا وقد ورد في الفقرة السابعة من برنامج المؤتمر ما ترجمته :

"المرجو كل الرجاء من كتّاب الأقسام أن يقدموا إلى كاتب السر العمومي
بعد كل جلسة ملخص المواد التي اشغل بها القسم في الجلسة المذكورة وبيان
المواد التي ستعرض في الجلسة التالية لها والمرجو من أعضاء المؤتمر أن يقدموا إلى
كاتب القسم الذي هم من أعضائه ملخص ما سيرضونه عليه وأن يقدموا لكاتب
السر العمومي ملخص ما سيرضونه على الجلسات العمومية"

وجاء في الفقرة الثامنة من البروجرام المذكور :
 " أعمال المؤتمر ستطبع وتشر على مصاريفه لكن لا يدرج فيها إلا ما قدمه
 الأعضاء فيه وقت انعقاده وكان له أهمية علمية "
 وهذا هو مصداق ما ذكرناه آنفاً من أن أعمال المؤتمر سينشرها كاتب سره
 وأن من اراد التفصيل ينتظر وقت نشرها
 وكاتب السر العمومي هو حضرة الكونت ده لاندبرج قنصل جنرال السويد
 والنرويج في القطر المصري وتحت أوامره كتاب اسرار عديدون
 ويمحسن بنا قبل اتمام هذا الفصل ان نبين أسماء أعضاء الشرف بالمؤتمر واسماء
 رؤسائه للسويد والنرويج ولجان تشكيله بهاتين المملكتين مقدمين على ذلك كله
 اسم رئيس الشرف بالمؤتمر وحامي حماه ألا وهو سمو أسكار الثاني ملك السويد
 والنرويج المعظم
 فأعضاء الشرف هم :

سمو امبراطور البرازيل دُونْ پدرو ده القنطره وحكومة البرازيل الآن
 جمهورية وكانت في وقت المؤتمر امبراطورية كما لا يخفى
 وسمو شاه العجم ناصر الدين وسمو ولي عهد السويد والنرويج البرنس غستاف
 وصاحب المقام الملوكي جران دوك ده ساكس شارل الكسندر وصاحب المقام
 السامي جران دوك ده ساكس كوبورج اي جوتا ارنست الثاني وصاحب المقام
 الامبراطوري الملوكي الارشيدوك رينيه - وسمو خديومصر الانخم - وصاحب
 المقام الملوكي البرنس شارل السويدي - وصاحب المقام الملوكي البرنس اوجين
 السويدي والبرنس اوسكار برنادوت

أما رئيس المؤتمر في السويد فهو **المسيودير نيم** وكان من وزراء الدولة السويدية وهو الآن رئيس داري المعارف في أوبسالا وفي لوند ورئيس الأكاديمية الزراعية الملوكية

وأما رئيس المؤتمر في النرويج فهو **المسيو سغرد زروب** وزير المعارف بالمملكة النرويجية ووكيله **المسيو ليبلين** مدرس اللغة المصرية القديمة بدار المعارف في كرسثيانيا

وأما لجنة تشكيل المؤتمر في السويد فقد تألفت من **المسيو ألكيفيست** الدكتور في العلوم الأدبية وأستاذ اللغات بدار معارف أوبسالا — و**المسيو فيز** الدكتور في العلوم الأدبية ورئيس مجمع القس بمدينة استكهلم — و**المسيو هنس هانديزاند** الدكتور في العلوم الأدبية ورئيس متاحف المملكة — و**الكونت كارلو ده لاندبرج** — و**المسيو إزائيس نيجيز** الدكتور في العلوم الادبية ومدرس اللغات السامية بدار معارف لوند وأحد أعضاء الأكاديمية السويدية الثمانية عشر

وأما لجنة تشكيل المؤتمر في النرويج فقد تألفت من **المسيو بليكس** الدكتور في العلوم الادبية وكان وزير المعارف بالدولة النرويجية وهو أحد أساتذة دار معارف كرسثيانيا الآن — و**المسيو بوجه** الدكتور في العلوم الأدبية ومعلم اللغات بدار معارف كرسثيانيا — و**المسيو كاسباري** الدكتور في العلوم الدينية والأدبية ومعلم العلوم الدينية بدار معارف كرسثيانيا — و**المسيو ليبلين** مدرس اللغة المصرية القديمة بدار معارف كرسثيانيا — و**المسيو سنيل** الدكتور في العلوم الأدبية ومدرس اللغات السامية بدار معارف كرسثيانيا



❖ مقالة سيدي الوالد ❖

عند

تقديم المؤتمر شرح أول قصيدة من ديوان سيدنا حسن
وذكر من ثلاثة من الخطباء

في يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩ وهو اليوم التالي ليوم الافتتاح اجتمع
اعضاء الفصل الأول من القسم الأول من أقسام المؤتمر وهو كما سبق المختص
بلغات أهل الإسلام وآدابهم في الحل المختص باجتماعه وكان عدد الحاضرين من
اعضاء ومتفرجين نساء ورجال يبلغ نحو مائة وخمسين فأشار الرئيس الى سيدي
الوالد بالتكلم من جهة شرحه على ديوان حسن بن ثابت رضي الله عنه وقد سمّاهُ
”مجمالة البيان على ديوان حسن“ فصعد منبر الخطابة والأبصار شاخصة اليه
والحواس منبهة له وبيده شرح القصيدة التي شرحها من ديوان سيدنا حسن
ليقدمه الى المؤتمر وأعرب عن ذلك بمقابلة أسعدني الحظ بأن كتبت منها ما
أمكنني وقت القائها وهو هذا :

”بسم الله وحده“

”قدمت للعرض على علو أنظار حضرات الأماجد الحضار من كبار أصحاب
الأنظار ولباب أرباب الآثار أنموذجا من شرح ابتدائه على ديوان سيدنا حسن
ابن ثابت الأنصاري رضي الله عنه

”وهذا الأنموذج عبارة عن شرح أول قصيدة من ديوانه

”وهي من أشهر قصائده الطويلة اولها :

”عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ إِلَى عَذْرَاءٍ بَاطِنُهَا خَلَاءُ“

”فان اتسع الوقت والأجل لبلوغ الأمل بإتمام هذا العمل سلكت في سائر الشرح على النسق الذي نسقته في الامتداد الذي نسقته والأصح ان يكون شرحاً مستقلاً للقصيدة المذكورة

”فكثيراً ما رأينا القصيدة من كلام المتقدمين أو المتأخرين يُفردُها الواحد والكثير من العلماء بالتأليف والتصنيف مثل لامية العرب للشنفرى واللامية المعروفة ببيان سعاد لكعب بن زهير رضي الله عنه ومن كلام المتأخرين اللامية المعروفة في مقابلة لامية العرب بلامية العجم للطغرائي وكذلك لامية ابن الوردى وهكذا البديعيات الميميات وغيرها

”وانما اخترت الشعر لانه ديوان العرب وسجل أخلاقهم وعاداتهم ودقير وقائهم وغزواتهم ومعاملاتهم ومجاملاتهم وقاموس كلماتهم واغانهم من مفرداتهم ومركباتهم وهو الحجة في إثبات كلامهم في نثرهم ونظامهم

”بخلاف نثرهم فإنه ليس بهذه المثابة لأن القائل منهم يجعل لما يقول من شعره من تأنيقه فيه وترويه له واحتفائه به واحتفاله لأجله ما ليس لنثره لكون الشعر أيسر على الألسنة وأسير الى أفاصي الأمكنة فللشعر ما ليس للنثر من فضل الانتشار والاشتهار والاستمرار والاستقرار على مر الأعصار فلهذه الخصائص زادت به عنايتهم وبُدت فيه غايتهم

”واخترت من بين دواوين العرب ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه لمكان شهرته في الجاهلية والإسلام حتى صار شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاب عن حضرته المناضل لعدوه من جهته حتى أفعم الفصحاء وأسكت البلغاء ونال عنده اليد البيضاء والدرجة العليا

”وسألت في شرحه أن أتكم على ما قد تمس الحاجة إليه من بيان مفرداته والاستشهاد عليها بما أجد من شعر العرب وما قاله نقاة علماء اللغة فيها وأتكم على الإعراب فيما قد يختلف المعنى باختلافه أو ما عساه يُخفى على بعض مبتدئين وعلى القواعد عند اقتضاء الحال وقد اترّض لذكر الخلاف وتفصيل القول فيه وعلى حل المعنى بحسب ما أراه في غير ما قد يُستغنى عنه لظهوره أو سبق ما يدل عليه وأذكر ما قد أشار له الناظم رضي الله عنه أو سيق الكلام لاجله من الوقائع وسائر الأغراض مستشهداً عليها بما يناسبها من شعر وما يدل لها من نقل إلى نحو ذلك مما يعلم بالاطلاع على ذلك الاندوج ليكون الشرح جامعاً بين اللغة والتاريخ والرواية مضافاً إلى ما يستفاد من أصل المتن وسياق الكلام من أخلاق العرب وعاداتهم وطباعهم وما يمدح ويذم ويحب ويكره عندهم ولا يخفى أن حسن رضي الله عنه من المخضرمين الذين عمروا جاهلية وإسلاماً وشعره الموجود في ديوانه بعضه من كلامه قبل الإسلام وبعضه في الإسلام فجمع كلامه بين الحالتين حتى ربما وُجد ذلك في القصيدة الواحدة كالتقصيدة التي شرحناها في هذا الاندوج وهذا أيضاً أحد الأوجه التي حملتني على إثارة على غيره واختياره دون سواه

”وقد وجدت نسخاً متعددة من شعره في مصر القاهرة وفي القسطنطينية دار الخلافة السنية وغيرهما في جملة روايات ومنها نسخة برواية أبي عبد الله العدوي مكتوبة في سنة ٤١٩ مكتوب في آخرها أنها منقولة من نسخة قرئت عليه سنة ٢٥٥ من الهجرة وقيدت عندي ما وُجد في النسخ من اختلاف رواية ونقص وزيادة إلا ما وجدته ساقطاً بالرة بعيداً عن مظنة الصواب لا يستحق الإثبات فتكامل من ذلك ما يكفي مجموعه لأن يحرر منه سفر يكون بقدر الامكان أصح

واجمع ما رأيت من نسخ الديوان

فصنف الحاضرون استحساناً لما قال وتبعهم في ذلك من لا يفهم العربية منهم اعتماداً عليهم وطلب بعضهم من حضرة الاستاذ الفاضل الوطني العالم الكامل من هو من اكبر المحبين لدولته واكثر الناشرين لمحامد ملته صاحب العطفة مدحت افندي وافد الدولة العلية ان يلخص لم هذه المقالة بالفرنساوية فلخصها لم احسن تلخيص واكمل توضيح فزاد استحسان الحاضرين وفهم من لم يفهم أولاً من لا يعرف لسان العرب وقد احب بعض العلماء المشتغلين بالعربية من الحاضرين واظنه الأستاذ دهجوي أنه لو قرأ عليهم سيدي الوالد شيئاً من شرحه فقرأ عليهم شرح بيتين حسب ما اتفق بالصدفة عند فتحه الكتاب فاستحسن ذلك الجمع وأعادوا التصفيق وزادوا في الاستحسان وطلب أحدهم أن يقرأ شرح بيت آخر فقرأ فزاد السرور وعلا التصفيق وأعرب له الأستاذ دهجوي زيادة تشكر الجميع له بالنيابة عنهم فصادقوا على تشكر هذا الفاضل باظهار علامات القبول والرضاء من تصفيق الجميع عند ذلك ثم نزل سيدي الوالد من المنبر فأخذ كاتب السر شرح التهيدة منه ليحمله ضمن أعمال المؤتمر التي ستطبع وتنشر

وتلا السيد الوالد على منبر الخطابة كثير من العلماء وجم غفير من الفضلاء وتكلم كل في موضوعه الذي أراد بلغته التي اعتاد وكان عند فراغ كل من كلامه يسأل الرئيس الحاضرين عما اذا كانت لديهم ملاحظات في الموضوع الذي تكلم فيه الخطيب فكان يتقدم البعض الى ابداء الملاحظات ويحييه الخطيب حتى اذا أتم كلامه تلوه بالتصفيق والاستحسان

واستمر الحال على ذلك الى ان جاءت نوبة حضرة رفيقنا الشيخ حمزه فتح

الله فقدم رسالته التي جمعها في حقوق النساء وسماها "باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام" فصق له الحاضرون

وبهذه المناسبة اذكر قصيدة حضرة رفيقنا الموما اليه التي امتدح بها ملك هذه البلاد وان كان انشاده لما في غير هذه الحفلة وهي قصيدة طويلة ضافية الذيل رنانة الحجول مطلعها

حمدُ الشرى يا أخى العودِ والنا بـ أنساك وعشاءِ إغبابٍ وإخبابٍ
وقد أبدع فيها الناظم وأغرب وأرقص وأطرب فأنى فيها من غريب الألفاظ
وعجيب الكلمات ببادلٍ على تعمقه في اللغة فمن اطلع على أبياتها وكان ذا فطنة
تمكّنه من فهم معانيها وحل مبانيها علم ان مذهب حضرة الناظم ليس كمذهب من يرى استعمال الالفاظ القرية المأخذ من الشعراء كالبحتري حيث قال

وركن اللفظ القريب فأدرك ن به غاية المراد البعيد

هذا و"الشرى" سيرة عامة الليل و"العود" الجمل المسن الذي جاوز في السن البازل والمخلف و"النا بـ" الناقة المسنة سموها بذلك حين طال نابها وعظم و"العشاء" المشقة كما في القاموس وفي اللسان "وعشاء السفر مشقة وشدة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سافر سفراً قال اللهم انا نعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب اي شدته ومشقته" انتهى

ولفظ وعشاء مضاف الى لفظ اغباب المعطوف عليه اغباب وهما إن كانا بكسر الهمزة أو بفتحها ليسا بمعنى السفر أو الأسفار إذ لم نجد ههما بهذا المعنى في جميع ما بأيدينا من كتب اللغة مع كثرتها وغاية ما يمكن حل الاغباب عليه إن كان بكسر الهمزة أن يكون الاغباب مصدر أغب الماشية صاحبها اي جمعها ترد

يوماً ونظماً يوماً أو تظاً يوماً وليلتين وترد بعد ذلك وهذا وإن كان يمكن في غير
السفر لكنه في السفر أكثر وفي اللسان "وَعَبَّ بِمَعْنَى بَعْدَ" لكنه لم يأت له بمزيد
حتى كان يقال إن الإغباب بمعنى الإبعاد - وإن كان بفتح الهمة أن يكون من
قولهم مياه أعباب أي بعيدة أو يكون جمع عُبَّ بالضم أي الغامض من
الأرض - والخابب بكسر الهمة مصدر أَخَبَّ الدابة صاحبها أي جعلها تسير
الخَبَّ وهو نوع من العدو وَبَفَتْحِهَا إما جمع خَبَّ بالمعنى المذكور أو جمع خُبَّ
بالضم بمعنى الأرض الغامضة

والمعنى أن حمد سير عامة الليل يا أخا البعير المسن والناقة المسنة الصغير
أنسأك مشقة جعلك مطيتك ترد يوماً وتظاً يوماً وليلتين وترد بعد
ذلك ومشقة جعلك مطيتك تسير الخَبَّ هذا على جعل الإغباب والخابب بكسر
الهمزة وعلى جعلها بفتحها أنسأك مشقة المياه البعيدة أو الغوامض من الأرض
ومشقة سيرات الخَبَّ أو الغوامض من الأرض

هذا ما أمكن حمل الإغباب والخابب عليه على الكسر أو الفتح وقد يكون
حاضرة الناظم أراد غير ذلك فإنه بعيد مرامي النظر شديد المرام إذا نظم أو ثر
فانظر أيها القارئ نثبات هذا السحر الذي أودعه هذا الفاضل مطلع
قصيده وتأمل كيف استعمل التجريد الذي هو من الحسنات البديعة إذ جرد من
نفسه شخصاً مصاحباً للبعير والناقة مؤخياً لها كناية عن كثرة الأسفار وموالاته
الترحال رغبة في بث علوم الشرق بين أهل الغرب وكيف جاء حفظه الله في
استهلال كلامه بالصعب الممتنع ليناسب بين وعورة الالفاظ وعورة الأسفار
فجاء الكلام ملائماً للمقام مع مراعاة براعة الاستهلال

ولا بفوتنك ما في هذا الكلام من الطِّبَاق الذي هو من المحسنات البديعية
حيث جمع بين الأنثى والذكر من الجمال في بيت واحد على ما بينهما من التضاد
وقد أتى في هذا البيت وفي غيره من أبيات القصيدة بما يفيد أن سفره كان
على الجمال جرياً على سنة العرب في أسفارهم ليفيد أهل الغرب عادات العرب
في أشعارهم مع أنه منذ خرج من مصر الى حين وصل الى عاصمة السويد لم يركب
غير عربات البر وسفن البحر

وأما ما ذُوقَ في الكذب من أنه ينبغي انتقاء الألفاظ السهلة المتداولة
والابتعاد عن الغريبة فلعله بالنسبة الى من قصر عن التبحر في اللغة وأهملها لا
بالنسبة الى أمثال حضرة الناظم الفاضل

وجل القصيدة جار على هذا المثال منسوج على ذلك المنوال مشحون من
أشباه العود والنباب والإغباب والإخباب بما يؤكد للقارئ أن حب اللغة حقر
في عين حضرة الناظم وعشاء هذا الكلام

ولنسر لك بعض أبيات من هذه القصيدة لتكون عنواناً على باقيها قال بعد المطلع
فَأَنْتَ إِنِ هَوِّدْتَ وَجَنَّاكَ أَوْ وَخَدْتَ فَمَا حُمَا دَاكَ إِلَّا حَمْدُ أَغْبَابِ
ومنها

حيا الحيا مهرة عني وأينقها بصالح بن أجش الصوب مسكاب
ومنها

فيا حداة أغدوا السير حيث وميض الثغر منها بإرقال وإرقاب
ومنها

وحادي الركب نشوان الحداة فتسيار الهوينا به تسيار مقاب

ومنها

والعيسُ شِنْشِنَةٌ فيها اذا اَتَّادَتْ بها حداةُ سراها عَوْدُ أَوَابِ

ومنها

فَأَوْمَأَتْ لِلْبَنانِ الرَّخْصِ خَضْبُهُ فَإِنْ مِنْ الدَّمْعِ وَكَافٍ بِمِزَابِ

ومنها

لَا يُبْعِدُكَ عَنِّي سَيْرُ بَائِكَةٍ تَقْلِي نَوَاصِي يَدَاءِ بِمِجْوَابِ

ومنها

كَمْ خُلِبَ سَحٌّ عَنْهُ صَيَّبَ غَدَقُ أَحْيَا الثَّرَاءِ لِذِيهِ جَدْرٍ وَدَعَابِ

ومنها

وَالْبَيْنُ لَا عَادَ قَلْبُ النَّيْبِ لَا نَعَمْتُ لَا قَلْبُ أَعْرَبَةٍ سِيَمْتُ يَتَنَعَّبِ

ومنها

وَلَمْ أَجَاوِزْ شَيْئًا فِي لُبَانِهَا وَلَا الْأَحْصَى فَمَا عَذْرِي لِعَتَابِ

عَلَّ الْأَمَانِيَّ قَدْ هَامَتْ رَكِيئَتُهَا بَفَتْحِ مَا كَانَ دُونَ الْحَاجِّ مِنْ بَابِ

ومنها

إِنْ التَّوَاءَ تَوَاءَ وَالْقُصُورَ قَبُو رِ الْعَاجِزِينَ وَلَا إِيرَاءَ لِلْحَنَابِ (١)

ومنها

أَسْكَارُ الثَّانِ قَدْ أَحْيَا الْعُلُومَ بِهَا فَأَصْبَحْتُ كَحُضْمٍ بَيْنَ أَثْنَابِ

أَسْكَارُ الثَّانِي قَدْ أَحْيَا مَا تُرَكُّمُ يَا عَرَبُ بَاحَةً فِيهَا بَعْدَ أَحْقَابِ

وبعد فراغه من انشادها صفق له الحاضرون استحساناً وابتهاجاً

(١) سفة الى بيت ابن درّج حيث قال

ألم تعلمي أني بيوت العاجزين نور

❖ مكتب السباحة ❖

بعد فراغنا من اعمال المؤتمر في هذا اليوم يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩ توجهنا الى مكتب السباحة لحضور الاحتفال الذي قُيِّم فيه إكراماً لأعضاء المؤتمر فوصلناه في الوقت المحدد لذلك وهو الساعة الخامسة بعد الظهر وهذا المكتب على مقربة من سراي المؤتمر قائم ببلصق جزيرة سترمبارج الصغيرة شبيهة بمجامات الاسكندرية البحرية وهو عبارة عن ممشى عريضة دائرة حول الماء مرتفع سطحها عن سطح بنحو مترين أو ثلاثة وفي الجهة المقابلة للباب تجاه الداخل محل من الخشب مرتفع به عدة طبقات ملاصق طرفه لطرف الممشى من جهة الماء الذي في الوسط يصعد الى طبقات هذا المحل في سلم بداخله وليس لهذه الطبقات حواجز من جهة الماء الداخل فتراعى التلامذة منها الى الماء كل من يجسب تقدمه في معرفة السباحة فمنهم من يهبط الى الماء من الطبقة الأولى رمية بنفسه ومنهم من يهبط مما فوقها وهكذا الى آخر الطبقات

وفد صُفَّت الكراسي على الممشى حوالي الماء لجلوس أعضاء المؤتمر ونساءهم وكان جلوس الملك وولي عهده بجهة الباب تجاه المحل ذي الطبقات المذكور وقد لبس التلامذة ذكوراً وإناثاً ألبسة من الفلانيلة ملصقة بالجسم كالتي يلبسها اللاعبون في الألعاب البدنية ولا يمتاز الإناث عن الذكور إلا بطول صدورهن وانكشاف بعض صدورهن وجزء من أيديهن وظهورهن وكون سراويلهن بأبدانهن لانساءها بالنسبة لسراويل الذكور وذلك لمن احتاج الى

عنه حسن الوجوه الفتان واعتدال القدود الحسان
يكون على الماء باجتماعهم اشكال مثلثات ومربعات

ومنها

والعِيسُ شِلْشِنَةُ فِيهَا إِذَا اتَّادَتْ بِهَا حِدَاةٌ سَرَاهَا عَوْدُ أَوَّابٍ

ومنها

فَأَوَّمَاتٌ لِلْبَنَانِ الرَّخْصِ خَضْبُهُ قَانَ مِنَ الدَّمْعِ وَكَأَفٍ بِمِيزَابٍ

ومنها

لَا يُبْعِدُكَ عَنِّي سَيْرُ بَائِكَةٍ تَفْلِي نَوَاصِي يَدَاءِ بِمِجْوَابٍ

ومنها

كَمْ خَلَبَ سَحَّ عَنْهُ صَيْبٌ غَدَقُ أَحْيَا الثَّرَاءِ لَدَيْهِ جِدَرٌ وَدَعَابُ

ومنها

وَالْبَيْنُ لَا عَادَ قَابُ النَّيْبِ لَا نَعْمَتُ لَا قَلْبُ أَغْرَبَهُ سِمَتُ بِنْتَعَابِ

ومنها

وَلَمْ أَجَاوِزْ شَيْئًا فِي لُبَانِهَا وَلَا الْأَحْصَى فَمَا عَذْرِي إِعْتَابِ

عَلَّ الْأَمَانِي قَدْ هَامَتْ رَكِيئَتُهَا بَفِغْ مَا كَانَ دُونَ الْحَاجِّ مِنْ بَابِ

ومنها

إِنْ الثَّوَاءُ تَوَلَّى وَالْقُصُورَ قَبِو رَ الْعَاجِزِينَ وَلَا إِيرَاءَ لِلْحَاطِي^(١)

ومنها

أَسْكَارُ الثَّانِ قَدْ أَحْيَا الْمَلُومَ بِهَا فَأَصْبَحْتَ كَحُفْمٍ بَيْنَ أَثْنَابِ

أَسْكَارُ الثَّانِي قَدْ أَحْيَا مَا ثَرَكَمَ يَا عَرَبُ بَاحَةً فِيهَا بَعْدَ أَحْقَابِ

وَبَعْدَ فِرَاعِهِ مِنْ إِنْشَادِهَا صَفَقَ لَهُ الْحَاضِرُونَ اسْتَحْسَانًا وَابْتِهَاجًا

(١) سَفَقَ إِلَى مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ ابْنُ دُرَّجٍ حَيْثُ قَالَ

أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ الثَّوَاءَ هُوَ التَّوَى وَأَنَّ يَبُوتَ الْعَاجِزِينَ فَيُورِ

❖ مكتب السباحة ❖

بعد فراغنا من اعمال المؤتمر في هذا اليوم يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩ توجهنا الى مكتب السباحة لحضور الاحتفال الذي هي فيه إكراماً لأعضاء المؤتمر فوصلناه في الوقت المحدد لذلك وهو الساعة الخامسة بعد الظهر وهذا المكتب على مقربة من سراي المؤتمر قائم بلصق جزيرة سترُ منسبارج الصغيرة شبيهة بمحطات الاسكندرية البحرية وهو عبارة عن ممشى عريضة دائرة حول الماء مرتفع سطحها عن سطحه بنحو مترين أو ثلاثة وفي الجهة المقابلة للباب تجاه الداخل محل من الخشب مرتفع به عدة طبقات ملاصق طرفه اطرف الممشى من جهة الماء الذي في الوسط يصعد الى طبقات هذا المحل في سلم بداخله وليس لهذه الطبقات حواجز من جهة الماء الداخل فتراعى التلامذة منها الى الماء كل بحسب تقدمه في معرفة السباحة فمنهم من يهبط الى الماء من الطبقة الأولى رمية بنفسه ومنهم من يهبط مما فوقها وهكذا الى آخر الطبقات

وفد صفت الكراسي على الممشى حوالي الماء لجلوس أعضاء المؤتمر ونساءهم وكان جلوس الملك وولي عهده بجهة الباب تجاه المحل ذي الطبقات المذكور وقد لبس التلامذة ذكوراً وإناثاً ألبسة من الفلاييلة ملصقة بالجسم كالتي يلبسها اللاعبون في الألعاب البدنية ولا تمتاز الإناث عن الذكور إلا بطول شعورهن وانكشاف بعض صدورهن وجزء من أيديهن وظهورهن وكون سراويلهن أقل التصاقاً بأبدانهن لا تساعها بالنسبة لسراويل الذكور وذلك لمن احتاج الى التمييز بما ذكر ولم ينفه عنه حسن الوجوه الفتان واعتدال القدود الحسان فرأينا التلامذة يتشكلون على الماء باجتماعهم اشكال مثلثات ومربعات

ودوائر ومنحنيات على اختلاف الأوضاع في ذلك كله ومع هذا لا يظهر منهم حراك ولا ترى أجسامهم الأساكنة كأنهم مثبتون في الماء بأوتاد ولا غرو في كون أهالي هذه البلاد اعتنت بأمر السباحة كل الاعتناء والنقطة غاية الانقاف لأن بلادهم تحفها البحار الهائلة فضلاً عما يتخلل سائر انحاءها من البحيرات والأنهار مع ملازمتهم ركوب البحر للصيد والاتجار وقد رأينا من الأشكال وشاهدنا من الجراءة والتراخي من الطبقات العالية في الماء تارة بالرأس ومرةً بالقدم أو بالأبدي أو بأي جزء من أجزاء الجسم ونظرنا من القدرة على السباحة مع الراحة في الحركات والسكنات ما يُبهر الأبواب ويوجب الاستغراب

ومما يقضي بالعجب العجيب أن رأينا شابة لابسة الملابس المعتادة جالسة وسط المتفرجات ومعه شمسية مفتوحة تحجب عنها الشمس إسوة غيرها منهن وإذا بها وقعت في البحر وصاحت صيحة اضطربت لها الحاضرات وطلبن لها الإغاثة وقاربن الأخذ في الولولة والبكاء لولا أن انكشف الغطاء وظهر أنها من تلامذة السباحة أرادت إظهار المهاراة في الفن وقد طفت على وجه الماء عائمة ممسكة بشمسيتهما لم تخلع شيئاً من ملابسها فصفق لها الجميع استحساناً

وتألم إن آخر منظر لا يخرج لي من بال ولا يعزب عني بحال أن عابنت نحو الخمسين من ربّات الجمال شكّلن ثلاث دوائر وسط الماء في غاية الانتظام كل واحدة منها بداخل الأخرى بحيث إن كل شابة ممسكة بيديها رجل أخرى والجميع وجوههن إلى السماء وظهورهن إلى الماء ساكنات لا يبدن حراكاً من أنفسهن وإنما يتحركن بحركة الماء من غير أن يتغير لهن وضع وترى شعورهن

الذهبية نثقل من خفض الى رفع
فوا أسفاهُ على قلة الاتساع في صناعة الشعر وقصر الباع في الإنشاء والنثر
فإن هذا أمر لو استوفاهُ من رآه ووفاهُ حقهُ من يهواهُ لأبدع واجاد وأتى بما
يُعربُ عن المراد فهذه الوجوه النضرة والماء والخضرة والجموع المتحابه والهواه
المعتدل وصفاء الوقت بما يشرح الصدور ويستوجب مزيد الجبور
وكان الجميع محققين بالأبصار الى هذه المراتي الحسنه والأشكال المستحسنه
تبدو عليهم علامات الاستغراب والاستحسان منذهلين بما يرونهُ حتى إنهم لم
يشعروا بالليل وغشيانه والظلام وإتيانه الأبعد انتهاء السباحه فكان ما استولى
على كاتب هذه الأحرف من الانبهاث قد استولى على جميع المتفرجين
والمتفرجات

ثم خرجنا جميعاً والكل يتحدث بمرآه مظهراً للسرور والابتهاج حتى وصلنا
الفندق وأخذنا نستعد لضيافة الكونت والكونتيس ده لاندبرج حرمه في هذا
المساء



❖ ضيافة الكونت والكونتيس ده لاندبرج ❖

الكونت والكونتيس قد أعلننا بهذه الضيافة في پروجرام المؤتمر الذي طبع
قبل انعقاده بأشهر واستعداً لها تمام الاستعداد فجاءت مستوفية أسباب السرور
مستكملة دواعي الجبور وهذه ترجمة التذكرة التي ارسلها للدعوة اليها قبلها
بقليل:

” الكونت والكونتيس ده لاندبرج يدعوان حضرة..... أن يشرفها بالسر

عندهما في يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر الساعة الثامنة مساءً

والتشريف يكون بقاعات الاحتفالات بفندق جراند اوتيل والرجاء الإفاده
فقصدا هذه القاعات بالفندق وهي فسحة تسع عدداً كبيراً مزينة بأحسن
زينة مزخرفة بألطف زخرف نُقلت اليها الاشجار الغريبة وغير الغريبة حتى كأن
بها حديقة غناء هيئت من سنين طوال قطوفها دانية وأزهارها زاهية تبهج الناظر
وتسر الحاطر والخدم القائمون بخدمة الحل ونظامهم جميعهم لابسون الملابس الشرقية
ولا يخفى ما في ذلك من المناسبة فإن المدعوين من المستشرقين والضيافة من
الكونت كاتب سرهم ووظيفته السياسية في البلاد الشرقية فكان أنه أحضر هؤلاء
الخدم معه من الشرق

وقد أحضر في هذه الضيافة موسيقى تياترا الأوبرا ومشاهير راقصاته فإذا
رقصن رقص مصر لبسن ملابس راقصاتها وإذا رقصن رقص بلاد السودان
أو غيرها من بلاد المشرق لبسن ما اعتاده راقصات هذه البلاد

وكان المدعوون منتشرين بهذه القاعات بين متفرج على الرقصات ومحاسنهن
وما يبدن من فنونهن وبين متأمل لما حواه هذا المكان من الزخرف والزينة
ومن فيه من صنوف العالم وبين متحدث مع صاحبه من المستشرقين أو صاحبه
من المستشرقات وبين مشتغل بتعاطي الرطبات والجميع في غاية الاحتشام وكال
الوقار والرجال لابسون ملابس سوداء كما دنهم في الولائم والاحتفالات
متحلون بالنياشين والنساء لباسات ما اعتدن لبسه في ذلك

كل ذلك والكونتيس ده لاندبرج تقابل ضيوفها بمزيد البشاشة وكال
الاشراح.

وهي الألمانية الأصل ورثت من أبيها ما لا قدره بعضهم بخمسة عشر مليوناً من الفرنكات حسنة التربية مهذبة الأخلاق محبة للخير تساعد كثيراً من الجمعيات الخيرية وآحاد الفقراء تعرف وتكلم بكثير من اللغات كالفرنساوية والألمانية والانجليزية والاطليانية مع أنها ربما لا تتجاوز سنها الأربعين

وكان الفندق مزيناً من الخارج بسواطع الأنوار كالليلة السابقة والرصيف أمامه مملوء بالخلائق الذين أتوا اوروبية أعضاء المؤتمر وكبار رجال الحكومة المدعوين وانتظار تشریف سمو الملك الى هذه الدعوة

وما لبث أن حضر سموه لابساً ملابس سوداء متعلياً بنياشينه يقدم حاشيته من الوزراء والأمراء فصدحت الموسيقى بالسلام الملكي الخاص ولما دخل حياً المدعوين الى أن وصلاً فحياًنا وسأل عن خاطر سيدي الوالد بواسطتي

وصار بعد ذلك يمضي باقي الحاضرين ويسلم عليهم نساء ورجالاً حتى جاء وقت تعاطي الطعام فتحت محلاته وإذا بالموائد على طراز البلاد المتقدم ذكره مراراً الأماندة الملك فإنها على الطراز الأوروبي المعروف فجلس الملك على مائدته وجلس معه عليها الوزراء والأمراء والكونتيس دهلاندبرج وبعض السفراء

وكان الملك حال دخوله الى الأكل وخروجه عنه أخذاً بيد الكونتيس أما الملكة حرمة فلم تكن باستكمال اثناء احتفالات المؤتمر جميعها بل كانت متغية في داخلية البلاد تبني تغيير الهواء لاعتدال المزاج وإزالة الأسقام

وبعد خروجه من محل الأكل الى محل الاحتفال أخذ يمشي والرافعات ترقص والموسيقى تصدح الى أن صدحت بالسلام الخديوي وتبعه غيره والناس في ابتهاج والليل مجد في السبر حتى خفنا ان يدركنا الصباح فاثنيانا الى محلات

النوم نبتغي الراحة لننشط لأعمال الغد

وذلك أنه من مقتضى البروجرام ويومية المؤتمر ان يشتغل أعضاء الأقسام في الحال المخصصة بهم من الصباح الى وقت الظهر وأنهم بعد ذلك يسافرون في الساعة الثانية بعد الظهر بقطار خصوصي مجاني مارين بمدينة أنسالا الى جملاً أنسالا أي أنسالا العتيقة وهي تبعد عن الأولى بمسافة عشر دقائق وبها تستقبل الأساندة والتلامذة أعضاء المؤتمر بالاحتفال اللائق ويقدمون لهم "رحيق الآلهة" على قبور "أودين" و"ثور" و"فريز" معبودات هذه البلاد قديماً ثم بعد هذا يهدي للمؤتمر باسم الملك أثر يخلد ذكر هذا المجتمع بين العلماء الى الأبد وذلك بحضور جميع موسيقات استكهم الحربية

ثم تكون العودة بعد هذا الى مدينة أنسالا وبها يضيف أهل المدينة وتلامذة دار المعارف أعضاء المؤتمر ويسمعونهم انغام الموسيقى الصوتية التي يترنمون بها من غير آلة

ثم تكون العودة من أنسالا على القطار المذكور والساعة عشرة وربع مساءً والوصول الى استكهم يكون والساعة ١١ و٥٦ دقيقة أما الملابس فتكون الملابس اليومية المعتادة

المسير الى أنسالا القديمة ثم الى أنسالا الجديدة
وضيافة الطالبة والبلدية بها

سار أعضاء المؤتمر على قطارين متعاقبين والساعة الثانية بعد الظهر من يوم الاربعاء ٤ سبتمبر سنة ٨٩ الى جملاً أنسالا اي أنسالا القديمة وكان الوصول

اليها بعد مسير نحو ساعتين فوجدنا في انتظارنا هناك خلقاً لا يحصي عددهم نقلتهم الوابورات الى ذلك الحبل من استكمهم وغيرها من سائر انحاء المملكة وأبسالا القديمة الآن قرية لا تذكر بعدما كان لها من المجد في الأزمنة الحالية فإنها كانت مقراً للملك السويد أيام عبادة الأوثان وكان معبدها الشهير قائماً حيث الكنيسة الصغيرة التي بها اليوم

وبجوار هذه الكنيسة عدة أكنات أكبرها ثلاثة قطر الواحد منها ٦٠ متراً وارتفاعه ١٨ متراً تنسب الى معبوداتهم الثلاثة "تور" و"أودين" و"فرير" وقد كانت قبوراً لهم كما دلت على ذلك الاكتشافات التي حصلت أخيراً

ومع شدة الازدحام بهذا الاحتفال كانت الأكام الثلاثة خالية منه لتخصيص اثنين منها بأعضاء المؤتمر والاحتفال بتقديم رحيق الآلهة لهم "إيدزوميل" بهما وتخصيص الثالث بتلامذة دار المعارف البالغ عددهم نحو ١٦٠٠ تلميذ لابسين ملابسهم الرسمية وهي عبارة عن بنطلون أسود وسترة سوداء ذات زرائر صفراء وقبعة بيضاء قصيرة حاملين راياتهم وهي ثلاث عشرة راية حسب عدد فرقهم في الملوم التي يتلقونها تخطيط بهم موسيقات استكمل العسكرية مستكملات العدد والعدد

وبوصول الأعضاء أخذ الأهالي جميعاً يقابلونهم بالترحيب والتحية وكذلك التلامذة وصدحت الموسيقات وتحركت الرايات إشارة الى السلام فكانت تسمع الأصوات من مسافة قاصيه

وصعد غالب الأعضاء على أكمة أودين فألقى حاكم أفسالا مقالة تشكر فيها للحاضرين الذين شرفوا المكان وتلاه حضرة الكونت ديه لاندبرج فخطب خطبة معناها أن سمو الملك كلفه بان يقدم من طرفه الى المؤتمر تذكراً يأخذ الى

الأبد على شرط ان يتناقله رؤساء المؤتمرات جيلاً بعد جيل وهو قرن من
الخرتيت طوله نحو نصف متر مكسوة بالفضة والذهب على شكل القرون التي كانت
الآلهة القديمة تشرب فيها مشروبها المسمى إيدروميل وهو من جنس ما يقدم منه
للأعضاء

وتلاه رئيس دار المعارف بأفسالا فخطب بالترحيب والتأهيل وتلاه غيره
من الأعضاء والموسيقى تصدح بعد كل خطبة وجميع الحاضرين يصفقون
ويرفمون أصواتهم بالاستحسان

وبعد الفراغ من الخطب دار على الأعضاء شراب الإيدروميل في قرون
على شكل القرن الذي أهده سمو الملك

وشراب الآلهة هذا مزيج مصنوع من عسل وماء وبيرة لطيف الطعم والمذاق
الآن إنه على ما يقال شديد الإسكار ويوجد منه في أفسالا عند باعة المشروبات
على الدوام في سائر الأزمان أما في غيرها من بلاد السويد فلا يوجد إلا بالتوصية
ولكن لا يحتاج تجهيزه إلا إلى ثوانٍ من الزمان لأن الأجزاء التي يتركب منها
متيسرة في كل مكان

وبعد الفراغ من الشرب قصد الأعضاء أفسالا الجديدة لحضور ضيافة
التلامذة والأساتذة وأهل المدينة فركب بعضهم في الواحورات وبعضهم في عربات
حسب ما أحبوا ومن لم يتيسر له من الأهالي ما يركبه توجه اليها ماشياً وإن كانت
المسافة للماشي تبلغ الساعة على ما يقال

وكان معنا بأفسالا القديمة والجديدة صاحبنا المسيو هيدن الشاب الذي
ساح يلاذ الترك وغيرها على ما سبق

وكانت عودتنا الى أيسالا الجديدة بالسكة الحديدية فوصلناها في مسافة عشر دقائق ويتوصل اليها من استكلم بالسفن في فرع من بحيرة ميلار كما يتوصل اليها بطريق السكة الحديدية الذي سلكناهُ ويخترقها نهر فوريزيه من الجنوب الى الشمال

وعدد سكانها نحو عشرين ألف نفس وهي آخذة في الاتساع يوماً فيوماً وشهرتها بدار المعارف التي بها

ودار المعارف هذه بناء فاخر متسع مشيد بني في عشر سنين من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨٦ وبها من الأساتذة المقررين خمسون ومن المساعدين لم نخوذ ذلك وعدد التلامذة فيها ١٦٠٠ منقسمون الى ثلاثة عشر قسماً بحسب ما يتلقونه من العلوم كما مرّ ويسكن كل قسم غالباً في جهة مخصوصة به في المدينة بمساكن يُديرُ حركتها أناس منهم يُعينون لذلك بانتخابهم

وبهذه البلد نظراً الى وجود دار المعارف بها كتيبخانه من أجل كتيبخانهات السويد تحتوي على ٢٣٠٠٠٠ مجلد منها سبعة آلاف بخط اليد فيها من نفائس الكتب وبدائع الآثار ما نباهي به أحسن الكتيبخانهات وأهم غرائبها نسخة إنجيل ترجمها القسيس أوليفلاس في النصف الأخير من القرن الرابع للميلاد وهي مكتوبة بحروف من الذهب والفضة على مائة وسبعة وثمانين قطعة من الجلد حمراء هذا والضيافة التي أعدّها لأعضاء المؤتمر التلامذة وأساتذتهم وشاركتهم فيها بلدية أيسالا قد جعلت في قاعة التدريس الكبيرة بدار المعارف

وهي متسعة جداً تعلوها قبة في غاية الارتفاع جميعها مع هذه القبة مذقّب بصنوف التذهيب العجيب تسع لأقل من خمسة آلاف نفس جعلت فيها

مدرجات تجلس عليها الطلبة ولكنها رُفعت من محلها المناسبة هذا الاحتفال ولم يبق منها إلا ما لاصق الجدران وقد صارت توير الحل بالأضواء الكهربائية وأضواء مصابيح الغاز مما جعل الليل أبهج من النهار

واجتمع الناس من كل فج إلى هذا المجتمع وصارت الموسيقىات تصدح بأنغامها المطربة وتشدو بأحسن ما اخترعه أرباب فن الموسيقى إلى أن أتت نوبة السلام الحديوي في وقتها المعين لها بالبروجرام فغنت به الموسيقى وتبعه التصفيق وارتفاع الأصوات من جميع الحاضرين بقصدون بذلك أداء مراسم التحية لنا أرباب الوفد المصري بتعظيم سلام متبوعنا الفخيم

ولقد وجدتُ عند ذلك أريحيةً وبالحواس انتماشاً وفي القلب انشراحاً واستولى عليَّ الطرب والابتهاج لما سمعتُ ورأيتُ من تعظيم وطني من هؤلاء القوم المجتمعين من مشارق الأرض ومغاربها بسبب تعظيم صاحبه وأميره ثم أخذت الخطباء تخطب فمن وطني يشكر للوافدين ومن وافد شرقي أو مستشرق يُثني على الأهلين ويبيث مكارم اخلاقهم ويُطنب في حسن سيرتهم وإن كانت الضوضاء مانعة السمع عن أكثر ما يقال لكن التصفيق لم يمتنع عقيب ختم كل خطيب المقال

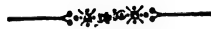
واستمرت الخطابة حتى جاء وقت استماع انغام الموسيقى الصوتية من التلامذة يترنمون بها كما تقدم من غير آلة وهي عالية الصوت والذكر في أوروبا فأصفي الحاضرون وأخذ التلامذة يترنمون حتى كأنهم موسيقى كاملة الآلات بالغة غاية الاستعداد وعددهم يزيد على مائة وخمسين ثم صعدوا بعد مساهمة إلى البالكون المطل على القاعة مشرفين على من بها لزيادة تمكن استماع من فيها وهناك

أنشدوا ما أخذ بالألباب وقضى بالعجب العجاب
ثم آن وقت تعاظم الطعام وقد اصطفت موائده في الحللات المدة له
خارج قاعة الاحتفال فأخذنا التلامذة اليها وتولوا مؤانستنا وأخذنا نأكل
ونشرب حلالاً طيباً وكانت الخادومات لنا نساء اكابر القوم وأمرائهم وقد تزيين
بالزى الوطني وتولين خدمة هذه الموائد الموضوعة على الطراز البلدي إشارة الى
كمال الاحتفاء وشدة الاعتناء

فالطعام كان لذيذاً وأصحاب الضيافة يبالغون في الإكرام وهؤلاء الأميرات
لا يعادل ملاطفتهن وتواضعهن ومزيد التفاتهن وتتمام رعايتهن الأجهلن الفائق
ولطفهن الشائق فتبارك الله أحسن الخالقين

وقد أراد التلامذة الموسيقيون ان يشاركوا الجمع في تحيتنا ومؤانستنا فجاؤا
ليسمعونا في اثناء الطعام نغماتهم المطربة

وبعد الفراغ من الأكل أخذنا نتأهب للمسير فإن أكثر الليل قد مضى وموعد
السفر قد انقضى والوابورات في انتظارنا فركبناها وسرنا حتى وصلنا استكمل
فأخذنا في النوم والراحة بقلوب منشرحة مرتاحة لأستعد في اليوم التالي أن
ألقي على أعضاء الفصل الأول من القسم الأول من أقسام المؤتمر ما كتبت في
الموضوع الذي اخترته



❖ نبذة ❖

في إبطال رأي القائلين بتعويض اللغة العربية الصحيحة
باللغة العامية في الكتب والكتابه

في صبيحة يوم الخميس ٥ سبتمبر سنة ١٨٨٩ توجهنا الى سراي المؤتمر
وقصدنا المحل المخصص بالفصل الأول من القسم الأول وكانت الأعضاء حاضرة
به فالتقيت عليهم النبذة التي ألفتها "في إبطال رأي القائلين بتعويض اللغة العربية
الصحيحة باللغة العامية في الكتب والكتابه" فكان لي الحظ الأوفى والأوفر لأن
نالت من هؤلاء الأعضاء الأفاضل مزيد القبول والاستحسان والسعد الأتم لأن
شكري الرئيس عليها وخطب الأستاذ البارون ده كيرمر خطبة في مدحها
واستصوابها وبيان المقصود منها والفخار الأكل لإجاء الحاضرين على الإقرار
عليها والسرور الأكبر بتصفيقهم عند انتهائها وتهنئتهم لي بتأليفها وهي هذه :

"ذهب بعض الناظرين في اللغات المشرقية من رجال أوروبا الى أن اللغة
العربية المستعملة للتخاطب اليوم في البلاد التي يتكلم فيها باللسان العربي قد
صارت في غاية البعد عن اللغة العربية الفصيحة الأصلية حتى صبح أن تُعدَّ كل
منها لغة مستقلة عن الأخرى بحيث لو فرض أنه أتى الى جهة يتكلم أهلها باللغة
المستعملة الآن كمصر وسورية من لا يعرف إلا اللغة الفصحى لم يمكن ان يفهموا منه
أو يفهم منهم إلا بعد طول المعاشرة والمخالطة

قالوا وغاية ما يمكن لقائل ان يقول في النسبة بين اللغة العامية المستعملة
بين العرب اليوم وبين اللغة العربية الفصيحة هو أن اللغة الفصيحة أصل لهذه
اللغة العامية وان هذه فرع تلك كما يقال إن اللغة اللاتينية أصل للغة الطليانية

وإن هذه فرع تلك

ثم رأى اهل هذا المذهب أن اللغة العامية وافيةٌ بمجالات أهلها في التفاهم ولم أن يستعملوها في جميع أنواع المعاني عالية ودانية علمية وأدبية وصناعية وشرعية وسياسية وبالجملة في كل ما يراد من معنى له مكان من ضروريات الإنسان او حاجياته او كمالاته ولم أن يستعملوها كتابة وتأليفاً كما يستعملونها نظماً اما اللغة الفصيحة فهي من البعد عنهم بحيث لا تصلح للتفاهم بينهم في ضرب من ضروب المعاني اللهم إلا اذا انفقوا في تعلمها أزماناً طويلاً وبذلوا في دراستها ما استطاعوا من جهد وقوة

وبنوا على ذلك أن اختصاص العلوم والآداب وفنون الصنائع واصول الشرائع ونحو ذلك باللغة الفصيحة بما يقضي على أهل اللغة العربية بالحرمان من التقدم في معارفهم وآدابهم بجميع أنواعها

وقد قال بعض مشاهير السياسة في الكلام على مصر ما نصه " وإخال أن أمل التقدم ضعيف ما دامت العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية لغة القرآن كما في الوقت الحاضر بدل أن تتعلم اللغة العربية المستعملة لأن نسبة اللغة المصرية الى لغة القرآن كنسبة الايطالياني الى اللاتيني والاغريقي الحديث الى الاغريقي القديم . وعربية الفلاح لغة قائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها واذا لم تؤخذ هذه الاحتياطات الواجبة للحصول على النتائج الفعلية من المدارس المتعددة التهذيبية لاستمر الجيل الجديد كسابقه غير صالح لخدمة وطنه سواء كان في القيادة العسكرية او في الصنائع او في الخدم العامة وتظل عبارة - مصر للمصريين - كما كانت اسماً بلا مسمى " انتهى كلامه

وبالجملة قد قالوا إن الأمة العربية إذا بقيت علومها وآدابها مُحْتَزَنَةً في
مبارات الفصيحة كانت كأنها في لغة أخرى غير العربية ولا يصل آحاد
الأمة الى حاجته من ذلك إلا بعد ان يصرف الجزء الاكبر من عمره في تحصيل
اللغة فلو ان العلوم نُقلت الى اللغة العامية وهي لغة الاب والام وجميع الخلق
يتعلمها الصبي كما يتعلم المشي والاكل والشرب لكان عنده من فضل الزمن ما
يصرفه في تحصيل تلك العلوم وهو في اوائل الصبا وكان الزمن الذي يستغرقه في تعلم
اللغة الفصيحة محفوظاً للتوسع في العلوم والآداب وبذلك يسهل تعميم الفنون اللازمة
لحاجات الامة وبثها في انفس جميع احادها بدون استثناء فان اغفلت هذه
الوسيلة لم يوجد سبيل لتعميم الفنون ولا لتحسين التربية العامة وهكذا لج هذا
الوهم بار بابو حتى كاد يلتحق بالاراء المعتد بها

اما نحن ففخالفهم ونذهب غير مذهبهم لوجوه

الاول ان ما يجدونه من الصعوبة في اختصاص اللغة الفصيحة بالعلوم
والفنون واستشارها بالكتابة سيجدونه في نقل العلوم الى اللغة العامية بل يجدون
في الثاني ما هو اشد من الاول

فان اللغة العامية تختلف باختلاف الاقطار والبلاد بما لا ينقص عن الاختلاف
بين العامي والفصيح بل ربما زاد فان جميع ما قالوه في صاحب اللغة الفصيحة اذا
ورد الى بلد من بلاد العرب التي يتكلم فيها باللغة العامية وحاله مع اهل ذلك
البلد وحال اهل البلد معه يكون بعينه او اكثر في مصري ذهب الى بلاد المغرب
الاقصى او الجزائر او سورية وهكذا من يبي من تلك الجهات الى مصر اذا
كان لم يدخل المكاتب ولم يسبق له مخالطة اهل البلاد التي جاءها

وإنّا لا نشك في انك اذا قلت لمصري عامي "كيف حالك" باللغة الفصحى من غير لحن تجده يفهم من هذه العبارة ما اردت بخلاف ما اذا قال له المغربي "أَشْنِيك" او "أَشْنَتَايَا" وكذلك فهم المغربي العامي اذا قلت له "كيف حالك" اسهل من فهمه لقول العامي المصري "إِزْيَيْك" وهكذا يفهم المصري قول العربي الفصيح "ما هو" بخلاف قول المغربي (أَشْنُوْا) او (شَيِّهُوْ) او قول السوري (شَكْلُوْ) وكذلك يفهم المغربي والسوري من قولك ما هو اكثر من قول المصري "إِيَّاهُ هُوَا" ^(١) او "هُوَا ايه" وكذلك قولك للمصري "هذا الوقت" اسهل عليه فهما من قول المغربي "تَوَا" او "دِرْوَق" او "دِرْوَك" او قول الدابلسي "هَالَقِيْت" وقول البيروتي "هَلَا" بتنخيم اللام والطرابلسي "هَلَا" بترقيقها وقولك "عِمَامَه" اسهل عليه من قول المغربي "كَشَطَه" او الشامي "لَفَه" فإنه لا يفهم اللفه الا بمعنى الثوب الذي يُلَفُّ فيه الطنل الصغير وهو رضيع غير مفصل عليه وقولك "النَّعْل" او "النعال" اسهل من قول المغربي "الصَّبَاط" و"كثير" اسهل من قوله "ياسر" او "بَايَزَاف" و"المَطْفَه" اسهل من "الزَّنَقَه" و"سفينه" اسهل من "شَقَف" او "شَقُوف" و"رواق" اسهل من "بُرْطَال" وقولك "امضا" اسهل من قوله "خنفوسه" وقولك "امضيت الكتاب" اسهل من "خَفَسْتُ الكتاب" و"الكتاب مخنفس" وقولك "هل عندك ساعه" اسهل عليه من قول المغربي "نَمَاشْ مِنْقَالَه" ^(٢) وقولك "كم الساعه" اسهل عليه من قول المغربي

(١) قوله (إِيَّاهُ هُوَا) الممنوع في مثل هذه الكلمة والتي بعدها نُقرأ ماله بين الفتحة والكسرة

(٢) قواه "منقاله" هذه القاف نُقرأ عندهم كالفاف في نطق اهل صعيد مصر وكالجميم في نطق اهل القاهرة اي غير معطشة وانظر ما يكتب به مثل هذه القاف اذا أريد نفل

قدَّاش التعديل "و" "مُحْص" اسهل عليه من قول الشامي "أضامة" وهكذا
لا يطول إيرادُهُ ولا ينحصر تعدادهُ

وليس مرادنا هنا الترجيح بين لغة من اللغات العامية وغيرها بان نقول إن
لصربية أسهلُ أو أرجح من السوربة أو المغربية مثلاً أو إحداها أسهل أو أرجح
من المصرية بل أردنا ان نبيِّن أن اللغة الفصيحة بعد أن يُجتنب منها في تعليم الفنون
الصنائع الغريبُ وغير المؤلف استمالهُ هي بالنسبة لكل واحد من ذوي اللغات
لعامية المختلفة أسهلُ وأقرب تناولاً من اللغة الخاصة بغيره من لم يخالطه فاللفظ
لعربي الفصيح بالنسبة للعامي المصري أقربُ من العامية المغربية والسوربة
وبالنسبة للعامي المغربي أقربُ من العامية المصرية والسوربة وبالنسبة للسوري
أقربُ من العامية المصرية والمغربية لما يطرُقُ أذآب الجميع من تنماع ألفاظ
القرآن والحديث والمواظ وغير ذلك مما يعم الجميع كما سيأتي

وقد اتفق لي من نحو سنتين أنني جئت في بعض بلاد الشام مع سيدي
الوالد فنقينا كثير من فضلاء نبلانها ونجباء أدباؤها منهم الفاضل الشهير الشيخ
عبد المجيد افندي الحائلي الخالدي النقشبندي فكنا نفهم منهم ويفهمون منا بالسهولة
بمخلافنا في التكلم مع العامة الشوقة فكثيراً ما كانوا لاسيما اذا أسرعوا في التكلم
يسْتَبْهم علينا وعليهم الكلام وينسد الباب دون فهم المرام حتى يترجم لنا الأستاذ
الخالدي المشار إليه وكان يلازمنا أيام مقامنا بدِمَشق في كل آن ومكان فقد

الكتابة الى اللغة العامية انكتب بالفاف وهي لا ينطق بها كالفاف المعروفة في قرأة القرآن
فيلزم تمييزها عنها ام تكتب بالهيم فيلزم تمييزها عن الهيم الحقيقية ولا كيف يتميز مثل قولنا
(قَدْه) اذا كتبت بالهيم من قولنا (جَدْه) وبمثل هذا كثير جداً

جمع بيننا وبينه من اللغة الصحيحة ما لم تجمعه اللغة العامية بيننا وبين العامي
البحث وما ذاك إلا لأن لغتنا العامية المصرية غير لغتهم العامية الشامية
وانفق في سفرنا هذا الى هذه البلاد أني دخلت أيام مكثنا بمدينة باريس
عاصمة بلاد فرنسا الى أحد محال التجارة بها وهو المعروف بمخازن اللوفر مع السيد
الواله المشار اليه ورفيقينا بهذا المحفل النبيل من مصر فلقينا هناك بحكم الاتفاق
من غير قصد رجل من باعة البضاعة بذلك المحل سبق له إقامة مدة مديدة في
بلاد الجزائر حتى اعتاد انكلم باللغة العامية المتداولة بها كأهلها فلما توسم في زي
ملا بسنا أننا من أهل اللغة العربية وتحقق ذلك بالسؤال منا وهو إنما يعرف من
اللغة العامية المغربية ما عرفه يلاذ الجزائر أخذ يتكلم معنا بتلك اللغة مع طلاقة
وذلاقة لسان غير أن كثيراً من كلامه كان يُشكل علينا فما يفهم منا إلا رفيقنا
الشيخ حمزه وكذلك كان كلامنا بالنسبة للرجل حتى يفهمه الشيخ الموما اليه وذلك
لأن الشيخ أقام سنين من عمره في بلاد المغرب وتونس فكان يترجم بيننا وبين
الرجل الى ان جاءت النوبة الى شراء ما يختص بي ورأيت التفاهم بيني وبين
الرجل لا يتيسر إلا بواسطة الترجمة فوجدت الأقرب تناولاً والأقل زمناً أن
يكلمني بلغته الفرنسية ورجوته في ذلك فأجاب وسهل تعاطي الكلام بيني
وبينه فكانت اللغة الفرنسية الأصلية بالنسبة له الطارئة بالنسبة لي أقرب لي
وكولاً من اللغة العربية المغربية العامية لمكان التباعد بينها وبين العامية المصرية
تلذا كان الحال مع من أقمنا غير هذا الرجل من أهل المغرب من الحديثي
العهد بالإقامة في بلادنا لاسيما إن كان من أهل المغرب الأقصى فإن لغته العربية
المغربية تكاد أن تكون بالنسبة لنا رطانة أجنبية ولو تكلم بالعربية الصحيحة لكان

فهمها حتى بالنسبة الى العامي منا أقرب من تلك بكثير
وأخبرني السيد الوالد أنه لما سافر الى البلاد الحجازية لأداء فريضة الحج
كان فهمه لكلام أهلها بل أعراب باديتها أقرب وأسهل مما مر بكثير جداً
لقربه الى اللغة الفصيحة وقد تستغرب الكلمة في استعمال أحدهم فيرجع اليها
من يستغربها في كتب اللغة كالقاموس فتوجد نصاً مثل لفظ الضلع بمعنى جانب
الجيل قال وقد سألت عامياً من أعراب البادية هناك عن معنى الضلع فقال الضلع
ضلع الجبل وأشار اليه وضلع الإنسان وأشار الى ضلع نفسه فلما وافقت لغتهم
العامية صحيح اللغة العربية في البعض وقربت منه في البعض سهل فهم ما وافق
المستعمل في لسان العامة ووجود غير المستعمل فيه بكتب اللغة

بخلاف ما اذا لم يفهم المصري مثلاً قول الشامي في عاميته الشامية "قَالِشِين"
او "قُمَبَاز" او "مِنتان" او لم يفهم الشامي قول المصري في عاميته المصرية
"شَرَاب" او "قَفْطَان" او "عَنْتَرِي" بمعنى الثلاثة المتقدمة على ترتيبها او لم يفهم
كلاهما من المغربي قوله في عامية المغربية "سَبْنِيَّة" بمعنى مندبل "وسَقْلِي" اذا
كان مشغولاً بالفضة و"تَشْمِير" بمعنى قبص ويقولون في جمعه "تَشَامِير" ^(١) او
لم يعرف المغربي ما سبق من كلام كل من الشامي والمصري فاين يجد الواحد منهم
بُعَيْتُهُ اذا جاء الى أحد هؤلاء كتاب من غير لغته العامية فيه شيء من ذلك وربما
لم يكن في بلده او بلدة قريبة منها أحد من أهل تلك اللغة ولا معرفة بها عنده

(١) كذا سمعت من بعض افاضل المغاربة وسمعت من غير واحد منهم انه يقال
عندهم الواحد "تَشَامِير" والجمع "تَشَامِيرَات" وكلاهما يطقون به ساكن الفاء اوله وهم
كثيراً ما يبدؤن بالساكن

ولا في شيء من كتب اللغة يجد قصده

فإذا كنت مثلاً في قرية من قرى مصر من غير مراكزها المختلطة بها أصناف
الأم وأتاني كتاب من أحد أصحابي في الشام أو في المغرب على لفتته وفيه ما لا
أعرف فماذا أصنع أؤمله بالكليّة وربما كان في حاجة ضرورية مهمة أم أسافر
إلى موضع أجد فيه من يفهمني ذلك ولو كنت في أقصى الصعيد أم ابعث به إلى
عارف باللغتين يترجمه لي كما تُترجم اللغات الأجنبية فقد أصبح كل منا إذا تركنا
اللغة الصحيحة الجامعة بالكليّة لا قدر الله اجنبياً عن الآخر من ذوي لفتته وبني جلدته
بعد أن كان بيننا جامعة اللغة

هذا وما قدّمناه من اختلاف اللغة أنه قد يوجد في إحدى اللغات العامية
ما يخالّه من ليس يعرفه شتماً أو عيباً أو ما يُستحى منه بالنظر إلى لفتته وقد وقع
من ذلك لكثير من الناس ما لا يحصى فما ظلك بمصري نزل بالشام في دار وتهدت
له شامية أو شامي بعمل الأكل فقال المصري ما ذا آكل فقيل له "كبة"
والكبة في العامية المصرية ما يستعمل في فطير الدعاء على الزير إذ دوفيا الخرج
الطاعوني والعباد بالله تعالى وفي امثالهم العامية "سنة الكبة يدّلع لخط" يضرب
لمن يعجب بنفسه وهو حقير في ذاته لدى عدم وجود من يعتد به كقول القائل

خلت البناغ من الرّخاخ فنفرت فيهما البيادق

والكبة في عامية سورية طعام معروف لدى أهلها من أطيب ما يستلذّ عندهم وإذا
قال المصري للمغربي "بصر" فهي عند المصري بمعنى انظر وعند المغربي بمعنى من
المعاني المستهجنة للغاية

وكثيراً ما توجد في عامية بعض الجهات ألفاظ تعد عند غير أهل الجهة

سَخَفًا وَفُحْشًا بَلْ مِنْ أَفْحَشِ السَّخْفِ وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِهَا مَعْرُوفَةٌ مَأْلُوفَةٌ لَيْسَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَا أَسْتَحْيِي مِنْهَا الْعِذْرَاءَ فِي خَدْرِهَا

وَقَدْ اتَّفَقَ لِي مِنْ ذَلِكَ يَوْمَ دَخَلْنَا الْقُدْسَ فِي السِّيَاحَةِ الشَّامِيَّةِ أَنْ سَأَلْتُ امْرَأَةً صَادَفْتُهَا فِي الطَّرِيقِ عَنْ مَوْضِعِ هُنَاكَ وَهُوَ الْفُنْدُقُ الَّذِي نَزَلْنَاهُ وَكُنْتُ قَدْ اشْتَبَهَ عَلَيَّ الطَّرِيقُ إِلَيْهِ فَأَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ مَا مَعْنَاهُ "هَاهُو هُنَاكَ" فَأَشَارَتْ إِلَى مَوْضِعِ الْفُنْدُقِ وَقَالَتْ كَلِمَتَيْنِ أَرَادَتْ بِهِمَا ذَلِكَ الْمَعْنَى يَقْضِي بِسَبَبِهَا الْوَهْمُ مِنْ لَمْ يَأْلَفَ تِلْكَ اللَّغَةَ أَوَّلَ وَهَلَمَّةٍ أَنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ فَوَاحِشِ الْفَوَاجِرِ الْمُتَهْتِكَاتِ فَعَجِبْتُ مِنْ جَهْرِهَا بِذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ بِمَسْمَعٍ غَيْرِهَا مِنْ ذُنُوبَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَكُنْتُ رَأَيْتُهَا مُتَقَدِّمَةً فِي السَّنِّ وَذَلِكَ مَا حَمَلَنِي عَلَى اخْتِصَاصِهَا بِالْمُخَاطَبَةِ وَالسُّؤَالِ خِيفَةً مَا قَدْ يَلْحَقُ الْغَرِيبَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ فَتَأَمَّلْتُهَا ثَانِيًا لَمَّا اسْتَعْرَبْتُ ذَلِكَ مِنْهَا فَإِذَا هِيَ كَمَا رَأَيْتُ أَوَّلًا مَسْنُوءَةً عَلَيْهَا سَمْتُ وَقَارَ وَسَمَةِ كَمَالٍ وَهِيَ فِي أَعْدَحَالٍ مَا كَانَ قَدْ ذَهَبَ بِي إِلَيْهِ الْوَهْمُ وَسُوءُ الْفَهْمِ فَلَمَّا تَكَرَّرَ سَمَاعُ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْفَتَيَاتِ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ لَمْ أَجِدْ سَبِيلًا لِسُوءِ الظَّنِّ وَلَا أَرِيدُ أَنْ أُصْرَحَ بِأَمْثَالِ ذَلِكَ وَفِي هَذَا كِفَايَةٌ لِمَنْ شَاءَ وَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَرَبَّمَا وَقَعَ لَهُ إِذَا تَجَاوَزَ الْكَلَامَ مَعَ مَنْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ وَفَادَةٌ عَلَى مَصْرُوعٍ وَجَرَّتِ الْمُنَاسَبَةُ إِلَى مَا هُوَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ

وَكُلُّ مَا ذَكَرْنَاهُ هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَالِ الْحَاضِرَةِ الْيَوْمِ أَمَّا لَوْ نَقَلْنَا الْكَلَامَ إِلَى مَا قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً مِثْلًا لَنَقِيسَ عَلَيْهِ مَا بَعْدَ مِثْلِ هَذِهِ الْمَدَّةِ لَكَانَ الْأَمْرُ أَكْبَرَ لَمَّا نَرَاهُ فِي الْعَامِيَّةِ مِنَ التَّبَدُّلِ وَالتَّغْيِيرِ بِتَغْيِيرِ الْأَعْيَارِ وَعَدَمِ الثَّبَاتِ وَالِاسْتِقْرَارِ فَلَوْ فَرَضْنَا الْكَلَامَ فِي سُورِيٍّ مِثْلًا جَاءَ إِلَى مِصْرٍ أَوْ مِصْرِيٍّ ذَهَبَ إِلَى سُورِيٍّ قَبْلَ نَحْوِ تِلْكَ الْمَدَّةِ لَوَجَدْنَا الْمِصْرِيَّ لَا يَفْهَمُ مِنَ السُّورِيٍّ وَلَا كَلِمَةً وَاحِدَةً فَإِنْ

المصري لو سمع من امرأة سورية أو رجل سوري من ذوي السن ممن لم يدخل
المكاتب هذه العبارة وهي "سكلت الحثيم أل لي أل إينا" لم يفهم ماذا يريد
منها والمراد "سألت الحكيم قال لي كل كينا" بل لو سمع شاب مصري شاباً
سورياً من أهل بيروت يقول اليوم "وَعَات على إجري" لم يفهم ماذا يريد ومراده
"وقعت على رجلي" وكذلك لو قال السوري للمصري "انظرني هَلْأجي" لم
يفهم منه أنه يقول "انتظرني حالاً أجي" ولو أراد أحد احصاء ذلك للزمه أن
يكتب سفرًا كبيراً هو قاموس اللغتين السورية قبل عشرين سنة مع بعض
السورية اليوم والمصرية اليوم

فمن أراد نقل العلوم والآداب من اللغة الفصحى الى اللغة العامية لزمه أن
يحول بين السورين والمصريين والبغداديين والتونسيين والراكشيين وغيرهم من
يتكلم باللسان العربي ويجعل لكل فئة منهم لغة خاصة بهم في معارفهم وعلومهم
وآدابهم ويصبح المصري اذا كتب كتاباً لا يفهمه السوري والسوري اذا كتب
كتاباً لا يفهمه المصري وهكذا سائر الاقوام العربية فيفقد العرب ما عساه يكون
بينهم من التعاون على العلم والأدب ويصيرون الى حال من الفرقة اشنع مما هم فيه اليوم
بل من دقق النظر في احوال البلاد العربية يجد أن البلاد المصرية نفسها
يختلف بعضها عن بعض بما لا يقل عن الاختلاف بين العامة وأهل اللغة الفصيحة
الصحيحة فإن أهل الصعيد الأعلى يستعملون من الألفاظ وضروب التعبير ما
لا يفهمه أهل البحيرة بل لأهل مديرية الشرقية مثلاً من الألفاظ ما لا يفهمه
أهل مديرية الدقهلية الملاصقة لها الأمن تكرر سماعه لها بل لأهل المديرية
الواحدة في بعض البلاد الفاظ تخالف ما هو مستعمل في معناها ببعض الآخر

والعربان كذلك

وهكذا نجد في سائر البلاد العربية في ما نعلم ولا نطيل في ايراد الأمثلة والشواهد على ذلك فوق ما مر

فمن أراد نقل العلم الى اللغة العامية لزمه أن يفرق بين أهل الاقاليم في معارفهم وأدابهم وباعد بين افكارهم وانقلبت الأمة بسعيه الى أم مختلفة لا يفهم الأفراد من إحداها ما يقول الأفراد من الأخرى وهم أهل شريعة واحدة وفي سلطان حاكم واحد وكل واحد منهم في حاجة الى مونة الآخري أقل الضروريات وأجلها

فإن قال أهل ذلك المذهب إننا نضع كتاباً يحتوي على جميع اللغات العامية في الأقطار العربية او يحتوي على جميع الألفاظ المصرية مثلاً مرتبة على الحروف والأبواب ويعين فيه لغة كل ناحية من النواحي ونفسر بمفاهيم لغات سائر النواحي فاذا عثر أحد من أهل الغريبة مثلاً على لفظ في كتاب لأحد من أهل جهة أخرى رآه جمع ذلك الكتاب حتى يفهم مراده

قلنا لو تسنى ذلك لنا بالفرض لم يكن ذلك بأسهل من مراجعة الكتب اللغوية التي بأيدينا اليوم على أننا اذا اقتصرنا في كتبنا الصناعية والفنية التي يحتاج اليها عامة الناس على الموافق للاستعمال الحالي والقريب اليه من العربي الصحيح وتركنا الغريب والبعيد عن المستعمل لسهل الأمر جداً كأن نستعمل في تلك المؤلفات بدل لفظ "اللجين" مثلاً لفظة "الفنعة" بمناء فإن الثاني مع كونه لفظاً صحيحاً فصيحاً في هذا المعنى هو كما تراه قريب من اللفظ العامي المستعمل لافرق بينهما إلا كسر الفاء في الصحيح وفتحها في العامي فلذا يفهمه العامي وغيره بخلاف

الأول ولذا ندعوه وستعمل الثاني وكذا نستعمل بدل لفظ "العَسَجَدِ" مثلاً لفظ "الذهب" لقرب الثاني من اللفظ العامي لا يفرق بينهما إلا بالدال منقوطة في الصحيح والدال غير منقوطة في العامي فلذا لا يتعسر فهمه وهكذا . ومن هذا القبيل ما قصدناه على سبيل التمثيل من استعمال كلمتي المنقوطة وغير المنقوطة في هذه العبارة بدل لفظتي المعجمة والمهملة الغالبتين في المؤلفات ولم نراع هذه الطريقة في كل ما كتبناه هنا لانتنا نكتب للأخوص لا للعوام . فاذا اعتنينا برعاية ما ذكرناه أعني الاقتصاد في المؤلفات التي تحتاج إليها عامة الناس كما ذكرنا لخاصتهم على ما لوف الاستعمال لم يبق من حاجة غالباً إلى مراجعة الكتب اللغوية إلا بالنسبة لمن نصب نفسه للتبحر في معرفة مفردات اللغة وعلومها من العلماء والأدباء ومن يريد اللحاق بهم والترقي في درجات البلاغة إلى درجاتهم وما ذاك بمتعين على عامة الناس ولا تدعوا إليه ضرورة بالنسبة إليهم ومن اراده من تسمو به نفسه عن تلك الطبقة للتوسل به إلى علوم التفسير ونحوها وإجادة صناعة النظم والنثر وما يتعلق بها وجد الكتب التي يحتاج إليها في ذلك حاضرة والطريق مسلوكة والطريقة سهلة والمرام على طرف الثمائم بخلاف ما لو تركنا الطريقة العربية في النطق والمكاتبه والتأليف كلياً وهجرناها ملياً فإن ذلك تندثر به تلك الكتب وتناسي ويضمحل أمرها ويتلاشي ويتبدل الزمان يصبح الوصول إلى ذلك المراد أصعب من خرط القتاد

على أن العمل في جمع متفرق اللغات العامية وتمييزها ما يصعب نجاحه كل الصعوبة فإن واضح مثل ذلك الكتاب الجامع لا يصل إلى الغرض منه حتى يخالط أهل كل إقليم بل كل ناحية ويسمع كلامهم في جميع المقاصد والأغراض

ليُسنى له بذلك الاحاطة بجميع الالفاظ وهذا يستغرق من الزمن والنفقة ما لو
صُرِفَ بمضه في حمل الناس على التكلم بالفصح لا تى بالغرض المطلوب على اتم
وجه واكمله

هذا كله اذا قصرنا النظر على مفردات اللغة العامية وما يوجد بينها من
الاختلاف الفاحش فإن نظرنا الى هياآت التراكيب التي تختلف ايضا باختلاف
الأقطار والنواحي لاختبنا الى فن نحو خاص بكل قطر أو بكل ناحية ولكان على
العربي منا أن يتعلم كل نحو وضع لكل لغة حتى يتمكن من فهم ما يكتب في اللغة
العامية من اي بلد من بلاد العرب وهذا يكلفنا من المشقات اضعاف ما يكلفنا تعلم
نحو اللغة العربية الفصيحة

ونحتاج ايضا الى وضع علم لرسم كلمات هذه اللغة العامية لتكون كتابة كل
جهة جارية على اصول مضبوطة وطريقة واحدة والأصابع كل واحد من أفراد
الناس يكتب بهوى نفسه على حسب ما يعين له من غير قاعدة مقررة ولا قانون
ضابط فمثل "إلي" في العامية بمعنى "الذي" في الصحيحة هل تكتب بلام واحدة
مثل ما يكتب "علي" في اللغة الصحيحة بلام واحدة مشددة جريا على قاعدة
الإدغام المرعية عند أربابها في النطق والرسم ام تكتب "إلي" بلامين بناء على أن
تلك القاعدة خاصة باللغة العربية الصحيحة لا غيرها كما تكتب "فلي" من اللغة
التركية بمعنى ذي شعر بلامين و (ألي) من التركية ايضا بمعنى خمسين بلامين
كذلك لعدم عارية الإدغام عندهم واختصاصه باللغة العربية الأصلية الصحيحة
ومثل "قل لي" الحرفة من "قال لي" هل تكتب بلام واحدة مشددة ام تكتب
بلامين متصلتين او منفصلتين وعلى كل هل تكتب بألف بين القاف واللام

على الأصل للفرقة بينها وبين "قُلْ لِي" المركبة من فعل أمر وجار ومجرور أم
تُترك الألف من الرسم لسقوطها في النطق وعلى كل تكتب بالهمزة بدل القاف
"أَلْ لِي" أو "آل لِي" أو "أَلِّي" أو "أَلِي" أو غير ذلك ثم على كل هل تكتب
بالهمزة في أولها بدل القاف لأن النطق بها كذلك في العامية في بعض البلاد مثل
القاهرة أو بالقاف الحقيقية لأن النطق بها كذلك في بلاد آخر كرشيد أو تكتب
بالجيم رعاية لحال النطق بها في بعض آخر كالصعيد لأن أهله ينطقون بها بما يشبه
جيمًا غير معطشة كالجيم العامية المتأداة في القاهرة أو تكتب بالقاف ويرمز لها
بما يميزها عن القاف الحقيقية أو بالجيم مرموزًا لها بما يميزها عن المعطشة أو يوضع
لها حرفٌ جديد

وبالجملة يلزم وضع علم للرسم في هذه اللغة العامية إذا نقلنا إليها الكتابة
والفنون لتتحد الكتابة فيها والأنتشرفي كتابتها الخلاف وعمل كل برأيه وعلى
حسب ما يراه الصواب

ويتسع الاختلاف كثيرًا في رسم الكلمة الواحدة في بلدين مثلاً بل في
بلد واحد بحسب اختلاف الانظار فيما هو الصواب في الرسم وهلمَّ جرًّا إلى سائر
ما يلزمنا استحداثه من الفنون لنقل التأليف والكتابة إلى هذه اللغة العامية وبعد
هذا كله نرجع ونقول إن الزمن الذي يكفينا لتعلم الفنون والقواعد لهذه اللغة
العامية من نحوٍ ورسم وغيرهما يكفينا لتعلم لغةنا العربية الصحيحة ونرجح وحدة
اللغة وعدم حرماننا من الانتفاع بمؤلفات أسلافنا فوق ألف سنة مع الاقتصار على
الضروري من تلك القواعد اللغوية بقدر ما يلزم لعامة الناس لا خاصتهم كما مرَّ
فإن قال أحدٌ من أهل هذا المذهب لا يلزم وضع قواعد لهذه اللغة العامية

لأنها معروفة عند العامة والخاصة باستعمالها وتداولها في التكلم فيما بين أهلها قلنا لو كان الأمر كذلك لما اضطرت كل أمة من الأمم المتمدنة إلى وضع قواعد لضبط لغتهم التي يتكلم بها كبيرهم وصغيرهم وفاضلهم ومفصولهم مثل معرفة عالمينا للغتنا العامية في الأقل ومع ذلك احتاجوا الوضع القواعد فيها حسماً لما ينشأ عن عدم وجود القواعد من الخلل والمفاسد وقد بينّا بعضه

فإن قالوا إن الطريق الذي سلكه المتقدمون في الإحاطة باللغة العربية الفصيحة وحصر موادها وضبط قواعد النطق بها لذلك فيما نريد من ذلك اللغة العامية قلنا كانت اللغة العربية وصلت إلى حد الكمال واستقرت على حالة رستخت في الأذهان وثبتت في القرائع واختلط أهلها من جميع أطراف البلاد العربية حتى عرف كل منهم مجرى التخاطب عند الآخرين فكان البدوي من أهل اليمن يخاطب الحضري من أهل الشام والعراق فلا يرتاب واحد منهما في لفظ مما ينطق به الآخر إلا أن يكون لفظ طراً من لغة أجنبية فمرّبهُ التوليد وهو مما لا يلتفت إليه في لغة واسعة ثم انقرضت الطبقة التي كان يُعتد بلفتها ويُستشهد بكلامها في اثبات مفردات اللغة وعلومها واستقرت لغة القوم على ما كانت عليه إلى ذلك العهد لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً ولهذا سهّل على واضعي قوانينها وحفاظ موادها أن يحيطوا بأطرافها ويأثروا على كل جوانبها وأفادها الشرع الشريف تأييداً وتأيداً وأمدّها أمداً مديداً بخلاف حال العربية العامية المتعملة اليوم فهي عرضة للتغير والتبدل فحال العربية في هذا الزمان يخالف لحالها في تلك الأزمان كما أن حال أهلها الآن يختلف عن حال الأسلاف كمال الاختلاف

الوجه الثاني أن اللغة العامية لم تبلغ مبلغ لغة ثابتة في موادها ولا في هيئات

تراكيها حتى يعول عليها وتوضع فيها العلوم والآداب وانما هي تحريف لغة أخرى ولهذا نرى التبديل والتغيير فيها كما ذكرنا لا ينقطع وما ذكروه من المثال غير صحيح ولن يصح فان اللغة الثليانية او الإغريقية الحديثة لغة استقرت وثبتت وصارت ملكة في الناطقين بها لا ينحرفون عنها كلهم متفقو الكلمة فيها غير متوفرة عندهم اسباب التغير كما عندنا ولهذا بعثم الباعث الطبيعي على اعتبارها مدار التخاطب في جميع المقاصد وليست الحال عندنا كذلك والفرق بيننا وبينهم ظاهر واضح لا يحتاج في بيانه الى الاسباب والاطناب في هذا الباب وانما نلّم به بعض الامام وندع ما وراء ذلك الى تدبر من ينعم النظر في مجاري الاحوال الطبيعية وترتب المسببات على الأسباب فنقول :

كانت أمة العرب قبل الاسلام منحصرة في بلادها غير منتشرة في آفاق الأرض نريد انتشار الجماهير المجهرة والألوف المولفة للغة والاستيلاء والفتوح لا انتشار الأفراد أو الجماعات القليلة للتجارة ونحوها من الأسباب فإن الثاني لا ينشأ عنه أثر ذوبال وأهمية بخلاف الأول ثم ظهر فيها الدين المبین الإسلامي وكثر وانتشر وقوي أهله وسارت الدعوة اليه على يد القائمين به الناصرين له الناشرين كلمته إلى من جاورهم ومن قاربهم ومن بعدهم وغيرهم وتوالت على أيديهم الفتوح حتى انتشروا في مشارق الأرض ومغاربها مؤيدين بالظفر ظافرين بالنصر وأسلم معهم من أهل البلاد التي احتلوها من أسلم فصار منهم وانقاد من لم يسلم فدخل في ذمتهم وأقام في كل صقع ناس منهم للقيام بالأمر وتقرير أحكام الشرع وتعليم أصول الدين وفروعه وحفظ البلاد التي دخلت في يدهم من الخروج عن كلمتهم واختلطوا مع أهل تلك البلاد على حكم الضرورة في المعاشرة

والمجاورة وسائر ما تستتبعه المساكنة والمجاورة وأمور المعاملة والتصق أهل تلك البلاد بهم واختلطوا معهم وتعلموا من لغتهم وعاداتهم وسمى من كل فريق منهم أشياء إلى الآخر بحكم الخلطة وتوالي الأيام والأعوام عليها وانتقل ذلك إلى الأبناء بعد الآباء والأحفاد بعد الأجداد إلى أن صار أهل تلك البلاد التي دخلوها واستولوا عليها مزيجاً مركباً صدق فيه ما "قيل نبطٌ استعربوا" ^(١) "وعرب استنبطوا" وإن يقال "عجم استعربوا وعرب استعجموا" وثبتت اللغة العربية في البلاد التي كانت تمكنت فيها تلك اللغة فضل تمكن كمصر مع ما طرأ عليها من التعريف والتغيير وازداد بطناً بعد بطن وقرناً بعد قرن لا سيما بعد أن نقلت ظلال دولة العرب وخلفهم على البلاد غيرهم من أمم مختلفة وأصناف من الناس متباينة تداواتها واستولت عليها كما دخلها أيضاً ولا يزال يدخلها أخلاط من الأمم للتوطن والاقامة كثير منهم موافق لأهل البلاد في أصل اللغة ومطلق التعريف مخالف لم في كيفيته فيأخذون مما عند الأهلين ويأخذ الأهلون مما عندهم وهكذا صار وقوع التغيير بهذه الأسباب طريقة غير متغيرة عرفها من عرفها ولا ينكرها إلا من جهل أمرها

فأذكروه من المثال غير منطبق على الحال كما قلنا لا أمور كثيرة منها أنك ترى الإيتاليانيين مثلاً إذا دخل عندهم رجل من أمة أخرى الإقامة بينهم فلفته غير لغتهم فهو إذا خاطبهم أو كتبهم فإما أن يخاطبهم ويكتبهم بلغته وهو نادر مع من يعرفها أو بلغتهم المبينة للغة فلا يحصل من التداخل في الحالين بقدر ما عندنا أما نحن فإذا دخل عندنا السوري أو المغربي مثلاً فأصل لغتنا ولغته واحد ولكن

(١) النبطُ بفتح النون والنبط قوم ينزلون بالبطائح والعجم خلاف العرب

عنده تحريف وعندنا تحريف آخر فيقع التداخل والتبادل الى غير ذلك مما قدمناه كما يعلم بالتأمل وصحة النظر فظهر أن المثال غير واقع وموقفه والقياس غير مصادف محله ولا يقاس المثل الأعلى المثل ولا يصح القياس إلا عند عدم الفارق "والفرق مثل الصبح ظاهر"

ثم ان من تتبع أحوال اللغة العامية المستعملة عندنا وجد أنها كما تختلف باختلاف الأزمنة تختلف أيضاً باختلاف الأشخاص والامكنة فانك تراها ترتقي الى اقرب من موافقة اللغة الفصحى عند أهل العلم وعند البعض من المخاطون العلماء وفي البلاد التي تنتشر فيها الجرائد وكما أنك ترى هذه اللغة عند هؤلاء ترتقي الى هذه الدرجة تراها تسفل وتنحط عن الفصحى عند من لا يعرفون سواها ولا حركة للسان الجرائد فيما بينهم وتغير هيئات المواد وصيغها وهيئات تراكيبها بحسب اختلاف الأشخاص ومراتبهم في المعرفة بلا تكلف لذلك ولا قصد اليه ولا تجد لفظاً له هيئة ثابتة عند العامة بحيث لو غُبرت تلك الهيئة لعدّلنا عندهم وغلطاً بل الاسان فيها مطلق عن كل قيد يذهب في الألفاظ حيث يشاء الناطق فلو أردنا تقريرها ونقل العلوم اليها أعسر علينا تعيين هيئة خاصة في المواد والتراكيب وكان حمل الناس على التزام تلك الهيئة أشدّ عسراً — ولكونها تعد تحريفاً لا لغة وليس لها هيئة ثابتة ولا سلطة لنا على لسان العامة مادام التحريف له عادة نقول اننا حرسنا على هذه العادة التي سميناهم لغة لاننا نحن ان نراها بعد قرن واحد قد صارت الى ما لا نتصوره الآن وباتى اهل القرن الثاني ويقولون فيما وضعنا اليوم مثل ما نقول في اللغة الفصيحة وهكذا يستمر التغير والتبديل في اللغة العامية فاما أن يتبعه التغير والتبديل في الكتب والكتابة كل زمان قرناً

بعد قرن وجيلاً بعد جيل تبعاً لتغير نطق اللسان كما يريدون ان يكون الآن حتى ما يفهم جيل من الناس لسان من قبلهم من الاجيال ولا يفهم لسانهم من يأتي بعدهم ويصير كل جيل منهم امةً قائمة بنفسها منفردة بذاتها وحدها عن قبلها ومن بعدها وهذا الامر فضلاً عما يتبعه من طول العمل فيه وكثرته وتكرره والعناء في تقريره عصراً فَعَصراً لا يخفى ما فيه

وإما ان لا يتبع ما يحدث من التغير والتبديل في النطق تغييراً وتبديلاً في الكتب والكتابه بل تبقي الكتب والكتابه ثابتة على ما يتقرر اول مرة — لو حصل — مها تغير النكلم وتبدل وحينئذٍ نرجع الى ما نحن فيه من ان الكتب تكون على لغة والنطق على غيرها ويضع التعب سُدىً ويصير العمل عقيماً عن الفائدة بل يزيد على ذلك أنا نكون بهذا العمل قد استحدثنا لغة زائدة فيزيد الطين بلة وتكون المؤلفات القديمة المؤلفة في أكثر من الف سنة في آفاق العالم وأقطار الدنيا مبنية على لغة مهجورة حينئذٍ وهي العربية الصحيحة وتكون الكتب التي تستحدث الآن على لغة غيرها وهي المامية المستعملة الآن التي ستهجور بعد ويكون التكلم على لغة أخرى وهي التي تحدث للنطق بعد جيل مثلاً فان تبع تغيير الكتب تغيير النطق والتكلم على الوجه الأول تكون لغة رابعة فان تغير بعد ذلك ايضاً نستجد لغة خامسة وهكذا تنسلسل اللغات الى ما لا يتناهى لو حصل ذلك (لا حصل)

فان قيل إن اللغة العامية الحالية انما كانت عرضة للتغير والتبدل لعدم نقيدها بالكتابة وتركها هملًا تتبع كل ريج بخلاف ما لوقيدت بالكتابة ودوت فيها الكتب وجرى عليها العلم والتعلم واستمر الحال جارياً على تلك الحال فانها

بذلك ترسخ وثبت ولا يعترها التغير
قلنا هيئات فان اللغة الصحيحة ايضاً كانت مقيدة بالكتابة مدونة فيها
الكتب جاريًا عليها التعلم والتعليم مؤيدة فوق ذلك بانها لسان الشرع والديانة
ثم انقلبت الى لغة اخرى على ما يقولون فلم لا يجوز على غيرها وهو دونها ما جاز
عليها وهي بهذه المثابة

فإن قالوا يلزم بعد تقرير هذه اللغة العامة وتقيدها بما ذكر ان نمنع العوام
بالحكم والالزام عن التغير والتبديل في الكلام ولنزهم الاستمرار على الحالة
التي نقرر الآن وعدم العدول عنها حتى ترسخ وثبت وتصير لغة مستقرة
وعادة مستمرة

قلنا إن الوصول الى تلك الغاية لو امكن الحصول عليه انما يكون على ذلك
بصنع المتصنع لا بحكم الطبيعة ولا شك أن حصول الشيء بالصنع لا يكون كحصوله
بالطبع ثم هذا المنع والالزام انما يمكن لو امكن ويتم لو تم في الاجيال الطويلة
وبالنسبة للاهالي خاصة وفي المجامع والمواقع الرسمية خاصة وفي المكاتبات
والمخاطبات التي تقصد بها الحكومة خاصة والأفكيك ومن اين يتأتى التحكم على
الناس بالمنع والالزام في شيء من الكلام في المحاور والمحادثة بين افرادهم ومع
اهلهم واولادهم وعائلاتهم وقرباتهم وصحابتهم وسائر ذوي تعلقاتهم وفي خلواتهم
وجلواتهم ومزارعهم ومصانهم ومحال حرفهم وصنائعهم حتى تصير القاعدة عامة
والنافذة تامة هذا ضرب من المحال وأمر انما يتصور في الوهم والخيال لا يخرج من
القوة الى الفعل ومن القول الى العمل

والغرض الذي يقصدونه من تسهيل العلوم لا يزال مفقوداً في جميع

الأحوال فإن لسان العامي ليس تحت سلطة الواضع ولا سبيل لتقويهِ إلا الترية
والتشقيف فإن كان الواضع نفسه ساعياً في ترويج التحريف واللسان مندفع اليه
فلا ممسك له عنه ولا تكون لغة النطق هي لغة الكتابة ويعود الإشكال بعينه
فلا بد لتسهيل التحصيل وتعميم التعليم من صرف النظر الى شيء آخر

الوجه الثالث أن اللغة العامية جملة مواد اختزلت من اللغة الفصيحة وأضيف
اليها بعض الفاظ اجنبية من لغات الأقوام الذين دخلوا في اللغة ولم يستطيعوا
اللحاق باهلها وانما حفظ منها ما اشتدت اليها حاجة المتكلمين بها للتناهم في الاغراض
المعاشية الظاهرة اما العلوم والآداب فلم يكن لهذه اللغة حظ منها فلو أردنا نقل
العلوم اليها لكان في حاجة شديدة الى استعارة المواد من اللغة الفصيحة وصوغها
في تركيب تناسبها حتى نتم الفائدة فان لم نفعل احتجنا الى وضع لغة جديدة للعلوم
والآداب نضمها الى اللغة العامية الموجودة ونسي المجموع لغة عربية عامية نحكي
لُغتي الايطاليين والاغريقين الحديثين وانا نجد بعض الكتب التي ترجمت او
أُلفت في سورية وفي مصر بعبارة تقرب من العامية لعجز المترجمين لها عن استعمال
الفصحى في المفردات والتركيب قد صار بمنزلة الموجود في لغة اجنبية ولا يجد
المطالع سبيلاً الى فهمه إلا بالاستفهام من مترجمه او مؤلفه فاللغة العامية لغة
قاصرة ولا سعة فيها للعلوم ولا للشرائع ولا للآداب ولا للسياسة فكيف يمكن
الاستغناء بها عن اللغة الفصيحة

ولو أردنا الاطالة في ابطال هذا الرأي وايضاح الفساد في مقدماته لاتينا
بتفصيل يحويه سفرٌ طويل وغرضنا الآن عجمالة ثبت رأينا فان دعا داع للتفصيل
واستيفاء الأدلة والاكثر من الامثلة رجونا ان نفي بالغرض من ذلك

والذي نراه أن اللغة العامية خصوصاً في مصر وسورية وجزيرة العرب والعراق وتونس وطرابلس الغرب لم تبعد عن الفصحح بما تصير به لغة مستقلة فإن المواد هي المواد الأصلية بعينها إلا ما زاد عليها وهو قليل لا يلتفت إليه في تكوين لغة وهيئات التراكيب ترجع إلى الهيئات المعروفة في تركيب الكلام العربي — غير أنه قد عرض على المفردات تحريف وتغيير بنقص أو زيادة لم يخف بها أصل اللفظ بحيث لو جرد اللفظ من الزيادة أو كل من النقص أو صحح من التحريف لم يستبهم معناه على العامي فإن العامي الذي يضع "الي" مكان "الذي والتي" فيقول "الي يفعل الخير ينول ثوابه" لو قيل له "بدل هذه العبارة" الذي يفعل الخير ينال ثوابه" لفهمه كما يفهم لفظه العامي ولا يزال الكثير من العامة يضع الذي مكان الي فيستعمل عاميته مع الفصحح كأنه مخير فيها كاللفظين المترادفين ولفظ هنا بكسر الميم لا تختلف عن هنا بضمها إلا بالحركة ولا ينقلب معناها عند العامي لو نظقت فصيحة وهذا هو الشأن في جميع الألفاظ المفردة وعلى نحوه يكون الخطأ في التراكيب فإن الذي يفهم "الرجل جه" يفهم "جاء الرجل" والذي يفهم "ما عليهش" يفهم "ما عليه شيء" والذي يفهم "إبهده" أو "شهاد" من مصري أو سوري يفهم "ما هذا" "واي شيء هذا" وما شابه ذلك من الاستعمال الفصحح وقد تقدم شيء من هذا في مقارنة اللغات العامية فالتحريف وفساد التركيب لم يذهب بالعامية عن فهم الصحيح بالمرّة بل هم يفهمون منه ما اتفق مع الفاظهم في المادة وإنما يعي عليهم فهم الغريب وأما قول أرباب ذلك المذهب "لو فرض أن أتى إلى جهة يتكلم أهلها باللغة العامية المستعملة الآن من لا يعرف إلا اللغة الفصيحة لم يمكن أن يفهموا منه أو

يفهم منهم الى آخره "فما يخالف العيان والمشاهدة فطال ما شهود كثير من يأتون الى مصر يتكلمون بالعربية الصحيحة مثل بعض الجراكسة الذين لم يتعلموا من العربية الا الفصحى وليس لهم كتابة الا بها وبعض المغاربة من اهل فلاتة وغيرهم فيتكلمون باللغة العربية الصحيحة فيقصون ما رايهم ومن اعضاء هذا المؤتمر الحبر العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي سمعناه يتكلم في مصر باللغة الصحيحة فيفهم غيره ويفهم من غيره وجاء قبله من اهل سقطو الشيخ عثمان بن جم ولم يكن يتكلم الا بها وكانت يفهم يفهم حتى اعتاد بعض العامة على التكلم معه باللغة الصحيحة من كثرة المخالطة وأمثال هذا كثير وكان العلماء لا يتكلمون الا باللغة الفصيحة ولم يكن بينهم وبين العامة تزجان وأما ما يحكي عن بعض العلماء من انه كان يسكن في بعض الاماكن المعروفة في مصر بالوكائل فقال للبواب ذات ليلة يأمره بفتح الباب "فتحاً بواب" مصدر تباب عن فعله "فلم يفهم البواب منه وظنه يشتمه وشكاه في صبيحة الليلة الى شيخ الجامع زمن العلامة الشيخ القويسني فاذهبي الامن التندق في الكلام ولو اقتصر على ان قال "افتح" لفهم البواب بالسهولة ووافق العامي ولفظ القرآن وفهمه كل من سمعه من العامة بلا أدنى صعوبة

وكيف لا يكون ما نقول وجميعهم يحفظون شيئاً من القرآن الكريم يتلونه في صلواتهم والغالب منهم يضم الى ذلك شيئاً من الأدعية والأوراد وشيئاً من الحديث يستشهد به ثم هم في كل يوم جمعة يسمعون الخطبة باللغة الفصيحة وما من سامع منهم الا تظهر عليه علامة الفهم بما يظهر على وجهه وفي حركات بدنه ثم هم يسمعون الوعاظ في المساجد والكثير منهم يحضرون في دروس العلم فهم وان

لم يُحَسِّنوا النطق في كلامهم جملةً فهم يفهمون الهمّ إلا ما كان من الغريب او معقّد التركيب

وفساد النطق ليس من الملكات التي يلحق محوها بالمستحيلات كما يزعمون بل إزالته أيسر من جعل اللغة العامية لغة مستقلة يتفاهم بها في العلوم والاداب وتوضع لها القواعد وتؤسس لها القوانين وما على طالب ذلك الاّ تعميم التعليم والزام المتعلم بتقويم لسانه عند النطق وتصحيح عبارته عند الكتابة من مبداء التعليم الى نهايته فان المواد لا اختلاف فيها الاّ بنوع من التعريف كما قلنا وهيئات التأليف لا فساد فيها الاّ بنوع من سوء الترتيب فاصلاح ذلك لا يزيد على اصلاح لغة الطفل اذ ينطق بها وهو في سن السنتين او الثلاثة محرفة سيئة التأليف ثم لا يزال يصلحها لما يصلحون حتى يكون كاحدهم وهو في الخامسة او السادسة من عمره واما ما يروّنه من صعوبة المسالك الى تحصيل اللغة العربية الصحيحة وتسرّ نيها في الازمان الطويلة فذلك لا نراه الاّ من اعوجاج طرق التعليم وفساده مذهب بعض المعلمين فيه لا من بُعد اللغة نفسها عن يد المتناول

فالذي نراه لتسهيل العلوم على العامة ان تصلح لغتهم بالتقويم على النحو الذي قلناه ثم تكتب الكتب في الاداب العامة والفنون الابتدائية التي يجب تعميمها ونشرها بين افراد الامة كافة باللغة الفصيحة على شريطة ان لا يخرج الكاتب عن المفردات المستعملة في لغة العامة فيجمع في تلك الكتب بين موافقة الاستعمال والصحة فاذا اراد ان يقول "مغلق" مثلاً فلا يقول "مرتج" لانها بعيدة عن الاستعمال العامي وقد مرّ شيء من ذلك ولا يقول ايضاً "مقفول" من اقل بل يقول منه "مقل" ولا مغلق ايضاً فإنها رديئة متروكة والفصح "مقلق"

فإذا كان المعنى لا لفظ له فيما يقول العامة فيأتي بلفظ عربي ثم يفسره بما يوضح معناه إن لم يكن معروفاً وما دخل في اللغة العامية من الألفاظ الأجنبية يمكن طرحها منها واستبدالها بأفضل منه من اللغة العربية والأحسن والأقرب للاعتدال والاعتداد إن يكون هذا بمعرفة جمعية علمية تألف من مشاهير الأفاضل كما ذكره سيدي الاستاذ الوالد في آخر كتابه الذي ألفه في المقارنة بين الوارد في نصوص الشرع والوارد في الهيئة فإنه إذا كان اختيار اللفظ بمعرفة من يوثق بهم ويمتد بحسن اختيارهم قول بالقبول وتناوله الاستعمال وتبني استعمال عند بعض القوم سار في البقية ويمكن في لغة الكافة كما نراه في لفظ اللجنة والمؤتمر مثلاً فإنها قبل عشرين سنة لم يكونا معروفين في معناها إلا عند البعض من أهل العلم خاصة وقد صاروا من بعد استعمال صاحب الجوائب لهما واتباع أصحاب الجرائد له على ذلك من الألفاظ التي لا يخفى مفهومها

هذا في المفردات أما هيئات التراكيب فتكون على أقرب ما يمكن من تأليف العامة على شرط الصحة والفصاحة ثم بعد ذلك ينظر في اللغة الفصيحة ويطلب منها ما يحتاج إليه في التعبير عن المعاني التي لا لفظ لها على السنة العامة في أنواع الفنون والآداب لمن يتبني الارتقاء فيها إلى أقصى غاياتها فتكون سمة لغة الشخص على قدر سعة علومه ومعارفه أما البلفاء والفصحاء وأهل الطبقة العليا من الكلام فلم يخطأ بعضهم بعضاً ما لا يكون لغيرهم ولا يجب على أحدهم أن يجنب من الألفاظ وصور التراكيب إلا ما يذكر عند علماء المعاني والبيان وأهل الذوق من حفظه اللسان وأما في مخاطبة العامي فيجمل بهم أن ينزلوا إلى الطبقة التي يفهمونها بها فإنهم يمكنهم أن ينزلوا إليه وهو لا يمكنه أن يصعد إليهم وهذا يمتاز طبقة العامة

عن طبقة الفصحاء البلغاء مع اتحاد اللغة وسهولة الفهم على أهل كل طبقة فيما يلائم حالها

فمن كانت له همة تسوقه الى اصلاح في علوم العرب ولقمتهم رجونا له النجاح اذا أنعم النظر في الطريقة التي ذكرناها وتكميلها وتعديل طريقة التعليم وتسهيلها حتى تكون أقرب الطرق للتوصل الى المقصود من نشر العلوم وتعميمها مع بقاء الوحدة في اللسان وارتفاع المصري بكتاب السوري والسوري بكتاب المصري وكليهما بكتاب المغربي وهلم جرا واستفادة كل عربي مما يكتب الآخر في أي قطر لأن المواد على هذا لا تختلف عما هو موجود في كتب اللغة المحفوظة عند جميع أهل اللسان فما استنبهم من الألفاظ سهل مراجعة المعجمات لفهم معناه ومن طرق التعديل والتسهيل والاصلاح التي اشرنا اليها الاقتصار للتعلم على اللازم الضروري دون سواه في غير الفن الذي هو بصدد أن يتخذ صناعة له وحرقة خاصة يستعين بها على معيشته وارتفاعه من وطنه وارتفاعه منه مع كمال الاعتناء بمزيد تمكينه في ذلك اللازم بزيادة التمرين على الاستعمال وتطبيق العلم على العمل ثم مساعدة التعقل بالنظر والملاحظة فيما يستدعيه ذلك مثل الطبيعة والكيمياء وليقس ما لم يقل فقليل يتقنه المتعلم ويمكن منه حتى يصير له ملاكة راسخة خیر جدا من كثير يحفظه عن ظهر قلبه من غير ان يعرف له معنى ويعيده على وجه ما سمعه كما يقول البيهقي

واللازم الضروري من علم العربية لكل ذي حرقة سواه ليس بكثير يعطل عن غيره لغاية أن يختار من أجل ذلك ترك العربية الصحيحة بالكلية بل هو ربما لا يزيد عن قواعد اللغة العامية لو أريد ان يجمل لما علوم وقواعد كما يراه من

يذهب ذلك المذهب اذا أُتِيَ الأمر من بابهِ وسَهِّلَ سبيلهُ وأزِيلَ وعَرَّه
وما أَوْهَمَ العسر وهوَلُ الأمرِ الأما قد يكون من ركوب التعاسيف في
التعليم وعدم الاعتناء برعاية ما تُتأكد رعايته من معاملة كل صنف من المتعلمين
بما يليق به ويناسبه بالنظر الى ما هو معد له فاذا اعتنى بذلك سَهِّلَ الأمر ولم
يبق بنا أدنى حاجة لترك لغتنا الجامعة لأشتاتنا الموروثة عن أسلافنا

ثم في هذه الطريقة التي اخترناها ما يحفظ على العرب آدابهم وعلومهم التي
أودعها كتب الأقدمين فان العامي متى نَقَوَّمْ لسانه كما يقوم لسان الصبي على
ما قلنا وكُتِبَتْ لَهُ الكتب القيمة بالعبارة السهلة واستنار عقله بما أودعته من
الآداب والأفكار الصحيحة رأيتُهُ على مَقَرَّبَةٍ من اللغة الفصيحة لا يبعد عنه تناول
ما فيها فلا يحرم من تاريخ أُمِّهِ ولا من أصول شريعته ولا من الآداب المودوعة في
السنة النبوية ولا من الفوائد الجمّة المطوية في الأخبار العربية كل هذا يكون
قريباً من العرب جميعاً اذا سُلِّكَ بِهِم تلك الطريق القويمة ولا يحتاجون في علم
ذلك الى العناية الشديد في نقل جميع علومهم المودعة في كتب لغتهم الى تلك اللغة
الأخرى التي ظننا من ظن لغة جديدة لا سبيل لانتشار العلم الا باعتبارها كذلك
وآخر الكلام أن اللغة العربية الفصيحة هي سبيل تقدم العرب في جميع
أحوالهم فان انبعث الناصر لها الى العمل من وجهه أشرقت على العرب انوار العرفان
من مطالع لغتهم الشريفة واطّاع عليهم من سَنّاها ما اضاء على أُمّ العالم اجمعين عدة
قرون لم يخفَ علم حالها على الناظر فيها والله أعلم اهـ

وقدم حضرة رفيقنا الفاضل محمود افندي عمر كتابهُ الذي ألفهُ في الأمثال
العامية وسماه "أمثال المتكلمين من عوام المصريين" وقد ضمته كثيراً من أمثال

العامّة مشروحة بما يناسبها من أمثال العرب والحكم والأشعار فنال من حضرات
الأعضاء الرضاء والقبول كما هو المأمول وصفقوا له استحساناً
وبعد الفراغ من أعمال هذا اليوم بالمؤتمر وتعاطي طعام الفداء انصرفنا
تفريج في انحاء المدينة مارين بشوارعها مستكشفين لمحاسنها وبدائعها الى قرب
الساعة السادسة بعد الظهر فعدنا الى الفندق ولبس سيدي الوالد ملابسهُ الرسميّة
و بقي ينتظر في صالوننا حضور عربات السراي للتوجه بها الى الضيافة التي
أعدّها سموّ الملك في قصره الماركي لروّساء الوفود في هذا المساء وقد حضر الى
الصالون حضرة الفاضل صاحب العطوفة مدحت افندي مخلياً هو ايضاً بملابسه
الرسميّة التشرifiّة وجلس معنا في الانتظار حتى بقي من السّاعة السادسة بعد الظهر
دقائقُ فحضر حضرة الكونت ده لاندبرج وأخذها في العربة الملوّكة الى سراي
الملك والناس مصطفىون من باب الفندق الى السراي المذكور



﴿ وَلِيمةُ الْمَلِكِ الرّسميّة ﴾

لما وصل سيدي الوالد وصاحب العطوفة مدحت افندي الى القصر استقبلها
رجال التشريفات وصعدوا بهما الى قاعة الاستقبال وهناك وجدا من سبقهما من
المدعوين واقفين يتحدثون فسلّموا على من عرفاه وأخذوا يتحدثان مع من أراداه
والمدعوون يتواردون حتى بقي من الساعة السادسة نحو خمس دقائق فاقبل الملك
لباساً ملابسهُ الرّسميّة يتبعه وزراءُ ورجال معيته وياورانه وصاغح ضيوفه وأخذ
بلاطف كلّاً بحسب ما يراه الى ان أتى رئيس الدائرة الخاصة وعرض على الملك
ان مائدة الطعام قد هيئت

فدعى الملك الحضار ودخل معهم قاعة الطعام وإذ اهي من أبعج الحللات
تامة الترتيب والنظام وجميع أواني المائدة من الفضة الخالصة فجلس المدعوون
كل في الموضع المدة له المرسوم عليه اسمه وكان عرّف كلاً منهم بذلك قبل
الدخول رئيس التشريعات فكان عن يمين الملك رئيس وفد العجم حضرة محسن
خان وعن يمين هذا البارون ده كرمير وفند النمسا وعن يمينه سيدي الوالد وعن
يمين سيدي الوالد حضرة الكونت ده لاندبرج وكان عن يسار الملك وأمامه باقي رؤساء
الوفود والوزراء ورؤسهم ورجال معيته وبعض المعتبرين من علماء السويد مثل
المسيو ديرنهم رئيس المؤتمر عن السويد وقد بلغ عدد جميع الحاضرين في هذه
الوليمة نحو الأربعين

فأكلوا والملك يلاطفهم بأحسن الكلام حتى شرب سموه على صحة
الجناب الحديوي الافخم فأجابه السيد الوالد متشكراً مثنياً على سموه الشناء الجميل
وشرب سموه على صحة من أراد من الملوك الفخام واستمر تعاطي الطعام الى انتهاء
أصنافه وكانت متقنة لذيدة وقد بلغت بين لحوم وطيور كما يتضح من القائمة
المعمولة بها اثني عشر صنفاً سوى اصناف الحلواء والفواكه والمشروبات

وبعد الفراغ من تعاطي الطعام انتقل الملك والمدعوون الى كتيبخانة السراي
وشربوا القهوة بها والملك مستمر على الموائسة والملاطفة ثم انصرفوا بلباسهم الرسمية
الى تياتر الأوبرا الملوكي حيث دعاهم الملك وباقي اعضاء المؤتمر اليه



﴿دعوة أعضاء المؤتمر الى الأوبرا الملوكي﴾

لم تتم الساعة الثامنة من المساء حتى حضر الملك ومعه ضيوفه ووزراؤه ورجال معينه الى التيانر وكانت تواردت اليه باقي أعضاء المؤتمر اذ كانوا دعوا من قبل الملك للحضور فيه كما مر

فجلس الملك في غرفته المخصوصة به مقابل جهة اللعب "السين" ومعه رئيس وفد العجم وجلس في الغرفة التي على يمينه صاحب العطوفة مدحت افندي مع الكونتيس ده لاندبرج وسفير ايطاليا باستكم وجلس السيد الوالد مع وافد فرنسا في الغرفة المجاورة لها وجلس غيرهم في باقي الغرف وفي المواضع التي اجلسهم فيها رجال التشريفات والجميع بالملابس الرسمية من وزراء وامراء واعضاء وكان المنظر في غاية البهجة واللف والمكان على غاية ما يرام من الانتظام

وبتام الساعة الثامنة ارتفع ستر التيانر عن لعبة "عائده" وهي لعبة وضعها مؤلفها برسم مصر منذ سنوات وأول لعب بها كان بمصر وهي تشخص وقائع مصرية في زمن الفراعنة ولا خفاء في مناسبة ذلك بالنسبة للاعضاء المستشرقين وقد احسن في التمثيل المشخصون والمشخصات وأجادوا كل الاجادة في الرواية والالقاء واطربت الموسيقى الحاضرين بالطف النغمات

وكانت تقدم الى الاعضاء بين فصول اللعب المرطبات والمشروبات واستمر الأتس والابتهاج الى فراغ التشخيص فصفق الحاضرون للملك تشكراً واتبعوا التصفيق بهزاه اربع مرات فأجابهم مشيراً بيده متبسماً وانصرف وانصرف كل الى مكانه وقد مضى من الليل نصفه

هذا وفي پر وجرام المؤتمر ويومياته أن جميع أعضاء فصوله سيجتمعون في

جلسة عمومية تحت رئاسة سمو الملك في اليوم التالي وهو يوم الجمعة ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٩ في الساعة ١١ قبل الظهر وأن الأعضاء مدعرون في الساعة ٤ بعد الظهر الى مركز ادارة التليفون للتفرج وسماع قطعة أوبرا بواسطة التليفون تلعب برسمهم في التياتر الملوكي فيسمعونها بهذه الوساطة كأنهم في محل التياتر وانهم بعد ذلك مدعرون من طرف بلدية مدينة استكهلم الى منتزه هسلباكن في الساعة ٧ بعد الظهر بالملابس الرسمية فيجدون الواورات البحرية في انتظارهم عند رصيف فندق جراند اوتيل وان العشاء سيكون الساعة ٩ والعودة من الساعة ١٠ الى نصف الليل حسب ما يرغب من ينصرف

اجتماع فصول المؤتمر بصفة جلسة عمومية

(تحت رئاسة الملك)

اجتمعت اعضاء الفصول تحت رئاسة الملك بقاعة الافتتاح في الميعاد المحدد لابسين ملابسهم العادية وقد أحضر جسم من أجسام أموات المصريين القدماء "موميا" المحفوظة بمتحف استكهلم فتكلم بمناسبة ذلك نحو خمسة من الخطباء المشغولين بالآثار واللغات المصرية ومنهم بروكش باشا الالماني الشهير الذي كان رئيس مدرسة اللغات القديمة بمصر وتلامذته بها الى الآن فخطب احدهم في كيفية توصل قدماء المصريين الى حفظ اجسام امواتهم وجعلها لا تبلى على مر الدهور وامتدح مهارتهم في ذلك حتى إن علماء هذا الوقت لم يصلوا الى ما وصلوا اليه مع تقدم العلوم والمعارف الآن تقدماً زائداً مستديلاً بذلك على سعة اطلاع المصريين القدماء وزيادة معارفهم الى حد لم يصل اليه غيرهم الى هذا الزمان

وخطب آخر في من يكون هذا الجسم وانجر كلامه الى تطبيق الاحتمالات ثم تلاه آخر متكلماً في شأن من سبق من الفراعنة وأحوالهم وعلو أعمالهم ثم غيرهم متكلماً في غير ما ذكر

وتكلم سوى هؤلاء من العلماء والبلغاء بما رأى ان يتكلم فيه بلفته التي اعتادها
وأشد أحدم وهو الراهب الهندي قصيدة بلغة البراهمة "سانسكريت" في مدح
الملك والمؤتمر طرب لتلاونها الجميع لما أبداهُ حال التلاوة من حسن النغمات
وكان الملك يثني على كل خطيب بعد الفراغ من خطبته تشجيعاً له وتَعْظيماً
للعلم وذو به حتى انتهت الساعة الثانية بعد الظهر وانفضت الجلسة وانصرف الملك
وانصرفنا بعد أن صاغ من شاء من الوفود وكنا من نال هذا الحظ وقد سأل بواسطتي
سيدي الوالد من باب الاعتناء به عما اذا كان يريد التوجه الى وليمة بلدية استكمل
في هذا المساء محتتماً ذلك بقوله فيها " فنظريه كثير " مثل ما قال له في وليمة
قصر دروتنجهلم كما تقدم



✽ التليفون في اسنكهم ✽

ان مدينة استكهولم لمن اعظم المدن التفاتا لامر التليفون والاعتناء بشأنيه وكثرة استعماله فلما دعتنا شركة التليفون بهذه المدينة لبينا الدعوة بغاية القبول وتوجهنا الى محلها وهي طبقة عليا في بناء متسع وسط المدينة وبهذه الطبقة نساء كثيرة يبلغ عددهن نحو الخمسين تشتغل كل واحدة منهن بتوصيل قسم من المشتركين الى الجهات التي يريد التوصل اليها واشتغال كل منهن بذلك مستمر لا ينقطع لكثرة الطلب فيمكن في آذانهم مسمعا يسمعون به الطلب بعد الاستفهام عنه

من الطالب فيوصله في طرفه عين الى الجهة التي أرادها ذلك الطالب
وان اعمال هذه النسوة لمن أصعب الأعمال وادقها وأوجبها الى الحركة
والالتفات وهنّ وان كنّ يتبادلن هذه الاعمال مع امثالهنّ في كل بضعة ساعات
لكن عملهنّ هذا يستلزم تأثراً في السمع واللمس فتتأثر الاعصاب من ذلك حتى
ان بعضهنّ يجنّ كما اخبرنا بذلك مدير هذه الشركة

فبعد ان تفرجنا على هذه الاعمال والمواصلات وكيفية دعاها المدير لتعاطي
المرطبات ونقلنا بعد ذلك الى قاعة متسعة أعدها لسماع القطعة التبايرية التي تُعطى
في التباير برسم هذا الاحتفال وقد أعدّ فيها مسامع كثيرة فأخذ كل مسمعا وكانت
أنت ساعة البدء فسمعنا الموسيقى كأنها في الحُل الذي نحن فيه وسمعنا غناء من
يفنون ونغماتهم وحسن ألحانهم بطريقة واضحة تدل على تقدم أعمال التليفون في
هذه البلاد

واذ قرب وقت الوليمة التي اعدتها بلدية المدينة اسرعنا في العودة الى الفندق
لنلبس الملابس المعتادة في الاحتفالات حسب ما ورد في تذكرة دعوة هذا المساء



❖ وليمة مدينة استكهلم لأعضاء المؤتمر ❖

(في منتزه هسلباكن)

أعدت المدينة هذه الوليمة احتفالاً بأعضاء المؤتمر في منتزه هسلباكن وهو
على جزيرة صغيرة تسمى " ديورجيزدن " بشرقي العاصمة تبعد عنها قليلاً
جعلوها منتزهاً واحداً في غاية الانتظام منتشراً في انحاء محال الأكل والقهوة
والبيرة والالعاب واللياتارات فاستجمع أسباب الأُنس والصفاء وتكاملت فيه

دواعي السرة والهناء حتى راءه بعضهم في نظره أجمل من "غابة بولونيا" بباريس والطف من "برآتر" وبيانه والحق الذي لا يختلف فيه اثنان أن هذا المنتزه من أحسن منتزهات الدنيا واجملها واكملها

وفي وسط هذا المنتزه العام منتزه خاص يعرف بمنتزه هسلباكين به قصر مشيد البناء في غاية الزخرفة والزينة له طبقتان يشتمل كل منها على قاعات متسعة يرجع اغنياء هذه الديار وامراؤهم على غيره في التنزه وتعاطي الطعام والشراب وهذا القصر هو الذي أعدت البلدية فيه الوليمة لاعضاء المؤتمر وانارته هو ومنتزه بانوار الكهرباء والغاز حتى صار في غاية البهاء وجمعت فيه الموسيقىات نترنم باحسن النغمات

وكان الأهلون مصطفىين في المنتزه حوالي القصر حيث الموائد معدة لهم يأكلون ويشربون ويتمتعون بمناظر الزينة مبتهجين بالواردين من اعضاء المؤتمر مؤدين لهم شعائر الترحيب

واعضاء البلدية يقابلون الوفود بكل نجلة واحترام ويكثرون لهم من الملاطفة والاكرام ويقدمون لهم الرطبات والدخان وانواع الشراب ويتعرفون بهم ويطارحونهم الحديث في عوائد البلاد ومقارنتها ببعضها والموسيقى تصدح بالانغام الى ان شرف سمو ولي العهد المقام

فاخذ يقبل على الناس يحيمهم ويمجدهم ويخاطب كلا منهم بما يناسبه ولا غربة في أن يشابه الابن الوالد "ومن يشابه أبه فما ظلم"

واستمر الحال بين تأهيل وترحيب ومجاذبة حديث مع حضرات العلماء الفضلاء حتى آن الوقت المحدد لتعاطي الطعام فدخل ولي العهد في المحل المعد له

ودخل معه الحاضرون وأكلوا على طريقة البلاد وشرب من أراد
وقد رأينا معاشر الوفد المصري زيادة اعتناء بنا حتى إنهم رسموا على قوائم
الأكل الميينة بها اصنافه والفصول الموسيقية التي تصدح في اثنائه تمثال الهرم
وبجانبه أبوالمول وبقر بها أشجار نخيل كثيرة وقباب اولياء
وقد طال وقت الأكل بما تخالله من المحادثات والمهاورات وطاب بما اطرب
السمع في اثنائه من نغمات الموسيقىات فلما انتهى خرجنا لشرب القهوة والتمرج على
ألعاب البارود التي أعدتها البلدية بمرأى من القصر فكانت من متمات السرور
ومكلمات الجبور واستمرت زمنا انتهى به نصف الليل وانقضى به السهر على
أحسن حال

وعدنا كما جئنا بوابورات البحر في مسافة ثمان دقائق وطرق النقل في هذه
الديار سهلة متنوعة فهذا المنتزه مع قرب مسافته يتوصل اليه بوابورات البحر
وعربات التراموى وعربات الكراء المعتادة وعربات الملاك على أن الانسان يمكنه
المشي اليه بغير ركوب لقرب المسافة بدون مشقه



❖ اهداء سمو الملك نشان "وازا" ❖

لسيدي الوالد

لما عدنا من وليمة هسلباكن وجدنا بالفندق تذكرة من التشريفات الملوكية
هذه ترجمتها:

"تشريفاتي الجنباب الملوكي يتشرف بأن يرجو سعادة عبد الله فكري باشا في
الحضور الى السراي الملوكية بجهة مقام سمو الملك منها في غد وهو يوم السبت ٧

سبتمبر سنة ١٨٨٩ والساعة ١١ قبل الظهر

تحريراً باستكمل في ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٩

فلما كان الميعاد المحدد توجه سيدي الوالد الى القصر الملكي فوجد التشرىفاتي في انتظاره وأخبره ان القصد من حضوره اهداء الملك اليه نشاناً وما لبث ان أدخله لدى جلالة سمو الملك فأحسن مقابلته وأعرب له عن مزيد سروره بحسن قيامه بأموريته وأنه يشكر الجنب العالي على انتخابه رئيساً للوفد المصري ويرجو سيدي الوالد إحاطة شريف علمه بذلك كما سيجرر لجنابه الفخيم به خصوصاً وأنه إشارة الى وفور ممنونيته وتذكراً منه لسيدي الوالد عن مأموريته يديه نشاناً من أقدم نياشين دولته تاريخاً وأكبرها اعتباراً وأرفعها مقاماً

فشكر سيدي الوالد سموه بما لاق وشكر الوفادة التي كانت السبب في مثوله بين يديه والاحتفاء بمقابلته والشرف بمخاطبته مع ما تبع ذلك من الاحتفاء بالوفد والاحتفال به اتباعاً لرغبات سموه وكرراً للشكر على ما لقيه من الأكرام مضيفاً الى ذلك أن هذه المأمورية يعدها من أحسن تاريخ حياته واجمل اوقاته فأخذ سمو الملك بهذه المناسبة يذكر ما حصل عنده من الابتهاج والسرور في هذا الاسبوع بمعاشرته أفاضل علماء المستشرقين الذين اجتمعوا في عاصمة بلاده ومخاطبته ولم وأن هذا الاسبوع يعده أحسن اسبوع قضاءه في حياته ثم استطرد الحديث في ان المؤتمر سينعقد في كرستيانيا بدون حضوره وأنه جعل ثاني أولاده نائباً عنه في القيام بواجبات الاستقبال والاحتفال كما جعل ناظر معارف حكومته بتلك المملكة رئيس المؤتمر فيها من حيث إدارة الأعمال ثم صاغ سيدي الوالد مع مزيد التلطف وودعه هو بما يجب لمقامه الملكي من واجبات الاحترام

والاجلال وانصرف من القصر بعد ان استلم نشان وازا من الدرجة الاولى العلي
الشان ثم عاد الى الفندق في الحال لتغيير الملابس والاستمعاضة عنها بكسوة
التشريف ووضع النشان الجديد مع النشان الأصلي المجيدي العظيم الاحترام
والتوجه الى المؤتمر لحضور جلسة الختام فتوجهنا جميعاً الى محل المؤتمر بعد ان
لبسنا ملابس التشريف ووصلناه قبل الساعة الثانية عشرة المحددة للالتزام
فأخذ الأعضاء يهتفون السيد الوالد بما نال من الالتفات الملوكي الى ن شرف
الملك الجمع والساعة اثنتا عشرة بالتام

❖ جلسة ختام المؤتمر باستكهم ❖

شرف سمو الملك قاعة المؤتمر في تمام الساعة ١٢ يتبعه وزراءه ورجال حاشيته
والموسيقى تصدح بالسلام الملوكي وهو في اثناء ذلك يحيي الناس الى ان وصل الى
كرسيه المعد له فجلس عليه وجلس الحاضرون وبعد هنية أخذ يتلومقالة أعدّها
باللغة اللاتينية ضمنها ممنونته من المؤتمر وأعماله وسعود طالعها بانفقاذه في بلاده
وتلاه المسيو ديرنهيم رئيس المؤتمر فتلا مقالة بليغة ضمنها الشكر لأعضاء
المؤتمر على ما قلدوا به الأمة السويدية من المنة لايجابهم دعوة الاجتماع في عاصمة
بلادها ونيلها زيادة الشرف بذلك
ثم تكلم سمو الملك بافرنساوية وقال ان الكتب التي أهديت اليه بمناسبة
المؤتمر وان كانت غالية القيمة سامية القدر بصفتها مهداة ويجب لاجل ذلك ان
تبقى له لكن النفع العام أولى من ذلك فهو يعلن أنه إيثاراً للصالح العام يهديها الى
الكتبخانات الأهلية

ثم أذن بالتكلم لمن أراد فتكلم أفراد من كبار الفضلاء نيابة عن باقي أعضاء المؤتمر بالتشكر لسموه على حسن رعايته ومزيد عنايته وكان سموه يُجيب كل متكلم متشكراً ببعض كلمات باللغة التي تكلم بها فرنسawية أو انجليزية أو المانية وأعلن سموه بعد ذلك بختام المؤتمر في استكماله وأنه سيجتمع بعد هذا بكرستيانيا فصاح الجميع "يعيش الملك" وادفوها بهوراء أربع مرات مصفقين في خلالها ثم انصرف الملك بعد أن صاغ من صاغ وتكرم على الوفد المصري بمصافحة الوداع

وبينما نحن منصرفون من قاعة الاحتفال اذ حضر حضرة الكونت ده لاندبرج الى سيدي الوالد وقدم اليه من قبل الملك صورة سموه الكريمة مرسومة بالفتوغرافيا كبيرة الحجم منقنة الوضع ثمَّلهُ يقرأ في كتاب وقد كتب تحتها اسمه الكريم بخط يده الملوكي لمزيد الاعتناء فقبل السيد الوالد هذه الهدية راجياً حضرة الكونت في أن يكون لدى سموه العالي معرباً عما يخالج ضميره من الشكر الذي لا مزيد عليه والممنونة التي يقصر عن تعبيرها اللسان



﴿ وليمة مؤسسي المؤتمر ﴾

ابتدئت هذه الوليمة في الساعة الخامسة بعد ظهر هذا اليوم يوم السبت ٧ سبتمبر سنة ٨٩ في قاعات فندق جراند اوتيل المعدة للاستقبالات فصفت بها الموائد على الطراز الأوروبي وجلس اليها أكثر من خمسمائة مدعو دارت عليهم أصناف المأككل اللذيذة والاشربة الفاخرة واستمرت بينهم المحادثة والمسامرة حتى مضي جزء كبير من الليل وهم يأكلون ويشربون على صحة بعضهم بغاية

الألفة ومزید المحبة والموسیقی الملوكیة تصدح بأحسن الألحان وقد كان المؤسسون ترجوا بعض الأفاضل من المستشرقین قبل انعقاد المؤتمر بأشهر ان يكتب كل منهم ما یعن له فی طعام عینوه أو شراب بینوه لیجمع كل ما كتب ویطبع فی كُرَاسَة علی حسب ترتیب ما یقدم من الأَطعمة فی هذه الولیمة فكان كذلك وجعل أمام كل مدعو نسخة من ذلك علی المائدة تقوم مقام القائمة المعتاد وجودها فی أمثال هذه الولیمة لیبان المأكَل والمشارب

وأُفّت كل كراسه فی وقایة منفصلة عنها وجعل علی ظاهر هذه الوقایة رسم الفندق الذی حصلت فیهِ الولیمة بوجهته الی المیناء تجاه القصر الملوكي وجعل فی باطن هذه الوقایة رسم قاعات الموائد مع بیان موضع كل مائدة وموضع من یجلس الیها

وجعل لهذه الكرّاسة غلاف من ورق ملون كُتب بأسفله بحروف ذهبیة ما ترجمته "هذه قائمة المأكَل والمشارب فی الولیمة الّتی أُعدّت لأعضاء المؤتمر الثامن للمستشرقین بأستكم فی ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٩" ثمّ رسم فوق ذلك صورة الاهرام وصورة أبی الهول وبجوارهما رسم كثير من النخيل وفوق هذا رسم شعار السويد والذروبج يتخلّل جمیع ذلك ویحیط به نقوش بدیعة ذات ألوان بهجة ومنها الذهبیة والفضیة

وقد كان بجانبی علی المائدة من جهة الیمین حضرة الأستاذ الفاضل أدلبرط مَرَكس واند حكومة باد من أعمال المانيا الجنوبیة وأستاذ مدرسة هیدلبرج الجامعة الشهیرة وهو من اكابر المشتغلین بالعلوم العربیة الذین صحبتهم فی هذه الرحلة وقد طلبت منه اثناء الحدیث أثرا یبقی عندي من كتابه اذ ذكره به وكتبت له علی

ظهر وقاية كراستي ما نصه:

سيدي المحترم

ارجوكم ان تكتبوا اسمكم الشريف على هذه ليبقى عندي تذكاراً

فكتب ما لفظه

”تابعاً لمراد جنابكم اكتب الأحسن الذي عرفت فهو ان الله ملك يوم الدين

أدأبترط مركس“

واننا مقدرين بقدره نعمته

ولم يزل هذا الأثر محفوظاً عندي وقد مشى في نصب ”مقدرين“ على لغة

من ينصب بأن الاسم والخبر كقوله ”ان حراسنا أسدا“

هذا وقد اتحفنا الموسيقى اثناء الطعام بالسلام الحديوي فقمنا تعظيماً

واجلالاً له كما فعلنا ذلك في كل مرة اتحفنا القوم فيها بذلك

وما زلنا تنقل الحديث الى ان قرب وقت السفر فانصرفنا للتخلي من الملابس

الاحتفالية وملاحظة انزال امنعتنا الى مدخل الفندق ليستأجرها مستخدمو السكة

الحديدية ويتعاهدوا توصيلها الى كرستيانا حتى نجدها هناك كما علمنا ذلك من

”يومية المؤتمر“

وقد تقرر سفر قطارين بالاعضاء من استكم الى كرستيانا اولها يقوم والساعة

عشرة ونصف وثانيها والساعة احدى عشرة وعشر دقائق بعد الظهر ولم يتمكن من

السفر باولها فسافرنا بالثاني

هذا وقد ابتدأ حضرة الكونت دهلانبرج في كراسته بيان المآكل والمشارب

المذكورة آنفاً بجمل زجل بالعربية العامية على وزن ”شرم برم حالي فلبان“ في

ال (شنيس) السويدي وهو اسم يعم المشروبات الروحية هذا نصه:

يا عم قدّم بسم الله
وانظر بعينك واثمة
أشكال لطيفه من المزه
يا ما كت منها مزه
يا صاحب الذوق ياسيدنا
قرب بقي ودقا وفيدنا
برد البلاد دي شي معروف
ودا السبب في الي بتشوف
اصحى تقول ما نيش عايز
اسمع كلامي نصير فايز
وان كان تقول داشي بارد
جرب وخذ لك كاس واحد
فيه عندنا مزه وشنيس
ان كنت خايف تبرّس
إحنا مرادنا والمأمول
حتى يكون في الذوق مقبول

ومد إيدك واسلة
تلقى العجب أشكال والوان
شغل البنات حادقه ومزه
ومات على شانها جذعان
إحنا النهاردا اليوم عيدنا
واشرب على سر الإخوان
وبين جميع الناس موصوف
لكل طابنه طبع وشان
أشرب لأنه مش جايز
واعرب لنا فيها قولان
والعقل منه يتأخذ
تلقاه اقل من الدخان
يطلعوا الفكره من الحبس
إشرب تروح حالا دفيان
فتح الشبيه للأكول
وينبسط منه الانسان

”كارلو لاندبرج“

ثم كتب بعده في الشوربة الاستاذ جوستاف شليجل باللغة الصينية وكتب
بعده الاستاذ مكس مولر بلغة البراهمة ”سانسكرت“ في نوع السمك المسمى
صومون وكتب آخر بلغة ما ليزيا في طعام من لحم الثور وآخر بالعبرانية في

صنف من الدجاج وآخر بلغة الجاوه في ديك وكتب حضرة الفاضل صاحب
 العطوفة مدحت افندي في الحروف الحولي الشواء باللغة التركية ما ترجمته:
 "يقول الحولي ما أعطر رائحتي واذكي شذاها فهي لا تشبه رائحة الجسم
 المصبر الذي يحفظ بالتصبير لحمه من الانحلال ولكنها نكهة طيبة تسهل لكم المضم
 "فلا يظنن من يراني مطروحاً على الطبق ميتاً في نشه فليت الموق مثلي
 لا يمزنون ببرآهم الحاضرين فإنني لطيف المنظر أدعو بطيب شذاي وحسن
 رائحتي شبيهة الأكلين فخذوا من لحمي ملء الفم تعلموا علم اليقين صحة مادعاكم
 الى الأكل من حسن مرآي

"ولا تحزنوا اذا تذكرتم قول الشاعر الفارسي ما معناه نظماً
 "وسرور الإنسان يرح في الأر ض كورد يُشَاب بالأكدار"
 "فهو مثل الحولي يرتع والجز زار في رقبة له وانتظار"
 "فإن من لا ينتهزون فرص هذه الحياة الفانية بالسرور والأفراح يذهبون
 من الدنيا فارغي الأيدي متى مسّتهم يدُ المقدور هادِمةُ اللذات"

"احمد مدحت"

وكتب المسيو أميلينو باللغة القبطية في الخرشوف ما تعريبه حرفياً:

الخرشوف

"اسمحوا لي أن أستعير كلمة من لغة أجنبية فان اللغة القبطية لسوء حظها
 لا تشتمل على الكلمة المراد التعبير بها عن هذه البقلة
 "سأطبخ خرشوف اليونان بسمن بلادي فاسمحوا لي بأن أستعير كلمة من

لغة أجنبية

”ومن الأسف أن مصر لم تعرف هذه البقلة فإن المصريين لو عرفوها
لأنكهم طبخها بأحسن طريقة لما لم من المهارة في الطبخ
”ومن الأسف أن مصر لم تعرف هذه البقلة
”وفي الحقيقة أنهم كانوا أمهر الناس في جميع الأزمان فإن ما كبر
الإسكندري اصطنع من الرمل سليقا بدون أن يضع في القدر قحما ولا دقيقا
”وفي الحقيقة أنهم كانوا أمهر الناس في جميع الأزمان
”أما أنتم فإنكم لم تسكنوا الصحراء وأنتم من أكبر العلماء ولكن يقال إنه مع
ما لديكم من العلم لا تستطيعون أن تعملوا مثاهم
”أما أنتم فإنكم لم تسكنوا الصحراء
”فهلوا كلهم واشكروا ملك هذه البلاد الجميلة فان كل الناس إخوان على
بائده وهو يحب العلم ويكرم من أمه ببشاشه ولطافه
”فهلوا كلهم واشكروا ملك هذه البلاد الجميلة“

”أبيائينو“

وكتب المسيو ليلين باللغة المير وجليفة في صنف من فطير الحلوا سي
فطيرة ويكتور يا ما يأتي ترجمته

فطيرة ويكتور يا

”السلام عليكم أيها الكتاب والعلماء الذين أتوا من أنحاء الأرض
بالسكك الحديدية والبحر أطال الله عمركم ومنعكم حسن العافية وجعل طيب
حظكم مثل طيب فطيرنا“
”ليلين“

وكتب المسيو مؤلّر باللغة الحميرية في الدوندوره "الحلواء الثلجة"
 وكتب المسيو المكفيسست بلغة البشّارية في الجينة ما لفظه :
 "الجينة مثل المرأة ولا مثل الوردة فطعمتها تطيب ويريحمتها نقبح"
 "والجينة مثل الوردة ولا مثل المرأة فانها تشكّ والقلب لا تجرح"
 "المكفيسست"

وكتب الدكتور إيزوبول بلغة اليابان القصصي في الحلواءات وكتب المسيو
 قاميري باللغة الجيفتائية في الفواكه وكتب الاستاذ دة جوية من ليدن باللغة
 العربية القصصي في الشمانية ما نصه :

" قيل للأحنف بن قيس أي الشراب أطيب فقال الخدر قيل له وكيف علمت
 ذلك وأنت لم تشربها قال إني رأيت من أحلت له لا يتمداها الى غيرها ومن
 حرّمت عليه انما يدور حولها وحقّ لما ذلك فان الجبان اذا ركب فرسه الأشقر صار
 بطلا والعيّ فصيحاً وهي كما قال مسلم بن الوليد صريع الغواني
 "تصد بنفس المرء عما يغمه وتُنطقُ بالمعروف أسنة البخل"
 "ولذلك طمع فيها الناس طمعاً شديداً كما قال ابو الهندي

"أديرا على الكأس اني فقدتها كما فقد المفطوم درّ المراضع"
 "حتى ان قال ابو محجن

"اذا مت فادفني الى أصل كرمه يروني عظامي في التراب عروقها"
 "ولا تدفني بالفلاة فانني أخاف اذا مات ان لا اذوقها"

"وينبغي ان تكون صافية معتقة برائحة المسك والعنبر بلون كمين الديك
 او كالذهب المسبوك والأشجها الماء حتى يغلب عليها كما قال أبو نواس

“لا تجعل الماء لما قاهراً”

“وما أحسن بنت بردال وبنت برغونية الإفرنجيين وما أطيب بنت وادي
رَيْنِ الألمانبة لكنَّ الفضل على سائر الخمر التي قال على لسانها بعض المحدثين
”شبهانيه مربى ولى بقرى ريمس مصيف وأمى العنب“
”ترضعني درّها وتلحقني بظلمها والمجير يلتهب“
”فإنها مزبدة لمن يحتلبها من قنينتها الزجاج ولا غرو أنها النقطار الصريح
الذى وصفها شعراء اليونان بشارب الآلهة ولها خاصية تقضي لها بأفضل على غيرها
من الأشرية وذلك أن الخمار لا يداوى إلا بها قال بعض القدماء استعينوا على
كل صنعة بأربابها ومن أرباب هذه الصناعة أعشى قيس في الجاهلية وهو يقول
”وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
”لكي يعلم الناس أنني امرأة أتيت المعيشة من بابها
”وأبونواس في الاسلام وهو يقول

”دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء“
فإنها بلا شك لم يعنيا إلا هذه الخمر المدوحة المشهورة ولهذا كان من عادة
كرام الندماء أن يتدثروا منادمتهم بها ويختموها والله در القائل
”أسقني والليل داجـ قبل اصوات الدجاج“
”استقني صفراء صرفاً لم تُدَسَّ بمزاج“
”واما شأن الشاربين لما معها فإنه كما قال الآخر
”قلوب الندامي في يديها رهينة يصيدونها قهراً وتقتلهم مكرّاً“
”دُهْجُويّة“

وكتب آخر بلغة بابل في النيذ وكتب حبيب الأصفهاني بالفارسية آياتاً
تشكراً مدحاً في الوليمة وفي أعضاء المؤتمر وكتب غيرهم في غير ذلك

﴿ من استكمل الى كرستيانيا ﴾

بعد تسليم الأمتعة الى مستخدم السكة الحديدية بمدخل الفندق باستكمال
وضع اوراق معرفتهم عليها ألصقوها بها مكتوب فيها "ويكتور يا هونيل" وهو
اسم الفندق الذي حجزت لنا غرف به في مدينة كرستيانيا بمعرفة سكرتارية المؤتمر
لنجد تلك الأمتعة بذلك الفندق عند وصولنا اليه - توجهنا الى محطة السكة
الحديدية فوصلناها قبل نصف الليل بساعة من يوم السبت ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٩
وقد حضر لوداعنا بها خصوصاً جميع من تعرفنا بهم بهذا البلد وارتبطت بيننا
وبينهم روابط الصحبة والمحبة وحضر لوداع أعضاء المؤتمر عموماً الجزء العظيم من
أهالي استكمال من باب التبجيل والاحتفال وما سار الوابور في الساعة ١١ وعشر
دقائق الأواخذوا في رفع الاصوات وذكر هوراة مرات متوالية حتى كنا نسمع
ذلك بعد ان بعد الوابور عن المحطة بمسافة قاصداً كرستيانيا عاصمة الترويج موعد
المجتمع الثاني لهذا المؤتمر

وكان الزحام في هذا الوابور أقل منه في الذي سار قبله بكثير كما علمناه
بعد فتيسر لنا ان نختص بحجرة من عربة نحن الأربعة

واخذنا نتحدث في ما رأيناه بالمؤتمر وغيره وتبادل ملحوظاتنا في ذلك فيما
بيننا وبين من حضر عندنا من الاعضاء والوابور مجد في سيره مسرع في جريه
متجه من الشرق الى الغرب يمتاز الغابات ويعبر الأودية فلما انصرف من حضر

نمنا الى الصباح حتى أيقظتنا أشعة الشمس من الشبايك فأخذنا نشاهد المناظر الطبيعية العجيبة وتتمتع برؤية الاشجار تحفها الانهار الممتدة من البحيرات المتسعة وقد تغير اتجاه سير الوابور ونحن نيام اذ بعد ان كان اتجاهه من الشرق الى الغرب حتى وصل البلدة المسماة لاكسيه أخذ يتجه نحو الشمال الغربي قاصداً شارلوتنبُرج آخر بلاد السويد وحدّ الترويج في هذا الطريق وقد ذكر في يومية المؤتمر وپروجرامه أن الوصول اليها يكون والساعة ٥٠٩ دقيقة قبل الظهر من يوم الاحد ٨ سبتمبر سنة ٨٩ فتعاطى فيها بموجب تذاكر وزعت علينا قبل القيام طعام الصباح الذي أعدّه لنا بها مؤسس المؤتمر

وفي أثناء الطريق بين لاكسيه وهي على بعد ٢٢٩ كيلومتر من استكهولم وبين شارلوتنبُرج وهي على بعد ٢٠٣ كيلومتر من لاكسيه اخذنا نمر في اقليم فيرملاند الشهير بكثافة غاباته وكثرة بحيراته واتساع معادنه وانتشارها في ارضه خصوصاً الحديدية منها وقد اعلمنا كتاب الدليل انه صرف بالأزمان الاخيرة مبالغ جمة في سبيل فتحه للتجارة بتوصيل الترع الى بعضها فيه وانشاء السكك الحديدية به لتسهيل نقل حاصلاته واصدارها عنه الى جهات المملكة والجهان الخارجية

فوقف الوابور دقائق على مدينة كرستينها من وبها من السكان ٤٠٠ ه نسمة ثم سار منها بجوار بحيرة "فير" ينظرها الرائي تارة وتحجب عنه أخرى ماراً على جسور استحدثت ومستبحرات رُدمت بمصاريف هائلة حتى وصل الى كارلسناد وهي رأس اقليم فيرملاند المذكور قائمة في موقع مرتفع ذي منظر بهج متسعة الطرقات مظلة سككها بالاشجار مشيدة العمارات جديدة البناء فانها كانت

احترقت في سنة ١٨٦٥ وتجددت بعد ذلك على هذا النظام وقد ساعد على ذلك كثرة انتشار التجارة فيها

ثم بارحنا "كرلستاد" هذه مستمرين في السير مجدين فيه مارين بأودية وغابات نقف في بعض المحطات واذا بالوابور قل سيره ثم وقف فبعد الاستفهام علمنا انه انكسر ذراعاه وانقطع سيره لذلك ولكن الله سلم

ثم بعد ساعتين من وقوفنا بهذا المحل حضر الينا وابور من محطة شارتنبيرج التي كنا قاصديها اذ بمجرد الوقوف طلب رئيس القطار إرسال هذا الوابور من المحطة المذكورة بواسطة توصيله آلة كهربائية في القطار عنده بسلك التلغراف المجاور للسكة الحديد فاستفدنا من هذه الحادثة معرفة زيادة همة هؤلاء القوم في تدارك الأمور وتسهيلها اذ بمجرد حصول الحادثة بلغ خبرها للمحطة التالية وورد الخبر منها ببيان ساعة وصول الوابور المسعف فاستراح الركاب واطمانوا ونزلنا وأخذنا نتفرج على المراعي المجاورة وما بها على بعدها عن العمار من الانتماء والاعتناء في تربية الماشية وتمام النظافة والانتان في عمل الجبن والزبد وشربنا من لبن تلك الماشية الخالص اللذيذ ما أعاننا على ان نصبر عن الاكل الذي أوجب تأخير هذا الوقوف مع أنه لم يكن في الحساب

ثم سرنا نتمتع الطرف بالمناظر الحسان من النباتات الطبيعية والغابات والاشجار والزروع والأنهار مارين بقناطر جعلت فوق الأنهار والبحيرات لعبور الوابورات عليها يبلغ طول واحدة منها فوق بحيرة "فيرملن" ٥٥٠ متراً وزادت مصاريها على خمسمائة ألف كورون مجتازين منفذا في الجبل طوله ٢٧٧ متراً الى ان وصلنا شارتنبيرج الساعة ١١ و ٥٠ دقيقة اي بعد الميعاد الذي كان نحدد اولاً بساعتين

فوجدنا المآكل مصفوفة لنا بقاعات المحطة على طراز البلاد متعددة الالوان
فاكلنا مع اللذة والهناء ومزقنا الجوع كل ممزق وكان في انتظارنا من ساروا
بالقطار الأول من الأعضاء ليتقارب سيرنا الى كرستيانا فنصلها في وقت متقارب
فسرنا من شارلتيبرج هذه بارض النرويج نقف بعض دقائق في كل محطة
فنجد الاهالي ينتظروننا كما كان ينتظرنا اهالي السويد في كل محطة بأرضهم يبدون
ان اهالي السويد كان انتظارهم للوداع واهالي النرويج كان انتظارهم للاستقبال
والجميع كانوا وقوفاً على الاقدام رافعين اصواتهم بالتعظيم والاحترام بين نساء
ورجال وشيوخ واطفال وكل يشير بقبعة او مندبله إظهاراً لما عنده من الفرح
والسرور بهذا الحضور وقد وزعت علينا في إحدى المحطات جريدة من جرائد
البلاد اسمها "أفتنيڤوستن" مؤرخة في ٨ سبتمبر سنة ١٩٠٨ جميع ما بها في اعمال
المؤتمر ومواعيد اجتماعاته وبيان اعضائه وفي مقدمة هذه الجريدة عبارة بالفرنساوية
هذه ترجمتها:

"الى حضرات اعضاء المؤتمر الثامن للمستشرقين"

"ان عاصمة النرويج والمدرسة الجامعة فيها تقدمان في هذا اليوم العظيم الى
زعماء العلوم المشرقية واجبات التحية والتكريم"

"وإن هذه البلد التي منها كرستيان لا ستن حلال رموز كتابات الفرس
القديمة الذي قلده جيد العلم المن العديدة بما وصل اليه من الاكتشافات وهذه
المدرسة الجامعة التي هي أول من غذى هذا العلم الفرد ألبان العرفان هما أجدر
وأولى بان نقابلهم ونقدّم ما لهم واجبات الترحيب والاكرام"

"إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذوهه"

وأنتم المولدون في الاقاليم الجنوبية والبلاد المشرقية الكثيرة الثروة المتمتعة بالشمس وانصائها وقد وطئتم بأقدامكم اول مرة ارض الشمال فإذا قارنتم بين بلادكم المشمسة وهذه البلاد وما فيها من الجبال والغابات والانهار والخلجان التي تُبهرها شمس الحريف وجدتموها كايية بالنسبة لبلادكم

” ولكن نحن ايضا يُضيئ فينا لهب نار العلم المقدس وشدة الشتاء لا تجهد قلوبنا كما سنبت لكم ذلك بالفعل “

” الا سمعتم ارتفاع أصوات الامة باجمعها مرحبة بكم من الجبال والخلجان والأدوية وسائر الجهات قائلة مرحباً بكم في الترويج واهلاً وسهلاً “

وما زلنا عجدين السير حتى قطعنا المسافة التي بين شارلُتبرج وكريستيانيا وقدرها ١٤٣ كيلومتري نحو اربع ساعات ونصف فكانت مسافة سيرنا من استكم الى كريستيانيا وقدرها ٥٧٥ كيلومتر نحو خمس عشرة ساعة وثلاث فاذا ضمنا الى ذلك ساعتي وقوف الوابور بلغ مقدار المسافة جميعها نحو سبع عشرة ساعة وثلاث وقد وصلنا كريستيانيا والساعة أربعة ونصف بعد الظهر من يوم الاحد ٨ سبتمبر سنة ٨٩ فوجدنا الألوف المؤلفة من الاهالي تنتظر بساحة المحطة والطرق التي مررنا فيها الى الفندق مرتفعة اصواتهم كالعادة بالترحيب والاحلال بهوراء مكررين ذلك كلما مر عليهم بعض الاعضاء

ثم ركبنا عربة من المحطة الى الفندق المسمى ” فيكتوريا هوتيل “ حيث الغرف التي حجزت لنا فيه بواسطة سكرتارية المؤتمر كما مرّ وهناك وجدنا أمتعتنا فاسترحنا بقية اليوم



❖ مدينة كرسيتيانيا ❖

هي عاصمة بلاد النرويج يبلغ عدد سكانها ١٣٠٠٠٠ نسمة غالبهم پروتستانت قائمة على أكمة بهجة المنظر على الجانب الايمن من نهر "أكيرسلف" مشرفة على الخليج المنسوب الى اسمها واقعة على درجة ٤٤-٥٤-٥٩ من العرض الشمالي و ١٠-٢٣-٨ من درجات الطول الشرقي لخط نصف نهار باريس

وقد اسسها كرسيتيان الرابع سنة ١٦٢٤ وجعلها عوضاً عن "أوسلو" عاصمتها القديمة التي كانت على الجانب الأيسر من النهر قبلها واحترقت في السنة المذكورة وكان اهلها قد احرقوها قبل ذلك في سنة ١٥٦٧ حتى لا تقع في يد السويديين محاريهم وقت ذاك ثم اعادوا بانيانها وبقي الى احتراقها الاخير على ان كرسيتيانيا نفسها اخرجتها الحرائق كثيراً في سنة ١٦٨٦ وسنة ١٧٠٨ وسنة ١٨٥٨ ولم تكن سكانها في سنة ١٨٥٥ ازيد من ٣٢٠٠٠ نسمة وبلغوا في سنة ١٨٧٥ - ٩٤٨٦٩ نسمة

وهي مقر الحكومة النرويجية ومجالسها النيابية ومجالس قضائها الأعلى والمدرسة الجامعة ويخرج منها في السنة بضائع من أصناف خشب العمارات والأشباك والكبريت والجمعة وغير ذلك مما قيمة الجميع ٢٥ مليون كورون ويدخل اليها في السنة من أصناف الفلال والمنسوجات الصوفية والقطن والفحم واللحوم والآلات وغير ذلك مما قيمة الجميع ٧٢ مليون كورون

وبلغ عدد سفنها التجارية سنة ١٨٨٤ - ٣٨١ سفينة منها ٧٠ سفينة بخارية حملاتها جميعها ١٢٢٠٠٠ طن ولا طه

وبظاهر المدينة معامل للماكينات وعمل الجمعة ونسيج الأقمشة وصنع

الورق غالبها على ضفاف نهر أكير سيلف
وطرفها منتظمة متسعة ومناظرها بهجة تروق الناظر بسبب مجاورها من
البحر والأنهار والجبال الشائعة المكسوة بالنباتات الخضرة والأشجار وما يدور في
خليجها المزدهم بالجزر من كثرة السفن الشراعية والبخارية الصغيرة والكبيرة
وأكبر طرقاتها وأحسنها الطريق المسماة "كارل يوهانس جاده" وطولها يبلغ
كيلو متر وابتداؤها من المحطة الشرقية متجهة من الشرق الى الغرب حتى تصل
الى القصر الملوكي

وعلى اليمين منها بعد مسافة قليلة من المحطة الميدان المسمى "ستورتورف"
ومعناه الميدان الكبير وفي وسطه تمثال الملك كرستيان الرابع مجسماً
وبهذا الميدان من جهة اليمين الكنيسة المعروفة "بكنيسة الخلف" وقد
بُني في القرن السابع عشر ومن جهته الشمالية يتفرع طريق "تورف جاده"
وبأحد جانبي هذه الطريق المحل المسمى "داميكيوكن" ومعناه المطبخ البخاري
وهو بناء غريب في بابه مشتمل على طبقتين بكل منهما موائد كثيرة من الرخام
الأيض جعل هذا البناء لغير الموسرين فيأكلون منه بدراهم قليلة وذلك أن
يذهب الواحد منهم الى شباك بجهة المطابخ فيأخذ طبقاً به ما يشتهي من الأطعمة
بمبلغ يختلف باختلافها من ٢٥ الى ٤٥ أوراي من ربع كورون الى أقل من
نصفه وقد سبق أن الكورون يساوي ٥ غروش و١٦ بارة بالعملة الصاغ المصرية
ثم يدخل بهذا الطبق الى إحدى قاعات البناء في أي الطبقتين أراد ليأكل
وينصرف وهذا البناء يأكل فيه كل يوم ألفانسة حتى إن إيرادها لا يكفي
مصاريفه فتكملها بلدية المدينة ولا شك ان هذه الطريقة في غاية النفع للقراء

والإعانة لم وهي تدل على اعتناء أهالي هذه المدينة بغير الموسرين وإن دلّ عدد من يأكل منهم بهذا الحل على كثرتهم فيها بالنسبة لعدد سكانها العمومي
فاذا استمر الانسان مصعداً في طريق ثورف جادة المتقدمة وصل منها الى النهر وشاهد كيفيات انحدار الماء فيه المتفجع به في إدارة فابريقات عديدة
وإذا عاد من هذ الطريق الى الميدان المتفرعة هي منه واستمر من هذا الميدان في طريق كآزل يوهانس جادة المتقدم ذكره قابله من جهة اليسار
محل ادارة البوستة والتلغرافات

وبعد سرّاي مجلس النواب وهي حديثة البناء تمت سنة ١٨٦٦ وبداخلها عدة قاعات منها قاعة مجلس النواب تسع ١٥٠ من الأعضاء و٣٠٠ من المستمعين ومنها قاعة مجلس الأعيان وتسع ٤٠ عضواً و١٣٠ من المستمعين ومنها قاعة المكتبخانة ومنها قاعة لدفاتر المجلس ومحفوظاته الى غير ذلك من القاعات
وامام وجهة هذه السراي ميدان فسيح به بستان نضر في وسطه تمثال "فيرجلاند" أشهر شعراء النرويج

وفي هذا الطريق بعد هذه السراي منتزه حافل تصدح فيه الموسيقى في زمن الصيف ويجتمع اليه المتزهون من كل جانب
وتجاء هذا المنتزه سرّاي المدرسة الجامعة وهو الحل الذي خصص بانعقاد جلسات المؤتمر فيه

وهذه السراي بُنيت من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٥٣ وبجانبها بناآن تابان لها احدها على اليمين وقد خصص بانعقاد الاكاديمية فيه وثانيها على اليسار وقد جعل داراً للكتب ويحتوي على ٢٥٠٠٠٠ مجلد

اما المدرسة الجامعة فيدرس فيها ٥٢ أستاذًا وبها من الطلبة أكثر من ألف طالب وتنقسم الى خمسة اقسام باعتبار ما يدرس بها من العلوم والتعليم في جميعها مجاني

وتشتمل هذه المدرسة على مجاميع عالية القيمة ومتحف للتاريخ الطبيعي ومتحف في علم اخلاق الشعوب وعاداتهم ومحل للطبيعة وأدواتها وتجاريها وآخر للأمور الطبية وما يتعلق بها

ويتبع المدرسة متحف الفنون المستظرفة وقد بني على مصاريف صندوق الاذخار وأهدى الى المدينة وينقسم هذا المتحف الى قاعات متعددة إحداها للتصاوير المجسمة وأخرى للرسومات الغير المجسمة من صنع الرسامين الدانماركيين والاطليانيين والفلمنكيين ولغيرها من نفائس الآثار

وبعد هذا كله بأخر الطريق السراي الملوكة وهي بناء متسع مشيد جديد بني من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٤٩ مشتمل على عدة قاعات منها ما هو للاستقبال ومنها ما هو للاكل ومنها ما هو للنوم الى غير ذلك وبهذه السراي كثير من الرسومات من صنع مشاهير الرسامين الوطنيين أهدوها الى الملك وفي جدران سلمه تمثالان بارزان في الرخام احدهما من جهة اليمين يمثل شارل الرابع عشر حال كونه واضعاً اول حجر في بناء هذا القصر والآخر على اليسار يمثل اسكار الثاني محفلاً باقامة تمثال شارل الرابع عشر المشار اليه

وامام السراي تمثال شارل الرابع عشر المذكور من البرونز مجسماً عمل في سنة ١٨٢٥ "وهو شارل جان برنادوت" وفي قاعدة هذا التمثال كتب ما معناه "حب الأمة لي مكفأتني" وفي موضع آخر منها ما معناه ايضاً "أقام هذا

التمثال الأمة الترويحية

ويتفرع عن طريق كآرل يوهانس جاده المذكور عدة طرق من أهمها "راد هوس جاده" و"كوتنجس جاده" ويتوصل منها الى الميدان المسي ميدان البنك وعليه "تيا تر كرسنيانيا" وبالقرب منه "سراي المحافل الماسونية" وهو الذي حصل فيه اول اجتماع ودي بين اعضاء المؤتمر في مساء الوصول الى كرسنيانيا كما سيأتي وأقيمت فيه الوليمة التي اعدتها المدينة اكراماً لم وسيأتي الكلام عليها في موضعها.

وهذه السراي على بعض خطوات من فيكتور يا هوتيل الذي نزلنا فيه وهو من أعظم فنادق هذه المدينة وأشهرها وقد اعتني في إعداده لأعضاء المؤتمر حتى أقيم في رجبته فسطاط ظريف مجمل بالمرايا والفرش اللطيفة جعلوه لتعاطي الطعام بحيث يسع من نزل بهذا الفندق من الأعضاء وزين باقي الرجة بالأشجار والمظلات المختلفة الاشكال والالوان

وبالقرب من هذا الفندق قلعة "أكبر سيهوس" الشهيرة في التاريخ بكونها حصينة الجانب مانعة من أراد الاستيلاء عليها من الأجانب وان كانت الآن ليس لها الأهمية السابقة لحدوث ما يستغنى به عنها فهي من قبيل الآثار التاريخية ولنختم هذه الاجماليات بالكلام على "سنت هانسوجن" وهو أحد الجبال المجاورة للمدينة لكنه يمتاز عن غيره من الجبال بأن به بستاناً لطيفاً نشأ فيه للتنزه وفي وسطه حوض فسيح لتقسيم المياه وتوزيعها على المدينة وهذا البستان ينظر منه جميع جهات المدينة فيرى من به شوارع المدينة وخطوطها ومنازلها منتشرة متفرقة تحتلها الحدائق سلك فيها مسلك الطريقة الانجليزية بلوندره بخلاف

استكمل فانه سلك فيها الطريقة الفرنسية بباريس من تشييد العمارات وارتفاع
أماكنها وقربها لبعضها وتعدد طبقاتها ويرى من به أيضاً على مد البصر الميناء
والسفن والجزر وضواحي المدينة وما بهذه الضواحي من المعامل والمصانع ويرى
الوابورات مترددة على هذه العاصمة من الشرق والغرب في البر والبحر والنهر
فيقضي بتقدم هذه المدينة واستمرار هذا التقدم مادام أهلها على ما هم عليه من
الحركة والنشاط

✽ الاجتماع الودي ✽

بين أعضاء المؤتمر القادمين من استكمل وأعضائه النرويجيين
في "فريدموررلوجن" سراي المحافل الماسونية

بعد وصولنا الى كرسيتانيا في هذا النهار (يوم الأحد ٨ سبتمبر سنة ٨٩
والساعة اربعة ونصف بعد الظهر) واستراحتنا قليلاً بالفندق الذي نزلنا به ركبنا
عربة وأخذنا نتفرج في أنحاء المدينة وشوارعها المهمة وكنا عرفناها من كتاب
الدليل حتى أقبل الليل فعدنا الى الفندق وتعاطينا طعام العشاء في القسطة
الذي مر ذكره وكان هذا الطعام من أحسن ما أكلناه في هذه السياحة لعظيم
انقائه ونظافته وشدة الاعتناء في صنعه لاسيما أنه أول ما هي لأعضاء المؤتمر
بهذا البلد وقد طبعوا قائمة بيان أصنافه بحروف ذهبية ورسموا بظاهرها ظاهر
الفندق وبداخلها داخله

ثم توجهنا الى سراي المحافل الماسونية وهي على خطوات من الفندق كما تقدم
فوجدنا بها أعضاء المؤتمر النرويجيين يصحبهم أعيان المدينة ومعتبرو أعضاء
مجالسها النيابية فحصل التعارف والتآلف وجرت المسامرات الودية والمباحثات

العلمية مجراها المعتاد واطربت الموسيقى الحاضرین ودارت عليهم الأشرطة والمرطبات حتى قرب نصف الليل فانصرفنا نطلب الراحة وبقي من بقي

وسراي المحافل الماسونية هذه محل في غاية الجمال مشيد الأركان عظيم البناء ذو طبقتين مرتفعتين صعدنا الى العليا منها ومن قاعاتها قاعة في غاية الاتساع تسع ألوفاً من الناس يُشرف عليها محالٌ بدائرها تجلس فيها النساء والأجانب أيام الاحتفالات الماسونية التي يُسمح فيها بالحضور لغير الماسونيين وهذه القاعة مخصصة بالاجتماعات الماسونية العمومية واحتفالاتهم السنوية وما جاورها من الغرف والقاعات وما بأسفلها من المحلات مخصوص ببعض إدارة العشيرة الماسونية وبعضه بالكببخابة وبعضه بأقلام الكتاب وبعضه باجتماعات المحافل الخصوصية كلٌ بحسب يومه المعلوم وموعده المحدود وبعضه مخصوص باجتماع الإخوان في غير أوقات العمل لمطالعة الجرائد والمسامرات ومبادلة الأفكار في الأدبيات هذا فضلاً عن محل خزانة النقود ومخازن اللوازم ومحلات إدارة أعمال الخير والاحسان المتعلقة بجمعية البنائين الأحرار

ولم يكن اجتماع أعضاء المؤتمر بهذا السراي في هذا المساء اجتماعاً ماسونياً بل ودياً فقط لأن مؤسسي المؤتمر في هذه العاصمة لم يجدوا لهذا الاجتماع الودي الذي تقرر في البروجرامات أنسب من هذا السراي لاتساعه ولقربه من الفندق الذي نزل فيه غالب الأعضاء فضلاً عن التيمن بهذا المحل المجهول للاجتماعات الأخوية فتاسب ان يكون الاجتماع الودي المقصود به التعارف بين الأعضاء واقعاً في المحل المخصوص باجتماعات الإخاء

ولا يبعد مع ذلك ان يكون الكثير من معتبري هذا البلد ومؤسسي المؤتمر

باجتماع هذا المؤتمر المشتمل على أفاضل العلماء وأكابر الفضلاء بعاصمة البلاد والاعلان بأنها ستقوم بشكر هذه المنّة وتوفي الوافدين حتّم من الإِعزاز والاحلال ولا تتأخّر عن شقيقتها عاصمة السويد عن أداء هذا الواجب والقيام به احسن القيام حاذية حذوها في جميع ما قامت به من واجبات التعظيم والاكرام الى ان قال "وإني وان كنت اعترف بأنّي لم أكن من الاطلاع على لغات الشرق وعلومه بدرجة تؤهّلني لشرف هذه الرئاسة ولكنني اطعت امر سيدي الملك الذي ولاني هذه المهمة واولاني هذه النعمة فباسم الشريف أعلن بافتتاح هذا المؤتمر في عاصمة هذه الديار مختتماً مقالتي بالترحيب بكم والتأهيل لكم يا حضرات الفضلاء الانجاد"

ثم تلاه الأستاذ ليلين نائب رياسة المؤتمر واستاذ العلوم المصرية القديمة بالمدرسة الجامعة فخطب بالفرنساوية خطبة خاطب فيها المستشرقين بما معناه "إنهم وان لم يجيدوا في الترويج علماء يماثلونهم في معرفة العلوم واللغات المشرقية بسبب بعد بلادهم عن بلاد المشرق لكن سيجدون مع ذلك عندنا من يعرف فضلهم ويقدر لم قدرهم على ان من وطنيينا من كتب في اللغات السامية كتابات اشهر من ان نذكر موتاً من ألف في اصول اللغة الآرية ما ترجم الى سائر اللغات هذا والامل ان اجتماعكم بهذه البلد يزيد في استنهاض الهمم عندنا الى هذه المعلومات واجتناء ثمرات هذه الخيرات ويكون لكم الفضل في ذلك واليد الطولى فيه وانتم اول من شرفنا بعقد جمعية مشرقية في بلادنا فمرحباً بكم واهلاً وسهلاً شرفتم البلاد واهل البلاد

وخطب بعده حضرة الكونت ده لاندبرج بالفرنساوية خطبة المع فيها الى خداماته في سبيل هذا المؤتمر واجتماعه مفتخراً بما اولاه سمو الملك من المكافأة

على ذلك ثم اعلن فيها بما تفضل به سموه من التبرع الى المدرسة الجامعة في هذه العاصمة بنصف الكتب المهداة اليه بمناسبة المؤتمر المتجاوز عددها الفين وذلك لمحبة سموه لهذه البلاد وتوجه نظره اليها

ثم خطب بعده احد الاساتذة الانكليز ثم احد الاساتذة الالمانين ثم الراهب الهندي ثم غيرهم من العلماء بما يتضمن التشكر على الترحيب بهم واتحية لم حتى انقضت الجلسة وقت الظهر وتوجه كل الى محله وانصرفنا الى الفندق وبقينا به ولم نحضر مع الاعضاء حيث اجتمع اقسام المؤتمر الخمسة من الساعة ٢ الى الساعة ٤ بعد الظهر في المدرسة الجامعة كل قسم بجعل مدرسة من مدارسها الخمسة وذلك لانحراف صحة سيدي الوالد

كما انه لم يمكننا لأجل هذا الانحراف التوجه الى قصر أسكارسهال الملوكي الذي بجمة "بيجده" القرية من كرستيانيا على مسافة يسيرة في البحر وقد دعي الاعضاء الى التفرج عليه ومشاهدة الآثار القديمة النرويجية التي نقلها الى بستان ذلك القصر سمو الملك اسكار اثاني وتعاطي طعام العشاء هناك من طرف الخاصة الملكية وسماع الموسيقى والتمتع بمناظر الزينة التي تجمل ثمة

والذي علمناه من توجه من الأعضاء أنهم ركبوا وابورات أعدت لهم والساعة اربعة ونصف بعد الظهر فأوصلتهم في مسافة ربع ساعة وهناك استقبلهم باسم الملك المسيو "هولست" احد ياورانه وحياتهم نجمة القدوم ومر بهم من البستان الى القصر ومازالوا يتفرجون معه على القصر وما فيه الى الساعة السادسة

وهذا القصر بني برسم الملك أسكار الاول من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٥٢

وكله مزين بالنقوش والرسومات من أعمال احسن الرسامين الترويجيين
وفي اثناء الزيارة شرف صاحب المقام السامي ثاني انجال الملك فزار
بالمدعوين الى الآثار الترويجية التي نقلها والده حفظاً لما من الدمار ووضعها في
جهة من بستان هذا القصر وهي على حالها التي كانت عليه بدون أدنى تغيير فيها
يقصدها السياح من كل مكان وأهم هذه الآثار كنيسة مصنوعة كلها من الخشب
كما كانت العادة عندهم في الأزمان الحالية صنعت في القرن الثاني عشر أو
الثالث عشر وهي في غابة الاحكام والايقان ومع قدمها لم تتغير الى الآن ومن
هذه الآثار مسكنان من مساكن الفلاحين الذين يسكنون شمال البلاد مع ما
فيها من أثاث المنزل ولوازمه على الحالة التي كان هذان المسكنان عليها من قدم
العهد وسالف الزمان وقد ألقى جينثيد المسيو ديتريكسون من أساتذة المدرسة
الجامعة بكرستيانا خطبة شرح للماضين فيها هذه الآثار وأبانها لم أتم تبيان
وطبع هذه الخطبة مع رسم الآثار المذكورة ووزعها على الأعضاء فأهداني أحد
الأساتذة نسخة منها

وفي الساعة السابعة صار تعاطي الطعام وكانت في اثناؤه وبعده الى الساعة
العاشرة يطرب المدعوين أشهر المغنين معرفة بالموسيقى والألحان فضلاً عن
الموسيقىات العسكرية التي توجهت برسمهم الى تلك الجهة وكانت الزينة الكهربائية
والغازية التي تزين بها القصر والبستان على أحسن حال وأتم نظام حتى آن
وقت العود فركب الأعضاء الواورات وأخذوا في الإياب الى كرسيتيانا بتفرجون
اثناء السير على الزينات التي أقامها الأهلون من كل جانب يديع الأشكال
وغرب الألوان بين ما هم ينهلون بارتفاع الأصوات للترحيب وإظهار الفرح

والسرور حتى وصلوا كرستيانيا نحو نصف الليل
أما درجة الحرارة في النهار بعد العصر من هذا اليوم في رجة الفندق على
ما عاينته عندي فكانت ١٢ فوق الصفر وقد أخبرني بعض الأصحاب من حضر
الولاية انها في حال عودتهم كانت أقل من عشر درجات

✽ شَلَالَات هُونِه فُوس ✽

من مقتضى پروجرام المؤتمر اليوم يوم الثلاثاء ١٠ سبتمبر سنة ٨٩ ان يجتمع
الأعضاء بالأقسام كل وقسمه الذي اختاره من الساعة ٩ و ٣٠ دقيقة الى الساعة
١١ و ٣٠ دقيقة قبل الظهر وان يركبوا في الساعة ١٢ قطاراً مخصوصاً يذهب بهم
الى شَلَالَات هُونِه فُوس التي تدفق منها المياه تدفقاً عجيباً وانهم يتعاطون طعام
العشاء في مدينة هُونِه فُوس بجوار هذه الشلالات البديعة وانهم يعودون منها
في الساعة ٦ و ٣٠ دقيقة بعد الظهر بقطار مخصوص يقف بهم على محطة مدينة
ذَرَامَن حيث تُقدِّم لهم نساء المدينة الشاي ثم يسرون بعد ذلك حتى يصلوا الى
كرستيانيا في نحو الساعة ١١ مساءً

ولم يتيسر لي في هذا اليوم لداعي استمرار انحراف صحة السيد الوالد حضور
مجموعات الأقسام ولا حضور وليمة الشلالات المذكورة غير أنني تحصلت من
الأساتذة الأصحاب على اخبار ما جرى في مجتمعات الصباح وأخبار الولاية
والشلالات مع ما أعانني على معرفة حقيقة هذه الشلالات وطريقها من كتاب
الدليل

أما مجتمعات الصباح فلم يحصل فيها أمر ذوبال حتى اقتصر بعضهم على أن

كَّرَّرَ فيها ما قاله في استكملم ولم تحدث مقالات مهمة في الفصل الإسلامي غير
مقالة ألقاها الأستاذ ليتنر عن الجامع الذي شرع في إنشاؤه ببلاد إنجلترا بواسطة
نقود استحصل عليها من أصحابه المسلمين والانجليز ومقانة ألقاها أحد أساتذة
الروس ذكر فيها اكتتاباً قاموا به لإنشاء جامع في سان بطرسبورج للمسلمين من
التتار وغيرهم تحصل منه عشرون ألف روبل وأنهم عما قليل يقومون بإقامة الجامع
وتشييده وقد كان متولي رئاسة هذا الفصل اليوم حضرة الفاضل الوطني المحب
للمتة والخادم الصادق لدولته صاحب العطوفة مدحت أفندي فشكر هذين
الفاضلين ومن أعان على هذا المشروع واتباع ذلك بالمقارنة بين حانة أوروبا السابقة
حتى في أوائل القرن الحاضر وقد كان أهلها ينقمون على غير المسيحيين وبين
حالتها الآن من احترام أهلها سائر المعتقدات حتى قاموا بتشييد جوامع تقام
فيها شعائر الدين المنيف ونسب الفضل في ذلك كله إلى العلماء المستشرقين
حيث أبادوا بابحاثهم واستكشافاتهم ظلمات الاوهام وأبانوا فساد الاعتقادات التي
كانت تنسب إلى ديننا الحنيفي ما هو منه براء من الضلالات والخزعبلات
وأما السير إلى الشلالات فقد أعد للأعضاء قطار سار بهم متجهاً إلى
الغرب يمر بهم تارة على خليج كرستيانا الشهير وينحرف عند أخرى ثم توجه
نحو الجنوب وان كانت المدينة المقصودة وشلالاتها نحو الشمال الغربي لكن
اعوجاج الجبال بهذا الطريق اوجب ذلك واستمر السير نحو الجنوب مسافة
طويلة ثم اتجه إلى الغرب نحو مدينة دراومن التي سيتعاطون فيها الشاي أثناء
العودة ثم جاوزها إلى ما بعدها يخترق المنافذ ويعبر الانهار ويكتشف البحيرات
ويصعد الجبال حتى وصل إلى هوجسوندومر بعد شلالاتها ثم اتجه نحو الشمال

الشرقي واستمر على ذلك مسافة حتى وصل هونة فوس
وقد أعدت موائد الطعام واجتمعت النساء من الجهات المجاورة يفنين
اثاء الاكل بالانعام الأهلية من غير آلات موسيقية ما فضلن على تلامذة
أيسالاً لرخامة أصواتهن مع بديع جمالهن وحسن اشكالهن وزخرف ملابسهن
وبعد التفرج على الشلالات ورؤية تدفق المياه منها بقوة عجيبة وسرعة
غريبة والنظر هنية الى مدينة هونة فوس التي عدد سكانها ١١٥٠ نسمة انصرف
الاعضاء عائدین الى كرستيانيا مارين اثاء الطريق على ذرامن لتعاطي الشاي
الذي وعدوا بتعاطيه عند العودة وأن تقدمه لهم النساء
”وذرامن“ هذه بلدة ذات ثروة قائمة على شاطئ خليج ”ذرامن سلف“
نسبة اليها عدد سكانها نحو ١٩ ألف نسمة متسعة في التجارة خصوصاً في
الاخشاب التي تجلب اليها من الغابات والجهات المجاورة لها بواسطة الأنهار
والبحيرات فيصدر عنها من الاخشاب ما قيمته خمسة ملايين كورون في السنة
فضلاً عن الزنك والنيكل وبين طرفيها كوبري من الخشب على النهر طوله ٣٠٠
متر يقصده في ايام الحر اهل المدينة للتنزه واستنشاق النسيم الخالص والتمتع
بنظر الشلالات مع الانتفاع في العبور عليه الى كل من طرفي المدينة
وبعد ان شربوا الشاي وكان قد أعد لهم بالمحطة على احسن اسلوب وقدمه
لم نساء اكابر القوم من محليات بلباسهن الوطنية إجلالاً لهم والجمعة مزدانة بأبهج
الزينة وأبهى الأنوار وقد حضر في هذه الحفلة اكابر اهل المدينة ومعتبروها رغبة
منهم في التعرف بالعلماء فمكثوا معهم فيها نحو نصف ساعة عادوا الى القطار وساروا
حتى وصلوا كرستيانيا.

واخبر بعضهم ان درجة الحرارة في اثناء الطريق ايلاً كانت اقل من عشرة فوق الصفر اما في كرستيانا قبل توجههم صباحاً فكانت ١٥ وكانت ١٢ بعد الظهر



✽ اثر سيدي الوالد الذي قدّمه ✽

الى المؤتمر في امر التعليم المجاري بمصر
في المدارس الاميرية والمكاتب الاهلية والمدارس الدينية

اجتمع اعضاء الفصل الاول من القسم الاول اليوم يوم الاربعاء ١١ سبتمبر سنة ٨٩ في محل المعد لاجتماعه بالمدرسة الجامعة والساعة عشرة ونصف قبل الظهر فقدّم سيدي الوالد الاثر الذي كتبه على التعليم بمصر وعرض عليهم مقدمته وتكلم اجمالاً على ماضيته ايتاه مييناً تقسيماته بناءً على طلب افاضل الحاضرين خصوصاً ما يتعلق بالازهر منها فوقع ذلك منهم موقع القبول والاستحسان أما المقدمة فهذا نصها

” لا خفاء في ان مصر كان لها في ايامها الاولى من التقدم والقيدم ورسوخ القدم في العلوم والصنائع ما تفني الشهرة فيه عن ذكره ويكفي منه ما يوجد اليوم في كل بقعة من اثره ولسنا الآن بصدد ذكره ثم تحولت الحال وجراً عليها ما جرى في الأزمان الطوال من صروف الأحوال وصنوف الأهوال ما أخذ يستنزلمان عن رفعة مقامها ويسلبها ما اكتسبت في سواف أيامها حتى اندرست معالمها وعلوها وانظمت رواسيها^(١) ورسومها

(١) الرواسيم كتب كانت في الجاهلية

”ثم جاءها الفتح العربي بالدين الاسلامي على يد من وافاها به من المسلمين الذين سكنوها واستوطنوها ودخل معهم في دين الإسلام من دخل من أهلها بتوالي الأيام فنمت الألفة بين الأعراب الغرباء الوافدين والأهلين الأصليين وتمت المواصلات بين الفريقين وسرى إلى أهل البلاد بواسطة المخالطة ما كان للقوم الفاتحين من اللغة والأخلاق والعادات وان لم يجبروا أحداً على ترك لغته أو عادته ولكن جرت العادة بتقليد المغلوب للغالب ومتابعة الضعيف للقوي كما هو معلوم ومع تمادي الأيام انتشرت في بلاد مصر لغة العرب إلى أن غلبت على اللغة القبطية وكادت تستأصلها بالكليّة حتى لا يرى في قبط مصر من أجاد معرفة لغته واعتاد استعمالها في محاورته ولومع بني جلدته الأ قليل وأقل منه من تمكن في معرفة قراءتها وكتابتها وقواعدها أما اللغة المصرية القديمة التي كانت مستعملة بين قدماء المصريين (وهي أصل اللسان القبطي السالف الذكر) وتعرف كتابتها القديمة البربائية بالخط الميروغليفي فلا يوجد فيهم عارف بها وقواعد قراءتها وكتابتها إلا إن كان قد تعلم ذلك من بعض الأوروبيين بعد استكشافه في الأزمان الأخيرة كما تعلمه أيضاً بعض المسلمين

”واللغة الغالبة المتداولة الآن في مصر بين متوطنها وأهلها قبطها ومسلميها هي اللغة العربية مع بعض تحريف لا يمتنع معه الرجوع فيه إلى الأصل الفصيح من العربي الصحيح وكذلك دخلها الدخيل من المولد والمغرب من اللغات الأعجمية كالفارسية واليونانية ثم التركية ثم الإفريقية بحسب نقليات الأحوال وتداول الاستعمال وحاجة التخاطب والتفاهم لأسباب في الأشياء الحديثة العهد“

”ولما دخل هذه البلاد اللغة العربية والديانة الإسلامية معاً تبعها ما تبعها

من علوم القرآن والحديث كشرح الغريب وحل المعنى واستنباط الأحكام كالاحلال والحرام والصحيح والفاقد الى غير ذلك من الأحكام والأصول والفروع الشرعية والعقائد وغيرها من المقاصد ووسائلها كعلم متن اللغة والنحو والصرف الى غير ذلك لا سيما بعد أن دُوِّنت هذه العلوم ونفرت قواعدها وتأسست أصولها ونفرت فروعها ثم لما اتسعت الدولة العربية وتمهد ملكها وعظمت سلطنتها تبع ذلك بالضرورة ما هو من تواجده ولوازمه من أمر الحضارة والتمدن ولحق ذلك ما يلحقه في مجرى العادة من تقدم العلوم والفنون والحرف والصنائع فبلغت دولة العرب في ذلك مبلغاً عظيماً كفانا الإطناب فيه التواتر والشهرة ونبغوا في فنون كثيرة سوى العلوم الدينية والقوية كالحساب والجبر والهندسة والميعة والطب والكيمياء والطبيعة وعلم المواليد الثلاث (التاريخ الطبيعي) الى غير ذلك وقاسوا الدرجة الأرضية وعملوا الأزياج والأرصاد والمباني الفنية والتجارب الكيماوية والطبيعية وكثيراً من الأعمال البدوية والعقلية ونالت في خلال ذلك مصر حظاً من فنون المعارف وافياً ونصيبها وافراً وكثر بها العلماء والعلوم والصنائع ونقلت منها اليها المتاجر والبضائع وأثقلت بها الأعمال وتفننت فيها العمال ونقلت بعض مصنوعاتنا الى المشرق والمغرب وسائر الجهات وتنافست فيها الملوك وعظماء الناس حتى بلغت قيمة الثوب الواحد مما كان يُصنع بها ألف دينار وأعطى سيف الدولة الحمداني^(١) مرة للشاعرين المعروفين بالخالدين^(٢) في عطية له ثياباً من عمل

(١) سيف الدولة هو علي الحمداني من ملوك بني حمدان ملك وأطرافها ثم امد ملكة الى حلب ثم الى دمشق واكثر بلاد الشام وتوفي سنة ٢٥٦ هجرية

(٢) الخالديان شاعران مشهوران كانا من خواص سيف الدولة المذكور قبلهما ابو عثمان سعيد بن هاشم بن وعلّة واخوه ابو بكر محمد بن هاشم واشتهرا ايضا بابن وعلّة وكانا يشتركان في كثير من الشعر منه ما ذكر في الأصل ونسبتهما الى الخالدية وهي قرية من اعمال الموصل

مصر فقالا في شعرهما بمدحانه

أنت الوصيفة وهي تحمل بدره وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وكسوتنا بما أجادت حوكه مصر وزادت حسنه تنيس

وتنيس مدينة كانت بين الفرما ودمياط من شمال مصر ثم خربت ودُرسَتْ
وفي خطط المقريري "تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للآوائل وكان أهلها
مياسير أصحاب ثراء وأكثرهم حاكه وبها يحاك ثياب الشروب التي لا يُصنع مثلها
في الدنيا وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل
سداً ولحمة غير اوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تتحوج الى تفصيل
ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار وليس في الدنيا طراز ثوب كثنان يبلغ الثوب
منه وهو ساذج بغير ذهب مائة دينار عيناً غير طراز تنيس ودمياط" انتهى وقس
على ذلك ثم ضرب الدهر ضرباته على جاري عاداته فتقلص ظل الملك في مصر
وكثر بها الخلل والفشل وعم الفساد واستتبع ذلك ما هو اخص لوازمه من تناقص
الهُمران وتقهقر أمر العلم والتعلم والفنون والصنائع الى ان أظلم زمان حكومة العلم
الشهير والشهم الخطير نادرة الأدوار وبكر الفلك الدوار افندبنا الكبير محمد علي
عليه الشان نزول دار الرحمة والغفران على حين تم الاختلال وفساد الأحوال
وانقرضت العلوم والفنون والصنائع ولم يبق من المعارف الا ما كان منحصراً بمصر
في الجامع الأزهر وقد بقي فيه اذ ذاك بقية من العلماء العظام والأفاضل الاعلام
ولم يبق في غيره شيء من ذلك سوى النزر اليسير والنادر لا حكم له

"فلما استتبست الحكومة للمرحوم المشار اليه واستقام الأمر واستراح خاطره
من المانع والمزاحم أخذ في احياء موات العلوم والمعارف وتجديد دوارس الدروس

والمدارس وانشاء المعامل والمصانع لتقدم الأعمال والصنائع فجدد المكاتب والمدارس
للتعليمات الابتدائية والتجهيزية والعلوم الهندسية والطبية البشرية والبيطرية
والفنون العسكرية للبرية والبحرية واستحدث معامل الاسلحة وأدوات الحرب
ومصانع لعمل السفائن انهر النيل وفروعه وكذا السفن والبوارج للبحر الملح حتى
صار عنده عمارة بحرية عظيمة واسطول كبير وغير ذلك مثل معامل المنسوجات
ملونة وغير ملونة من القطن والصوف فتحسنت الصنائع وانتشرت الفنون ونشأت
دولة العلوم وخلفه أخلافه على ذلك تعتمد الله الجميع برحمته وغفرانه وكفاً كل
صانع على حسن صنيعه بشامل إحسانه

”ثم افضت نوبة الحكومة الى حفيده المعظم وواسطة عقد مجده المنظم الذي
نشأ في مهد العلم واغذى بلبان الفضل وشب على حب المعارف خديو بنا الاكرم
خديو مصر الأعظم محمد توفيق بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي المشار اليه
نصر الله أيامه ويسر له خير ما رامه فنشأ محبوباً طبعه مصروفاً اهتمامه متوجهاً نظره
الى حب العلوم والمدارس ونشر المعارف وارتفاع درجة الفضل وشرف محله وانتفاع
اهله فبذل غاية ما في وسعه ونهاية ما وصلت اليه يد امكانه في الاعانة على
انتشار المعارف بيلاده وتقدم أمر التعليم والتعلم في أوطانه على ما هي عليه حالة
المالية واقتدى به في ذلك أرباب الأنظار من نظار الحكومة النبلاء وامناء الامراء
ولا تزال انظاره السعيدة وأنظارهم وافكاره السديدة وافكارهم متجهة الى المساعدة
في أمر المكاتب والمدارس والتعلم والتعليم جهد المستطيع ومدى الممكن وما زال
التحسين حاصلًا والإصلاح متواصلًا وسيأتي الكلام على التعليم الجاري الآن
في المكاتب والمدارس على اختلاف أنواعها وتنوع درجاتها وهذا المقام هو الغرض

المقصود بالكلام والله ولي التوفيق

واما تقسيبات الأثر المذكور فهي هذه :

تمهيد في تقسيم المكاتب والمدارس

الفصل الأول في المكاتب والمدارس الابتدائية

الكلام على المكاتب الابتدائية التي من الدرجة الثالثة

الكلام على مكاتب الدرجة الثانية

الكلام على المدارس والمكاتب الابتدائية ذات الدرجة الأولى

الفصل الثاني في المدارس الثانوية " التجهيزية "

الفصل الثالث في المدرسة الطبية

الفصل الرابع في المدرسة الهندسية " مهندسخانة "

الفصل الخامس في مدرسة الحقوق

الفصل السادس في دار العلوم

الفصل السابع في المدرسة التوفيقية والمدرسة الخديوية

الفصل الثامن في مدرسة الفنون والصنائع

الفصل التاسع في مدرسة العميان والخرس

الفصل العاشر في مدرسة البنات

الفصل الحادي عشر في المدارس الحربية

الفصل الثاني عشر في الازهر

ويتبع ذلك جداول احصائية وبعض بيانات متعلقة بها مثل تعداد أهل

الجامع الازهر وبيان مقدار المرتب له من الجراية في كل يوم وبيان مرتبات

المعلماء الجاري صرفها من المائتة وقانون انتخاب من يطلب تعيينه في وظيفة القضاء
او الافتاء وقانون امتحان من يريد التدريس بالأزهر والجاري في شأن تعيين
الائمة والخطباء في المساجد وقانون الامتحان للاعفاء من القرعة العسكرية وعدد
ارباب كساوي التشریف ودرجاتهم وبيان مصروفات المدارس والمكاتب
والنقود المتحصلة من التلامذة وعدد التلامذة الحالي ومضاهاته بما قبله وبيان
إجمالي التعليم بالقاهرة وجدول مقارنات احصائية بالمدارس والمكاتب والمتعلمين
والمعلمين وعدد الأهلين ثم جدول بخصوص الارساليات المصرية بأوروبا ثم
جدول بيان المدارس الحرة التابعة لجمعيات خيرية أو دينية وجدول أعداد
تلامذة هذه المدارس الحرة بحسب جنسية التلامذة وديانتهم وجدول بيان
المدارس الموجودة في الجوامع الى غير ذلك

ختم المؤتمر

لم تتم الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الأربعاء ١١ سبتمبر سنة ٨٩ حتى
تكمّل ورود الأعضاء والمأمورين بملابسهم الرسمية الى القاعة الكبرى بال مدرسة
الجامعة وبتمام الساعة المذكورة انعقدت الحفلة تحت رئاسة ناظر المعارف العمومية
وكان الزحام بداخل المحل وخارجه لم يسبق له مثال

فتكلم الراهب الهندي بلغة البراهمة "سانسكرت" مودعاً أهل هذه البلاد
شاكراً إفضالهم وإفضال أعضاء المؤتمر الكرام وتكلم بعده سعادة بروكش باشا مع
الإنجيز في موضوع تاريخي مصري وتكلم الاستاذ ليتنر في الحث على تعلم اللغات
المشرقية وأنها الوسيلة في زيادة معرفة ما انطبع عليه أهل الشرق من محاسن العادات

وأحسن الصفات وتكلم غير هؤلاء موجزين بما يناسب المقام ثم خطب الرئيس
خطبة مطولة ضمنها شكر أعضاء المؤتمر على تشريفهم هذه البلاد وسعيهم اليها من
جميع الأنحاء محتماً خطبته باعلان ختام أعمال المؤتمر الثامن للمستشرقين
فقابل الاعضاء شكره بالتصفيق مقابلة الجميل بالجميل وأردفوا ذلك
بالدعاء للمليك الترويح والسويد وانصرف الجميع وانصرفنا والساعة ثلاثة
ونصف بعد الظهر ثم اخذنا بعد استبدال الملابس الرسمية العادية نتفرج بالبلد الى
الساعة الخامسة بعد الظهر فتوجهنا الى الوليمة التي أعدتها البلدية لأعضاء المؤتمر
في سراي المحافل الماسونية

✽ وليمة مدينة كرستيانيا ✽

ابتدئت هذه الوليمة والساعة خمسة بعد الظهر من يوم الأربعاء ١١ سبتمبر
سنة ٨٩ بقاعة الاحتفالات الكبيرة من سراي المحافل الماسونية وقد زينت هذه
القاعة بأصناف الزهور والرياحين والأشجار وحليت بالتصاوير والرسومات
وأعلام الدول المختلفة تخفق فيها يتخلل ذلك مصابيح الغاز والكهرباء وتواردت
اليها أعضاء المؤتمر وعظماة المملكة وامراؤها بالملابس الرسمية والجميع يقابلهم رئيس
المدينة واعضاء مجلسها البلدي بغاية الترحيب والإجلال وقد صفت الموائد على
الطراز الأوروبي وجلس كل مكانه الذي أعد له ودارت عليهم الخدم بالماكل
والأشربة المختلفة الأصناف والألوان والموسيقى تصدح بالنغمات المناسبة للمقام
وفي اثناء ذلك صدحت بالسلام الحديوي بعد سلام جلالة السلطان المعظم وسمو
شاه العجم

ومما يستغرب في هذه الوليمة لحم الذب وقد هيئ للأعضاء من باب الإكرام وزيادة الاحتفاء ولم يسبق له عندنا مثال بل ربما لم يسبق له ذلك عند غيرنا من الأعضاء من غير هذه البلاد وقد كنت رأيت بقائمة المآكل أنه يقدم سابع أصناف الطعام ومعه فراريج صغيرة وصنف من المربيات الحلوة وسلطة نرويجية فلما حضر مالت نفسي إليه ونهيات للأكل منه لاسيما أنني رأيت جلد ذب أبيض منبسطة على أحد جدران قاعة الطعام ضمن ما زينت به ففهمت أن ما سيقدم سابع الأصناف هو من لحم الذب الأبيض الذي هذا الجلد لنوعه وزال ما عندي من الاشتمزاز الذي كان في نفسي من صنف الذب الذي رأيتُه بمصر البشع للمنظر المنفر اللون فتناولت منه قطعاً فوجدتها لذيدة الطعم أشبه بلحم الحمام أو الطير السمانى يضرب الى الحمرة متقن الشيء تميل النفوس اليه وترغب في الاستكثار منه

وكان أكله منه لاعتقادي أنه حلال اذ لم أسمع في القرآن ذكر تحريمه فإن آية سورة الأنعام وهي قوله تعالى "قل لا اجد فيما أوحى اليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة او دماً مسفوحاً او لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به" لم يصرح فيها بتحريم لحم الذب

اما سيدي الوالد فأخبرني أنه لم يأكل منه وذلك أنه كان بجانبه على المائدة جناب المسيو بوزجريونك القاضي النرويجي بحكمة الايسكندرية المختلطة وكان في بلاده بالاجازة السنوية أجلسه بجواره ارباب الوليمة من باب الرعاية والإكرام فأخذ كلما حضر طعام يجتهد في تفهيمه إياه فلما حضر هذا الصنف أراد أن يفهمه به فذكر له اسمه بالفرنساوية فلم يقم بخاطره ما أراد فأشار الى الجلد

المنبسط على الجدار وأشار الى الطعام ففهم المقصود منه فامتنع من تناوله
 هذا والحكم في أكل لحم الذئب في مذهب الإمام مالك الإباحة أو الكراهة
 وفي شرح الخرشي على متن خليل أن المشهور في أكل لحم الذئب الكراهة وقد
 حكى القولين المذكورين عن مذهب الإمام مالك الإمام الشعراي في الميزان
 الكبرى له لكنه قدّم في النقل عنه القول بالإباحة وذلك أنه قال أولاً ما معناه
 أن مذهب مالك إباحة أكل كل ذي ناب يعضو به من الحيوانات المفترسة
 وقال ثانياً ما معناه أيضاً أن مذهبه كراهة ذلك وقال إن الأئمة الثلاثة الباقين
 من الأربعة يقولون بتحریم ذي ناب يعضو به من الحيوانات المفترسة والذئب
 ذوناب يعدو به من الحيوانات المفترسة وقد استدلل الإمام مالك على عدم تحریم
 الحيوانات المفترسة ذوات الأنياب التي تعدو بها بالآية المتقدمة اعني قوله تعالى
 "قل لا اجد فيها أوحى الي" الآية

هذا واستمرت المؤانسة والحادثة حتى قربت الساعة الثامنة من الليل
 فانصرفنا الى الفندق لاستبدال الملابس التشريفية بملابس السفر والاستعداد له
 فسلمنا الأمتعة الى مستخدم السكة الحديدية وقد اتوا الى الفندق لاستلامها
 وأعطونا بوليصة بها لتسلمها بمحطة مدينة جوتنبورج ثم ركبنا عربة الى المحطة
 والسكة مزدحمة بالأهلين للتوديع والمحطة مزدانة بالأنوار والأزهار ملأى
 بالناس يقدمهم السادة والأمراء والوابور الثاني مستعد أما الأول فقد سار
 والساعة عشرة ١٦ دقيقة فسرنا في هذا الثاني بعد الأول بعشرين دقيقة ومقتضى
 البرنامج أنه يصل في صباح اليوم التالي الى شلالات ترول هيتن فيتم فرج
 الأعضاء عليها وعلى ما استحدث هناك من الثروة والمؤسسات ويتعاطون الطعام

بجوار الشلال الكبير ثم يسرون بعد ذلك والساعة اثنتان ونصف بعد الظهر بالوابور
فيصلون جوتنبورج والساعة ٤ و ٤٠ دقيقة بعد الظهر ويحضرون بعد التفرج على
المدينة وليلة الوداع التي يصير إعدادها لم آخر احتفال في الساعة الثامنة بعد
الظهر من ذلك اليوم وفي صبيحة اليوم التالي يسير كل إلى حيث شاء

من كرسديانيا إلى ترول هيتن *

أخذنا منذ سرنا نتحدث بما رأيناه في عاصمة النرويج من الإعزاز والإكرام
وانجر الحديث إلى ذكر جد هؤلاء القوم واجتهادهم في تحصيل ما تحسن به أحوالهم
وتعظم به ثروتهم مستشهدين على ذلك بما عايناه من كثرة إرسال التجار
الإعلانات إلينا بالفندق بما يوجد عندهم من الأشياء مثل أخوانهم تجار السويد
مع كون الإعلانات المرسلة مزخرفة برسم المدينة مزينة بالنقوش الجميلة بما يدعو
المرسلة إليه إلى النظر إليها والتأمل فيها فإذا أعجبه الرسم أو النقش تشوق إلى
الاطلاع على باقي الإعلان فيجد فيه الأشياء مفصلة على وجه حسن فيرغب
التفرج عليها وذلك هو مقصود التاجر فإنه متى ذهب إلى الدكان وتفرج على
الأشياء التي بها وحسن ترتيبها وانضم إلى ذلك تحسين التاجر له فيها وبيان
منافعها لم يجد بدا من أن يشتري منها فقد نال التاجر بغيته منه من حيث لا
يدرى

ثم انتقلنا من ذلك إلى المقارنة بين همة هؤلاء ونشاطهم فيما يوجب ثروتهم
وبين خمول أهل بلادنا وعدم اتخاذهم الطرق التي تروج حال متاجرهم وتعرف
الناس بها فترغبهم فيها وتجدبهم إليها ولو بإعلانها في الجرائد وكتابتها على الشوارع

وقد تذكرتُ عند ذاك ما رأيتهُ بالصدفة عند بعض الاحباب من المنسوجات اللطيفة المصنوعة بحجة بني سويف من بلادنا التي تصلح للفرش والستائر فأخبرتهم بذلك واني تمنيت ان لو علمتها قبل رؤيتي لها فكنت آخذ منها فرشاً وستائر بدل ما أخذته من مصنوعات البلاد الأجنبية

ولا شك ان مصنوعات بلادنا وحاصلاتها ما دامت مجهولة ولم تعلم بها الناس يتطرق اليها الكساد وتفتّر هم صانعيها واصحابها وربما تركوا الاشتغال بها فتضيع وتحرم منها البلاد بالمرّة

ويا حبذا لو اتخذ الأهليون من أصحاب الصنائع والحاصلات في المدن المهمة من مدن القطر عمالات يخصصونها بعرض نمودجات من حاصلاتهم ومصنوعاتهم مبيئاً بها أثمنها فيعرفها الناس وبطلبها من اصحابها من يريدوها

واستمر حديث الأسف والتمني الى نصف الليل فنمنا الى الصباح ولما استيقظنا تمتعنا بالمناظر اللطيفة من أودية وغابات وانهار وبحيرات حتى وصلنا والساعة ٨ و٣٤ دقيقة قبل الظهر من يوم الخميس ١٢ سبتمبر سنة ٨٩ الى محطة ترول هيتن فوجدنا العربات الكثيرة في انتظارنا فركبناها وسارت بنا نحو ربع ساعة حتى اوصلتنا الى مدينة ترول هيتن المذكورة



❖ ترول هيتن وشلااتها ❖

مدينة ترول هيتن هذه واقعة بالجهة الجنوبية الغربية من بحيرة وينيزن حيث تصب في نهر جوتلف الموصل الى مدينة جوتنبورج وتلك مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة آلاف نسمة ولكن شهرتها إنما

هي بالنسبة للشلالات المنسوبة الى اسمها المتدفقة بسرعة عظيمة من بحيرة وبنيرن المذكورة في نهر جُونْتَلَف المتقدم يسكنها الصناع والعمال المشتغلون بمعامل الخشب والورق والحديد التي تديرها قوة انصباب هذه الشلالات
وقد رت هذه القوة بقوة مائتين وخمسة وعشرين ألف حصان وارتفاع هذه الشلالات بأجمعها عن سطح النهر يبلغ ٣٣ متراً متوزعة على انحدار مسافته ١٥٠٠ متر

وتندفق هذه الشلالات في بعض الجهات بغزارة وقوة فتفوق بذلك جميع جهات أوروبا ولهذا نقصدها السياح من كل مكان

ونظراً الى التمكن من السير ونقل الحاصلات بطريق بحيرة وبنيرن ونهر جُونْتَلَف المذكورين من استكمال او غيرها في داخل البلاد الى جُونْتَبُورْج ومن هذه الى داخل البلاد او الى الخارج اتجهت أنظار العلماء من قديم الزمان الى إعمال ما يمكن معه عبور السفن من البحيرة الى النهر ومنه اليها وكان المانع من ذلك العبور هو شلالات ترول هيئت المذكورة لعظم ارتفاعها وقوة انصباب الماء منها فأشار أحد هؤلاء العلماء منذ مائة وخمسين سنة بإعمال ثلاثة أهوسة (إيكلوز) بجوار الشلالات فحفرت في الصخر واستعملت زماناً ولما زادت حركة التجارة واتسع أمرها صارت هذه الأهوسة غير كافية فأخذوا منذ سنة ١٧٥٥ في حفر ترعة "كنال" موازية لنهر جُونْتَلَف المذكور وجعلوا في آخرها ثمانية أهوسة وانتهى العمل في ذلك سنة ١٨٠٠ واستغنى بهذه التركة وأهوستها عن الأهوسة الثلاثة المتقدم ذكرها ثم مع مرور الأيام زاد اتساع أمر التجارة واحتجج الى عبور السفن الكبيرة فعملوا لأجل ذلك سنة ١٨٤١ أحد عشر هويساً

سُمِّيتْ "بِالْأَهْوَسَةِ الْجَدِيدَةِ" مَعَ اسْتِعْمَالِ الْأَهْوَسَةِ الثَّمَانِيَةِ فِي عُبُورِ السَّفَنِ الصَّغِيرَةِ أَيْضًا

وَيَمْرُ مِنْ هَذِهِ التَّرْعَةِ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ ٦٠٠٠ إِلَى ٧٠٠٠ آلَافِ سَفِينَةٍ يَتَحَصَّلُ عَلَيْهَا مِنَ الْعَوَائِدِ نَحْوَ ٢٥ مِليُونِ كُورُونٍ وَكَيْفِيَّةُ الْمُرُورِ فِي النُّزُولِ أَنَّ السَّفِينَ تَأْتِي مِنْ جِهَةِ الْبَحِيرَةِ مَارَةً فِي التَّرْعَةِ بِدُونِ صَعُوبَةٍ لِأَنَّ الْمِيَاءَ فِيهَا عَلَى اسْتَوَاءِ مِيَاءِ الْبَحِيرَةِ حَتَّى تَدْخُلَ فِي أَوَّلِ الْأَهْوَسَةِ مِنْ بَابِهَا الَّذِي بِجِهَةِ الْبَحِيرَةِ ثُمَّ يَفْلُقُ هَذَا الْبَابَ وَيُفْتَحُ جُزْءٌ مِنَ الْبَابِ الْمَوْصَلِ إِلَى الْهُوَيْسِ الثَّانِي فَيَأْخُذُ الْمَاءَ فِي الْإِنْصِرَافِ مِنَ الْهُوَيْسِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي وَيَسْتَمِرُّ إِلَى أَنْ يَتَعَادَلَ فِيهَا وَجَيْتُذٌ يَفْتَحُ الْبَابَ الثَّانِي تَمَامًا فَتَدْخُلُ السَّفِينَةُ مَعَ الرَّاحَةِ فِي الْهُوَيْسِ الثَّانِي وَهَكَذَا يَفْعَلُ عِنْدَ ارَادَةِ دُخُولِ السَّفِينَةِ فِي كُلِّ هُوَيْسٍ إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى نَهْرِ جُوثْلَفٍ وَتَكُونُ فَادَتْ الشَّلَالَاتِ

وَأَمَّا حَالُ السَّفَنِ فِي الصُّعُودِ فَإِنَّ السَّفِينَةَ تَدْخُلُ فِي أَوَّلِ هُوَيْسٍ مِنْ جِهَةِ النَّهْرِ مِنَ الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ بِكُلِّ سَهُولَةٍ لَاسْتَوَاءِ الْمَاءِ فِيهَا ثُمَّ يَفْلُقُ هَذَا الْبَابَ وَيُفْتَحُ جُزْءٌ مِنَ الْبَابِ الْمَقَابِلِ لَهُ لِيَدْخُلَ الْمَاءَ مِنَ الْهُوَيْسِ الثَّانِي إِلَى هَذَا الْهُوَيْسِ وَيَسْتَمِرُّ حَتَّى يَسْتَوِيَ فِيهَا فَيَفْتَحُ هَذَا الْبَابَ الْمَقَابِلَ لِلأَوَّلِ تَمَامًا وَتَدْخُلُ السَّفِينَةُ فِي الْهُوَيْسِ الثَّانِي مَعَ الرَّاحَةِ وَهَكَذَا يَفْعَلُ فِي كُلِّ هُوَيْسٍ إِلَى أَنْ تَصِلَ السَّفِينَةُ إِلَى التَّرْعَةِ وَمِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ تَرْوَلٍ هَيْتَنَ وَتَكُونُ فَادَتْ الشَّلَالَاتِ

وَمِثْلُ السَّفَنِ فِي هَذِهِ الْأَهْوَسَةِ نَزُولًا وَصُعُودًا مِثْلُ النَّازِلِ وَالصَّاعِدِ فِي سُلَّمِ دَرَجَاتِهِ هَذِهِ الْأَهْوَسَةُ وَالْحِيَاضُ

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرْنَا هَذِهِ الْإِجْمَالِيَّاتِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَشَلَالَاتِهَا وَالتَّرْعَةِ وَمَا بَيْنَهَا مِنْ

الحياض أذكر تفصيلات ما تفرجنا عليه في هذه الجهات
وذلك أنا بعد وصولنا الى المحطة ثم منها الى المدينة سرت مع سيدي الوالد
وحضرة الفاضل مدحت افندي نتبع الناس في مسيرهم من الشمال الى الجنوب
ثم الى جهة اليمين فاستمر بنا السير حتى قربنا من شلال "جُولُوه" وهو اول
الشلالات وارتفاع مصب الماء فيه سبعة أمتار وهناك جزيرتان في وسط النهر
بينهما كوبري يخيل للواقف عليه من سرعة جريان الماء وشدة انصبابه وإرغائه
وإزباده وارتفاع دَوِيّ خريزه ان الكوبري يرتج فيمشي ان يقتلع هو
والجزيرتان الموضوع طرفاه على طرفيها ويذهب الجميع في الماء لكن لطف المنظر
وبهجة ينسبانه تلك المخاوف

وبعد وقوفنا على هذا الكوبري هنيئة متعنا فيها الطراف بتلك المناظر
بارحناه قليلاً الى معمل ورق يصنع من الخشب يُدير آلاته تيار الماء يعمل فيه
كثير من الصناع فيقدم الواحد منهم قطعة الخشب الى آلة فتقطعها قطعاً متساوية
كل قطعة منها نحو ربع متر وتجريدها عن قشورها ثم تأخذها آلة اخرى فتحوّلها
الى عجين أبيض اللون بخالطه ماء ثم تبسطه على آلة ثالثة هي عبارة عن شريط
عريض من القماش ترتج وتهتز فتكسب ذلك العجين شكلاً رقيقاً ثم يمر العجين
المذكور بالآلات تجففه وتذهب رطوبته فيصير ورقاً ثخيناً اوراقياً اسمر أو أبيض
حسب ما يراد كل ذلك في أقرب وقت فالانسان اذا مشي مع الآلات من
أولها حيث توضع الخشبة المأخوذة من الغابات الى آخر هذه الآلات وجد
الخشبة المذكورة صارت ورقاً يستعمله حالاً فيما يريد من الكتابة وقد عابنا ذلك
وأخذنا منه قطعة ورق للتذكّار

وبعد التفرج على المعمل عدنا الى أصل الطريق فصرنا نمر على معامل لنشر
الأخشاب ومصانع لصنع الأوراق حتى وصلنا المصب المعروف بشلال
”نويّة“ بجوار جزيرة صغيرة مضافة الى هذا الاسم يوصل بينها وبين البر الذي
نمر به كوبري ممتد على الشلال أخرج من الأول وأرقى منه فلا يسع الأشخاص
واحدًا يمر عليه حال كونه مهتزًا به كأنه يرجف خوفًا من هول انصباب الماء
بقوة تمته على ارتفاع ثلاثة عشر مترًا حتى ان الأرض ترتج من ذلك وتهتز فاذا
نظر الانسان الى مصبين آخرين يتدفق الماء منها أحدهما بين الجزيرة المذكورة
وجزيرة صغيرة مقابلة لها والآخرين هذه والبر الغربي زاد عجيبة واستغرابه وكثر
تعظيمه للباري سبحانه خالق هذه الكائنات وموجد هذه الآيات اليبينات

ثم عدنا الى الطريق الذي كنا سلكناهُ ومررنا الى للامام فتفرجنا على
كهف طبيعي في جزيرة هناك ابدعت فيه يد القدرة غاية الابداع وبالقرب
منه احد الأهوسة الثلاثة القديمة التي عملت في اوائل القرن الثامن عشر واستغني
عنها كما مر

وبعد هذا وصلنا الى الشلال الثالث المعروف بشلال ”ستاه وستاروم“
وارتفاعه متران ونصف وعنده اتسع النهر فكان كبركة متسعة
ومازلنا سائرين نتفرج على ما نمر به من المعامل والمصانع ويقابلنا من فيها
بنابة الترحيب والتكريم ويجهتدون في تفهيمنا مصنوعاتهم بالإشارة الحسية حتى
وصلنا الى معمل عظيم تصنع فيه وابورات السكة الحديدية فدعانا اصحابه الى
الدخول فيه والتفرج فدخلناه واستقبلنا مهندسهُ وصار يفرجنا عليه وعلى ما فيه
من الآلات الكبيرة المائلة والصغيرة الدقيقة ويُطلنا على المطارق المعدة للضغط

على قطع من الحديد وزنها طونولاطات وعلى المقاطع المعدة لقطع حديد سمكة أكثر من سمك اليد في طرفه عين وما ذلك إلا لإحكام الآلات وقوة البخار وهذا العمل على ما أخبرنا هذا المهندس يعمل فيه أيام كثرة الطلب أربعة مائة عامل بالأقل وفي غيرها مائتا شخص بالأقل وذلك لأنه يُعمل فيه الواجورات اللازمة لمملكتي السويد والنرويج فضلاً عما تطلبه حكومتا الدنيمرك والمانيا من ذلك حتى أنه لكثرة الطلب في فصل الشتاء يضطر العمال نظراً إلى ظلمة النهار في الفصل المذكور إلى أن يستضيئوا بأنوار الكهرباء فيوقدون منها في هذا العمل خمسمائة لامة يصيرها الوقت أضواً من أيام فصل الصيف وقد طلب منا المهندس الذي يصحبنا أن يكتب اسماءنا في دفتر هناك كما أنه أعطانا ورقة باسمه هي امامي وقت كتابتي هذه الاحرف تذكرني لطفه ومؤانسته مكتوباً عليها "هرمان نيد كيبست" واني بهذه المثابة اخضعه بوافر الشكر والثناء

ثم مشينا الهوبنا بعد التفرج على العمل المذكور في غابة من غابات أشجار الصنوبر وقد احكمتها بد القدرة كل الإحكام وعند مفارقتها رأينا على بعد محلاً مرتفعاً فوق أكمة يعلوه منارة فاصعدنا هذا المله واذا هوبنا عظيم تباع فيه المرطبات وأصناف الاشربة والأطعمة وكثير من الفطوغرافيات المختصة بمواقع هذه الشلالات وغيرها من الرسومات فشربنا بعض المرطبات ثم صعدنا إلى أعلى البناء فرأينا مناظر بهجة في غاية الجمال منها شلال ماء يتدفق من ارتفاع ثمانية امتار هذا فضلاً عما ينكشف للرأي من النهر والكنال وما جاورها من المنزهات فأحبينا ان نطلع على ما هو أرقى من ذلك فصعدنا إلى أعلى المنارة وهي ربما يبلغ ارتفاعها نحو خمسين متراً وهناك انكشف لنا من المناظر الحسنة

والمرائي البهجة ما لم تكن نتصور وجوده في هذا المكان ولا يقوم بوصفه حد البيان
فنظرنا جلياً وتمتعنا ملياً وما أنزلنا من هذه المنارة إلا طلب تعاطي الطعام وقرب
وقت السفر

فعدنا راجعين الى ان صادفنا عربة فركبناها ومرت بنا بمحاذاة الكنال
ووزعت علينا اثناء ذلك بأوراق رسومات بالخطوط جغرافية اشتملت على أحسن
مناظر النهر والشلالات وقد طبع بظاهرها بعض ايضاحات بالفرنساوية متعلقة
بأطوال هذا الكنال وعروضه واتساعاته واتجاهاته وغير ذلك من أحواله واستمر
بنا السير بعد ذلك حتى وصلنا الى حيث أعد مديرو شركة هذا الكنال موائد
الطعام

فأكلنا على الطراز الوطني "زمو رغوزه" باشتهاء لم يسبق له مثال أوجبه
كثرة المشي وتأخر الوقت واعتدال الجو وحسن منظر الشلالات البهيج وطيب
الهواء ثم استرحنا قليلاً حتى أتى وقت السفر فركبنا وابور السكة الحديدية بعد
ان أوصلتنا الى المحطة العربات وسار والساعة ٢ و ٣ دقيقة بعد الظهر قاصداً
جوتيمبورج والنفس تمنى في كل موضع من مواضع الشلالات والكنال والأهوسة
أن لو وجد أمثال هذه الحياض بجبهة شلالات اصوان من بلادنا فإنها تكون سبباً
في سهولة الملاحة وازدياد التجارة ونمو الثروة واتساع العمارة وتسهيل المواصلات
الى غير ذلك من المنافع والخيرات ولكن راجعتني النفس بان هذه الفكرة سابقة
وقتها فان وقتها هو وقت رجوع السودان الى مصر فاتجه التمني في الحال الى
طلب هذا الرجوع وانحصر فيه الأمل والرجاء



❖ السفر الى جوتنبورج ووليمة الوداع فيها ❖

بعد مسيرنا من ترول هيتن بأكثر من ساعتين وصلنا جوتنبورج الساعة ٤ و ٤٠ دقيقة بعد الظهر وكان سيرنا بين غابات لطيفة وأودية ظريفة فوجدنا في انتظارنا على المحطة وميدانها خلقاً لا يحصى عددهم يعلن الجميع بالترحيب والتأهيل فركبنا عربة وسرنا حتى وصلنا الى الفندق المسمى "جراند أوتيل هاجلوند" والطريق غاصة بالناس يشيرون إلينا بالسلام والأكرام وهذا الفندق من أحسن الفنادق وأكبرها وقد حجرت لنا غرف فيه منذ أيام وهذا كافانا مؤنة البحث عن غرف في الفنادق كما فعل غيرنا من لم تحجز له غرف قبل مجيئه.

وهذا الفندق هو الذي أعدت فيه مدينة جوتنبورج الساعة السابقة في هذا المساء وليمة قامت بها وداعاً لأعضاء المؤتمر تحت رئاسة حضرة الكونت صونو السكي رئيس المدينة ومحافظة إقليم جوتنبورج وما لبثنا ان خرجنا من الفندق نتفرج بأنحاء المدينة قبل أوان الوليمة ودخول الليل لأننا على عزم مبارحتها صبيحة الغد

واذا هي مدينة منتظمة الطرق متسعة الشوارع جيدة المباني فأوصلنا سائق العربة الى ميدان جوستاف أدولف الشهير وهو في النقطة الوسطى بها بين محطات السكك الحديدية والميناء وبوسطه تمثال جوستاف أدولف مؤسس هذه المدينة وأول بان لها وبجهة الشمال منه بناء مشيد للبورصة له أعمدة متقنة الصنع تامة الإحكام وبجهة الغرب من هذا الميدان سراي بلدية المدينة وخلفها كنيسة سانت كريستين الشهيرة في هذا البلد وفي الزاوية الجنوبية الغربية من الميدان

يتلاقى كنانان عظيمان احدهما "سُورَاهَا مَنْ كَنَال" والآخر "أُسْتَرَاهَا مَنْ كَنَال"
فسرنا على شواطئها البالغة حد الاتساع وغاية النظام مع كثرة ما فيها من
الحركة وفي الكنانين السفن الكبيرة المشحونة بين صادرة وواردة مما يجعل هذه
البلدة تشابه مدن هولانده وقد اشتهر أنها من قبيلها ولا غرابة في ذلك فان العاملين
في تأسيسها كانوا من الهولانديين تحت رعاية الملك جوستاف أدولف المتقدم
ذكره في سنة ١٦٢١

ثم نخرجنا على غير هذه المواضع وسرنا بجهة الميناء ورأينا ما بها من الحركة
والنشاط والهمة والاجتهاد وسرنا امتلاء أرصفتها المتنوعة بأصناف العالم
يشتغلون بالتجارة وما يلزمها من نقل البضائع والحاصلات ثم اجتزنا الطريق
الشهير بالشارع الجديد "نُوا أَلَيْن" وسرنا فيه نحو ربع ساعة مبتهمجين باتساعه
ولطف أماكنه وكثرة البساتين التي بموانئه تزدان بها قصور الأغنياء وسرايات
الأشراف والامراء وكبار التجار مثل سراي "أوسكار ديكسون" التاجر الشهير
بإحساناته وعطاياه ومساعداته للعلماء خصوصاً على اكتشافاتهم جهات القطب
الشمالي ثم سرنا بغير هذا الشارع فمررنا على كنيسة "هَاجَا" العظيمة التشييد وقد
قام بأكثر بنائها أحد مشاهير التجار واستمر بنا التفرج في السير حتى قرب وقت
حضور الوليمة فعدنا الى الفندق وقد تأكد عندنا ما وصفه كتاب الدليل من عظم
هذه المدينة واتساع دائرة التجارة فيها مما جعلها بالنسبة للمتجر تعادل كرسيتانيا
واستكمل بل تفوقها ودلّنا العمارات العظيمة المشيدة بها للمدارس والمكاتب
والكبيخانات والبيانرات والمتاحف ومستشفيات المرضى وامكنة ايواء المعوزين
والفقراء على كثرة ما يعرف أهلها من الأموال في سبيل تحسين مدينتهم وإثقان

نظامها تماماً صيرها تملو على المدن التي يسكنها أضعاف من يسكن هذه وهم لا يزيدون على ٩١٠٠٠ نسمة الآن كما دلنا كتاب الدليل أيضاً على انتشار المعامل والمصانع بضواحي المدينة مشغلة بعمل الأقمشة والمكينات والسكر والجمعة والسفن البحرية تجارية وشرعية الى غير ذلك

وبعد أن عدنا الى الفندق استبدلنا الملابس العادية بالملابس الرسمية فإنها وان لم تكن مذكورة بأوراق الدعوة لكن أشار علينا بلبسها بعض الأصحاب ونم ما أشار به فأننا وجدنا المندوبين الرسميين لدى المؤتمر بلباسهم الرسمي ومثلهم امراء المدينة فأجلسونا الى مائدة مخصوصة على الطراز الأوربي مع المندوبين الرسميين وبعض الأعظم أمّا الباقون فأكلموا على مائدة مرصوفة على طراز البلاد "زمورغوزة" وقد رأينا من هؤلاء الأعظم ومن نسائهم في أثناء الأكل وقبله ونحن مجتمعون في رجة الفندق (وسقفا منطى بالزجاج وهي مفروشة بأجمل الفرش) كل الأكرام وان كان من يتكلم منهم او منهم بلغة الفرنسيين او غيرها تماماً نعلمه من اللغات قليلين فكانت المحادثات التعارفية قاصرة في الأكثر على تبادل ورقة الاسم من المعارفين مصحوبة بانحناءات الرأس والأيدي وغيرها من الأعضاء وقد خص هؤلاء الأعظم المصريين بأكثر مما خصوا به غيرهم من الوافدين زيادة في الإكرام والاعتناء حتى رسموا بقائمة بيان الأطعمة صورة ابي الهول والاهرام

واستمرت الحادثة والمؤانسة بعد الأكل الى قرب نصف الليل فودعنا من عرفناه من الأعضاء وغيرهم وعلامات الكآبة مشتركة بين الطرفين لما رأى كل منها في الآخر من جواذب المودة وعوامل الائتلاف ولا يدري كل منا هل يرى

صاحبه بعد هذا الأوان في أي زمان وأي مكان وكان بعض الخطباء من أعضاء المؤتمر أبدى هذه التأثيرات الوداعية أثناء الطعام وشكر بهذه المناسبة ما رآه عموم الأعضاء وخصوصهم من الأمتين السوديّة والنرويجيّة من مزيد الرعاية والعناية والاعزاز والاکرام

وبانتهاء هذه الوليمة انتهت المأموريّة فانصرفنا الى غرفنا واخذت قبل النوم في الاستعداد للسفر في اليوم التالي وحرّر سيدي الوالد في هذا الوقت كتاباً أرسله الى صاحب الدولة الأمير الخطير رياض باشا رئيس وزراء الخديويّة المصريّة وقت ذاك يحيطه علماً بسير المأموريّة اجمالاً وبانتهائها وقد نشرت الوقائع المصريّة هذا الكتاب قبل عودتنا من السفر في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٩ وهذا نصّه كما أخذته من نسخة الوقائع المذكورة :



﴿ كتاب سيدي الوالد الى صاحب الدولة الامير الخطير ﴾
﴿ رياض باشا ﴾

” دولتو افندم حضر تلري
” أفدم من تحايا التبجيل والتكريم ما يليق بذلك المقام الكريم داعياً بدوام
ظلال الإقبال وجمال الأحوال وكال الآمال أعطّر الأرجاء بأريج الثناء
واستقبل قبلة الإجابة بخير الدعاء وقبل هذا حررت لسيدي الباشا عليّ الهم مبارك
الطلعة المحترم وذكرت بعض الجهات التي وردناها في طريق الوجهة التي
قصدناها وكتبت ايضاً لبعض الأجلاء من السادة الأخلاء ولبثت انتظر ان

يُجِيبُنِي أَحَدٌ بِسَطْرٍ أَوْ بَعْضٍ سَطْرٍ وَلَوْ بِقَدْرِ لَامَةٍ ظَفَرٍ فَمَا جَاءَنِي عَنِ الدَّارِ وَلَا غَيْرِهَا
خَبَرٌ حَتَّى حَرَرْتُ بِالتَّلْغَرَفِ لِبَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ فَلَمْ يَظْهَرْ قَبْلُ وَصُولِنَا إِلَى السُّوَيْدِ
أَثَرُ اللَّهِ إِلَّا إِنِّي كَتَبْتُ مِنْ بَارِيسَ يَوْمَ الْعِيدِ بِالتَّلْغَرَفِ لِلْعَمِيَّةِ السَّنِيَّةِ قِيَامًا بِوَجِبِ
الْعُبُودِيَّةِ مِنَ التَّعْيِيدِ وَالتَّبَرُّكِ لَجَنَابِ وَلِيِّ النِّعَمِ الْخَدِيوِ الْأَعْظَمِ السَّعِيدِ أَبْقَاهُ اللَّهُ
مُتَمَعًا بِإِنْعَالِهِ وَجَمِيعِ آلِهِ بِعَمْرٍ مَدِيدٍ وَحِظٍ مَزِيدٍ مِنْهَا بِالْأَعْيَادِ وَالْمَوَاسِمِ وَتَقْوَرِ الْمَسَرَّةِ
لَهُ كَمَحْيَا السَّعِيدِ بِوَسْمِ يَشِيعِ الْمَاضِي مَبْرُورًا وَيَسْتَقْبَلُ الْآتِي مَسْرُورًا وَيَكْسُوهَا
مِنْ نُورِهِ نَوْرًا فَبَجَاءَنِي الْجَوَابُ فِي بِيَاضِ الْيَوْمِ لَمْ يَتَأَخَّرْ مَبْشَرًا بِالْقَبُولِ وَالْمُنُونَةِ
وَذَلِكَ لِدَيْنَا عِيدِ أَكْبَرَ وَحِظٍ أَوْفَرَ وَسَجْدًا كَلْنَا اللَّهُ دَاعِينَ وَمُؤْمِنِينَ وَمُسْرِينَ وَمُعْلَنِينَ
وَلَمْ يَزَلْ دَائِبًا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ حَلَلْنَاهُ وَمَوْقِعٍ نَزَلْنَاهُ نُؤَدِّي وَظِيفَةَ الدَّعَاءِ حَسَنَ
الْأَدَاءِ وَنُنَشِّرُ أَلْوِيَةَ مَدَائِحِهِ الْجَلِيلَةِ عَاطِرَةَ النُّشْرِ وَنُخَلِّدُ فِي الْمَسَامِعِ وَالْمَجَامِعِ طِيبَ
الذِّكْرِ وَنَعُدُّ مَا نَعْلَمُ مِنَ الْمَآثِرِ الْفَرَاءِ وَالْمَقَافِرِ الْحَسَنَاءِ تَرْبُو عَلَى الْإِحْصَاءِ وَنُسْتَبِيعُهَا
بِذِكْرِ مَحَاسِنِ أُمَرَاءِ رَجَالِهِ الْأَمْنَاءِ الْمَوَازِينِ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ النَّاسِجِينَ عَلَى مَنَوَالِهِ فِي
مَحَاسِنِ خِلَالِهِ وَأَقْمَنَّا فِي بَارِيسَ نَحْوَ عَشْرِينَ يَوْمًا نَرَاجِعُ مَا كَتَبْنَاهُ بِمَعْرِ مِنْ
الْمَوَاضِعِ الَّتِي حَرَرْنَاهَا لِلْعَرْضِ عَلَى الْمُؤْتَمَرِ السُّوَيْدِيِّ وَنَعِيدُ عَلَيْهَا النَّظَرَ وَفِي خِلَالِ
ذَلِكَ تَرَدَّدَ عَلَى مَعْرِضِ بَارِيسَ الْعَامِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَوَاضِعِ الشَّهِيرَةِ فَشَاهَدْنَا مِنْ
الصَّنَائِعِ وَالْبَضَائِعِ وَأَنْوَاعِ الْبَدَائِعِ وَالنِّظَامِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْإِحْكَامِ مَا يَحْتَاجُ فِي
إِضَاحِهِ مِنَ الْبَيَانِ وَتَقْرِيبِهِ لِلْأَفْهَامِ إِلَى مَجْلَدَاتِ ضَخَامِ وَاسْتِخْدَامِ أَعْوَامِ وَنَسْذَكُرُ
فِي الرَّحْلَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَمَّ رَأْيُنَا فِي هَذِهِ الْعَاصِمَةِ وَغَيْرِهَا مَا يَبْلُغُهُ الْجُهْدُ وَيُسَاعِدُ
عَلَيْهِ الْحَالُ وَفِي اثْنَاءِ تِلْكَ الْمُدَّةِ أَرَدْنَا مَعَايِنَةَ الْمَدَارِسِ الْمَوْجُودَةِ هُنَا فَصَادَفْنَا الْوَقْتَ
وَقَبْتُ عَطْلَةً فَكَانَتْ كُلُّهَا مَقْفَلَةً مَعْطَلَةً فَلَمْ أَحْصُ عَلَى الْفَرَضِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا إِنِّي لَمْ

آل جهداً في تحصيل قدر كافٍ من بروجراماتها وقوانينها وترتيباتها عن أنواع
متنوعة من ابتدائية وثانوية وخصوصية بعضها بالشراء وبعضها بالاستهداء واحضرت
جملة جداول وبيانات عن بعض ادوات التعليم واثامها ومحلات بيعها وشاهدنا
جملة من المدارس المذكورة مختلفة الأنواع إلا إنها خالية من الدروس والمدرسين
والتلامذة ليس بها إلا البواب وبعض الخدم فرأينا محلات التدريس وبعض
ادوات التعليم وكان من جملة ما رأيناه مدرسة زراعية سافرننا اليها من باريس
بسكة الحديد ورجعنا في يومنا وكانت مغلقة أيضاً ولم نجد مدرسة من التي رأيناها
جارياً فيها العمل إلا مدرسة خاصة بالأطفال الصغار من سن سنتين ونصف
وثلاث سنين يقيمون بها الي سن ستة ويتولى أمرهم فيها معلمات قد صرن لمن
كالات مهات المشغقات يتعجبين اليهم ويتعجبون اليهن ويراعين تعليمهم بطرق سهلة
في غاية البساطة واللطافة والملائمة لحال الطفل لا يظنها الآمن اللعب والحادثة
وقد احضرنا ترتيباً عنها مفصلاً وأعجبني الطريقة المتبعة بها جداً ثم سنا من
باريس الى لوندريه وأقمنا بها أياماً ومنها الى محل المأمورية معرجين على روتردام
ثم آيندين ثم امستردام ثم كولونيا ثم هامبورج ثم كوبنهاج ثم الملووي أول ثغور ملكة
السويد وفي اثناء مسيرنا منها الى العاصمة صادفنا من معتبري البلاد من عرف
من هيئة ملابسنا الشرقية من الطربوش والعمامة أننا من اعضاء المؤتمر الذين
طوحت بهم الى بلادهم مراحي السفر فصاروا يتعرفون الينا ويتقربون منا
ويلاطفوننا غاية الملاطفة ويحملون لنا المقابلة والمعاملة الي ان وصلنا الى استكهلم
ونزلنا الأوتيل وهناك اجتمعنا بالكونت لاندبرج فحضر وسلم علينا ومضينا معه الى
مكتب المؤتمر محل أشغاله فأطلعنا على الحل المعد لانعقاد المؤتمر في جلساته العامة

والخاصة ومواضعنا فيه وهي في جزء مرتفع عن باقيه بدرجة وبه كرسي
للملك وخلف ظهره العائلة الملوكة وعن يساره موقف من بخطب وكراسي
لجلوس الوفد المصري وعن يمينه بعض وزرائه وسفير العجم في الأستانة العالية محسن
خان والوفد العثماني وبقية وفد العجم وبين يديه الكتب المهداة اليه وفي باقي المحل
أسفل من هذه الدرجة مواضع باقي الناس أعضاء المؤتمر والمحل يسع فوق خمسمائة
نفس وفي أعلاه محل مرتفع مشرف عليه لجلوس النساء به يسع نحو مائة وخمسين
وأعطي الكونت لكل واحد من أعلامه العضوية في المؤتمر وهي شبه وردة من قماش
لما ملون بالألوان الموجودة في علمي السويد والنرويج مثبتة في شبه زر يحمل
في عروة السترة لبس الملك واحدة منها

”وقد حضر في اثناء وجودنا هناك فرآنا وعرفناه بنا الكونت فسلم علينا بيده
واحدًا واحدًا وقابلنا بغاية البشاشة ولما سلم علي أظهر محبته للجناب الخديو المعظم
وشكره على ارسال الوفد وسروره بحضوره ولما سلم على امين بيك قال له أنت
ترجماني لوالدك وفي ثاني يوم وهو يوم الأحد طلبنا الى سرايته بعربات حضرت
الينا لمقابلته المقابلة الرسمية ولم تكن المقابلة الأمسية رسمية فتوجهنا بالكساوي
التشريفية والنياشين كما اشير علينا فلما دخلنا عليه وجدناه بالكسوة التشريفية
والنشانات ايضاً فأعلن المسرة والمنونية والثناء على الجناب الخديوي الفخيم
وسلمت اليه المهرر الكريم الخديوي واجبت قائلاً :

”مولاي أقدم لجلال مقامك الرفيع الشان تحايا التعظيم والإجلال والثناء
الفائق من لدن مولاي خديو مصر المعظم مؤيداً ذلك بتقديم محرر سموه المنطوي
على خالص المودة المتضمن تعيني وتعين رفاقي المائتين بين يدي عظمتكم للحضور

في المؤتمر العمومي العلمي الذي توجهت خواطركم الملوكة لانفاذه في هذه المملكة العامة لما يترتب عليه من الفوائد المهمة لشر العلم ونقدمه واتحاده باشتراك القريب والبعيد والشرقي والغربي فيه ولم يكن ذلك ليتأتى الا بتوجه همة الملوك اليه فلك يا مولاي الفضل الجزيل على ذلك المسمى الجميل واختم قولي بتقديم واجب تشكراتي لما نلت من لطف الرعاية الملوكة لاسباب في هذا الموقف النبيل لا زال موقع اجلال ومنتهى كمال" وكان ذلك يوم الأحد اول سبتمبر سنة ١٨٨٩

"وبعد ذلك انصرفنا وفي ثاني يوم اجتمع الناس لافتتاح المؤتمر وحضر الملك في الميعاد المقرر وحضر الناس وأخذ كل موضعه فافتتح الملك المؤتمر بخطبة حسنة ألقاها وأجاد فيها وفي حسن أدائها قال في ضمنها "إن السلطة قبل كانت للقوة والاستبداد وليست الآن إلا للعلم" وغنى فيها حتى أتمها وانفأ والناس بين يديه وقوف ثم جلس وخطب بعده المسيو كير وافد النمسا ثم سفير المجمع فخطب خطبة باللغة الفارسية ثم وافد السلطنة العلية العثمانية احمد مدحت افندي فتلأ مقالة باللغة التركية ثم أشير الي فقامت وأنشدت قصيدة كنت أعددتها لذلك بعد ارتحالنا من باريس فأنتمتها في الطريق ويضئها في استكملم فابتدأت أقول:

اليوم أسفر للعلوم نهارٌ وبدت لشمس سماءها أنوارُ

ومضيت فيها الى آخرها وصفق الناس لكل من خطب وبالجملة لي لما أتممت الانشاد وخطبني أناس منهم باستحسنائها في اليوم وحضر كاتب المؤتمر على أثر الفراغ منها وسارني بطلب نسختها فأخذها في الحفلة وخطب بعد ذلك اناس منهم المسيو شير وافد فرنسا وكانت هذه الحفلة خاصة بذلك ليس فيها تقديم موضوعات علمية ثم قام الملك وودع الحاضرين وصافح البعض وصافحنا وقال حسناً وانصرف

وانصرفنا وانقضت الحفلة وارفضت الجمعية وبعد ذلك انقسم المؤتمر الى فصول متعددة فكتّاني الفصل الأول المدّر للغة العربية وصارت الفصول تجتمع كل يوم وتقدم فيها الموضوعات المعدة للعرض عليها بعد ان يُقدّم بيانها لكتاب اللجنة اجمالاً ويكون في كل يوم بعد الظهر فسحة ووليمة وزهرة كل مرة في جهة وبكيفية غير التي قبلها واستمر الحال على ذلك الى ان انقضى المؤتمر وفي اثناء انعقاد جلسات فصوله المذكورة قدّم مني ومن جميع رفاقي ما أردنا تقديمه مما أعدناه لذلك وقوبل ما عرض من كل واحد منا بالاستحسان والاعتبار وقد أبقى كل واحد منا عنده نسخة مما عرضه بعد تقديم نسخته وأعطى من معه نشان من بلاده نشاناً من طرف الملك وأعطيت نشاناً من النوع المسمى "وازا" من الدرجة الأولى فشكرت للملك ودعوت لمولاي ولي النعم الخديو الإكرام

"وقبل قيامنا من استكمّل أولم الملك وليمة خاصة في سرايته دعا اليها خواص أعضاء المؤتمر الى مائدته الخاصة وكنت من جملتهم وقبل الدخول الى محل المائدة أعلم كل واحد بموضعه منها وموضع من يجالسه فكان عن يمين الملك سفير العجم في دار السعادة وعن يمين السفير المشار اليه البارون دو كير الوافد من طرف النمسا وكنت عن يمين البارون دو كير وعن يميني الكونت دولاندبرج وفي اثناء الطعام شرب الملك على اسم الجنب الخديوي خاصة بعد الالتفات الى ناحيتي فقمت مؤدّباً رسوم التعظيم والشكر

وكان كلما صادفني في موضع من المواضع يكلفني بإبلاغ سلامه وشكره الحضرة الفخيمة الخديوية وكرر القول بحبته للجناب الكريم وقال إنه اخي وعزفت الموسيقى بسلام الحضرة الخديوية مراراً كان آخرها في آخر مدة المؤتمر بناحية خرسيتيانا من

مملكة النرويج فكنا نقوم في اثناء السلام مؤدين شعائر التعظيم والاحترام وانتهى المؤتمر والمأمورية بحمد الله على خير وكل واحد من معنا في غاية الاستقامة والكمال وانتظام الأحوال والمحافظة على شعائر ديانته وحكومته وهيئاته وملابس بلاده واقامة صلاته داعين للخدو الأعم نشرين لمدايمهم وقد أخذنا في الرجوع الى الوطن العزيز ووصلنا الى ناحية "جوتنبورج" ومنها توجه اليوم ان شاء الله الى "كوبنهاج" الى "برلين" الى "ويانة" الى "تريستا" الى "برنديزي" الى "اسكندرية" ناذرين بعض الصدقة والصلاة والسلام على النبي عليه الصلاة والسلام اذا حظينا بتقبل يد جناب خديونا المعظم ولي الإلعام وإلقاء ساداتنا واخواننا واحبابنا الكرام فك

عبدالله فكري

في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩

﴿ السفر من جوتنبورج الى كوبنهاج ﴾

بارحنا اليوم يوم الجمعة ١٣ سبتمبر سنة ٨٩ مدينة جوتنبورج والساعة عشرة و١٥ دقيقة صباحاً والطرق في غاية الازدحام وليس في المحطة ولا ما جاورها ما يسع قدماً والرصيف ممتلئ بالمعتبرين من الأهالي والجميع أتوا إوداع الأعضاء وما فارق الواوور المحطة حتى علت الأصوات وارتفعت المناديل والقبعات إشارة الى الوداع فسرنا بين خضرة ونضرة ومناظر تأخذ بالالباب متعبين من الغرب الى الشرق ثم منه الى الجنوب الغربي بحسب اتجاهات السكة الحديدية حتى وصلنا مدينة "هلمستاد" بعد اربع ساعات وربع من مسيرنا فوقنا بها نحو الساعة اكنا فيها على الطراز الوطني مالد وطاب

ثم سرنا منها متجهين صوب الجنوب بموازة البحر حتى وصلنا الى "هلسنبورج" بعد مسيرنا من هلمستاد مسافة نقل عن ثلاثة ساعات وهلسنبورج هذه مدينة عظيمة سكانها ١٥٢٠٠ نسمة قائمة على البحر تجاه الدانيمارك يفصلها بوغاز سوند عن مدينة "هلسنبورج" من مدن الدانيمارك على الشمال الشرقي من جزيرة "سيلان"

ووجدنا بهلسنبورج عربات مخصوصة تنتظرنا فنقلت من في القطار من المحطة الى الميناء في بعض دقائق والأهالي منتشرة في الهطة وفي الميناء تبدي اشارات السلام والوداع فركبنا وابورات البحر وسرنا في البوغاز المذكور مسافة عشرين دقيقة في وقت لم يكن ألطف منه اذ السماء مصحبة والرياح هادئة حتى وصلنا الى مدينة "هلسنبورج" الزاهرة ذات التجارة الوافرة

فركبنا منها وابور البر وسرنا والساعة ٧ و٤٥ دقيقة مساءً قاصدين كوبنهاج مارين على قصر "فريدنسبورج" دون ان نراه لظلام الليل ولكن أفهمنا بجهته من كان معنا من اهل البلاد وافادنا انه عمل اقامة ملك الدانيمارك في فصل الصيف وان به وقت مرورنا امبراطور روسيا والبرنس ده جال وملك اليونان مع نساءهم بنات ملك الدانيمارك وان الجميع اعتادوا الاجتماع كل سنة نحو شهر بهذا القصر في هذا الأوان في ضيافة ملك الدانيمارك

ثم استمر بنا السير حتى وصلنا كوبنهاج والساعة ١٠ من الليل فنزلنا بفندق "ملك الدانيمارك" الذي كنا نزلنا به عند قدومنا الى السويد ونزل معنا فيه حضرة المسيو شيفر والبارون ده كريبز والأستاذ الفاضل مدحت افندي وغيرهم من الاعضاء

وبقينا بكونهاج اليوم التالي للاستراحة ثم خرجنا ليلاً نتفرج بانحاء المدينة
ومنا صاحبنا المسترليون صاحب الطريقة المعبائبة التي ذكرناها فدخلنا المكان
المسمى "تغولي"

وهو بستان عظيم في غابة الانتظام به كثير من محلات القهاري والجمعة
والاكل واللياترات وضروب اللعب فمشينا بأنحاء حتى وصلنا الى العوبة
مسماة "مونتاني رونس" اي الجبال الروسية وهي عبارة عن عربة تسع
سته اشخاص وتسير على قضيبين من الحديد من مرتفع الى منخفض ومنه الى
مرتفع ثم ترجع الى المنخفض ومنه الى المرتفع وتستمر هكذا مدفوعة في النزول
وفي الصمود بمحركات ميكانيكة يساعدها على السرعة عظم الانحدار وهي
مع ذلك في الاثناء تدور على نفسها دَوَرَاتٍ متعدده الى اتجاهات مختلفة فلما
رأيناها ولم نكن نعرف حالها قال لنا صاحبنا المذكور هل تريدون اختبار هذه
اللعوبة وكنت رأيت امرأة وزوجها جالسين بالعربة فاستسملت أمرها لذلك
ونزلت معها ونزل معنا رابع فحرك الموكل بها آلة فنزلت تهوي بنا الى المنخفض
مع اعوجاجات وحركات في غاية السرعة ونهاية الشدة تمثل سير العربات التي
لا عجل لها بجبال الروس الثلجة ومن ثم كان لها الاسم المتقدم فصرت استغيث ولا
مغيث واستعين ولا معين واصرخ ولا سامع وانا ادي ولا مجيب ممسكاً بمواجز
العربة القليلة الارتفاع بغاية ما بقي عندي من رمق الحياة وعشم النجاة حتى
انقطع الأمل وخاب الرجاء وايقنت بالهلاك وتخيَّلت ان هذا الزمن القليل مقدار
سنين طوال ولكن اسعفنا الله بالفرج وفرغت اللعبة بعد ان بلغت الروح
الحلقوم ووقفت العربة فنزلت منها كالسكران لا أعِي ولا اسمع ولا أبصر

ولا اتمالك نفسي من شدة ما اصابني فاستندت الى جدار حتى افقت بعض الشيء ثم ساعدني من معي في المشي حتى وصلت الى أقرب قهوة فمكثت بها زمناً طويلاً الى ان استرحت ورجعت لي نفسي وزال بُؤسي كل هذا وصاحبنا المستر ليون يعتذرو ويتأسف ويندم ولكن لات حين مندم ولسان حاله يقول قبح الله ألعوبك التي بها أشرت فاقبل اللوم عليها وألحقها يا صاحبي بطريقتك في المجيء فانها سواء

﴿ من كو بنهاج الى ستتين ﴾

لما كان صباح يوم الاحد ١٥ سبتمبر سنة ٨٩ ودّعنا من بقي معنا بهذا البلد من اصحابنا في المؤتمر ومنهم حضرة صاحبنا الفاضل مدحت افندي ثم خرجنا للفسحة في ضواحي المدينة ومنزهاتها الى قرب الساعة الثالثة بعد الظهر وكنا أوصينا بامتعتنا ان تحضر الينا على الرصيف المعد لسفر الوابورات فاتينا قبل الوقت المحدد للسفر بقليل ووجدنا الأمتعة حاضرة فانزلت الوابور ونزلناه وسرنا من كو بنهاج في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر فاصدين ستين ومنها الى برلين وكان صاحبنا المسيو بيلجر احد اعضاء المؤتمر وهو من موظفي قنصلاتو المانيا بسلانيك قد وعدنا قبل انفضاض المؤتمر ان ينتظرنا في برلين ليفرجنا عليها تفضلاً منه وقياماً بحق الصعبة وواجب المحبة

وهذا الوابور الذي نزلنا به يبلغ حجمه نحو ضعفني وابوراتنا النيلية فان مسافة السفر فيه طويلة بالنسبة الى غيرها اذ هي نحو ست عشرة ساعة وهو سريع السير منتظم المحال تام الزخرفة والزينة مستوفي اللوازم فسار بنا في بحر البلطيق والهواء

معتدل والسماء مصحبة فكنا نتمشى بسطحه تارة ونلعب الشطرنج مرة حتى آن وقت العشاء فاكلنا على اشتها تام مآكل لذیذة تامة النضج متعددة الألوان ثم خرجنا للفسحة وبعد ذلك أخذنا نقرأ كتب الأدلة لنستفيد منها معرفة الأماكن التي سنمر عليها حتى آن وقت النوم فقمنا بأحسن الأسرّة على أكمل راحة وكنا أوصينا الخادم ان يوقظنا عند طلوع الفجر لئرى مدخل ستين ومصب نهر "أودر" القائمة عليه المدينة فقد دانا كتاب الدليل ومن تعرفنا به أثناء السير على أن ما بين مدخل مدينة ستين من جهة البحر وبين المدينة المذكورة من البحيرة العذبة والنهر المستمدة منه المشرقة عليه هذه المدينة هو من أحسن ما يتفرج عليه

وعند ايقاظ الخادم لنا صعدنا الى سطح الوابور واذا نحن في مدخل البحيرة من جهة البحر يكتنف هذا المدخل جزيرتان احدهما من جهة اليمين تسمى "أوزيدوم" والاخرى من جهة اليسار تسمى "قولين" بينهما فرجة تدخل منها السفن وعليها استحكامات متينة لحماية هذا المدخل وهناك فنار لدلالة السفن فأعجبتنا هذه البحيرة العذبة على اتساعها ونضارة شواطئها واخضرارها واستمر بنا المسير فيها ساعتين ثم دخلنا النهر وهو وإن كان أقل من البحيرة اتساعاً لكنه يسع السفن الكبيرة الكثيرة فأخذنا نمتع النظر بالبساتين اللطيفة والأشجار الظرفية المغروسة بجانبه والمواني المعتبرة والقرى المشيدة المقامة عليه وكلما استمر السير زاد المنظر حسناً ورونقاً وبياء حتى وصلنا في ساعتين أخريين الى مدينة ستين والساعة سبعة وثلاث من صباح يوم الاثنين ١٦ سبتمبر سنة ٨٩ وستين هذه عاصمة إقليم بوميرانيا من أعمال المانيا وكانت مملوكة للسويد

من سنة ١٦٤٨ الى سنة ١٧٢٠ وهي قائمة على نهر "أردز" المذكور وميناء مهم في التجارة بالنسبة لسائر بلاد ألمانيا الوسطى فتدخل اليها السفن الكبيرة من سائر انحاء العالم جالبة اليها أصنافاً كثيرة من الحاصلات منها زيت الغاز والأنبذة الفرنسية والشحوم والأسماك المسماة "هاران" ولها سفن خاصة بها يزيد عددها على ١٩٠ سفينة تأخذ منها مع غيرها من السفن التي تأتي من الخارج الحبوب والمشروبات الروحية فتوصلها الى غيرها من البلاد هذا فضلاً عما يهذه البلد من المعامل والمصانع الشهيرة لعمل السفن والمكينات وغيرها وسكانها تبلغ نحو المائة ألف نسمة

فأرسلنا امتعتنا الى محطة السكة الحديدية وهي تبعد عن الميناء ثم ركبنا عربة جلنا بها في بعض الشوارع المهمة من هذا البلد حتى جاء وقت قيام الوابور فركبناه ولم تبلغ مسافة مكثنا بها غير ساعة واحدة اذ كان قيامنا منها والساعة ثمانية وثلاث من صباح اليوم المذكور



❖ السفر من ستينين الى برلين ❖

سار بنا الوابور في أماكن خصبة وأرض نضرة وجبال وأنهار وأودية وأشجار واستمر سيره مع مسافة وقوف المحطات ثلاث ساعات قطعنا فيها ١٣٤ كيلومتر فوصلنا برلين والساعة ١١ و ٢٠ دقيقة قبل الظهر



ست ساعات في برلين

بوصولنا الى المحطة وجدنا في انتظارنا بها صاحبنا المسيو بيلجر فركبنا عربة وجلنا في أهم شوارع هذه المدينة ثم تغدينا في إحدى محلات الأكل بالشارع المسمى "أونتردين ليندن" وبعد الغداء ركبنا السكة الحديدية الخاصة بهذه العاصمة فنفرجنا بواسطتها وبعربات معتادة ركبناها أيضاً على بعض جهات المدينة حتى قرب وقت قيام الوابور وها أنا أذكر ما شاهدته في هذه المدينة العظيمة مع بعض ايضاحات متعلقة بها أخذتها من كتاب الدليل :

برلين هي عاصمة مملكة البروسيا ومقر إمبراطور المانيا يبلغ عدد سكانها مليوناً ونصفاً فلذلك كانت ثالثة مدن أوروبا أهمية

وهي قائمة على نهر "سبريه" تتصل بواسطته وبواسطة السكك الحديدية التي تنفرع منها الى جميع الجهات وهذا مما جعلها أول مدن المانيا وهي من أهم مدن العالم في الصناعة والتجارة ففيها المصانع والمعامل العظيمة لعمل الماكينات وضروب المنسوجات من القطن والصوف والحرير فضلاً عن معامل الجعة والصباغة والملبوسات المجهزة والحليّ وادوات الزخرفة بسائر أصنافها وعن تجارة الحيوانات والحبوب والمشروبات الروحية وغيرها وعن أعمال البنوك والصرافة مع ما يتبعها من عمليات النقود والأوراق التي هي في غاية الرواج والاتساع

ومسطح المدينة اليوم (سنة ١٨٨٩) ٦٣١٠ هكتارات وهي كل يوم في اتساع وبعد ان كانت قاصرة على جزيرة صغيرة بنهر سبريه التي عليها القصر الملكي الآن أخذت تمتد ذات اليمين وذات اليسار وجهة الشمال وجهة الجنوب حتى بلغت هذا المبلغ من انتظام الطرق واتساع الشوارع وإيقان العمارات مع

ارتفاعها وزخرفها وزينتها ولا شك أنها تزداد في الاستقبال عمارة واتساعاً وتحسيناً وتشيداً ما دامت هم أهلها متجهة إلى هذا القصد منصرفة إلى هذا السبيل

وبها من طرق المواصلات في البر والنهر من السكك الحديدية والعربات العادية وعربات الترامواي والسفن النهرية ما يعين على تقدمها في ما ذكر وأهم أجزائها وأكملها وأبهجها وأجملها "أونتردين ليندين" أي شارع أشجار الزيزفون المتقدم ذكره ويمتد فيها من الغرب إلى الشرق مبدأه الميدان التالي لباب براندبوزج ومنتهاه إلى القصر الملوكي

وهو من أحسن شوارع أوربا غرس بكل من جانبيه صفات من أشجار الزيزفون والبلوط كما بُني بكل منها القصور الفاخرة والدور العامة والمساكن المشيدة المتجاورة تحتها الدكاكين المنتظمة المزينة المزخرفة وتفرعت من كل جهاته شوارع على مد البصر تخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب مع اتساع هذا الشارع وطوله بحيث يبلغ عرضه ستين متراً وطوله ألفاً وخمسمائة متر

وباب براندبوزج قائم في أول شارع الزيزفون من جهة الغرب بينه وبين منزله "تيرجارتن" الواقع غربي هذا الباب

وهذا الباب بناء مرتفع ذو خمسة فتحات تفصلها عن بعضها عمد شامخة بني من سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٧٩٣ على طراز أبنية أثينا القديمة ارتفاعه ٢١ متراً وعرضه ٦٢ متراً ونصف متر وفتحة الوسطى مخصصة بمسير العربات الملوكية فيبلغ اتساعها خمسة أمتار وستين سنتيمتر بخلاف باقي الفتحات فإنها لعموم الناس ولا يزيد اتساعها عن ثلاثة أمتار وثمانية سنتيمترات وبأعلاه رسوم مجسمة

ناتئة في الحجر تمثل النهر والظفر

وبين هذا الباب وشارع الزيزفون ميدان مربع يسمى "باريزر بلاس" ومعناه ميدان باريس بجوانبه قصور كثير من العظماء ويأخذى جهاته دار السفارة الفرنسية

ومن الأبنية القائمة بجانبى شارع الزيزفون مينة ويسرة سراي "الكونت ريدرن" وهي تشتمل على مجموعة رسومات حديثة وقديمة وعلى كثير من الصور المجسمة ومنها سراي ديوان الداخلية ومنها الهل المسمى "أكوازيوم" وهو بناء مشيد صنع فيه كثير من المغارات الصناعية ومحلات الطيور وحياض المياه جلبت اليها الاسماك التي تعيش في الماء الحلو فوضعت في ماء عذب والتي تعيش في البحار فوضعت في ماء ملح كل منها يصل اليه البخار بواسطة أنابيب فيجعل حرارة الماء فيه بالدرجة المعتادة لهذه الحيوانات في مواقعها الطبيعية وكذلك جلبت الطيور بسائر انواعها واصنافها الى محلاتها فيه كما أحضر اليه كثير من الحيوانات البرية وحشية وغير وحشية ومنها بعد هذا البناء "قيصر جاليري" اي السوق الامبراطوري وهو بناء مرتفع صار تشييده من سنة ١٨٢٩ الى سنة ١٨٧٣ في داخله كثير من الدكاكين والقهوي ومحلات الطعام التي اكلنا فيها احدها كما تقدم وبهذا السوق الهل المسمى "بانونيكوم" وهو اشبه شيء بمجل مادام نوسو الذي سبق ذكره بلنדרه فيه صور كثير من مشاهير الأمراء والعظماء مجسمة بالشمع خصصت إحدى قاعاته بصور الملوك بلباسها الرسمية فرأينا فيها صورة الخليفة الأعظم مولانا السلطان عبد الحميد خان ومعه فيها اميراطور روسيا وملك هولانده وامبراطور النمسا وملك ايطاليا وامبراطور المانيا وملك ساكس

وملك بافاريا والبالايون الثالث عشر وفي قاعة أخرى رأينا صورة الپرنس بسمارك
والمارشال دهمولت في أخرى مؤتمر برلين على حالة اجتماعه بها وفي أخرى
امپراطور المانيا على حالته المنزلية تحيط به امرأته الامپراطورة واولاده وفي أخرى
ملكة انجلترا وامپراطورة الهند والپرنس ديهال بجانبها وزوجة امپراطور المانيا المتوفي
الى غير ذلك من مشاهير الرجال في الحرب والسياسة والخطابة والكتابة ومجالس
النيابة وبهذا الحل سوسى ما ذكر قاعات بها بعض الآثار المحققة منها الآلة
”جيليوتين“ التي قطعت بها عنق ملك فرنسا وعنق الملكة امراته مدة الاختلال
الفرنساوي

وبمناسبة هذا الحل اذكر هنا محلاً آخر تفرجنا عليه بمعرفة صاحبنا بلجر ولكن
لست متحققاً الآن أنه تابع لهذا الحل أولاً وإن كان يغلب على ظني أنه تابع له
وقد سمّاه لنا ”جاردان ديروز“ وترجمته بستان الضلال وهو عبارة عن محل
يُصعد اليه بسلم يوصل الصاعد الى قاعة متسعة جداً سقفها وجميع جدرانها مراباً
بها كثير من الأزقة المعوجة ذات الاوضاع المختلفة فيرى الانسان فيها نفسه في أي
جهة منها مرات متعددة يبلغ عددها ثلاثمائة مرة بحيث تجعله هذه المناظر مندهشاً
بما يراه حائراً بما يشاهده ضالاً طريقه الذي سلكه أولاً فيستحيل عليه الرجوع
الى باب القاعة والخروج منها الا إذا دله احد من القائمين بشؤونها وهذا الذي
جعلها تسمى بستان الضلال

هذا وباخر شارع الزيزفون المذكور تمثل ”فريدريك الاكبر“ مجسماً منقّناً
وبعد ”ميدان الأوبرا“ مبتدأ من مكان هذا التمثال على اتجاه الشارع
المتقدم حتى كأنها واحد وبكلى من جانبيه الابنية المعبرة والسرايات الفاخرة

”كسراي الامپراطور غليوم الاول“ والكتبخانة الملوكية ”والأوپرا“ وكنيسة
سانت هيدونيخ ”والمدرسة الجامعة“ ومحل الحرس الملوكي ”الى غير ذلك
اما سراي الامپراطور هذه فهي التي مات فيها غليوم الاول في ٩ مارث
سنة ١٨٨٨ وقد بنيت من سنة ١٨٣٤ الى ١٨٣٦

واما الكتبخانة الملوكية وقد بنيت من سنة ١٧٧٤ الى سنة ١٧٨٠ فتشتمل
على مليون مجلد منها خمسة عشر الفا بخط اليد فيها كثير من بدائع الآثار وغرائب
النوادر التاريخية

واما تياتر الأوپرا وقد صار بناؤه سنة ١٨٤٣ بدلاً من المحرق قبله المبني
سنة ١٧٤٢ فيسع ١٨٠٠ متفرج

واما المدرسة الجامعة فكانت قبل قصر آلبرنس هنري اخي فريدريك الثاني
ناه منذ مائة واربعين سنة ويدرس الآن فيها لنحو خمسة آلاف من التلامذة
وبالقرب من الأوپرا ”قصر الامپراطوره فريدريك“ وتجاه هذا القصر
”متحف الأسلحة“ يحتوي على كثير من الأسلحة النارية والبيضاء قديما وحديثها
مرتبة على حسب التواريخ كما أنه يحتوي على الأعلام والمدافع التي أخذها
الالمانيون من اعدائهم في حروبهم وانتصاراتهم وهو محل في غاية الاتساع ونهاية
حسن الترتيب

ثم اذا اجتاز الانسان ميدان الأوپرا هذا وتخطى النهر وصل الى ميدان
”لوسنجارنن“ وهو ميدان فسيح تظله الاشجار عرضه مائتا متر وطوله مائتان
وخمسون في وسطه تمثال فريدريك غليوم الثالث مجسماً وبجوانب هذا الميدان
القصر الملوكي والكنيسة الكاتدرائية وهي أهم كنائس المدينة والمتحف القديم

اما القصر الملوكي فقد انشأه فريدريك الثاني ثم تجدد وصار توسيعه مرات عديدة في تواريخ مختلفة بعده وهو ذو طبقات أربعة طوله مائتا متر وعرضه ١١٧ وارتفاعه ٣٠ ويشتمل على أماكن عديدة كلها في غاية الزخرفة ونهاية الزينة ولا غرو فإنه كان مقر ملوك بروسيا والآن مقر امبراطرة المانيا

واما " المتحف القديم " فبناء عظيم على الطراز اليوناني القديم بوجهته ثمانية عشر عموداً يوصله الى المتحف الجديد على بعد منه ممشي وما يشتملان على كثير من الآثار القديمة المتعلقة بالقرون الوسطى وما بعدها وما قبلها وعلى رسومات كثيرة من صنع أساتذة هولانده وإيطاليا وغيرهم من البلاد الأجنبية ومن صنع الاساتذة الألمانين المتقدمين وعلى عددٍ وافرٍ من التصاویر المجسمة من صنع الألمانين وغير الألمانين مما جعل هذا المتحف يباهي أكبر المتاحف في الاتساع وغزارة المواد وحسن الترتيب

وفي جهة الجنوب من شارع الریزفون المتقدم ذكره خلف ما هو مشرف عليه اعظم أقسام المدينة نظاماً واكثرها حركة واتجاراً وهو قسم " فريدريخشتات " واهم شوارعهم " فريدريخشتراسه " و " ويلهلمشتراسه "

اما " فريدريخشتراسه " اي شارع فريدريك فهو اطول شوارع المدينة الأصلية فان طوله يبلغ ٣٣٠٠ متر

واما " ويلهلمشتراسه " اي شارع غليوم فمبدأه من جهة ميدان باريس المتقدم متجهاً نحو الجنوب وانتهاه الى ميدان الاتحاد حيث انتهاء شارع فريدريخشتراسه السالف ذكره ايضاً

ويحتوي القسم الشمالي من شارع غليوم هذا على ما لم يحتو عليه غيره من

القصور المهمة والسرايات الفاخرة ففيه سراي سفارة انجلترا وبها السيراواردمالت
السفير وقد كان قنصل انجلترا الجنرال بمصر ايام الحوادث المراهية وفيه ديوان
الخاصة الامبراطورية ثم ديوان رئيس الوزراء ثم ديوان الحفانية ثم قسم من اقسام
نظارة الخارجية ثم سراي الپرنس بسمارك وسراي الپرنس دة پليس الى غير ذلك
من القصور والسرايات العظيمة

وبالقرب من هذه الجهة "ليپتسيخستراسه" اسم شارع ليپزيخ وطوله
١٥٠٠ متروا انتهاؤه الى ميدان بوتسدام ويضاء قسم كبير منه بالكهرباء وبهذا
الشارع سراي إدارة عموم البوستة وقد بنيت من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٣
وتشتمل على متحف يتعلق بشؤون البوستة وما استعمل في المراسلات قديما وحديثا
عند أم العالم مع رسومات مكاتب البوستة المستعملة الآن بألمانيا واصناف من
آلات التلغراف والتليفون والفونوجراف

وبهذا الشارع ايضا سراي ديوان الحرية وسراي مجلس النواب "ريخستاخ"
وبالقرب من هذه سراي مجلس الاعيان "هرنباؤس"

"وميدان بوتسدام" الذي ينتهي اليه شارع ليپزيخ المذكور كان في السابق
جزءا من الضاحية المسماة بوتسدام من ضواحي برلين وهي الآن قسم من اقسام
المدينة يهواه الأغنياء وكبار موظفي المملكة فسادوا فيه القصور الشامخة والابنية
الباذخة

وعلى مسافة نحو عشرين دقيقة من هذا الميدان بستان النباتات المعدود من
أحسن بساتين اوروبا في نوعه

اما "ميدان الاتحاد" الذي تقدم ان شارع فريدريك وشارع غليوم ينتهيان

اليه فهو الآن بستان في وسطه عمود معروف بعمود السلم "فريدنسويله" وضع اساسه في سنة ١٨٤٠ لما استمرت الدولة قبل تأسيسه ٢٥ سنة وهي في سلم وعدم حرب

هذا وما يستحق الذكر في القسم الشمالي من برلين على ما بهذا القسم من كثرة الآثار "قصر مونيجو" ويشتمل على متحف "هونسورن" نسبة الى العائلة الملوكية بالمانيا وهو يحتوي على الآثار التي تتعلق بهذه العائلة وبهذا المتحف قاعة تعرف بقاعة الامبراطور غليوم والامبراطورة أوغستا وفيها عدة صحف شكر وثناء رفعها الالمانيون الى الامبراطور غليوم المشار اليه وفيها ايضا الترايزة التي أمضى عليها نابليون الثالث في سراي سان كلو اعلان حرب سنة ١٨٧٠ وقاعات أخرى بها اشياء كثيرة من الآثار احداها فيها صور العلماء وأخرى صور كبار أمراء الجيوش وأخرى صور أعضاء العائلة الملوكية وأخرى نياشين نابليون الأول وكثير من أمتعته التي أخذت منه في واقعة واترلو الى غير ذلك من الاشياء في باقي القاعات وما يستحق الذكر ايضا "الميدان الملوكي" ويتوصل اليه من طريق يسمى طريق السلم على مقربة من باب براندبورج المتقدم وهذا الميدان من أحسن أماكن برلين به البساتين وفسافي المياه وفي وسطه عمود يعرف "بعمود النصر" مقام من الحجر والبرونز ارتفاعه احد وستون متراً ونصف مرسوم عليه حرب الدانيمارك في جانب وواقعة صاذوا في جانب وواقعة سيدان في جانب ودخول الجيوش سنة ١٨٧١ في جانب وهو من الآثار البديعة

وعلى يمين هذا الميدان سراي جار بناؤها برسم المجالس النيابية يظهر انها ستكون من أعظم سرايات برلين نظراً لزيادة الاهتمام بأمرها وانفاق الأموال

اطالة في سبيل تشييدها وتحسينها

ومما لا بد من ذكره ولا سبيل الى تركه منتزه "تيزجارتين" الواقع غربي
لب براندبورج يحده "نهر سنيريه" من جهة الشمال وقسم "بوتسدان" من جهة
الجنوب وهو احسن منتزهات برلين واكثرها تردداً من الناس اليه واقبالاً منهم
عليه فإنه في غاية الاتساع طوله ١٨٥٠ متراً وعرضه يختلف بحسب جهاته بين
٧٥٠ وبين ١١٠٠ وانه لروضة غناء وحديقة فيحاء أُبقي فيه كثير من الآثار
الخلقية في كثير من مواضعه فزاده ذلك جمالاً وبهاء والطريق الذي يسلكه
المتنزهون فيه اكثر من غيره لاتساعه وحسن مناظره طريق يسمي طريق النصر
يقسمه شطرين من الشمال الى الجنوب

ومما ينبغي ذكره ايضاً السكة الحديدية المختصة بهذه العاصمة "شتادبان"
المجمولة لتسهيل المواصلات فيها وهي تخترق المدينة كلها مرتفعة عن أرضها ستة
أمتار أو سبعة ففجتاز النهر بها مع اعوجاجاته وتربخنادق الاستحكامات القديمة
وقد صار ردمها من أجلها وبياقي نواحي المدينة على جسور وقناطر شيدت وأحكم
بناؤها على حسب الارتفاع الذي ذكرناه حتى لا تضر المارة بأرض المدينة ولا
المساكن ولا ساكنيها بأي حال وانتهى العمل فيها بشهر فبراير سنة ١٨٨٢ بعد أن
بلغت مصاريفها ٧٥ مليون مارك ولا بدع في ذلك بعد العلم بارتفاعها المذكور
مع ان طولها يبلغ أحد عشر كيلومتر ونصفاً منها ثمانية تقريباً جسور وقناطر من
البناء و ١٨٠٠ متر قناطر وجسور من الحديد و ١٧٠٠ متر صار ردمها بعد أن
كانت حفائر منخطة وجملة القناطر بها سبعة وستون منها اثنتان كبيرتان وخمس
وستون فنطرة صغيرة وعدد محطاتها إحدى عشرة منها أربعة للمواصلات الخارجة

عن العاصمة وباقيها لمواصلات العاصمة وحدها
فركبنا من محطة صادفناها من محطات هذه السكة حتى وصلنا الى أقرب
نقطة للمحطة التي سنسافر منها الى ويانه ثم ركبنا عربة الى المحطة المذكورة وبها
ودّعنا صاحبنا بليجر اذ انه كان معنا من حين أتينا برلين الى هذا الوقت ثم
ركبنا وابور السكة الحديد الى ويانه عاصمة النمسا



✽ من برلين الى ويانه ✽

قمنا من برلين والساعة خمسة ونصف بعد الظهر من يوم الاثنين ١٦ سبتمبر
سنة ٨٩ واستمر بنا السير بين أودية وانهار وجبال وأشجار وأزهار ورياض وغياض
ومدن سامية ومبانٍ عالية واصلين الليل بالنهار حتى وصلنا ويانه والساعة ٩
صباحاً من اليوم التالي يوم الثلاثاء ١٧ سبتمبر سنة ٨٩ بعد مسير خمس عشرة
ساعة ونصف

وفي اثناء السير مررنا بمدينة "جرُوسِنِهِن" الشهيرة بعمل الجوخ وتبلغ سكانها
١١٥٠٠ نسمة ثم بمدينة "دريسدين" عاصمة مملكة ساكس من ممالك المانيا ومقر
حكومتها من قرون مضت وسكانها يبلغ عددهم ٢٤٦٠٠٠ نسمة وهي قائمة على نهر
إلْب يقسمها الى قسمين متساويين فوقنا بمحطتها بعض دقائق واقل بعدها الليل
واستمر السير حتى وصلنا الى مدينة "نُتشن" بعد مسيرنا من برلين بخمس ساعات
وهي اول بلاد النمسا تنتهي الى جهتها حدود المانيا فصار تفتيش الأمتعة بمحطتها
مع غاية الملاحظة واستمر بنا السير حتى وصلنا الى مدينة پراج عاصمة بوهيميا
القديمة وتبلغ سكانها مع ضواحيها ٢٥٥٠٠٠ نسمة لطيفة المناظر ناضرة الضواحي

عامرة الأطراف والنواحي منعنا عن التمتع بمناظرها اقبال الليل واسدال ثوب سواده الحالك

فاخذ الواوور بعدها في السير ونحن نيام حتى اصبح الصبح فمتعنا الطرف بالمرائي البهجة والمشاهد التي تأخذ بالبهجة والمياه الفزيرة والمدن الفسيحة الكثيرة حتى وصلنا الى ويانه في الميعاد الذي ذكرناه

فتركنا أمتعتنا بالمحطة بعد ان طلبنا من مستخدمينا نقلها الى المحطة الأخرى التي يسافر منها الى تريبته اذ عزمنا على السفر اليها هذه الليلة ثم ركبنا عربة وطفقنا نجول في انحاء مدينة ويانه مبتدئين بمحل بيت كوك لأخذ بعض اوراق منه واستعلامات



﴿ عشر ساعات في ويانه ﴾

بعد ان قضينا ما أردناه من محل كوك توجهنا الى فندق "ميتروپول" اذ أخبرنا وكيل المحل ان الجناب القنيم صاحب المقام السامي ولي عهد الخديوية المصرية اذ ذاك وهو الآن خديونا الانغم التحلي باسمه الكريم هذا الكتاب ومعه صاحب السمو اخوه الماجد حضرا من سياحتهما بأنحاء اوروپا مدة إجازتهما المدرسية السنوية ونزلا اليوم في الفندق المذكور يستعدان لدخول مدرسة "تريزيانوم" الجامعة الشهيرة بويانه

فحظينا بشرف المشول بين يديها ونوال سني التفاتهما وكال سمي تعطفانها وكان بعيتهما سعادة عبد الرحمن باشا رشدي سر تشريفاتي خديوي وقت ذاك وحضرة احمد شفيق بك من موظفي السكرتارية الخديوية في ذلك الوقت

وعرضنا عليها عزمنا على مبارحة هذه المدينة في هذا المساء الى ترسينه ومنها الى الاسكندرية واستأذناها وانصرفنا متشكرين داعين بعد ان شرفانا بمأمورية عرض واجباتها على الحضرة الفخيمة الخديوية

وسرنا نجول في أنحاء ويانه ونترج على شوارعها وميادينها فأعجبنا انقائها وادهشنا تمام نظامها وانشرحنا بلطف زينتها وحسن أبنيتها وتشيدها وتزيينها وابتهجنا بما شاهدناه من الحركة في طرقها وانتشار التجارة في سائر أطرافها واستحسننا اتساع شوارعها خصوصاً الشارع الكبير المسمى "رينجستراسيه" وهو يحيط بالمدينة القديمة جعل محل خنادق الاستحكامات التي كانت تحيط بها قبلاً على شكل شبه دائرة جزء من محيطها بمجهة الشمال رصيف متسع على كنال الطونة يُعرف برصيف فرنسوا جوزيف تُشرف عليه الأبنية المشيدة والعمارات العديدة وعرض هذا الشارع ٥٧ متراً وطوله ٣٨٠٠ متر

ولكل قسم من أقسام هذا الشارع اسم يميزه عن غيره فابتدأنا في المرور به من جهة الطونة الى الجنوب من قسمه المسمى "شوترنج" فوصلنا الى دار للفقراء بناها الامپراطور فرنسوا جوزيف على مصاريفه في موضع تياتر رنج الذي احترق بتمامه في ديسمبر سنة ١٨٨١ ثم الى "سراي البورصة" وقد بنيت من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٧٧ وهي بناء مشيد له دهليز عظيم يوصل الى قاعة الاعمال التجارية الشهيرة بالاتساع والانقان وقد جعل في احد محلات هذه البورصة متحف تجاري جمعت اليه سائر الأصناف المجلوبة من الشرق بأطرافه حتى الصين واليابان وخصص محل آخر منها بالمطالعة واليه تجلب جميع صحف المشرق الخبرية ثم مررنا بهذا الشارع تاركين الطونة خلفنا فوصلنا الى قسمه المسمى

”فرأنسنسرنج“ الذي يحفه من الجانبين عمارات شهيرة صار تشيدها فيه حديثاً جعلته أعظم شوارع المدينة وابهجها

فعلى اليمين ”سراي المدرسة الجامعة“ تشغل محلاً رَحْباً جداً بها قاعات كثيرة للتدريس وقاعة كبيرة ارتفاعها ارتفاع طبقتي السراي معاً وبهذه السراي كتبخانة تحتوي على ٣٢٠٠٠٠ مجلد من أعظم الكتب وأثنائها وقاعة عمومية للمطالعة في غاية البهاء والزخرفة ويبلغ عدد طلبة هذه المدرسة ستة آلاف وبها من الأساتذة ٣٣٧ وقد اشتهر قسمها الطبي شهرة عظيمة في جميع أنحاء أوروبا ويتبع هذه المدرسة الجامعة الرصدخانة والمعمل الكيماوي وبستان النباتات والمتحف الباثولوجي ومدرسة الإلهيات ومحل التشریح

وبالقرب من المدرسة الجامعة هذه ”سراي بلدية المدينة“ أمامها ميدان مملوء بالنباتات اللطيفة والأزهار وهي سراي في غاية الرونق والانتظام بلغت مصاريف بنائها ١٥ مليوناً من الفلورينات مزينة بكثير من التماثيل والصور المجسمة يعلو بابها برج عظيم ارتفاعه مائة متر وبها من الداخل سبع رحبات الكبيرة منها محاطة بعمد في غاية الإتقان وأجمل قاعات هذه السراي وأهمها قاعة رئيس المدينة وقاعة اجتماع المجلس البلدي وقاعة الاحتفالات الشاهقة الارتفاع حتى إنها تساوي فيه ارتفاع طبقتي السراي وبها تماثيل عشرة من رؤساء بلدية ويانه السالفين وبهذه السراي كتبخانة أيضاً تحتوي على ما لم تحتو عليه غيرها من الكتب المختصة بويانه وبالنا آيف التياترية

وبالطراف الآخرة من الميدان المذكور تجاه المدرسة الجامعة ”سراي المجالس النيابية“ وهي من أعظم وأجمل مباني هذه المدينة وتنقسم الى قسمين قسم مجلس

الأعيان وقسم مجلس النواب وبداخل هذه السراي وخارجها كثير من التماثيل والصور المجسمة والأعمدة المتخذ كل منها من قطعة واحدة من الرخام الثمين وعلى الجدران في الداخل والخارج صور كثير من الحوادث التاريخية والوقائع الوطنية وبكل من القسمين قاعة مخصوصة بانعقاد الجلسات والقاعاتان متشابهتان في الاتساع والرونق والزخرف والزينة

وبالقرب من سراي المجالس النيابية سراي الحاكم ومن أهم ما فيها القاعة الوسطى وتمثال العدالة القائم بوسطها

ثم في قسم آخر من هذا الشارع "سراي المتاحف" وهي عبارة عن بناءين عظيمين مشيدين يفصلهما بستان فسيح بديع خض كل بناء منهما بقسم من الآثار وفي وسط ذلك البستان تمثال أقيم للإمبراطورة ماريا تيريزه سنة ١٨٨٨ وهو من أنقى وأحسن وأعظم التماثيل مثلت فيه مجسمة من البرونز جالسة فوق قاعدة من الرخام بحيث يبلغ مجموع ارتفاع القاعدة والتمثال ١٩ متراً ومثلت حواليها امراء جيوشها مجسمين راكبين خيولهم ولهماء الوقت ومشاهير الساسة فيه الجميع مجسمون بهيئاتهم وقت ذاك

وعلى هذا الشارع سراي "الأوبرا الملوكية" وقد بنيت من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٦٩ ومثلت بالزخارف وأحاسن النقوش وتسع من الداخل ٣٠٠٠ نسمة وكلها محلاة بالطلاء الذهبي

ولا زلنا سائرين بهذا الشارع بين اماكن مشيدة وعمارات عديدة اقامها الامراء واعضاء العائلات الملوكية واغنياء التجار حتى وصلنا الى "ستادبارك" اي منتزه المدينة وهو بديع في بابه يحتوي على ما وصلت اليه يد الانسان من

الزينة ونهاية الإتقان تهرع إليه الناس من كل مكان خصوصاً في أيام الصيف واشتداد الحر في المساء فيستنشقون نسيمه العطري وعرف زهره الندي ويفتنمون منظر ماء نهره البهي جالسين على كرسي هيئت لم بشاطئه وهذا النهر يسمى "ويانه" ويقسم هذا المنزه شطرين ويصب في كنال الطونه بقرب قنطرة "أشيرن"

وعند ذلك مبدأ رصيف فرنسوا جوزيف العديم المثيل بسبب الاتساع واللفظ والزخرفة والمتانة وبما اقيم عليه من الأبنية العظيمة وبوارف ظل اشجاره النظيمة فمررنا بهذا الرصيف الطريف الى شارع "رنجشتراسه" حيث ابتدأنا وما انتهينا من هذا الشارع العظيم حتى آن وقت الأكل فاكلنا في احد محلات الطعام فرأيناه في غاية النظافة والاتقان مع حسن الخدمة ومزيد اعتناء الخدمة

وبعد الأكل والاستراحة أخذنا نتفرج على ما لم نمر عليه من الأمكنة فمررنا بأماكن عديدة وميادين متسعة وشوارع رحبة وقصور شائقة ومن ذلك كنيسة "ستيفانسيكيرخه" الكاتدرائية وهي من أفخم مباني هذه المدينة وآثارها الشهيرة طولها مائة متر وثمانية وعرضها نيف وثمانون متراً وبها مائة تمثال مجسمة وثمانية عشر عموداً قطر الواحد منها ثلاثة أمتار تحمل قبابها الشاهقة وقد شرع في بنائها سنة ١٣٠٠ وتمت سنة ١٥١٠ وتجدد إصلاحها منذ عشرين سنة

وعلى مقربة منها دائرة صغيرة يحيط بها درابزين من الحديد بداخلها جذع شجرة قديمة مغطى كله بالمسامير يقال إنه جذع آخر شجرة من أشجار الغابة التي

كانت بهذا المكان قديماً سنة ١٥٧٥ وتنفد العامة أنها شجرة مقدسة
ونذكر بمناسبة كنيسة ستيڤانسيكزخه هذه برجها العظيم وهو برج يبلغ
ارتفاعه ١٣٦ متراً يتمتع الناظر منه بأبهج مناظر وياته وأزهي محالها وأبهى ضواحيها
على مسافات بعيدة

وبقرب ميدان هذه الكنيسة شارع "جراين" وهو من أحسن طرق وياه
وانظما بناء وأكثرها حركة وأهمها صقعاً وارغبها في السكنى والاقامة
وبقرب من هذا الشارع كنيسة سان ميشيل بتردد عليها للتعبّد في الاكثر
النساء وبها كثير من الصور الظريفة والزخارف اللطيفة

وبلي الأماكن المذكورة "السراي الامبراطورية" (بورج) وهي مسكن
امراء بيت النمسا الملوكي منذ القرن الثالث عشر للميلاد وتشتمل على عدة أمكنة
بنيت في ازمان مختلفة منها مساكن الامبراطور والامبراطورة وخزينة الامتعة
الامبراطورية والكتبخانه الامبراطورية وكنيسة خصوصية وبها عدة رحبات
فسيحة أهمها الرحبة المعروفة "برحبة فرنسوا" بها تمثال الامبراطور فرنسوا الثاني
محاط بصور أربعة مجسمه تمثل الدين والسلم والعدل والبسالة وأمام هذه السراي
من جهة شارع رنجشتراسه الذي ذكرناه آنفاً ميدان كبير جداً يفصل
بينها وبين هذا الشارع وبالجانب الأيمن من هذا الميدان "تمثال الپرنس اوجين"
وبالأيسر منه "تمثال الأرشيدوك شارل" ممسكاً بيده علماً كأنما يشير به الى جيشه
في واقعة "اسلن" "واسپرن" ولهذا الميدان من جهة الشارع المذكور باب في
غاية العظم وجمال الهيئه بني سنة ١٨٢٢ له خمس فتحات وبه اثنا عشر عموداً ضخمة
أما "الكتبخانه الامبراطورية" ففي غاية النظام والزخرفة تحتوي على

نيف وأربعمائة ألف مجلد منها عشرون ألفاً بخط اليد تشتمل على كثير من التحف وغرائب الآثار من ذلك مجموعة الكتب المشرقية الشهيرة التي جمعها البارون "هينريخ بوزجشتال" المتوفى سنة ١٨٥٦ فقد حوت كتباً ثمينة عديمة المثال ومن ذلك ما كتب على رقوق أرجوانية بحروف فضية وذهبية وما كتب على أوراق متخذة من القطن والكتان والتوت وشجر النخل ومن ذلك قطع عليها أشعار من أشعار قدماء الشعراء بخطوطهم وكذلك منشآت بخطوط أصحابها أيضاً من انشاء عظماء الكتاب المتقدمين ومن ذلك مصحف يشتمل على القرآن الكريم بتأليفه بخط واضح جميل في شكله ثمن الأضلاع ارتفاعه خمسة سنتيمتر وعرضه كذلك الى غير ذلك

وأما "خزينة الامتعة الامبراطورية" فمملوءة أيضاً بالتحف النفيسة والآثار المنيفة فمن ذلك علبة من الأبنوس بداخلها مفاتيح توابيت الامبراطورة السابقين المدفونين بكنيسة الكابوسين بمدينة ويانه ومن ذلك ساعة من أوائل القرن السابع عشر مهمة من حيث التاريخ ومن ذلك كأس من البلور محلاة بالحجارة الكريمة بدفعة الصناعة وكثير من الأواني الذهبية والفضية منها مملحة فاخرة جداً كانت صنعت لفرنسا الأولى ملك فرنسا ومن ذلك مجوهرات وحلى كانت تلبسها نساء العائلة الامبراطورية وتاج الامبراطور وردولف الثاني وصولجانه ومن ذلك مجموعة ألماس لا يقدر قدر قيمتها ومنها قطعة واحدة زنتها ١٣٣ قيراطاً وثلاث يقال انها سقطت من الملك شارل أثناء حرب فالتقطها فلاح وابعها بفلورينو واحد ومنها قلادة بها مائة وخمسون قطعة من الألماس وواسطتها قطعة زنتها ٤٢ قيراطاً ومن ذلك مجموعة نياشين فيها نشان واحد به ٥٤٨ قطعة من الألماس

الى غير ذلك من مرصعات الزمرد والياقوت ومن التحف التاريخية والآثار
الغريبة سيف يقال انه سيف هارون الرشيد

وعلى مقربة من الخزانة المذكورة "قاعة النقود القديمة والمصوغات
العتيقة" وفي احد اقسامها طبق عظيم من الذهب عليه شجرة النسب الامبراطورية
وفي غير هذا القسم كثير من النقود والأسلحة القديمة والغرائب الجيولوجية
والتاريخية وبدائع الحلي وأدوات الزينة وتماثيل معبودات اليونان القدماء
وتماثيل امبراطرة الرومان والبطالسة ملوك مصر وغيرهم من مشاهير أوروبا واسيا
وافريقية

ومن المباني العظيمة بوبانه ايضاً "قصر الأرشيدوك ألبرت" وقد بني من
نحو مائة سنة وفيه الكتبخانة الألبترينية المشهورة وهي تشتمل على نحو خمسين
ألف مجلد و ٢٤٠٠٠ خريطة ونحو ١١٧٠٠٠ رسم وصورة منها ١٤٤ تُنسب الى
رفائيل المصور الشهير إلا ان خمسين منها من صنعه بقيناً بخلاف الباقي

ومن مباني ويانه العظيمة ايضاً "كنيسة الكابوسين" وسراي المالية
وكانت قبل مسكناً للبرنس أوجين و"سراي الدوك كوبورج" و"دار المطبعة
الامبراطورية" والسراي المعروفة "بقصر سينا" وهي من اقدم مباني ويانه و"كنيسة
مار ياشينجن" وهي من اجمل المباني القديمة والسراي المسماة "هراخ" وبها نحو
اربعمائة صورة من أجمل وأبدع الصور ثم "دار البنك الأهلي" الى غير ذلك من
الآنية المشيدة والمحلات الفاخرة

وقد صارت ويانه بما شيد فيها من المباني حديثاً معدودة الآن من أعظم
مدن أوروبا الجميلة ولا غرو فإننا لم نعجبنا بعد باريس مدينة أبي وأزهي منها

وان فافتها لندره من حيث كثرة العماره وتعداد الألف والاتساع في التجارة
وويانه لم تصل الى ما وصلت اليه الا بصرف مبالغ طائلة على تحسينها
وتشييدها وتزيينها فازداد بذلك عمرانها وكثرت سكانها حتى بلغت في سنة ١٨٨٩
مليوناً ومائتي ألف نسمة ولم تكن كذلك من قبل بسنين يسيرة

ويحق ذلك لمدينة أعدّها الأهلون عاصمة بلادهم وساعدها على ذلك موقعها
الطبيعي من كونها على الطونة ماراً بها وكون نهر ويناة يخترقها صاباً بقرب قنطرة
أشپرن في الطونة

وليست عاصمة بلادنا بأقل أهمية بالنسبة إلينا من هذه العاصمة وموقعها
الطبيعي من كونها على النيل وكونها محفوفة بالأرض الحصبة مما يعين على جعلها من
أحسن العواصم

فياحبذا لو حصل الاعتناء بتجديد شوارع متسعة بأماكنها الباقية على
حالتها الأصلي من ضيق الطرق واعوجاجها وعدم تحسين المباني واتساعها
وتشييدها وارتفاعها وامتناع تخلل الشمس والهواء في سائر بقاعها فإنه لو خصص
بذلك قدر من النقود في كل سنة لصار الحصول على ما ذكر بسهولة مع توالي
الأيام وما يُصرف في هذا الأمر لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يترتب عليه من
المصالح الجمة والمنافع المهمة واتساع العماره وازدياد التجارة ووفور المدينة وتقدم
الصحة العمومية

هذا وقد قصدنا قبل مبارحة هذه العاصمة ان نتخرج على منتزهها العمومي
المائل لغابة بولونيا في باريس وتيزجارتين في برلين ومنتزهات لندره الفاخرة ألا
وهو منتزه "پراتر" فركبنا عربة وتوجهنا اليه

وهو حديقة فسيحة مساحتها ١٧١٢ هيكتاراً موقعها شرقي المدينة أعدّها الملك جوزيف الثاني لتنزه أهلها منذ سنة ١٧٦٦ يتوصل إليها من سائر شوارع المدينة خصوصاً من الشارع المنسوب لاسمها المسي شارع براتير المنتهي الى ميدان متسع منسوب الى اسمها كذلك يتفرع منه جملة طرق تخرقها أهمها ثلاثة الشارع الكبير "هويت أليه" وشارع المعرض "فيزبورك أليه" وشارع مكتب السباحة "شفمبول أليه" فنقسمها الى اقسام ثلاثة

والشارع الكبير أهمها يكتنفه من الجانبين أربعة صفوف من شجر البلوط العظيم الارتفاع ويغلب فيه تنزه العطاء والأغنياء والأمرأ والنساء اللاتي كذلك راكبن أحسن الركائب لابسين أجمل الملابس وتلك النساء يأخذن بمجامع القلوب لباهر جمالهن ورشاقة قدودهن وصباحة وجوههن وكحلي عيونهن وغرف شعورهن مع لطف ملاسهن وحسن مراكبن

وفي خلال هذا الشارع على مسافات متقاربة محال قهاوي وماكل وأشربة وسماح ألحان الى غير ذلك

والقسم المتوسط من هذه الحديقة والذي يليه يغلب فيها تنزه آحاد الناس فيها أكثر من الأول ازدحاماً وأقل منه انتظاماً

ومن أسعده الحظ بوجوده في هذا المنتزه لاسيما والمتنزهون منتشرون في انحائه فلا شك في انه يرى منظراً حسناً تنشرح له النفوس وتتتشب به الأرواح وقد رأى الوبانيون في مجرى الطونة بداخل عاصمتهم ضيقاً واعوجاجاً فحفرُوا مجرى آخر للنهر حسب ما أرادوا من الاعتدال وما لزم لتسهيل الملاحة عندهم من الاتساع وأخذوا يبيتون له الأرصفة العظيمة ويمجدون بجواره الشوارع النظيفة

حتى ستكون هذه الجهات الجديدة من أبهى جهات المدينة لإشرافها على النهر الجديد ووقوعها على الشمال الشرقي من منتزه برانر

هذا ويصل شارع مكتب السباحة أحد الشوارع الثلاثة إلى قنطرة على هذا النهر الجديد في غاية العظم والاتساع نسبت إلى اسم ولي العهد رودولف في حياته وعلى يسارها حمامات السباحة وبها عدة حياض للسباحين تختلف بحسب اختلافهم في معرفة السباحة أكبرها طوله ٧٥ متراً وعرضه ٤٤

وأما شارع المعرض فيوصل إلى حيث أقيم المعرض العام في هذا المنزه سنة ١٨٧٣ ولم يبق من آثار العمارات التي أقيمت برسم هذا المعرض غير محلات قليلة تستعمل الآن لمعارض خصوصية محلية

وما انتهينا من هذا التفرج إلا وقد أقبل الليل وفاجأنا الجوع فعدنا مسرعين إلى المحطة التي سنسافر منها إلى تريسته وقد بقي على قيام الوابور ساعة وربع وكانت مدة إقامتنا بالمدينة عشر ساعات فأكذنا واسترحنا واطلنا على صحف الاخبار حتى حضر الوابور فركبناه وسرنا



من ويانه إلى تريسته

يبلغ طول المسافة بين ويانه وبين تريسته ٥٩٦ كيلومتر تقطعها السكك الحديدية في نحو أربع عشرة ساعة وقد سرنا والساعة ثمانية وربع بعد الظهر من يوم الثلاثاء ١٧ سبتمبر سنة ٨٩ من الأولى قاصدين الثانية

فمررنا على بعد مائتين وثمانية وعشرين كيلومتر من ويانه بمدينة "جراتس" وهي تحت إقليم إستيريا من المملكة النمساوية يبلغ عدد سكانها ١٠٦٠٠٠ نسمة

وموقعها في غاية اللطف على ضفة نهر "موز" يَعدُّها أغنياء النمساويين وكبار الموظفين محل نزعتهم وجنة أنسهم أوقات فراغهم من الأعمال فزادت بذلك حسناً ورونقاً حتى صار يؤمُّها كثير من الأجانب للتمتع بهوائها وطيب مائها وبها المنزهات الجميلة تسر الناظر وتروق الخاطر وعلى الشاطئ الشمالي من النهر فيها جبل مطل على المدينة يصعد إليه في مسافة عشرين دقيقة على قمته برج يبلغ ارتفاعه ثمانية عشر متراً يشاهد منه الرائي منظر النهر والمدينة والقرى المجاورة على مسافة عظيمة وبضواحيها كثير من البساتين والرياض تنرع اليها الناس على اختلاف طبقاتهم طلباً للراحة وابتغاء التنزه

ولم تنالك أنفسنا مع محاسن هذه البلدة التي ذكرناها عن الأسف حين وردناها على فقيدينا العظميين الشهيرين المرحوم محمد شريف باشا والمرحوم محمد سلطان باشا اذ دهمتهما المنية بها ولم يقصداها الا طلباً لحسن هوائها وطمعاً في نفع مائها ولكن لامرء لقضاء الله وقدره

وعلى بعد اربعة أميال بعد مسيرنا من جرأتس هذه يرى الانسان اذا كان النهار على هضبة هناك اطلال قصر أوبر فيلدن حيث كان تخبو براية الفلكي الشهير ينضي به الليالي الطوال والشهور والاعوام في رصد الأجرام السماوية ومراقبة حركاتها

وبعد مسير ستين كيلومتر من هذا المكان وصل بنا الوابور الى مدينة ماربرج البالغ عدد سكانها نحو ثمانية عشر ألفاً وهي الثانية من مدن إستيريا بعد جرأتس وفي كتاب الدليل ان بها كثيراً من شجر الكرم والزروع ثم ان قطار السكة الحديدية سار بعد ذلك بضع دقائق في منفذ محفور في

الصخر حتى وقف على مدينة نَسِيلِي وهي مدينة أصلها رومانية حسنة المنظر يبلغ سكانها ٥٤٠٠ نسمة وبها دار لحفظ الآثار والتحف الرومانية

وعلى بعد ٤٤٨ كيلومتر من ويانه مدينة لَيْنْغ وهي رومانية الأصل أيضاً موقعا على نهر لينغ في سهل رحب محاط بالجبال يبلغ عدد سكانها ٢٦٣٠٠ نسمة وبها قصور شاهقة وعدة من المباني النخمية

ثم بعد مسيرنا من مدينة لينغ بمسافة على نحو ٣١٥ كيلومتر من ويانه مرّ الوابور على بعد اتجاه كهف عظيم دأت التواريخ المتقدمة على وجوده في تلك الجهة منذ القرون الوسطى ثم بعد ان جهل مدة طويلة عُثِر عليه من نحو سبعين سنة وهو الآن معتنى بشأنه غاية الاعتناء يقصده السياح من كل جانب لثرائه وابداعه يضاء بالنور الكهربائي من أول ما يوالى أول أكطوبر في كل سنة وقد أوصلوا السكة الحديدية الى نحو منتصفه ويبلغ طوله ٤١٧٢ متراً وبه قبة ارتفاعها ٢٢ متراً ويخفي باحدى جهاته نهر "بيوكا" فيسير تحت أرضه مسافة طويلة ثم يظهر وبهذا الكهف مغارات عديدة عجيبة منها المغارة المعروفة بنسبتها الى الامبراطور فرديناند ويشتمل على عدة غرف جميلة أهمها المعروفة بغرفة الرقص ويبلغ ارتفاعها ١٣ متراً فأكثر وطولها ١٤٨ متراً ويحتفل فيها بليلة رقص في عيد الغنصرة من كل عام تكون في غاية الرونق ومنها المغارة المعروفة بنسبتها الى اسم فرنسوا جوزيف ايليزايت وهي من اكبر المغارات فان ارتفاعها يبلغ ٣٤ متراً وطولها ٢٠٣ وعرضها ١٩٥

وعلى مسافة نحو اربعين كيلومتر من هذا الكهف كهف آخر عظيم يقصده السائحون للتنرج عليه

ثم أخذ الوابور في الانحدار تدريجاً صوب بحر الأدرياتيك الى ان أصبح الصباح فجعلنا نمتع الطرف بمنظر البحر البهيج وأمواجه الفضية على صفحاته الزبرجدية ناظرين على مد البصر قصر هيرامار بالبعد عن المدينة حتى وصلناها والساعة ٩ و ٤٢ دقيقة من صباح يوم الأربعاء ١٨ سبتمبر سنة ٨٩ فكانت المسافة من وياحه اليها ١٤ ساعة تقريباً



من تريسته الى الاسكندرية

نزلنا في تريسته بالفندق المسمى "أوتيل ده لا فيل" وهو من أحسن فنادقها قريب من المحطة ومن الميناء ثم توجهنا الى محل إدارة البواخر النمساوية فأخذنا نمر الغرف التي أعدت لنا بالوابور الذي يقوم من ميناء تريسته هذه ظهر يوم الجمعة ٢٠ سبتمبر سنة ٨٩ وكنا طلبنا قبل ذلك بمدة بواسطة محل كوك حجز غرف لنا بالوابور الذي يقوم في اليوم المذكور خوف ان يسبقنا الغير الى أخذها فيوجب ذلك تأخرنا اسبوعاً الى الوابور التالي

هذا وقد كنا نسينا كتاباً لحضرة رفيقنا الشيخ حمزه بفرقة من غرف الوابور الذي سافرنا فيه من الاسكندرية الى تريسته ولم تذكره إلا في اثناء الطريق فكتبنا عنه الى مدير الشركة بهذا البلد وعرفناه اسم الوابور ونمرة الغرفة التي نسيناه بها وأنه اذا وجد يجعله يحمل إدارة الشركة حتى اذا رجعنا نأخذه فوجدناه عند رجوعنا في هذا المحل واخذناه وهذا من عظيم المهمة وجميل الأمانة ومزيد الاعتناء بشؤون المسافرين وشدة انتظام هذه الشركة

وإذ كان قيام الوابور لا يكون إلا في يوم الجمعة كما تقدم أقمنا بتريسته

يومي الاربعاء والخميس وإلى ظهر يوم الجمعة وقضينا هذه المدة في تنزه وتفرج واستراحة ولكن لم نفع عندنا هذه المدينة موقعها الاول عند حلولنا بها أول مرة وذلك لما رأيناه بعدها من البلاد والمدن والعواصم وما فيها من الأبنية المشيدة والميادين الفسيحة والمنتزهات المتسعة الارعاء وعجائب المتاحف وغرائب الأنهار والانحاء حتى ان ميدانها الذي وصفناه آنفاً وما فيه من ازدحام الرجال والنساء الحسان ومحاسن الانعام لم يظهر في أعيننا بمثلته الاولى من البهجة والرونق ولقد كان انتظارنا للوابور هذين اليومين في هذه المدينة بمثابة أشهر أو أعوام أشدة ما نلقاه من كثرة التشوُّق وعظيم التلهف ومزيد الحنو الى الوطن العزيز ورؤية الأهل والأحباب والأخلاء والأصحاب واجتماع الشمل بعد طول الاغتراب ومن ثم هرعنا الى الوابور من صبح يوم الجمعة فركبناه وانتظرنا قيامه ولم نستطع الاقامة بالفندق الى قرب قيامه

فلما جاء الوقت سار بنا ومراً بالطريق الذي سلكناه أولاً فلا حاجة الى إعادة الكلام عليه وكان هو الوابور الذي ركبناه من الاسكندرية غير ان حالنا في السفر لم يكن كالحال الاول فإننا كما كلما تقدمنا الى الامام زاد الدَّفء بخلاف الأول فكنا كلما تقدمنا زاد البرد وكان الهواء هادئاً والجو معتدلاً والسماء مصعبة والبحر ساكناً فلم تتكرر بشيء من غوائله فعظم اشتهاؤنا للطعام وصرنا نأكل ونشرب كثيراً من غير منغص على رغم متعهد الطعام فكان في هذه المرة الساخط على البحر وكنا الراضين على خلاف المرة الاولى فكان الراضي عليه وكنا الساخطين وقد تقدم أن حسابه على كل مسافر باليوم أكل او لم يأكل فهو مع المسافرين على طرفي نقيض يُحب الشدة وهم يُحبون عدما

وما زلنا سائرين مع الدعة والراحة حتى وصلنا برنديزي نصف ليل يوم السبت وقمنا منها بعد خمس ساعات وسرنا والحال على ما ذكر حتى وصلنا الاسكندرية يوم الاربعاء ٢٥ سبتمبر سنة ٩٢ والساعة ٦ افرنكي صباحاً فوجدنا في انتظارنا مع كون وصولنا في بكرة النهار احباباً عزازاً استقبلونا أحسن استقبال فحمدنا الله على هذا الحال



✽ المثل بين يدي الحضرة الخديوية بالاسكندرية ✽

وعقب وصولنا توجهنا مع حضرة صاحبنا العزيز احمد توفيق قيودان وكيل واپورات البوسنة الخديوية سابقاً الى منزله فإنه كان متبياً لنزولنا عنده فاستبدلنا ملابس السفر بملابس تليق بالمثل بين يدي الحضرة الخديوية ثم قصدنا سراي رأس التين والساعة ٨ صباحاً فبمجرد الوصول اليها صدر الاذن لنا بالمثل وتشرفنا بالثم الاعتاب السنية وقصر سيدي الولد على مسامع الجنب العالي نبأ الرحلة التي قضيناها والمأمورية التي أدبناها وسموه منشرح لذلك سرور منه منم بالتفاتة الينا محسن بتعطفاته علينا وقد زاد ابتهاجاً بما قدمه الى سُدته سيدي الوالد من القصيدة التي أنشأها ونحن عائدون في البحر من برنديزي وجلها أشبه بتقرير عن المأمورية وما تم فيها فأمره بتلاوتها فانسر بساعها وأخذ نسختها ثم تفضل تشجيعاً لنا وتشيطاً لهم منا بإبداء إشارات السرور حتى تنزل سموه الى الشكر على حسن قيامنا بالمأمورية التي كلفنا بها ثم استأذناه في السفر الى مصر فاذن فانصرفنا الى منزل صاحبنا القيودان وانتظرنا به موعد قيام الواپور حتى قرب فقصدناه وركبناه الى مصر

القصيدۃ

التي قدمها سيدي الوالد الى الحضرة المحمدية
في الذي تم بالمؤتمر والمأمورية

دنت الدبار ودانت الأوطارُ هذا المنارُ وهذه الأنوارُ
هذا المنار يلوح نجم هداية للناظرين توهته الأنظارُ
والثغر وضاح^(١) الباسم باسم للبشر في قسامته^(٢) آثارُ
قربح يشترنا يبشر سروره أن الخديو له به استتارُ
فاليوم نلثم من بنان يمينه سحبا موارد فيضين غزارُ
من كف فياض اليدين يمينه بن ويسراه ندس ويسارُ
ونشيف الأسماع من أفاضله ذرا غدت أصدافه الأفكارُ
ونرى منار الحق فوق جبينه كالشمس ليس وراءها أستارُ
نور تلالاً في جبين موقفي للحق في توفيقه أسرارُ
مولاي قد سرتنا بأمرك نبغي لرضاك ما تسمو به الأقدارُ
نصل المغارب بالشارق والشرى بالسير لا ملل ولا إقصارُ
ونلف^(٣) أذبال الأباطح^(٤) بأرزي تتابنا^(٥) الأنجاد والأغوارُ

- (١) الوضاح ككتان ايض اللون حسنة (٢) القسامت جمع قسمة بكسر السين
وفتحها قال ابن الاعرابي هو ما بين الوجنتين والانف وانشد لحرز الرضي
كان دنائراً على قسامتهم وإن كان قد شف الوجن لقاء
(٣) لف الشيء بالشيء ضمة اليه ووصله به وهو من باب رد (٤) البطح والبطيعة
والبطحاء ولا بطح مسبل واسع فيه دقاق الحصى والجمع أباطح وبطاح وبطائح
(٥) اتناهم اتنياً اناهم مرة بعد أخرى

لا البحر ذو الأمواج نخشى بأسه
البحر برٌّ في رضاك بمن به
ومدعى^(١) النهار صباح خير كله
نطوي البلاد بطيب ذكرك نشره
ونورج^(٢) الأرجاء باسمك مدحة
يهتز حاضرها بحسن ساءها
ويروح سامعها بميل بعطفه
نخشى بها صدر الندي نديّة
نتلو مديحك معلنين بنشره
لا يعترى فحواه وصمة رية
ثم امتطينا للسويد ركائباً
نسى على عجل إلى غاياتها
سرّع الخطى لا السوط حل بجلدها
تذرّ الرياح إذا جرّين وراءها
سرنا بين على العشي فأصبحت
ونقيت صاحب تاجها في قصره
قدنا وصانح باليمين مردداً

يوماً وليس البر فيه نضار
والبر من جدوى نذاك بمار
بسمود جدك^(٣) والدّجى اسمار
عبق ونفحة ريمه معطار
طابت بها الأسفار والأسمار
طرباً ويخبر غائباً حضار
ثملاً كأن دارت عليه عقار
يملو بها الإبراد والإصدار
جهراً فلا كتم ولا إسرار
نخشى ولا رد ولا استنكار
لا الركض يجدها ولا التسيار
كلأء ساعد جريه نيار
يوماً ولا شدت بها أكوار
حسرى^(٤) طلائح^(٥) جريهن عثار
في استكلم وقد بدا الإسفار
والوفد ثم بصعبي نظار
شكر الخديو يزينه التكرار

(١) مدى الشيء غايته والمراد هنا جميعه مازاً (٢) والمجد البخت والمحظ والمحظوة (٣) قوله ونورج هو مضعف أرج الطبيب كنفج بأرج بالهمز وتركب بمعنى نوح ريمه (٤) حسرى جمع حسر نول حسر كضرب وفرج فهو حسر أب معي (٥) طلع البعير أعياه وطلع زيد بعيره كاطلحه أعياه وإبل طلع وطلاخ

فشرت مقصدًا اجابُهُ بما أَرْضَاهُ لَا قُلُّ وَلَا إِكْثَارُ
 ونحوت مؤتمِر العلوم أَوْمُهُ بالوفد تهوِي نَحُونَا الْأَبْصَارُ
 حتى إذا احتفل النَّدِيُّ وَأَقْبَلَ الْعِظَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْأَجَارُ
 وتلا بِهِ أَسْكَارُ رَبِّ سِرِّهِ قَوْلًا بِهِ لَدَوِي النَّهْيُ إِسْكَارُ
 وَأَجَابُهُ الْخُطْبَاءُ كُلُّ مُحْسِنٍ يُزِي بِنِظَامِ الدَّرِّ مِنْهُ نِثَارُ
 ودُعِيتُ بِاسْمِي لِلْمَقَالِ مَوْفِيًا حَقَّ الْوَفَادَةِ وَالْوَفَاءِ شِعَارُ
 أَقْبَلْتُ ابْتَدَرَ الْقَرِيزُ يَزِينُهُ مَوْلَايَ بِاسْمِكَ بِهَجَةٍ وَوَفَارُ
 حتى اسْتَمْتِ الشَّمْرُ فَاصْطَفَتْ لَهُ ١١ أَيْدِيَهُ وَذَاكَ بِمَدْحِهِ إِشْعَارُ
 وتشعبت شُعْبُ الْفُصُولِ مَقْرَرًا فِي كُلِّ فَصْلٍ لِلْفَنُونِ ^(١) قَرَارُ
 فنحوت بالوفد الَّذِينَ بِصَحْبِي خَيْرُ الْفُصُولِ وَصَحْبِي أَخْيَارُ
 مَا فِيهِمْ وَهَلُ الْفَوَادِرُ يَهْوَلُهُ حِفْلٌ وَلَا وَاهِي الْقَوَى خَوَارُ ^(٢)
 كلُّ أَعْدٍ مِنَ الْمَارِضِ مَا اصْطَفَى لِلْمَرَضِ ثَمَّةٌ جَمَلَةٌ تَمْتَارُ
 وَأَجَادَ فِيمَا قَدْ أَفَادَ بِمَنْطِقٍ طَوَّعَ الْمَرَادَ أَمَدُهُ اسْتَحْضَارُ
 فِي لَهْجَةِ الْعَرَبِ الْفَصِيحَةِ لَفْظُهُمْ حَرٌّ وَهُمْ فِي نَفْسِهِمْ أَحْرَارُ
 لَا فِي مَقَالَةٍ قَائِلِنَا وَقْفَةٍ عَرَضَتْ وَلَا لِمَقُولِنَا إِنْكَارُ
 كَالْقَطْرِ جَادَ بِهِ غَنَامُ مَبْرُقٍ دَانِي الْهِيَادِبِ ^(٣) عَارِضُ ^(٤) مِدْرَارُ
 نَبْدِي الَّذِي نَبْدِي وَكُلَّ مَطْرُقٍ سَمْعًا وَمَنْطِقٍ ذِي الْمَقَالِ جِهَارُ
 حتى نَتِمَّ كَمَا نَشَاءُ الْقَوْلَ فِيهِ أَمْدٌ أَعْدَ لَوْفِهِ مَقْدَارُ

(١) وفي نسخة للعلوم (٢) الخَوَارُ ككثافات الضيف (٣) الهِيَادِبُ جمع هَيْدَب وفي الصحاح هَيْدَبُ السحاب ما يهدب منه إذا أراد الودق كأنه خبوط
 (٤) العارِضُ السحاب الذي يمتري في الأفق

فيقول صاحبهم أما من باحث
وتصفق الحضار لاستحسان ما
هاهم رجالك أيها المزلّ ولا
لا أبتغي مدحاً لننسي إنني
هذي محاسن بين طالعك الذي
ثم انتنينا راجعين يسوقنا
ناوسية لخبر حمى بعدك كله
فاسلم لمصر وأهلها ليرى بها
واللم لأنجال وآل كلهم
واليكها مولاي صنة ليلة
حتى كساها الصبح رونق وجهه
فيما يقول وقوله استفسار
قلنا ويظهر فيهم استبشار
منّ عليك ونعم من تختار
بهلاك اغخلا عدّاك فخار
بعوده قد ساعد المقدار
لحماك أشواق لمن أوار
أمنّ وما للجور فيه جوار
لنماء غرس يمينك استثمار
خير وآل الخيرين خيار
لحق العشاء بوشيا الإيسار
حسناً وألبسها الضياء نهار



❖ السفر من الاسكندرية الى مصر ❖

سافرنا من الاسكندرية بعد الظهر يوم الوصول اليها وهو يوم الأربعاء ٢٥
سبتمبر سنة ٨٩ فوصلنا الى مصر بعد غروب اليوم المذكور فوجدنا الأحباء
والأصحاب ينتظروننا بالمحطة فحمدنا الله على السلامة وجمع الشمل وكانت مدة
غيبتنا تسعة وستين يوماً



❖ الإحسان على كاتب هذه الأحرف بالنشان العثماني ❖

في صبيحة اليوم التالي ليوم الوصول توجهت الى نظارة الحفانية للشرف بمقابلة سعادة ناظرها إذ ذاك الفاضل حسين فخري باشا فبمجرد اللقاء قال إن تهنتى لك اليوم مضاعفة فإني أهنيك أولاً بالسلامة وأهنيك ثانياً بالإحسان عليك من لدن الجناب العالي الخديوي بالنشان العثماني العلمي الشان مكافأة لك على حسن قيامك بالمأمورية التي تعينت لها بالمؤتمر العلمي ثم ناولني النشان ومعه البراءة المؤذنة به فشكرت تهنة سعادته بعد أن شكرت فضل مولى الإحسان وقد أفمنى سعادته أنه حضر الى الديوان اليوم قبلي بدقائق وأنه ما كان يعلم حضورنا لأنه لم يكن قرأ الجرائد وما أعلمه به إلا حضور هذا النشان وقد أرسله إليه سعادة رئيس الديوان الخديوي بإفادة رسمية منه لتسليمه اليّ وانحط الرأي على أن أسافر الى الاسكندرية لأداء واجبات الشكر للحضرة الخديوية الفخيمة وتصادف ان سعادته على نية اتوجه إليها في الغد فحصل الاتفاق على السفر معه بوابور الإكسپريس الذي يقوم من مصر بعد الظهر



❖ شكر الجناب العالي على إحسانه ❖

لما كان الموعد المحدد للسفر ركب الوابور مع صاحب السعادة المشار إليه وسار بنا حتى وصلنا الاسكندرية بعد الغروب فنزلنا معاً "بفندق أوروبا" وبعد تعاطي الطعام توجهنا الى سراي رأس التين فتشرف سعادته بالمقابلة وأتم مأموريته التي حضر من أجلها وبجمال خروجه من لدن الجناب العالي صدر لي الأمر بالثول فملت شرف ثقيل اليد الكريمة وشكرت الفضل وحمدت المنّة وأثنت على

الإحسان بما وصل إليه جهدي وقدرت عليه حواسي المفعمة سروراً المملوءة فرحاً وجوراً فتكرم سموه بما أعلی قدر هذا النشان عندي أن قال إنه أنعم عليّ به مكافأة على حسن قيامي بما عينت له بالجمعية العلمية التي كنت عضواً فيها عن الحكومة المصرية ببلاد السويد والنرويج فكررت الشكر وأعدت الثناء والحمد فنزل سموه بأن قال لي "إنا اتعبناك بالسفر اليان مع قرب أسفارك الطويلة" فأجبت "إني بامولاي أحب شيء عليّ أمثال هذه المتاعب فאלله أرجو واليه انصرف ان يكثر لي منها" فتبسم سموه سروراً ونلت حظ نقيل اليد الكريمة ثانية وانصرفت ولقد كان هذا الدعاء مجاباً

وكنتم قدمت الى جنابه الفخيم يتيين من انشاء سيدي الوالد أرسلهما معي الى سموه تشكراً على ما أولانيه من الإحسان بالنشان وهما

لمولاي العزيز عليّ فضلٌ بنعمته على ولدي الأمين
تحقق في مقام الشكر عجزني فأثر أن أرى ولدي معيني



❖ العودة الى الاسكندرية للتشكر على وظيفة قضاء الاستئناف ❖

❖ التي منحها سمو الجناب العالي هذا الداعي والعود منها الى مصر ❖
وذلك أنه صدر الأمر بتعييني قاضياً بمحكمة الاستئناف الاهلية بمصر في ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٩ فعدت الى الاسكندرية للتشكر بعد أن وصاني الأمر وسلّمت أعمال رئاسة النيابة العمومية بمحكمة مصر الابتدائية الاهلية ومثلت بين يدي الجناب العالي وشكرته بقدر الاستطاعة على ما أولانيه من حسن الصنيع مضافاً الى سابق إنعامه وحلفت حسب اقتضاء القانون اليمين القانونية لدى سموه بحضور سعادة ناظر الحفائية وقدمت لجنابه العالي القصيدة التشركية

الآنية من نظم سيدي الوالد فقابلها بالقبول ثم عدت الى مصر واستلمت مهام
وظيفتي الجديدة وهذه هي القصيدة المذكورة:

إِذَا أَنَا رُمْتُ الشُّكْرَ وَالْقَوْلُ نَاصِرِي	أَلَا هَلْ لِسَانِي الْيَوْمَ طَوْعٌ لِحَاظِرِي
إِذَا مَا اسْتَمَدَّتْهَا قَرِيجَةُ شَاعِرِي	وَهَلْ لِقَوَانِي الشُّعْرُ عَوْنٌ عَلَى الْمُنَى
يَرَاعِي إِذَا أَمْدَدَتْهُ بِالْمَعَابِرِ	وَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَرَاعِي وَسَائِلِي
بَلْفَظٍ بَدِيعٍ فِي مَعَانٍ زَوَاهِرِ	وَهَلْ لِبَنَانِي مِنْ بَيَانِي مَسَاءِدُ
وَأَرْقَى إِلَى غَايَاتِهِ غَيْرَ قَاصِرِ	لَا يُلْبِغُ نَفْسِي الْيَوْمَ فِي الشُّكْرِ حَظَهَا
لَا إِحْسَانَ رَبِّ النَّاسِ يَوْمًا بِشَاكِرِ	وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّ الشُّكْرَ لِلنَّاسِ لَمْ يَكُنْ
قِيَامًا بِفَرْضٍ مِنْهُ فِي الْحَالِ حَاضِرِ	وَهَلْ أَسْتَطِيعُ الشُّكْرَ أَفْضِيهِ حَقَّهُ
نَقَاعِرٍ عَنْهَا نَاظِمٌ قَبْلَ نَاصِرِ	وَأَنِّي وَقَدْ أَرَبْتُ عَلَى الْعَدَةِ أَنْعَمُ
يُحَاوِلُ عَدَّةَ النَّيِّرَاتِ السَّوَابِرِ	وَهَلْ يَبْلُغُ الْغَايَاتِ مِنْ بَاتٍ لَيْلُهُ
أَنَافَتْ عَلَى غَرِّ الْغَوَادِيهِ الْبَوَاكِرِ	أَيَّادٍ أَفَادَتْهَا أَيَّادٍ كَرِيمَةٌ
بَنُوها لِإِنْفَاضِ الْجُدُودِ الْعَوَائِرِ	بِهَا افْتَخَرَتْ أُمُّ الْبِلَادِ وَشَمَرَتْ
أُمِدَّتْ بِتَوْفِيقِي مِنْ اللَّهِ بَاهِرِ	وَأَضَعْتُ إِذَا مَدَّتْ إِلَى غَايَةٍ بَدَا
مَدَى دُونَهُ أَفْصَى مَجَالِ النَّوَاطِرِ	هَامٌّ لَهُ فِي كُلِّ شَأْنٍ إِلَى الْعَلَا
فَلَيْسَ لَهَا فِي عَهْدِهِ حَظٌّ جَائِرِ	أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ عَادِيَاتِهَا
فَلَيْسَ ظَلَامُ الظُّلْمِ فِيهَا بِزَائِرِ	وَعَمَّ بَنُورُ الْعَدْلِ كُلَّ بِلَادِهِ
أَقَامَ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ الدَّوَاهِرِ	إِذَا مَا أَسَاسُ الْمُلْكِ بِالْعَدْلِ يُتَنَى
وَبِالْدِينِ مَوْلَاهَا الْعَفِيفُ الْمَازِرِ	وَقَدْ شَدَّ أَزَرَ الْمُلْكِ فِي مِصْرَ بَالْتَقَى
سَجَنَ بِأَذْيَالِ السَّعَابِ الْمَوَاطِرِ	وَأَجْرَى بِهَا مِنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ أَنْعَمَا

بأفعاله عن فضل طيب العناصر
وبذل الأماني وابتناء المآثر
بنان الحسان البيض سود الغدائر
وإسداء معروف وإحياء دائر
عن الحزم أرمي قومه عين ساهر
وان خفي المكنون رسم الظواهر
سميع وما من غائب مثل حاضر
ولست على شكر الجميع بقادر
وما بعدها إلا التماس المعاذير
وليس الذي يدعوه يوماً بمناسر
يداك بوافٍ من نذاك ووافر
مواردها موصولة بالمصادر
بأمثالها تترى الى غير آخر
وقد ظفرت أظفاره بالحناجر
من المين لم تخطر لدينا بخاطر
من الحق تجلوه بنور الضائر
بنور هدى مستودع في السرائر
فريسة ناب في المقاتل غائر
بكل خفي من سطها وظاهر
بكفك عن قاصرات الأظافر

كريم السجايا واسع الفضل معرب
ولوع بكسب الحمد والمجد والعلأ
إذا هام قوم بالكؤوس تديرها
فإن هواه في اتخاذ صنعة
وان نام عن امر الرعية غافل
بصير بكنه الأمر لا يستميله
أمولاي أدعو من قريب وانت لي
سأشكر من نعاك ما أستطيعه
وابلغ حد الجهد والجهد غاية
وادعو بظهر الغيب لله مخلصاً
وقد خولتني منة بعد منة
وجدت على العبد الأمين بأنعم
فما تنفسي نعاك إلا وصلتها
وقد ما قد استخلصتنا من يد الردى
ولج العيدي في لجة بعد لجة
فالهمك الرحمن ما كان مضراً
فراسته معمور من الله قلبه
ولولاك كنا في فم الغدر مضفة
تروح علينا الحادثات وتفتدي
فكفكفت عنا العاديات تردّها

وعلمتنا كيف النهوض إلى العلا
وكيف يلد المجد طعماً وتجننى
وأوليتنا الآمال نقناد سربها
إذا ما اشتبهنا من ذرى العزموضاً
مننت بأعلى منه ثم شفعته
فلا زلت للدينيا جمالاً وللورى
وكيف الترقى في مرافى المظاهر
ثمار المعالي من غروس الفاخر
بأرسانها طوع المني والخواطر
نفاصر عن إدراكه حد ناظر
بآخر أرقى في العلا وآخر
كمالاً وللإسلام نور بصائر



الى هنا انتهى ما أردت تحريره من هذه الرحلة وقد عانيت فيه من المتاعب
والمشايق ما لا يخفى مع ما انا فيه من الاشتغال بأعمال وظيفتي فإن وقع ماحررته
لدى الناظرين موقع الاستحسان وكان له عند أولى الفضل مكان كنت بذلك
قريب العين وحصلت منه على أمنيئين أولاهما القيام بحق رغبة سيدي الوالد العزيز
في تأليف رحلة في هذا الموضوع كما تقدم ذكر ذلك في صدر هذا الكتاب وثانيتهما
حظوة كتابي بالقبول لدى العموم

وكان الفراغ من تصنيفه في بدء دولة حامي حى المعارف المصرية وموجد
نهضة الاداب الوطنية صاحب المقام الجليل والظل الوارف الظليل أفندينا خديو
مصر عباس الثاني لا زالت البلاد بوجوده واردة موارد الأماني قريرة العين بأيامه
معززة بعبادل أحكامه

آمين حتى نقول الناس قاطبة والمجد والفخر والأيام آمينا
هذا وقد بقي علي بعد ذلك واجب سألر بعون الله فيه ولازم لازب
أؤديه وهو طبع آثار سيدي العزيز من منظومه ومثوره ومكاتباته وما يتيسر
لي جمعه من مؤلفاته

وسأخذ في هذا بلا توانٍ إن شاء الله تعالى فأطبع ما عثرت عليه من
مكتباته وأشعاره في جزء ضاماً إليها بعض رسائل له مثل "المقامة الفكرية في
المملكة الباطنية" ورسائله التي كتبها "في المقارنة بين الوارد في نصوص الشرع
والوارد في الهيئة" ومثل "تحصيل الحاصل"

وأطبع في جزء آخر شرحه لقصيدة سيدنا حسّان الممزّية الذي قدمه إلى
المؤتمر مضيفاً إليه شرحه لبدعيّة صاحبه الشاعر الأديب المرحوم محمود افندي
صفوت التي مطلعها

سفع الدموع لذكر السفع والعلم أبدي البراعة في استهلاله بدمـ
مردفاً أباهما بما علّقه على منظومة لعزیزه الطيب الذكر المرحوم أحمد خيري
باشا ضمّنها حكماً ومواعظ وطلب منه شرحها فجاء على شرح بعضها بغاية الاستيفاء
وربما أُرِدِفُ هذا كله بجزء ثالث يشتمل على أشياء علّقها وشوارد قیدها
في كراريس سماها "الدفتر"

فإذا من الله سبحانه عليّ بانجاز هذا العمل أكون بعد القيام بأمنية سيدي
الوالد العزيز من تحرير هذه الرحلة فمت برغبة أحبائه وأخلائه المولعين بنشر آثاره
واني لموقن بان شغفهم بنشر هذه الآثار يبعثهم على موازرتي بالدعاء لتحصيل
هذا المأمول اذ باتحاد القلوب وتوجه الخواطر تنجز الأعمال ويحسن المآل والحمد
لله أولاً وآخراً أحمد من اعترف بالربوبية وعرف حق العبودية وكان على الآلاء
شاكراً وصلات صلاح يصحبها سلام على سيدنا محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه
السادة الأعلام ما يؤدي عمل زانه حسن ختام



فهرست الكتاب

محبنة

- ✽ ٢ ✽ مقدمة هذه الرحلة الى السدة الخديوية
- ✽ ٥ ✽ تحرير هذه الرحلة
- ✽ ٩ ✽ الاصل في تعيين الوفد المصري للتوجه الى بلاد السويد والنرويج وحضور المؤتمر الدولي العلمي الذي تقرر انعقاده بها سنة ١٨٨٩
- ✽ ١٢ ✽ استمدادات السفر — الفرش والغطاء — ١٢ ألبيت — الاكل والوايو
- ✽ ١٤ ✽ الصلاة وما يلزمها — ١٥ شركة كوك وطريقة السفر بها — ٢١ ترجمة كوك — ٢٦ — عدم الاحتياج الى خادم في السفر
- ✽ ٢٧ ✽ طريق السفر الذي اخترناه
- ✽ ٢٩ ✽ في السفر الى الاسكندرية — ٣٠ نفقة السكة الحديدية في مصر
- ✽ ٢٢ ✽ مدة الاقامة بالاسكندرية — ٢٤ الفنادق — ٣٥ حكاية مسافر نزل في وكالة والمقارنة بين الوكائل القديمة والفنادق الجديدة — ٤٥ كتاب سمو الخديوي لسمو الملك أسكار ملك السويد
- ✽ ٤٧ ✽ من اسكندرية الى برنديزي واحوال البحر في أثناء ذلك
- ✽ ٥٠ ✽ من برنديزي الى تريسته — ٥٠ وصف مدينة برنديزي — ٥٢ حال البحر بين برنديزي وتريسته — المقارنة بين الفن الشراعية والبحارية — ٥٤ وصف مدينة تريسته — ٥٦ قصر مكسيميليان — ٥٧ سماع الموسيقى بالميدان الكبير — شركة اللويد والشركات عندنا
- ✽ ٥٩ ✽ وبيسبة "البندقية" وصفها وطرق التنفل فيها وخلقائها وأبنيتها ومعامل الزجاج فيها
- ✽ ٦٥ ✽ من البندقية الى ميلانو — ٦٦ محادثة في فنجب النساء وعدمه — ٦٧ تعليم النساء — ٦٨ المقارنة بين حالي سفر بلادنا وسفر بلاد أوروبا — ٦٩ وصف مدينة ميلانو

❖ ٧٢ ❖ من ميلانو الى لوسرن بطريق سَان جُونَار — وصف هذا الطريق —
 ٧٥ منفذ سَان جُونَار ووصفه والأعمال التي استلزمها وصاريفه وطوله الى غير ذلك
 ❖ ٧٨ ❖ لوسرن — بحيرتها — ٧٩ وصف هذه المدينة — سبع لوسرن — ٨١
 مرتقى جُونَش ووصف عربات الصعود اليه — ٨٢ الدار التي بأعلاه وصاحبها ومنارتها
 — مصعد ريجي وكيفية الوصول اليه بالبحيرة — ٨٤ الطريق الجديدة من البحيرة الى أعلى
 المصعد وحالة السير فيها ووصف مناظرها وما بها من المحطات والفنادق وما صُرف عليها
 ولبوراتها — ٨٦ القبة وما يراه الانسان وهو فوقها — ٨٧ منظر شروق الشمس ومنظر
 غروبها

❖ ٩٠ ❖ كتاب سيدي الوالد الى صاحب السعادة علي مبارك باشا
 ❖ ١٠٠ ❖ من لوسرن الى باريس — ١٠١ مدينة بال
 ❖ ١٠٢ ❖ الوصول الى باريس — تنبش الامنة بمعرفة رجال الكرك في باريس
 — ١٠٤ علبة كوك لأحد رفائنا — ١٠٦ الفندق الذي نزلنا به — ١٠٧ قهوة العلم
 ونظر حركة المارة ونحن بها

❖ ١٠٩ ❖ بعض اجماليات على باريس
 ❖ ١٢٠ ❖ اول يوم في باريس — اول يوم في المعرض — نظرة اجمالية في
 المعرض وفي ضمنها ذكر تفقاه وتقديم الاشياء المعروضة فيه وبيان اقسامه — ١٢٨ شارع
 مصر — ١٢٩ محل تجارة السيد مصطفى الديب — ١٣٢ استمرار الكلام على شارع مصر
 — ١٣٣ سكة حديد ديكتويل بداخل المعرض — ١٣٥ بقية الكلام في النظرة اجمالية
 — ١٣٦ عود الى شارع مصر — الاحتفال بشاه العجم في المعرض

❖ ١٣٩ ❖ ثاني يوم في باريس — نظرة اجمالية في باريس وفي ضمنها
 تذكري عهد دراستي بها وحال الطلبة فيها — ١٤٤ طريق ريفولي — ١٤٥ برج سَان
 جَاك — أونيل دِه قِيل “وهي دار الحكومة البلدية — ١٤٦ ميدان باستيل — ١٤٧ عمود
 بوليه — ١٤٨ “جران بلواز” اي الشوارع الكيين — ١٥٢ تانر الأوبرا — ١٥٤
 كنيسة مادلين — ١٥٥ “بلاس دِه لا كونكورد” ومعناه ميدان الوفاق — ١٥٧ منتزه
 شاتريليزيه — ١٥٨ سراي الصناعة — ١٥٩ قوس نصر الكوكب “ارك دِه تريونف دِه
 لتوال”

❖ ١٦٠ ❖ ثالث يوم في باريس — ثاني يوم في المعرض — سراي تروكاديرو

ووصفها وتخفف علم خصوصيات الشعوب "إيتنوجرافيك" وتخفف نقل الصور المجسمة بواسطة الافراغ "مولاج" وتخفف المصوغات الفرنسية القديمة في جناحها — ١٦٢
بساتن نروكادبرو — ١٦٣ قصر عرض حاصلات الغابات — ١٦٤ معرض الاشجار
والانثار والازهار — ١٦٦ سراي الصناعة "باليه ديه لاندوسيري" خارج المعرض
والاحتفال الموسيقي برسم الشاه فيها

❖ ١٦٩ ❖ رابع يوم في باريس — ثالث يوم في المعرض — سكة تاريخ السككى —
١٧٣ معرض مكسيكا — ١٧٤ معرض جمهورية الارجتنتين — ١٧٦ معرض البريزيل
— ٧٧ معرض وينزولا — ١٧٨ معرض شبلي — معرض بوليثيا — معرض جمهورية
خط الاستواء — ١٧٩ معرض جمهورية نيكارجوا — معارض باقي الجمهوريات الاميركائية
— ١٨٠ المعرض الصيني — ١٨٢ المعرض الهندي — سراي الاطفال — ١٨٣ سراي
البحر — بانوراما بواخر الشركة الترانزاتلانتيكية — الكرة الارضية — ١٨٥ محل مخبري
المجراند — معرض موناكو — ١٨٦ تياتر "فولي باريزين" ومعناه الهزليات الباريدية
— ١٨٧ محل للاكل في المعرض — ١٨٨ معرض التليفون — معرض الغاز — ١٨٩
منفعة الالماس الهولندية — ١٩٠ محل الدخان

❖ ١٩٠ ❖ برج اينل — أساساته — ١٩١ في ارض الاساسات — ١٩٢ المكابس
الايدروليكية اي المائة — ١٩٣ تركيب البرج — ١٩٤ تشييق الحدائد بعضها وربطها
— ١٩٥ العيارات — المرفقات — ١٩٦ مرفي رُو ورفينيو — ١٩٧ مرفي أوتيس —
مرفي ايدو — ١٩٩ سلام البرج — في الصعود بواسطة السلام — ٢٠٠ نظام الصعود الى
البرج — ٢٠١ تعريفة الصعود — الطبقة الاولى — ٢٠٢ الطبقة الثانية — مكتب
جريدة النيجارو — ٢٠٥ الطبقة الثالثة ومرأى باريس منها — ٢٠٦ الفية — ٢٠٧ الفانار
— ٢٠٨ فاذفات الضوء — العلم — ٢٠٩ مانعة الضواغق — خشية العواصف في البرج
— ٢١٠ أعالي مجاني الدنيا — ٢١١ عمال البرج — ٢١٢ لماذا استعمل الحديد — ٢١٤
زينة البرج — ٢١٥ تاريخ البرج — ٢١٦ مصارف البرج — ٢١٧ فائنة البرج ومنفعة
❖ ٢١٩ ❖ خامس يوم في باريس — ٢٢٠ مدرسة جريونون الزراعية ومدارس
الزراعة بفرنسا

❖ ٢٢٢ ❖ سادس يوم في باريس — صلاة العيد بباريس — ٢٢٤ "مدرسة
نوزجو" — ٢٢٦ "مدرسة سكة كامون" وفي فسمان مدرسة الامهات "ايكول ماترنيل"

بالمدرسة الابتدائية "ابكول برير" وتفصيل حالة التعليم فيها — ٢٢٠ قسم مدينة باريس الخاص بالتعليم في المعرض — ٢٢١ القهوة المصرية بشارع مصر بالمعرض
❖ ٢٢٤ ❖ سابع يوم في باريس — ٢٢٦ سراي فوتينلو ووصف اماكنها
وشتملائها ووصف غابنها وصخور ونقر فرائداز والصخرة الباكية فيها

❖ ٢٤٠ ❖ ثامن يوم في باريس — بآرك مونسو "ومعناه بستان مونسو" — غابة بولونية "بواؤه بولوني" ووصفها ووصف بحيرتها وشلالاتها — ٢٤٢ حديقة سان كلو وبنايا قصرها — ٢٤٤ سراي فرساي ووصفها وطبقاتها وما فيها من القاعات وذكر المتحف التاريخي الذي بها الآن وتفصيل ما اشتمل عليه من الاروقة وما فيه من الرسومات التاريخية وبديع الآثار — ٢٤٨ بستان هذه السراي ووصفها ووصف حياضها ووصف إطلاق المياه منها — ٢٤٩ مسكنا "جران تريانون" و"بني تريانون" بهذا البستان وشبه كثر الملاحين المجاور لثانيتها ٢٥٠ متحف العربات — معامل سيتر الشهيرة بعمل الصبني — ٢٥١ تفرج ليلة في "التياتر النرساوي" وما خطر بالبال من إدخال التياتر في عوائدنا المشرقية

❖ ٢٥٢ ❖ تاسع يوم في باريس — بانوراما موقعة ريزيميل — ٢٥٢ دار العواجز من متقاعدي العساكر — ٢٥٤ متحف الاسلحة بهذه الدار وما به من الاسلحة على اختلافها ومن بيان هينات رجال الحرب — ٢٥٥ كنيسة هذه الدار ومحل التعبد منها وفبرنايون الاول فيها — ٢٥٦ سراي مجلس النواب — ٢٥٧ السراي الملكية "باليه رويال" ودكاكتها وحديقتها وتياترها — ١١٥ — ٢٥٨ السوق المركزية "هال سانتال" — ٢٥٩ حبس لاروكيت وحبس الشبان وبينهما ميدان تنفيذ احكام القتل وبيان كيفية هذا التنفيذ — ٢٦٠ مقبرة "بيرلاشير" وطرق الدفن في مقابر باريس — ٢٦٢ فرن إحراق الاموات وكيفية ذلك — ٢٦٢ منتزه "بوت شومون" والتفكر في اصلاح شوارع مصر — ٢٦٥ تفرج ليلة في "تياتر باليه رويال"

❖ ٢٦٥ ❖ عاشر يوم في باريس — زيارة دار الصنائع والفنون بباريس
"كنسيرواتواريز اريزيمية" وذكر متحفها وما به من الآثار

❖ ٢٧٠ ❖ اليوم المحادي عشر في باريس — ٢٧١ عمود واندوم — سراي لوثر ووصفها — ٢٧٤ متاحف لوثر — ٢٧٥ متحف الآثار القديمة المصرية منها ٢٧٩ متحف الآثار القديمة الآسيوية منها — ٢٨٠ متحف الرخام العتيق منها — ٢٨٢ متحف النقش

والنصوير منها ٢٨٦ باقي المتاحف بهذه السراي — ٢٨٨ بستان تويلري — ٢٩٠ سراي الحاكم وكيسنها — ٢٩٢ مدرسة الفنون المستظرفة ”بوزار“ — ٢٩٣ محل ”بون مارشيه“ وتفصيل اعماله وحاله والاماع بشي * من ترجمة مؤسس وزوجته وما عملاءه من الخبر — ٢٩٩ الرصدخانه — ٣٠٠ معمل جوبلان المختص بعمل اعظم البسط وكيفية انجها فيه — ٣٠١ بآنتيون — ٣٠٢ حديقة لكسمبورغ — ٣٠٣ سراي لكسمبورغ — متحف لكسمبورغ — ”كنيسة نونردام الكائندراية“ — ٣٠٤ مستشفى ”أوهل ديو“ — ٣٠٥ لا موزج — دعوق صاحبنا احمد شفيق بك

❖ ٣٠٦ ❖ اليوم الثاني عشر في باريس — رابع يوم في المعرض — زيارة سراي الفنون المستظرفة والصنائع النفيسة ”بوزار“ بالمعرض وما اشتملت عليه — ٣١١ الأيثرؤم

❖ ٣١٢ ❖ اليوم الثالث عشر في باريس — خامس يوم في المعرض — سراي الفنون العقلية ”آرلييرو“ وتاريخ عمل الانسان وبها أربعة قصور — ٣١٤ القصر الاول في ما يتعلق بالانسان وحالاته وخصوصيات الشعوب — ٣١٦ القصر الثاني فيما يتعلق بالفنون العقلية ”آرلييرو“ — الرسم ”لا بانوز“ — التصوير بالتجسيم ”سكوتور“ — قسم الموسيقى — ٣١٧ قسم العمارة وتاريخها — قسم النبات وتاريخه — القصر الثالث فيما يتعلق بوسائل النقل وجز الاتقال — ٣١٨ القصر الرابع فيما يتعلق بالفنون والصنائع — ٣٢٠ محل المعلم بأنواعه — ٣٢٢ ذكر قصر مدينة باريس

❖ ٣٢٤ ❖ اليوم الرابع عشر في باريس — سادس يوم في المعرض — سراي الصناعات المتنوعة — بابها الوسطي — القبة المركزية — ٣٢٧ مشى السراي الكبير ٣٢٨ باب الصاغة — باب الجوهريه — حجر الالماس الامبراطوري — ٣٢٩ باب الخزف والفخار — باب الملابس — باب أثاث المنزل ”الموبليات“ — ٣٣٠ باب الحرائر — باب المنسوجات — باب المعاعات — باب البسط — باب الاسلحة — باب صيد البر والبحر — ٣٣١ باب مصنوعات البرونز — باب الحديد ومصنوعاته — ٣٣٢ مشى أاثاث المنازل — مشى البسط والسنانير وأدوات زينة الاماكن — مشى الادوات الفخارية والصينية والزجاجية — ٣٣٤ الاوراق المنقوشة — المعاعات — ٣٣٥ مشى الجوهريه والصاغة — ٣٣٦ منسوجات الفطن والكتنان والفتب — ٣٣٧ منسوجات الصوف — ٣٣٨ منسوجات الحرير — ٣٣٩ الدتيلات ومصنوعات الحياكة والتطريز والتديج — ٣٤١

ملابس الرجال والنساء — مصنوعات البرونز والحديد المصبوب — المحاصلات المعدنية
وصناعة استخراجها ومصنوعاتها واستغلال الغابات — ٢٤٥ حاصلات صيد البر والبحر
— ٢٤٦ المحاصلات الكيماوية — فاطمة الحسناء

﴿٢٤٧﴾ اليوم الخامس عشر في باريس — سابع يوم في المعرض — المعارض
الاجنبية بسراي الصناعات المتنوعة — معرض بريطانيا العظمى ومستعمراتها — ٢٥١
معرض الدانمارك — ٢٥٢ معرض بلجيكا — ٢٥٣ معرض هولانده ولحققتها — ٢٥٤
معرض اومتريا هندكاريا — ٢٥٦ معرض ايطاليا — ٢٥٧ معرض سويسره — ٢٥٩
معرض الولايات المتحدة بامريكا الشمالية — ٢٦١ معرض اسبانيا — ٢٦٣ معرض البرتغال
— معرض اليونان — ٢٦٥ معرض رومانيا — ٢٦٧ معرض النرويج — ٢٦٨ معرض
السويد — ٢٧٠ معرض الصرب — معرض اليابان — ٢٧٢ معرض روسيا — ٢٧٣
معرض صيام — ٢٧٤ معرض العجم — معرض مراکش — ٢٧٥ معرض مصر

﴿٢٧٦﴾ اليوم السادس عشر في باريس — ثامن يوم في المعرض — سراي
الماكينات — ٢٧٧ مدخل السراي — تشييد هذه السراي — ٢٧٩ كيفية ترتيب الآلات
الميكانيكية بها — كيفية توصيل الحركة للآلات — الفنطرنان المدحرجتان الكهربائيتان
— ٢٨٠ الآلات المحركة — الانوار الكهربائية — كيفية توزيع المعروضات بهذه السراي
— ٢٨١ قسم سويسره — ٢٨٢ قسم بلجيكا — قسم الولايات المتحدة بامريكا — معرض الكهرباء
فيه — ٢٨٤ قسم انجلترا — المعروضات الفرنسية — صناعة الورق — ٢٨٥ المطابع —
ماكينات عمل أوراق العجائن — آلات المعامل الزراعية والصبايع الغذائية — ٢٨٦
أدوات استخراج المعادن وآلاتها — بر شركة لوآر الفحمية — ٢٨٧ قسم الكهرباء —
٢٨٨ آلات الفنون الكيماوية — آلات النسيج وأدوات الخياطة وعمل الملابس — أدوات
السكك الحديدية — ٢٨٩ الآلات اليدوية — أدوات الغزل وعمل الخبال — الآلات
المتنوعة — ٢٩٠ أدوات الهندسة المدنية والاشغال العمومية والعمارة — ٢٩١ نبأ آلة
ميكانيكية عجيبة

﴿٢٩١﴾ اليوم السابع عشر في باريس — ناسع يوم في المعرض وهو آخر يوم
فيه — قسم " كيه دورسي " رصيف أورسي — ٢٩٢ معرض الاشياء الجريبة والهرية
— سراي الأغذية — ٢٩٣ عمل الثمانيه — ٢٩٤ عمل البسكوييت والنفطير — ٢٩٥
الروائح الذكية وكيفية استخراجها — مطاحن الشكولاته وباني سراي الاغذية وطبقاتها

وما فيها — ٢٩٦ المعارضات الزراعية — معرض وزارة الزراعة — ٢٩٧ مدارس الطب
البيطري — المدارس العملية الزراعية — ٢٩٨ المراكز الزراعية — المجلات الزراعية
الإقليمية — ٢٩٩ معروضات الآحاد والشركات المتعلقة بالزراعة — ٤٠٠ الأدوات
والآلات الزراعية — ٤٠١ عمل الحشرات الضارة والحشرات النافعة — فن تكثير الأسماك
— ٤٠٢ قسم "سبلاناد ديزقاليد" ساحة دار العواجر — ٤٠٣ السكة الحديدية
الإيزلاقية — ٤٠٨ سراي الجزائر وسوقها — ٤١١ سراي المعرض التونسي — ٤١٢ سوقها
وصاحب مسكن فيو — ٤١٣ معارض المستعمرات الفرنسية وباقي البلاد التي تحت
الحماية — ٤١٤ السراي الوسطية — ٤١٥ صور الآلة بها — سراي كوشنشين — ٤١٧
سراي أنام وتونكين — هيئة اهالي أنام وتونكين وملابسهم — ٤١٨ معرض كامبوج —
٤٢٠ الفري والضباع الأجنبية — غيبة من ضباع سنغال — ٤٢٢ قرية من قرى بلاد
الجاو — ٤٢٣ معرض جمهوريّة أفريقية الجنوبية — ٤٢٤ معرض وزارة البوسنة والتلغراف
— معرض التحفظات الصحية ومساعدة الفقراء — ٤٢٥ معرض نظارة الحرية — ٤٢٨
معرض الثياب الطيارة المعروفة بالبالون — ٤٣٠ معرض الاقتصاد الاجتماعي — الاحتفال
بشايخ بلاد فرنسا

❖ ٤٣٢ ❖ اليوم الثامن عشر في باريس — المكتبة الاهلية

❖ ٤٣٦ ❖ من باريس الى ثندره — ٤٣٨ مدينة ديب — الطريق من ديب

الى زيوهين بجر المانش وشدائده وإهواله — ٤٤٠ الوصول الى لندره

❖ ٤٤٢ ❖ اجماليات على (لندن)

❖ ٤٥٢ ❖ الإقامة بلندن — ٤٥٤ "بريش موزيوم" ومعناه المتحف البريطاني

— ٤٥٥ قسم المطبوعات — قسم ما هو مكتوب بخط اليد — ٤٥٦ باقي اقسام المتحف —

٤٥٧ اتيكات مصر — ٤٥٩ قاعة المطالعة — ٤٦٠ قسم الكتب العربية — ٤٦٢ كهنة

القديس بولس الكاتدرائية — ٤٦٣ سراي عموم البوسنة — ٤٦٤ مصلحة عموم التلغراف

— ٤٦٥ "كريستين هوسپتال" — ٤٦٦ سجن نيوجيت — مستشفى سان بارتلي — ٤٦٧

سوق اللحوم — تشارنر هاوس — ٤٦٨ دار بلدية المدينة "جلدول" — ٤٦٩ مدرسة

جريتشم — دار طائفة الصاغة — كنيسة سانت ماري لي وو — ٤٧٠ بنك انكندره — ٤٧٢

البورصة — ٤٧٣ مثال يهودي — ٤٧٤ كوبري لوندريه — ٤٧٥ عمود الآثار — دار

طائفة بائعي السمك — ٤٧٦ الكرك — بورصة الفحوم — ٤٧٧ كوبري بلاك فرا بارنس

— رصيف فيكتوريا — مسلة كليوباتره — ٤٧٨ دار جريدة التيمس — ٤٧٩ جمعية الكتاب المقدس — برج لندن "ذي تَوَر" ومايو — ٤٨٢ دار الضرب — المينا ومخازن التجارة البحرية — ٤٨٤ دوك سانت كترينه — دوك لندن — ٤٨٥ دوك الهد الشرقية ودوك الهند الغربية — نونيل التيمس ونونيل البرج وما سردابان تحت ارض نهر التيمس — ٤٨٦ الدفترخانه — ٤٨٧ دارالحاكم — رحبة "ترافلجر" ومثال الاميرال نلسون بها وما يتفرع عنها من الشوارع المهمة بلندره — ٤٨٩ محل شركة انقاذ الغرقى — ٤٩٠ قصر الصور الاملي "نَشِيلْ جلري" — ٤٩١ متحف سوين — ٤٩٢ موق النواكه والازهار والمحضرات — قصر وينبول — ٤٩٣ المتحف الاسود — سراي الوزارات — سراي البرلمان ويقال له "ويستمينستر" — ٤٩٤ ساعتها — برج ويكتوريا بها — ٤٧٥ غرفها — قاعة مجلس اللوردات — ٤٩٦ قاعة مجلس النواب — ٤٩٧ قاعة ويستمينستر — مجلس الاعيان — مجلس النواب — ٤٩٩ كوبري ويستمينستر — كنيسة ويستمينستر وقبور عظماء الانجليز فيها — ٥٠٢ عمود ويستمينستر — رُوِيَالْ اِكُو برنوم — المدرسة الجامعة المعروفة باسم "يونيفيرسني كوليج" — ٥٠٣ بستان ريچنس بارك — ٥٠٤ قصر سينت جيمس — ٥٠٥ حديقة سينت جيمس — قصر بوكهام — ٥٠٦ جرين بارك — هيد بارك — ٥٠٨ آلبرت موريال — ٥٠٩ المتحف الهندي — مغابر لوندره — ٥١٠ محل البيره — مستشفى جاني — ٥١١ متحف مادام تومو — ٥١٢ قصر البلور "كرستال پالس" —

❖ ٥١٦ ❖ السفر من لندن

❖ ٥١٧ ❖ الوصول الى روتردام — بعض ايضا حات على مملكة هولانده — ٥٢١

وصف مدينة روتردام — ٥٢٣ مدينة لاهاي

❖ ٥٢٢ ❖ الوصول الى مدينة ليدن — ٥٢٤ حال ممبرنا من الفندق الى

الكنيسة بها — البروفسورده جوبه ومقابلتنا معه — ٥٢٥ المدرسة الجامعة بها — ٥٢٦

الكنيسة بها — ٥٢٧ مطبعة بربل — ٥٢٨ وصف مدينة ليدن

❖ ٥٢٩ ❖ الوصول الى أمستردام ووصفها — ٥٢٢ كمال الشمال — بحر كمال

الشمال — ٥٣٥ شركة المنفعة العامة

❖ ٥٣٦ ❖ الوصول الى كولونيا — وصف مدينة كولونيا — كنيستها الكاتدرائية

— ٥٣٨ منظر نهرها — شراء جوارب بها لبعض الرفاق

❖ ٥٤٠ ❖ من كولونيا الى كوبنهاج — دوينسن — اويزفاوين — مونستر

— أُسْتَبْرُوكَ — بَرْقَن — مَارَبُورَج — ٥٤١ مدينة هامبورج — ٥٤٢ أَلْتُونَا — مدينة كِل
— ٥٤٣ المشي من محطة كِل البرية الى وابور البحر وما لحفنا من المشقة — ٥٤٤ كوزسيز
❖ ٥٤٥ ❖ كويتهاج ووصفها — ٥٤٧ ”منصف نورفالدسين“ بها وترجمة هذا
الرجل — ٥٥٠ سراي البرنس

❖ ٥٥٢ ❖ من كويتهاج الى مالمو — وابورات السفر بينها والاكل بها
❖ ٥٥٤ ❖ الوصول الى مالمو — وصف هذه المدينة — ٥٥٥ مقابلة أحد محرري
المجرائد بها

❖ ٥٥٦ ❖ إجماليات على السويد والنرويج
❖ ٥٦١ ❖ من مالمو الى استكم — مدينة أُونْد وصفها — ٥٦٦ صاحبنا
البروفسور نيجيز — ٥٦٧ وصف الطريق ومحطاته ٥٦٨ ذكر أكلة في الطريق وحالها
وأصحاب محلها وإثباتهم وأمانة أهل هذه البلاد — ٥٧٠ ذكر عربات هذا الطريق
ومقارنتها بغيرها من عربات السكك الحديدية — ٥٧٣ الوصول الى استكم — صاحبنا
يفي بوعده

❖ ٥٧٥ ❖ وصف مدينة استكم وذكر اقسامها — ٥٧٧ قسم ستادن — النصر
المالوي — ٥٧٨ أَلْكَبِيَسَة الكبيرة — ٥٧٩ الميدان الكبير — ميدان رِيدَارْ فوست —
سراي ريدار فوست — ٥٨٠ كنيسة رِيدَارْ هَلْم وبرجها — الاقسام الشمالية الثلاثة —
الفندق الذي تزلناه باستكم — ٥٨١ حديقة السلطان — ميدان غُستَاوْ آلف — ٥٨٢
قصر ولي العهد — المتحف الثاني — ٥٨٣ سراي أكاديمية العلوم — بستان مُمِلْ جِبَرْدِنْ
الكتبخانة الاهلية — ٥٨٤ ”تسبونال موزيت“ المتحف الاهلي — ٥٨٥ تمثال ”المبارزة
السكن“ — قسم الجنوب — ”هيسِن“ المرفئ البخاري — ٥٨٦ المسبوهيدن — مناظر
استكم من المرفئ المتقدم — ٥٨٧ وسائل الفل باستكم — كيفية دفع الاجرة بعرباتها —
٥٨٨ قسم جزر البحيرة الملحمة

❖ ٥٨٩ ❖ التوجه الى محل المؤتمر — وصف سراي المؤتمر — ٥٩٠ سكرتارية
المؤتمر — ٥٩١ كتابة المواضيع التي أردنا عرضها على المؤتمر
❖ ٥٩٢ ❖ أول مقابلة سمو الملك المقابلة الغير الرسمية — التفرج على قاعة انعقاد
جلسات المؤتمر — ٥٩٣ التعرف بمحضرة الفاضل مدحت افندي مندوب جلالة الخليفة
الاعظم لدى المؤتمر — سمو الملك أسكار الثاني — التعرف بسمو الملك والتعرف بمصافحو

— ٥٩٥ التعرف بحضرة البروفسور جلدنسيير وبحضرة البروفسور أوجست مولر

❖ ٥٩٦ ❖ مقابلة سمو الملك المقابلة الرسمية ٥٩٩ — ترجمة الملك مختصرة

❖ ٦٠٠ ❖ الاجتماع الودي — تقسيمات أعضاء المؤتمر — ضيوف الملك — الأعضاء

الرميون — ٦٠١ مندوبو المدارس الجامعة الكبرى — مندوبو الجمعيات العلمية —

مجموع أعضاء المؤتمر — ٦٠٢ يومية أخبار المؤتمر — ٦٠٣ المعارف بين أعضاء المؤتمر —

٦٠٤ وصف هذا الاجتماع — ٦٠٥ نعاطي الطعام فيه وكيفيته — ٦٠٦ احتفاء العلماء

المستشرقين بنا

❖ ٦٠٧ ❖ من تعرفنا بهم في المؤتمر سوى من سبق ذكرهم — وفد العلم — وفد فرنسا

— المسيو شيفر — ٦٠٨ الموسيو اويير — وفد الجزائر حضرة الشيخ شعيب بن عبد الله

— ترجمانه الشيخ بشير — وفد بوسنه وهرسك — البارون دة كريم احد وافدي النمسا

— البروفسور بروكش باشا — البروفسور مكس مولر احد وافدي إنجلترا — ٦٠٩

الاستاذ كونال الروسي — ابنته مادام كره للنبرج — ٦١٠ مادام كلنار "ولجاده ليه دف"

— ٦١١ الاستاذ انجلوده جوبرناتير من وافدي ايطاليا — المسيو ديريهيم رئيس المؤتمر

عن السويد — المسيو هلدبراند — المسيو ده يلجر — المستر ليون وطريفته الهجائية —

٦١٢ البروفسور أدلبرط مركس — الاستاد لينتز

❖ ٦١٣ ❖ "الاسلام ومدارسهم" لحضرة الدكتور لينتز نقلاً عن جريدة

"الحفاني"

❖ ٦١٧ ❖ افتتاح المؤتمر — ٦١٨ خطبة سمو الملك الافتتاحية — ٦٢٠ ملخص

مقالة الموسيو ديريهيم — ٦٢١ ترجمة خطبة الكونت ده لاندبرج الفرنسية — ٦٢٧

ذكر مكافأة حضرة الشيخ محمود شكري افندي الالوسي البغدادي بها وذكر مكافأة

البروفسور تيودور نولدك — ٦٢٨ والبروفسور الياس جلدنسيير — ٦٢٩ والبروفسور

ده جوية والموسيو فان اورديت من مطبعة بريل — ٦٣٠ معنى خطبة سفير سمو شاه

العلم — خطبة حضرة الناضل مدحت افندي مندوب الحضرة السلطانية — ٦٣١ فضيدة

سيدي الوالد في الحفلة الافتتاحية — ٦٣٢ خطبة الكونت ده لاندبرج العربية جواباً

لصاحب العطفة مدحت افندي ولسيد الوالد — ٦٣٦ الاجتماع بالمال المختصة

بانعقاد النصول لانتخاب رؤسائها وكتبة الاسرار بها

❖ ٦٣٧ ❖ دعوة الملك بقصر مصيفه في دُرُنَجِيَه — ٦٣٨ وصف الطريق —

وصف النصر - ٦٤٠ حضور الملك واحتفاله بالمحاضرين - ٦٤١ المائدة - النساء في هذه الحفلة ومقارنة حاملن فيها بفغيرها - ٦٤٢ شربُ الملك على صحة اعضاء المؤتمر وخطابه لم عند ذلك - ٦٤٢ العودة الى استنكلم وزينات شواطئ البحيرة في الطريق واحتفال الاهالي بالاعضاء - زينة مدينة استنكلم احتفالاً بافتتاح المؤتمر

❖ ٦٤٥ ❖ بعض تفصيلات في تقسيمات المؤتمر واعماله - ٦٤٧ توارخ مؤتمرات المستشرقين السابقة - ٦٤٨ ذكر بعض مواضع من التي تكلم وخطب فيها بالمؤتمر - ٦٥٢ اسماء رمس واعضاء الشرف بالمؤتمر - ٦٥٤ اسما رئيسي المؤتمر للسويد والنرويج - لجان تشكيلو بالممكنين

❖ ٦٥٥ ❖ مقالة حيددي الوالد عند تقديم المؤتمر شرح اول قصيدة من ديوان ميدنا حسان وذكر من تلاه من الخطباء - ٦٥٩ ذكر قصيدة حضرة رفيعنا الشيخ حمزه فتح الله التي تلاها في احدى جلسات المؤتمر

❖ ٦٦٢ ❖ مكتب السباحة واشكال الساجمين فيه والسباحات ووصف ذلك ❖ ٦٦٥ ❖ ضيافة الكونت والكوتيس ده لاندبرج - ٦٦٦ فاعات الضيافة بالفندق - الرافصات - ٦٦٧ ترجمة الكوتيس ده لاندبرج - حضور الملك

❖ ٦٦٨ ❖ المعبر الى ايسالا القديمة ثم الى ايسالا الجديدة وضيافة الطلبة والمدينة بها - ٦٦٩ ايسالا القديمة - مقابلة الاهالي للاعضاء بها - ٦٧٠ الاحتفال بتقدم شراب الآلهة للاعضاء - تذكارات الملك للمؤتمر - وصف شراب الآلهة - ٦٧١ ايسالا الجديدة - دار المعارف بها وكبجئاتها ونسخة الانجيل الذهبية النضبة بها - ضيافة الطلبة والاساتذة للاعضاء واحتفالهم بهم - ٦٧٢ الموسيقى الصوتية - ٦٧٣ نماطي الطعام ومن كن يجتمعون عليه ❖ ٦٧٤ ❖ رسائلي التي قدمتها الى المؤتمر "في ابطال رأي القائلين بتعويض اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية في الكتب والكتابة" - ٧٠٠ كتاب حضرة رفيعنا محمود افندي عمر الذي قدمه الى المؤتمر

❖ ٧٠١ ❖ وليمة الملك الرسمية لروساء الوفود ❖ ٧٠٢ ❖ دعوة اعضاء المؤتمر الى الاوبرا الملوكي ❖ ٧٠٤ ❖ اجتماع فصول المؤتمر بصفة عمومية تحت رايحة الملك ولحمس ماصار

في هذه الحفلة

❖ ٧٠٥ ❖ التليفون في استنكلم

❖ ٧٠٦ ❖ وليلة مدينة استكم لاعضاء المؤتمر في منزله هــبـا كـن ووصف هذا المنزه

❖ ٧٠٨ ❖ اهداء سمو الملك نشان "وازا" له ودي الوالد

❖ ٧١٠ ❖ جلسة ختام المؤتمر باستكم ولخص ما صار فيها

❖ ٧١١ ❖ وليلة مؤسسي المؤتمر — ٧١٢ تفصيلات هذه الليلة — ٧١٣ حل

زجل حضرة الكونت ده لاندبرج في ال "شينيـن" السويدي — ٧١٥ ترجمة ما كتبه باللغة التركية حضرة مدحت افندي في الخروف المحولي الشواء — ترجمة ما كتبه الموسيو أميلينو في الخرشوف باللغة القبطية — ٧١٦ ترجمة ما كتبه الموسيو ليلين باللغة الصينية في نوع من الحلواء بسمي فطيرة وبكنوريا — ٧١٧ ما كتبه الموسيو المكفيسست في المجبة بلغة البشارية — ما كتبه الموسيو ده جوية باللغة العربية القصي في الشبانة

❖ ٧١٩ ❖ من استكم الى كرستيانيا — ٧٢١ تاخر الوابور عن الميعاد المحدود لما

طراً عليه ومحفوظات في ذلك — مناظر هذا الطريق ٧٢٢ ناطي الطعام بمحطة شارلتبرج — ترحيب جريدة "أفنيـوسـن" الترويجية باعضاء المؤتمر

❖ ٧٢٤ ❖ مدينة كرستيانيا ووصفها وما بها

❖ ٧٢٩ ❖ الاجتماع الودي بين اعضاء المؤتمر القادمين من استكم واعضائو

الترويجيين في "فرمورزلوـجن" سراي المحافل الماسونية ووصف هذه السراي

❖ ٧٣١ ❖ الافتتاح الرسمي للمؤتمر في كرستيانيا وكتبته ووصف المحل وما ألقى فيه

من الخطب

❖ ٧٣٣ ❖ وليلة أـسـكـار سـهـال من طرف الخاصة الملكية وذكر قصر اسكارسهال

الملوكي وذكر الآثار الترويجية القديمة التي نقلها الى بستان ذلك النصر سمو الملك اسكارالثاني

❖ ٧٣٥ ❖ شلالات هونـة فوسـ والولة التي اعدتها هذه المدينة للاعضاء — ٧٣٦

بعض خطب في فصول المؤتمر — ٧٣٧ تقديم سيدات درامن الشاي للاعضاء

❖ ٧٣٨ ❖ ابرسيدي الوالد الذي قدمه الى المؤتمر في التعليم الجاري بمصر في

المدارس الاميرية والمكاتب الاهلية والمدارس الدينية — ٧٣٨ نص مقدمة ذلك الاثر

— ٧٤٢ تقسيمات ذلك الاثر

❖ ٧٤٤ ❖ ختام المؤتمر ولخص بعض مخطب حفلة الاختتام

❖ ٧٤٥ ❖ وليلة مدينة كرستيانيا في سراي المحافل الماسونية وتفاصيلها — ٧٤٦

ذكر لم الدب في هذه الليلة وحكمة

- ❖ ٧٤٨ ❖ من كرنهانيا الى ترول هيتن — ٧٤٨ ذكر الاعلانات المرغبة في
البضائع والمصنوعات ونشاط اهل هذه البلاد ومقارنة حالها بمجالنا
- ❖ ٧٤٩ ❖ ترول هيتن وثلاثاتها واهوستها وكماها وكيفية مروو السنن بالاهوسة
المذكورة صاعدة ونازلة — ٧٥٢ شلال جولوه — عمل ورق بصنع من الخشب — ٧٥٣
شلال نوييه — شلال "سناستروم" — عمل عظيم تصنع فيه وابورات السكة الحديدية
— ٤٥٤ عمل اكل بوشه منارة ٧٥٥ وليمة مدبري شركة كمال ترول هيتن
- ❖ ٧٥٦ ❖ السفر الى جوتنبورج واستقبال الاعضاء فيها — وصف هذه المدينة —
٧٥٨ وليمة الوداع التي اعدتها هذه المدينة — ٧٥٩ انتهاء المأمورية
- ❖ ٧٥٩ ❖ كتاب سيدي الوالد الى صاحب الدولة الاير الخطير رياض باشا
- ❖ ٧٦٥ ❖ السفر من جوتنبورج الى كوبنهاج — ٧٦٦ مدينة هلسنبورج — مدينة
هلسنبورج — ٧٦٧ ألعوبة "مونتاني رُوس" ابي الجبال الروسية بمنزلة نيمولي بكوبنج
وما وجدته فيها من الشدة
- ❖ ٧٦٨ ❖ من كوبنهاج الى سنتين — وداع من بني من اصحاب المؤتمر بكوبنهاج
— ٧٦٩ الطريق بين كوبنهاج وسنتين — مدينة سنتين ومدخلها من جهة البحر ومجرها
ونهرها واطف المناظر بها
- ❖ ٧٧٠ ❖ السفر من سنتين الى برلين
- ❖ ٧٧١ ❖ ست ساعات في برلين — وصف هذه المدينة — ٧٧٢ شارع
"أنتريدين ليندين" ومعناه أشجار الزيزفون — باب براندبورج — ٧٧٣ سراجه
الكونت ريدزن وما بها من الرسومات — أكوار يوم — قصر جاليري — بانوتيكيوم
— ٧٧٤ "جاردان ديررور" اي بستان الضلال — ٧٧٥ سراجه الامبراطور —
الكتبخانة الملوكة — نياتر الأوبرا — المدرسة الجامعة — قصر الامبراطوره فريدريك —
موقف الاسلحة — ميدان لوسجارتن — ١٧٦ القصر الملوكي — المتحف القديم — قسم
"فريدريخشتات" — شارع "فريدريخشتاسه" — شارع "ويلهلمشتاسه" — ٧٧٧
ميدان هوتسدام — ميدان الاتحاد — ١٧٨ قصر مونيجو ومتحف "هوتسولزن" به —
الميدان الملوكي — وعمود النصر به — ١٧٩ منتزه "نيرجارتن" — السكة الحديدية
المنخفضة بهذه العاصمة "شنادبان"
- ❖ ٧٨٠ ❖ من برلين الى ويانه وما يخل هذا الطريق من المدن

✽ ٧٨١ ✽ عشر ساعات في ويانه — ٧٨٢ وصف هذه المدينة — شارع
 رنجشتراسه واقسامه — قسم شوتنرخ — سراي البورصة — ٧٨٣ قسم فرانتشنيغ — سراي
 المدرسة الجامعة وكنجانتها — سراي بلدية المدينة وكنجانتها — سراي المجالس النيابية
 — ٧٨٤ سراي المتاحف ومثال الامبراطوره ماريانيزه — سراي الاوبرا الملوكية
 "سنادبارك" ابي منتزه المدينة — ٧٨٥ كنيسة "سينفانيكروخه" الكاتدرائية — جذع
 شجرة يعتقدونها العامة — ٧٨٦ برج الكنيسة المتقدمة — شارع جرابين — "بورج" السراي
 الامبراطورية — المكتبة الامبراطورية وما بها من غرائب الخف — ٧٨٧ خزينة الامتعة
 الامبراطورية ونحتها ونفايسها — ٧٨٨ قاعة النفوذ القديمة والمصوغات العتيقة — قصر
 الارشيدوك اليزت والمكتبة الالبرتينية — ٧٨٩ ملحوظات بشأن عاصمة بلادنا —
 ٧٨٩ منتزه براتزووصه — ٧٩٠ مجرى جديد لنهر الطونه

✽ ٧٩١ ✽ من ويانه الى ترينته وما يتخلل هذا الطريق من المدن العامرة
 والمناظر الباهرة

✽ ٧٩٤ ✽ من ترينته الى الاسكندرية
 ✽ ٧٩٦ ✽ المذول بين يدى الحضرة الخديوية بالاسكندرية
 ✽ ٧٩٧ ✽ القصيدة التي قدمها سيدى الوالد الى الحضرة الفخيمة الخديوية بـ
 الذبى تم بالمؤتمر والمأمورية

✽ ٨٠٠ ✽ السفر من الاسكندرية الى مصر
 ✽ ٨٠١ ✽ الاحسان على كاتب هذه الاحرف بالنشان العثماني
 ✽ ٨٠١ ✽ شكر الجناب العالي على احسانه
 ✽ ٨٠٢ ✽ العودة الى الاسكندرية للشكر على وظيفة قضاء الاستئناف التي منحها
 سمو الجناب العالي هذا الداعي والعود منها الى مصر وقصيدة سيدى الوالد الشكرية
 فى ذلك انتهى



اصلاح خطاء

صحيفة س	خطا	صواب	صحيفة س	خطا	صواب
١٣ ٨	فَان	فَان	٦٩ ١	يومو	يومو
٠٠ ١٢	مَأْكَل	مَأْكَل	٦٩ ١٩	بورنا	بورنا
١٢ ١٢	دَلِك	ذَلِك	٧٠ ١	يَلَانسو	يَلَانسو
١٨ ٢	غِرْه	غِرْه	٧٠ ١٢	مَعطَاة	مَعطَاة
٢٠ ٩	وَلَا يَنْهَا	وَلَا يَنْهَا	٧٢ ٢٠	فَانْهَا	فَانْهَا
٢٥ ١٩	سَخْرِيَّة	سَخْرِيَّة	٨٠ ٢	وَجْنُو	وَجْنُو
٢٦ ١٠	فَان	فَان	٨٢ ٤	الْأَلْب	الْأَلْب
٤٥ ٩	الْأَفَاضَل	الْأَفَاضَل	٩٠ ٨	بَأَوِي	بَأَوِي
٤٧ ١٩	وَارْتِنَاع	وَارْتِنَاع	٩١ ٢	لِلْأَفْضَال	لِلْأَفْضَال
٤٩ ٩	الْيَاس	الْيَاس	٩١ ١٩	الْمِيَاء	الْمِيَاء
٥٤ ١٠	سِبَا	لَا سِبَا	٩٥ ٢٠	أَمْرِي	أَمْرِي
٥٥ ١٤	ضَوْحِيَا	ضَوْحِيَا	١٠٢ ١٦	يُو	يُو
٥٦ ١١	مَكْسِيلِيَان .	مَكْسِيلِيَان	١٠٤ ٠١	بَنْفَذ	بَنْفَذ
٠٠ ١٦	مَكْسِيلِيَان	مَكْسِيلِيَان	١٠٥ ٤١	عَلِمْتُ	عَلِمْتُ
٥٧ ١١	لِيُولَد	الْوَلِيد	١١٠ ٥	الْمُقَدِّمَان	الْمُقَدِّمَان
٥٩ ٩	لِيُولَد	الْوَلِيد	١١١ ١٢	جَرَّه	جَرَّه
٦٢ ١٦	الْأَهْدَاء	الْإِهْدَاء	١٢٢ ٢	وَمَنْسُوجَانُو	وَمَنْسُوجَانُو
٦٢ ٤	فَان	فَان	١٢٢ ٢	الْحَيَاكَة	الْحَيَاكَة
٠٠ ١٦	جَهْتَهَا	جَهْتَهَا	١٢٢ ٢٠	كُلْ مِنْ جَهْتِ	كُلْ مِنْ جَهْتِ
٦٤ ١	عَلِ مَا	عَلِ مَا	١٤٢ ٢	كَارْتِيَه لَانَان	كَارْتِيَه لَانَان
٦٤ ١٤	مِيدَان	مِيدَانَا	١٤٢ ١٠	وَبَعْدُون	وَبَعْدُون
٦٥ ٦	الْمَجَارَّة	الْمَجَارَّة	١٤٤ ١٢	وَمَر	وَمَر
٦٥ ١٩	بَسْكِيرَا	بَسْكِيرَا	١٤٦ ١٩	الثَّوْرَة	الثَّوْرَة
٦٦ ١	جَعَلْ	جَعَلْ	١٥٠ ٨	عَلَى أَحَدِي	عَلَى أَحَدِي

صواب	خطا	صحيفة س	صواب	خطا	صحيفة س
كناها	كناها	٤٢١٢	كل منها	كل منها	١٥٢
وإن	إن	٦٢١٢	الباثيون	الباثيون	١٧١٥٩
الأجر والمحدد	الأجر المحدد	٧٢١٢	فروعاً	فروع	١١٦٤
ثم كيف ترقى	ثم ترقى	١٢٢١٧	جبرانهم	جبرانهم	٧١٦٦
ونفشه	ونفشه	١١٢٢٧	امم	امم	٩١٩٠
خمس	خمس	٤٢٢٩	أيدروليكيًا	أيدروليكيًا	٢١٩٢
٢٤٢	٢٤٢		المسندة	المسندة	٢٠١٩٤
وكذلك تعرف أن	وكذلك أن	٢٢٤٢	٢١٦	١٢٦	
٢٤٤	٢٤٤		مجليا	مجليا	٢٠٢٢٢
في ثاني	وفي ثاني	١٦٢٤٤	بالتعلم	بالتعلم	٧٢٢٠
ملكه	ملكه	٤٢٤٨	وارتفاعها	وعرضها	١٤٢٢١
البسط	والبسط	١٧٢٥١	أكمة	أكمة	١٧٢٤١
من	ما	٤٢٧٦	والنماء الواقع	والنماء الكائن	٤٢٤٢
نبأ	بناء	٤٢٩١	ميكثارا	ميكثار	١٧٢٦٠
الازدحام	الازدحام	٤٢٩٦	السنة	سنة	٥٢٦٢
مجرة	مجرة	١٤٠٥	بطريق	طريق	٤٢٧٢
التي لا تنجز	التي تنجز	١١٤٠٧	والسابعة	والسابعة	١٥٢٨٠
على ما أتذكر	على ما تذكر	٦٤٢٢	تجسد	تجسد	١٧٢٨٢
جعل	جعل	١١٤٢٢	أسلوب	أسلوب	١٠٢٨٦
بالأردية	بالأردية	٢٤٢٢	إنوجرافي	إنوجرافي	٩٢٨٧
التي لا يقف	التي يقف	١٤٤٢٤	خمس	حسن	٧٢٨٨
الديني	الانداء	٢٤٢٥	نظم	نظم	١٦٢٨٨
قلم المكاتب	قلم المكاتب	١٤٤٦٢	بها المحركة والبها	بها المحركة والبها	٢٢٨٩
ببعضها	ببعض	٢٠٤٧٢	أكثر من	أكثر	٢٠٢٩٢
بمباراته	بمباراته	١٢٤٧٢	فاتها	باتها	٢٢٩٧
المتوفى	المتوفى	١٥٤٧٢	الاختلال	الاختلال	٨٢٠٢

صواب	خطا	صفحة	صواب	خطا	صفحة
جلساتو	جلامانه	٢٦٤٨	المطربة	لمطربه	٧٤٧٨
بنري	بنري	١٢٦٥١	مزاحمة	مزحه	١٥٤٨٥
ابن دراج	ابن درج	٢٠٦٦٢	الامة	الامة	١٤٨٧
ولماه	ولماه	٤٦٦٥	١٨٥١	١٥٨١	٤٥١٢
العبارات	عبارات	٢٦٧٦	ان محلات	ان واقعة محلات	١٧٥١٢
تناولا	وكولا	١٧٦٧٩	الاشتغال	الاشتغال	١١٥٢٢
وكذا كان	نلذا كان	١٨٦٧٩	ثاني ثلاثاء	ثاني ثلاثاء	١٧٥٢٥
رعاية	عاريه	١٨٦٨٦	واشتغالو	واشتغاله	١٨٥٦٦
واختصاصو	واختصاصه	١٨٦٨٦	الى محطة	على محطة	١٤٥٦٧
غبرت	غبرت	١٢٦٩١	بجراند أونيل	بجراند أونيل	١٢٥٧٤
الاذخار	الاذخار	٨٧٢٧	٥٨٢	٨٨٢	
محلاة	محلات	١٤٧٢١	ريدبرج	ريدبرج	٤٥٨٢
وكان	وكانت	١٤٧٢٤	بخط	بخط	١٥٨٤
المكاتب	المكاتب	٥٧٤٢	زبدت	ريدت	١٢٥٨٤
بالعادية	العادية	٦٧٤٥	ملابسة	ملابسو	١٨٥٩٧
جوتنوزج	جوتنوزج	١٧٥٦	ومسراتو	ومسراته	١٦٦٢٢
المواضع	المواضع	١٧٧٦٤	لبزج	لبزج	٨٦٢٨
تثولي	تثولي	٢٧٦٧	ومناظرته	ومناظرته	٩٦٢٤
أشپرن	أسپرن	١٨٧٨٦	مثبتة	متينة	٨٦٤٤
رودولف	ورودلف	١٦٧٨٧	واعمالو	واعماله	٢٦٤٥
			غبر	وغبر	١١٦٤٦

❖ تنبيه ❖ — هذا ما اردنا ابراده من بيان الخطأ والصواب وان كان اكثره يدرك بأدنى تأمل وربما تركنا التنبيه على بعض اشياء تعرف بالبداية انكالا على ادراك القارئ آياها من غير احتياج الى تأمل .

Library of



Princeton University.

Presented by
Aben Lughod

